

HNSJ

Humanitarian & Natural
Sciences Journal
ISSN (e) 2709-0833
www.hnjjournal.net

مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية

مجلة علمية محكمة

العدد السادس المجلد الأول/ ديسمبر 2020

أبرز الموضوعات

1. حساب الاشعاع الشمسي بمدينة الخرطوم
2. تقوية المشترك الحضاري - أنساق العلاقات الروحية بين المغرب وبلدان أفريقيا جنوب الصحراء في العصر الحديث
3. Synthesis, Characterization and Biological Activity of Himdazole-2-carboaldehyde Thiosemicarbazone and its Cd (II), Hg (II) and Zn (II) Complexes
4. استخدام التحليل الكمي والكيفي لتحليل الجريمة في السودان، دراسة تطبيقية الإدارة العامة للجنايات – السودان في الفترة من 1996م – 2001م
5. مدى فاعلية التعلم عن بعد في البرامج المشتركة بجامعة الملك خالد
6. التربية الجغرافية والتربية البيئية: جوانب التلاقي والتكامل لخدمة رهانات التنمية المستدامة
7. صحة التحفظات على أحكام المعاهدات الدولية
8. *MORTIMER THE JUNIOR AS A MACHIAVELLIAN CHARACTER IN MARLOWE'S EDWARD II*

السودان، الخرطوم، الخرطوم بحري،
كافوري جوار جامعة الزعيم الأزهرى
ت: 00249123656807 00249905578664
البريد الإلكتروني: info@hnjournal.net
العراق – بابل ت: 009647805011077

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إدارة المجلة

د. ابراهيم عبد الرحمن أحمد

رئيس التحرير

د. ميثم منفي كاظم العميدي

نائب رئيس التحرير

د. عبدالرحمن الشيخ علي ال غصبيه

رئيس اللجنة العلمية

الأستاذ الكزرى العربي

نائب رئيس اللجنة العلمية

الهيئة الاستشارية والعلمية الدولية

أ.م. عباس مراد دوهان

أستاذ الأدب الإنجليزي بجامعة الكوفة وجامعة الإمام

الكاظم كلية الدراسات الإسلامية

د. علي طالب عبيد السلطاني

أستاذ جامعي كلية الإمام الكاظم عليه السلام للعلوم

الإسلامية

د. تامر شبل زيا

كلية الادارة والاقتصاد / الجامعة المستنصرية

د. أمجد عباس أحمد

كلية الإمام الكاظم. قسم الحاسوب، العراق

د. ميسون طه حسين منصور الزهيري.

القانون العام (القانون الدستوري) / جامعة بابل

د. علي محمد كاظم الكريطي

مقرر قسم القانون في كلية الإمام الكاظم / أقسام ميسان

د. خالد طه سالم صالح

كلية التربية جامعة صنعاء

د. ميثم منفي كاظم العميدي

كلية القانون، جامعة بابل، العراق

د. محمد حسين مهاوي / المعروف ب(د.محمد

الواضح)

معاون العميد للشؤون العلمية والدراسات العليا

بجامعة الامام الكاظم وأستاذ اللغة العربية

د. عبدالرحمن الشيخ علي ال غصبيه

استاذ القانون المدني

كلية القانون والعلوم السياسية جامعة ديالى

كلية الامام الكاظم (ع)

009647701072853

أ.م. د. حيدر كريم جاسم الجزائري

أستاذ جامعي جامعة الإمام الكاظم

الحمد لله في السر والعلن، على ما أنعم وأعطى من غير حول منا ولا قوة، نحمده تعالى على عظيم فضله وكثرة نعمه وتوفيقه. ونصلي ونسلم على خير البرية احمد الذي هو عزيز عليه ما عنتنا، حريص علينا بالمؤمنين رؤوف رحيم.

مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية هي مجلة عربية محكمة ودولية وهي مستقلة تم انشاؤها عن طريق مجموعة من أساتذة الجامعات الموقرين وأصحاب الكفاءات العلمية العالية. حصلت المجلة على الرقم التعريفي الدولي وأيضاً حصلت على تصنيف (SJIF) على الموقع الإلكتروني <http://sjifactor.com/> وتنتظر المجلة حساب معامل التأثير للعام 2020م. تهدف المجلة إلى نشر العلوم في كافة المجالات باللغتين العربية والانجليزية والفرنسية وبأسعار رمزية لتعم الفائدة لجميع الباحثين العرب حيث لا يجد كثير منهم منصات علمية محكمة وسريعة في النشر والتحكيم والتدقيق.

وعلى الرغم من حداثة المجلة حيث انها حالياً في شهرها السادس، الا أن كثير من أساتذة الجامعات والباحثين العرب قد قاموا بإرسال مجهوداتهم للنشر بالمجلة حيث بلغ عدد البحوث المنشورة في هذا العدد (34) بحث، وتشكر إدارة المجلة جميع المؤلفين الذين تقدموا ببحوثهم واوراقهم العلمية ومقالاتهم والتي بحسب رأينا بها كثير من الفائدة حيث تحتوي البحوث المنشورة في هذا العدد والأعداد السابقة على مواد ذات سبق علمي فريد. نسأل الله تعالى ان يوفقهم ويزيدهم علماً ونوراً وفائدة للأمة العربية.

كما تود إدارة المجلة ان تشكر جميع الذين ساهموا في إنجاح هذه المجلة فالبعض منهم قد قام بالتبرع المادي والبعض بالنصائح والمساعدة في النشر.

د. إبراهيم عبد الرحمن أحمد

رئيس التحرير

شروط النشر بالمجلة

تعليمات للباحثين:

1. ان يكون البحث ذا قيم علمية بحيث انه يقدم جديد في عالم المعرفة.
2. ان يكون البحث سليماً من حيث الصياغة اللغوية والإملائية.
3. الا يكون البحث مستلاً من بحث تم نشره مسبقاً.
4. الا تتجاوز عدد صفحات البحث (25) صفحة متضمنة الأشكال والرسومات والجداول والصور والمراجع. اذا كان هنالك ملاحق فإنها لا تدرج في النشر ولكنها مهمة ان وجدت لأغراض التحكم.
5. يجب الا يدرج الباحث اسمه في متن البحث وذلك لضمان سرية التحكم وجودته.

تنسيق البحث:

1. لا يتجاوز عدد صفحات البحث (25) صفحة متضمنة الملخصين العربي والإنجليزي، والمراجع.
2. تكتب بيانات البحث باللغتين العربية والإنجليزية، وتحتوي على: (عنوان البحث، واسم الباحث والتعريف به، وبيانات التواصل معه).
3. أن يحتوي البحث على ملخص باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يتجاوز كل منهما (250) كلمة مع التأكيد على كتابة عنوان البحث باللغة الانجليزية، وأن يتبع كل ملخص كلمات مفتاحية (Keywords) (دالة على التخصص الدقيق للبحث) بحيث لا يتجاوز عددها (5) كلمات.
4. الهوامش: إذا كان البحث باللغة العربية: 3 سم للأعلى والأسفل، و3 سم للجانب الأيمن و2.3 سم الأيسر. أما إذا كان البحث باللغة الإنجليزية: 3 سم للأعلى والأسفل، و2.3 سم للجانب الأيمن و3 سم الأيسر.
5. المسافة بين الأسطر: مفردة.
6. الخطوط: اذا كان البحث باللغة العربية Simplified Arabic،، حجم الخط 14 غامق للعنوان الرئيس، 12 غامق للعناوين الفرعية، 12 عادي لباقي النصوص وترقيم الصفحات، 11 عادي للجداول والأشكال و10 عادي للملخص. اما اذا كان باللغة الإنجليزية Times New Roman،، حجم الخط 14 غامق للعنوان الرئيس، 12 غامق للعناوين الفرعية، 12 عادي لباقي النصوص وترقيم الصفحات، 11 عادي للجداول والأشكال التوضيحية و10 عادي للملخص.
7. عناصر البحث:
8. المقدمة: (موضوع البحث، ومشكلته، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه، وإجراءاته).
9. تبين الدراسات السابقة وإضافته العلمية عليها.
10. المواد وطرق العمل: يجب أن تحتوي على تفاصيل طريقة إجراء البحث والتحليل الإحصائية والمراجع المستخدمة لهما.
11. النتائج والمناقشة: يمكن كتابة النتائج والمناقشة تحت عنوان واحد أو تحت عنوانين منفصلين. في حالة البيانات المجدولة توضع الجداول والأشكال داخل المتن في أول موقع متاح عقب ذكرها برقمها في المتن. ويستحب عدم إعادة كتابة الأرقام المذكورة بالجداول ويفضل الإشارة إلى وجودها بالجدول أو الشكل وتناقش النتائج بالتفصيل بالاستعانة بالمراجع ذات الصلة بالبحث.
12. كتابة خاتمة بخلاصة شاملة للبحث تتضمن أهم النتائج والتوصيات.
13. قائمة المصادر والمراجع.

14. الجداول:

15. تدرج الجداول في النص وترقم ترقيمياً متسلسلاً وتكتب أسماؤها في أعلاها.
16. في النص: الجدول (1) (مع مسافة واحدة بين الجدول ورقمه).
17. التسمية التوضيحية: ينبغي أن تدرج في الجدول على الصف الأول تتسق كالتالي:

الجدول(1) عنوان الجدول مع ثلاث مسافات بين التسمية التوضيحية واسم الجدول.

- يتم كتابة المصدر أسفل الجدول حجم الخط 11.

1. الرسوم البيانية والأشكال التوضيحية: تدرج الرسوم البيانية والأشكال التوضيحية في النص، وتكون الرسوم والأشكال باللونين الأبيض والأسود وترقم ترقيمياً متسلسلاً.
2. في النص: (الشكل 1) (مع مسافة واحدة بين الشكل ورقمه).
3. التسمية التوضيحية: يجب أن تكون تحت الشكل مباشرة كالتالي:

شكل(1) عنوان الشكل

- يتم كتابة المصدر أسفل الشكل حجم الخط 11، كالتالي (اسم الشهرة للمؤلف، سنة النشر: رقم الصفحة) إن لزم.

طريقة التوثيق:

1. طريقة الإشارة إلى المصادر داخل متن البحث حسب نظام APA.
2. طريقة كتابة المراجع في نهاية البحث حسب نظام APA.

فهرس الموضوعات

الصفحات	الموضوع
أ	اللجنة العلمية الدولية للمجلة
ب	تقديم
ج	شروط النشر بالمجلة
هـ	فهرس الموضوعات
13- 1	حساب الاشعاع الشمسي بمدينة الخرطوم عثمان زكي مبارك علي . د. معاوية أبراهيم حمد النيل
26- 14	تقوية المشترك الحضاري - أنساق العلاقات الروحية بين المغرب وبلدان أفريقيا جنوب الصحراء في العصر الحديث عبد الله الحاجي
34- 27	Synthesis, Characterization and Biological Activity of Himdazole-2-carboaldehyde Thiosemicarbazone and its Cd (II), Hg (II) and Zn (II) Complexes A.Gobara Musa A.Ahmed, M.hanai, Awad Salim Ibrahim
46- 35	استخدام التحليل الكمي والكيفي لتحليل الجريمة في السودان، دراسة تطبيقية الإدارة العامة للجنايات - السودان في الفترة من 1996م - 2001م أمينة سليمان حسين ابوالقاسم
66- 47	مدى فاعلية التعلم عن بعد في البرامج المشتركة بجامعة الملك خالد موفق محمد المومني
80- 67	التربية الجغرافية والتربية البيئية: جوانب التلاقي والتكامل لخدمة رهانات التنمية المستدامة يوسف اللحياني
106- 81	صحة التحفظات على أحكام المعاهدات الدولية رمضان عبدالله محمد العموري إبراهيم ميلاد عبد الله هذاج عطية على عطية قويرب
112- 107	MORTIMER THE JUNIOR AS A MACHIAVELLIAN CHARACTER IN MARLOWE'S EDWARD II Fatima Zohra KHELIFI
123- 113	المدخل الإتصالي وأثره في تنمية متعلمي العربية الناطقين بغيرها حارث سيف الدين خضر علي
133- 124	CATASTROPHIC COLLAPSE OF HUMANITY IN SARAH KANE'S BLASTED Raed Jasem Mohammed
151- 134	الموقف السوفيتي من القضية الكردية في العراق (1968-1975) نهاد طالب عويد
174- 152	المهارات الإرشادية للمرشد التربوي في التعامل أثناء الأزمات بمحافظة غزة سعيد عمر نبهان هاني أحمد الغمري لعلا حكيمه

196- 175	الصراعات القبلية في دارفور وأسبابها الفترة 1960 الى 2017 عبدالرحيم محمود عتيق احمد أ. د. الطاهر جاح النور احمد د.حسن محمد يوسف
210- 197	الإعلان الإلكتروني وزيادة فاعلية الأنشطة الاقتصادية (دراسة على الإعلانات بالموقع الإلكتروني لشركة زين للاتصالات في السودان) د. مرتضى البشير عثمان الأمين د. خالد عبد الحفيظ محمد حمد
228- 211	رحلة الحسن الوزان المعروف بـ " Jean Leon L'Africain " إلى دول أفريقيا جنوب الصحراء (تقاطعات الأبعاد الفكرية و الحضارية) عبد الله الحاجي
249- 229	قابس ومواقع أخرى تحت وطأة الوباء من خلال رحلة التجاني ١٣٠٦/٥٧٠٦ م الدكتور/ عبد الهادي نجم عبدالله الحسيني
263- 250	SPHERICAL AND ENDPOINT BOUNDS FOR DERIVATIVES OF FRACTIONAL MAXIMAL FUNCTIONS THROUGH FOURIER MULTIPLIERS Abdulrahman Al_Ameen Adam Edrees – ABDURAHIM MOHAMMED EBRAHEEM and Yasir Mohmed Alamen
284- 264	التعليم الإلكتروني آفاق تطوره ،،، نحو نظام تعليمي جديد الدكتور: بدوي الطاهر أحمد بدوي
298- 285	صعوبات ومشكلات تعليم اللغة العربية لدى غير الناطقين بها "الازدواجية اللغوية" أنموذجاً ماهر الحمود العكل
319- 299	أهمية الموقع الجغرافي لهور الدلمج في نمو حركة الطلب السياحي - دراسة ميدانية د. زينب صادق مصطفى
337- 320	مجلس الامن الدولي ودوره في مكافحة ظاهرة الارهاب في العراق دراسة قانونية دولية تحليلية في اهم قراراته بين عام2014-2019 (2160)، 2253، 2331، 2299، 2322، 2341، 2367، 2379، 2462، 2470 د خضير ياسين الغانمي
351- 338	الآليات التقليدية للإدارة الأهلية في إدارة الموارد البيئية المشاعة محلية الدويم - ولاية النيل الأبيض - السودان خلال الفترة من العام 1984-2020 د. حسن احمد حسن الشيخ د. إبراهيم عبد اللطيف عبد المطلب خوجلي أ. احمد عبد الرحمن مزمل
364- 352	الرقابة على دستورية المعاهدات الدولية - دراسة مقارنة م.م. هند كامل عبد زيد م.م. اغراس سليم حياوي
370- 365	DIFFICULTIES OF READING IN SUDANESE SECONDARY SCHOOLS (A Case Study of Nertiti Locality) Dr. Abdallah Adam Osman Algazoly
378- 371	THE USE OF LANDSAT ETM+ IN HYDROGEOLOGICAL INVESTIGATION IN BASEMENT TERRAIN, HAMISSANA AREA, N-E SUDAN

	Mussab Adam Abbakar
392- 379	المُحدِّدات الخارجية للانقسام الداخلي الفلسطيني حازم محمد زعرب
414- 393	الاغتراب الفلسفي في رواية زرايب العبيد لنجوى بن شتوان أ. د. صبحية عودة زعرب
433- 415	الاساس القانوني للالتزام بالمحافظة على السر المهني د. احمد نعمة عطية
450- 434	تطور التعليم الأهلي في الولايات العراقية حتى عام 1914 د. خنساء زكي شمس الدين
471- 451	أثر الرؤية الاستراتيجية وإدارة الجودة الشاملة على أداء المشاريع الصغيرة والمتوسطة (دراسة تطبيقية في العراق) مؤمن مازن سالم أ.د. محمد موسى دياب
485- 472	رسائل وتوجيهات الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لقادة تحرير العراق (دراسة تاريخية تحليلية) مديحة يعقوب يوسف يعقوب
505- 486	اسباب الإغراق التجاري وانعكاساته في العراق غدير عياد داوود
518- 506	دور الإعلام الجديد في تفعيل قيم المواطنة لدى الشباب الجزائري نبيلة جعفري
543- 519	اكتساب اللغة العربية لغةً ثانيةً - تجربة الطلبة الصينيين بجامعة تلمسان اختياراً- عبد القادر سلامي

عنوان البحث

حساب الاشعاع الشمسي بمدينة الخرطوم

عثمان زكي مبارك علي¹ د. معاوية أبراهيم حمد النيل

¹ اختصاصي مختبر علمي وزارة التربية والتعليم الامارات - مكتب العين alizaki2010@hotmail.com

² جامعة ام درمان الاسلامية - كلية التربية - السودان Moawiaibrahim73@gmail.com

تاريخ النشر: 2020/12/01م

تاريخ القبول: 2020/11/05م

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى دراسة حساب الاشعاع الشمسي في مدينة الخرطوم خلال اليوم والشهر والسنة والتعرف على الخلايا الشمسية من حيث تعريفها واهميتها وإيجابياتها وسلبياتها واستخداماتها من كونها طاقة نظيفة يمكن الاستفادة منها في مجالات عدة. وقد أوصت الدراسة بضرورة الاهتمام ببحوث تسهم في تطوير الخلايا الشمسية وكيفية عملها ويجب ان تتناول البحوث احدث انواع الخلايا الشمسية والتي يمكن ان تكون البديل للطاقة.

RESEARCH ARTICLE

Calculating solar radiation in Khartoum

Osman Zaki Mobark Ali ¹Muawiya Ibrahim Hadal nil ²

¹ Scientific Laboratory Specialist, UAE Ministry of Education - Al Ain Office
alizaki2010@hotmail.com

² Omdurman Islamic University - College of Education – Sudan
Moawiaibrahim73@gmail.com

Accepted at 05/11/2020

Published at 01/12/2020

Abstract

This research aims to study the calculation of solar radiation in the city of Khartoum during the day, month and year, and to identify solar cells in terms of their definition, importance, advantages, disadvantages and uses of being clean energy that can be used in several areas. The study recommended the need to pay attention to research that contributes to the development of 'solar cells' and how they work, and that research should address the latest types of 'solar' cells that can be an alternative to energy.

المقدمة

1.1 تمهيد:

ما من شك في ان الشمس مصدر الحياة ومصدر الطاقات على الأرض، فالطاقة الشمسية الواصلة الى سطح الأرض تتحول الى شكلين رئيسيين هما: طاقة كيميائية وطاقة حرارية، وكل منهما يتجلى بعدة مظاهر تؤدي لنشوء عدد من الطاقات. فعند سقوط اشعة الشمس على أوراق النباتات تُدخِر في النباتات على شكل طاقة كيميائية عضوية، وتشكل هيكلًا للنباتات ومصدرًا لغذائه ولغذاء الكائنات الحية بشكل عام.

إن تراكم الكميات الكبيرة من هذه العضويات الحية عبر السنين، وخضوعها لظروف مناسبة من الاكسدة والارجاع حولت الطاقة الكيميائية المختزنة فيها الى طاقة كيميائية أخرى شكلت مصدر الوقود الاحفوري من النفط والغاز والفحم.

اما الأثر الحراري للطاقة الشمسية فيتجلى ظاهراً عند سقوط الاشعة الشمسية على الغلاف الجوي فيؤدي لتسخينه تسخيناً متفاوتاً، وبالتالي: لحدوث التيارات الهوائية، وبالنتيجة ظهور طاقة الرياح، ويشكل تبخر كميات هائلة من مياه البحار والمحيطات مصدراً للطاقة المائية على الأرض.

ان التسخين المباشر لسطح البحار والمحيطات يؤدي لارتفاع درجة حرارة السطح مع المحافظة على درجة حرارة منخفضة في القاع، وتعرف الطاقة الناتجة من هذه الظاهرة بالطاقة الحرارية في البحار والمحيطات.

ترتبط طاقة المد والجزر مباشرة مع الشمس ولو بشكل ضئيل أي بمدى قربها او بعدها عن الأرض، ويعتقد ان الطاقة الكامنة الجوفية في باطن الأرض هي طاقة مستمدة من الشمس، لان معظم النظريات الحديثة تؤكد ان الأرض تعود في منشئها الى الشمس إذ انها انفصلت عنها (الكوكب الام) وبردت قشرتها الخارجية، اما اعماقها فما زالت ملتهبة تشع الحرارة الى الجهات كافة.

بدأ الانسان استخدام الطاقة الشمسية منذ القرن الثالث قبل الميلاد، وذلك باستخدام المرايا لتركيز اشعة الشمس، ثم تناولت هذه الاستخدامات وتطورت تطوراً كبيراً حتى استخدام هذه الطاقة في إطلاق الأقمار الصناعية التي تتردد بالطاقة الشمسية عن طريق الخلايا الكهروضوئية.

1.2 مشكلة البحث:

لاحظ الباحث أن هناك بعض المشكلات التي يعاني منها السودان، ومنها الكهرباء التي تُعتبر روح الحياة للانسان وعليه توجه الباحث الى اعداد دراسة تناول الطاقة النظيفة التي يمكن ان تعتبر بديل للكهرباء.

ان المشروع البحثي يهدف الى ايجاد اجوبة للأسئلة التالية:

1.3 اسئلة البحث:

1- ما هي الخلية الشمسية وايجابياتها وسلبياتها واهميتها واستخدامها؟

2- ماهو الاشعاع الشمسي ؟

3- كيف نحسب الاشعاع الشمسي لمدينة الخرطوم؟

1.4 أهمية البحث:

السودان بلد مترامي الاطراف يذخر بشمس ساطعة طوال العام تقريبا، ومن الدول القريبة من خط الاستواء مما يجعل الشمس اقرب للعمودية علي الارض بالاضافة للمساحات الزراعية الشاسعة والحوجة الدائمة للطاقة النظيفة، كل ذلك جعل من الاهمية بمكان تطوير البحث العلمي في مجالات الطاقة النظيفة علي العموم والطاقة الشمسية علي وجه الخصوص.

1.5 أهداف البحث:

- 1- دراسة الخلايا الشمسية من حيث تعريفها واهميتها واستخدامها وسلبياتها وايجابياتها.
- 2- التعرف على الاشعاع الشمسي.
- 3- معرفة حساب الاشعاع الشمسي لمدينة الخرطوم.

1.6 فروض البحث :

يقدم البحث الحالي للوصول الي إعداد جداول تتضمن حساب كمية الاشعاع الشمسي في مدينة الخرطوم وكذلك دراسة الخلايا الشمسية من حيث اهميتها كبديل للكهرباء وسلبياتها وايجابياتها واستخدامها.

1.7 منهجية البحث:

المنهج التطبيقي باستخدام برنامج افتراضى، يتناسب مع مفردات البحث العلمي وكذلك ينتمي هذا البحث الي فئة البحوث التي تستهدف استخدام معادلات رياضية لاستنتاج وحساب القيم.

1.8 أدوات البحث:

أدوات البحث :

1. مقابلات شخصية مع الخبراء والاساتذة المهتمين بالطاقة النظيفة.
2. برنامج افتراضي لحساب الاشعاع الشمسي.
3. مصادر المعلومات المتاحة في المكتبات وشبكة الانترنت للحصول علي معلومات كافية عن الاشعاع الشمسي والخلايا الشمسية.

1.9 حدود البحث:

الحدود الزمانية : 2019-2020م

الحدود المكانية : ولاية الخرطوم- كلية التربية - جامعة ام درمان الاسلامية.

1.10 متغيرات البحث:

المتغير المستقل:

البرنامج الافتراضي الذي يستخدمه الباحث وينفذه لحساب الاشعاع.

المتغير التابع:

تتمية مهارات استخدام الادوات والاجهزة المعملية واجراء الحساب الرياضي لحساب كمية ما.

1.11 اجراءات البحث:

1. مراجعة البحوث المرتبطة بدراسة الخلايا الشمسية.
2. تحديد الاطار النظري الذي سيبني عليه البحث من خلال البحوث والمراجع اللازمة.
3. تحديد تخطيط نمذجي وطريقة إعداد جداول من خلال الاستعانة ببرنامج افتراضي لحساب الاشعاع الشمسي ورأي الخبراء في ذلك.
4. عرض النموذج المقترح علي عدد من المحكمين علي اجازة ما يلي:
 - (1) الاهداف التي تم تحديدها في إعداد التجربة
 - (2) سيناريو اعداد وتنفيذ البحث.
 - (3) البرمجة الهيكلية للنموذج.
 - (4) الاخذ برأي الخبراء في ضبط التجارب وسيناريو اعداد وتنفيذ البحث.
 - (5) اعداد النموذج المقترح: حيث يتم الحصول علي البرنامج الخاص ببرنامج حساب الاشعاع من حيث خطوط الطول والعرض واعداد الرسوم والملفات الموجودة بالبرنامج الافتراضي.
 - (6) تجريب النموذج لاكتشاف الاخطاء والتأكد من سلامته.
 - (7) استكمال الاجراءات التي تسبق عملية اجراء القياس القبلي علي عينة البحث.
 - (8) اجراء القياس والتقويم البعدي علي عينة البحث
 - (9) التحقق من صدق المخرجات .
 - (10) عرض النتائج وتفسيرها في ضوء النظريات الفيزيائية.
 - (11) صياغة توصيات البحث وتقديم مقترحات لبحوث مستقبلية.

الاطار النظري :

2.1؟ ما الالواح الشمسية

الالواح الشمسية اساس الأنظمة الشمسية التي تقوم بتوليد الكهرباء، تصنع معظم الخلايا الشمسية من السيلكون (شبه موصل) ومن صفاته لامع جدا، للاستفادة من الفوتونات ومنع الانعكاس بعيدا عن الخلية، يجب طلاءه بمادة مضادة لانعكاس الخلايا ، المقياس القياسي للوح هو 15.6*15.6 سم.

الطاقة الشمسية كغيرها لها ايجابيات وسلبيات فمن ايجابيتها على سبيل المثال لا الحصر الطاقة الشمسية نعمة من نعم الله فهي مجانية، لذلك يعتمد استخدامها فقط على تكلفة التأسيس تعتبر مصدرا نظيفا للطاقة لا تؤثر على البيئة وغير خطرة ، ومن سلبياتها تكلفتها كبيرة وكذلك تخزينها ،نقل كفاءتها في الايام الممطرة وذات الغيوم.[2]

أهمية الطاقة الشمسية:2.2

ترجع أهمية الطاقة الشمسية الى انها من اهم مصادر الطاقة المتجددة خلال القرن الحالي، لان الطاقة التقليدية (الاحفورية) مهددة بالانتهاء اي العدم، وكذلك بما تركته من آثار ضارة بالبيئة الأرضية من تلوث وارتفاع في درجة الحرارة ، مما اثر على

المناخ.

لذلك اتجه عدد كبير نحو استثمار الطاقة الشمسية، وتم توفير المبالغ لتسهم في تطوير المنتجات، والبحوث التي تتناول الطاقة الشمسية كإحدى أهم مصادر الطاقة البديلة للنفط والغاز، وقد حازت البحوث والتطبيقات التي تهتم بمجال تحويل Photovoltaic [3] الطاقة الشمسية إلى كهرباء باهتمام كبير جداً خاصةً الدول النامية وهو ما يعرف باسم

2.3 استخدامات الطاقة الشمسية:

استفاد الإنسان منذ القدم من طاقة الإشعاع الشمسي مباشرة في تطبيقات عديدة كتجفيف المحاصيل الزراعية وتدفئة المنازل، وللطاقة استخدامات عدة منها الحرارية والكهربية.

2.4 الإشعاع الشمسي:

الإشعاع هو انتقال الطاقة غير المجسمة وانتشارها كما هو الحال في الطاقة الحرارية والضوئية والكهرومغناطيسية، وأحياناً يطلق على هذا النوع من الإشعاع الأثيري مصدرها الشمس والشمس كتلة غازية ملتهبة أكبر من قطر الأرض بمئة مرة وحجمها يقدر مليون مرة بحجم الأرض وتقدر درجة حرارة سطحها بنحو 6000م بينما تبلغ حرارة مركزها بأكثر من 20 مليون م. يمكن توظيف الإشعاع الشمسي لاجل: إنتاج الطاقة الحرارية، إنتاج الطاقة الكهروضوئية. يمكن تقسيم الإشعاع إلى ثلاثة أنواع رئيسية هي:

أولاً: الإشعاع الشمسي (Solar radiation)

وينقسم بدوره إلى ثلاث أنواع من الأشعة أيضاً هي:

1/ الأشعة فوق البنفسجية (Ultraviolet Rays)

2/ الأشعة الضوئية (Light Rays)

3/ الأشعة الحرارية (Heat Rays)

ثانياً: الإشعاع الأرضي (Earths Radiation)

ثالثاً: الإشعاع الجوي (Atmospheres Radiation)

ويقاس الإشعاع الشمسي بعدة أجهزة منها

1/ جهاز بير هيلوميتر (Pyrheliometers)

2/ ترمومتر النهاية العظمى للإشعاع الشمسي

3/ جهاز الأكتينوميتر (Actinometer) {4}

2.5 طيف الإشعاع الشمسي:

الإشعاع الشمسي الواصل إلى سطح الأرض ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

- الإشعاع الشمسي المباشر: وهو الإشعاع الساقط على سطح ما مباشرة من قرص الشمس.

- الإشعاع الشمسي المنتشر أو المتشتت: وهو الإشعاع الساقط على سطح ما بعد أن تشتت خلال مروره بطبقات الجو، أو هو

الإشعاع الذي انعكس وسقط على ذلك السطح.

- الإشعاع الكلي: وهو مجموع الإشعاع الشمسي المباشر والإشعاع المشتت، وعليه يكون تدفق الإشعاع الشمسي الكلي الواصل إلى نقطة من سطح الأرض هو مجموع تدفق الشعاعين المباشر والمنتشر.

كمية الإشعاع:

للحصول على كمية من الإشعاع يجب أولاً: عمل زاوية ميلان للخلية الشمسية تناسب خط العرض لجعل الإشعاع يسقط بشكل عمودي، وثانياً من خلال نظام التتبع لجعل الإشعاع عمودي وتتبع الشمس التي تغير مكانها بمقدار درجة كل أربع دقائق. تستقبل الأرض 175 ضرب 10 أس 5 كيلواط في الساعة الواحدة.[3]

منهجية البحث

برنامج افتراضي لحساب الإشعاع الشمسي

3.1 تمهيد :

أسهم التطور الكبير في مجالات الاتصالات الرقمية والتقدم الهائل في تكنولوجيا المعلومات في التوسع في استخدام وتطوير برمجيات الوسائط المتعددة وبرامج المحاكاة وإنشاء الفصول والمعامل الافتراضية، وتعتبر المعامل الافتراضية من أبرز ثمار هذا التطور، حيث أن المعامل الافتراضية أصبحت تحاكي إلى حد كبير المعامل الحقيقية، الحسابات على أساس أن توجه الألواح نحو الجنوب، هذا البرنامج تم اعداده باستخدام قاعدة بيانات وكالة ناسا الفضائية - إنتاجية الألواح في الشهر والسنة لأي مكان في العالم - أفضل زوايا توجيه الألواح لفصول السنة.

3.2 تطبيق حساب إنتاج 1 كيلووات خلايا في مدينة الخرطوم:

بالنسبة لحساب إنتاجية الخلايا الشمسية بناء على الإشعاع الشمسي في السودان (مدينة الخرطوم) استخدمنا برنامج موقع شركة سولر لحساب الإشعاع الشمسي بناءً على الأحداثيات الموضحة في الصورة أدناه:
وفق الخطوات التالية:

- 1- اختار أي موقع على الخريطة لحساب إنتاجية الخلايا.
- 2- الحساب على أساس نظام تثبيت ثابت.
- 3- التوجه نحو الجنوب في نصف الكرة الأرضية الشمالي ونحو الشمال في نصف الكرة الأرضية الجنوبي

4- للتبسيط تم اعتبار فواقد النظام 20% وهي نسبة قياسية متعارف عليها



النتائج:3.3

قام الباحث باختيار مدينة الخرطوم على الخريطة بناءً على احداثيات خطي العرض والطول كما مبين في الجدول (1.1)

جدول (1.1) بيانات الموقع وحجم النظام

بيانات الموقع وحجم النظام		
وحدة القياس	القيمة	العنصر
م^2 / كيلووات	2860	الإشعاع الشمسي السنوي
شمال	15.12841	خط العرض
شرق	32.8836	خط الطول
كيلو وات	1	قدرة الألواح الشمسية

وتحصلنا على القراءات المبينة في الجداول ادناه خلال فصول الصيف والشتاء خلال اليوم والشهر والعام وفق افضل الزوايا:

جدول (1.2) انتاج الألواح الشمسية بافضل زاوية تركيب على مدار العام: 14°

انتاج الألواح الشمسية بافضل زاوية تركيب على مدار العام:14		
الشهر	انتاج يومي بالكيلووات	انتاج شهري بالكيلووات
يناير	4.61	143
فبراير	4.91	138
مارس	5.03	156
ابريل	5.15	154
مايو	4.97	154
يونيو	5.24	157
يوليو	4.83	150
اغسطس	4.49	135
سبتمبر	4.71	146
اكتوبر	4.58	142
نوفمبر	4.49	135
ديسمبر	4.49	139
اجمالي كيلووات في العام		1749

جدول (1.3) انتاج الألواح الشمسية زاوية تركيب في الصيف: 2°

انتاج الألواح الشمسية زاوية تركيب في الصيف: 2°		
الشهر	انتاج يومي بالكيلووات	انتاج شهري بالكيلووات
يناير	3.98	123
فبراير	4.46	125
مارس	4.84	150
ابريل	5.24	157
مايو	4.95	153
يونيو	5	150
يوليو	4.77	148
اغسطس	4.64	139
سبتمبر	4.64	144
اكتوبر	4.27	132
نوفمبر	3.95	119
ديسمبر	3.82	118
اجمالي كيلووات في العام		1658

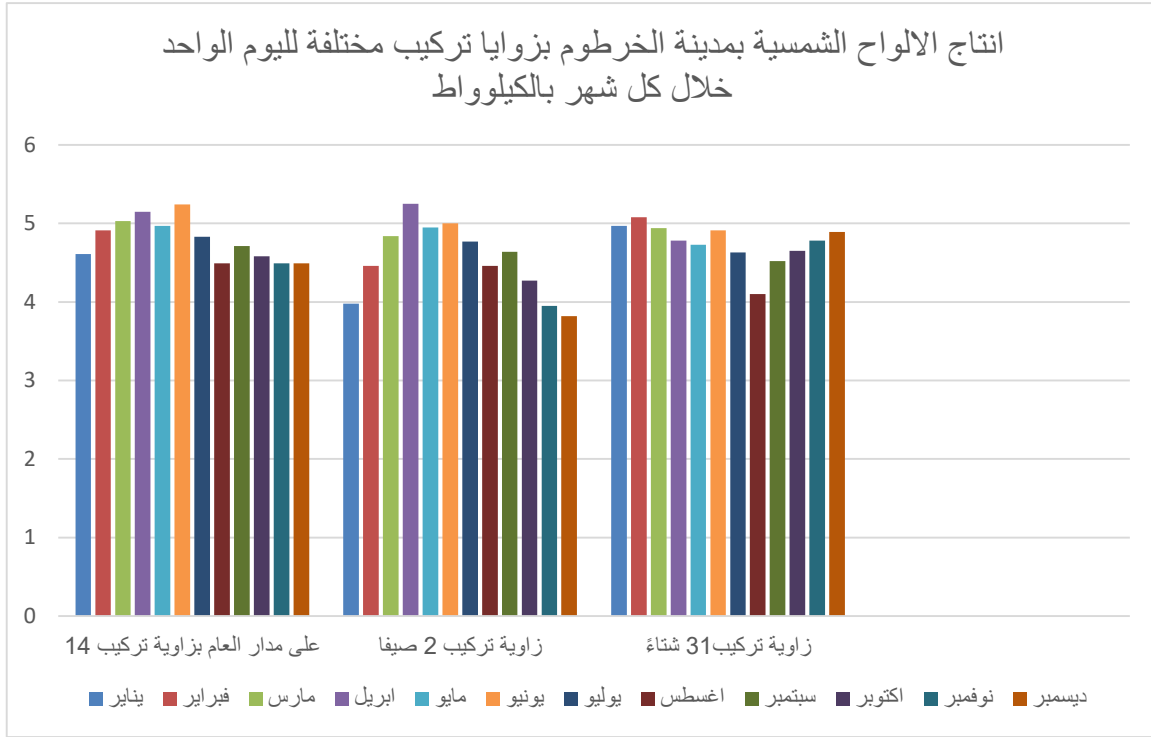
جدول (1.4) انتاج الألواح الشمسية زاوية تركيب في الشتاء: 31°

انتاج الألواح الشمسية زاوية تركيب في الشتاء: 31°		
الشهر	انتاج يومي بالكيلووات	انتاج شهري بالكيلووات
يناير	4.97	154
فبراير	5.08	142
مارس	4.94	153
ابريل	4.78	143
مايو	4.73	146
يونيو	4.91	147
يوليو	4.63	143
اغسطس	4.1	123
سبتمبر	4.52	140
أكتوبر	4.65	144
نوفمبر	4.78	143
ديسمبر	4.89	152
اجمالي كيلووات في العام		1730

4.1 المناقشة والتوصيات :

من خلال النتائج السابقة الموضحة في الجداول (1.2)، (1.3)، (1.4) وبعد تحديد افضل زوايا وضع الخلايا في الصيف (2°) وفي الشتاء (31°) وطوال العام بشكل ثابت (14°) .

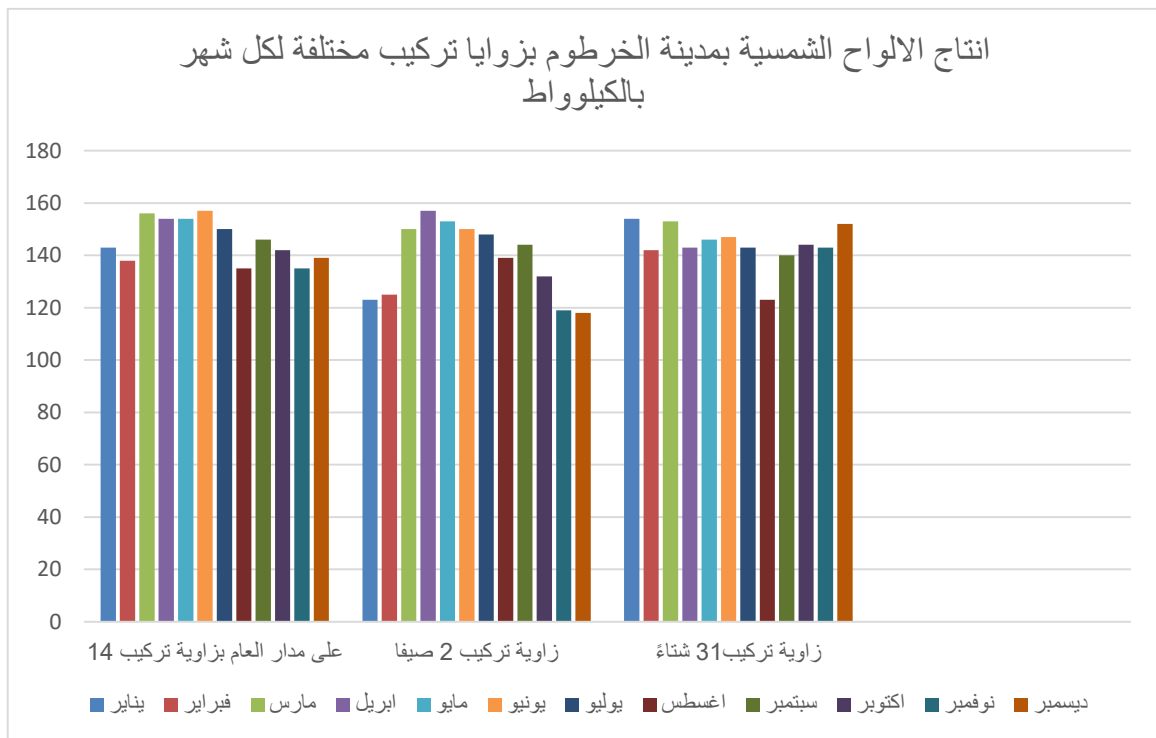
نجد ان انتاج الخلية الشمسية الواحدة يتراوح ما بين ($3.82 - 5.24kwatt$) في اليوم انظر شكل (2.1) ادناه



شكل (2.1) انتاج الألواح الشمسية بمدينة الخرطوم بزوايا تركيب مختلفة لليوم الواحد خلال كل شهر بالكيلوواط

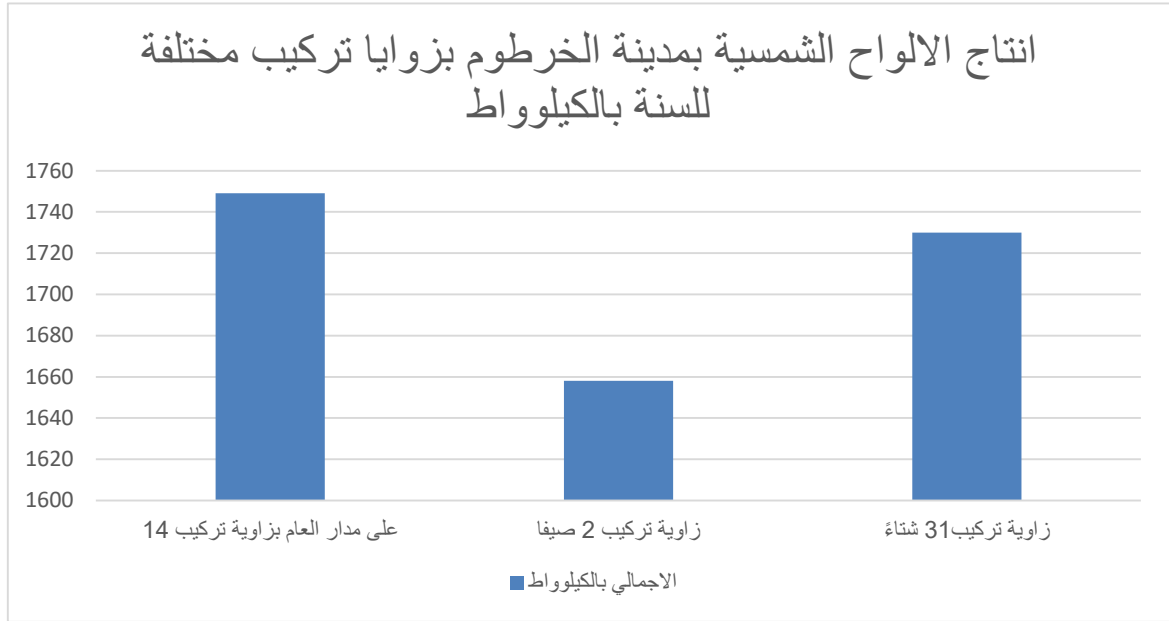
وانتاج شهري يتراوح ما بين (118-157kwatt) في الشهر انظر الشكل (2.2) ادناه

شكل (2.2)



وانتاج يتراوح ما بين (1658 – 1749 kwatt) في السنة انظر الشكل (2.3) ادناه

الشكل (2.3)



وهو انتاج جيد للخلية مما يساعد علي بناء منظومة خلايا تساعد وتدعم الانتاج الحرارى والمائى للكهرباء خصوصا في المشاريع الزراعية وانارة الطرق في مدينة الخرطوم.

وجد الباحث انه يجب الاستفادة من الاشعاع الشمسي في مدينة الخرطوم من خلال الاهتمام بالبحوث التي تهتم بالخلايا الشمسية عامة والعمل على رفع كفاءتها بصورة خاصة ، باعتبار ان الخلايا الشمسية تعطي طاقة ولا تحتاج الى صيانة كثيرة وتناسب معظم المناطق والمدن وسرعة استجابة الخلايا الشمسية مع الاشعاع الشمسي اضعف الى ذلك عمرها الافتراضي كبير جدا ، كما ان الخلايا الشمسية طاقتها ناضبة ولا تحتاج الى صيانة كبيرة وتلائم المناطق التي تُطبق عليها ، كما ان الخلايا الشمسية تقوم بتحويل الاشعاع الشمسي مباشرة الى تيار كهربائي مستخدمةً التأثير الفولتي دون الحاجة الى معالجة حرارية.

4.2 التوصيات :

في ضوء نتائج هذه الدراسة يوصي الباحث بما يلي :

تعتبر الخلايا الشمسية من اكثر التقنيات الواعدة في مجال الطاقة المتجددة لذا يجب الاهتمام ببحوث تسهم في تطوير الخلايا الشمسية وكيفية عملها ويجب ان تتناول البحوث احدث انواع الخلايا الشمسية والتي يمكن ان تكون البديل للطاقة.

ونكرر نوصي باستخدام الخلايا الشمسية نسبة لانتاجها طاقة نظيفة غير ضارة بالبيئة وهذا هو الالهم للانسان في بيئته.

وكذلك نوصي باستخدام هذا الكم الهائل من الاشعاع الشمسي في مدن السودان المختلفة من خلال بحوث تعدل في معالجة كفاءة الخلايا الشمسية.

4.3 المقترحات:

التسهيلات من قبل المسؤولين للباحثين المتخصصين في المجال وتشجيع الدارسين على البحث في الطاقة النظيفة.
الاهتمام بدراسة كفاءة الخلايا الشمسية.

المراجع والمصادر:

* القرآن الكريم .

أولاً : الكتب العربية:

- 1- ديفز ز.ج (1994)، طاقة من اجل الارض.
- 2- يوسف خليل مظهر ،ترشيد الطاقة ،ضمن سلسلة العلوم التي تصدرها الهيئة المصرية العامة للكتاب 1996م.
- 3- بشر هاشم مبادئ الطاقة الشمسية، مراجعة د.ابراهيم الشريدة ،مؤسسة الكويت للتقدم العلمي الطبعة الاولى 1983م.
- 4- ابحاث الطاقة المتجددة ،مجموعة ابحاث مختارة - رينة فراسوا بيزك ترجمة ميشيل خوري - دمشق 1993م.
- 5- سعد يوسف عياش تكنولوجيا الطاقة البديلة ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والادب-الكويت -1981م.
- 6- الطاقة الشمسيةوا مكانية استغلالها - إعداد: البرو فيسور/أحمد خوجلي -رقم الإيداع 75 صدرت/2007م

ثانيا الكتب الاجنبية :

- 1- T. Maruyana,R.Kitamura, A.Enomoto,andK.Shirasawa ,” Solar Cell Module Colored with Fluorescent Plate” ,Solar Energy Materials and Solar Cells, 69,61,2000.
- 2- T.A.Yates,” Solar Cell in Concentrating Systems and their High Limitations “,Senior Thesis, University of California (Santa Cruz), Sept. 3 ,2003.

الانترنت:

- 1- <https://nasrsolar.com/#result>
- 2- <https://scholar.google.com/schhp?hl=ar>

الدراسات السابقة:

- 1-محمد علي الخليفة احمد -جامعة ام درمان الاسلامية - السودان -2015م.
- 2-مبارك درار عبدالله - جامعة الخرطوم ،السودان - جي تاون 2013م - الطاقة الشمسية.

عنوان البحث

تقوية المشترك الحضاري
أنساق العلاقات الروحية بين المغرب وبلدان أفريقيا جنوب الصحراء في العصر الحديث

عبد الله الحاجي¹

¹ أستاذ التعليم العالي، مركز تكوين الأساتذة CRMEF-SM، جهة سوس ماسة، أكادير، المغرب.

Email: elhajji2008@gmail.com

تاريخ النشر: 2020/12/01م

تاريخ القبول: 2020/11/12م

المستخلص

الموضوع الذي بين أيدينا يؤسس للمشارك الروحي والحضاري بين المغرب ودول أفريقيا جنوب الصحراء في العصر الحديث، الذي تصل جذوره إلى عهد الدولة المرابطية بالمغرب، هذه الأخيرة التي استطاعت توحيد معظم الغرب الإسلامي معتمدة على قبيلة وعصبية صنهاجة الصحراء، والمذهب السني المالكي كشعار وغطاء ديني إصلاحي، وبذلك بدأت الدولة المرابطية الناشئة تتقدم نحو المغرب الأقصى لتوطيد نفوذها فيه، وتقيم بعد ذلك علاقات مع بلدان السودان الغربي.

كان الاتصال بين المغرب ودول أفريقيا جنوب الصحراء في العصر الحديث قويا من الناحية الفكرية والروحية والحضارية، نظرا للتواصل الدائم بين هذه البلدان، وفي هذه الأونة ظهرت الزوايا الدينية التي انبثقت عنها الدولة السعدية، حيث عملت على تقوية هذا المشترك، وتنشيط الجوانب الاقتصادية التي ازدهرت بين المغرب وهذه الدول خلال هذا العصر إلى أن تدخّل أحمد المنصور السعدي عسكريا في شؤون السودان الغربي.

الكلمات المفتاحية: الدولة المرابطية - صنهاجة الصحراء - السودان الغربي - المشترك الروحي والحضاري المذهب السني المالكي - الدولة السعدية

RESEARCH ARTICLE**Promoting Common Heritage****The structure of spiritual relationships between Morocco and sub-Saharan African countries in the modern era****Abdallah EL HAJJI ¹**

¹ Higher Education Professor, Souss Massa CRMEF-SM Center, Agadir, Morocco, Email: elhajji2008@gmail.com

Accepted at 12/11/2020**Published at 01/12/2020****Abstract**

The present paper highlights the common cultural and spiritual Heritage between Morocco and sub-Saharan African countries in the modern era and which takes its root way back in the area of the almoravids dynasty. The latter succeeded in unifying southern Islamic states thanks to, not only the fanaticism of Senhaji clan, but also the Salafi Al-maliki ideology which was adopted as a religious cover.

The intellectual, spiritual and cultural interchange between Morocco and sub-Saharan African countries was strong in the modern era owing to the constant interchange between those countries. in the era of Saadian dynasty, this Heritage together with all economic aspects were promoted until the military intervention of Mansour Al Saadi in the Affairs of Southern Sudan.

Key Words: Al-almoravids- Southern Islamic States- Senhaji - al-maliki ideology - Southern Sudan

تقديم

هذا الموضوع الذي سنحاول سبر أغواره، هو من العمق والأصالة والجاذبية والتحدى بمكان، ذلك أنه من المستحيل الإحاطة بجميع جوانبه، فقبل أن نُعمد القلم في المخيرة، ارتأينا أن نؤسس لهذا العمل الذي يهْمُ المشترك الروحي والحضاري بين المغرب وبلدان أفريقيا جنوب الصحراء في العصر الحديث، وهما الأساس أن نقارب هذا الموضوع بغية التخلي عن مجموعة من المفترسات الأولية وذلك بالأخذ بطرق البحث الأحدثية الجانب، لكي تتم مقايسته مع ظرفيات عاشتها المناطق الشمالية والغربية شمال الصحراء.

لمحة عن بلدان أفريقيا جنوب الصحراء في العصر الوسيط

أوقفتنا المصادر التي تتحدث عن الوضعية الدينية في إفريقيا جنوب الصحراء هنيهة لنرى ما ستجود به علينا من إضافات في العصر الوسيط، فوجدنا أن علي بن أبي زرع الفاسي هو الذي استدرك على بعض المؤرخين أمثال ابن سعيد التطورات التي عرفتها الحركة المرابطية بالصحراء وبلاد السودان الغربي بعد العام 460هـ/1088م.

صحيح أن فاس والمغرب عامة شهد نوعا من الرخاء الاقتصادي خلال القرن الخامس الهجري لكن بعض مصادر الفترة تحدثت أيضا عن الشدة والخوف والأزمات، حيث تحدث ابن أبي زرع في "روض القرطاس" عن اتخاذ أهل فاس المطامير لطعامهم. فهل مثل هذا الوصف هو تبرير لظهور المرابطين، لإزالة المظالم عن الناس؟ أم أن المرابطين بسيطرتهم على طرق التجارة الصحراوية هم سبب هذه الوضعية الاقتصادية والاجتماعية التي يأتي الحديث عنها فجأة بعدما طال الحديث في المصادر عن الرخاء؟

لاحظنا أن الدولة المرابطية استطاعت أن توحد معظم الغرب الإسلامي معتمدة على عصبية صنهجة الصحراء والمذهب السني المالكي كشعار إصلاحية جذاب خلال العصر الوسيط، وقد امتلكت في نفس الوقت قوة مادية تعتبر عمقا استراتيجيا وذلك بفضل سيطرة المرابطين على أهم طرق التجارة الصحراوية، منذ نزوحهم نحو جنوب المغرب الأقصى، فأصبح مجال تحركهم بين جبال الأطلس وبلاد السودان -حسب ابن خلدون-¹.

وأهم قبائلهم ثلاث، لمتونة وهي أقواها وتعيش في شمال غرب الصحراء وكدالة في جنوبها الغربي ومسوفة تستقر على طول الطريق بين سجلماسة وأود غشت، أي في مناطق أكثر صحراوية، وهذا يجعل مجال تحركها متسقا من الهكار إلى حوض النيجر، وقد ظلت تسيطر على خط التجارة بين سجلماسة وأود غشت مروراً بممالح تَغَارَى.

أما لمتونة فقد كانت تراقب خطين للتجارة خط ساحلي بين مصب نهر السينغال وسوس، وخط داخلي بين أود غشت ودرعة، أي أن صنهجة كانت الوسيط التجاري بين أرض السودان الغربي والشمال الإفريقي.² فهل كان الدافع المادي وحده وراء تمدد المرابطين شمالاً؟

لا شك أن هناك عنصرا مهما كان يوحد المرابطين ويحفزهم وهو العنصر الروحي المتمثل في الدين. لقد أخذ الإسلام يتسرب إلى صنهجة الصحراء بواسطة الاتصال التجاري مع قبائل لمطة ومسوفة و لمتونة³، بل ويصبح تعميقه أمرا حقيقيا خاصة وأن الأمير يحيى بن إبراهيم الكدالي عند لقائه بفيقه المالكية بالقيروان أبي عمران الفاسي، شكاً له جهل قومه لعدم اتصالهم بغير تجار جهله لا يحيطون بالأمر العامة للدين، فأرشده إلى فقيه من أصل صنهجاني صحراوي هو وكاك اللمطي الذي كان يدرّس العلم بإحدى مدن جنوب المغرب الأقصى، فوجه معه الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي الذي ينتمي هو الآخر لإحدى القبائل الصحراوية، بالفعل توجهها مباشرة إلى قبيلة كدالة المتاخمة لزنوج جنوب الصحراء، فحاول الفقيه ابن ياسين اتباع أسلوب التدرج في التعليم من العبادات إلى المعاملات فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنعزل الفقيه في رباط قرب مصب نهر السنغال، فكان هذا الاعتزال أحسن

¹-عبد الرحمن بن خلدون. العبر وديوان المبتدأ والخبر... ج 5 ص 273.

²-عبد الله الحاجي. السكر: اوراش في التاريخ الاقتصادي... قيد الطبع، 2020.

³-كانت هذه القبائل تضع اللثام الذي هو سنة لهم توارثوه خلفا عن سلف حسب ابن خلكان في وفيات الأعيان - وسبب ذلك شدة الحر والبرد، وقيل إن قوما كانوا يغيرون على نساءهم، فأشار عليهم بعض مشايخهم أن يبعثوا النساء في زي الرجال إلى ناحية، ويبقوا هم في البيوت ملتئين في زي النساء، فإذا أتاهم العدو خرجوا إليه وقتلوه، فلزموا اللثام تبركا به

دعاية له. هذا الرباط⁴ يمثل مركزاً تعليمياً تربوياً يعود على تحمل المشاق من أجل جهاد الكفار والخارجين عن الدعوة، وهي مبنية أصلاً على أسس المذهب المالكي.

لقد كانت مسوفة ولمطة تجاوران شمالاً مراكز التجارة المهمة كسجلماسة وتارودانت، والارتباط بالعنصر الديني سيتجلى في تطبيق المذهب السني المالكي وعدم التسامح مع غيره من المذاهب والبدع، وسيظل الفقهاء يمثلون السلطة الرمزية المهمة في الدولة، في حين يحاربون التيارات الفكرية التأويلية. لقد كان الاحتكاك المادي مع الصحراء يؤدي إلى ربط علاقات تجارية خاصة مع مدينة أودغشت التي تكتسب ثروتها من الإبل والتجارة، لذلك نجد بعض المدن تتكامل معها مثل نول مركز صناعة الدرق اللطفي وصناعة السروج وعدة السفر، ومدينة تارودانت تشتهر بصناعة الثياب الرفيعة وصناعة السكر وتستقبل التجارة القفلية، أما مدينة سجلماسة فيكثر فيها التمر والحناء والقطن غيرها.

لقد أمدتنا كتابات شهاب الدين أحمد العمري الذي ولد بدمشق في العام (700 هـ) وتوفي بها 749 هـ بمعلومات عن مملكة مالي خاصة مؤلفة في الباب العاشر منه، حيث كانت له مخابرات شفوية مع الحجاج القادمين من جنوب الصحراء في العام (724 هـ). أما محمد بن عبد الله اللواتي المعروف بابن بطوطة "رحالة هذه الملة الإسلامية" الذي ولد بطنجة في العام (703 هـ-1303 م)، خرج من موطنه حاجاً في العام (725 هـ-1325 م) ولم يعد إلا بعد خمسة وعشرين عاماً، لكن مع مطلع العام (752 هـ/1352 م) سافر في رحلة ثانية إلى بلاد السودان، وأقام بمالي قرابة سنتين، ووفد على السلطان (مينيسا) سليمان بعاصمة ملكه "تياني" وقد كانت معلوماته عن هذه الرحلة ذات قيمة هامة بالنسبة لتاريخ مالي وبلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط.

أما عبد الرحمان بن خلدون الذي كتب مؤلفه "العبر وديوان المبتدأ والخبر" في قلعة ابن سلامة بالمغرب الأوسط ما بين العام (776 هـ و780 هـ)، فقد خصص هذا الفصل الذي كتبه عن السودان ومالي، بالاعتماد على الروايات الشفهية، عندما كان مقيماً بمصر، وهو لا يخلو أيضاً من إضافات مهمة.

إلا أن رحلة الحسن الوزان⁵ إلى بلدان أفريقيا جنوب الصحراء تعتبر بحق الإضاءة الحقيقية في الموضوع، نظراً لأنه شاهد عيان ومعاصر للأحداث، وهو شخصية علمية وازنة، حيث ترك الوزان من خلال كتابه "وصف أفريقيا" بصمات جلى في المجتمع المغربي الذي عاش فيه سواء من حيث التأثير والتأثر، وقد رسم ليفي بروفنصال صورة حول شخصية الحسن الوزان وأعماله خلال رحلاته في مؤلفه والتي "لا زالت أصولها شاخصة إلى الآن، لم يغير الدهر منها شيئاً كثيراً، وإن الناظر إليها اليوم سرعان ما يشعر وكأنه يرجع أدرجاً إلى عهود فاس القديمة ويشاطر أهلها الحياة برهة من الزمن"⁶

وتبقى أعمال محمود كعت الذي ولد في العام (872 هـ/1468 م) أهم مصادر هذا العصر إذ شغل كعت منصب الكاتب الخاص للسلطان أسكيا محمد، حيث حج معه في العام (902 هـ/1495 م) وبدأ في كتابة مؤلفه "تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس"⁷ في العام (926 هـ/1519 م) حيث توفي عن سن تتاهز 125 سنة.

كما يعتبر مؤلف عبد الرحمان السعدي⁸ "تاريخ السودان" خلال القرن 10 هـ/16 م الذي حققه هوداس، مصدراً أساساً لهذا العصر. وقد كان آخر حدث يذكره السعدي في تاريخه يعود للعام (1065 هـ/1655 م) وربما هي سنة وفاته.

إن مصطلح السودان الغربي لم يكن معروفاً في المصادر والنصوص العربية القديمة، إلا مؤخراً: وقد أطلق هذا المصطلح على

⁴-الرباط: يطلق عليه في المشرق الخوايق والخانقات وهو لفظ عجمي، وفي اصطلاح الفقهاء هو عبارة عن موضع يلزم فيه للعبادة حسب ابن مرزوق التلمساني، المُسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا الحسن، مخ خ ع/ق 3 الباب 42. أما الزاوية فيقول اليوسي في المحاضرات: "وليعلموا أن الزاوية لا حقيقة لها شرعاً ولا تكرر لها: وإنما هي لفظة محدثة.

فاطمة القبلي: رسائل اليوسي، ج2، صص: 371-372. وذهب "دوزي" أن كلمة زاوية اقتباس عربي عن الإغريق (R) Dozy. Supplement aux dictionnaires arabes. Leyde. Paris.1968.P 615.

⁵-عبد الله الحاجي، رحلة الحسن الوزان إلى دول أفريقيا جنوب الصحراء: تقاطعات الأبعاد الفكرية والأبعاد الحضارية. قيد الطبع

⁶-ليفي بروفنصال- مؤرخوا الشرفاء، نشر هوداس. ص. 87.

⁷-محمود كعت، تاريخ الفتاش ... باريس، نشر هوداس، 1964م.

⁸-عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي، ولد بتبتكتو (1004 هـ-1596 م)، كان معاصر الحفيد محمود كعت الذي أتم تاريخ الفتاش.

المناطق التي يسكنها السكان ذوو البشرة السوداء، إلا أن التقسيم بدأ يشير مؤخرا إلى السودان الغربي والسودان الأوسط والسودان الشرقي خاصة في كتابات المؤرخين والجغرافيين والرحالة المسلمين، حيث اتفقت كلها على أن التجارة كانت السبب الرئيس في انتشار الدين الإسلامي في هذه الأقاليم حيث يقول "يوسف فضل": "ومن الشمال الإفريقي توغلت المؤثرات الإسلامية العربية عبر الصحراء إلى بلاد السودان، حيث نشأت السلطنات السودانية الإسلامية التي جمعت في نظمها السياسية بين أنماط محلية ونظم إسلامية وفيها تفاعلت الثقافة العربية الإسلامية مع المؤثرات الإفريقية".

إرهاصات التأثير العقائدي على المنطقة

نظرا لأن الإسلام شكل قوة دينية فكرياً وحضارةً، فإن هذا الاتصال بين المغرب وبلدان أفريقيا جنوب الصحراء كان قويا في الميدان العقائدي الروحي والفكري، حيث راجت في كل هذه المناطق المؤلفات المغربية الإسلامية، حيث ذكر الوزان أن مخطوطات الكتب النادرة المكتوبة بالمغرب تصل إلى تنبكتو وتباع بأثمان باهضة، تفوق ما يدفع مقابل أية سلعة أخرى، ولا تكاد تجد قافلة قادمة من المغرب خالية من المخطوطات.⁹

بدأت ممالك السودان الغربي تشهد تغييرا كبيرا منذ القرن الرابع عشر الميلادي، تحت زعامة مملكة مالي، التي بلغت درجة كبيرة من القوة والنفوذ والتوسع، حيث بدأ ملوكهم يعتبرون دولتهم جزءاً من دار الإسلام، ولهذا ربطت علاقات ودية مع المغرب، وبذلك أصبحت مملكة مالي تظهر على الساحة الإسلامية. سرعان ما ظهرت مملكة "كاغو" التي أسسها محمد أسكيا الملقب بأسكيا الكبير، حيث طبق مبادئ الدين الإسلامي في العام (1493م) وتوارث حكمها أبناؤه من بعده الشيء الذي أهلها للدور المهم المتمثل في التأثير العقائدي.

نتساءل تساؤلات نقدية مشروعة من قبيل: هل هناك مبررات للانخراط في التنافس حول الخلافة الشرعية؟ بل وحتى الولاية العظمى؟ وهل أصبح أسكيا محمد مؤهلاً لهذا المنصب؟ وهل له مقومات الاستحواذ على الزعامتين الزمنية والروحية؟

كان هذا التنافس واضحا بين العثمانيين والسعديين ودولة سنغاي التي كانت تدبر شأنها العام في استقلال نسبي عن الخلافة العباسية، بالرغم من وجود هذا المجالس لديهم، لذلك فالصراع حول "الخلافة والمشروعية" ظل محتدما بين العثمانيين والسعديين، حيث حاول الأوائل استكمال سيادتهم على كل شمال أفريقيا بضم المغرب لنفوذهم، يظهر ذلك في المراسلات والبعثات من الباب العالي إلى السلطان السعدي محمد الشيخ وأهمها الرسالة التي جاء بها العالم أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي إلى سلطان المغرب¹⁰ محمد الشيخ الذي كان يطمع هو الآخر أن يتجه صوب بلاد المشرق إذ كان يردد دائما: "لا بد لي أن أذهب إلى مصر وأخرج منها الأتراك من أجارهم وأنزلهم في ديارهم، فتخوف منه السلطان سليمان القانوني".¹¹

لذلك وجدنا أن العالم والسفير المغربي إلى الأتراك "علي بن محمد التمكروتي" قد تناول قضية "الخلافة" أثناء سفارته لدى الباب العالي، بل وعمل على تقويضها من منطلقات دينية، وجعلها محصورة في أحمد المنصور السعدي الذي حاز على هذه المقومات.¹² كان حكام سنغاي وبالأخص أسكيا محمد الحاج يفتقدون هذه المقومات وهذا ما جعلهم يبحثون عن مصدر آخر للشرعية سيجدونها في التقويض الذي ذكره محمود كعت في كتابه وملخصه أن أسكيا الحاج محمد عند أدائه لمناسك الحج، قال له الخليفة العباسي: "يا هذا أنت الحادي عشر من الخلفاء الذين ذكرهم الرسول صلى الله عليه وسلم ولكنك جئتنا ملكا، والملك والخلافة لا يتفقان..."¹³ وهذا ما جعل أسكيا محمد يترك مظاهر السلطنة حتى حاز مقومات الخلافة وصفاتها.¹⁴

⁹ -الحسن الوزان. وصف أفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر عن الفرنسية، ج2، ص 167.

¹⁰ -محمد حجي، مذكرات من التراث المغربي، ج3، ص 185.

¹¹ -الإفراني، نزهة الحادي... ص. 86

¹² -علي التمكروتي، النفحة المسكية في السفارة التركية، المطبعة الملكية، الرباط، 2002، صص: 135/136.

¹³ -كعت، تاريخ الفتاش... مصدر مذكور ص 12 +الفتشالي. مناهل الصفا... ص. 75.

¹⁴ -نفسه+الإفراني، النزهة... ص. 89.

لقد بقيت الطريقة الجزولية¹⁵ محافظة على إرث التصوف المغربي الذي كانت تمثله الطريقة الشاذلية بالمغرب¹⁶ لذلك أسس الشيخ الجزولي مجموعة من الزوايا حتى فاقت شهرته الآفاق، واجتمع له مريدون كثيرون، وكانت دعوة امحمد ابن سليمان الجزولي إصلاحية وسياسية تهم الدين والدنيا، سخر لها المئات من الدعاة انتشروا في التراب المغربي وفي دول أفريقيا جنوب الصحراء. هذه الطريقة الصوفية كانت مرتبطة بالطريقة الشاذلية المتصلة سناً بطريقة الإمام الجديد، وهي أسلم الطرق الصوفية-فيما نعلم- من البدع والضلالات وأقربها من السنة المحمدية، لذلك اعتبرت في المغرب طريقة رسمية في التصوف إلى جانب المذهب المالكي في الفقه، والعقيدة الأشعرية في التوحيد.¹⁷

لنا وقفة سريعة مع الشيخ احماد أموسى الذي اتصل بأبرز أتباع الشيخ الجزولي امحمد ابن سليمان وهو الشيخ عبد العزيز التباع إذا كانت العلاقة بين الرجلين تتوطد شيئاً فشيئاً إذ: "هو من أصحاب الشيخ عبد العزيز التباع وعلى يده فتح له"¹⁸. لقد لاحظنا كيف تقيد احماد أموسى بمبادئ الطريقة الجزولية التي أخذها عن التباع والغزواني¹⁹ ورحال الكوش²⁰ وسعيد بن عبد النعيم المناني²¹ وعبد الله بن حسين المغاري²²، ثم اتصاله بالشيخ الراشدي الملياني، نزيل مليانة، بالجزائر. الذي أمره بالخلوة التي دامت سنتين ثم بالسياحة بعدها وهذا ما جعل الشيخ احماد أموسى يستكمل سلسلة سنده الصوفي المزدوج الموصل إلى الجزولي وإلى احماد زروق. وقد أفادنا البعقلي في مناقبه إلى انتقال الشيخ أموسى من الهامشية الاجتماعية إلى موضع الريادة الملائم اقتصادياً ودينياً، حيث يتجلى ذلك في من أشار إليه بأن: "نبني فيها جامعا نعبد الله فيه"²³ ثم "تستغلها مدة حياتنا، ونترك أولادنا في السعة ورغد العيش"²⁴. لكن المختار السوسي بين أن الشيخ احماد أموسى قرّر الابتعاد والانزواء في مكان بعيد عن الأهل، وهي عادة المتصوفة.²⁵ هذا الانتقال المفاجئ إلى تازروالت تزامن مع صعود الدولة السعيدية، واتخاذها مدينة تيديسي عاصمة لها، مدعّمة من طرف الوليين محمد بن المبارك الاقاري وأبي البركات محمد التيديسي، أقطاب التصوف بسوس و أفا على ذلك العهد.

أكد احماد الرسموكى في وفياته²⁶ أن محمد بن أبي بكر التيديسي كان يتمتع بنفوذ روحي كبير في بلاد سوس، وهذا ما جعله يحظى بمكانة رفيعة لدى السكان، يشرف على أعمال الجهاد في كل سوس، ويفتدي الأسرى، ويتفاوض مع النصارى من أجل الحصول على هدنة، تجعل قبائل ناحية سوس في مأمن من الغازات البرتغالية التي تصل إلى تيديسي وتارودانت وكسيمة..²⁷ المهم في هذه المحطة أن نبين أن أقطاب التصوف في العهد السعدي احماد أموسى ومحمد بن أبي بكر التيديسي ومحمد بن المبارك الاقاري، تميزوا بمجموعة من الخصائص أهمها المحاولات الإصلاحية التي يتزعمها الفقهاء والصوفية الذين يجمعون بين العلم والعمل.²⁸ ولعل استقرار الشيخ احماد أموسى بتازروالت، أملت ظروف عديدة، إذ نلاحظ أن الاشتقاق اللغوي لهذه الكلمة تبين أنها تنتمي لنفس

¹⁵-منظر الطريقة الجزولية هو محمد بن سليمان الجزولي، انظر الحاجي، تقاطعات المجتمع، الثقافة والذهنيات في العهد السعدي ص17 وما بعدها.

¹⁶-داوود الكرامي، بشارة الزائرین الباحثين في حكاية الصالحين، ص3.

¹⁷-الحاجي. تقاطعات المجتمع... م. م، ص 17.

¹⁸-المهدي، الفاسي. تمتع الاسماع في ذكر الجزولي والتباع ومالهما من الاتباع، صص: 1-20.

¹⁹-أدفال. تقييد، ص 5.

²⁰-أنظر عبد الرحمان التمنارتي، الفوائد... صص 28-29.

²¹-ابن عسکر، دوحة الناشر... صص: 103-201.

²²-انظر ترجمته في فهرس احماد المنجور، ص. 19-20 + احماد بابا التبكتي، كفاية المحتاج، ص 74.

²³- احماد البعقلي، مناقب البعقلي. ص 21.

²⁴-البعقلي، م. م. ص 21.

²⁵-المختار السوسي، المعسول، ج 12، ص 10.

²⁶-احمد الرسموكي. وفيات الرسموكي، مصادر المعسول (2) تحقيق المختار السوسي، ص 38.

²⁷- عبد الله الحاجي، الدولة السعيدية... (م. م)، صص. 27-28.

²⁸-نفسه. ص 27

الحقل، بحيث ترتبط كلمة "إزركين"²⁹ "بأزروال" الذي "يؤنث على تازروالت ويجمع على تيزروالين"³⁰، لذلك يمكن إن تكون هناك علاقة بين "إزركين"³¹ التكنية وبني زروال، ولهذا نجد أن الصنهاجيين في وادي نون تجمعهم علاقات تاريخية منذ عهد بعيد. لعل Justinard³² في أبحاثه قد ربط بين الموقع الجغرافي والأهمية الاقتصادية التي عرفتها المنطقة من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر الميلادي، وذلك لوقوعها بين الشمال الأفريقي ودول أفريقيا جنوب الصحراء، وهو ما أدى بها إلى أن تستحوذ على الوساطة التجارية بين هاتين المنطقتين، أما الباحثة الفرنسية Jaques(D) Meunié³³ فقد أكدت على أن منطقة تازروالت هي من أحواض الأطلس الصغير الغنية بالمياه التي تحتاجها الزراعات واستقرار السكان. أما Paul Pascon³⁴ الذي خبر تازروالت جعلها منخفضاً صغيراً محاطاً بتضاريس مرتفعة أكثر حظاً من حيث التساقطات.

إن التركيز الذي حصل لمعظم الزوايا بالجنوب المغربي أدى بها إلى أنها ستلعب دوراً حاسماً في تقجير الأوضاع بالمغرب في القرن السادس عشر الميلادي، وهو الذي سيسمح للصوفية بتنظيم البوادي وتعبئتها.³⁵ لذلك أصبح سوس يمثل مركز إشعاع لجل الطرق الصوفية، حيث إن الحركة الجزولية ما زالت لها دور وامتدادات. وكان الرابط بين هؤلاء المتصوفة هو اعتمادهم على التربية الصوفية والتدريس كعنصر جذب للمريدين، من أمثال الشيخ سعيد بن عبد النعيم الحاحي والشيخ أبي البركات التديسي والشيخ احمد أموسى، وأضاف بعضهم لهذه الالتزامات، الاهتمام بالمشاريع الكبرى كاستصلاح الأراضي الفلاحية وبناء القناطر والجسور الذي برز فيه الشيخ امحمد أوبراهيم التمنارتي قصد تأمين المعيشة للسكان أثناء المساعب والأوبئة. لقد عرف احمد أموسى بتطبيقه للطريقة الجزولية التي تعتمد على مبدئين في أمر الجهاد، الأول جهاد من أجل الرفع من مردودية الأراضي الفلاحية لمواجهة الخصاص.

والثاني جهاد فعلي ينتهي بحمل السلاح ومحاربة العدو، حيث يؤكد الشيخ امحمد بن سليمان الجزولي أن: "دولتنا هي دولة المجتهدين المجاهدين المقاتلين في سبيل الله.

لقد أفاض الشيخ أحمد زروق القول عن أتباع الجزولي بأنهم "قوم اثروا المصالح العامة، وتتبعوا الفضائل، فجنحوا لإطعام الطعام، وإقراض العوام، ومعاناة الظلمة في الرد على الظلم...ومن ذلك التعرض للأمور العامة كالجهاد وردّ الظلامات، وتغيير المناكر بطريق القهر والاعتدال دون يد سلطانية، ولا ما يقوم مقامها من المراتب الشرعية"³⁶.

كل هذه العوامل مجتمعة جعلت من الشيخ احمد أموسى قطب سوس الأول فيما يخص علم الباطن، حيث يذكر أحمد أدفال في تقييده أن له "ثلاثمائة وخمسين شيخاً فمن دخل هذه الحوانيت، كأنه لقيهم كلهم، ويعني بالحوانيت زاويته"³⁷ وقد كان العالم أحمد بن عبد الرحمان التزركيني المسكداي يشجع الطلبة على الاستقرار للدراسة في سوس فقد قال لأحدهم "العلم الظاهر والباطن، إن كان مرادك الظاهر فأى شعبة شئت من جزولة أخذته منها، وإن كان مرادك الباطن فخليق له ذلك الرجل الذي كُنْتُ عنده، لو كان يقبلني لكنت له أمة"³⁸

كان الشيخ احمد أموسى واعياً للقرآن الكريم، وهو عامل مساعد للفت اهتمام الأتباع والمريدين وتسهيل استيعابهم لمعانيه حيث

²⁹- مصطفى ناعمي. مادة إزركين، معلمة المغرب، ج1، صص: 339-340.

³⁰-محمد شفيق. أسماء الأماكن معظمها أمازيغية، مجلة البحث العلمي، ع27 يناير-يوليوز 1977، ص. 33.

³¹-ناعمي، م. م. ص. 339.

³²-Justinard(L.C). Notes sur l'HiStoire du sous au 16 S, Hesperis Tamuda, 1925,P266 SIDI Ahmed ou Moussa, in AR chives Marocaines, P. 12.

³³-Meunié (J.D) Le Maroc Saharien des origines à 1670, P.113.

³⁴-Pascon(P). La Maison d'Iligh, P1.

³⁵-محمد القبلي. مساهمة في تاريخ التمهيد لظهور دولة السعديين، مجلة كلية الآداب، ع3، و4، الرباط، 1978، ص. 43.

³⁶-أحمد زروق. فوائد من كفاية زروق، مخطوط خ. ع، الرباط، رقم: 1385، ص. 51.

³⁷-أحمد، أدفال، تقييد، ص4

³⁸-نفسه ص4

قال: "لمن سأله معرفة الله: ماؤك في رحلك وكنزك تحت جدارك"³⁹ وهو إشارة من الشيخ إلى قوله تعالى: "وفي أنفسكم أفلا تبصرون" لذلك نجد علماء سوس كانوا دائمي الزيارة للشيخ احمد أموموسى، كما كان دأب الشيخ امحمد أوبراهيم التمارتي الذي ورد على الشيخ رضي الله عنه زائراً بقصر "تسلا"، واخذ سيدي امحمد في وعظ من حضر" وهو ما استمر عليه ابن الشيخ أموموسى "عبد الباقي" الذي "له يد في المعارف، وقد رأينا خطه، ولا يزال لذكره دوي" عند أهله، يذكرونه بكل خير"⁴⁰

وقد كان الشيخ الصوفي المحدث الرحلة أبو العباس أحمد بن محمد أذفال عرف بالسوساني ثم الأدري عالمًا سائحًا له رحلة أو رحلتان، لقي فيها أعلام المشايخ بالمدينة المشرفة ومكة المكرمة ومصر، حيث أجازوه في علم الحديث والطريقة، ثم لقي بالسوس الأقصى الشيخين القطبيين أحمد بن موسى الجزولي والشيخ سعيد بن عبد المنعم الداودي الحاحي.⁴¹

البيئة التي استقر فيها الشيخ احمد أموموسى تتميز باقتصاد القلة، رغم أن الشيخ قد استصلح مجموعة من الأراضي الموات واعنى بزراعتها حسب الحضيكي⁴² وذلك لكي يؤمن للزاوية الوظيفة التي اضطلعت بها وهي إطعام المساكين والطلبة وابن السبيل. لكن المصدر الرئيس الذي لا يمكن أن نتجاهله بأي حال من الأحوال هي الأهمية الاقتصادية لمنطقة تازروالت⁴³، فهي أولا مجال يتكامل فيه العمق الاقتصادي بين سكان الجبال وسكان الأودية المحيطة بها وكان السكان يهبون للحبوب للزاوية⁴⁴ ومن حسن الطالع أن منطقة تازروالت هي ممر دائم ومؤمن للتجارة القفلية الآتية من السودان الغربي عبر إفران الأطلس الصغير والمتجهة نحو أكادير وماسة وتارودانت، لذلك فالزاوية تصلها مداخيل إضافية اعترفا من التجار بأهمية الشيخ احمد أموموسى⁴⁵، ورغم ظروف القلة التي عرفتها الزاوية، فإنها خصصت للسلطان عبد الله الغالب ما "يناسبه من الأطعمة الرفيعة النفيسة، وقدم إليه التمر الجيد واللبن"⁴⁶ وفي أحيان عديدة تتدخل كرامات الشيخ لإطعام ضيوف الزاوية، خاصة في أوقات الشدة.⁴⁷

لكن كيف كان الخطاب المنقبي للشيخ احمد أموموسى غداة زيارة السلطان عبد الله الغالب لتازروالت؟ وما هي أهداف الزيارة؟ هل هي ذات توجه سياسي؟ أم ذات هدف تطوعي لساكنة سوس وأولياؤها كي تخضع للسلطان؟ أم هي مجتمعة؟

انتقل السلطان عبد الله الغالب إلى تازروالت بالسوس كما ذكرنا آنفا، بعد توليه العرش الذي حصل بعد اضطهاد كبير راح ضحيته العديد من أفراد الأسرة السعدية، ولم يجرؤ أحد على دفن الأموات، حتى تطوع الشيخ أبو عمرو القسطلي الذي دفنهم بمقبرة الشيخ امحمد بن سليمان الجزولي. وفي هذا الإطار اندلعت ثورات في سوس (965هـ) وديبؤو (965هـ) ومراكش (966هـ) كان جزاء الثائرين إما الحبس أو القتل، لكن تمكن أحمد وعبد الملك من الهروب والاستجداء بأترك الجزائر.⁴⁸

صحيح أن المستقبل أصبح مظلما لذلك لجأ عبد الله الغالب إلى خطب ود الأولياء وتفقد أحوالهم بعد المحن التي مارسها ضدهم، وهكذا وفد عليه الشيخ محمد بن عبد الله المدغري (ت970هـ) "قوعظه وحرصه على العدل والرفق بالرعية"⁴⁹. كما كان يزور الشيخ أبا عمرو القسطلي المراكشي (ت974هـ) الذي كان يقابل السلطان بحفاوة عالية.⁵⁰

³⁹-محمد الحضيكي، طبقات الحضيكي، ج، ص6.

⁴⁰-المختار السوسي، المعسول، ج12، ص.57.

⁴¹-الشيخ أحمد أذفال هو صوفي من أعلام درعة، أخذ عن مشاهير العلماء في المغرب والمشرق، حيث صحب الشيخ احمد أموموسى السملالي، انظر ترجمته في "مناقب" الحضيكي، ج1، ص41-43، و"الإعلام" للمراكشي، ج2 صص: 91-93، والحركة الفكرية-لحجي، ج2، صص: 553-603.

⁴²-الحضيكي، مناقب، ج1، ص8.

⁴³-Justinard (L.C), sidi Ahmed ou Moussa, op cit, P22.

⁴⁴-السوسي، خلال جزولة، ج4، ص149.

⁴⁵-خديجة الراجي، مساهمة في دراسة تاريخ الزاوية السملالية في مرحلة التأسيس (853-971هـ) رسالة مرقونة، كلية الآداب، الرباط، 1993، ج1، ص94.

⁴⁶-المهدي الفاسي، ممتع الأسماع...، م، ص50.

⁴⁷-الحضيكي، مناقب، م، ج1، ص2.

⁴⁸-عبد الله الحاحي، الدولة السعدية... (م) ص229 مؤرخ مجهول، تاريخ الدولة السعدية... صص. 33-34.

⁴⁹-محمد بن عسكر، دوحة... ص88.

⁵⁰-أبو القاسم الحلفاوي، شمس المعرفة في سيرغوت المتصوفة، م خ ع، الرباط، رقم د: 1720، صص 116-120.

المصادر التاريخية سكنت عن أهداف رحلة السلطان عبد الله الغالب إلى تازروالت، فالبعض يجعلها فرصة لإنتاج خطاب منقبي من طرف شيخ الزاوية يضمن للسلطان الاستمرارية في الحكم⁵¹ والبعض الآخر يجعل هذا الخطاب موجها للعناصر التي تهدد ملك السلطان، خاصة وأن هذا الأخير طلب من الشيخ احمد أم موسى: "أنه لا يمكنه العيش بدونه ولا يأمن على نفسه ولا تأويه أرض إن هو تخلى عنه"⁵²

لقد أستمد عبد الله الغالب قوته من قطب أولياء سوس بواسطة النداء التاريخي الذي ضمنه ذلك الخطاب المنقبي الذي جاء فيه: "يا عرب يا بربر، يا سهل، يا جبل، أطيعوا السلطان عبد الله ولا تختلفوا عليه"⁵³ من أي منطق صاغ الشيخ احمد أم موسى هذا الخطاب المنقبي؟ وأية فئة اجتماعية استهدفها؟ أهي فئة العلماء والأولياء؟ أم فئة العوام؟ وما هي دلالات طلب السلطان عبد الله الغالب الذي أفرز هذا الخطاب المنقبي؟ وهل يمكن مقايسة الخطاب المنقبي بالخطاب التاريخي؟

لا شك أن هناك مسافة ترابية بين هذين الخطابين تستدعي منا مقارنة الأول بالثاني، إذ طلب السلطان عبد الله الغالب يمكن تقسيمه حسب الوحدات اللسانية⁵⁴ إلى ست ملفوظات:

أنه لا يمكنه العيش/أي السلطان عبد الله. بدونه/أي الولي احمد أم موسى. ولا يأمن على نفسه/السلطان ولا تأويه أرض/السلطان. إن هو تخلى/أي الولي. عنه/ أي عن السلطان. بالفعل هو نص منضد متسق منسجم ومختصر بضم كل آليات التواصل والخطاب.⁵⁵

لكن على مستوى الانسجام⁵⁶ يمكن أن نسائل النص هل هناك علاقة تفاعل بينه وبين الواقع؟ وهل الخطاب المنقبي للشيخ احمد أم موسى يسير بنفس التقابلية في السياق والأهداف؟ وهل هذا لخطاب حاز على مقومات إنتاجه خاصة المنقبية منها؟ النداء التاريخي الذي جاء على لسان الشيخ يمكن معييره بواسطة وضعه في سياقه المنقبي، وهو الذي جاء فيه: "يا عرب يا بربر، يا سهل يا جبل، أطيعوا السلطان عبد الله ولا تختلفوا عليه".

جاء عن اليوسي في المحاضرات أن "امرأة من تلامذة الشيخ أرسلت ابناً لها في حاجة، فوقع في النهر فغرق، فبلغ الخبر إلى الشيخ قبلها، فقال للجنيد: قم بنا نكلمها في مقام الصبر، فقالت ما أردت بهذا يا أستاذ؟ فقال: إن ابنك مات، فقالت: ابني؟ ما كان الله ليفعل ذلك، ثم هرولت نحو النهر، ونادت يا فلان فقال: لبيك أمّاه وخرج إليها يسعى، فنظر السري إلى الجنيد وقال: هذه امرأة محافظة على ما لله عليها، ومن شأن من كان كذلك أن لا يحدث الله أمراً حتى يعلمه، فلما لم يعلمها الله علمت أنه لم يكن.

قبل أن نخرج على الولاية الوقتية أيام عبد الله الغالب، يمكن أن نحلل الخطاب المنقبي الذي دفع بالشيخ احمد أم موسى إلى هذا النداء الذي لم يميز فيه بين الإنسان والجماد على ضرورة طاعة السلطان وعدم الاختلاف عليه.

السلطين السعديون أدركوا أهمية استقطاب الأولياء والعلماء، وذلك لاكتساب المشروعية لدولتهم في مرحلة البناء، وكانت ثمرة ذلك أن الفقهاء والأولياء السوسيين الجزوليين هم من أقام عماد الدولة السعدية حسب المختر السوسي.

وإذا كان السلطان عبد الله الغالب قد تصدى للغزو التركي لمدينة فاس⁵⁷ فإن المناوءات الدائمة لمدينتي سبتة وطنجة، قد أوجد عندهم الرغبة في التدخل في شؤون المغرب، لذا هادن بعض القوى الأجنبية الأخرى⁵⁸ مما أجاج على الغالب ضغط الأولياء، خاصة

⁵¹-Paul Pascon- La maison d'Igh P 156.

⁵²-محمد المهدي الفاسي، (م م)، صص: 60-61.

⁵³-نفسه، ص 60.

⁵⁴-ب.شارودو، د منغونو: معجم تحليل الخطاب، ترجمة حمادي صمود والمهييري، دار سيناترا، تونس 2008، ص. 180.

⁵⁵-محمد مفتاح، التشابه والاختلاف نحو منهجية شمولية، المركز الثقافي الغربي، الدار البيضاء، بيروت 1996، ص 35.

⁵⁶-نفسه، ص 35.

⁵⁷-الافراني، النزهة... (م م)، ص 46.

⁵⁸-الناصرى، الاستقصا... (م م)، ج 5، ص 49.

بعد تسليمه القصر الصغير للفرنسيين في العام 1559م⁵⁹ وهذا ما جعله يسعى إلى تمتين العلاقة مع الأولياء الجزوليين الذين لهم نفوذ كبير في المغرب خاصة مع قطب الزاوية السملالية الشيخ احمد أموسى⁶⁰ لذلك حاول عبد الله الغالب الاستغاثة بالأولياء والصلحاء⁶¹ في حين لم "تطمح نفسه إلى الزيادة على ما ملك أبوه من قبله"⁶² نعلم أن "السلطان رحل بكل جيشه في أبهة ملكه حتى نزل على الشيخ بتازروالت فاستضافه الشيخ ثلاثة أيام ثم رجع إلى مستقره بمراكش"⁶³ وأثناء هذه الرحلة اختار السلطان عبد الله الغالب الشيخ احمد أموسى مستشارا خاصا له في تدبير أمور الرعية⁶⁴. وقد صرح الشيخ عندما سأله أحدهم عن القطب؟ فقال له: أنا، فقال: ثم من؟ قال: سيدي محمد بن محمد بن ابراهيم التمارتي، فقال: ثم من؟ قال الملك عبد الله، ثم لا تسألني بعد!⁶⁵ سوف لن يدوم هذا التقارب الحاصل بين الغالب والأولياء، حيث جعله بعضهم "رجلا صالحا لا سلطانا"⁶⁶ ورفع بعضهم إلى "مرتبة الأولياء الأفاضل"⁶⁷ وجعله بعضهم في "مرتبة القطب"⁶⁸.

لا بد أن نتساءل إذا عن العلاقات التي كانت تربط الأولياء بمجالهم القبلي؟ التوبة عند أهل السلوك، لا تعني الإقلاع عن الذنوب والمعاصي والآثام فحسب، كما هو مسطر في الشرع الحنيف، وإنما هي أوبة وولوج حياة جديدة تختلف عما كان عليه السالك من قبل، وهذا ما جعل أهل السلوك يشبهون مقام التوبة: "بالميلاد الجديد" Le Nouveau éveil⁶⁹ وهكذا إذا كان العبد صادقا في طلب التوبة، يصل لا محالة إلى التوبة النصوح، لذلك فالصحبة في هذا المقام يطلق عليها "صحبة السلوك" إذ كان النبي صلى الله عليه وسلم عوننا لصحابته على دنياهم وآخرتهم، وقد ذكر الحسن اليوسي أن صحبة الشيخ وأتباعه تمنع المرید من الانقلاب والعودة إلى الباطل، بل وتبعد النفس عن التشوف إلى المعاصي، ويثقل فعلها على نفسه، وهذه أولى بركات الصحبة، لأن علوم الأحوال الصوفية هي بالأساس علم القلوب، وهي لا تتأتى إلا بالصحبة والملازمة.⁷⁰ إن المرید يفتر دائما إلى الشيخ المریدي افتقار وجوب واضطرار، حيث لا يسعه غيره⁷¹، فهو الذي يوصله إلى الصفاء الروحي، ويمده بالإرشاد ليظفر بفرحة الوصول، مع الالتزام بآداب الصحبة.⁷² لكن الملاحظ أن الصحبة ليست وحدها كافية لكي يصبح المرید "وليا"، فدورها يتمثل في الإرشاد والهداية فقط، ويبقى دور المجاهدة منوطا بالمرید للفوز بالعناية الإلهية، والسالك الذي بدأ طريق السلوك عليه أن يتمثل الشعار المعروف "أيها السالك دع نفسك وراءك" وتطبيق "الخلوة" والانغماس في العبادات والطاعات بكل الجوارح حتى تصل إلى مستوى الخواطر، وهي أعلى معاني الذكر وأشقها على النفس.⁷³ لقد اهتمت زاوية تيديسي من خلال وليها أبي البركات التيديسي، بالمریدين على المستوى الروحي-التربوي، وفي نفس الوقت قعدت

⁵⁹-Caillé, La representation diplomatique de la France au Maroc, Paris, 1951, P10.

⁶⁰-الحاجي، الدولة السعدية... (م، ص. 231.

⁶¹-Michaux Billaire, Essai sur l'Histoire des confréries Marocaines

⁶²-الناصري الاستقصا، (م ج 5، 231.

⁶³-نفسه، ص 140.

⁶⁴-Meunie (J, D) Le Maroc Saharien...P.471.

⁶⁵-عبد الله الحاجي الدولة السعدية... (م ج 5، 231.

⁶⁶-المختار السوسي، المعسول (م ج 12 ص 17.

⁶⁷-الافرناني، صفة من انتشر.. (م ج 62.

⁶⁸-التمارتي، الفوائد...ص112

⁶⁹-أبو العلاء، عفيفي التصوف الثورة الروحية في الاسلامن دار المعارف، الاسكندرية، 1963، ص.263.

⁷⁰-الحسن اليوسي، رسائل اليوسي، جمع وتحقيق، فاطمة القبلي، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1981، صص 97-120.

⁷¹-محمد العربي الفاسي، مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن، المطبعة الحجرية، فاس، 1906م، ص97.

⁷²-عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر: نشأتها ونظمها وروادها، دار المعارف، القاهرة، 1983، ص38.

⁷³-عفيفي، (م ج)، صص: 145-146.

للسلوك الجهادي، بحيث يبدأ التدريب على محاربة الهوى والشيطان وتطهير النفس من أدران الرياء والعجب والسمعة، إلا أنه في عمله هذا لا يعتمد على مذهب الملامتية⁷⁴ الذي انتشر بالمغرب في هذه الآونة والذي يختلف في تعاليمه عن الصوفية. ألف العالم عبد الوارث الياصوتي رسالة تحامل فيها على الشيخ أحمد بن يوسف ومذهبه وأتباعه من طائفة العكاكزة، عنوانها بـ "المسلك القريب الموصل إلى حضرة الحبيب"، كما أدان العالم العامل الحسن اليوسي الحكام والعلماء لتهاونهم في أمر طائفة العكاكزة، حيث ألف في الموضوع رسالة عنوانها بـ "رسالة العكاكزة"⁷⁵ بدهي أن أهل السلوك من الصلحاء قد عانوا معاناة شديدة من الفقهاء القاعدين إذ أن الشيخ أبا محمد صالح الماجري يقول: "لما قدمت من بلاد المشرق، وأخذت في استعمال هذا الطريق، أنكر علي فقهاء الوقت وبدعوني، حتى ضاق صدري وعيل صبري..."⁷⁶ لقد عرف القرن العاشر الهجري بالمغرب تكاثراً لعدد الأولياء بالمقارنة مع المراحل الأولى، خاصة وأن التصوف الذي ظهر في هذه المرحلة يغلب عليه الطابع السني، الملتزم بالكتاب والسنة، البعيد عن الطوائف المغالية والمتطرفة حيث كان متأثراً بمدرسة الإمام الغزالي ومدرسة القشيري وأبي طالب المكي الذين تأثروا بالمدارس الصوفية المشرقية.⁷⁷ لقد ظهر الصوفية كقوة جهادية في بداية القرن العاشر الهجري، وقاموا بدعم ومساندة الأشراف السعديين في قيام دعوتهم في بداية الأمر، وبناء دولتهم بعد ذلك، لذلك سمي هذا العصر بحق "عصر التصوف السني"⁷⁸.

الإشعاع الروحي لتيديسي عاصمة الدولة السعدية خلال ق 16/هـ 10م.

لقد رأينا كيف اهتم الشيخ أبو البركات التيديسي بتربية المريدين تربية جهادية في تيديسي، لأن وظائفها كانت تتمثل في تعميق الشعور الديني، وبت مبادئ التصوف العلمي.⁷⁹ وقد اشترك الشيخ التيديسي مع الشيخ محمد بن مبارك الأقاوي في نفس النهج، لأنهما عايشا بدايات الدولة السعدية، بل كانا أوتاد قيامها، فرغم أن الشيخ الأقاوي بنى زاويته بالقرب من قسبة أقا، التي بدأت تتوسع في العمران حتى أصبحت من المراكز التجارية الهامة في منطقة طاطا، أي في خطوط التجارة الصحراوية مع دول أفريقيا جنوب الصحراء، إلا أن للشيخين المذكورين الفضل الكبير في تنظيم الحملات الأولى ضد البرتغاليين الذين استولوا على حصن "سنتاكروز دي غير" وكان ذلك في العام 917هـ / 18 غشت 1511م.⁸⁰

كان الشيخ محمد بن مبارك الأقاوي قد تأثر بآراء الشيخ محمد بن سليمان الجزولي التي تتبني على التصوف السني، وذلك بمناصرة السنة ومناهضة البدعة، حيث كان المتصوفة في سوس و أقا يتمثلون بمبادئ أبي حامد الغزالي التي يقول فيها: "إن العقل وحده قاصر عن إدراك المعرفة الحقة، والاتصال بالحقيقة العليا، التي هي الله وأسمائه الحسنى وصفاته، وأن الذوق وحده هو الذي يستطيع به الصوفي إدراك المعرفة الحقة، وأن يتصل بالحقيقة العليا"⁸¹ ولا غرو أن يكون شيوخ الزوايا بسوس و درعة هم أسس الدولة الشريفة إذ أن "أبا عبد الله محمد القائم بأمر الله ماهد دولة الشرفاء، إنما كان نهوضه بإشارة من الصالحين، وإذن من العلماء العاملين"⁸²

لقد كتب الكثير عن مفهوم "الصلاح" وعن مواضيع الرباطات والزوايا في المغرب الحديث، وترتب عن ذلك أن الأجانب الذين كتبوا

⁷⁴ -الملامتية: هي مخالفة النفس ومحاربتها ولومها، والظهور للناس بمظاهر لا تتفق مع ظاهر الشرع، استجلاباً لملامة الناس وتأييهم وعلى هذا الأساس سمو باللامتية تمييزاً لهم عن الصوفية.

⁷⁵ -الحسن، اليوسي، المحاضرات في الادب واللغة، ج2، ص398.

⁷⁶ -أحمد الماجري، المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح، المطبعة المصرية، القاهرة، 1923، ص 248.

⁷⁷ -الحاجي، الدولة السعدية، م م، ص 76.

⁷⁸ -نفسه. ص75

⁷⁹ -الحاجي، الدولة السعدية... (م م)، ص.78.

⁸⁰ -نفسه. ص 78

⁸¹ -نفسه، ص 80.

⁸² -محمد الفاسي، مرآة المحاسن... (م م) ص 70 +الافراني، النزهة ... ص12.

دراساتهم، حصروا الإسلام في المسجد، وأبعدوه عن الحياة العامة واستتبعاتها، وأوجدوا مسافة بين الدين والدنيا، بالرغم من أنه كان يعرف أحيانا مظاهر جمود في الدين⁸³ إلا أن الإسلام في شرائعه كلها يختلف اختلافاً كلياً وجوهرياً عن المسيحية في ثوبها الكنيسي الكهنوتي، ذلك أن الطريقة الشاذلية بفرعها الجزولي والزروقي ليست تعبيراً عن المفهوم الإسلامي "للإصلاح الديني" كما قرر ذلك بعض الباحثين⁸⁴ في حين نجد أن (J) Berque ينفي هذه النهضة أو الإصلاح الديني وأكد أن أوروبا عكس المغرب⁸⁵ عرفت حروباً طاحنة وطويلة الأمد أعادت النظر في المعتقدات الدينية.

من الواضح أن التدبير الديني للمجتمع المغربي أصبح واضحاً في العصر الحديث حيث اهتم الصلحاء والأولياء والعلماء على السواء بالتأطير الديني السلوكي والعلمي من خلال مباشرتهم للتدريس واهتمامهم بالتأليف في علوم الشريعة والحقيقة.⁸⁶ لذلك فمفهوم الدين في الإسلام يعتمد على نظام شامل ومتكامل لأمر الحياة كلها، ومناهج السلوك الإنساني، فالإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة، إذ العقيدة هي التصور الكامل لأمر الكون والحياة يعرف به العبد رباً واحداً للعالمين يعبده ويطيعه⁸⁷. قال تعالى: "وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"⁸⁸. أما الشريعة فهي طريق العابد الذي يسلكه إلى ربه، لأنها منهج علمي يحقق معنى العبودية لله سبحانه، ولذلك اهتمت الطريقة الجزولية ممثلة في الشيخين التديسي والأقاوي بشمولية الدين، حيث اهتمت بشؤون الحياة وسلوك الناس، محققة لهم ما يحفظهم من الفساد والفوضى في دنياهم، وإعدادهم للسعادة الأبدية في آخرتهم⁸⁹ إن التصوف في هذا العهد: "لم يعد مجرد سلوك لقوم زهدوا في ملذات الحياة، وأقبلوا على العبادة والذكر في الربط والزوايا، بقدر ما أصبح دراسة ومناظرة بين جماعة من النساك المتصوفة والعلماء بحثاً عن العلة النفسية والأعراض المادية، ومن ضمنها المشاكل السياسية والانحرافات الاجتماعية، وذلك لأجل إيجاد حلول لتلك المشاكل ومعالجة العلة والعادات السيئة.⁹⁰ وعليه فإنه قد تم تأطير المجتمع دينياً واجتماعياً وسياسياً، لأن الزوايا الدينية قد تمكنت من التجذر فيه، وعمل الجهاز الصوفي على التغلغل بشكل واسع في الحياة الاجتماعية للإنسان المغربي الخاصة منها و العامة، بحيث كان حريصاً أشد الحرص أن يكون حضوره ذا فائدة فعالة في المجتمع القبلي الذي عجزت السلطة السياسية عن رعاية شؤونه وحل مشاكله، وهو ما يبرر سبب انقياد كثير من القبائل المغربية أفراداً وجماعات لهذا التيار عن طواعية واختيار.⁹¹

الطريقة عند أهل التصوف السني اتخذت معنيين هما:

-أنها تدل على مجموعة من الآداب والأخلاق والمجاهدات التي يلتزم بها الصوفي لتحقيق الصفاء الروحي، والوصول إلى مقامات الولاية والاحسان، وقد انتشرت لدى حركة الزهد الإسلامية في بدايات ظهور التصوف.

-كما أنها تدل على التدبير الروحي لجماعة من السالكين الذين يشكلون هيئة صوفية منظمة، تضم شيخاً ومريديه.⁹²

⁸³-عبد الله كنون، ذكريات مشاهير. ص 18.

⁸⁴-عبد الله، نجمي، بين زروق ولوثر في الإصلاح الديني والعصور الحديثة، مقالة ضمن منشورات كلية الآداب الرباط، الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب، سلسلة ندوات رقم 69، ص 79.

⁸⁵-(J) Berque, Ulémas, Fondateurs, Insurgés du Maghreb, Sindibad, Paris, 1982, P. 14.

⁸⁶-عبد الله الحاجي، الدولة السعدية (م)، ص. 90.

⁸⁷-نفسه، ص 90.

⁸⁸-قرآن الكريم، سورة الذاريات، الآية: 56.

⁸⁹-عبد الله الحاجي، (م)، ص 90.

⁹⁰-محمد حجي، الحركة الفكرية في عهد السعديين، مطبعة فضالة، 1976، ج 1، ص 63.

⁹¹-الحسن اليوبي، الفتاوى الفقهية في أهم القضايا من عهد السعديين إلى ما قبل الحماية، منشورات وزارة الأوقاف، مطبعة فضالة، المحمدية، 1998، ص.

362.

⁹²-عبد الله الحاجي، الدولة السعدية... (م)، ص. 100.

خلاصات وامتدادات

- بالرغم من انتشار ظاهرة التقليد، واختصار المختصرات التي أدت إلى جمود الفقه الإسلامي لعدة عصور، فإن جلال الدين السيوطي قد أكد أن "الناس قد غلب عليهم الجهل وعمهم وأعماهم حب العناد وأصمهم، فاستعظموا دعوى الاجتهاد وعدوه منكرا بين العباد، ولم يشعر هؤلاء أن الاجتهاد فرض "من فروض الكفاية في كل عصر، و واجب على أهل كل زمان أن تقوم به طائفة في كل قطر.⁹³ لذلك فالعلماء والأولياء وهم أهل الحل والعقد كانوا يتدخلون في إرشاد وتوعية وتوجيه الفئات الاجتماعية التي كانت ترتكب بدعا متعارضة مع روح الدين، وخاصة منها تحكيم بعض الأعراف التي لا تتسجم بتاتا مع الشريعة وأحكامها.
- كان العلماء والأولياء يهتمون بالمستويات المتباينة للذهنيات داخل المجتمع، فبالإضافة إلى تصويبهم لبعض الانحرافات الاجتماعية، حاولوا التخفيف من الأزمات العامة، حيث كانت مقاربتهم تجمع بين ما هو ديني وعلمي واجتماعي وسياسي، فهم وحدهم الذين وكل لهم النيابة عن المجتمع، لاثم كانوا يشكلون قوة اقتراحية انطلاقا من هذه الأدوار التي اضطلعوا بها.
- بالرغم من الجمود الذي عرفه الفقه في العصر الحديث، إلا أنه عرف بالعصر الذهبي للتصوف، فقد كان علماء وأولياء العصر بحق يعبرون عن النظر في المصالح العامة والخاصة للأفراد، كالأحوال الشخصية والمواريث وأحكامها وكل ما يتعلق بالأمور الشرعية⁹⁴، وأول من استفاد من هذه الوظائف الدينية بواسطة السفارات والرحلات التجارية هي دول أفريقيا جنوب الصحراء.

مصادر البحث

- 1- عبد الرحمن بن خلدون. العبر وديوان المبتدأ والخبر....
- 2- عبد الله الحاجي. السكر: اوراش في التاريخ الاقتصادي المغربي. مرقون، قيد الطبع، 2020.
- 3- عبد الله الحاجي، رحلة الحسن الوزان إلى دول أفريقيا جنوب الصحراء: تقاطعات الأبعاد الفكرية والأبعاد الحضارية. قيد الطبع
- 4- ليفي بروفنسال- مؤرخوا الشرفاء، نشر هوداس..
- 5- محمود كعت، تاريخ الفتاش ... باريس، نشر هوداس، 1964م.
- 6- الحسن الوزان. وصف أفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر عن الفرنسية.
- 7- محمد حجي، مذكرات من التراث المغربي، ج3.
- 8- الافراني، نزهة الحادي...
- 9- علي التمكروتي، النفحة المسكية في السفارة التركية، المطبعة الملكية، الرباط، 2002.
- 10- كعت، تاريخ الفتاش...مصدر مذكور +الفتشالي. مناهل الصفا....
- 11- داوود الكرامي، بشارة الزائرين الباحثين في حكاية الصالحين.
- 12- الحاجي. تقاطعات المجتمع... م. م، ص 17.
- 13- المهدي، الفاسي. ممتع الاسماع في ذكر الجزولي والتباع ومالهما من الاتباع.
- 14- عبد الرحمان التمنارتي، الفوائد....
- 15- ابن عسکر، دوحة الناشر....

⁹³-جلال الدين، السيوطي، الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض، ص 65.

⁹⁴-الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت 1978، ص 70-71

- 16- احمد البعقلي، مناقب البعقلي..
- 17- المختار السوسي، المعسول، ج 12.
- 18- أحمد الرسموكي. وفيات الرسموكي، مصادر المعسول (2) تحقيق المختار السوسي.
- 19- عبد الله الحاجي، الدولة السعدية... أفريقيا الشرق، 2013، الدار البيضاء
- 20- مصطفى ناعمي. مادة إزركين، معلمة المغرب، ج 1،
- 21- محمد شفيق. أسماء الأماكن معظمها أمازيغية، مجلة البحث العلمي، ع 27 يناير-يوليو 1977.
- 22- Justinard(L.C). Notes sur l'HiSToire du sous au 16 S, Hesperis Tamuda, 1925,P266 SIDI Ahmed ou Moussa, in AR chives Marocaines,.
- 23- Meunié (J.D) Le Maroc Saharien des origines à 1670.
- 24- Pascon(P). La Maison d'Illigh.
- 25- محمد القبلي. مساهمة في تاريخ التمهد لظهور دولة السعديين، مجلة كلية الآداب، ع 3، و 4، الرباط، 1978.
- 26- أحمد زروق. فوائد من كناشة زروق، مخطوط خ. ع، الرباط، رقم: 9 1385.
- 27- محمد الحضيكي، طبقات الحضيكي،
- 28- أبو القاسم الحفاوي، شمس المعرفة في سيرغوت المتصوفة، م خ ع، الرباط، رقم د: 1720.
- 30- محمد المهدي الفاسي،
- 31- ب.شارودو، د منغونو: معجم تحليل الخطاب، ترجمة حمادي صمود والمهيري، دار سيناترا، تونس 2008.
- 32- محمد مفتاح، التشابه والاختلاف نحو منهجية شمولية، المركز الثقافي الغربي، الدار البيضاء، بيروت 1996.
- 33- جلال الدين، السيوطي، الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض.
- 34- الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية، بيروت 1978.

RESEARCH ARTICLE

Synthesis, Characterization and Biological Activity of Himdazole-2-carboaldehyde Thiosemicarbazone and its Cd (II), Hg (II) and Zn (II) Complexes

A.Gobara^{1*} Musa A.Ahmed², M.hanai³, Awad Salim Ibrahim⁴

¹Department of Chemistry, Faculty of Education, Dalanj University, South Kordufan State Sudan

²Department of Chemistry, Faculty of Education, Gezira University, Algezira State Sudan

³Department of Zoology, Faculty of Science, Dalanj University, South Kordufan State Sudan

⁴Department of Chemistry, Faculty of Education, West Kordufan University, West Kordufan State, Sudan

*Corresponding Author: A.Gobara, E.mail:wadgobara35@gmail.com.

Accepted at 10/11/2020

Published at 01/12/2020

Abstract

Equimolar amounts of Himdazole-2-carboaldehyde and thiosemicarbazide were combined together and Himdazole-2-carboaldehyde thiosemicarbazone was prepared. The synthesized ligand was reacted with Cd (II), Hg (II) and Zn (II) ions yielding stable color complexes. For quantification and characterization purpose, elemental analysis, molar conductivity, infrared spectra, electronic spectra, proton nuclear magnetic resonance spectra, and mass spectra were carried out. The magnetic moment was also used for characterization. The ligand of IR spectrum showed that thiosemicarbazone coordinates to the metal ions via sulfur and azomethine nitrogen atom. The measurements of magnetic moment for all complexes were found to be (0.00). In range of normal for octahedral geometry and indicated all complexes were diamagnetic. An in vitro antimicrobial have been tested against a number of bacteria and fungal strains for the free ligand and its metal complexes, to assess their antimicrobial properties by diffusion technique. The ligand and its complexes exhibit higher activity against bacteria and fungi in compared with standard.

Key Words: Biological activity, diffusion technique, Potato dextrose agar.

INTRODUCTION:

Thiosemicarbazones are compounds that have been studied for a considerable period of time for their biological properties. Traces of interest date back to the beginning of the 20th century but the first reports on their medical applications began to appear in the fifties as drugs against tuberculosis (Bavin et al, 1950), and leprosy (Koch and Stuttgart, 1950). In the sixties the antiviral properties were discovered (Kune .1964) and a huge amount of research was carried out that eventually led to the commercialization of thiosemisazone. Recently Triapine 3-aminopyridine-2-carboxaldehyde thiosemicarbazone has been developed as an anticancer drug (Nutting, et al, 2009, Goh and Tan; 2008). Presently, the areas in which thiosemicarbazones are receiving more attention can be classified according to their antitumor (Blanz, 1968), antifungal (Mitral et al, 1981), antibacterial (Dobek et al, 1980) and antiviral activities (Pirrung et al, 2005), and in all cases their action has been shown to involve interaction with metal ions (Finch et al., 1999).

Transition metal complexes of thiosemicarbazones are widely studied, especially because of their chemical and biological properties. According to the transition metal and the parent aldehyde or ketone associated to the thiosemicarbazide moiety, the thiosemicarbazone complexes are developed for analytical chemistry (Sarma et al., 2005), can be engaged in catalysis or pre-catalysis,(Pandiarajan et al., 2013) in addition to their biological properties. All these peculiar properties prompt many authors to study transition metal complexes of thiosemicarbazone in order to understand the relationship between these activities and their molecular structures.

Experimental

- Materials and measurements

Organic solvents (absolute ethyl alcohol (SDFCL, India dimformamide (DMF, 99%, GC-Lab Tech Chemical), dimethylsulfoxide (DMSO, Laba Chemie PVT. Ltd) used without purification. ZnCl₂ , PdCl₂ provided by CDH, extra pure), 1Himdazole-2-carboaldahyde (Sigma,USA), Sodiumhydroxide (SDFCL, India), glacial acetic acid (Scharlau,European Union) and ammonium hydroxide are of analytical grade and used. Double distilled water was used in all preparations.

- Instrumentations

The magnetic susceptibility was measured on powdered samples using Gouy balance at Cairo University, Egypt.Elemental analyses were carried out in the Micro Analytical Unit, Cairo University, using chemical analyzer, Carlo-Erba1106. UV-vis spectra were carried out using Shimadzu model 3101 spectrophotometer. Infrared spectra of solid samples were recorded on Perkin-Elmer model 1650 and Shimadzu model 8400S spectrophotometer. 1 H NMR spectra were recorded in a Varian Mercury VX-300 NMR spectrometer operating at 300 MHz using DMSO-d 6. Mass chromatograms were recorded on a Shimadzu GCMS-QP2010.The electrical conductivity was measured using Conductivity.

- Synthesis of the ligand (HL)

Thiosemicarbazide (0.0911g (0.001 mol) was placed in 100 ml round bottomed flask. Absolute ethanol (20 ml) was added and the mixture was heated until the dissolution was completed. Of 1Himdazole -2-carboxaldehyde (0.096g (0.001mol) dissolved in 20ml hot absolute ethanol and added to solution, followed by addition of few drops of Sodium hydroxide (IM). The mixture was then refluxed on water bath for two hours. On cooling, yellow powder was precipitated. The precipitate was filtered, washed with ethanol and left to dry in air. The product was recrystallized from ethanol. The yield obtained was 72.18% melting point was 200 °C.

- Synthesis of complexes

- Synthesis of $[Cd(C_5H_7N_5S)_2]$, $[Cd(HL)_2]$

1Himdazole -2-carboxaldehydethiosemicarbazone –Palladium complex was prepared by following method. $CdCl_2$ (0.177 g (0.001mol) placed in 100 ml beaker dissolved in 20 ml of warm absolute ethanol to a solution of 1Himdazole -2-carboxaldehydethiosemicarbazone (0.338g (0.002mol) in 20 ml ethanol. The mixture was refluxed for two hours. On partial evaporation of the solvent, the reddish yellow precipitate separated out was filtered, washed with ethanol and left under shadow.

- Synthesis of $[Zn(C_5H_7N_5S)_2]$, $[Zn(HL)_2]$

1Himdazole -2-carboxaldehydethiosemicarbazone –Zinc complex was prepared by following method. $ZnCl_2$ (0.162g (0.001mol) placed in 100 ml beaker dissolved in 20 ml of warm absolute ethanol to a solution of 1Himdazole -2-carboxaldehydethiosemicarbazone (0.338g (0.002mol) in 20 ml ethanol followed by addition of few drops of sodium hydroxide (to adjust the reaction, as well as neutralize remaining hydrochloric acid). The mixture was refluxed for two hours. On partial evaporation of the solvent, the green powder precipitate separated out was filtered, washed with ethanol and left under shadow.

- Synthesis of $[Hg(C_5H_7N_5S)_2Cl_2]$, $[Hg(HL)_2Cl_2]$

Himdazole -2-carboxaldehydethiosemicarbazone –Zinc complex was prepared by following method. $HgCl_2$ (0.271 g (0.001mol) placed in 100 ml beaker dissolved in 20 ml of warm absolute ethanol to a solution of 1Himdazole -2-carboxaldehydethiosemicarbazone (0.338g (0.002mol) in 20 ml ethanol. The mixture was refluxed for two hours. On partial evaporation of the solvent, the white powder precipitate separated out was filtered, washed with ethanol and left under shadow.

- **Biological Screening**

Antifungal activity of the synthesized ligand (HL) and its complexes in term of their inhibition to the linear growth of *Aspergillus fumigates*, and *Candida albicans* was investigated. Potato dextrose agar (PDA) was used to evaluate the effect of the compounds under investigation on the mycelia linear growth of the two tested fungi. 50 ml of the medium were poured into 150 ml conical flasks and autoclaved at 121° C for 20 minutes. Three drops of 25% lactic acid were added to prevent bacterial contamination. Dilutions of each of the tested compounds were carried out (v/v) by dissolving

appropriate amounts of each compound in 10 ml DMSO. Equal volumes of DMSO containing diluted compounds were added to sterile molten (40C) PDA to get a series of different concentrations for each compound in PDA. A zero concentration treatment was prepared for each fungus which contains equivalent volume of DMSO only and used as control. Compounds amended PDA was dispensed aseptically into 9 centimeter Petri dishes. Plugs of mycelium were cut from the margins of actively growing cultures of the fungi and placed in the center of compound-amended and amended PDA plates with four replicate plates for each fungus. All plates were incubated at 25C. Colony diameter in (mm) was measured after three days and the inhibition zone was calculated for each compound. The growth inhibition percentage diameter of the fungal colony using the equation $(C-T) \times 100/C$, where C is the diameter of the fungus colony in the control plate after three days and T is the diameter of the fungus colony in the tested plates after the same period of time. The antibacterial activity of the ligand and its complexes were tested using diffusion method against *Staphylococcus aureus* as gram positive bacteria and *Escherichia coli* as gram negative bacteria. Nutrient agar (NA) medium was used. The test compounds were dissolved in DMSO. 25 ml of nutrient agar (NA) were placed in Petri plates. After solidification, the test bacteria were spread over the medium using a spreader. Discs of What-mann no. 1 filter paper saturated with the test compounds were placed at four equidistant places from the center in the incubated Petri plates. Filter paper discs treated with DMSO served as control and Tetracycline was used as standard drug. The Petri dishes were kept in a refrigerator for 24 hours for pre-diffusion and then incubated for 72 hours at 38 ° C and the inhibition zone around each disc was measured. The zone of inhibition was carefully calculated in millimeters.

Results and discussion

• Spectral studies

The analytical data of the ligand and its complexes was given in experimental section, coincide with empirical formula.

Table:1 Analytical data of HL and its metal complexes using Elemental analysis

Elemental analysis (found) and calculated (%)					
Percentage of elements detected					
Compound	Color	C	N	H	S
[HL]	white	35.49 (34.7)	41.39 (40.2)	4.17 (3.9)	18.9 (18.8)
[Cd (C ₅ H ₇ N ₅ S) ₂]Cl ₂	Pale yellow	26.64 (26.13)	26.85 (25.32)	3.13 (2.6)	14.22 (13.2)
[Hg(C ₅ H ₇ N ₅ S) ₂]Cl ₂	white	19.69 (18.5)	22.97 (21.7)	2.31 (2.31)	10.63(11.52)
[Zn(C ₅ H ₇ N ₅ S) ₂] ⁺²	Green	29.74 (28.7)	34.69 (34.3)	3.49 (3.4)	15.88 (14.98)

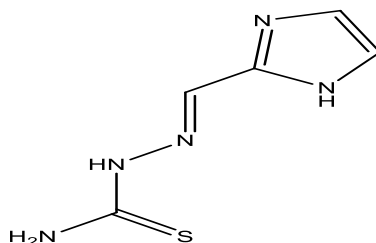


Fig. 1 Postulated structure of Himdazole -2-carboxaldehydethiosemicarbazone

Table (2): IR spectral data (4000-400cm⁻¹) of the ligand HL and its complexes. Complexes and negative control (DMSO) measured by agar diffusion test (Unit, mm)

Sample	$\nu(\text{NH}_2)$	$\nu(\text{C}=\text{N})$	$\nu(\text{NH})$	$\nu(\text{C}=\text{S})$
[HL]	3375-3328	1616	3153	840
[Cd (C ₅ H ₇ N ₅ S) ₂]Cl ₂	3342-3152	1523	3171	613
[Hg(C ₅ H ₇ N ₅ S) ₂]Cl ₂	3344-3231	1523	3179	833
[Zn(C ₅ H ₇ N ₅ S) ₂] ⁺²	3345-3248	1556	3120	756

Newly formed (C=N) bond.

The Infrared spectral data of Cd (II) complex with the ligand HL is shown in table (2)

Cd (II) complex shown band at 1616 cm⁻¹ assigned to $\nu(\text{C}=\text{N})$ in the free ligand is shifted to 1523 cm⁻¹ in the spectrum of the complex. This indicates complexation of the ligand through the azomethine nitrogen to the Cd (II) ion. The band at 840 cm⁻¹ assigned to $\nu(\text{C}=\text{S})$ in the free ligand is shifted to 613 cm⁻¹. This suggests coordination of the ligand via the $\nu(\text{C}=\text{S})$ sulfur atom. Hg (II) complex a band at 1616 cm⁻¹ assigned to $\nu(\text{C}=\text{N})$ in the free ligand is shifted to 1535 cm⁻¹ in the spectrum of the complex. This indicates complexation of the ligand through the azomethine nitrogen to the Hg(II) ion. The band at 840 cm⁻¹ assigned to $\nu(\text{C}=\text{S})$ in the free ligand is shifted to 833 cm⁻¹. This suggests coordination of the ligand via the $\nu(\text{C}=\text{S})$ sulfur atom.

. Zn(II) complex with the ligand (1Himidazole-2-carboxaldehyde) thiosemicarbazone is shown the band at 1616 cm⁻¹ assigned to $\nu(\text{C}=\text{N})$ in the free ligand is shifted to lower frequency, 1556 cm⁻¹ in the spectrum of the complex. This indicates complexation of ligand through the azomethine nitrogen to the Zn (II). The band at 840 cm⁻¹ assigned to $\nu(\text{C}=\text{S})$ in the free ligand is shifted to 756 cm⁻¹ indicating the involvement of sulfur in complexation.

Table (3) UV-vis spectral (nm) of band, molar Conductivity and magnetic moment of complexes of the ligand H

Sample	Electronic spectra (nm)	Molar Conductivity	$\text{Ohm}^{-1} \text{cm}^2 \text{mol}^{-1}$	B.M
[Cd (C ₅ H ₇ N ₅ S) ₂]Cl ₂	232, 353	0.00		diamagnetic [Hg
(C ₅ H ₇ N ₅ S) ₂]Cl ₂	223,351, 420	0.00		diamagnetic
[Zn (C ₅ H ₇ N ₅ S) ₂] ⁺²	3261, 349	0.00		diamagnetic

Electronic spectra

The electronic spectra data of the Complex $[\text{Cd}(\text{C}_5\text{H}_7\text{N}_5\text{S})_2]\text{Cl}_2$, in the solid state show bands at 43103 cm^{-1} (232 nm), and 28328 cm^{-1} (353 nm). On the basis of analytical, conductance and spectral data octahedral geometry is suggested (Mohammad et al, 2003). The electronic absorption spectral data of the complex $[\text{Hg}(\text{C}_5\text{H}_7\text{N}_5\text{S})_2]\text{Cl}_2$, in the solid state of Complex $[\text{Zn}(\text{C}_5\text{H}_7\text{N}_5\text{S})_2]$, in the solid state show bands at 37134.72 cm^{-1} (261 nm) 29229 cm^{-1} (349 nm). The band at 349 nm is assigned to $\text{Zn}(\text{II}) \rightarrow \text{S}$ transitions. No appreciable absorptions occurred above 500 nm, indicating the absence of $d \rightarrow d$ bands which is in accordance with d^{10} configuration of $\text{Zn}(\text{II})$ ion. ow bands at 44843 cm^{-1} (223 nm), 28490 cm^{-1} (351 nm) and 23805 cm^{-1} (420 nm).

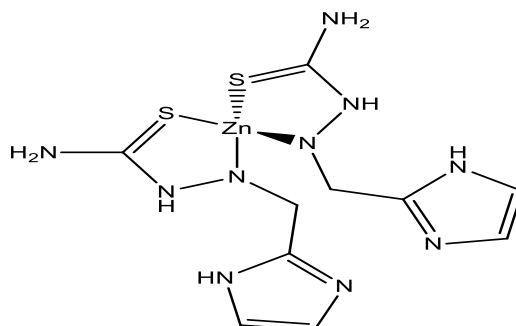


Fig .2 The probable structure of complex $[\text{Zn}(\text{C}_5\text{H}_7\text{N}_5\text{S})_2]$

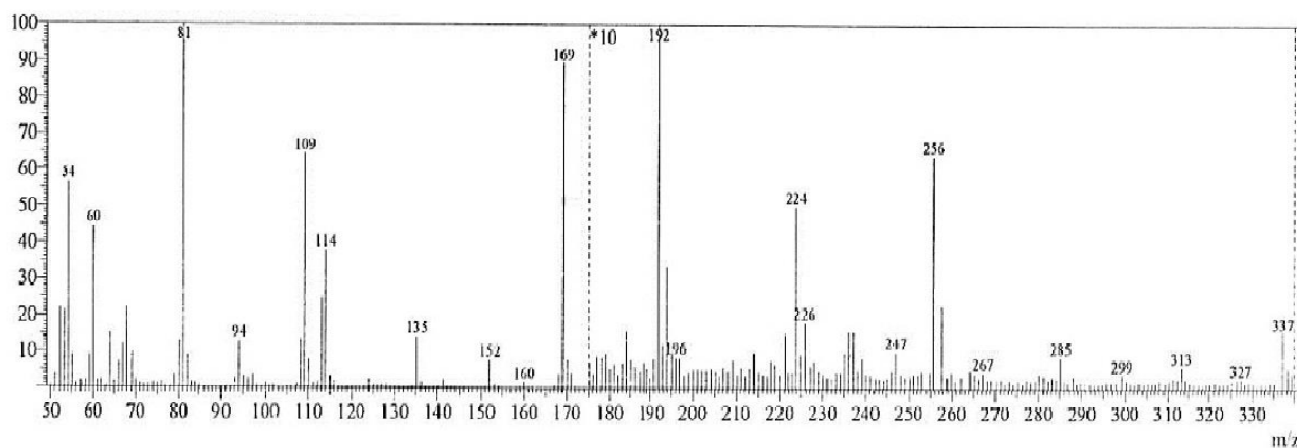


Fig .3 mass spectrum of the ligand HL

Results of the microbial studies

The antimicrobial screening data for the ligand and its complexes are shown in Tables (5) and (6)

The ligand and its some complexes exhibit activity against bacteria than fungi. The experimental results show that nearly some complexes exhibit antibacterial activity compare with free ligand, but less than the standard. This fact can be understood in terms of the chelation theory which states that upon complexation the polarity of the metal ion is reduced which increase the lipophilicity of the metal complex enabling them to cross the cell membrane easily (Mohamed G, 2009). The free ligand was active against *Aspergillus fumigates*, but less than the standard drug, but its complexes activity showed very least antifungal activity, Hg(II), Cd(II), Zn(II).

Table: 4 Antibacterial activity of ligand, its metal complexes, positive control (Ampicillin and Gentamicin) and negative control (DMSO) measured by agar

Sample	Gram positive bacteria <i>S. pneumoniae</i>	<i>E. coli</i>
[HL]	11.2	10.2
[Cd (C ₅ H ₇ N ₅ S) ₂]Cl ₂	13.5	13.4
[Hg(C ₅ H ₇ N ₅ S) ₂]Cl ₂	14.3	15.2
[Zn(C ₅ H ₇ N ₅ S) ₂] ⁺²	13.7	9.6
<i>Ampicillin (Positive)</i>	23.8	--
<i>Gentamicin (negative)</i>	--	27.3

Table:5 Antifungal activity of Himdazole -2-carboxaldehydethiosemicarbazone and its complexes and negative control (DMSO) measured by agar diffusion test (Unit, mm).

Sample	Zone of inhibition	
	<i>Aspergillus flavus</i>	<i>Candida albicans</i>
[HL]	16.5	13
[Cd (C ₅ H ₇ N ₅ S) ₂]Cl ₂	13.6	15.3
[Hg(C ₅ H ₇ N ₅ S) ₂]Cl ₂	14	16.3
[Zn(C ₅ H ₇ N ₅ S) ₂] ⁺²	11.7	17.9
<i>Amphotericin B</i>	23.7	25.4

Conclusion

In conclusion, this study reports a new ligand from the reaction between 2-Chloro-3-phenylpropanal and thiosemicarbazone. Two stable colored metal ion complexes were synthesized from the reaction between the prepared complexing agent and three ions namely Hg (II), Zn(II), and Cd(II). The ligand and its complexes were characterized using different spectroscopic analytical techniques such as MS, IR and ¹H NMR spectra. In vitro antimicrobial potential of the ligand complexes were also investigated. Higher antifungal and antibacterial activities were observed from the metal ion compared to that of the free ligand bioactivity. The complexes may be developed to drugs in the future for treatment of diseases caused by the tested pathogenic fungal and bacterial strain

REFERENCES

- 1- Amna Qasem Ali , Siang Guan Teoh ,Naser Eltaher Eltayeb , Mohamed B. Khadeer Ahamed , A.M.S. Abdul Majid,(2014). Synthesis of copper(II) complexes of isatin thiosemicarbazone derivatives: In vitro anti-cancer, DNA binding, and cleavage activities, Polyhedron 74 – pp 6–15
- 2- Bavin EM, Rees RJW, Robson JM, Seiler M, Seymour DE, Suddaby D.(1950), The tuberculostatic activity of some thiosemicarbazones. J Pharm Pharmacol 2: 764-72.
- 3- Blanz Jr., F. French,(1968) Cancer Res.
- 4- Dobek, D. 1. Klavrnan, E.J. Dickson Jr., J. P. Scovill, E. C. Trarnont,
- 5- Finch RA, Liu MC, Cory AH, Cory JG, Sartorelli AC (1999), Triapine (3-aminopyridine-2-carboxaldehyde thiosemicarbazone; 3-AP): an inhibitor of ribonucleotide reductase with antineoplastic activity. Adv Enzyme Regul 39: 3-12
- 6- Koch O, Stuttgen G.(1950),Clinical and experimental studies on the effects of thiosemicarbazones. Naunyn Schmiedebergs Arch Exp Pathol Pharmacol Vol 210: 409-23.
- 7- Kune GA. (1964).To-day's drugs: methisazone. Br Med J 2: 621
- 8- Mitral, Sharma, Singh, J. P. Tandon,(1981). Curr. Sci, 50, and the references therein
- 9- Mohamed G., Ibrahim N.A. and Attia H.A. (2009). Synthesis an antifungicidal activity of some transition metal complexes with benzimidazole dithiocarbamate ligand. Spectrochimica Acta part A 72:pp 610-615.
- 10- Mohammad Akbar Ali a, Aminul Huq Mirza a, Mohammad Nazimuddin b, Raju Ahmed b, Lawrence R. Gahan c, Paul V. Bernhardt (2003). Synthesis and characterization of mono- and bis-ligand zinc(II) and cadmium(II) complexes of the di-2-pyridylketone Schiff base of Sbenzyl dithiocarbamate (Hdpksbz) and the X-ray crystal structures of the [Zn(dpksbz)₂] and [Cd(dpksbz)NCS]₂ complexes. Polyhedron 22 pp 1471-1479
- 11- Nutting CM, van Herpen CML, Miah AB, (2009). Phase II study of 3-AP Triapine in patients with recurrent or metastatic head and neck squamous cell carcinoma. Ann Oncol 20:pp 1275-9
- 12- Pandiarajan, Ramesh, Liu, R. Suresh, (2013), Inorg. Chem. Commun. pp:33 -33
- 13- Pirrung, M.C.;Pansare, S.V.; Sarma, K.D.; Keith, K.A.; Kern, E.R (2005). Combinatorial optimization of isatin-β-thiosemicarbazones as anti-poxvirus agents. J. Med. Chem, 48, pp 3045-3050
- 14- Sarma, Kumar, Reddy, Reddy, (2005) , J. Agric. Food Chem. 53 -5492
- 15- Suni V, M.R. Prathapachandra Kurup, Munirathinam Nethaji, (2007). Studies on Co(II) and Co(III) complexes of di-2-pyridyl ketone N(4)-cyclohexyl and N(4)-phenyl thiosemicarbazones. Polyhedron 26 –pp 5203–5209
- 16- Goh BC, Tan EH, et al. A (2008),multicenter phase II trial of 3- aminopyridine-2-carboxaldehyde thiosemicarbazone (3-AP, Triapine) and gemcitabine in advanced non-small-cell lung cancer with pharmacokinetic evaluation using peripheral blood mononuclear cells. Invest New Drugs 26: pp 169-73

عنوان البحث

استخدام التحليل الكمي والكيفي لتحليل الجريمة في السودان

دراسة تطبيقية الإدارة العامة للجنايات – السودان في الفترة من 1996م – 2001م

أمينة سليمان حسين ابوالقاسم¹

¹ جامعة حفر الباطن / المملكة العربية السعودية aminasuliman1@hotmail.com

تاريخ النشر: 2020/12/01م

تاريخ القبول: 2020/11/15م

المستخلص

الجريمة هي العنف والتهديد باستخدام القوة القاتلة ضد الأشخاص وممتلكاتهم، ضد الدول وإستقرارها في وقت السلم. لقد جاءت أهداف الدراسة لمعالجة أحد المشكلات التي تُوْرَق المجتمع الدولي للوصول للأسباب الحقيقية التي أدت لإنتشار ظاهرة الجريمة التي تناولها المشرع السوداني. جاءت مشكلة الدراسة في كيفية مكافحة الجريمة، والجريمة السياسية خاصة، حتى لا تسيء العلاقات الدبلوماسية بين البلدان تكمن أهمية هذه الدراسة على الوقوف على الآليات القانونية. التي جاء بها القانون السوداني لمكافحة الجريمة والوقاية منها، والجهود الوطنية والتعاون الدولي للتصدى للجريمة التي لها علاقة مباشرة بالجريمة المنظمة. ذلك بالبحث في المواجهة القانونية للجرائم في القانون السوداني، من خلال أحكام قانون مكافحة الجريمة.

الكلمات المفتاحية: الجرائم - الجريمة المنظمة - القانون السوداني- التعاون الدولي - الجهود الوطنية

RESEARCH ARTICLE**Using quantitative and qualitative analysis to analyze
Crime in Sudan An applied study of the General Department of Felonies -
Sudan in the period from 1996 to 2001**Amina Suleiman Hussein Abu Al-Qasim¹¹ University of Hafar Al-Batin / Kingdom of Saudi Arabia**Accepted at 15/11/2020****Published at 01/12/2020****Abstract**

The Crime this violence and threat by using lethal force against people, their property against states and their stability in peaceful times, This study is intended to tackle a problem that disturb the international community in order to reach the real reasons which led to the spread of the Crime phenomenon that has been addressed by the Sudanese legislator. Therefore, the problem of study is how to combat, the Crime especially political terrorism, so as not to disturb the relations between countries. The Importance of this study is to identify the legal mechanisms provided by the Sudanese Law to combat and prevent this crimes, besides, the national and international efforts to fight terrorist crimes, Which have a direct relation to the organized crime. by searching in the legal confrontation of such crimes in Sudanese law, through the provisions of the Terrorism .

Key Words: The Crimes, Organized Crime, Sudanese Law, International Cooperation, National Efforts

المقدمة

لعل الثابت لدى المهتمين بدراسة وتحليل الجريمة على اختلاف مدارسهم ، واتفاقهم على أن الجرائم الواقعة ضد النفس والجسم تعتبر من أهم وخطر أنواع الجرائم تكمن أهمية وخطورة الجرائم الواقعة ضد النفس والجسم في عدة جوانب مهمة هو أن تكرار وقوعها في المجتمع ينزع من نفس المواطن الإحساس بالأمان والطمأنينة (نجم ، 2002م ، ص35) إذا أن نهايات امن الإنسان تتمثل في اطمئنانه نفسه وسلامة جسمه من الأذى ، الجريمة عند تفسيرها عند من يعملون (الضابط الاجتماعي) في تفسيرها الظاهرة الإجرامية ، هي نتاج طبيعي للتعايش بين الأفراد والمجتمعات ولعل هذا التفسير يصلح بصورة واقعية ومنطقية في تفسير الجرائم الواقعة على النفس والجسم فهي جرائم لا يكاد يخلو منها مجتمع إن كانت حالته الاجتماعية أو درجة تحضره (الطخيس ، 1414هـ ، ص20).

مشكلة الدراسة

الجريمة من المشكلات التي تعاني منها الشعوب ، خاصة في ظل التزايد الكبير في أعداد السكان ، نتيجة للنمو السكاني الذي تشهده البشرية. والجريمة تتزايد وتتطور مع تطور المجتمع سواء أكان هذا التطور كما أم كيفا أم من حيث الوسيلة المستخدمة فيه ، غير أن حجمها يختلف من إقليم لآخر، وداخل الإقليم الواحد يختلف حجمها من منطقة لأخرى. إن الكشف عن هذه الاختلافات يدل على وجود عوامل متباينة ومختلفة تؤدي إلي وقوع الجريمة بحسب الموقع ، وهذا ما تسعى إليه هذه الدراسة (إبن منظور، 1997م ، ص67) .

فروض الدراسة

1. توجد علاقة بين الجريمة والسنوات .
2. توجد علاقة بين الجريمة والولايات .
3. توجد علاقة بين تكرار الجريمة وأنواع الجرائم .
4. توجد علاقة بين أنواع الجرائم والولايات .
5. توجد علاقة بين أنواع الجرائم والسنوات .
6. توجد علاقة بين الولايات والسنوات .

أهمية الدراسة

تكتسب هذه الدراسة أهمية خاصة إذ أن هذه البيانات لأول مرة تعرض للتحليل ، ويستفيد من هذا البحث كل من الإدارة العامة للجنايات ومراكز الشرطة ووضع آلية جديدة لتحسين أداء العمل للتقليل من ارتكاب الجريمة (محمد الحسن ، 1982م، ص100) .

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى:-

1. التقليل من ارتكاب الجريمة ومحاولة الحد منها .
2. تعليم الجهة كيفية تنزيل وتحليل البيانات على الـ SPSS .
3. عمل ملخصات دورية (سنوية - شهرية - اسبوعية - يومية) .

حدود الدراسة

تتمثل حدود الدراسة في الآتي :-

1. الحدود المكانية : تم جمع البيانات من الإدارة العامة للجنايات .
2. الحدود الزمانية : تمثلت الفترة الزمانية من 1996م وحتى 2001م .

الطرق والأساليب المستخدمة

في هذه الدراسة سنزواج بين اسلوبين من أساليب البحث العلمي وهما :-

1. الاسلوب الوثائقي (المنهج التاريخي) .
2. التحليل الإحصائي :

استخدم الباحث في هذه الدراسة برنامج الـ SPSS و Excel وفي هذين البرنامجين استخدم الباحث طريقة الجداول والرسومات ، وفي التحليل استخدم الباحث اختبار F و مربع كاي².

أنواع الجرائم

جريمة القتل

توجد أنواع عدة من جرائم القتل (القتل العمد - القتل الخطأ - القتل الذي لا يصل إلى العمد - الشروع في القتل)، إن جرائم القتل مهما كانت صورتها سواء كانت قتلاً أو غير قصد ، أو قتلاً بسيطاً أو مقترناً بظرف مشدد (ظاهر، و محمد أحمد زيادة، 1984م ، ص80) . محلها يجب أن يكون انساناً على قيد الحياة وتشارك في الركن المادي أي الفعل الذي يعتدي به الجاني على حياة المجني عليه ويؤدي إلى الوفاة (التقرير السنوي للإدارة العامة للجنايات ، 1998). ثم هناك القصد الإجرامي أو النية الجريمة بما كان القتل اعتداء يقع على حق الإنسان في الحياة لا يتصور تحققه إلا إذا كان المجني عليه انساناً حياً وقت ارتكاب الجاني لفعله . فلا يعتبر قتلاً من يطلق النار على جثته هادمة ولو كان الجاني يجهل ذلك ويقوم الركن المادي للقتل على ثلاثة عناصر هي (الياسين ، 1981م ، ص52) :-

- أ) فعل الاعتداء على الحياة كسلوك إجرامي .
- ب) وفاة المجني عليه كنتيجة إجرامية .
- ت) صلة السببية بين الفعل والنتيجة .

الجراح : هي (كل شرط أو قطع شق غشاء من أغشية الجسم الخارجية وإيذاء للغرض من هذا التعبير ، يعتبر الغشاء خارجياً إذا كان في الإمكان لمسها بدون شطر أي غشاء آخر أو شقة) (نجم ، 2002م ، ص93)،

الأذى : الأذى يشمل جميع الأفعال التي تشكل اعتداء على سلامة البدن مهما كانت الوسيلة أو الصورة . فكل ما لا يدخل تحت اصطلاح الجرح أو الضرب يعتبر ايذاً فمثلاً (قص الشعر عنوه ، رمي القفاذات في الوجه ، قرص الأذن ، القذف بالقاذورات أو الماء الملوث) فكل مادة تلحق ضرر بصحة المجني عليه وتخل بالسير الطبيعي للوظائف التي تؤديها أدى (زهراني ، 1981م ، ص46) .

الخطف : إن المراد من الخطف هو انتزاع المخطوف من البقعة الموجود فيها ونقله إلى محل آخر واحتجازه بقصد إخفائه عن ذويه

، الخطف من الجرائم المستمرة طالما ضل المجني عليه مخطوفاً أو بعيداً عن زويه ولا تنتهي حالة الاستمرار هذه بالإفراج عن المخطوف وإعادته لأهله وذويه (عبدالنواب ، 2001م ، ص21) .

الانتحار : كانت معظم التشريعات الجزائرية القديمة تعاقب على الانتحار طبقاً للمعاقبة عليه كجريمة في الشرائع السماوية ، التي تعتبر الحياة ملكاً للخالق وحده . ويتعرض المنتحر للمعاقبة ، ففي الشريعة الإسلامية الغراء فان المنتحر إثم في نظرها يعاقب على إثمه وفي المذهب الشافعي فانه يجب أن يؤخذ من مال المنتحر الكفارة ، أما في حالة فشل الانتحار فيعاقب بالتعزيز . والانتحار كالقتل (إزهاق روح إنسان حي) ، ولا يفترق عنه إلا في وقعه من المنتحر نفسه أي من كون القاتل هو نفسه المقتول (الياسين ، 1981م ، ص87).

الجرائم المخلة بالأداب العامة

الإجهاض : يعتبر الإجهاض جنائية عندما يتم برضاء المرأة الحامل إلا أن أثره ونتيجته تتفاقم فتموت المرأة الحامل ، إلا أن أثره من جراء الإجهاض ، ويعتبر الإجهاض جنائية أيضاً يتم عندما يتم رضاء المرأة الحامل أو ضد إرادتها مهما كانت الوسيلة التي استعملها الجاني في تحقيقها (CYRILBURK,1961).

الأفعال الفاحشة والفاضحة : المقصود بالفاحشة والفاضحة عرفاً الطهارة الجنسية أي التزام الشخص سلوكياً جنسياً يبعد به أن يوجه إليه لوم إجماعي لذلك كل فعل فاحش وفاضح مخل بهذه الطهارة يعد مساساً بالعرض إلا أن المدلول القانوني للفاحشة يعني الحرية الجنسية لذلك أي مساس أو اعتداء على الحرية الجنسية يشكل جريمة يعاقب عليها الشخص (محمد الحسن ، 1982م ، ص60) .

الزنا : قضت حكمة الخالق عز وجل أن يجعل الحياة مستمرة والكون عامراً فخلق ادم وحواء ليظل الإنسان على الأرض فترة من الزمن وامتداداً وحفاظاً على النوع البشري من الزوال ، فشرع الزواج ووضع له أحكام وضوابط ليعاشر الرجل زوجته وشريكة عمره وحياته معاشرة مشروعة على سنة الله ورسوله ليسكن إليها وتسكن إليه فيحصل التناسل والتكاثر وتتشأ الالفة والمحبة ويتولد الاحترام والإخلاص ويقتصر عليها وتقتصر عليه ويحافظ عليها وتحافظ عليه وعلى شرفه وأولاده فتتكون الأسرة نواة المجتمع وأساسه مصداقاً لقوله (ومن آياته خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) فالله لم يترك الناس وفق أهوائهم يفعلون ما يشاءون وكما أرادوا، بل نظم رغباتهم وغرائزهم الجنسية عن طريق الرباط المقدس (الزواج) فالذين يخالفون تعاليم الإسلام وأحكامه فيسعون في الأرض فسادا يعتقدون على أعراض الغير وفق أهوائهم وشهواتهم فهم الزناة ، وأفعالهم فواحش وجرائم هذا ما يسمى جريمة الزنا في الشريعة وفي القوانين الوضعية (محمد الحسن ، 1982م ، ص64) .

فالزواج والزنا مظهران لفعل واحد هو فعل أواقعه الطبيعية بين الذكر والأنثى ، غير ان الزواج أحله الله لعباده ليحفظوا أنفسهم به ونظمته القوانين والزنا فاحشه وجريمة حرمتها الأديان السماوية وحرمتها والقوانين لأنها تمس بكيان المجتمع وسلامته إذا أنها اعتداء على الأسرة وعلى المجتمع (نجم ، 2002م ، 92)

إدارة محل الدعارة : هذه الجريمة من الجرائم الهامة في مجال الدعارة لشيوع هذه الجريمة وكثرة انتشارها ، ويعرف مكان الممارسة بمحل الدعارة أو الفجور ويمكن تقسيم محل الدعارة إلى ثلاثة أقسام (عبدالنواب ، 2001م ، ص24) :-

1. محل خاص يعد لممارسة الدعارة والفجور .
2. محلات خاصة يؤجرها أصحابها أو يقدمونها للغير للممارسة الدعارة والفجور ومنها الأماكن المفروشة .
3. محلات عامه مفتوحة للجمهور من دون تمييز (سيرك وما شابة ذلك)

الإرهاب : هو التهديد بواسطة أي نوع من أنواع الأسلحة مثلاً (سطو عصابة على بنك أو مؤسسة تجاربه أو منزل) وتهديد شخص أيضاً يعتبر إرهاب لاي غرض (SHIDON GLUEEK , 195)

الجانب التطبيقي

التحليل

البيانات : يضم تحليل البيانات التي جمعت وفحصها باستخدام أساليب رياضية مستخدمه بواسطة الحاسوب واستنباط المعلومات المتوفرة فيها واتخاذ القرار .

يعمل البرنامج الإحصائي إلى تفسير وشرح أسباب الاختلاف في مفردات البيانات الإحصائية عبر العوامل التي ترتبط بها ، واهم برامج الحاسوب استخداماً برنامج الـ SPSS وقد تم التحليل بواسطة البرنامج (نجم ، 2002م ، ص78).

وتختص هذه البيانات بالجرائم الواقعة ضد النفس والجسم ، وهذه البيانات تحتوي على عشرين ولاية من ولايات السودان قامت الباحثة بدمج هذه الولايات في خمس مجموعات هي

1. الشمال : ويحتوي على (الشمالية ، نهر النيل)
2. الجنوب : ويحتوي على (شرق الاستوائية ، بحر الجبل ، غرب بحر الغزال ، أعالي النيل)
3. الوسط : ويحتوي على (الخرطوم ، الجزيرة ، النيل الأبيض ، النيل الأزرق ، سنار)
4. الشرق : ويحتوي على (كسلا ، البحر الأحمر ، القضارف)
5. الغرب : ويحتوي على (غرب دارفور ، شمال دارفور ، جنوب دارفور ، غرب كردفان ، شمال كردفان ، جنوب كردفان)

وايضاً قمنا بدمج أنواع الجرائم إلى ثلاثة مجموعات :-

1. الجرائم المخلة بالأداب: ويحتوي على (الزنا ، الاغتصاب ، تسبب موت الجنين ، اللواط ، ممارسة الدعارة ، إدارة محل الدعارة ، القذف ، الاستدراج ، الأفعال الفاحشة والفاضحة) .
 2. القتل بانواعه : ويحتوي على (القتل العمد ، القتل الخطأ ، القتل الذي لا يصل العمد ، الشروع في القتل ، الانتحار)
 3. الأذى الجسمي : ويحتوي على (الجراح ، الأذى ، تعريض الصغير للخطر تسبب موت الجنين ، الخطف ، الإرهاب ، القوة الجنائية ، أخرى ضد النفس
- الهدف من الدمج هو تبسيط التحليل و شرحه .

التحليل الإحصائي :-

الجدول :

جدول رقم(1) متوسط تكرار الجريمة للسنوات

المتوسط	السنة
3239.86	1996م
2990.77	1997م
3177.59	1998م
2791.66	1999م
4113.44	2000م
4614.26	2001م
3549.41	المتوسط العام

من الجدول رقم (1) نجد أن المتوسط العام لارتكاب الجريمة في السودان خلال السنوات (1996م - 2001م) هو 3549.41 ونلاحظ أن أعلى متوسط لارتكاب الجريمة كان في سنة 2001م بمتوسط 4614.26 .

جدول رقم(2) متوسط تكرار الجريمة للولايات

المتوسط	الولاية
7617.03	الخرطوم
518.42	الشمالية
918.45	نهر النيل
2188.29	شمال كردفان
1154.60	جنوب كردفان
1281.81	غرب كردفان
1795.66	شمال دارفور
2340.34	جنوب دارفور
490.08	غرب دارفور
2926.64	الجزيرة
1148.63	النيل الازرق
2039.04	النيل الابيض
1530.32	سنار
2479.36	البحر الاحمر

1087.82	كسلا
1481.39	القضارف
318.42	بحر الجبل
101.69	شرق الاستوائية
635.53	اعالي النيل
372.08	غرب بحر الغزال
3549.41	المتوسط العام

من الجدول رقم (2) نجد ان المتوسط العام لارتكاب الجريمة في الولايات خلال السنوات (1996م - 2001) هو 3549.41 ونلاحظ ان اعلى متوسط لارتكاب الجريمة كان في الولايات في ولاية الخرطوم بمتوسط 7617.03 .

جدول رقم(3) متوسط تكرار الجريمة للولايات

المتوسط	انواع الجرائم
94.21	القتل العمد
6.09	القتل الخطا
4.81	القتل الذي لا يصل الى العمد
6.46	الشروع في القتل
5067.29	الجراح
194.79	الانتحار
4530.86	الاذى
2495.78	الاجهاض
10.06	تسبب موت الجنين
75.70	تعريض الصغير للخطر
145.68	الاجتصاب
121.69	اللواط
329.78	الافعال الفاحشة والفاضحة
249.41	ممارسة الدعارة
7.0	ادارة محل الدعارة
23.86	الاستدراج
179.29	الخطف
508.85	الزنا
1342.06	القذف
1896.72	الارهاب

1414.69	القوة الجنائية
2225.21	اخرى ضد النفس
3549.41	المتوسط العام

من الجدول رقم (3) نجد ان المتوسط العام لا انواع الجرائم في ولايات السودان خلال الاعوام (1996م - 2001م) هو 3549.41 ، ونلاحظ ان اعلى متوسط لانواع الجرائم كان بالنسبة لجريمة الجراح وهو 5067.29

جدول رقم(4) العلاقة بين انواع الجرائم والولايات

القيمة الاحتمالية	قيمة اختبار F	متوسط المربعات	درجات الحرية	مجموع المربعات	مصادر التباين
0.000	6901.329	76517886280.83	21	1606875611897	الجرائم
0.000	41597.844	254512695515	16	4835741214784.2	الولايات
0.000	23269.235	22541004778	363	8182384734335.9	الجرائم*الولايات
		968704.152	649463	62913653606.2793	الخطأ
			649825	8811521270398.7	المجموع

من الجدول رقم (4) نلاحظ ان القيمة الاحتمالية تساوي 0.000 وهي اقل من 0.05 هذا يدل على وجود علاقة بين انواع الجرائم والولايات .

جدول رقم(5) العلاقة بين انواع الجرائم والولايات

القيمة الاحتمالية	قيمة اختبار F	متوسط المربعات	درجات الحرية	مجموع المربعات	مصادر التباين
0.000	6901.329	76517886280.83	21	1606875611897	الجرائم
0.000	4553.660	5965711031.70	5	298285550655.30	السنوات
0.000	23269.235	31026293871.4	119	3692128970696.9	الجرائم*السنوات
			617934	11345435450096	المجموع

من الجدول رقم (4) نلاحظ ان القيمة الاحتمالية تساوي 0.000 وهي اقل من 0.05 هذا يدل على وجود علاقة بين أنواع الجرائم والسنوات .

جدول رقم (6) العلاقة بين أنواع الجرائم والولايات

مصادر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة اختبار F	القيمة الاحتمالية
السنوات	298285550655.30	5	59657110131.70	6901.329	0.000
الولايات	4835741214784.2	19	254512695515	41597.844	0.000
الولايات 8 السنوات	5357776655844	117	22541004778	8614.434	0.000
الخطأ	3453744614555	649708	968704.152		
المجموع	8811521270399	649825			

من الجدول رقم (6) نلاحظ ان القيمة الاحتمالية تساوي 0.000 وهي اقل من 0.05 هذا يدل على وجود علاقة بين أنواع الجرائم والسنوات .

جدول رقم (7) العلاقة بين تكرار الجريمة والولايات

القيمة الاحتمالية	درجة الحرية	قيمة مربع كاي χ^2
0.000	38	395490.4

من الجدول رقم (7) نلاحظ ان القيمة الاحتمالية تساوي 0.000 عند مقارنتها مع مستوى المعنوية 0.05 نجد انها اقل عليه نقرر بانه توجد علاقة بين تكرار الجريمة وانواع الجرائم .

جدول رقم (8) العلاقة بين تكرار الجريمة والسنوات

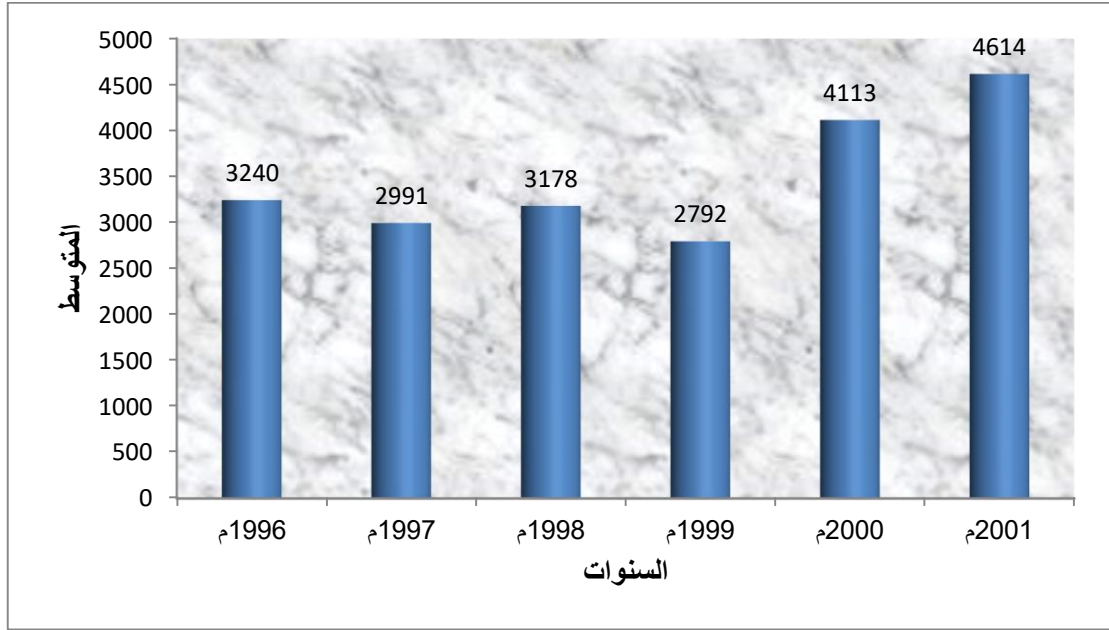
القيمة الاحتمالية	درجة الحرية	قيمة مربع كاي χ^2
0.000	10	6362.294

من الجدول رقم (8) نلاحظ ان القيمة الاحتمالية تساوي 0.000 عند مقارنتها مع مستوى المعنوية 0.05 نجد انها اقل عليه نقرر بانه توجد علاقة تكرار الجريمة والسنوات .

الأشكال البيانية

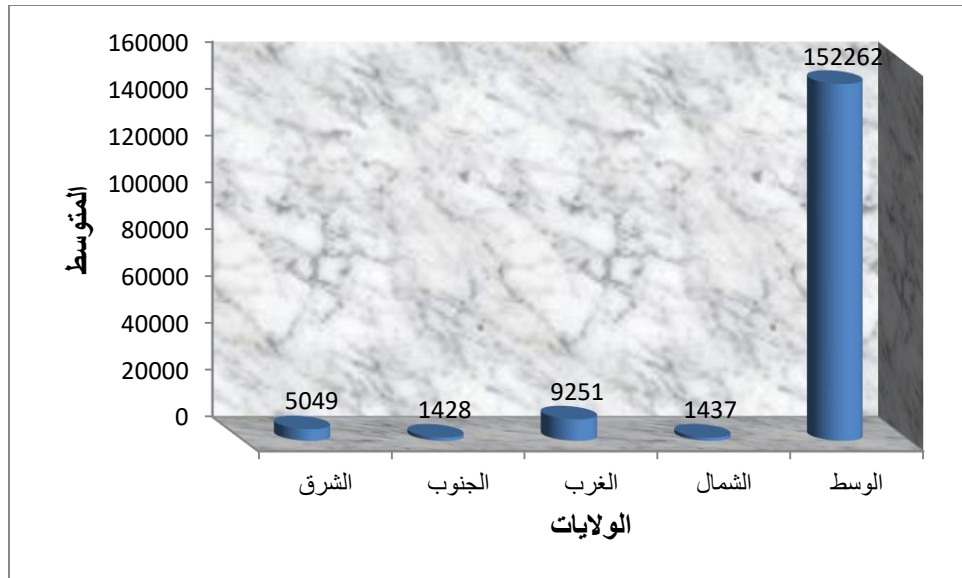
بعملية تبويب وتقسيم البيانات الى مجموعات تصبح الخصائص المهمة لها أكثر وضوحاً إلا أن اللجوء الى أساليب معينة في عرض البيانات يساعد على زيادة ووضوح الخصائص ويدون خصائص اخرى ، وكثيراً ما يكون هدف الباحث

شكل رقم (1) متوسط الجرائم للسنوات



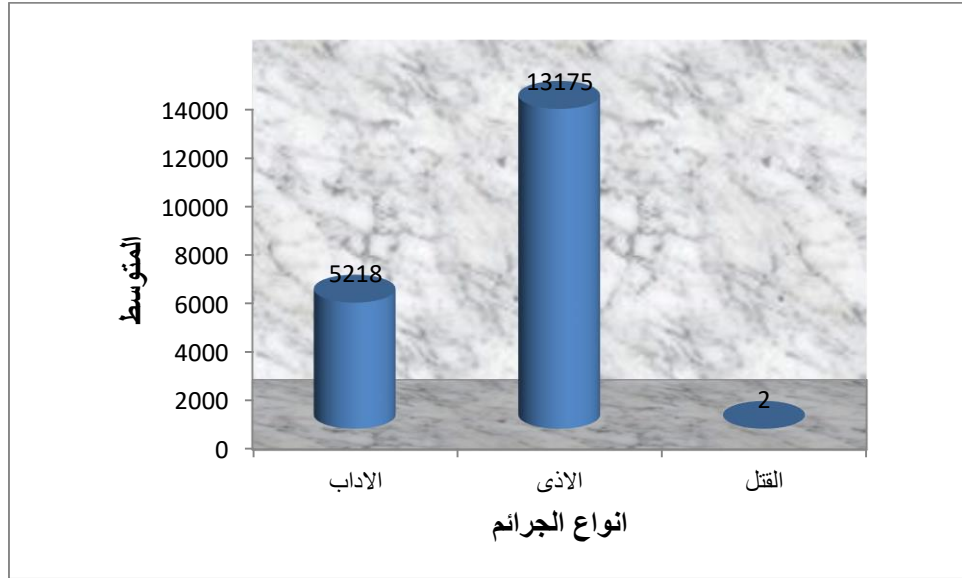
الشكل رقم (1) متوسط تكرار الجريمة للسنوات حيث نلاحظ ان متوسط ارتكاب الجريمة خلال 2001م يمثل أعلى متوسط بالنسبة لبقية السنوات وهو 4614 .

شكل رقم (2) متوسط الجرائم في الولايات



شكل رقم(2) متوسط تكرار الجريمة للولايات حيث نلاحظ ان متوسط ارتكاب الجريمة لولاية الوسط يمثل اعلى متوسط بالنسبة لبقية الولايات وهو 15262 .

شكل رقم (3) متوسط الجرائم لا انواع الجرائم



الشكل رقم (3) متوسط تكرار الجريمة لانواع الجرائم حيث نلاحظ ان متوسط ارتكاب الجريمة لنوع الأذى الجسدي و يمثل أعلى متوسط بالنسبة لبقية أنواع الجرائم وهو 13175 .

المناقشة

لقد جاءت الدراسة لإلقاء الضوء على أنواع الجرائم قد تنتشر في بلادنا بالشكل الذي يجب ان تلفت الانتباه له من اجل معرفة أسبابها ومسبباتها . فنلاحظ ان هنالك ان هنالك عدة عوامل مركبة ومتداخلة لانتشار الجريمة مثلاً نجد ان أعلى متوسط لارتكاب الجريمة كان سنة 2001م ويعزى ذلك الى الحروب التي كانت بين السودان واريتريا ونزوح السكان في هذه السنة بكميات كبيرة مما يؤدي الى تمركز السكان في مكان واحد، وتدني المستوى المعيشي لهم ، مما يدفعهم للعيش حتى ولو على حساب قتلهم لبعضهم ، وإضافة الى ذلك توتر العلاقات بين السودان وجمهورية مصر العربية بسبب محاولة اغتيال الرئيس المصري . كما نلاحظ انها انخفضت في بقية الأعوام ويرجع ذلك الى دخول العولمة الى مجتمعنا وحدثت أساليب البرمجة من (الشفرات ، الانترنت) التي تعرض فيها احداث الأفلام التي تعرض أنواع كثيرة من الجرائم وايضا نقرا عن الجرائم التي تحدث في الجرائد في بقية الدول او دولتنا ومعروف عن طبيعة الإنسان التقليد الأعمى. كذلك لاحظنا ان ولايات جهة الوسط لديها أعلى متوسط للجريمة وهذا يعزى الى نسبة الحضر فيها اكثر ، ونجد ان في دارفور أكثر الجرائم تتمركز بالنسبة لبقية ولايات السودان في جهة الغرب ، ويرجع ذلك الى وجود النهب المسلح والحروب القبلية بين القبائل التي تقطن في هذه الولاية .

النتائج والتوصيات

النتائج :

1. وجود علاقة معنوية بين انواع الجرائم وولايات السودان المختلفة مما يؤكد ارتباط انواع معينة لولايات معينة .
2. وجود علاقة معنوية بين انواع الجرائم والسنوات وذلك للتقديم و الحوجة الملحة للعيش في مستوى معيشي أفضل مما يدل على ظهور أنواع جرائم لم تكن موجودة .
3. وجود علاقة معنوية بين السنوات والولايات .

المراجع :

1. الدكتور / محمد صبحي نجم " الجرائم الواقعة على الأشخاص " 2002م دار الثقافة للنشر .
2. إبراهيم عبدالرحمن الطخيس " دراسات في علم الاجتماع الجنائي " (1414هـ) .
3. ابن منظور " لسان العرب " 1997م دار صادر للطباعة والنشر .
4. إحسان محمد الحسن (1982م). "الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي" .دار الطليعة للطباعة والنشر .
5. أحمد جمال الدين ظاهر و محمد أحمد زيادة " البحث العلمي الحديث " 1984م دار الشروق ،جدة
6. التقرير السنوي للإدارة العامة للجنايات 1998 .
7. جعفر عبدالأمير الياسين " أثر التفكك العائلي في جنوح الأحداث " 1981م دار النشر عالم المعرفة ، بيروت .
8. حامد عبدالسلام زهراني " علم النفس النمو " . (1981م). دار المعارف للنشر .
9. معوض عبدالنواب " الجرائم المخلة بالأداب العامة " 2001م دار المشرق العربي للطباعة .
10. CYRILBUR " The young delinquent ", 1961 London, University of London, Press.
11. SHIDON GLUEEK " Unraveling juvenile delinquency ", 195 (combridge Harvard University), Press

عنوان البحث

مدى فاعلية التعلم عن بعد في البرامج المشتركة بجامعة الملك خالد

موفق محمد المومني¹

¹ مدير مشروع شركة الخليج للتدريب والتعلم – البرامج المشتركة – جامعة الملك خالد

تاريخ النشر: 2020/12/01م

تاريخ القبول: 2020/11/16م

المستخلص

هدفت هذه الدراسة إلى التحقق من مدى فاعلية التعلم عن بعد لطلبة البرامج المشتركة بجامعة الملك خالد، واستخدم الباحث استبانة إلكترونية لمعرفة وجهات نظر أعضاء هيئة التدريس من خلال تجاربهم اليومية في التعلم عن بعد، ولتحقيق هدف الدراسة استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وقد تكونت عينة الدراسة من (74) عضو من أعضاء هيئة التدريس في جامعة الملك خالد وتم جمع البيانات عن طريق رابط استبيان تم توزيعه وجمع نتائجه وتحليلها، وجاءت نتائج الدراسة لتقديرات أعضاء هيئة التدريس حيث أكدت توافر الوسائل والتقنيات في نظام التعليم عن بعد، حيث بلغ المتوسط الحسابي لتقديراتهم (2.696)، كذلك أكدت توافر المحتوى الإلكتروني في نظام التعليم عن بعد، حيث بلغ المتوسط الحسابي لتقديراتهم (2.573)، كذلك أكدت الدراسة على فاعلية التدريس في نظام التعليم عن بعد، حيث بلغ المتوسط الحسابي لتقديرات العينة (2.405)، وأكدت النتائج من توافر التفاعلية في نظام التعليم عن بعد، حيث بلغ المتوسط الحسابي لتقديراتهم (2.722)، وأشارت النتائج إلى ملائمة اساليب التقييم في نظام التعليم عن بعد، حيث بلغ المتوسط الحسابي لتقديراته عينة الدراسة (2.505)، واوصت الدراسة بضرورة التوسع في استخدام التعليم عن بعد في إعداد وتدريب معلمي مرحلة التعليم الجامعي، والاهتمام بتطوير برنامج التعليم عن بعد في مجال إعداد وتدريب المعلمين، وكذلك ضرورة تركيز أهداف برنامج التعليم عن بعد على التعلم الذاتي وتحفيز الطلبة على البحث وتقصي المعلومة، والاهتمام بإعداد وتدريب المعلمين ومنتجي المحتوى الإلكتروني عن بعد من خلال برامج الإعداد والتدريب داخل المملكة وخارجها، واوصت ايضا على ضرورة التركيز على أهمية المرونة في محتوى البرامج ليستوعب كافة المتغيرات التي تطرأ على المجتمع، والاستفادة من الوسائل التقنية الحديثة في المجال الإلكتروني والتقني ومتابعة كل ما هو جديد في مجال التعلم عن بعد .

الكلمات المفتاحية: التعلم عن بعد – التعلم الإلكتروني – البرامج المشتركة

RESEARCH ARTICLE**THE EFFECTIVENESS OF DISTANCE LEARNING IN JOINT PROGRAMS
AT KING KHALID UNIVERSITY**Fist Author¹Second Author²¹ Project manager – Joint programs - King Khalid University**Accepted at 16/11/2020****Published at 01/12/2020****Abstract**

The study aimed to verify the effectiveness of using distance learning in the joints program at King Khalid university to achieve the aims of this study the researcher used electronic questionnaire to get the attitudes of (74) faculty members at King Khalid University, and the data was collected through a questionnaire, the results of which were distributed and analyzed.

The results of the study came to the estimates of faculty members, as it confirmed the availability of means and techniques in the distance education system, as the arithmetic average of their estimates was (2,696), as well as the availability of electronic content in the distance education system, where the arithmetic average of their estimates was (2.573). On the effectiveness of teaching in the distance education system, as the arithmetic mean of the sample estimates was (2.405), The results confirmed the availability of interactivity in the distance education system, as the arithmetic mean of their estimates was (2.722), and the results indicated the suitability of evaluation methods in the distance education system, as the arithmetic mean of its estimates of the study sample reached (2.505).

The study recommended the necessity of expanding the use of distance education in preparing and training university education teachers, and paying attention to developing a distance education program in the field of teacher preparation and training, as well as the need to focus the objectives of the distance education program on self-learning and motivate students to research and investigate information, and pay attention to preparing and training teachers. And producers of electronic content remotely through preparation and training programs inside and outside the Kingdom, and also recommended the need to focus on the importance of flexibility in the content of the programs to accommodate all the changes that occur to society, take advantage of modern technical means in the electronic and technical field and follow up everything new in the field of learning Remotely.

Key Words: distance learning - e-learning - joint programs

مقدمة:

بعد اصبح التعلم عن بعد هو المحور الاساسي للتعلم في الجامعات والمدارس في ظل جائحة كورونا. اصبح من الضروري دراسة فعالية التعلم الالكتروني (التعلم عن بعد) وما يواجهه من تحديات للوصول الى مخرجات ترتقي للاهداف المطلوبة من عملية التعلم.

ويواجه التعليم العالي في عصر الثورة المعرفية تحديات مختلفة نتيجة الإنجازات الهائلة في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التي أدت إلى تلاشي الحدود بين الدول وجعل العالم قرية صغيرة في ظل العولمة والانفتاح الاقتصادي.

والحديث عن تطوير التعليم لا يتوقف لاقتناع الحكومات والشعوب معاً أن النهضة الحقيقية في أي بلد لا يأتي إلا بنهضة تعليمية حقيقية فالتعليم الجيد يؤدي إلى استثمار جيد ونهضة كبيرة لذا بدأت الحكومات تفكر في تغيير الأنظمة التعليمية والتحول من التعليم التقليدي القائم على التعلم كمصدر أساسي ووحيد للمعلومات إلى تعليم إلكتروني المعلم فيه مساعد ومكمل.

ولقد طرأت مؤخراً تغييرات واسعة على مجال التعليم. وبدأ سوق العمل، من خلال حاجاته لمهارات ومؤهلات جديدة يفرض توجهات واختصاصات مستحدثة تلبي حاجات الاقتصاد الجديد. لذا فإن المناهج التعليمية خضعت هي الأخرى لإعادة نظر لتواكب المتطلبات الحديثة والتقنيات المتاحة، مثل التعليم الإلكتروني والتعليم المباشر الذي يعتمد على الإنترنت. لكن مجال التعليم الإلكتروني وحلوله لن تكون ناجحة إذا افتقرت لعوامل أساسية من عناصر تتوفر في التعليم التقليدي الحالي، فهذا الأخير يحقق الكثير من المهام بصورة غير مباشرة أو غير مرئية بالنسبة لعابر السبيل الذي يرى أن تقنية الإنترنت ستقلب كل الموازين بدون الإطلاع على كنه العملية التربوية بصورة عميقة. حيث يشكل دوام الطلاب للمدارس وحضورهم الجماعي أمراً هاماً يغرس قيماً تربوية بصورة غير مباشرة ويعزز أهمية العمل المشترك كفريق واحد.

وتوجد عدة نماذج لتوظيف التعليم عن بعد في عمليتي التعليم والتعلم منها النموذج المساعد Supplementary حيث يوظف التعليم عن بعد جزئياً لمساعدة التعليم التقليدي، كما يوجد التعليم الإلكتروني المدمج Blended e-Learning وفيه يوظف التعليم عن بعد مدمجاً مع التعليم التقليدي، حيث يتشاركاً معاً في إنجاز عملية التعلم وهنا يكون التعليم والتعلم موجهاً من قبل المعلم Instructor led learning .

وبما ان البرامج المشتركة تتعامل مع الطلبة في السنة الجامعية الاولى وهي بالنسبة لهم نقطه انتقال من الحياة المدرسية الى الجامعية فلا بد من دراسة فعالية التعلم عن بعد للتأكد من أن هذ الفئة المهمة من الطلبة تتلقى تعليمها على أكمل وجه للوصول بهم الى مخرجات تعليمية ترتقي الى المستوى المطلوب وتحاكي الاهداف التي تسعى لها البرامج المشتركة في جامعه الملك خالد .

مشكلة البحث:

بعد ان اصبح التعلم عن بعد هو الركيزة الاساسية للتعليم الجامعي في ظل جائحة كورونا اصبح من الضروري دراسة ما يواجه هذا التعلم من تحديات وعقبات والوقوف على التحديات التي تواجه المدرسين والطلبة من وجهة نظرأعضاء هيئة التدريس , للوقوف على احتياجات الطلبة في البرامج المشتركة في جامعه الملك خالد في مجال التعلم عن بعد .

محددات الدراسة:

تحددت هذه الدراسة في البرامج المشتركة بجامعة الملك خالد وتقتصر نتائجها فيما يتعلق بالجوانب والتحديات الالكترونية في

حدود جامعه الملك خالد وطلبتها.

الهدف من الدراسة:

تتلخص اهداف هذه الدراسة فيما يلي :

1. دراسة مدى فعالية التعلم عن بعد في برنامج السنة التحضيرية في جامعه الملك خالد.
2. الوقوف على التحديات التي تواجه المدرسين والطلبة في استخدام التقنيات الخاصه بالتعلم عن بعد في .
3. تقديم النصائح اللازمه من خلال نتائج الدراسة لتطوير ما يمكن تطويره في نظام التعلم عن بعد في جامعه الملك خالد.
4. الوقوف على مدى فعالية ادوات التقييم الالكتروني المتوفرة في جامعه الملك خالد من وجهة نظر اعضاء هيئة التدريس.
5. الخروج بتوصيات تخدم الباحثين في مجال التعلم عن بعد في المستقبل .

أسئلة الدراسة:

1. ما مدى توافر الوسائل والتقنيات اللازمة لعملية التعلم عن بعد في جامعه الملك خالد من وجهة نظر اعضاء هيئة التدريس؟
2. ما مدى توافر معايير المحتوى الالكتروني لعملية التعلم عن بعد في جامعه الملك خالد من وجهة نظر اعضاء هيئة التدريس؟
3. ما مدى فعالية التعلم المقدم للطلبة عن بعد من وجهة نظر اعضاء هيئة التدريس؟
4. ما مدى توافر التفاعلية في التعلم المقدم للطلبة عن بعد من وجهة نظر اعضاء هيئة التدريس؟
5. ما مدى ملائمة اساليب التقييم المتوفرة الكترونيا في جامعه الملك خالد من وجهة نظر اعضاء هيئة التدريس؟

الإطار النظري: التعليم عن بعد:

مفهوم وتعريف التعليم عن بعد:

يعني التعليم عن بعد انفصال المعلم عن المتعلم ، وتكمن أهميته في أنه أحد الخيارات الناجحة لتوفير فرص التعليم العالي لمن فاتهم الالتحاق بمؤسسات التعليم العالي التقليدية، ولا يتطلب هذا النوع من التعليم التعليم عن بعد التحاق الطالب وانتظامه في الدراسة، وإنما ينتقل التعليم عن بعد إلى الطلبة في أماكن سكنهم ومواقع إقامتهم وعملهم.

تعددت التعريفات حول مفهوم التعليم عن بعد؛ نتيجة الإهتمامات التربويين والمختصين باعتباره النظام الرائد في مجال التعليم المعاصر في جميع أنحاء العالم. ومن بين هذه التعريفات تعريف (الحيلة، 2001)، بأنه: (مصطلح يتضمن عدد كبير من استراتيجيات التعليم والتعلم التي منها الدراسة عن بعد المستقلة في مستوى التعليم العالي).

أما (حمدان، 1988)، عرفه بأنه: (عملية تعليمية يتولى التعليم في جزء هام منها شخص يكون بعيدا عن الدارس من حيث

الزمان والمكان).

أما تعريف نظام التعليم عن بعد، فقد تعددت أيضا تعريفاته بناء على تعدد أغراضه ، حيث أشار (شمو، 2004) ، إلى مجموعة من التعريفات أبرزها تعريف المركز الأمريكي لدراسات التعليم عن بعد؛ حيث عرفه مور (moore) مدير المركز الأمريكي لدراسات التعليم عن بعد بأنه: (تعليم مبرمج يتم في مكان غير مكان التدريس و بالتالي يحتاج إلى طرق خاصة من التعليم والتصميم وسبل خاصة للاتصالات بالتقنية الالكترونية والتقنيات الأخرى بالإضافة إلى هياكل تنظيمية وإدارية خاصة.

يلاحظ الباحث من خلال التعريفات المختلفة لنظام التعليم عن بعد بأنه نظام يتطلب الأخذ بالتكنولوجيا الحديثة (أجهزة ، معدات ، أساليب) للقضاء على الشقة بين المعلم و المتعلم؛ والتي هي الأساس الذي يقوم عليه نظام التعليم عن بعد.

أنماط التعليم عن بعد:

تتطور أنماط التعليم عن بعد وتتعاقد أجياله بتطور وسائل نقل المعلومات المستخدمة فيه كما يوضح الجدول التالي:

الجيل الأول	الجيل الثاني	الجيل الثالث	الجيل الرابع
التعليم بالمراسلة عن طريق المطبوعات فقط	التعليم باستخدام الوسائط التعليمية التالية: المطبوعات و الوسائل السمعية و الوسائل البصرية والوسائل السمع بصرية وبرامج الكمبيوتر	التواصل بين المعلم والمتعلمين سمعيا وكتابيا وبث المادة حية عن طريق البث الإذاعي أو البث التلفزيوني	الأقراص المدمجة والمكتبات الالكترونية والوسائل المتعددة والانترنت كصدر أساسي للمعلومات

جدول رقم (1) تطور أجيال التعليم عن بعد (مصطفى عبد السميع وسهير حوالة ، ص 34)

نلاحظ أن الجيل الرابع من أنماط التعليم عن بعد يتمتع بأفضل مواصفات التكنولوجيا المعلومات والاتصالات التي أدت إلى اتساع القاعدة الجماهيرية المستخدمة لهذا النوع من التعليم.

التقنيات المستخدمة في نظام التعليم عن بعد:

أشار (علي، 2006)، إلى أنه يمكن تقسيم التقنيات المستخدمة في التعليم عن بعد بتصنيفها حسب المجموعات التالية:

أ/ المطبوعات **Printed**: المطبوعات عنصر رئيس من عناصر التعليم عن بعد ، كما أنها تعتبر الأصل الذي تعتمد عليه الأنواع الأخرى من التقنيات ويتم استخدام المطبوعات كمصدر أساسي للمعلومات كما هو الحال في معظم الجامعات المفتوحة ومعاهد التعليم عن بعد ويتم توصيلها بالبريد الإلكتروني أو البريد العادي أو الفاكس.

ب/ الصوتيات **Audio**: الصوتيات يمكن أن تكون في أبسط أنواعها جهاز هاتف مع إمكانية البريد الصوتي Voice Mail كما يمكن أن تكون معقدة على هيئة مؤتمرات صوتية مع أجهزة مايكروفون و سماعات وجسور هواتف.

ج/ المرئيات وتقنيات الفيديو **Video Technology**: يمكن تصنيف تقنيات الفيديو في التعليم عن بعد حسب وسيلة الإرسال (البث) المستخدم فيها فمنها أشرطة الفيديو والبث التلفزيوني وتلفزيون الكوابل والحوايب والأقمار الاصطناعية

د/ تقنيات الحواسيب: **Computer Technology** أن التطور الهائل في مقدرات الحاسوب في معالجة المعلومات وقدرات التخزين بالإضافة لانخفاض أسعار الحواسيب وملحقاتها جعلها من أهم الأدوات في التغلب على عامل المكان والزمان وتوصيل المعلومة للدارس بطريقة أكثر كفاءة

ه/ شبكات الحواسيب **computer networks**: أن استخدام شبكات الحواسيب سواء كانت شبكة محلية (LAN) أو شبكات المنطقة الواسعة (WAN) أو شبكات عالمية، مثل الانترنت أحدث ثورة ونقله كبيرة في التعليم عن بعد، وأصبحت شبكة الانترنت هي الوسيلة المفضلة لدى معظم المعاهد والجامعات التي تقدم التعلم عن بعد. كنمط مساند للتعليم التقليدي أو كنمط تعليمي قائم بذاته

مزايا التعليم عن بعد:

أشار (عبدالرؤوف، 2005)، إلى أن مزايا التعليم عن بعد تتمثل في الآتي:

1. التحرر من قيود المكان والزمان، وتنفيذ النظام في أي مكان به دارسين.
2. مميزات للمعلمين تتمثل في الاهتمام بالتعليم أكثر من التدريس؛ حيث يحزر النظام المعلمين من القيود بسبب تحررهم من الأعمال الإدارية والأدوار التقليدية. كما أشار المميزات تتصل بالمتعلمين بالنواحي التالية
 - 1- المسؤولية: حيث يضع النظام مسؤولية كبرى للتعليم على المتعلم.
 - 2- الاختيار: حيث تتسع فرص الاختيار، أما التعلم في المقررات الدراسية أو طرق التعليم.
 - 3- التفرد: حيث تزداد فرص مراعاة الفروق الفردية وتفرد التعليم.
 - 4- الخطر الذاتي: حيث يسمح النظام الطالب بالبدء والتوقف بما يتفق وإمكانياته ورغباته.
 - 5- التقويم: حيث يقوم التحصيل بوسائل متنوعة

الأهداف العامة للتعليم عن بعد:

1. يستند أسلوب التعليم عن بعد بصفة عامة إلى مجموعة من الأهداف المحددة، وهي:
2. تحسين المناخ العام للتعلم بصورة مستمرة.
3. تزويد المتعلمين بالخبرات المختلفة.
4. تمكين المتعلمين من الإلمام بكل ما هو جديد في ظل التقدم التكنولوجي السريع.
5. إتاحة فرصة تعميق التخصص وتعديل المهن وفق التغير والتعديل الحادث في المجتمع
6. توفير فرص التعليم المستمر، ورفع مستواهم العلمي والمهني.
7. تحقيق الرضا للمتعلمين.
8. إعادة تشكيل التعليم والتربية الخاصة بالمعلمين.
9. توظيف تكنولوجيا التعليم وتقنيات التعليم في مجال التعلم.

10. تغيير و تعديل دور المعلم والمتعلم؛ فالمتعلم أصبح إيجابية متفاعلا، والمعلم أصبح مرشدا موجها.
 11. تطوير وتنمية المهارات وتعديل الاتجاهات بصفة مستمرة، بما يعود بالنفع على الفرد والمؤسسة التي يعمل بها.
 12. توفير فرص التعليم لأكبر عدد من المتعلمين؛ خاصة الفئات البعيدة المحرومة التي يصعب عليها الانتقال لتلقى التعليم التقليدي.
 13. تخفيف الضغط على المؤسسات التعليمية؛ خاصة في ظل التزايد الواضح في أعداد المتعلمين.
 14. تمكين المتعلمين من معرفة كل ما هو جديد في مجال تخصصهم؛ في ظل التقدم السريع في جميع المجالات وخاصة في مجال تكنولوجيا التعليم.
 15. تزويد المتعلمين بالخبرات التي تساعد على تكوين اتجاهات إيجابية نحو أعمالهم ورضاهم عن أنفسهم.
 16. توفير فرص التعليم المستمر عن بعد؛ لتمكين المتعلمين من تلقي التعليم في المكان المناسب و الوقت الملائم؛ بما يمكنهم من تحديث مهاراتهم ورفع مستواهم العلمي والمهني.
 17. توظيف إمكانات تكنولوجيا الاتصالات في خدمة عمليات التعليم التربوي؛ وذلك بتوظيف تكنولوجيا التعليم ومستحدثاتها في تقديم برامج التعليم عن بعد أثناء الخدمة.
- نستنتج من العرض السابق أن التعليم عن بعد يشق أهدافه من خصائصه وفوائده، فهو أسلوب تعليمي متجدد، يوظف إمكاناته لتوفير أفضل فرص للتعليم، يتغلب على معظم معوقات برامج التعليم التقليدية، وكل ذلك يدعو إلى البحث عن مبادئ التعليم عن بعد.

مبادئ التعلم عن بعد:

يقوم التعلم عن بعد على أساس مبادئ راسخة للتعليم والتعلم المستمرين؛ فهو يؤكد على مبدأ التعليم المستمر مدى الحياة؛ منطلقا من أسس هادفة مستمدة من البحوث والدراسات والتحليلات الاجتماعية والرؤى الفلسفية. أن الفلسفة الأساسية لأسلوب التعليم عن بعد تقوم على أساس تقديم التعليم الدائم والمستمر للمتعلمين؛ لتمكينهم من كل ما هو جديد في مجال عملهم، مستخدما الذاتية الفردية في الحصول على هذا التعليم؛ بحيث يتحكم كل متعلم في عملية تعليمه وفق قدراته ومهاراته، والسير في التعليم وفق سرعته واستيعابه. ويقوم أسلوب التعليم عن بعد على مبادئ عامة يمكن عرضها فيما يلي:

التعليم المستمر: يقوم التعليم من بعد على الاستمرار دون انقطاع؛ من أجل تحقيق آمال المتعلم وتنمية قدراته، وتلبية احتياجاته المتجددة، وتمكينه من مواجهة مطالب التغيير، مع إتاحة الفرص الدائمة للاستزادة من التعليم المتاح باستمرار؛ دون التقيد بمكان أو زمان.

التعليم الذاتي: تقوم فلسفة التعليم عن بعد على مسلمة مؤداها أنه إذا كان كل إنسان مطالبا بأن يتحكم في ظروف حياته، وأن يطور من ذاته لتحقيق متطلباته الشخصية، وأن يكون قادرا على التعليم الذاتي بنفسه في عصر تتجدد فيه المعرفة والثقافة باستمرار، لذا فقد وضع العلم وتطبيقاته التكنولوجية في متناول الإنسان وسائط للاتصال يستطيع بواسطتها تنمية قدراته وتنقيف ذاته ومواكبة المتغيرات المجتمعية السريعة.

تفريد التعليم: ويقوم هذا الاتجاه على أساس إتاحة الفرصة لكل متعلم بمفرده والتعلم من خلال البرنامج بسرعه الخاصة؛

بحيث يتلقى المساعدة التي يحتاج إليها لتنمية قدراته، وتلعب التقنيات التعليمية دوراً أساسياً في نجاح هذا الاتجاه.

متطلبات التعليم عن بعد:

يستلزم تطبيق أسلوب التعليم عن بعد في برامج التعليم أثناء الخدمة عدداً من المتطلبات الأساسية، وبعد الإطلاع على كتابات و آراء: (باور، 1997)، (الكيلاني، 2002)، (أبو عطية، 2002)، (نشوان، 2002)، (بهنسي، 2003)، (سرحان، 2003)، (المقطري، 2003)، (الصايدى، 2003) يمكن تقديم قائمة بمتطلبات التعليم عن بعد فيما يلي:

1. توافر البنية الأساسية اللازمة والمتطلبات التكنولوجية الميسرة لنظام التعليم عن بعد.
2. الموافقة الإدارية لإنشاء وتطوير أنظمة التعليم والتعليم عن بعد.
3. إدارة وتمويل مؤسسات التعليم والتعليم عن بعد، والتي تتناول تحديد الأسلوب الإداري المناسب من القوى البشرية وكوادر مؤهلة، وتوفير نفقات إعداد برامج التعليم.
4. تقديم الدعم اللازم لنظام التعليم عن بعد؛ بتوفير مناخ تعليمي مناسب، من منطلق أن الإبداع والابتكار مطلب أساسي لتحقيق التقدم واكتساب المعرفة.
5. تبنى مؤسسات التعليم مبدأ تطوير كوادرها البشرية بصورة مستمرة.
6. قيام مراكز التعليم عن بعد بتوسيع قاعدة التعريف بأنشطتها وبرامجها لمختلف المجالات.
7. الإشراف الأكاديمي في مجال التعليم عن بعد؛ بتوفير كادر إشرافي ثابت المؤسسات التعليمية والتعليم عن بعد؛ قادراً على التعليم والتعليم المستمر.
8. تعليم العاملين في مؤسسات التعليم والتعليم عن بعد على استخدام وتشغيل التقنيات الحديثة، وبخاصة شبكات المعلومات.
9. التحديث المستمر لبرامج التعليم؛ لمجاراة التطور السريع في مجال التقنيات التعليمية الحديثة، وما يستجد من أمور فيما يتعلق باستخدامها في التعليم والتعليم.
10. تكوين منهجية التعليم عن بعد؛ وخاصة في مجال إنتاج البرامج والمواد التعليمية.

مبررات الأخذ بنظام التعليم عن بعد:

يشير كل من (عبد السمیع وحوالة، 2005)، إلى مبررات الأخذ بنظام التعليم عن بعد حيث:

- 1- أنه يرتبط بفلسفة التعليم المستمر، لمواجهة المتطلبات والحاجات.
- 2- أنه يتناسب مع التقدم العلمي السريع والتراكم المعرفي الكبير الذي نعيشه
- 3- لا يوجد تأثير سلبي على مخرجات التعليم أو التحصيل العلمي للذين تلقوا تعليمهم عن بعد وبين أقرانهم في التعليم النظامي
- 4- الأخذ بديمقراطية التعليم لتحقيق تكافؤ الفرص التعليمية.

المعوقات والمشكلات التي تواجه التعليم عن بعد:

حيث يشير (شمو، 2004)، إلى أن أهم المشكلات والمعوقات التي تواجه التعليم عن بعد تتمثل في الآتي:

1. المدى الذي يستطيع فيه الطالب أن يتمكن من الحصول على الوسيلة واستخدامها.
2. مدى خبرة الأستاذ في استخدام الوسائل المتعددة في تصميم المقررات.
3. المقدرة البحثية للمؤسسة التعليمية.
4. البنية الأساسية للاتصالات المحلية والدولية المساندة للوسيلة.
5. عدم وجود الاعتمادات المالية لتطوير البحث في التعليم عن بعد.
6. عجز الاتصال بين الطلبة والمعلمين وعدم المواظبة والانسحاب.
7. ويضيف (إسكندر، 1990)، العجز في الاتصال بمنظمات أخرى نظيرة للتعليم عن بعد.

الدراسات السابقة:

وقد أجرى عدد من البحوث والدراسات حول فعاليات التعلم الإلكتروني؛ وذلك لاستكشاف جدوى هذا النوع من التعلم، ومن ثم الاستفادة من نتائج تلك البحوث والدراسات في صنع القرارات المتعلقة بالتعلم الإلكتروني وتبنيه في مجال التعليم، حيث أشارت نتائج دراسات كل من ((Fox, Ross, 2000), (2001), و(Gunnarsson, 2001)، و(Spencer, 2001)، و(حسين، 2002)، و(الفار، 2002)، و(عبدالعزیز، 2005)، إلى ارتفاع تحصيل الطلاب الذين درسوا مقررات عبر الانترنت مقارنة بالطلاب الذين درسوا المقررات نفسها بالطريقة التقليدية، بالإضافة إلى زيادة التعاون والتفاعل بين الطلاب الذين تعلموا من خلال المقررات التي قدمت عبر الانترنت.

كما لم تقتصر الدراسات فقط على تنمية التحصيل، بل سعت بعض الدراسات لتنمية مهارات التفكير من خلال التعلم الإلكتروني، حيث أجريت بعض الدراسات حول فعاليات التعلم القائم على الانترنت في تنمية التفكير الناقد، حيث استهدفت دراسة (Lan, 1999)، التعرف على تأثير التعليم القائم على الانترنت على الطلاب المعلمين قبل الخدمة، وذلك من خلال تصميم مقررين عبر الانترنت في الإحصاء، أحدهما للطلاب قبل التخرج والآخر لطلاب الدراسات العليا، وقد أشارت النتائج إلى نمو المهارات المعرفية للطلاب، وكذلك مهارات التفكير الناقد، كما مكنت التكنولوجيا الطلاب من الإسهام بفاعلية في بناء المعرفة.

كما استهدفت دراسة (Miller, 2000) بحث فاعلية مقرر في البيولوجي مصمم عبر الانترنت في تنمية مهارات التفكير الناقد، وقد أسفرت النتائج عن أن المقرر كان فعالاً في تنمية مهارات التفكير الناقد.

واستهدفت دراسة (الباع، 2006)، الكشف عن فاعلية تصميم مقرر عبر الانترنت من منظورين مختلفين (الموضوعية والبنائية) في تنمية كل من التحصيل والتفكير الناقد لدى طلاب كلية التربية جامعة الإسكندرية، وأظهرت نتائج الدراسة فاعلية المقرر المصمم عبر الانترنت من المنظورين المختلفين في تنمية متغيرات البحث المشار إليها، كما أوصى بضرورة اهتمام كليات التربية بتقديم التعلم الإلكتروني ضمن برامج إعدادها، وتشجيع طلابها المعلمين على تصميم مواقع ويب تعليمية مختلفة لبعض المقررات كل من مجال تخصصه.

منهج البحث:

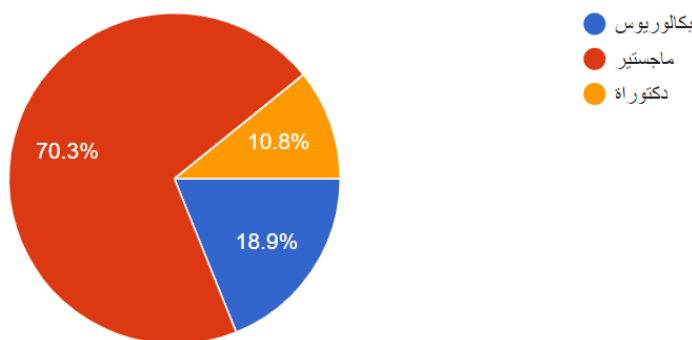
من أجل الإجابة عن أسئلة البحث سوف يتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج النوعي والمنهج الكمي وسوف يستخدم الباحث الطريقة التحليلية الوصفية في الوصول الى مدى فاعلية التعلم عن بعد في البرامج المشتركة بجامعة الملك خالد وذلك من خلال تحليل الأدب النظري والدراسات السابقة ومن ثم إجراء مقابلات مع أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات.

مجتمع البحث:

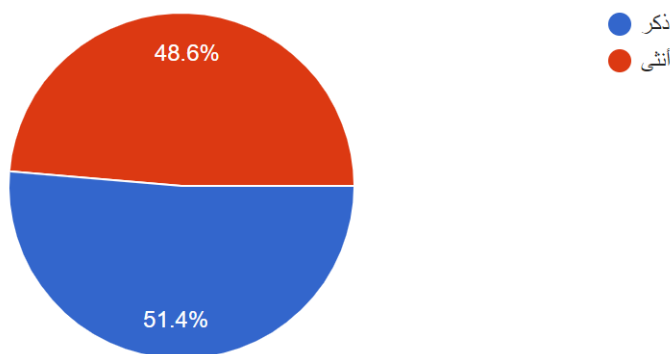
تكون مجتمع الدراسة من أعضاء هيئة التدريس في الجامعة وذلك من أجل التوصل الى مدى فاعلية التعلم الإلكتروني في البرامج المشتركة بجامعة الملك خالد.

عينة البحث:

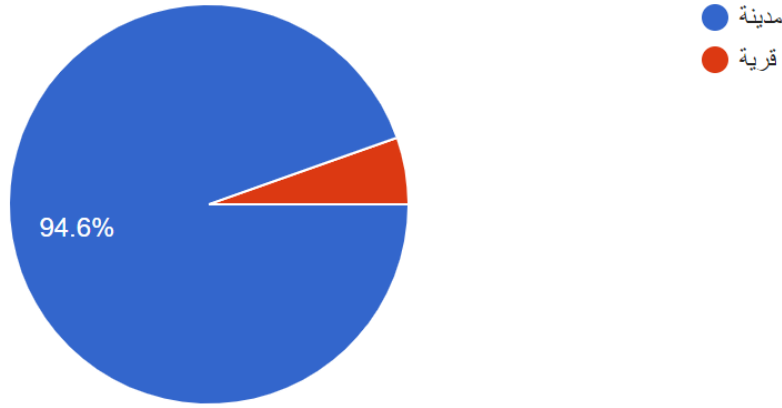
تكونت عينة البحث من عدد (74) عضو من أعضاء هيئة التدريس في جامعة الملك خالد وتم جمع البيانات عن طريق رابط استبيان تم توزيعه وجمع نتائجه وتحليلها.



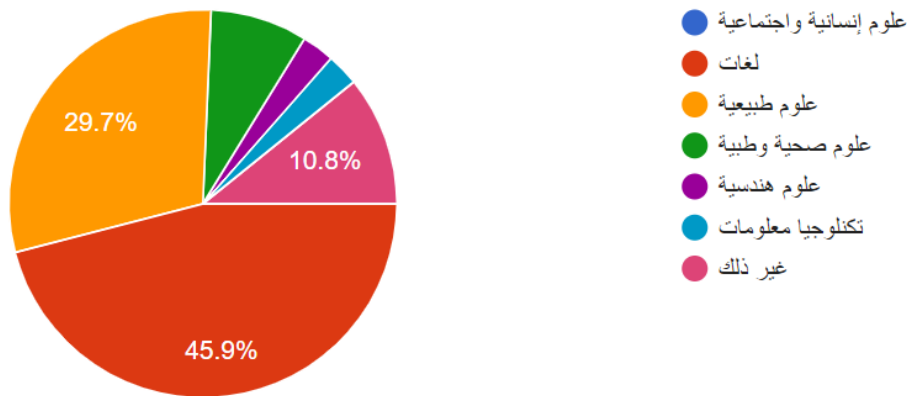
شكل (1) توزيع عينة الدراسة حسب المؤهل العلمي



شكل (2) توزيع عينة الدراسة حسب الجنس



شكل (3) توزيع عينة الدراسة حسب مكان السكن



شكل (4) توزيع عينة الدراسة حسب التخصص

أداة الدراسة:

إعداد إستبانة عن مدى فاعلية التعلم عن بعد في برنامج السنة التحضيرية بجامعة الملك خالد:

من خلال مراجعة الباحث أسئلة الدراسة وأهدافها وحسب المنهجية العلمية المتبعة اعتمدت الدراسة على الاستبانة لجمع ما يمكن أن يضعه خبراء الدراسة من توقعات ومن ثم استجابات حول مدى فاعلية التعلم عن بعد في البرامج المشتركة بجامعة الملك خالد، وقد تم استخدام المصادر الآتية في بناء أداة الدراسة:

المصدر الأول: البحوث والدراسات في مجال التعليم عن بعد والتعليم الإلكتروني واستخدام الحاسوب والانترنت في التعليم و توظيف تقنية المعلومات والاتصالات في التعليم.

المصدر الثاني: إجابة الخبراء على أسئلة مفتوحة حول محاور الدراسة والتي يمكن تمثله في الجولة الأولى الأستطلاعية.

المصدر الثالث: المقابلات الشخصية و والأخذ برأي الخبراء.

بعد الاطلاع على أدبيات الدراسة في مجال التعليم عن بعد والتعليم الإلكتروني واستخدام تقنية الاتصالات والمعلومات في التعليم واستراتيجيات التدريس والتعليم الإلكتروني والاطلاع على نتائج البحوث ودراسات حول التعليم الإلكتروني واستخدامات الإنترنت في التعليم بالإضافة الى الاطلاع على تجارب الدول المتقدمة العالمية والعربية والتجارب المحلية في مجال التعلم عن بعد . ومن هذه الدراسات والأبحاث التي أجريت في المعايير البنائية لتصميم مواقع للتعليم عن بعد (الدالعة وآخرون، 2019)؛

(أبو قرص، 2019)؛ (علام وآخرون، 2017)؛ (آل ملوذ، والشرييني، 2015)؛ (بدوي، 2014)؛ (كرم الله، 2014)؛ (يحيى، 2013).

وقد تم بناء استبانة مدى فاعلية التعلم عن بعد في البرامج المشتركة بجامعة الملك خالد على النحو التالي:

م	المجالات	الفقرات
1	المجال الأول: الوسائل والتقنيات	4
2	المجال الثاني: المحتوى الإلكتروني	5
3	المجال الثالث: فاعلية التدريس	5
4	المجال الرابع: التفاعلية	4
5	المجال الخامس: التقييم	3
إجمالي	5	21

جدول (1) ملخص استبانة مدى فاعلية التعلم الإلكتروني في برنامج السنة التحضيرية بجامعة الملك خالد

قياس صدق الاستبانة:

تم التحقق من الصدق الظاهري (صدق المحكمين) لأداة الدراسة من خلال عرض الاستبانة على الخبراء بصفتهم محكمين والذين تم اختيارهم من أعضاء هيئة التدريس وخاصة من له سابق خبره في البحوث والإشراف على الرسائل الجامعية وطلب منهم ابداء الرأي نحو مدى قياس عبارات أداة الدراسة لما وضعت لأجله ومدى انتماء كل عبارته للمحور الذي تنتمي إليه وإدخال أي تعديلات بالحذف أو إعادة الصياغة العبارات أداة الدراسة.

وقد تم حساب نسب الاتفاق والوزن النسبي لكل عبارة من عبارة أداة الدراسة وقام الباحث بحذف العبارات التي حصلت على وزن نسبي أقل من (0.8) أي نسبة اتفاق (80%)، وأصبح أقل وزن نسبي لفقرات الاختبار هو (0.823) وكانت أكبر نسبة اتفاق في فقرات القائمة هي (1.00)، وقد أجريت التعديلات اللازمة التي أشار إليها الخبراء لتصبح الأداة أكثر شمولاً وواقعية لتصبح الأداة بعد التأكد من الصدق الظاهري لأداة الدراسة، من خمس مجالات رئيسية وتتكون من (21) عبارته وتمثل هذه العبارات مجموعة محاور الاستبانة المقترحة التي طرحت على أفراد عينة الدراسة من الخبراء المشاركين في الدراسة.

قياس ثبات الاستبانة:

للتحقق من ثبات الاستبانة تم حساب معامل الاتساق الداخلي باستخدام معادلة ألفا كرونباخ وقد جاءت نتائج المعادلة وفق

الجدول التالي:

م	المجالات	الاتساق الداخلي
1	المجال الأول: الوسائل والتقنيات	0.88
2	المجال الثاني: المحتوى الإلكتروني	0.9
3	المجال الثالث: فاعلية التدريس	0.92
4	المجال الرابع: التفاعلية	0.87
5	المجال الخامس: التقييم	0.91

جدول (2) حساب درجات الاتساق الداخلي لمجالات الاستبانة

إجراءات الدراسة:

- الحصول على كتاب تسهيل مهمة من البرامج المشتركة بجامعة الملك خالد وذلك من أجل تسهيل مهمة الباحث في إجراء الدراسة الفعلية الاجرائية.
- تحديد الخبراء في هذه الدراسة.
- بناء استبانة مدى فاعلية التعلم الإلكتروني في برنامج السنة التحضيرية بجامعة الملك خالد.
- تعديل فقرات الاستبانة من حذف أو إضافة أو تعديل من خلال عرضها على المحكمين في المراحل للتوصل إلى الصورة النهائية.
- جمع البيانات واعتماد استبانة المعايير.
- توزيعها على عينة الدراسة.
- جمع البيانات.
- ادخالها إلى البرنامج الإحصائي SPSS الحصول على النتائج.
- مناقشة النتائج والوصول الى التعميمات والتوصيات.

نتائج الدراسة ومناقشتها:

تم توزيع الاستبانة على عينة الدراسة لإبداء أهمية كل فقرة من فقرات القائمة وفق بعض الاختيارات (أوافق - محايد - لا أوافق) وكان توزيع الدرجات على التوالي كالتالي (3-2-1) وتم جمع البيانات وتحليلها إحصائياً وسيتم فيما يلي عرض نتائج أسئلة الدراسة وفق تسلسلها، بالإضافة إلى بيان المعالجات الإحصائية التي تم استخدامها للوصول إلى هذه النتائج.

السؤال الأول: ما مدى توافر الوسائل والتقنيات اللازمة لعملية التعلم عن بعد في جامعة الملك خالد من وجهة نظر أعضاء

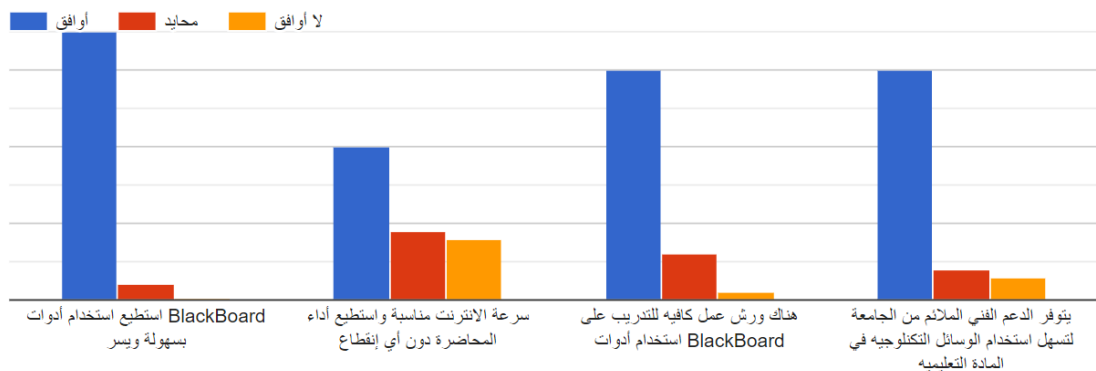
هيئة التدريس؟

للإجابة عن هذا السؤال تم احتساب المتوسط الحسابي، والانحراف المعياري لأعضاء هيئة التدريس عينة الدراسة على مجالات الاستبانة التي تقيس درجة توافر (الوسائل والتقنيات) في التعليم عن بعد، وكذلك حساب الوزن النسبي لكل فقرة من وجهة نظر المحكمين. وكانت النتائج كما في الجدول التالي:

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الوزن النسبي	ال فقرات
0.22612433	2.94594595	استطيع استخدام أدوات BlackBoard بسهولة ويسر	1
0.8071992	2.3243243	سرعة الانترنت مناسبة واستطيع أداء المحاضرة دون أي إنقطاع	2
0.4727799	2.7837838	هناك ورش عمل كافي للتدريب على استخدام أدوات BlackBoard	3
0.5994885	2.7297297	يتوفر الدعم الفني الملائم من الجامعة لتسهيل استخدام الوسائل التكنولوجية في المادة التعليمية	4
0.61240049	2.69594595	درجة توافر الوسائل والتقنيات	

جدول (3) المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لفقرات (توافر الوسائل والتقنيات)

يتبين من النتائج في الجدول السابق أن تقديرات أعضاء هيئة التدريس أكدت من توافر الوسائل والتقنيات في نظام التعليم عن بعد، حيث بلغ المتوسط الحسابي لتقديراتهم (2.696) وبانحراف معياري (0.612) وبالنسبة للفقرات فقد حلت الفقرة (1) "استطيع استخدام أدوات Blackboard بسهولة ويسر" بالترتيب الأول، وبمتوسط حسابي (2.946) وانحراف معياري (0.226)، وجاءت الفقرة (2) "سرعة الانترنت مناسبة واستطيع أداء المحاضرة دون أي إنقطاع" بالترتيب الأخير بمتوسط حسابي (2.324) وانحراف معياري (0.807)، لذا يرى الباحث بأن سرعة الإنترنت غير كافية مما قد يسبب عائقاً في نظام التعليم عن بعد داخل المؤسسة، ويوضح الشكل التالي نسب استجابات عينة الدراسة على فقرات (درجة توافر الوسائل والتقنيات).



شكل (5) استجابات عينة الدراسة على فقرات (توافر الوسائل والتقنيات)

السؤال الثاني: ما مدى توافر معايير المحتوى الإلكتروني لعملية التعلم عن بعد في جامعة الملك خالد من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس ؟

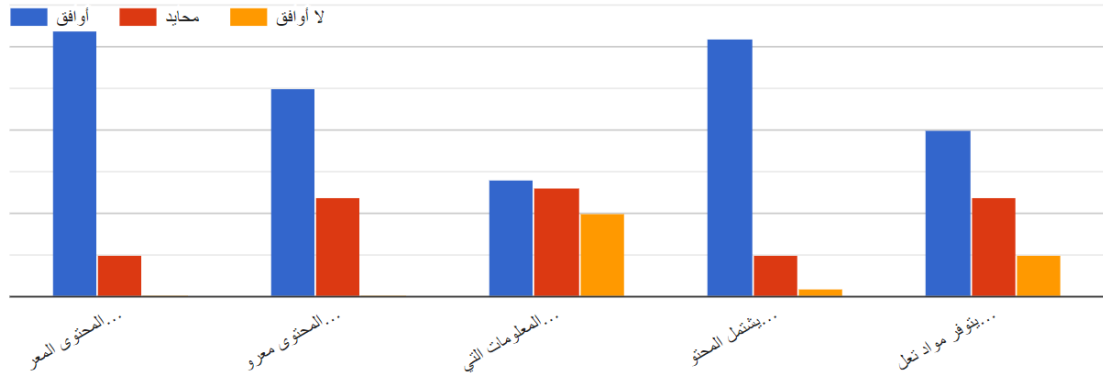
للإجابة عن هذا السؤال تم احتساب المتوسط الحسابي، والانحراف المعياري لأعضاء هيئة التدريس عينة الدراسة على مجالات الاستبانة التي تقيس درجة توافر (المحتوى الإلكتروني) في التعلم عن بعد، وكذلك حساب الوزن النسبي لكل فقرة من وجهة نظر المحكمين. وكانت النتائج كما في الجدول التالي:

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الوزن النسبي	الفقرات
0.34186785 5	2.8648649		5 المحتوى المعروض إلكترونياً للمادة العلمية شامل ووافي
0.46812184	2.67567567 6		6 المحتوى معروض إلكترونياً بطريقه شيقة وغير مملة
0.79809854 4	2.10810810 8		7 المعلومات التي يحصل عليها الطالب من المادة العلمية الإلكترونية تساوي تلك التي نحصل عليها بالطريقة التقليدية
0.45546755 5	2.81081081 1		8 يشتمل المحتوى على تمارين وواجبات تساعد الطالب على التعلم
0.71506792 2	2.40540540 5		9 يتوفر مواد تعليمية إلكترونية مساندة للمنهج الإلكتروني المعتمد على Blackboard
0.6471319 46	2.5729729 73		درجة توافر المحتوى الإلكتروني

جدول (4) المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لفقرات (توافر المحتوى الإلكتروني)

يتبين من النتائج في الجدول السابق أن تقديرات أعضاء هيئة التدريس أكدت من توافر المحتوى الإلكتروني في نظام التعليم عن بعد، حيث بلغ المتوسط الحسابي لتقديراتهم (2.573) وانحراف معياري (0.641) وبالنسبة للفقرات فقد حلت الفقرة (8) "يشتمل المحتوى على تمارين وواجبات تساعد الطالب على التعلم" بالترتيب الأول، وبمتوسط حسابي (2.811) وانحراف معياري (0.455)، وجاءت الفقرة (7) "المعلومات التي يحصل عليها الطالب من المادة العلمية الإلكترونية تساوي تلك التي نحصل عليها بالطريقة التقليدية" بالترتيب الأخير بمتوسط حسابي (2.108) وانحراف معياري (0.798)، ويرجع الباحث هذه النتيجة إلى عدم وجود تواصل جيد بين المعلم والطلاب وكذلك قد يكون المقررات العملية يصعب تدريسها عن بعد مما يؤدي انخفاض مستوى الطلاب في الجوانب

العملية، ويوضح الشكل التالي نسب استجابات عينة الدراسة على فقرات (درجة توافر المحتوى الإلكتروني).



شكل (6) استجابات عينة الدراسة على فقرات (توافر المحتوى الإلكتروني)

السؤال الثالث: ما مدى توافر فاعلية التدريس لعملية التعلم عن بعد في جامعة الملك خالد من وجهة نظر أعضاء هيئة

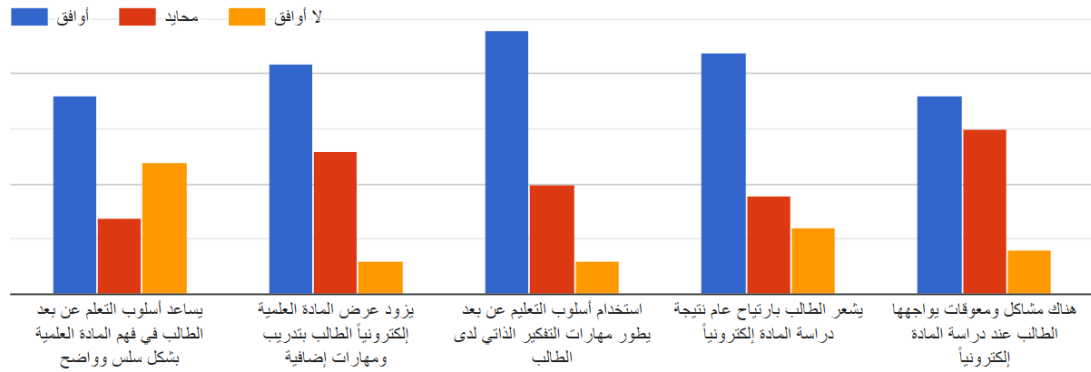
التدريس؟

للإجابة عن هذا السؤال تم احتساب المتوسط الحسابي، والانحراف المعياري لأعضاء هيئة التدريس عينة الدراسة على مجالات الاستبانة التي تقيس درجة توافر (فاعلية التدريس) بالتعليم عن بعد، وكذلك حساب الوزن النسبي لكل فقرة من وجهة نظر المحكمين. وكانت النتائج كما في الجدول التالي:

الفقرات	الوزن النسبي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
10	يساعد أسلوب التعلم عن بعد الطالب في فهم المادة العلمية بشكل سلس وواضح	2.162162162	0.885728087
11	يزود عرض المادة العلمية إلكترونياً الطالب بتدريب ومهارات إضافية	2.486486486	0.641856329
12	استخدام أسلوب التعليم عن بعد يطور مهارات التفكير الذاتي لدى الطالب	2.567567568	0.638433071
13	يشعر الطالب بارتياح عام نتيجة دراسة المادة إلكترونياً	2.432432432	0.754823786
14	هناك مشاكل ومعوقات يواجهها الطالب عند دراسة المادة إلكترونياً	2.378378378	0.671881238
	درجة توافر فاعلية التدريس	2.405405405	0.738395663

جدول (5) المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لفقرات (توافر فاعلية التدريس)

يتبين من النتائج في الجدول السابق أن تقديرات أعضاء هيئة التدريس أكدت على فاعلية التدريس في نظام التعليم عن بعد، حيث بلغ المتوسط الحسابي لتقديراتهم (2.405) وانحراف معياري (0.738) وبالنسبة للفقرات فقد حلت الفقرة (12) "استخدام أسلوب التعليم عن بعد يطور مهارات التفكير الذاتي لدى الطالب" بالترتيب الأول، وبمتوسط حسابي (2.568) وانحراف معياري (0.638)، وجاءت الفقرة (10) "يساعد أسلوب التعلم عن بعد الطالب في فهم المادة العلمية بشكل سلس وواضح" بالترتيب الأخير بمتوسط حسابي (2.162) وانحراف معياري (0.886)، لذا يرى الباحث بأن التعليم عن بعد وحده قد يكون غير كافياً من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بجامعة الملك خالد ويجب تزويد العملية التعليمية بأساليب واستراتيجيات مختلفة لدعم فاعلية العملية التعليمية، ويوضح الشكل التالي نسب استجابات عينة الدراسة على فقرات (درجة توافر فاعلية التدريس).



شكل (7) استجابات عينة الدراسة على فقرات (مدى فاعلية التدريس)

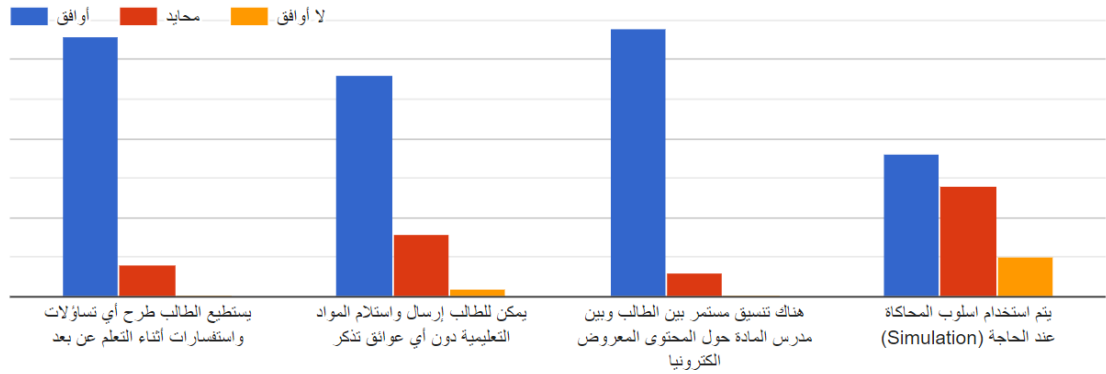
السؤال الرابع: ما مدى توافر التفاعلية في التعلم المقدم للطلبة عن بعد من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس؟

للإجابة عن هذا السؤال تم احتساب المتوسط الحسابي، والانحراف المعياري لأعضاء هيئة التدريس عينة الدراسة على مجالات الاستبانة التي تقيس درجة توافر (التفاعلية) في التعليم عن بعد، وكذلك حساب الوزن النسبي لكل فقرة من وجهة نظر المحكمين. وكانت النتائج كما في الجدول التالي:

الفقرات	الوزن النسبي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
15	يستطيع الطالب طرح أي تساؤلات واستفسارات أثناء التعلم عن بعد	2.891891892	0.3105169
16	يمكن للطالب إرسال واستلام المواد التعليمية دون أي عوائق تذكر	2.72972973	0.501276675
17	هناك تنسيق مستمر بين الطالب وبين مدرس المادة حول المحتوى المعروض إلكترونياً	2.918918919	0.272959593
18	يتم استخدام أسلوب المحاكاة (Simulation) عند الحاجة	2.351351351	0.705814317
درجة توافر التفاعلية		2.722972973	0.531335968

جدول (6) المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لفقرات (توافر التفاعلية)

يتبين من النتائج في الجدول السابق أن تقديرات أعضاء هيئة التدريس أكدت من توافر التفاعلية في نظام التعليم عن بعد، حيث بلغ المتوسط الحسابي لتقديراتهم (2.722) وانحراف معياري (0.531) وبالنسبة لل فقرات فقد كانت تقديرات أغلب أعضاء هيئة التدريس فقد حلت الفقرة (17) "هناك تنسيق مستمر بين الطالب وبين مدرس المادة حول المحتوى المعروض إلكترونياً" بالترتيب الأول، وبمتوسط حسابي (2.919) وانحراف معياري (0.272)، وجاءت الفقرة (18) "يتم استخدام اسلوب المحاكاة (Simulation) عند الحاجة" بالترتيب الأخير بمتوسط حسابي (2.351) وانحراف معياري (0.705)، لذا يرى الباحث بزيادة الاهتمام بأساليب المحاكاة والتي بدورها قد تزيد من فعالية التعلم وكذلك تزيد من التفاعلية داخل بيئة التعلم عن بعد، ويوضح الشكل التالي نسب استجابات عينة الدراسة على فقرات (درجة توافر التفاعلية).



شكل (8) استجابات عينة الدراسة على فقرات (توافر التفاعلية)

السؤال الخامس: ما مدى ملائمة اساليب التقييم المتوفرة إلكترونياً في جامعه الملك خالد من وجهة نظر أعضاء هيئة

التدريس؟

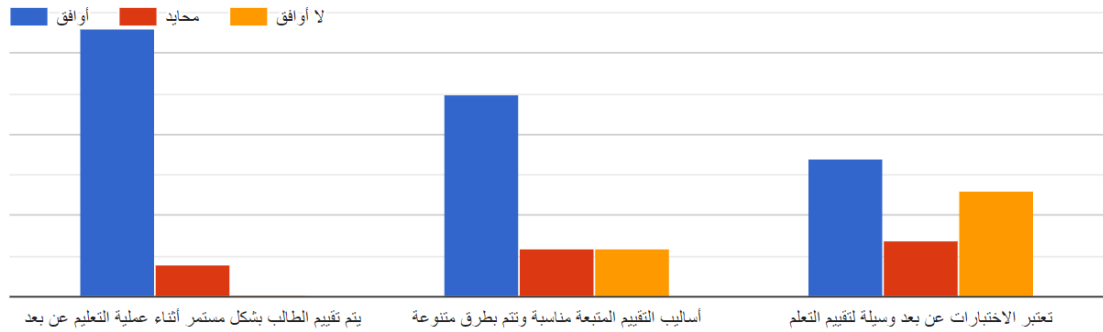
للإجابة عن هذا السؤال تم احتساب المتوسط الحسابي، والانحراف المعياري لأعضاء هيئة التدريس عينة الدراسة على مجالات الاستبانة التي تقيس درجة ملائمة (اساليب التقييم) داخل التعليم عن بعد، وكذلك حساب الوزن النسبي لكل فقرة من وجهة نظر المحكمين. وكانت النتائج كما في الجدول التالي:

الفقرات	الوزن النسبي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
19	يتم تقييم الطالب بشكل مستمر أثناء عملية التعليم عن بعد	2.891891892	0.3105169
20	أساليب التقييم المتبعة مناسبة ويتم بطرق متنوعة	2.513513514	0.757721393
21	تعتبر الاختبارات عن بعد وسيلة لتقييم التعلم	2.108108108	0.893937049
درجة ملائمة اساليب التقييم			0.771363884
			2.504504505

جدول (7) المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لفقرات (ملائمة اساليب التقييم)

يتبين من النتائج في الجدول السابق أن تقديرات أعضاء هيئة التدريس أكدت من ملائمة اساليب التقييم في نظام التعليم عن بعد، حيث بلغ المتوسط الحسابي لتقديراتهم (2.505) وانحراف معياري (0.771) وبالنسبة لل فقرات فقد كانت تقديرات أغلب

أعضاء هيئة التدريس فقد حلت الفقرة (19) "يتم تقييم الطالب بشكل مستمر أثناء عملية التعليم عن بعد" بالترتيب الأول، وبمتوسط حسابي (2.892) وانحراف معياري (0.311)، وجاءت الفقرة (21) "تعتبر الاختبارات عن بعد وسيلة لتقييم التعلم" بالترتيب الأخير بمتوسط حسابي (2.108) وانحراف معياري (0.894)، لذا يرى الباحث بأنه لا يكتفى المعلم بالاختبارات كوسيلة للتقييم ويجب اعتماد اساليب تقييم أخرى وأكثر واقعية مثل ملف الإنجاز واساليب التقييم المستمر، ويوضح الشكل التالي نسب استجابات عينة الدراسة على فقرات (ملائمة اساليب التقييم).



شكل (9) استجابات عينة الدراسة على فقرات (ملائمة اساليب التقييم)

التوصيات:

على ضوء النتائج السابقة يوصي الباحث بالاتي:

1. التوسع في استخدام التعليم عن بعد في إعداد وتدريب معلمي مرحلة التعليم الجامعي.
2. الإهتمام بتطوير برنامج التعليم عن بعد في مجال إعداد وتدريب المعلمين.
3. ضرورة تركيز أهداف برنامج التعليم عن بعد على التعلم الذاتي وتحفيز الطلبة على البحث وتقصي المعلومات.
4. الإهتمام بإعداد وتدريب المعلمين ومنتجي المحتوى الإلكتروني عن بعد من خلال برامج الإعداد والتدريب داخل المملكة وخارجها.
5. التركيز على أهمية المرونة في محتوى البرامج ليستوعب كافة المتغيرات التي تطرأ على المجتمع.
6. الإستفادة من الوسائل التقنية الحديثة في المجال الإلكتروني والتقني ومتابعة كل ما هو جديد في مجال التعلم عن بعد.
7. تطوير القدرات التقنية للطلاب التي تحول دون تعامل الطالب مع الوسائط التعليمية التقنية من خلال عقد دورات اون لاین لتعريفهم بالطريقة الأمثل لأستخدام التقنيات الحديثة .
8. ضرورة التعاون بين الجامعات المحلية والخبرات الخارجية في تطوير التعلم عن بعد.
9. الإهتمام بتصميم البرامج لتشمل الجانب النظري والعملية.
10. العمل من أجل تذليل الصعوبات والمشكلات التي تواجه برنامج التعليم عن بعد.

المراجع:

- (1) الفار، إبراهيم الوكيل (2002): فاعلية استخدام الإنترنت في تحصيل طلاب الجامعة للإحصاء الوصفي وبقاء أثر التعلم وعلاقة ذلك بالجنس، مجلة تربويات الرياضيات، الجمعية المصرية لتربويات الرياضيات، كلية التربية، ببها، جامعة الزقازيق، المجلد (5)، يوليو.
- (2) الرشيدي، أحمد كامل (1998): بحوث ودراسات تربوي في الميزان، مصر، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، الطبعة الأولى.
- (3) علي، إدريس أحمد (1997): تقنية الحاسب الآلي - أساسيات - برمجة اتصالات وشبكات، لبنان، بيروت، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى.
- (4) بشارة، جبرائيل (1986): تكوين المعلم العربي والثورة العلمية والتكنولوجية، لبنان، بيروت، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.
- (5) عبدالعاطي، حسن الباتع محمد (2006): تصميم مقرر عبر الإنترنت من منظورين مختلفين البنائي والموضوعي وقياس فاعليته في تنمية التحصيل والتفكير الناقد والاتجاه نحو التعلم القائم على الإنترنت لدى طلاب كلية التربية جامعة الإسكندرية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الإسكندرية.
- (6) خير، حسن الشيخ محمد (2004): تجربة التأهيل التربوي كنموذج للتعليم عن بعد ورقة عمل، السودان، جامعة الخرطوم، كلية التربية، ص 3.
- (7) محمد، حسن عبد العزيز (2005): فاعلية موقع تعليمي إلكتروني عبر الإنترنت في زيادة تحصيل الصف الأول الإعدادي لبعض المفاهيم العلمية، رسالة ماجستير، معهد الدراسات التربوية، جامعة القاهرة.
- (8) سليمان، عرفات عبدالعزيز (1992): الاتجاهات التربوية المعاصرة، دراسات مقارنة مصر، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة.
- (9) شمو، على محمد (2004): التعليم عن بعد، السودان، الخرطوم، مطبعة سولو، الطبعة الأولى.
- (10) مهدي، فوزية (2007): تقويم مرحلة التعليم الأساسي بولاية الخرطوم، السودان الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر، الطبعة الأولى.
- (11) على، محمد حسين (2002): فاعلية استخدام شبكة الإنترنت في إكساب طلاب كلية التربية بنزوي الرياضيات المدرسية، دراسات تربوية واجتماعية، كلية التربية، جامعة حلوان، المجلد (8)، العدد (4)، أكتوبر.
- (12) حمدان، محمد زياد (1988): المنهج المعاصر، الأردن، عمان، دار التربية الحديثة الطبعة الأولى.
- (13) حمد، محمد علي (2005): الديمقراطية والتربية في السودان، الخرطوم، شركة المطابع السودانية للعملة المحدودة، الطبعة الأولى.
- (14) الحيلة، محمد محمود (2000): التكنولوجيا التعليمية والمعلوماتية، الأردن، عمان، دار الميسرة، الطبعة الثانية.

(15) الحيلة، محمد محمود (2001): التكنولوجيا التعليمية والمعلوماتية، الإمارات العربية، العين، دار الكتاب الجامعي، الطبعة الأولى.

(16) عبدالسميع، مصطفى وحوالة، سهير (2005): إعداد المعلم - تنميته وتدريبه، الأردن، عمان، دار الفكر للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

- (1) Carrer good, Dictionary to Education micaraw – Hill book company, New York 1973, P244
- (2) Fox, J: Review of the Factors Influencing the Satisfaction of Learning in Online Courses at Marshall University (West Virginia), 2007, DAI-A, 62/01, P. 95, Jul.
- (3) Gunnarsson, C.: Student Attitude and Achievement in an Online Graduate Statistics Course, 2006 DAI-A, 62/01, p. 135, Jul.
- (4) Lan, J.: The Impact of Internet-Based Instruction on Teacher Education: The "Paradigm Shift". ERIC, No. ED428053, 1999.
- (5) Miller: Case study on technology and distance in education at the Harvard Business School. Educational Technology and Society, 2005 5 (2), PP. 13-28.
- (6) Moore and Thompson (1990): the effect of distance leering Research monograph, No.2 Den State University, USA.
- (7) Ross, J.: An Exploratory Analysis of Post-secondary Student Achievement Comparing A Web-Based and A Conventional Course Learning Environment, 2000, DAI-A, 61/05, P. 1809, Nov.
- (8) Spencer, D.: A Comparison of A Compuiter Mediated Graduate Course in Measurement and Evaluation with A Similar Traditionally Taught Course, 2006, DAI-A, 61/07, P. 2672.
- (9) www.ex.edu/disted/derfinition.html
- (10) www.ousudan.info

عنوان البحث

**التربية الجغرافية والتربية البيئية:
جوانب التلاقي والتكامل لخدمة رهانات التنمية المستدامة**

يوسف اللحياني¹

¹ طالب باحث بسلك الدكتوراه، كلية علوم التربية . جامعة محمد الخامس . الرباط

الهاتف: 00212671907071

البريد الإلكتروني: yosflahyani@hotmail.com

تاريخ النشر: 2020/12/01م

تاريخ القبول: 2020/11/14م

المستخلص

نسعى من خلال هذه الدراسة بيان أهمية تكامل إسهامات التربية الجغرافية مع التربية البيئية في تعزيز الثقافة البيئية لدى الناشئة على اختلاف مستوياتها الدراسية، عبر تمكينها من القدرات والكفايات اللازمة للتعامل بفعالية مع المحيط البيئي تعاملًا يتسم بالرشد والعقلانية، وهذا مدخل من المداخل الممكنة والمهمة لمواجهة التحديات البيئية المطروحة وحماية الموارد الطبيعية من التدهور والاستنزاف سواء من لدن الفرد أو الجماعة، وقد تبين ان هناك علاقة وثيقة بين التربية الجغرافية والتربية البيئية إلى درجة تكامل أدوارهما في خلق الوعي لدى الأجيال الراهنة بأهمية الحفاظ على الموارد الطبيعية والمبادرة طوعيا للمشاركة في اتخاذ القرارات التي تهتم مستقبلها الإيكولوجي، ومن ثم ضمان كسب رهانات التنمية المستدامة.

الكلمات المفتاحية: التربية الجغرافية، التربية البيئية، التنمية المستدامة.

RESEARCH ARTICLE

**GEOGRAPHICAL AND ENVIRONMENTAL EDUCATION:
CONVERGENCE AND INTEGRATION TO SERVE SUSTAINABLE
DEVELOPMENT****LAHYANI YOUSSEF¹**

¹ Doctoral Research Student, Faculty of Education Sciences, University of Mohammed V (Rabat)

Phone :00212671907071

Email :yosflahyani@hotmail.com

Accepted at 14/11/2020

Published at 01/12/2020

Abstract

In this study, we seek to demonstrate the integration of school geography's contributions with environmental education in promoting the environmental culture of learners. Our objective is to enable them have the necessary capacities and competencies to deal effectively and rationally with the environment. This is considered one of the possible one of the environmental challenges at hand and protect natural resources from degradation and depletion, both individually and in groups. It has been shown that voluntary and automatic initiative should be involved in decision-making that concerns its ecological future, and thus ensure that sustainable development is gained .

Key Words: Geography Education – Environmental Education – Sustainable Development.

مقدمة:

تساهم الجغرافيا المدرسية إلى جانب باقي العلوم الاجتماعية والإنسانية الأخرى في التكوين الفكري والتربوي للمتعلمين في مختلف المستويات الدراسية، بالنظر إلى القيم التي تسعى إلى غرسها وترسيخها لدى الناشئة، لذلك صارت من المواد الهامة التي تحظى بمكانة متميزة ضمن المشاريع التربوية لكافة دول العالم، والتي تحرص على جعلها مادة أساسية حاملة لتلك القيم المعززة للإحساس بالانتماء وبالمواطنة الشاملة.

في هذا السياق برزت التربية الجغرافية كمفهوم يحيل على الدور التربوي الذي يضطلع به الفكر الجغرافي في تعزيز الوعي المجالي عموماً والبيئي خصوصاً، وهذا ما يجعلها ذات علاقة وثيقة بمفهوم التربية البيئية كفلسفة تربوية تراهن على التصدي للمشكلات البيئية عبر ترسيخ الوعي البيئي لدى الناشئة في جميع مراحل الحياة التعليمية النظامية وغير النظامية.

مشكلة الدراسة:

كيف يمكن للتربية الجغرافية أن تساهم بشكل موازي مع التربية البيئية في تعزيز الوعي البيئي لدى المتعلمين؟ وما طبيعة التكامل بينهما لخدمة الوعي البيئي الإنساني من أجل كسب رهانات التنمية المستدامة؟
أهمية الدراسة:

يواجه المحيط البيئي تحديات بيئية خطيرة وتحاول المدرسة أن تلعب دوراً محورياً في تعزيز الثقافة البيئية لدى المتعلمين من خلال المواد الدراسية في مقدمتها الجغرافيا، هذه الأخيرة تعد من المواد الحاملة لقيم وغايات السياسة التعليمية للدولة المغربية، لذلك ما لبثت تولي أهمية قصوى لإدماج كل القضايا التي تفرق المجتمع من بينها إشكالية استنزاف الموارد الطبيعية، لذلك تحاول هذه المقالة تبيان أثر تكامل التربية الجغرافية مع التربية البيئية في تعزيز الوعي بالقضايا المجالية والبيئية لدى المتعلمين في أفق كسب رهانات لتنمية المستدامة، وذلك انسجاماً مع الوظيفة المجتمعية والتربوية للجغرافيا.

أهداف الدراسة:

تستهدف هذه الدراسة الوصول إلى ما يلي:

. رصد إسهامات الجغرافيا المدرسية كمادة حاملة لخطاب التربية المجالية والتربية البيئية في إغناء الوعي البيئي لدى المتعلمين حتى يصبحوا مؤهلين وقادرين على مواجهة التحديات البيئية المطروحة داخل مجالهم.
. توضيح الفرص التي تتيحها الجغرافيا، كحقل معرفي يستوعب كل القضايا المجالية، في تزويد المتعلمين بالمعارف والاتجاهات والمهارات اللازمة للتعامل مع مكونات الوسط الطبيعي بعقلانية.

منهج الدراسة:

تستند دراستنا إلى منهج استكشافي تحليلي يروم الإجابة عن الإشكالية المطروحة، معتمدين على التحليل الوثائقي من أجل استخلاص كل المعطيات والمؤشرات ذات العلاقة بالموضوع.

حدود الدراسة:

تقف هذه الدراسة عند ما يلي:

. الحدود الموضوعية: تقتصر الدراسة على تحليل مساهمات الجغرافيا المدرسية أو ما يسمى بالتربية الجغرافية

دون غيرها من المواد الدراسية الأخرى.

. تقتصر الدراسة أيضا على إبراز علاقة الجغرافيا بالتربية البيئية ومدى التكامل بينهما في إغناء الوعي البيئي لدى الناشئة.

أولا. التربية الجغرافية: نحو تعزيز الوعي بالقضايا المحلية والبيئية

1. التربية الجغرافية المدرسية والبعد المحلي

ما دامت الجغرافيا تعتبر "العلم الذي يدرس العلاقات بين الأقاليم الجغرافية والأنظمة الطبيعية والمجتمع وتأثيراتهما المتبادلة داخل مجال معين"¹، فإن دراسة المجال تعتبر المحور المركزي للجغرافيا المدرسية ولكن في علاقاته وتفاعلاته مع جميع المكونات التي يستوعبها، علما أن المجال هنا يجد أصوله في المفاهيم التأسيسية للفكر الجغرافي وهي المشهد، البيئة، الإقليم، التباين المكاني، التوطن، التوزيع الجغرافي، وتهتم الجغرافيا كحقل معرفي بعدة مواضيع محلية تشكل بنيانها المرصوص، وتحاول جاهدة البحث في "العلاقات القائمة بين أشكال المجال البشري (المرئية وغير المرئية) والوظائف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية كما يدمج هذا التخصص في تحليلاته بعض الخصائص الجيوبئية (التضاريس، المناخ، علم الصخور، الغطاء النباتي) والتي بدونها يستحيل فهم العديد من الظواهر"²، غير ان دراسة المجال تقتضي الانطلاق من المحيط المحلي للمتعلم (المدرسة، الحي، الشارع) وصولا إلى الإقليم ثم العالم.

ومن هنا يحظى البعد الإقليمي للتربية الجغرافية بأهمية خاصة نظرا لحمولته الثقافية وما يلعبه من دور في تجاوز التوترات عبر تعزيز العلاقات بين المجموعات البشرية وخلق تضامن واتحاد فيما بينها، فالديناميات الاجتماعية غالبا ما تلقي بظلالها على تشكيل المجتمع بحكم تضارب المصالح واختلاف التوجهات والمرجعيات الإيديولوجية، لذلك فالتربية الجغرافية "تتحقق عبر تنمية الوعي الإقليمي أو المحلي من خلال دراسة الظواهر الجغرافية التي تربط المحلي بالكوني"³.

تهتم الجغرافيا أيضا، إلى جانب المجال كحامل للوقائع والأحداث الجغرافية، بدراسة العلاقة المحلية من خلال فهم وإدراك الروابط بين توزيع الظواهر الطبيعية والبشرية على الأرض، كما تدرس بنياتها وصيرورة تحولها، وبالتالي فإن تدريس الجغرافيا يجب أن يجيب عن إشكالية استعمال المجال من طرف مجموعة معينة في علاقتها مع حياة المجموعات البشرية الأخرى، فالأمر يتعلق إذن باكتشاف التباينات المحلية وتعزيز الانفتاح على العالم والتعرف على تنوع وتعدد طرق استغلال الأرض والعلاقات المحتملة بين خصائص ومميزات مختلف الأقاليم الجغرافية، فالمعرفة الجغرافية المدرسية هي معرفة أصيلة ومفيدة، لأنها تجعل العالم أكثر فهما على جميع المستويات.

2. أهمية التربية الجغرافية في ترسيخ الوعي المحلي والبيئي.

ننطلق من قولة بنشميل (Penchemel) التي يؤكد فيها "أن الامر لا يتعلق فقط بتعلم الجغرافيا بل

¹ Merenne-schoumaker Bernadette (1986): les trois dimensions de l'enseignement de la géographie; Revue de géographie de Lyon, vol. 61, n°2, P: 184 ; URL: https://www.persee.fr/doc/geoca_0035-113x_1986_num_61_2_4085

² Ibid ; p : 185

³ Juan-Luis Klein et Suzanne Laurin: «Introduction : L'éducation géographique » ; *L'éducation Géographique : Formation du Citoyen et Conscience Territoriale* ; Presse de de L'Université de Québec ; 2^{ème} édition ;2000 ; p : 7

باكتساب ثقافة جغرافية"، وأن الهدف من هذه التربية الجغرافية هو ضمان "ألا يشعر الناس بالاستياء داخل فضاءاتهم وبيئاتهم ومشاهدهم وأقاليمهم، وكذلك داخل مشاهد وأقاليم الحضارات الأخرى البعيدة عنهم، لأنهم سيعرفون أصولها وتطوراتها، وبعد ذلك سيكونون قادرين على التصرف فيها بعد فهمها، وتحويلها عن وعي ودراية"⁴، وبذلك يتضح أن مساهمة المعرفة الجغرافية في تربية النشء عملية استراتيجية عبر الممارسة التعليمية التعليمية داخل الفصول المدرسية.

في هذا الإطار نتحدث ميرين شوماخر عن أربع فوائد مهمة للجغرافيا المدرسية بالنسبة للمتعلمين نلخصها فيما يلي:

. مساعدة المتعلمين على التمتع أكثر والتنقل في محيط عيشهم مما يمنحهم الشعور بأنهم جزء منه، وتمكينهم من فهم تنظيم محيطهم، وإدراك التفاعلات والعلاقات بين الإنسان وبيئته، وهي علاقات تكثسي أما صبغة عمودية أو أفقية، تتطور مع مرور الزمن وفق منطق الدينامية المجالية، كل هذا يساهم في الوعي بتأثير الممارسات الفردية والجماعية على البيئة.

. انفتاح التلاميذ على أماكن خارجية عن محيطهم وذلك من خلال تعزيز الفضولية لديهم لاكتشاف التباين المجالي وتنوع طرق استغلال البيئة، لاسيما وأن أدوات البحث عن المعلومة الجغرافية أصبحت متاحة مع الثورة التكنولوجية الحالية، وبالتالي يجب على الجغرافيا أن تساهم في التحرر الاجتماعي والثقافي وامتلاك الرؤية النقدية لكل معرفة جاهزة ومفروضة.

. توضيح التحديات الكبرى والراهنة مجاليا: يتعزز هذا الاتجاه بدفع المتعلمين نحو تبني فكر نقدي لكل الوقائع والأحداث الجغرافية المرتبطة بالتحديات المطروحة أمامهم، وذلك من خلال محورين: الأول يتعلق بـ: "العيش معا" «vivre ensemble» كقضايا التنوع الثقافي، المساواة، الاختلاف... أما الثاني فيُهم المشاكل البيئية الراهنة كقضايا التغيرات المناخية، التصحر، التلوث، الماء، الطاقة... الخ.

. تطوير كفايات القراءة والكتابة التقليدية والرقمية الحديثة لدى المتعلمين: يرتبط هذا الأمر باكتساب لغة جغرافية أصيلة توسع قدرات المتعلمين على الفهم والتواصل جغرافيا مع العالم والتصرف فيه بطريقة مستنيرة، كما أن هذه الكفاية لا تتعلق فقط بالأدوات التقليدية من نصوص وخرائط وصور وتصاميم، بل أيضا بالوسائل الرقمية والتكنولوجية المتاحة⁵.

يتضح بذلك ان التربية الجغرافية تسعى في جوهرها إلى تزويد المتعلمين بتربية مجالية وبيئية، تمكنهم من قراءة وتحليل الديناميات المجالية، ومعرفة تصرفات المجتمعات البشرية أينما حلت وارتحلت، وبالتالي إدراك كيفية تنظيم المجال وتغييره بطريقة عقلانية، وهذا ما يجعل من الجغرافيا مادة علمية للتفكير والتساؤل عوض الحفظ والتذكر، إضافة إلى العمل على تطوير القدرة على التفكير في القضايا الأكثر تعقيدا، لأن المنهج الجغرافي يستقي أسسه من جميع العلوم الاجتماعية والطبيعية.

⁴ Citer par Merenne-schoumaker Bernadette : Apports et finalité de la géographie dans une formation de base. Réflexions et propositions ; « Revue éducation et francophonie ; volume 47 :2 Automne 2019 » ; publiée par acelf ; pp : 19- 20 ; URL : <https://id.erudit.org/iderudit/1066445ar>

⁵ Merenne-Schoumaker Bernadette ; op cit ; pp : 13 - 18

3. مساهمة الجغرافية الطبيعية في ترسيخ الوعي البيئي:

تهتم الجغرافية الطبيعية بالتحليل المجالي للعناصر والعمليات الفيزيائية التي تشكل البيئة: المناخ، التضاريس، الماء، الغطاء النباتي، التربة، لكن ذلك لا يعني أنها لا تدرس الجانب المرتبط بتأثير النشاط البشري، بل بالعكس فاستحضار علاقة إنسان . بيئة ضرورية ومهمة، كما أن تعقيد المشاكل البيئية الراهنة يقتضي اعتماد رؤية شمولية ومركبة للأنظمة الطبيعية وللعلاقات السائدة بها.

يشكل فهم وإدراك الآليات والعمليات التي تتفاعل داخل أنظمة الأرض، مفتاحا حقيقيا لتعزيز الوعي البيئي لدى المتعلمين، كما من شأنه أن يوضح لهم بأن "مصيرهم على هذه الأرض يرتبط جزئيا بهم وبتصرفاتهم داخل بيئاتهم، فالجغرافيا الطبيعية تسمح بإدراك وقائع الحياة اليومية ومسبباتها وبأن تموقع هذه لأحداث ليس من محض الصدفة"⁶، كذلك فهي وسيلة لتحقيق الوعي المجتمعي من خلال الكشف عن هشاشة المنظومات البيئية على سطح الأرض والتفاعلات المتبادلة فيما بينها، ومعرفة تأثير الوسط الطبيعي على استخدام التربة، إضافة إلى تقديم تفسيرات لمختلف الوقائع الجغرافية محليا، جهويا وعالميا، وإدراك التحولات التي تعرفها مثل الكوارث الطبيعية، وهو ما سيعزز لديهم الشعور بالمسؤولية الفردية والجماعية التي مفادها أن سلامة الكوكب تكمن في وعي مواطنيه والتفاعل معه بطريقة بناءة، وهذا ما تسعى إليه التربية الجغرافية.

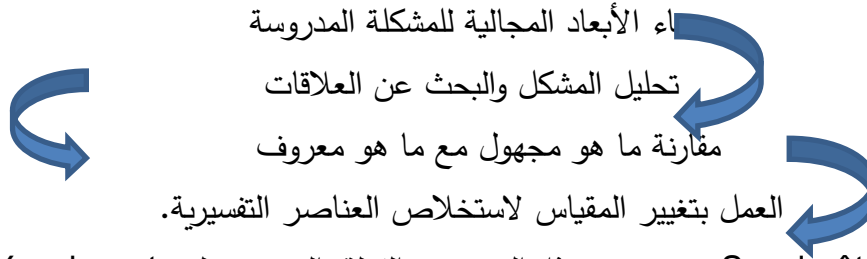
4. أبعاد التربية الجغرافية المدرسية:

مما لا شك فيه ان تدريس الجغرافيا يبني على ثلاث جوانب أساسية مرتبطة بشخصية المتعلم وهي: البعد المعرفي، البعد المهاري والبعد الوجداني، لذلك يفترض في المعرفة الجغرافية عموما أن تنصب في تكوين المتعلم على استحضار هذه الأبعاد بشكل مندمج يحقق التراكم المعرفي الذي يخدم بناء شخصيته بشكل متكامل: البعد المعرفي «savoir»: تتضمن المعرفة الجغرافية مصفوفة من المفاهيم والأحداث والوقائع، التي تعطي للفكر الجغرافي مكانته وأهميته في التكوين الفكري للمتعلم، وكلها ترتبط بالحامل «Support» الذي هو المجال علما أنه "مجال منتج من طرف الانسان عبر ثلاث عمليات: الاستقطاب، المسافة والتنظيم، ويعد هذا الأخير نتيجة بدوره لخمس عمليات بشرية وهي الاستيطان، تملك الأرض، المراقبة والتدبير، استخدام الأرض، شبكات التواصل"⁷، إن المعرفة الجغرافية تفضل دراسة المشاهد والتباينات المجالية والوظائف الشاملة للمجالات، وهذا ما يجعل منها وسيلة لفهم العالم في شموليته.

البعد المهاري «Savoir-faire»: يتعلق باستحضار التفكير والمنطق الجغرافي في معالجة الظواهر المجالية، وادماج المنهج العلمي القائم على التجربة والخبرة والانطلاق من التمثلات، وكذا التحديات المرتبطة بالواقع، وهذا المنطق الفكري ينساب من مرحلة الحدس إلى مرحلة التنفيذ والتطبيق مروراً بوضع الفرضيات وتفسيرها، والخطاطة الموالية توضح عمليات هذه الخطة التحليلية حسب شوماخر:

⁶ Mireille Bouchard et Étienne Govare: Une Vision Globale de Notre Environnement: Le Géosystème Planétaire ; « L'éducation Géographique : Formation du Citoyen et Conscience Territoriale » ; Presse de de L'Université de Québec ; 2^{ème} édition ;2000 ; p : 93.

⁷ Merenne- Schoumaker bernadette : op cit ; p :185.



. البعد الوجداني «Savoir-être»: ينسجم هذا البعد مع القولة المشهورة لـ Yve lacoste "معرفة تفكير المجال"، بمعنى أن المتعلم ملزم بأن يكون على وعي تام بالتباين الموجود بين مجالات العيش المختلفة، ومعرفة كيفية التصرف فيها بكل حكمة وعقلانية حتى لا يلحق الضرر بمواردها، كما يستهدف هذا الاتجاه أيضا إدراك المتعلم لمحدودية موارد الأرض، وبالتالي فهو مدعو للإقرار بالموافقة والرفض والإنصات والتقدير والتثمين. إن تحليل المجال ومقارنته بمنطق جغرافي رصين ومنهج علمي واضح، ومعرفة التصرف فيه، تشكل كلها الغاية الكبرى للتربية الجغرافية.

5 . النهج التطبيقي في الجغرافيا وأهميته في تعزيز الوعي البيئي والمجالي

تعيش الجغرافيا اليوم طفرة نوعية على مستوى المنهج، حيث اعتمدت مناهج تطبيقية لمعالجة كل الظواهر الجغرافية سواء المتعلقة بالبيئة أو التنمية وحتى التربوية، وهذا ما عزز من مكانة الفكر الجغرافي ووظيفته المجتمعية والتربوية لحل المشكلات التي تصادف البشر داخل محيط العيش.

5 . 1 السياق العام لبروز المنهج التطبيقي في حقل الجغرافيا

ظلت الجغرافيا طيلة عقود ينظر إليها كحقل موسوعي يقتصر على تجميع المعطيات الكمية والنظرية حول الظواهر الجغرافية، ولا ترقى إلى درجة التطبيق الميداني لحل المشكلات المجالية، لكن التطور الاستيمولوجي الذي عرفته في العقود الأخيرة جعلها تخرج من حالة الجمود والانغلاق إلى الانفتاح على الأساليب والأدوات التكنولوجية، وعموما يمكن تلخيص مراحل تطور الجغرافيا كما أشار إلى ذلك البرجاوي فيما يلي:

. مرحلة وصف الظواهر: خلالها اقتصر الجغرافيون على وصف الأرض وأقاليمها ومكوناتها بكل تفاصيلها وجزئياتها الدقيقة.

. مرحلة ظهور منهج التعليل والمقارنة: تميزت بالاتجاه نحو العمل التركيبي في العمل الجغرافي من خلال الربط بين الجغرافية الإقليمية والجغرافية الأصولية، وهو ما استدعى بناء نماذج تفسيرية للظواهر الجغرافية وتعليل نشأتها.

. مرحلة الدراسات الميدانية التطبيقية: برز هذا التوجه بعد منتصف القرن 20 نتيجة تراكم المعرفة الجغرافية والأدوات والأساليب الإحصائية والرياضية، إضافة إلى الثورة التكنولوجية والمعلوماتية، وهو ما وفر للجغرافيين أرضية علمية مكنتهم من القفز بالمعرفة الجغرافية نحو استكشاف المشكلات المجالية واقتراح الحلول المناسبة لها، فصارت للجغرافيا مكانة مرموقة في تحليل المشكلات الطبيعية والبيئية وحلها بطرق تطبيقية عملية.⁸

5 . 2 المنهج الجغرافي التطبيقي العملي: نحو توظيف ديداكتيكي فعال من أجل وعي بيئي مسؤول:

أشرنا سابقا إلى ان التحكم في المعرفة الجغرافية المدرسية يساهم في فهم العالم من أجل التصرف فيه بفعالية وعقلانية، وهذا يتوقف بطبيعة الحال على مدى استيعاب وفهم المتعلمين لتلك المعرفة، وأدوات العمل

⁸البرجاوي مولاي مصطفى: مرجع سابق، ص: 93 - 94

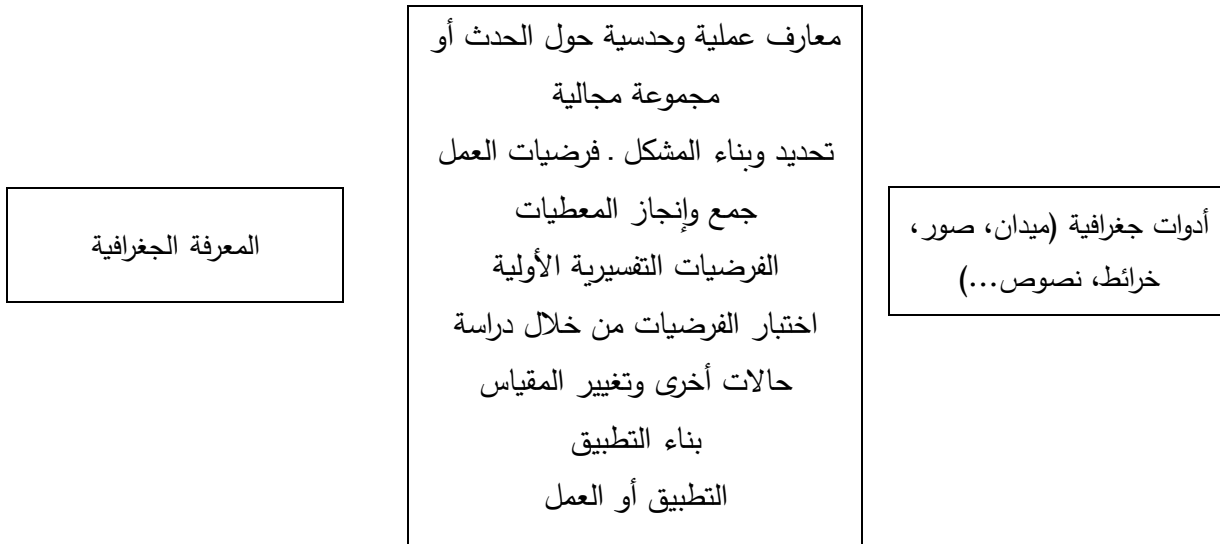
الكفيلة بتوظيفها في الميدان، ومدى قدرتهم على ابتداع الطرق والآليات الكفيلة بمواجهة مشكلات محيطهم البيئي، لذلك "يتفق الجغرافيون والديداكتيكيون على أن تدريس الجغرافيا الحالية، يجب أن يجيب عن مشكلة استعمال المجال من طرف مجتمع معين، وذلك في علاقة مع حياة المجتمعات الأخرى داخل مجالها، كما أن مفهوم المجال الجغرافي أصبح وسيلة للتفكير وليس مجرد مصطلح نتعلمه"⁹، فالمشكلة المجالية غالبا ما تهئ الأرضية الخصبة للاشتغال، ويستلهم منها المتعلم تمثلاته الأولية حول الظاهرة الجغرافية المدروسة، كما "يمنح المشكل الجغرافي سياقاً يعطي معنى للتعليمات التي تستهدف الأبعاد الوجدانية والمعرفية، وهذا ما يعطي للجغرافيا الصبغة العلمية والبيداغوجية في نفس الوقت"¹⁰.

إن توظيف المنهج التطبيقي العملي في الجغرافيا الحديثة يقتضي من المتعلم أيضا " أن يتسلح بعدة معرفية جغرافية ومهارات تمكنه من المزج بين الجانب النظري والتطبيقي وبين التعلم داخل الفصل وخارجه"¹¹، وبذلك يتعزز أثر المعرفة بشكل وظيفي من خلال الممارسات السلوكية اليومية للمتعلم، وهذا يعني أن يتجه الفعل التعليمي بالدرجة الأولى نحو إعداد الفرد المتعلم لحياة منتجة وليس لمجرد تحصيل معارف وحقائق متفرقة، فالمعرفة لا تكتسب أهميتها إلا من خلال إمكانية استخدامها وتطبيقها في الحياة اليومية بصورة أفضل"¹²، ومن شأن تغيير الممارسة الديالكتيكية للجغرافيا، عبر الممارسة الفصلية من جانبها النظري إلى العمل الميداني التطبيقي، أن يعزز من مكانة وأهمية الجغرافيا المدرسية كمادة علمية ذات مكانة متميزة في حياة المتعلم، وتجعله يتطلع إلى التخصص فيها والتعمق في معرفتها خلال المرحلة الجامعية.

ويعد الفصل الدراسي أولى محطات التدريب على التفكير الجغرافي القائم على المقاربة التطبيقية، وفي هذا

الصدد تقترح ميرين شوماخر الخطاطة العملية الآتية:

خطاطة رقم 1: العمليات الفكرية للتفكير الجغرافي العملي حسب شوماخر



Mérenne schoumaker(1986),op cit ; p : 18.

المصدر:

⁹- Suzanne Laurin 2000 : La Relation Espace-Temps Dans La Formation à L'Univers Social ; « L'éducation Géographique : Formation du Citoyen et Conscience Territoriale » ; Presse de de L'Université de Québec ; 2^{ème} édition ; p : 17

¹⁰ Ibidem

¹¹ - مولاي مصطفى البرجاوي: مرجع سابق: ص: 96.

¹² - نفسه.

ومهما يكون، لا يمكننا أن نتستر على الصعوبات والتحديات، التي تعترض هذه المقاربة التطبيقية في الجغرافيا المدرسية سواء داخل الفصول أو خارجها، فبعضها يرتبط بالإرغامات المؤسسية (الحصص والامتحانات) وما تشكله من ضغط قوي على المدرس، وبعضها الآخر يتعلق بضعف الإمكانيات التقنية التي تيسر القيام بالخرجات الميدانية في أحسن الظروف، ورغم ذلك نقول بأن المقاربة التطبيقية لها فوائد كبرى على المتعلم لا سيما ما يرتبط بالجانب البيئي وتتمثل فيما يلي:

. معاينة المتعلم عن قرب لكل مكونات الوسط الطبيعي ومساعدته على نقل معرفته مما هو مجرد إلى ما هو ملموس.

. التعرف عن قرب عن طبيعة المشكلات البيئية وأليات حدوثها عبر الممارسة الميدانية، وهذا ما ينمي لديه الوعي لتجنب كل السلوكات الضارة بالبيئة.

. نقل معارفه ومهاراته وقيمه المكتسبة في العمل الميداني إلى بيئته الخاصة، واقتراحه حلولاً للمشكلات التي قد تصادفه بها.

. تنمية العمل التعاوني والمشاركة الفعالة في إعداد المشاريع المرتبطة بحماية البيئة ومواردها الطبيعية. فهم وإدراك أهمية المبادرة الفردية المؤسسة للعمل الجماعي، والاندماج في المحيط المحلي وعلاقاته المحتملة مع ما هو إقليمي أو جهوي أو عالمي، وهذا ما تسعى إليه أيضا التربية الجغرافية.

ثانيا: الأبعاد القيمة لكل من التربية الجغرافية والتربية البيئية وإشكالية الاستدامة

لا شك أن التربية الجغرافية والتربية البيئية مفهومان يحملان مجموعة من القيم الأخلاقية الإيجابية التي تروم بناء مواطن يمتلك حسا بيئيا مسؤولا، وبالتالي تحقيق مواطنة بيئية متعددة الأبعاد والمستويات، وهذا ما يعزز من نقطة التلاقي بينهما وهي الطبيعة فهي مرجعيتهما وغايتهما في نفس الوقت، لذلك يكون لزاما علينا البحث في العلاقة بين هذين المفهومين.

1. الجغرافيا المدرسية والتربية البيئية أية علاقة؟

من المؤكد ان الجغرافيا كمادة حاملة للخطاب الجغرافي المدرسي، لها وظيفة مجتمعية وتربوية مهمة في ترسيخ القيم التي ترتبط بالبعد المجالي بصفة عامة والبعد البيئي بصفة خاصة، وهنا يتعزز دورها في التعريف بالقضايا والمفاهيم ذات العلاقة بالبيئة والمشهد، من خلال إدراك المتعلم لكل الإشكالات البيئية التي قد تصادفه داخل محيطه المعيش.

تهتم الجغرافيا بكل المواضيع الطبيعية والبشرية على سطح الأرض، إلى جانب التفاعلات القائمة فيما بينهما، وذلك وفق منظور ديناميكي يؤكد الصبغة المتحركة للظواهر الجغرافية في الزمان والمكان، فجميع فروع الجغرافيا إذن تعمل على الإحاطة الشاملة بالأسس التي تقوم عليها العلاقة التكاملية بين الانسان وبيئته من جهة، والموضوع والمكان أو الاقليم من جهة ثانية.

ويعرف محمد فتوح التربية البيئية بأنها "تتعدى المفهوم الضيق للتحسيس بقضايا البيئة، فهي عملية أشمل وأكثر عمقا، أي عملية تكوين القيم والاتجاهات والمهارات والمدرجات اللازمة لفهم وتقدير العلاقات المعقدة التي تربط الانسان وحضارته بمحيطه الحيوي والفيزيائي، والتدليل على حتمية المحافظة على الموارد البيئية وضرورة استغلالها الرشيد لصالح الأجيال الحالية، لكن دون حرمان حق الأجيال القادمة من التمتع ببيئة سليمة ومتوازنة"¹³.

انطلاقا من هذا التعريف نستطيع أن نؤكد أن الجغرافيا المدرسية تستوفي تغطية كل المهام التي تضطلع بها التربية البيئية من خلال " ربط وتحليل وتعليل وتقويم العلاقة بين الكائنات الحية وبيئتها على المستويين الموضوعي والإقليمي، العمل على بث الوعي البيئي لخلق الفهم الصحيح بعناصر البيئة المتداخلة، تنمية المهارات اللازمة لحل المشكلات البيئية والدعوة للعمل الجماعي الجاد لحماية البيئة وضمان استمرارها والمحافظة على التوازن بين الاعتبارات الاقتصادية والبيئية"¹⁴، كما تتوضح العلاقة الترابطية بين إسهامات تدريس الجغرافيا التي حددناها أعلاه حسب ميرين شوماخر والأهداف التي تسعى إليها التربية البيئية والمتمثلة في " إعطاء الانسان القدرة على فهم ما تتميز به البيئة من طبيعة ومقدرة نتيجة التفاعل الدائم بين جوانبها الحياتية والفيزيائية والاجتماعية والثقافية، وتمتد الفرد بالوسائل والمفاهيم التي تعطيه القدرة على تفسير علاقة التعايش التي تربط بين هذه العناصر المختلفة في الزمان والمكان"¹⁵.

إضافة إلى ذلك نجد أبعادا مشتركة لكل من الجغرافيا المدرسية والتربية البيئية معرفيا، وجدانيا ومهاريا، والتي تصب في جوهرها نحو بناء شخصية متكاملة للمتعلم، تجعله قادرا على مواجهة جميع التحديات البيئية داخل بيئته، وبالتالي فالجغرافيا لها قدرة كبيرة على استيعاب كل المواضيع والمفاهيم المرتبطة بالتربية البيئية، وهو ما يؤكد البعد الشمولي للفكر الجغرافي، ولذلك يقول جاك ليفي في كتابه *Le tournant géographique ; penser* « *l'espace pour lire le monde* » بأن "الجغرافيا هي المادة الوحيدة التي يمكنها حماية الكوكب والبشرية"¹⁶، وهذا دليل على أن الجغرافيا أصبحت علما شاملا وقائما بذاته، ومنفتحا على كل التخصصات العلمية الأخرى، علاوة على ذلك تتميز الجغرافيا المعاصرة باستعمال مناهج عمل تجريبية وعملية، تساعد على النزول للميدان والتحقيق في كل المشكلات البيئية سواء على الصعيد المحلي او الجهوي او العالمي، والبحث في الحلول المناسبة لها بطرق علمية رصينة.

2. القيم البيئية المشتركة للتربية الجغرافية والتربية البيئية.

بالنظر إلى الفوائد الكبرى التي يمكن أن تقدمها التربية الجغرافية للمتعلمين، وإلى أهداف وغايات التربية البيئية، يمكن أن نستشف مجموعة من القيم البيئية المشتركة التي يتعين على المتعلم اكتسابها من خلال العملية التعليمية التعلمية، ولأهمية البعد القيمي أكدنا أيضا على شمولية وتكاملية الجغرافيا عموما سواء من حيث

¹³- محمد فتوح (1997): القضايا البيئية الكبرى دوليا ووطنيا ودور التربية البيئية في مواجهتها، السكان والبيئة بالمغرب، (شغال المائدة المستديرة الثانية

في مجال التربية السكانية التي نظمت بمشاركة الأساتذة الباحثين)، بكلية علوم التربية، جامعة محمد الخامس السويسي، ص: 23.

¹⁴- أحمد بابكر أحمد عبد الله: التربية البيئية في الفكر والمنهج الجغرافي، ص: 296، مقال منشور على الرابط الآتي بتاريخ 20 - 8 - 2020.

<https://qspace.qu.edu.qa/handle/10576/9166>

¹⁵- نفسه، ص: 297.

¹⁶- Reynaud Alain. Jacques Lévy, *Le tournant géographique. Penser l'espace pour lire le monde*, 1999, coll.

Mappemonde. In: *Travaux de l'Institut Géographique de Reims*, vol. 27-28, n°107-108, 2001. Commerce et accessibilité.

pp. 123-126 ; p 126 ; https://www.persee.fr/doc/tigr_0048-7163_2001_num_27_107_1570_t1_0123_0000_1

موضوعها أو من حيث أهدافها القيمة لبناء شخصية المتعلم روحيا وثقافيا ومعرفيا ومهاريا... وهذا النسق القيمي مرغوب فيه بقوة داخل العمل التربوي من خلال مدخل التربية على القيم.

اتسعت الجغرافيا الراهنة لتضطلع بالبحث في كل الأحداث والوقائع المتعددة والمعقدة المرتبطة بالواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للسكان، وأصبحت تطمح إلى تكوين متعلم يتفاعل مع قضايا مجتمعه وكوكبه، ولا شك أن التحديات البيئية التي يعرفها العالم اليوم تأتي في مقدمتها، لذلك أصبح الحديث عن المواطنة البيئية والإيكولوجية من بين الرهانات الكبرى للتربية المجالية التي تنشدها التربية الجغرافية والتربية البيئية على حد سواء. تعد القيم البيئية مفهوما شاسع الدلالة، فهناك من عرفها بكونها "الموقف الذي يتخذه الفرد تجاه بيئته من حيث استشعاره مشكلاتها أو عدم استشعاره، ومن حيث استعداده للمساهمة في حل هذه المشكلات وتطوير ظروف البيئة نحو الأفضل، أو عدم استعداده، وكذلك موقفه من استغلال الموارد الطبيعية في هذه البيئة استغلالا راشدا أو جائرا، وفق المعتقدات السائدة رفضا أو قبولا، إيجابا أو سلبا"¹⁷، في حين يرى أحمد موقنين بأنها "الأحكام التي يصدرها الفرد على مكونات البيئة الاجتماعية والإنسانية، وهي تعكس شخصية الفرد وتقويمه الداخلي للمواقف البيئية وهي نتاج اجتماعي تم استيعابه من البيئة الثقافية ويستخدمه الفرد للحكم على قضايا البيئة ومشكلاتها"¹⁸، وبالتالي فهذه القيم البيئية غالبا ما تكون وازعا أخلاقيا يمكن الفرد من اتخاذ مواقف واتجاهات إيجابية تجاه البيئة ومشكلاتها، وهذا ما يعطي معنى للتعلّقات المكتسبة بالمدرسة، "الأمر الذي يجعل من الضروري ترسيخ التربية على القيم البيئية في المنظومة التعليمية والتأسيس لها علميا وعمليا وسلوكيا وتمثلها كهدف اجتماعي واقتصادي وأمني بالشراكة بين المؤسسة التربوية ومختلف الفاعلين السياسيين والاقتصاديين"¹⁹. وبالنظر إلى ما تسعى إليه التربية الجغرافية والتربية البيئية يمكننا تصنيف هذه القيم البيئية المشتركة كما ما يلي:

جدول 1: القيم البيئية المرغوبة من خلال التربية الجغرافية والتربية البيئية

المحافظة على التوازن البيئي.	الاعتزاز بالانتماء للبيئة (محيط العيش).
حماية الموارد الطبيعية بكل أصنافها.	احترام مقدرات البيئة الطبيعية الكونية.
الأمن البيئي.	قيمة الهوية المجالية بكل أبعادها.
الرعاية الصحية.	المشاركة الفعالة في تحسين البيئة.
الأمن النفسي.	التمكين البيئي.
المبادرة الفردية والجماعية في المشاريع البيئية.	النظافة والجمالية البيئية.
الأمن الغذائي ومحاربة التلوث.	احترام القوانين البيئية.
الحكامة البيئية.	المسؤولية الفردية والجماعية.

المصدر: مجهود شخصي

¹⁷- صبري الدمرداش 1988، التربية البيئية، النموذج والتنفيذ والتقويم، دار المعارف، القاهرة، ص، 362

¹⁸- أحمد موقنين: محاضرة القيم البيئية - الوعي البيئي، ملف الأرض والبيئة والفضاء، منتديات ستار تايمز، بتاريخ 20 - 04 - 2014،

<https://www.startimes.com/f.aspx?t=34196779>

¹⁹- مولاي مصطفى البرجاوي: تعليم وتعلم القيم في منهاج العلوم الاجتماعية: التربية على المواطنة والقيم البيئية نموذجا، مقال ضمن كتاب جماعي) إشكالات تنزيل القيم في المدرسة المغربية)، مطبعة لينة، الرباط، 2018، (ص ص، 109-139)، ص. 126.

تشكل مصفوفة القيم البيئية نسقا متكامل الأبعاد المعرفية الوجدانية والمهاراتية العملية، وهي بمثابة معايير يحتكم إليها المتعلم للتصرف في بيئته بإيجابية، لكن المسؤولية تبقى لمقاة على المدرس الذي يتعين عليه إعداد الخطط الديدانكتيكية والبيداغوجية المناسبة والفعالة لإيصال المعارف والقدرات والكفايات اللازمة، قصد ترسيخ هذه القيم في صفوف المتعلمين، وإرشادهم إلى طرق العمل التطبيقي والعملية لحل المشكلات البيئية.

3. الجغرافيا المدرسية: على خطى الاستدامة

بعدها أقرت الأمم المتحدة عشرية التربية من أجل التنمية المستدامة (2005. 2014)، عهدت إلى منظمة اليونسكو بإعداد مشروع برنامج عالمي للتنفيذ، هذا البرنامج شكل منطلقا للدول والحكومات من أجل تعزيز هذه التربية في برامجها ومخططاتها التربوية، كما بادرت معظم دول العالم من بينها المغرب إلى إعداد استراتيجيات وطنية للتنمية المستدامة، قصد تمكين الأجيال القادمة من ثقافة منظمة حول البيئة والتنمية المستدامة وجعلهم فاعلين داخل المجتمع.

إن تحقيق هذا الهدف يمر عبر مقاربات بيداغوجية بالوسط المدرسي وخارجه، وأيضا عبر الملتقيات العلمية الموجهة للتفكير في وضع وتعميم خطة حقيقية للتربية والتكوين في قضايا البيئة والتنمية المستدامة، ومن هذا المنطلق أصبحت الجغرافيا كمادة مدرسية مدعوة إلى المشاركة في التربية على التنمية المستدامة، وهي مجال جديد للتفكير والعمل، يمكن المدرسين من فتح تعليمهم على القضايا الأساسية لتنمية المجتمعات، والاستجابة لمطلب مجتمعي قوي، لكن المشكل الذي يطرح هو غياب معرفة علمية مسبقة حول التنمية المستدامة، لذلك يتعين على الجغرافيا البحث في المفاهيم والموضوعات ذات الصلة، علما أن هذه المعرفة لا ينبغي اختصارها في المكون الإيكولوجي، بل لا بد أن تستحضر أهدافها الأربعة (البيئة، الاقتصاد، المجتمع، الثقافة).

يبدو من المنطقي ان التنمية المستدامة تعتبر من القضايا المهمة لعلم الجغرافيا، لذلك ما فتئ الجغرافيون يعطونها أهمية كبرى في دراساتهم وأبحاثهم المجالية رغم أن معظم هذه الدراسات تركز على ثلاث مواضيع أساسية:

. الموارد الطبيعية: تدبير وتحسين هذه الموارد في الوسط الطبيعي الحيوي عبر مقارنة التدبير المندمج للمجالات الطبيعية.

. المخاطر والكوارث الطبيعية.

. موضوع يصعب تصنيفه ويرتبط بثنائية التنمية /المجال، خاصة عندما تتبنى الجغرافيا التنمية المستدامة عبر مدخل التعمير والتخطيط المجالي.²⁰

إن التمعن في اهتمامات الجغرافيا ومفهوم التربية من أجل التنمية المستدامة يكشف بوضوح عن علاقة الارتباط القوي فيما بينهما، والحاجة الملحة لتبني توجه تربوي جديد، يتماشى مع ما خلفته الحداثة من مشكلات مجالية وبيئية معقدة، لذلك تسعى الجغرافيا المدرسية إلى تكريس البعد التربوي المجالي والبيئي لدى المتعلمين، مادام الرهان الأكبر يكمن في اعتماد "التخطيط المجالي القائم على ثلاث معايير وهي: التقدم الاجتماعي، الفعالية

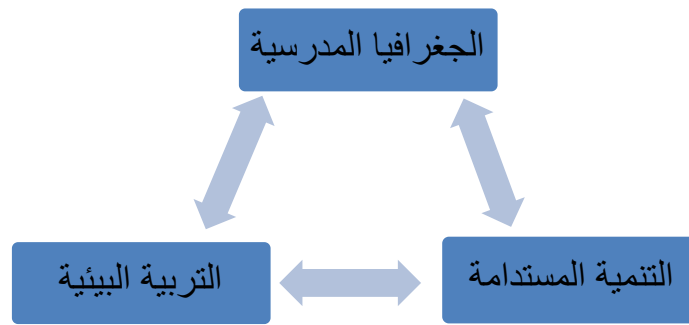
²⁰ Caroline frézel Leirning «2009»: Le développement durable et ses enjeux éducatifs. Acteurs, savoirs et stratégies territoriales, Thèse de Docteur en Géographie, Université Lumière - Lyon II, p : 263. <https://tel.archives-ouvertes.fr/tel-00449803>

الاقتصادية واحترام البيئة²¹، كما أن اعتماد قراءة بيئية لمفهوم التنمية المستدامة يكشف عن مسايرة أعمال الجغرافيين لقضايا الاستدامة سواء بشكل صريح أو مضمّر، وهو ما يؤكد على حضور هذه القضايا في الوسط المدرسي خلال الوقت الراهن، وأصبحت كل المشاريع التربوية المدرسية تستحضر بشكل كبير أبعاد ورهانات الاستدامة، فلا غرو إذن أن تكون الجغرافيا من بين المواد المؤهلة لحمل هذا الخطاب وجعله في صلب انشغالاتها ومنهجها العملي.

4. الأبعاد العلائقية بين الجغرافيا المدرسية والتربية البيئية والتنمية المستدامة.

تتجلى أهمية الفكر الجغرافي في تمرير مفاهيم وقضايا التربية البيئية التي تخدم في جوهرها أبعاد التنمية المستدامة، باعتبارها مشروعاً تربوياً يدخل ضمن السياسات العمومية للدولة في الوقت الراهن، فالتنمية المستدامة وليدة الحداثة تتموضع في موقع وسط بين الوسط الطبيعي الحيوي والانسان والمجتمع، وبالتالي فهي من جهة تلتقي مع الجغرافيا كعلم وكمادة مدرسية ينصب اهتمامها على دراسة المجال وما يحتويه من تفاعلات طبيعية وبشرية، ومن جهة ثانية تلتقي مع التربية البيئية كوسيلة لترسيخ الوعي البيئي، وتزويد المتعلمين بثقافة بيئية تضمن الحفاظ على الموارد الطبيعية وإدارتها بشكل رشيد وعقلاني كشرط للتنمية المستدامة.

خطاظة 2: العلاقات المحتملة بين التربية الجغرافية والتربية البيئية والتنمية المستدامة



المصدر: مجهود شخصي

خلاصة:

نستطيع القول إن التربية الجغرافية حلقة من حلقات التكوين الفكري للمتعلم، تستهدف بناء شخصيته من جميع الجوانب معرفياً ووجدانياً ومهارياً، وإكسابه ثقافة مجالية تساهم في الإلمام بكل مكونات المحيط الفيزيائي وإدراك التفاعلات القائمة داخله، وكذا مختلف التحديات والمشكلات التي تواجهه محلياً وإقليمياً وعالمياً، ولن يتحقق هذا الأمر إلا عبر اعتماد نهج تربوي قائم على العمل الميداني والتطبيقي، وموازة مع ذلك يتعزز دور التربية البيئية في ترسيخ القيم البيئية الإيجابية الكفيلة بإرساء وعي وثقافة بيئية مهمة.

هذا الاقتران بين التربية الجغرافية والتربية البيئية يعد مدخلاً أساسياً لفهم آليات اشتغال المنظومات البيئية في مستوياتها المختلفة، وإدراك التفاعلات بين المكونات الطبيعية والمكونات البشرية مما يخول المتعلمين القدرات

²¹ - ididem

والكفايات المجالية اللازمة، لإدارة الشأن البيئي والعمل على حماية الموارد الطبيعية من أي ضرر أو تلف، وبالتالي ضمان التخطيط السليم للمشاريع التي تخدم قضايا التنمية المستدامة في أبعاده الاقتصادية والاجتماعية والبيئية والثقافية.

المراجع المعتمدة

- محمد فتوحى (1997): القضايا البيئية الكبرى دوليا ووطنيا ودور التربية البيئية في مواجهتها، السكان والبيئة بالمغرب، (أشغال المائدة المستديرة الثانية في مجال التربية السكانية التي نظمت بمشاركة الأساتذة الباحثين)، بكلية علوم التربية، جامعة محمد الخامس السويسي، الرباط.
- صبري الدمرداش 1988، التربية البيئية، النموذج والتنفيذ والتقويم، دار المعارف، القاهرة.
- أحمد موقنين: محاضرة القيم البيئية - الوعي البيئي، ملف الأرض والبيئة والفضاء، منتديات ستار تايمز، بتاريخ 20 - 04 - 2014، <https://www.startimes.com/f.aspx?t=34196779>
- مولاي مصطفى البرجاوي: تعليم وتعلم القيم في منهاج العلوم الاجتماعية: التربية على المواطنة والقيم البيئية نموذجاً، مقال ضمن كتاب جماعي (إشكالات تنزيل القيم في المدرسة المغربية)، مطبعة لينة، الرباط، 2018، (ص ص، 109-139).
- أحمد بابكر أحمد عبد الله: التربية البيئية في الفكر والمنهج الجغرافي، ص: 296، مقال منشور على الرابط <https://qspace.qu.edu.qa/handle/10576/9166> . 20 - 8 - 2020.
- Caroline frézel Leirning «2009»: Le développement durable et ses enjeux éducatifs. Acteurs, savoirs et stratégies territoriales, Thèse de Docteur en Géographie, Université Lumière - Lyon II. <https://tel.archives-ouvertes.fr/tel-00449803>
- Juan-Luis Klein et Suzanne Laurin: «Introduction : L'éducation géographique»; *L'éducation Géographique : Formation du Citoyen et Conscience Territoriale*; Presse de de L'Université de Québec ; 2^{ème} édition ;2000.
- Merenne-schoumaker Bernadette (1986): les trois dimensions de l'enseignement de la géographie; *Revue de géographie de Lyon*, vol. 61, n°2, URL: https://www.persee.fr/doc/geoca_0035-113x_1986_num_61_2_4085
- Merenne-schoumaker Bernadette : Apports et finalité de la géographie dans une formation de base. *Réflexions et propositions* ; « *Revue éducation et francophonie* ; volume 47 :2 Automne 2019 » ; publiée par acelf; URL : <https://id.erudit.org/iderudit/1066445ar>
- Mireille Bouchard et Étienne Govare: Une Vision Globale de Notre Environnement: Le Géosystème Planétaire ; «*L'éducation Géographique: Formation du Citoyen et Conscience Territoriale*» ; ; Presse de de L'Université de Québec ; 2^{ème} édition ;2000.
- Reynaud Alain. Jacques Lévy, Le tournant géographique. Penser l'espace pour lire le monde, 1999,

coll. Mappemonde. In: Travaux de l'Institut Géographique de Reims, vol. 27-28, n°107-108, 2001.

Commerce et accessibilité.

https://www.persee.fr/doc/tigr_00487163_2001_num_27_107_1570_t1_0123_0000_1

- Suzanne Laurin 2000: La Relation Espace-Temps Dans La Formation à L'Univers Social ;
«L'éducation Géographique: Formation du Citoyen et Conscience Territoriale» ; Presse de de
L'Université de Québec ; 2^{ème} édition.

عنوان البحث

صحة التحفظات على أحكام المعاهدات الدولية

رمضان عبدالله محمد العموري¹ إبراهيم ميلاد عبد الله هداج² عطية على عطية قويرب³

¹كلية القانون جامعة خليج السدرة- ليبيا

Ramdan20112001@gmail.com

²كلية الشريعة والقانون - الجامعة الأسمرية الإسلامية - ليبيا

Ibrahimhaddaj82@gmail.com

³كلية الشريعة والقانون- الجامعة الأسمرية الإسلامية - ليبيا

Atya.gwireb82@gmail.com

تاريخ النشر: 2020/12/01م

تاريخ القبول: 2020/11/15م

المستخلص

جاءت اتفاقية فيينا لقانون المعاهدات لعامي (1969/1986) لتضع شروط نظام التحفظات على الاتفاقيات الدولية من المادة (19-23)، والتي بموجبها اعطى للدول حق إبداء تحفظات شرط التقيد بمجموعة من الشروط الشكلية والموضوعية، فمن جهة أولى إذا كانت الاتفاقية تبيح للدول حرية إبداء تحفظها سواء عند التوقيع أو عند التصديق أو الانضمام للمعاهدة، غير أنه يجب أن يكون التحفظ مكتوباً وصريحاً، وأن يبلغ إلى الدول المتعاقدة، وكذلك الدول الأخرى التي من حقها أن تصبح طرفاً في المعاهدة، وأن يصدر من شخص مفوض بذلك، ومن جهة ثانية ولكي يكون التحفظ مقبولاً، يجب أن يكون تحفظاً بالمعنى الدقيق، وأن لا يتصل التحفظ ببند استبعدت الدول المتعاقدة بشأنها كل إمكانية لإبداء التحفظات، كما أنه يجب ألا يتناقض التحفظ مع موضوع وغرض المعاهدة، وأن ينصب فقط على الأحكام الجائز فيها.

واستهدفت هذه الدراسة الكشف عن النظام القانوني للتحفظات على أحكام المعاهدات الدولية، وذلك من خلال البحث في صحة التحفظات على أحكام المعاهدات الدولية؛ وخاصة المتعلقة منها بحقوق الإنسان، مستعينا ببند اتفاقية فيينا لقانون المعاهدات لعامي (1969/1986)، مع بيان موقف كل من الفقه والقضاء الدوليين منه، وكذلك تقرير لجنة القانون الدولي في دورتها الثالثة والستين 2011 بشأن التحفظات على المعاهدات الدولية.

الكلمات المفتاحية: التحفظات ، أحكام ، المعاهدات الدولية.

RESEARCH ARTICLE**THE VALIDITY OF THE PROVISIONS OF INTERNATIONAL TREATIES**Ramadan Abdullah Mohammed Al – Amouri¹ Ibrahim Milad Abdullah Hadaj² Attia Ali Attia Qwerib³¹Guif Of Sidra University College Law – Libya

Ramdan20112001@gmail.com

²Asmari University College Sharia And Law – Libya

Ibrahimhaddaj82@gmail.com

³Asmari University College Sharia And Law – Libya

Atya.gwireb82@gmail.com

Accepted at 15/11/2020**Published at 01/12/2020****Abstract**

The two Vienna conventions on the law of Treaties of (1969-1986) came to lay down the conditions for the system of reservations to international agreements from article (19-23) according to which states were given the right to make reservations as long as they adhere to a set of total and substantive conditions. On the one hand if the agreement allows states the freedom to express their reservation whether upon signature or upon ratification or accession of the treaty however the reservation must be in writing and express and to be notified to the contracting states likewise other entitled to become party to the treaty and that it is issued by an authorized person on the other hand in order for the reservation to be acceptable its reservation must be strictly speaking that the reservation does not relate to clauses in respect of which the contracting states have excluded all possibility to make reservations it must also not be in conflict with the object and purpose of the treaty and focus only on the permissible provisions.

This study aimed to uncover the legal regime for reservations to the provisions of international treaties this is through researching the validity of reservations to the provisions of international treaties especially those related to human rights using the provisions of the Vienna conventions on the law of treaties of (1969-1986) with an explanation of the position of international jurisprudence and international judiciary on it as the report of the international law commission at its sixty-third 2011 regarding reservations to international treaties.

Key Words: Reservations – provisions – international agreements

المقدمة

تعد التحفظات على أحكام المعاهدات الدولية ظاهرة قديمة ومعقدة في مجال العمل الدولي، وذلك نتيجة لتطور أسلوب إبرام المعاهدات في القانون الدولي العام، فالتحفظات على المعاهدات الدولية تخضع لشروط معينة يجب مراعاتها من قبل أطراف المعاهدة، نصت عليها اتفاقيتي فيينا لقانون المعاهدات 1969/1986، وذلك لكي تكون التحفظات صحيحة ومنتجة لآثارها في مواجهة أطراف المعاهدة.

أهمية موضوع البحث :

تكمن أهمية التحفظات على أحكام المعاهدات الدولية من حيث إنها حق اعترفت به اتفاقيتي فيينا لقانون المعاهدات لعامي 1969-1986 لجميع الدول والمنظمات الدولية أطراف المعاهدة بما لها من حرية تعاقدية في القانون الدولي، كما لها أهمية بالغة باعتبارها مكنة لا غنى عنها لنظام دولي يزداد تعقيدا يوما بعد يوم، لذلك يتم اللجوء إليها للرغبة في زيادة عدد أطراف المعاهدة، وبقصد محاولة التخفيف من حدة نصوصها، وخاصة في حالة وجود شرطا أو نصا فيها لا تقبله أحد أطرافها، وذلك وفقا للشروط المنصوص عليها في اتفاقيتي فيينا.

إشكالية موضوع البحث :

تثير التحفظات العديد من الإشكاليات في الممارسة الدولية، منها ما يتعلق بصحة التحفظات على أحكام المعاهدات الدولية، ومدى كفاية الشروط الخاضعة لها المعاهدات الدولية طبقا للنظام القانوني للتحفظات باعتبارها من أهم الأحكام العامة التي تنظمه وفقا لما جاء في اتفاقيتي فيينا لقانون المعاهدات في المواد من (19-23)، وما مدى التزام الدول والمنظمات الدولية بتلك الأحكام المنصوص عليها في اتفاقيتي فيينا للاستجابة لمقتضيات تطور القانون الدولي؟.

المنهج المتبع في البحث :

لبحث ودراسة موضوع صحة التحفظات على أحكام المعاهدات الدولية لابد من إتباع المنهج التحليلي، مع الأخذ بعين الاعتبار البعد التاريخي والواقع العملي، وذلك من خلال تحليل شروط صحة التحفظ على أحكام المعاهدات الدولية وفق ما جاء في اتفاقيتي فيينا، وصولا إلى استنتاجات مستخلصة عن ذلك.

خطة البحث :

نتناول موضوع البحث بالدراسة وفقا لخطة ثنائية، نخصص المبحث الأول لدراسة التحفظات الشكلية على أحكام المعاهدات الدولية، أما المبحث الثاني فنخصصه لدراسة التحفظات الجوهرية على أحكام المعاهدات الدولية.

المبحث الأول التحفظات الشكلية

تمهيد وتقسيم :

تعد المادة (19) من اتفاقيتي فيينا أساس نظام التحفظات على المعاهدات الدولية في القانون الدولي، حيث إنها أجازت التحفظات على المعاهدات الدولية من قبل أي طرف - دولة أو منظمة دولية-، وبالتالي لكي تكون التحفظات خاضعة لهذه المادة ولبقية الأحكام الواردة فيها بالخصوص، عليها مراعاة بعض الشروط عند إبدائها لهذه الرغبة، بمعنى أنه لا بد أن تستوفي التحفظات مجموعة من الشروط المستفادة والمستخلصة من مجمل النظام المرن الذي جاءت به اتفاقيتي فيينا⁽¹⁾.

وبناء على هذا يستفاد من أحكام التحفظات بصفة عامة، ومن المادة (23) من اتفاقيتي فيينا بصفة خاصة، ضرورة توافر شروط شكلية لصحة التحفظات التي تبديها الدولة أو المنظمة الدولية على حكم من أحكام المعاهدة، وذلك حتى يعد تحفظها صحيحاً ومرتباً لآثاره القانونية، كأي تصرف آخر يصدر عن - الدولة أو المنظمة الدولية - وله آثار قانونية.

وبناء على ذلك نتناول دراسة هذا المبحث - التحفظات الشكلية على أحكام المعاهدات الدولية - من خلال المطالب

التالية:

المطلب الأول: إبداء التحفظ وتأكيده.

المطلب الثاني: وقت التحفظ.

المطلب الثالث: إبلاغ التحفظ وتأكيده.

المطلب الرابع: صدور التحفظ.

المطلب الأول

إبداء التحفظ وتأكيده

يستخلص ذلك من نص المادة (1/23) من اتفاقيتي فيينا حيث إنها نصت على أنه: "يجب أن يتم التحفظ والقبول الصريح بالتحفظ والاعتراض على التحفظ كتابية، وأن يبلغ إلى الدول والمنظمات الدولية المتعاقدة، وإلى الدول والمنظمات الدولية الأخرى التي يحق لها أن تصبح أطرافاً في المعاهدة".

ويتضح من هذا النص أن التحفظ يجب أن يتم كتابته وفي وثيقة خاصة، الأمر الذي يعني أن التحفظات الشفوية أمراً غير جائز قانوناً⁽²⁾، كذلك الأمر بالنسبة للتحفظات الضمنية أو المشترطة⁽³⁾. فالكتابة إذا شرط جوهرية في إجراءات التحفظ وبدونها لا

(1) د. على إبراهيم، الوسيط في المعاهدات الدولية، "الإبرام - الشروط الشكلية - الشروط الموضوعية - البطلان - الآثار - التطبيق والتفسير"، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1995، ص345.

(2) د. عبد الغني محمود، التحفظ على المعاهدات الدولية في القانون الدولي العام والشريعة الإسلامية، دار الاتحاد العربي للطباعة، الأردن، الطبعة الأولى، 1986، ص31.

(3) أ. عابدين عبد الحميد حسن قنديل، تحفظات الدول على قبول الاختصاص الإلزامي لمحكمة العدل الدولية، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 1994، ص202.

يمكن أن نعرف مواقف الدول أو المنظمات الدولية على وجه الدقة⁽¹⁾، وتترتب على هذا الشرط في التحفظ نتيجة مهمة وهي استبعاد فكرة (التحفظ الضمني)، فشرط الكتابة في التحفظ يعني أنه لا بد أن يتم بشكل صريح وبالتالي من غير المتصور أن يكون التحفظ ضمنياً وفقاً للنص المشار إليه أعلاه. إلا أنه قد سبق وأن أثيرت فكرة التحفظ الضمني المفترض بمناسبة قضية حضانة الطفل التي عرضت على محكمة العدل الدولية بين السويد وهولندا، وتعد هذه الفكرة من الأفكار العامة والأساسية في إطار القانون الدولي الخاص، ويقصد بهذه الفكرة، الدفع باستبعاد القانون الأخير الذي تشير إليه قاعدة الإسناد، إذا كان مخالف للنظام القانوني لدولة القاضي (الدفع بالنظام العام)، أو إذا استعملت قاعدة الإسناد بقصد التهريب من الأحكام الموضوعية لدولة القاضي (الدفع بالغش نحو القانون). وظهر في هذه القضية اتجاه ضعيف من ثلاثة قضاة من قضاة المحكمة المشار إليها، ينادون بالأخذ بفكرة التحفظ الضمني، وكان دافعهم إلى ذلك الحرص على حماية النظام العام الداخلي في كل دولة، ولكن المحكمة رفضت وجهة نظرهم ولم تأخذ بها⁽²⁾.

وبناء على ما سبق نتحدث أولاً عن إبداء التحفظ كفرع أول ثم نتحدث في الفرع الثاني عن تأكيد التحفظ.

الفرع الأول: إبداء التحفظ كتابة

يتضح جلياً من خلال النص السابق نكره وجوب كون التحفظ مكتوباً في وثيقة خاصة عند إبدائه من قبل الدولة أو المنظمة الدولية المتحفظة على نص أو أكثر من نصوص المعاهدة، كما يستفاد ضمناً من هذا النص أيضاً أن التحفظات الشفوية غير جائزة قانوناً⁽³⁾.

ومن الجدير بالذكر أن شرط الكتابة في التحفظ على المعاهدات الدولية يجد تبريره أيضاً في الشريعة الإسلامية بأدلة واضحة وصريحة من الكتاب والسنة، فأما الدليل القرآني فهو قوله تعالى في محكم كتابه: **(يأيها الذين ءامنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه...)**⁽⁴⁾. من يتأمل في هذه الآية الكريمة يرى فيها إرشاد الله - سبحانه وتعالى - لعباده المؤمنين لكتابة معاملاتهم المؤجلة والمهمة أي ذات الأهمية وذلك خوفاً من الإنكار أو الشك، ولإزالة أي غموض قد يكتنف ما اتفق عليه الناس أي بمعنى أن الكتابة ليست واجبة شرعاً ولكنها أحوط لإثبات الحقوق ودفعاً للإنكار أو الجحود ودعماً للشك والالتباس، وتجدر الإشارة إلى أن الأمر الإرشادي الوارد في الآية ينصرف لكافة المعاملات سواء أكانت (داخلية أو دولية) لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. وأما الدليل من السنة النبوية المطهرة فهو ما وصل إلينا من قول أو فعل عن رسولنا عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وهو الذي لا ينطق عن الهوى ولا يفعل إلا ما فيه خير ومصلحة الإسلام والمسلمون، حيث إن النبي - صل الله عليه وسلم - حرص على كتابة ما تم بينه وبين غير المسلمين من معاهدات ومن أشهر ما يثبت ذلك كتابة، صلح الحديبية المعروف بين المسلمين وكفار قريش وحلفائهم من القبائل الأخرى.

(1) د. على إبراهيم، الوسيط في المعاهدات الدولية، مرجع سابق، ص 401؛ د. مصطفى أحمد أبو الخير، المبادئ العامة في القانون الدولي المعاصر، إيتراك للطباعة والنشر، مصر، 2006، ص 31.

(2) د. على إبراهيم، التحفظ على المعاهدات الدولية في ضوء أحكام القضاء الدولي واتفاقيتي فيينا لقانون المعاهدات لعامي 1969/1986، دار النهضة العربية، القاهرة، 1990، ص 120.

(3) أ. إبراهيم ميلاد محمد الحداد، التحفظ والقانون الدولي، "وفقاً لاتفاقيتي فيينا لقانون المعاهدات لعامي 1969/1986 وفي ظل أحكام القضاء الدولي"، رسالة ماجستير، أكاديمية الدراسات العليا، مدرسة العلوم الإنسانية، قسم القانون، طرابلس، 2006، ص 59؛ د. محمد نوري المهدي، القانون الدولي العام المعاصر، "دراسة تحليلية في الأصول والقضايا"، دار الرواد، طرابلس، الطبعة الأولى، 2004، ص 286.

(4) سورة البقرة، من الآية: 282.

وأما بالنسبة لما يتعلق بالفقرة الأخيرة من نص المادة (4/23) من اتفاقية فيينا والتي تنص على أن: "سحب التحفظ أو سحب الاعتراض عليه يجب أن يكون في صورة كتابية"، يفهم من هذا النص أن الكتابة تعد أمراً ضرورياً لما ذكر من إجراءات في النص السابق، والحكمة من اشرط الكتابة في مثل هذه الأحوال، جعلت لكي يكون أطراف المعاهدة على دراية بأمر التحفظ، ومنعا لحدوث مشاكل مستقبلية قد تطرأ بين الأطراف المتعاقدة⁽¹⁾.

الفرع الثاني: تأكيد التحفظ كتابة

إذا ما أبدى التحفظ وقت التوقيع على المعاهدة كان واجبا على الدولة المحتفظة تأكيد تحفظها رسميا في اللحظة التي تعبر فيها عن ارتضاؤها الالتزام بأحكام المعاهدة، وهذا إذا كان التوقيع لا يجعل المعاهدة نافذة منذ تلك اللحظة⁽²⁾، إلا أنه يعتبر التحفظ في هذه الحالة قد تم من تاريخ صدور التأكيد الرسمي، أي أن التأكيد يعد منشئا لا كاشفا للتحفظ⁽³⁾، ويتضح من خلال نص المادة (2/23) من اتفاقية فيينا بقولها أنه: "إذا تم التحفظ وقت التوقيع على المعاهدة بشرط التصديق أو القبول أو الموافقة، فإنه يجب على الدولة أو المنظمة الدولية أن تأكده رسميا لدى التعبير عن ارتضاؤها الالتزام بالمعاهدة، ويعتبر التحفظ قد تم من تاريخ تأكيده". وفي هذا السياق؛ ذكرت لجنة القانون الدولي أن الشكل الكتابي لا يكون ضرورياً إلا عندما يصدر التحفظ بصفة نهائية، بمعنى عند التوقيع على المعاهدة إذا كانت هذه الأخيرة تنص على ذلك، أو إذا كان التوقيع يعني التعبير عن الموافقة النهائية على الالتزام "اتفاق في شكل مبسط"؛ وفي جميع الحالات الأخرى، عندما تعبر الدولة أو المنظمة الدولية عن موافقتها على الالتزام. وذكرت اللجنة أيضا أن مسألة معرفة ما إذا كان يمكن إصدار التحفظ في الأصل بصورة شفوية، هي مسألة يمكن تركها مفتوحة، وكما قال السيد "همفري والدوك"، لا يترتب على الجواب أي أثر عملي، فبإمكان أحد الأطراف المتعاقدة أن يصدر في جميع الأحوال تحفظا حتى تاريخ التعبير عن الموافقة على الالتزام؛ وعندها حتى وإن كان إعلان الشفوي الأصلي لا يمكن اعتباره تحفظا حقيقيا، فإن التأكيد الذي يحدث في الوقت المناسب يكون بمثابة إصدار للتحفظ⁽⁴⁾.

وأما ما يخص نص المادة (3/23) من اتفاقية فيينا، والتي تنص على أن: "القبول الصريح للتحفظ أو الاعتراض عليه الذي تم قبل تأكيد التحفظ ليس في حاجة إلى تأكيد". ويفهم من هذا النص أن قبول التحفظ الصريح أو الاعتراض عليه إذا تم قبل تأكيد الدولة لتحفظها فإنه (أي القبول أو الاعتراض) لم يعد في حاجة إلى تأكيد؛ لأن الدولة أو المنظمة الدولية القابلة للتحفظ أو المعارضة عليه، قد أكدت على موقفها مسبقا من التحفظ الذي تم إبدائه من أي طرف آخر من أطراف المعاهدة⁽⁵⁾.

ومما سبق، يتضح أن كل ما يتعلق بالتحفظ من إجراءات، من قبول وسحب واعتراض وسحب الاعتراض، يجب أن يتم في صورة كتابية، باستثناء حالة واحدة وهي حالة القبول الضمني للتحفظ عن طريق السكوت الملابس. ويفهم ذلك من خلال نص المادة (5/20) من اتفاقية فيينا حيث إنها نصت على أنه: "يعتبر التحفظ مقبولا من قبل الدولة أو المنظمة إذا لم تبدي اعتراضها عليه خلال اثني عشر شهرا من تاريخ إبلاغها بها". لذلك فإن السكوت في هذه الحالة يعد بمثابة قبول ضمني للتحفظ ما لم تنص المعاهدة على أحكام مغايرة تنظم رفض التحفظ وقبوله⁽⁶⁾.

(2) أ. إبراهيم ميلاد محمد الحداد، مرجع سابق، ص 61.

(2) د. عبد الغني محمود، مرجع سابق، ص 29؛ د. علي إبراهيم، التحفظ على المعاهدات الدولية، مرجع سابق، ص 65-66.

(3) أ. إبراهيم ميلاد محمد الحداد، مرجع سابق، ص 60.

(4) الأمم المتحدة، الجمعية العامة، تقرير لجنة القانون الدولي، الدورة الثالثة والستين، 2011، وثيقة رسمية رقم: A/66/10/Add.1، ص 180 - 181.

(5) د. علي إبراهيم، التحفظ على المعاهدات الدولية، مرجع سابق، ص 257.

(6) د. محمد نوري المهدي، مرجع سابق، ص 301؛ د. عبد الكريم علوان، القانون الدولي العام، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2007، ص 279.

المطلب الثاني

وقت التحفظ

يستفاد هذا الشرط من نص المادة (19) من اتفاقيتي فيينا، حيث إنها تنص على أنه: "يجوز للدولة أو المنظمة الدولية أن تبدي تحفظها على المعاهدة عند التوقيع أو التصديق عليها أو قبولها أو الموافقة عليها أو الانضمام إليها". ويظهر هذا النص بوضوح الأوقات المناسبة لإبداء التحفظات على المعاهدات الدولية ألا وهي وقت (التوقيع، أو التصديق، أو الانضمام)، وذلك ما سنتناوله بالدراسة على النحو التالي:

الفرع الأول: التحفظ وقت التوقيع

عندما تقوم دولة أو منظمة دولية باعتبارها طرفاً في معاهدة دولية بالتوقيع على مشروعها، يمكنها في هذه المرحلة أن تبدي ما تشاء من التحفظات على نص أو أكثر من نصوصها⁽¹⁾، وذلك بغض النظر عن الأسباب التي دعته إلى ذلك، متى كان تحفظها جائز وغير مخالف لموضوع المعاهدة وغرضها⁽²⁾. وغالبا ما يأخذ التحفظ الذي يتم وقت التوقيع شكل إعلان يظهر على المعاهدة الأصلية نفسها⁽³⁾. ويكتسب التحفظ في هذه المرحلة من مراحل إبرام المعاهدة أهمية خاصة متى كان التوقيع يجعل المعاهدة نافذة ابتداء من هذه اللحظة، أما إذا كان التوقيع لا يجعلها نافذة فعلى الدولة أو المنظمة الدولية المتحفظة إعادة تأكيد تحفظها عند التصديق عليها⁽⁴⁾. وطبقاً لنص المادة (1/2 د) من اتفاقيتي فيينا، فإن التحفظ يبدي وقت التأكيد الرسمي، وهذا المصطلح يقوم مقام التصديق عند الدول، بيد أن هذا المصطلح غير منصوص عليه في عمل المنظمات الدولية، حيث إن هذه الأخيرة تقوم بالتعبير عن إرادتها بالتصديق على الاتفاقيات التي ألزمت بها مثلها في ذلك مثل الدول⁽⁵⁾. ويتميز التحفظ الذي يبدي وقت التوقيع بكونه معلوماً من قبل جميع الأطراف المتعاقدة، وبالتالي فهو يبعد عنصر المفاجأة عن أولئك الأطراف⁽⁶⁾، إلا أنه يأخذ على هذا الأسلوب مساوئه إذا ما قرن بالتوقيع المؤجل أو أجزى في وقت لاحق بدون تحديد للزمن⁽⁷⁾.

ونص المبدأ التوجيهي لدليل الممارسة المتعلق بالتحفظات على المعاهدات، الذي اعتمده لجنة القانون الدولي في دورتها الثالثة والستين لعام 2011، على أنه: "إذا صدر التحفظ عند التوقيع على معاهدة رهنا بالتصديق عليها أو بإقرارها رسمياً أو بقبولها أو بالموافقة عليها، وجب على الدولة أو المنظمة الدولية المتحفظة أن تؤكد ذلك رسمياً عند إبدائها موافقتها للالتزام بالمعاهدة، وفي هذه الحالة؛ يعتبر التحفظ مصاعاً من تاريخ تأكيده". واستندت اللجنة في تعليقها على هذا المبدأ بتعليق صدر عام 1962 يقدم شرحاً موجزاً لمبرر وجوده، حيث إنها ذكرت بأنه: "يحدث أحياناً أن يعلن عن تحفظ أثناء المفاوضات ويسجل هذا التحفظ حسب الأصول في المحاضر الحرفية، واستند البعض أحياناً إلى هذه التحفظات الأولية ليؤكد لاحقاً أنها تعادل التحفظات الرسمية، غير أنه يبدو من الضروري أن تؤكد الدولة المعنية رسمياً إعلانها بطريقة ما بحيث تتضح نيتها إبداء تحفظ

(1) د. عبد الكريم علوان، مرجع سابق، ص 278.

(2) د. محمد نوري المهدي، مرجع سابق، ص 300.

(3) د. عبد الغني محمود، مرجع سابق، ص 29؛ أ. عابدين عبد الحميد حسن قنديل، مرجع سابق، ص 201.

(4) د. علي إبراهيم، التحفظ على المعاهدات الدولية، مرجع سابق، ص 65-66.

(5) د. محمود محمد متولي، التحفظ التفسيري في المعاهدات الدولية، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة عين شمس، القاهرة، بدون سنة، ص 73.

(6) د. عبد الغني محمود، مرجع سابق، ص 29.

(7) د. علي إبراهيم، التحفظ على المعاهدات الدولية، مرجع سابق، ص 66.

بالفعل⁽¹⁾. كما ذكرت اللجنة الحالات التي لا يشترط فيها تأكيد التحفظات التي تصاغ عند التوقيع على معاهدة بقولها: "لا يتطلب التحفظ الذي يصاغ عند التوقيع على معاهدة تأكيدا لاحقا عندما تعرب الدولة أو المنظمة الدولية بالتوقيع عن موافقتها على الالتزام بالمعاهدة". هذا بالإضافة إلى ذكرها لحالة التحفظات التي تصاغ عند التوقيع إذا كانت المعاهدة تنص على ذلك صراحة بقولها: "عندما تنص المعاهدة صراحة على أنه يجوز لدولة أو منظمة دولية أن تصوغ تحفظا عند التوقيع على المعاهدة، لا يتطلب هذا التحفظ تأكيدا رسميا من جانب الدولة أو المنظمة المتحفظة عند إبدائها موافقتها على الالتزام بالمعاهدة". وفي تعليق اللجنة على هذا المبدأ قالت: "أن الممارسة السائدة لا تستوجب من الطرف الذي يصوغ تحفظا عند التوقيع أن يؤكد حين يعبر عن موافقته على الالتزام، واستشهدت في ذلك بهنغاريا وبولندا حيث إنهما لم يؤكدتا تحفظهما على المادة (20) من اتفاقية مناهضة التعذيب لعام 1948، التي تنص المادة (28) منها على إمكانية إبداء مثل هذا التحفظ عند التوقيع. ورأت اللجنة أن التحفظات التي تبدي عند التوقيع على اتفاقية تجيز صراحة إبداء التحفظات عند التوقيع هي تحفظات كافية في حد ذاتها، إلا أنه ليس ثمة ما يمنع الدول المتحفظة من تأكيدها، وإن لم يكن هناك ما يجبرها على ذلك. فالمبدأ التوجيهي سالف الذكر يكرس الممارسة الدنيا، التي تبدو ممارسة منطقية ما دامت المعاهدة تنص صراحة على إمكانية إبداء تحفظات عند التوقيع، وإذا لم يعترف بهذا المبدأ، فإنه ينبغي اعتبار الكثير من التحفظات التي تصاغ عند التوقيع، ولكن لا يتم تأكيدها، تحفظات عديمة الأثر، في حين أن الدول التي صاغتها استندت إلى نص المعاهدة نفسه⁽²⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن ليبيا وقعت على الاتفاقيات الدولية الخاصة بحقوق الانسان، نذكر منها على سبيل المثال؛ التوقيع على اتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة لعام 2008، المعنية بحقوق الانسان في 01 مايو 2008، إلا أنها ليست طرفا في البروتوكول الاختياري لهذه الاتفاقية. كما وقعت على اتفاقيات جنيف في 22 مايو 1956، والبروتوكول الإضافي الأول والمتعلق بحماية ضحايا المنازعات الدولية المسلحة، والبروتوكول الإضافي الثاني المتعلق بحماية ضحايا النزاعات المسلحة غير الدولية في 7 يونيو 1978⁽³⁾. أما بالنسبة للمواثيق الإقليمية، فقد وافقت ليبيا على "إعلان القاهرة لحقوق الانسان في الإسلام"، الصادر عن مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية عام 1990، وهو وثيقة إرشادية لا تحتاج إلى تصديق، كما صادقت أيضا على "الميثاق العربي لحقوق الانسان/المعدل"، والذي اعتمده القمة العربية في تونس في مايو 2004، ولم يدخل بعد حيز النفاذ، وانضمت كذلك إلى "الميثاق الإفريقي لحقوق الانسان والشعوب" عام 1983، وصادقت على البروتوكول الاختياري الملحق بالميثاق، والذي ينص على تأسيس المحكمة الأفريقية لحقوق الانسان والشعوب في فبراير 2004⁽⁴⁾.

الفرع الثاني: التحفظ وقت التصديق

وهو الذي تجر به الدولة عند إيداع أو تبادل وثائق التصديق أو هو الذي تقرنه الدولة مع وثائق التصديق المرسلة لدى جهة الإيداع التي تم تحديدها في الاتفاقية⁽⁵⁾، ومن الطبيعي - حينئذ - أن يكون للتحفظ وجود مستقل ومنفصل عن المعاهدة⁽⁶⁾،

(1) الأمم المتحدة، الجمعية العامة، تقرير لجنة القانون الدولي، الدورة الثالثة والستين، 2011، مرجع سابق، ص 225-226.

(2) المرجع السابق، ص 231-235.

(3) حقوق الانسان في ليبيا، 10/مارس/2020، الساعة 20:54، ص 3-4. <https://fanack.com/ar/Libya/human-rights>.

(4) حقوق الانسان والمجتمع المدني في ليبيا "وضع حقوق الانسان في ليبيا"، 10/مارس/2020، الساعة 20:13، ص 1. <https://libyahope.blogspot.com/2008/02/blog-post-24.html>

(5) د. على ابراهيم، الوسيط في المعاهدات الدولية، مرجع سابق، ص 319.

(6) أ. عابدين عبد الحميد حسن قنديل، مرجع سابق، ص 201؛ د. بدرية العوضي، موقف القضاء الكويتي من التحفظ على المعاهدات الدولية، مجلة المحامي الكويتية، العدد الأول، يونيو، 1977م، ص 62.

ويجوز لأي طرف من أطراف المعاهدة في هذه المرحلة أن يجعل تصديقه على المعاهدة معلقا على شرط بحث لا يتم التصديق على المعاهدة إلا بعد تحقق هذا الشرط⁽¹⁾، ويعد هذا الأسلوب شائعا ويكثر استعماله في الدول التي يلعب فيها البرلمان دورا هاما في قبول وثائق التصديق على المعاهدة⁽²⁾، فإذا ما أردت الدولة أن تبدي تحفظها على نص أو أكثر من نصوص المعاهدة أثناء هذه المرحلة، كان عليها أن تأخذ بعين الاعتبار مراعاة الاختصاصات التي يضطلع بها البرلمان عند إبدائها لهذا التحفظ⁽³⁾، ويتميز هذا الأسلوب عن سابقه بوجود عرض مشروع المعاهدة على البرلمان والذي يأخذ بعين الاعتبار مصالح الدولة لقبول المعاهدة من عدمها⁽⁴⁾.

ولذلك تعد هذه المرحلة أكثر ضمانا لمصالح الدولة عند إبرام المعاهدات الدولية، إلا أنه يعيب على التحفظ في هذه المرحلة أنه يتم بعد انتهاء المفاوضات، فيفاجئ الدول الأخرى التي صدقت على المعاهدة بدون تحفظات، ويضعها أمام خيارين، الأول أن تقبل هذه الدول المعاهدة بالتحفظات الواردة عليها، والثاني أن ترفض الدول المعاهدة كليا إذا ما رأت بأن هذا التحفظ الذي أبداه أحد الأطراف هو تحفظ غير جائز أو غير مقبول بالنسبة لها⁽⁵⁾.

الفرع الثالث: التحفظ وقت الانضمام

من المعروف أن انضمام الدولة أو المنظمة الدولية إلى المعاهدات الدولية هو عمل إرادي من جانب واحد، حيث إن هؤلاء الذين ليسوا أطرافا في المعاهدة يصبحون بمقتضاه أطرافا متعاقدة فيها، بشرط أن تكون المعاهدة متعددة الأطراف مفتوحة (أي التي تجيز انضمام دول أو منظمات دولية أخرى إليها) التي شاركت أو قامت بإعدادها والتوقيع عليها، حيث إن لأي منهما الحق في الانضمام لهذه المعاهدة بمضي مدة معينة يحددها أطراف المعاهدة الأصليين، أي الذين اشتركوا في إعداد المعاهدة والتوقيع عليها⁽⁶⁾، وفي هذه الحالة يجوز لهؤلاء الأطراف الحق في إبداء التحفظ وقت الانضمام إليها، بشرط أن يكون غير مخالف لموضوع المعاهدة وغرضها، وأن يتم تسجيله في وثيقة طلب الانضمام، وذلك باعتبارها لم تشارك في مراحل إبرامها لكي يتسنى لها إبداء تحفظاتها آنذاك، ويعد التحفظ عند الانضمام من أسوأ التحفظات وأكثرها خطورة؛ لأنه يبدى بعد أن تصبح المعاهدة نهائية بين أطرافها الأصليين، حيث إن هؤلاء الأطراف مضطرين لإصدار إعلانات أو تصريحات تحدد موقفهم من هذا التحفظ الذي حدث بعد دخولها حيز النفاذ⁽⁷⁾.

ويثور التساؤل عن الأوقات التي يبدى فيها التحفظ والتي نصت عليها المادة (19) من اتفاقيتي فيينا (التوقيع - التصديق - الانضمام) فهل هذه الأوقات نهائية وحاسمة لا يجوز إبداء التحفظات في غيرها أم أن الأمر بخلاف ذلك؟.

إن الإجابة على هذا السؤال تتضح من خلال نص المادة (19) والذي جاء بلفظ (يجوز) للدولة أو المنظمة الدولية، ولم يرد بلفظ (يجب)، الأمر الذي يفهم من هذه الصياغة أن هذا النص يعتبر نصا مكملا وليس نصا آمرا، وبالتالي يجوز الاتفاق على

(1) د. علي إبراهيم، التحفظ على المعاهدات الدولية، مرجع سابق، ص 66-67.

(2) د. صالح السنوسي، الوجيز في القانون الدولي العام، دار الكتب الوطنية، بنغازي، الطبعة الأولى، 2000، ص 41.

(3) د. عبد الغني محمود، مرجع سابق، ص 30.

(4) د. علي إبراهيم، الوسيط في المعاهدات الدولية، مرجع سابق، ص 319.

(5) د. عبد الغني محمود، مرجع سابق، ص 30.

(6) د. علي إبراهيم، الوسيط في المعاهدات الدولية، مرجع سابق، ص 319.

(7) أ. هيثم مفتاح عبد القادر بن دائخة، أثر التحفظ على المعاهدات الدولية في العلاقة بين الأطراف المتعاقدة، رسالة ماجستير، أكاديمية الدراسات العليا، قسم القانون، بنغازي، 2012، ص 25.

مخالفته، لذلك فإن هذه الأوقات الوارد ذكرها في النص ليست نهائية ولا حاسمة في إبداء التحفظ، ويجوز للأطراف المتعاقدة الاتفاق على إبداء التحفظات بمخالفة هذه الأوقات، متى ورد نص في المعاهدة يجيز ذلك. ويضاف إلى ذلك أن نص المادة (19) جاء خاليا مما يمنع من إبداء التحفظات في غير الأوقات الواردة بالنص. ومن الواقع العملي هناك ما يؤكد جواز إبداء التحفظات في غير الأوقات التي حددها نص المادة (19) من اتفاقيتي فيينا، فعلى سبيل المثال نذكر ما حصل بشأن اتفاقية القانون الموحد للشيكات المؤرخة في 19/مارس/1931، حيث إن فرنسا أبدت رغبتها في إبداء تحفظ عند تجديد الاتفاقية، والذي كان من المفترض عليها إبدائه وقت الانضمام أو التصديق وفقا لأحكامها، وانتهى الأمر بطرح التحفظ الذي أبدته فرنسا على الدول الأطراف المتعاقدة لإعطاء رأيهم بشأنه، وكانت النتيجة عدم الحصول على أي اعتراض عليه من الدول الأطراف خلال التسعين يوما التالية لإبدائه، واعتبر بذلك التحفظ الفرنسي صحيحا ومنتجا لآثاره⁽¹⁾. ويلاحظ أن إبداء التحفظات في فترة أو مرحلة المفاوضات في محاضر الجلسات لا يعد من الأحوال الشائعة في إبداء التحفظات، إلا أنه ليس هناك ما يمنع الأطراف المتعاقدة من اقتراح التحفظات في هذه المرحلة، وذلك على أساس أنه من الممكن أن يعول عليها فيما بعد، من قبل بعض ممثلي الأطراف المتفاوضة؛ بأنها تحفظات رسمية، على أن التحفظات التي ترد أثناء فترة المفاوضات لا تعد قائمة ولا يعتد بها ما لم يتم إثباتها في محاضر الجلسات، والتوقيع عليها من الأطراف المتفاوضة سواء أكانت دولاً أم منظمات دولية، ويمكن للدولة التي أبدت تحفظاً عند التوقيع على المعاهدة أن تبدي تحفظاً آخر عند التصديق عليها، ومثال هذه الحالة تصديق الولايات المتحدة على اتفاقية لاهاي لسنة 1907، الخاصة بالتسوية السلمية للمنازعات الدولية حيث إنها اشترطت أن يقترن تصديقها بتحفظ، يتعلق باللجوء إلى المحكمة الدائمة للعدل الدولي لتسوية الخلافات، وذلك بالإضافة للتحفظ الذي أبدته وقت التوقيع على المعاهدة المذكورة⁽²⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن ليبيا انضمت إلى اتفاقيات الأمم المتحدة الرئيسية السبع المعنية بحقوق الإنسان، وأبدت تحفظات على البعض منها، وهي: "العهدان الدوليان الخاصان بالحقوق المدنية والسياسية"، و"الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية" 1970، وأعلنت تحفظها بأن انضمامها إلى العهدين لا ينطوي على الاعتراف بإسرائيل أو الدخول في أي علاقة معها. كما انضمت ليبيا إلى اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز العنصري 1968، وأعلنت تحفظها بأن انضمامها للاتفاقية لا ينطوي على أي اعتراف بإسرائيل أو الدخول في أية علاقة معها، بالإضافة إلى ذلك أكدت على عدم الالتزام بالمادة (22) من الاتفاقية، المتعلقة بسبل حل النزاع بين الدول الأطراف حول تفسير الاتفاقية أو تطبيقها، والتي تنص على إحالة جميع أطراف النزاع إلى محكمة العدل الدولية للفصل فيه⁽³⁾. وانضمت ليبيا أيضاً إلى اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، "سيداو" 1989، وأبدت تحفظات في نفس تاريخ الانضمام، وذلك على المادة (2) المتعلقة بتعهد الدول الأطراف بإدماج مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة في دساتيرها الوطنية وتشريعاتها، وكفالة التحقيق العملي لهذا المبدأ، وحظر كل تمييز ضدها، وبوجوب مراعاة قواعد الشريعة الإسلامية فيما يتعلق بالميراث، حيث ذكرت أن هذا المبدأ سيطبق في إطار مبادئ الشريعة الإسلامية، بالإضافة إلى

(1) أ. إبراهيم ميلا محمد الحداد، مرجع سابق، ص 61-62.

(2) د. عبد الغني محمود، مرجع سابق، ص 30-31.

(3) هذا وقد انضمت ليبيا إلى البعض من اتفاقيات حقوق الإنسان دون أي تحفظات عليها، ومن هذه الاتفاقيات على سبيل المثال: اتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو المهينة عام 1987، وانضمت ليبيا في 16 مايو 1989، وانضمت لاتفاقية حقوق الطفل عام 1993، واتفاقية حماية العمال المهاجرين وأفراد أسرهم 2003، وانضمت لها ليبيا في 2004، كما انضمت إلى "البروتوكول الاختياري الأول الملحق بالعهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية"، بشأن تقديم الشكاوى من قبل الأفراد عام 1989، وانضمت أيضاً إلى "البروتوكول الاختياري لاتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة عام 2004؛

ذلك أكدت تحفظها على المادة (16/1/ج) من الاتفاقية المذكورة، التي تلزم الدول الأطراف باتخاذ جميع التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضدها في الأمور المتعلقة بالزواج وعند فسخه والعلاقات العائلية، بمعنى المساواة في الحقوق والواجبات، كذلك التحفظ على المادة (22) من نفس الاتفاقية المذكورة، التي تتعلق بحق الوكالات المتخصصة في أن توفد من يمثلها لدى النظر فيما يقع في نطاق أعمالها من أحكام هذه الاتفاقيات، وقد جاءت هذه التحفظات لخرقها الحقوق التي تمنحها الشريعة الإسلامية للمرأة، الأمر الذي لا يمكن حدوثه. كما تحفظت المملكة العربية السعودية على المادة (1/29) من اتفاقية "سيداو"، التي تتعلق بالإحالة إلى التحكيم لمحكمة العدل الدولية، حيث ذكرت أنه: "في حالة التناقض بين أي من أحكام الاتفاقية وقواعد الشريعة الإسلامية، فإن المملكة ليست ملزمة بالامتثال لأحكام الاتفاقية". وعلى الرغم من أن اللجنة المعنية بالقضاء على التمييز ضد المرأة (سيداو) اعترفت بالتحفظات التي قدمت من الدول العربية والإسلامية، إلا أنها لم تقبلها لأنها غير مقبولة من وجهة نظر الاتفاقية، لتعارضها مع الطبيعة العالمية، بالتالي كان من الضروري مراعاة خصوصية الدولة وثقافتها. كما ذكرت هذه اللجنة أن تحفظات الدول العربية على الاتفاقية تتعارض مع الوفاء بالتزاماتها في تطبيق معاهدات أخرى انضمت إليها سابقاً؛ "الشرعية الدولية لحقوق الانسان"، إذ أن معظم الدول العربية المنضمة إلى "سيداو" قد سبق لها المصادقة على العهد الدولي الخاصة بالحقوق المدنية والسياسية، وأصبحت بذلك مطالبة بتطبيق جميع مقتضياته خاصة إنها لم تحفظ على المادة (23) منه، والتي تنص على المساواة بين الزوجين داخل الأسرة⁽¹⁾.

كما أبدت ليبيا تحفظات عند انضمامها لاتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام 1961، بموجب القانون رقم (9) لسنة 1977، وذلك على الفقرتين (3-4) من المادة (27) منها، بشأن فتح الحقيبة الدبلوماسية⁽²⁾.

المطلب الثالث

إبلاغ التحفظ وتأكيد

أشارت المادة (1/23) من اتفاقيتي فيينا إلى إبلاغ التحفظ وتأكيد بقولها: "وأن يبلغ إلى الدول والمنظمات الدولية المتعاقدة". وبما أن إبداء التحفظ لا بد وأن يكون في شكل مكتوب، فالإبلاغ أيضاً يجب أن يتم في شكل مكتوب أسوة بإبدائه، نظراً لما بين هذين الإجراءين من ارتباط⁽³⁾. ويتم إبلاغ التحفظ على المعاهدات الدولية ما لم تنص المعاهدة على خلاف ذلك كالاتي: -1- في حالة عدم وجود وديع تقوم الجهة المتحفظة بإرسال الإبلاغ للدول والمنظمات الدولية المتعاقدة، كما تقوم بإرساله أيضاً للدول والمنظمات الدولية الأخرى، التي يحق لها أن تصبح أطرافاً متعاقدة في المعاهدة. -2- في حالة وجود (وديع)، يتم إرسال هذا البلاغ للوديع، والذي يقوم بدوره بإعلام الأطراف المتعاقدة بهذا البلاغ الموجه إليها، وفي هذه الحالة لا يعد البلاغ المتعلق بالتحفظ صدر رسمياً من الجهة المعنية (المتحفظة)؛ إلا عندما تتسلمه الدولة أو المنظمة الدولية الموجه إليها أو عندما يتسلمه الوديع حسب الأحوال. وبعد أن تُسَلَّم الجهة المعنية (أطراف المعاهدة الآخرين) هذا البلاغ بالتحفظ، يبدأ من هذا التاريخ سريان مهلة الاعتراض على التحفظ، وعندما يكون البلاغ بالتحفظ على المعاهدة الدولية عن طريق البريد الإلكتروني أو الفاكس، فيجب

⁽¹⁾<https://kitabab.com/cultural>.

التحفظات الدولية حول اتفاقية سيداو، 10/مارس/2020، الساعة: 21:07، ص5.

⁽²⁾ الجريدة الرسمية، العدد 16، بتاريخ 14 مارس 1977.

⁽³⁾ الأمم المتحدة، الجمعية العامة، تقرير لجنة القانون الدولي، الدورة الثالثة والستين، 2011، مرجع سابق، ص196 وما بعدها.

تأكيده بمذكرة دبلوماسية أو بإشعار من الوديع⁽¹⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن دور (الوديع أو المودع عنده أو الجهة المودع لديها) كان ذا أهمية بالغة في الوقت الذي كانت سائدة فيه القاعدة التقليدية (الإجماع)، حيث إنه كان يغطي فيه مجال وظيفته بشكل كافي، ففي خلال هذه الفترة كان بإمكانه أي (المودع عنده) أن يبدي رأيه فيما يتعلق بالآثار القانونية للتحفظات والاعتراضات عليها، كما كان بإمكانه أيضا رفض الإيداع النهائي للوثيقة التي قدمت من قبل الدولة المتحفظة⁽²⁾. كما أعطت اتفاقية فيينا لقانون المعاهدات للجهة المودع لديها صلاحية التحقق من صحة التصرفات التي بلغ بها من قبل الدول الأطراف، كأن تحسم مسألة صحة تحفظ مثلاً، إلا أن هذه الصلاحية محصورة في حدود التثبيت من صحة الإجراءات في الشكل فقط، وبالنسبة للناحية الموضوعية يجب عليها إبلاغ الدول الأطراف⁽³⁾. إلا أنه وبصودر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 598 في 12/يناير/1952، والذي تم تعديله لاحقاً بالقرار رقم 1452/ب (14) في 7/ديسمبر/1959، طلبت فيه من الأمين العام ممارسة وظائفه كمودع عنده بمناسبة إيداع الوثائق التي تحتوي على تحفظات واعتراضات بدون إبداء رأيه فيما يتعلق بالآثار القانونية لها، وكان هدفها من ذلك أن يمنح الأمين العام لكل دولة الحق في استخلاص النتائج القانونية لهذه التحفظات والاعتراضات من الإخطارات الموجهة إليها، ومنذ ذلك الوقت لم يعد للمودع عنده دور في إعطاء رأيه فيما يتعلق بشرعية أو مقبولية التحفظ، حيث تقلص دوره إلى ما يمكن تشبيهه بصندوق البريد أو الموثق⁽⁴⁾.

المطلب الرابع

صودر التحفظ

يصدر التحفظ عن صنفين من الأشخاص، صنف يلزمه الحصول على تفويض من الجهة المعنية التي يمثلها سواء أكانت دولة أم منظمة دولية، وصنف آخر لا يحتاجون إلى تفويض بحكم مراكزهم الوظيفية التي يشغلونها، ولعل من أهمهم رؤساء الدول، ورؤساء الحكومات، ووزراء الخارجية. وقد نصت المادة (7) من اتفاقيتي فيينا، بصفة خاصة على موضوع التفويض وذلك على النحو التالي:- "1- يعتبر الشخص ممثلاً للدولة أو المنظمة لغرض إبداء التحفظ : أ. إذا أبرز أو قدم هذا الشخص وثيقة تفويض لغرض اعتماد أو توثيق نص المعاهدة التي يبدي بشأنها التحفظ أو لغرض التعبير عن موافقة الدولة أو المنظمة الدولية على الالتزام بالمعاهدة. ب. إذا اتضح من خلال ممارسات الدول أو المنظمات الدولية المعنية أو من خلال ظروف أخرى أن نية أو قصد هذه الدول أو المنظمات الدولية كانت تتصرف إلى اعتبار ذلك الشخص مفوضاً للقيام بمثل تلك الأغراض دونما حاجة إلى تقديم وثيقة التفويض. 2- يعتبر الأشخاص الآتي ذكرهم ممثلين لدولهم بحكم وظائفهم، دون الحاجة إلى حمل أو إبراز وثيقة تفويض: أ. رؤساء الدول - ورؤساء الحكومات - ووزراء الخارجية، وذلك لغرض القيام بجميع الأعمال المتعلقة أو المرتبطة بعقد المعاهدة. ب. رؤساء البعثات الدبلوماسية، لأجل اعتماد نص معاهدة أو إبداء تحفظ على معاهدة دولية بين الدولة أو المنظمة المعتمدين منها والدولة أو المنظمة المعتمدين لديها. ج. الممثلون المعتمدون من الدول لدى مؤتمر دولي أو لدى منظمة دولية، أو لدى الأجهزة التابعة لهذه المنظمة، لغرض اعتماد نص معاهدة دولية أو إبداء تحفظ على معاهدة دولية تم اعتمادها في ذلك

(1) أ. إبراهيم ميلاد محمد الحداد، مرجع سابق، ص 62.

(2) أ. هيثم مفتاح عبد القادر بن دائخة، مرجع سابق، ص 58.

(3) د. على ضوي، القانون الدولي العام، "المصادر والأشخاص"، الجزء الأول، دار الكتب الوطنية، بنغازي، الطبعة الخامسة، 2013، ص 113-114.

(4) أ. هيثم مفتاح عبد القادر بن دائخة، مرجع سابق، ص 58.

المؤتمر أو تلك المنظمة أو ذلك الجهاز التابع للمنظمة الدولية"⁽¹⁾.

وبناءً على ما سبق، نستنتج أن أي عمل له علاقة بإبرام المعاهدات الدولية إذا ما قام به شخص غير مفوض قانوناً من قبل الجهة المعنية، فإنه لا يكون لهذا العمل أو التصرف أي أثر قانوني، ما لم تجزه تلك الجهة المعنية لاحقاً، وهذا ما نصت عليه المادة (8) من اتفاقيتي فيينا بقولها أن: "أي عمل يتعلق بعقد معاهدة يقوم به شخص لا يعتبر بموجب المادة (7) مآدونا بتمثيل دولة لذلك الغرض، لا يكون له أثر قانوني إلا إذا أجازته تلك الدولة في وقت لاحق".

المبحث الثاني

التحفظات الجوهرية

تمهيد وتقسيم :

عندما تقوم دولة أو منظمة دولية بالتحفظ على نص أو أكثر من نصوص المعاهدة، يجب أن يكون هذا التحفظ خاضعاً لنص المادة (19) من اتفاقيتي فيينا، ولبقية الأحكام الواردة بهاتين الاتفاقيتين، وحتى يكون التحفظ كذلك يجب أن تتوافر عدة شروط موضوعية مستفادة من مجمل النظام المرن الذي جاءت به اتفاقيتي فيينا وليس من نص محدد بالذات⁽²⁾. ولكي يرتب التحفظ آثاره القانونية لا بد أن يتوافر فيه كافة أحكامه الموضوعية⁽³⁾.

وبناءً على ذلك نتناول دراسة هذا المبحث - التحفظات الجوهرية على أحكام المعاهدات الدولية - من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: استبعاد أو تعديل الأثر القانوني.

المطلب الثاني: موضوع المعاهدة والغرض منها.

المطلب الثالث: التحفظات المحددة.

المطلب الرابع: حظر التحفظات على قواعد القانون الدولي العام.

المطلب الأول

استبعاد أو تعديل الأثر القانوني

يقصد باستبعاد أو تعديل الأثر القانوني للتحفظ أن يكون الإعلان أو التصريح الصادر من الدولة أو المنظمة الدولية، يهدف إلى استبعاد نص في المعاهدة أو أكثر من أن يسري أو ينطبق عليها، أو تعديل الأثر القانوني للنص الذي صدر بشأنه الإعلان أو التصريح، مما يعني أن يكون التحفظ تحفظاً بالمعنى الدقيق، أما إذا كان الأمر بخلاف ذلك بأن كان الإعلان أو التصريح يهدف إلى تفسير النصوص فقط، فإن ذلك لا يعد تحفظاً ولا تنطبق عليه أحكامه⁽⁴⁾. ويستخلص ذلك من نص المادة (2/د) من اتفاقيتي فيينا بقولها: "وتهدف به إلى استبعاد أو تعديل الأثر القانوني لأحكام معينة في المعاهدة". ويفهم من هذا النص أن غاية التحفظ تتمثل في أمرين؛ أولهما استبعاد أحكام معينة في المعاهدة من السريان على الدولة أو المنظمة الدولية مصدرة التحفظ،

(1) أ. إبراهيم ميلاد محمد الحداد، مرجع سابق، ص 62-63.

(2) د. علي إبراهيم، الوسيط في المعاهدات الدولية، مرجع سابق، ص 345.

(3) أ. هيثم مفتاح عبد القادر بن دائخة، مرجع سابق، ص 47.

(4) د. علي إبراهيم، الوسيط في المعاهدات الدولية، مرجع سابق، ص 345.

وثانيهما هو تعديل الأثر القانوني لأحكام معينة في المعاهدة في مواجهة الأطراف المتحفظة، أما إذا كانت الدولة أو المنظمة الدولية لا تهدف من وراء التحفظات إلى ترتيب هذا الأثر، فإن ذلك لا يعد تحفظاً تسري عليه أحكام التحفظات الواردة في المواد من (19-23) من اتفاقيتي فيينا. وفي هذا السياق، أقرت لجنة القانون الدولي مبدأ التحفظات التي تصاغ بمقتضى شروط تأذن صراحة باستبعاد أو تعديل أحكام معينة من المعاهدة بقولها: "يشكل الإعلان الانفرادي الذي تصدره دولة أو منظمة دولية عند إبداء موافقتها للالتزام بمعاهدة، وفقاً لشرط يأذن صراحة للأطراف أو لبعضها باستبعاد أو تعديل الأثر القانوني لأحكام معينة من المعاهدة فيما يتعلق بالطرف الذي أصدر الإعلان، تحفظاً من التحفظات التي تأذن بها المعاهدة صراحة"⁽¹⁾. وفي تعليقها على ذلك أشارت على نص المادة (20) من المشروع النهائي لاتفاقية فيينا لعام 1969، حيث إنها حاولت وضع (معياري) حاسم للفرقة بين التحفظ بالمعنى الدقيق والتصريحات التي تعد مجرد إعلان لا أكثر، حيث قالت: "إن الدولة عندما تصدر إعلاناً حسب فهمها لنص معين من نصوص المعاهدة يمكن أن يصل إلى درجة التحفظ بحسب ما إذا كان يؤدي أو لا يؤدي إلى تعديل أو استبعاد نصوص المعاهدة"⁽²⁾. ويتضح من خلال ذلك أن المعيار الحاسم الذي حاولت اللجنة إقامته للفرقة بين التحفظ بالمعنى الدقيق والتصريح التفسيري هو (الأثر) الذي يحدثه التصريح وليس الاسم الذي يطلق عليه من قبل الدولة التي أثارته، أي أن (العبرة بالأثر لا بالتسمية)، فمتى كان التصريح يهدف إلى استبعاد تطبيق النص أو تعديل معناه فهو تحفظ، ومتى كان التصريح لا يمس النص من هذه الجوانب ولا يعدل في الالتزامات التي يفرضها فهو تصريح تفسيري ولا يعد تحفظاً، ومن الأمثلة الشهيرة على ذلك، ما أعلنته الحكومة البريطانية حول ميثاق بريان كيلوج عام (1928)، والذي ينص على تحريم اللجوء للحرب كوسيلة من وسائل السياسة الوطنية، حيث إنها فسرت هذا المنع على أساس أنه لا يخل بحق الدفاع الشرعي⁽³⁾، ويفهم من هذا المثال أن الحكومة البريطانية لم تبدي تحفظاً على الميثاق المذكور من خلال إعلانها وإنما كان هذا الإعلان مجرد تفسير لنص الميثاق حسب فهم تلك الدولة. وبالرغم من ذلك قد لا تسير الأمور بهذه السهولة في الواقع العملي الدولي حيث إن تعدد آراء ومواقف الدول تجاه التصريحات وفي كثير من الأحيان يصعب التمييز بين التحفظ والتصريح التفسيري وفقاً للأثر المترتب على كل منهما. وفي هذه الحالة يجب بالإضافة إلى التعرف على الأثر القانوني، معرفة (نية الطرف) الذي أصدر أيًا منهما، أي بمعنى أن الأثر والنية يكمل كل منهما الآخر، بشرط أن يتم ذلك التعرف بحسن نية وفي سياق المعاهدة التي يتعلق بها التحفظ أو التصريح التفسيري⁽⁴⁾. ومن الأمثلة على ذلك التحفظ الذي أبداه الاتحاد السوفيتي سابقاً على نص المادة (11) من اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام 1961، وقد جاء في هذا التحفظ: "إن الاتحاد السوفيتي يعتبر أن أي اختلاف أو خلاف في الرأي حول حجم البعثة الدبلوماسية يجب أن يسوى بالاتفاق بين الدولة المعتمدة والدولة المعتمد لديها"، حيث إن المادة المذكورة تعطي للدولة المعتمد لديها أن تحدد حجم البعثة الدبلوماسية بنفسها إذا لم يتم التوصل إلى اتفاق مع الدولة المعتمدة، نجد أن التحفظ السوفيتي ينص على وجوب تحديد حجم البعثة بالاتفاق دائماً بين الأطراف المعنية. ويلاحظ أن هذا التحفظ يتفق مع النص ولكنه لا يشير إلى إمكانية ترك الحرية للدولة المعتمد لديها لكي تقوم بتحديد حجم البعثة بمفردها عند تعذر الاتفاق بينها وبين الدولة المعتمدة، واعتبرت بعض الدول ذلك التحفظ مجرد تصريح تفسيري لا يعدل أو يستبعد أي حقوق أو التزامات واردة في النص السابق ذكره، في حين اعتبرته بعض الدول الأخرى تحفظاً بالمعنى الدقيق للكلمة يعدل في الالتزامات أو الحقوق الواردة في النص

(1) الأمم المتحدة، الجمعية العامة، تقرير لجنة القانون الدولي، الدورة الثالثة والستين، 2011، مرجع سابق، ص 71.

(2) د. على إبراهيم، التحفظ على المعاهدات الدولية، مرجع سابق، ص 97.

(3) د. على إبراهيم، الوسيط على المعاهدات الدولية، مرجع سابق، ص 338-339.

(4) أ. هيثم مفتاح عبد القادر بن دائخة، مرجع سابق، ص 48.

السابق من الاتفاقية⁽¹⁾، وفي الحقيقة أن هذا التصريح لا يعد تحفظاً لأنه لا يستبعد ولا يعدل في الأحكام الواردة في النص المذكور.

وبالرغم من صعوبة التمييز بين (التحفظ) و(التصريح التفسيري) وما يحدثه ذلك من خلاف بين الدول كما رأينا في المثال السابق، ويرجع السبب في ذلك إلى خطورة النتائج القانونية التي تترتب على هذه التفرقة، فإذا ما اعتبرنا التصريح مجرد تفسير فهذا سيؤدي إلى عدم قبول الاعتراضات من الأطراف المتعاقدة في المعاهدة، في حين لو اعتبرناه تحفظاً فإنه سيخضع للقواعد والأحكام الواردة باتفاقيتي فيينا، وخاصة المواد من (19-23) بشأن التحفظ⁽²⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن اللجنة الأوروبية لحقوق الإنسان تعرضت لمسألة التمييز بين التحفظ والتصريح التفسيري في قضية ضد سويسرا عام 1982، حيث ذكرت في تقريرها: "في حالة غياب تحديد فكرة التحفظ في الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان والحريات الأساسية الموقعة بتاريخ 4/نوفمبر/1950، فإنها سوف تعتمد في إقامة التفرقة على القانون الدولي الذي جرى تقنيه في اتفاقية فيينا لقانون المعاهدات لعام 1969، وعلى آراء الفقهاء"، وفي ختام تقريرها ذكرت بأنه إلى جانب التصريحات التي تعد فعلاً "تحفظات" يجب التفريق بين نوعين آخرين من التصريحات: النوع الأول: ويسمى "التصريح التفسيري البسيط" وهذا النوع لا يعد تحفظاً، لأن أثره يقف عند حد تفسير نص من نصوص المعاهدة، ومع ذلك إذا توصلت اللجنة أو المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان إلى تفسير مخالف للتفسير الذي أورده هذا النوع من التصريحات، كان على الدولة صاحبة التصريح أن تحترم تفسير اللجنة أو المحكمة، وأن تتخلى عن تفسيرها الوارد بهذا التصريح. النوع الثاني: ويسمى "بالتصريح التفسيري الموصوف" وهذا النوع من التصريحات عدته اللجنة من بين أو من ضمن التحفظات بمعناها الدقيق، حيث تقوم فيه الدولة بتفسير خاص بها لنص أو أكثر من النصوص المعاهدة، كشروط للتصديق عليها أو الانضمام إليها، وبناء على ما سبق قررت اللجنة بأنه متى أصدرت دولة أو منظمة دولية باعتبارها طرف في معاهدة دولية، تصريحاً معيناً وكان هدفها من وراء هذا التصريح استبعاد نص أو أكثر من نصوص المعاهدة من أن تسري أحكامه عليها، أو تعديل الأثر القانوني لهذا النص بالنسبة إليها كان من الواجب أن يتساوى هذا التصريح مع التحفظ في أثره من الناحية القانونية، بغض النظر عن الاسم الذي يطلق عليه⁽³⁾.

خلاصة القول في هذه المسألة تتمثل في أنه متى كان التصريح الصادر عن الدولة أو المنظمة الدولية يهدف إلى استبعاد نص في المعاهدة أو تعديل أثره القانوني فهو "تحفظ" حتى لو سمي "تصريحاً تفسيرياً"، وفي المقابل متى كان التصريح لا يهدف ولا يرمي سوى إلى توضيح ما في النص من غموض واقتصر أثره على هذا الأمر فإنه لا يعد سوى مجرد تفسير فقط لا أكثر.

المطلب الثاني

موضوع المعاهدة والغرض منها

مسألة جواز التحفظات من عدمها في المعاهدات الدولية هي مسألة متروكة لإرادة الأطراف المتعاقدة في تلك المعاهدات، حيث يتمتع هؤلاء الأطراف بقدر كبير من الحرية في هذه المسألة، فقد يتفقون على جواز التحفظات بنصوص صريحة في المعاهدة وقد يمنعونها أيضاً بنصوص صريحة⁽⁴⁾، لذا يحق لأي طرف في المعاهدة أن يبدي ما يشاء من تحفظات على نصوص المعاهدة في

(1) د. علي إبراهيم، التحفظ على المعاهدات الدولية، مرجع سابق، ص 100-101.

(2) د. علي إبراهيم، الوسيط في المعاهدات الدولية، مرجع سابق، ص 340-343.

(3) د. علي إبراهيم، التحفظ على المعاهدات الدولية، مرجع سابق، ص 106.

(4) أ. إبراهيم ميلاد محمد الحداد، مرجع سابق، ص 47.

مراحلها التي يبدي فيها التحفظات- التوقيع أو التصديق أو الانضمام- متى كان ذلك في النطاق الذي سمحت به المعاهدة بشرط عدم مخالفته لموضوعها والغرض منها⁽¹⁾، أما إذا كانت المعاهدة تنص على حظر التحفظ بنصوص صريحة فلا مجال للتحفظ على أي نص من نصوصها، حتى ولو كان غير مخالف لموضوعها وغرضها؛ لأنه محظور بنصوص صريحة فيها⁽²⁾. وذلك طبقاً للقاعدة العامة "لا اجتهاد مع صراحة النص".

ومن الجدير بالذكر، أن اتفاقيتي فيينا لم تغلحا في إنشاء جهاز قضائي دولي يختص بالرقابة على مدى صحة التحفظات التي تبديها الأطراف، إلا أن بعض الاتفاقيات الإقليمية نجحت في إنشاء مثل هذا الجهاز القضائي، وأوكلت إليه مهمة الفصل في الخلاف بين الدول الأطراف حول تفسير وتطبيق الاتفاقية، وكذلك الرقابة على مدى صحة التحفظات، واتفاقها أو عدم اتفاقها مع موضوع المعاهدة والهدف منها. فالمحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان التابعة لمجلس أوروبا تملك هذه السلطة، وقد أصدرت حكماً في هذا الخصوص بتاريخ 29 أبريل 1988، في قضية مدام BELILOS ضد الحكومة السويسرية، أعلنت فيه بطلان التحفظ السويسري على المادة (1/6) من الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان والحريات الأساسية المبرمة بتاريخ 4 نوفمبر 1950. ويكتسب هذا الحكم أهمية خاصة، ذلك لأنه الأول في هذا المجال الذي يتعرض لفحص تحفظ صادر عن دولة طرف في معاهدة دولية، ويصل فيه إلى قرار بالبطلان على أساس مخالفته لموضوع المعاهدة والهدف منها. ولقد صدر هذا الحكم بالإجماع واضعاً حداً للجدل الفقهي حول اختصاص أجهزة الرقابة "اللجنة الأوروبية ومحكمة العدل الأوروبية لحقوق الإنسان"، في تقدير صحة التحفظات الصادرة عن الدول الأعضاء⁽³⁾. واختارت محكمة العدل الدولية في عام 1951، تقييم توافق التحفظات مع موضوع وهدف الدول الأطراف على حده، ومنذ قضية "بيليلوس" أمام المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان، اكتسبت شعبية التحفظات غير المتوافقة، مما أدى إلى التزام الدولة المتحفظة بالمعاهدة ككل. نفس الموقف الذي اعتمدته محكمة البلدان الأمريكية لحقوق الإنسان في فتاوها بشأن القيود المفروضة على عقوبة الإعدام، وتبين ممارسات الدول أن عدد قليل منها قد اعترضت على الفكرة الناشئة بشأن اختصاص هيئات لتقييم مدى توافق التحفظات، فعلى سبيل المثال لم تتسحب سويسرا من الاتفاقية الأوروبية على الرغم من أنها كانت مهددة منذ البداية للقيام بذلك، وذلك لقرار اللجنة الأوروبية لحقوق الإنسان بشأن قضية جواتيمالا، أيضاً قبول الفتوى الصادرة عن محكمة الدول الأمريكية لحقوق الإنسان فيما يتعلق بقضية عقوبة الإعدام، حيث انتقدت صراحة الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا، رأي لجنة حقوق الإنسان فيما يتعلق بتلك العقوبة، وملاحظاتهم فيما يتعلق بالآثار القانونية المترتبة على عدم التوافق بدلاً من اختصاصه لإجراء هذا التقييم، فضلاً عن القلق الواضح تجاه مهام اللجنة نحو وضع التحفظات.⁽⁴⁾

وتجدر الإشارة إلى أن لجنة القانون الدولي أرست عدة مبادئ توجيهية في موضوع المعاهدة والغرض منها، تحت عنوان "التحفظات الجائزة"، حيث قالت: "للدولة أو للمنظمة الدولية، عند توقيع معاهدة أو التصديق عليها أو إقرارها رسمياً أو قبولها أو الموافقة عليها أو الانضمام إليها، أن تبدي تحفظاً، ما لم: أ- تحظر المعاهدة هذا التحفظ. ب- تنص المعاهدة على أنه لا يجوز أن تبدي سوى تحفظات محددة ليس من بينها التحفظ المعني. ج- أو يكون التحفظ في الحالات التي لا تنص عليها الفقرتان

(1) د. علي إبراهيم، الوسيط في المعاهدات الدولية، مرجع سابق، ص 346.

(2) د. علي إبراهيم، التحفظ على المعاهدات الدولية، مرجع سابق، ص 125.

(3) د. علي إبراهيم، الوسيط في المعاهدات الدولية، مرجع سابق، ص 365 وما بعدها.

(4) <https://fanack.com/ar/Libya/human-rights>. حقوق الإنسان في ليبيا، مرجع سابق، ص 3-4.

الفرعيتان (أ) و (ب)، مخالفا لموضوع المعاهدة والغرض منها⁽¹⁾. وبناء على ذلك نتحدث عن هذه المعاهدات وفقا للتقسيم الآتي:

الفرع الأول: جواز التحفظ بنصوص صريحة

هي تلك المعاهدات التي اتفق أطرافها على جواز التحفظ عليها بنصوص صريحة فيها ومن أمثلة هذه المعاهدات نذكر، الاتفاقية الدولية لإزالة كافة أشكال التمييز العنصري ضد المرأة لعام 1979، حيث أجازت هذه الاتفاقية إبداء التحفظات عليها من خلال نص المادة (1/28) بقولها: "يتلقى الأمين العام للأمم المتحدة نص التحفظات التي تبديها الدول وقت التصديق أو الانضمام ويقوم بتعميمها على جميع الدول". ومن أمثلة هذه المعاهدات أيضا الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان والحريات الأساسية حيث نصت المادة (64) منها على أنه: "يجوز لأي دولة عند التوقيع على هذه المعاهدة أو عند إيداع وثائق التصديق عليها أن تتحفظ بشأن أي حكم خاص في المعاهدة". وتجدر الإشارة إلى أن لجنة القانون الدولي، حثت الدول على الاستعراض الدوري لجدوى التحفظات بقولها: "أ- ينبغي للدول أو المنظمات الدولية التي صاغت تحفظا أو عدة تحفظات على معاهدة أن تقوم باستعراض دوري لها، وأن تتوخى سحب التحفظات التي لم تعد تقي بالغرض الذي أبدت من أجله. ب- وفي هذا الاستعراض، ينبغي أن تولي الدول والمنظمات الدولية عناية خاصة للحفاظ على سلامة المعاهدات المتعددة الأطراف، وأن تتنظر عند الاقتضاء في جدوى الإبقاء على التحفظات، ولا سيما في ضوء قانونها الداخلي والتطورات التي طرأت عليه منذ إبداء هذه التحفظات". وذكرت اللجنة بأن الأجهزة المكلفة برصد تنفيذ المعاهدات، خاصة في مجال حقوق الإنسان، تناشد الدول بصفة متزايدة أن تعيد النظر في تحفظاتها وتعديل عنها إن أمكن، وكثيرا ما تكرر هذه النداءات الأجهزة السياسية في المنظمات الدولية ذات الاختصاص العام مثل الجمعية العامة للأمم المتحدة أو لجنة وزراء مجلس أوروبا⁽²⁾.

كما ناشدت اللجنة المعنية للقضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو) في مواجهة التحفظات، في العديد من البيانات والتوصيات بشأنها تلك، إلى إعادة النظر فيها بهدف سحبها، والتي ركزت على التحفظات المتعلقة بالمادة (2)، والتي تنص على أن: "بعض التحفظات الواقعة تبدو متعارضة مع موضوع الاتفاقية وغرضها". وعلى سبيل المثال، أعربت اللجنة عن قلقها إزاء التحفظات التي أبدتها جمهورية كوريا، وفرنسا، وبنغلاديش، حيث قررت اللجنة خلال استعراض العديد من التقارير الدورية، أن التحفظات على المواد (2-7-9-16)، فضلا عن التحفظات العامة، لا تتفق مع موضوع الاتفاقية وغرضها، مما أوجب سحبها⁽³⁾.

الفرع الثاني: منع التحفظ بنصوص صريحة

على العكس من المعاهدات السابقة والتي أجازت التحفظ بنصوص صريحة فيها أو منها، منعت هذه المعاهدات التي نحن بصددنا الآن التحفظ بنصوص صريحة أيضا، على سبيل المثال نذكر من هذه المعاهدات معاهدة أوتوا لحظر الألغام المضادة للأفراد، حيث نصت المادة (19) منها بقولها: "لا تخضع مواد هذه الاتفاقية للتحفظات"، كما منع التحفظ على النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية لعام 1998، من خلال ما ورد في نص المادة (120) من هذا النظام بقولها: "لا يجوز إبداء أية

(1) الأمم المتحدة، الجمعية العامة، تقرير لجنة القانون الدولي، الدورة الثالثة والستين، 2011، مرجع سابق، ص22 وما بعدها.

(2) الأمم المتحدة، الجمعية العامة، تقرير لجنة القانون الدولي، الدورة الثالثة والستين، 2011، مرجع سابق، ص282.

(3) <https://kitabab.com/cultural>.

التحفظات الدولية حول اتفاقية سيدياو، مرجع سابق، ص5.

تحفظات على هذا النظام الأساسي"، كذلك ما جاء بالمادة (41) من الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب والتي نصت على أنه: "لا يجوز لأي دولة من الدول المتعاقدة، أن تبدي أي تحفظ ينطوي صراحة أو ضمنا على مخالفة لنصوص هذه الاتفاقية أو الخروج عن أهدافها". كما أن اتفاقية فيينا لقانون المعاهدات نصت على عدم جواز التحفظ على مثل هذه الاتفاقيات وذلك من خلال نص المادة (1/19) بقولها: "للدولة لدى توقيع معاهدة ما أو التصديق عليها أو قبولها أو إقرارها أو الانضمام إليها، أن تبدي تحفظاً، إلا إذا: (أ) - حظرت المعاهدة هذا التحفظ".

ويرى "توموشات"، إنه ينبغي النظر إلى الحظر الوارد في الفقرة الفرعية (أ) من المادة (19) بصيغته الحالية على أنه يشمل كلا من حالات الحظر الصريح للتحفظات، وحالات الحظر الضمني لها على حد سواء⁽¹⁾.

ومما سبق، يتضح جلياً أن التحفظ على مثل هذه المعاهدة هو أمر غير جائز ولا يعتد به أصلاً.

الفرع الثالث: التحفظات الجائزة

بخلاف النوعين السابقين، هذا النوع من المعاهدات يسلك مسلكاً وسطاً بين السماح بالتحفظ وبين عدم السماح به أو منعه، أي بمعنى أنها تسمح بإبداء التحفظات على بعض نصوصها ولا تسمح به على البعض الآخر، ونذكر من أمثلة هذه الاتفاقيات، اتفاقية الجرف القاري لعام 1958، حيث نصت المادة (12) منها على أنه: "يجوز لأي دولة عند التوقيع أو الانضمام أن تبدي تحفظاً إزاء مواد من الاتفاق غير المواد 1 إلى آخر 3". كذلك اتفاقية خفض حالات انعدام الجنسية لعام 1961، حيث نصت المادة (1/17) منها على أنه: "لأي دولة لدى التوقيع أو التصديق أو الانضمام حق إبداء التحفظ بشأن المواد (11 ، 14 ، 15)"، ونصت في فقرتها الثانية على أنه: "لا تقبل أي تحفظات أخرى على هذه الاتفاقية".

وتجدر الإشارة إلى أن لجنة القانون الدولي استندت إلى التمييز بين شروط حظر جميع التحفظات والشروط التي تستثني تحفظات بعينها الذي ورد في مشروع "السير همفري والدوك" لعام 1962، أما اتفاقية فيينا لقانون المعاهدات لم تحدد هذه الفوارق المميزة، ولكن رغم الغموض الذي اكتنف صياغتها، يتعين بالتأكيد أن يفترض أن الفقرة الفرعية (أ) من المادة (19) تشمل الفرضيات الثلاثة معاً، ويتضح ذلك في ضوء إجراء تحليل أدق، وهي: أ- فرضية شروط التحفظات التي تمنع إبداء أي تحفظ. ب- فرضية شروط التحفظات التي تمنع إبداء تحفظات على أحكام محددة. ج- أخيراً فرضية شروط التحفظات التي تمنع فئات معينة من التحفظات. وهذا التوضيح أفاد اللجنة لا سيما وأن الفرضية الثالثة من الفرضيات المذكورة تثير على مستوى التفسير نوع المشاكل التي يثيرها معيار التوافق مع موضوع المعاهدة والغرض منها، وهو النوع الذي تورده بعض البنود في المعاهدات صراحة، وقد أشارت اللجنة إلى أن هذه التحفظات الممنوعة بدون إحالة إلى حكم معين في المعاهدة، تدخل مع ذلك في نطاق الفقرة الفرعية (أ) من المادة (19) من اتفاقية فيينا لقانون المعاهدات، فإنها تؤكد بداهة وبشكل مفيد وحدة النظام القانوني الذي يسري على التحفظات المذكورة في الفقرات الفرعية الثلاث من المادة (19) المذكورة⁽²⁾.

ولم تحتوي معاهدات حقوق الإنسان على أحكام بشأن التحفظات التي تخضع للقواعد التكميلية في اتفاقية فيينا لقانون المعاهدات، فعلى الرغم من وجود ما يتعارض مع موضوع تحفظ المعاهدة وغرضها، فإن مبدأ قابلية الفصل يتحرك بعيداً عن قواعد فيينا في الآثار القانونية المترتبة على التحفظات، وهو ما يظهر جلياً في قضية "بيلوس"، حيث قالت المحكمة الأوروبية

(1) الأمم المتحدة، الجمعية العامة، تقرير لجنة القانون الدولي، الدورة الثالثة والستين، 2011، مرجع سابق، ص 460.

(2) الأمم المتحدة، الجمعية العامة، تقرير لجنة القانون الدولي، الدورة الثالثة والستين، 2011، مرجع سابق، ص 463-464.

لحقوق الانسان أن التحفظ غير الصحيح، يمكن أن يكون قاطع لإرادة الدولة في أن تصبح طرفا في المعاهدة، أو قد تظل الدولة المتحفظة طرفا دون الاستفادة من التحفظ. كما اعتمدت اللجنة المعنية بحقوق الانسان هذا الرأي حيث قالت أن: "النتيجة الطبيعية لتحفظ غير مقبول طبقا للعهد لن تكون سارية المفعول في جميع الأطراف المتحفظة"، وقد أثار مبدأ قابلية الفصل انتقادات حادة من قبل الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا، حيث رأت الولايات المتحدة أن المبدأ يختلف مع الممارسة القانونية، ويفتقر لمبادئ وشروط واضحة، أما فرنسا فقد أشارت إلى أن الاتفاقيات تخضع لقانون المعاهدات استنادا إلى موافقة الدول، كما أن التحفظات هي الشروط التي توليها الدول لتلك الموافقة⁽¹⁾.

الفرع الرابع: السكوت عن التحفظ

في هذه الحالة أو في هذا النوع من المعاهدات تغفل المعاهدة تماما موضوع التحفظ، أي إننا لا نجد فيها نصا يجيز التحفظ، ولا نصا يحضره، فما العمل في هذه الحالة؟ نجيب على هذا السؤال من خلال المعيار الذي جاءت به محكمة العدل الدولية في رأيها الاستشاري الصادر بتاريخ 28/مايو/1951، بشأن التحفظ على الاتفاقية الدولية لمنع وقمع جريمة إبادة الجنس البشري⁽²⁾. وفحوى هذا المعيار والذي يسمى بمعيار "الموائمة" هو عدم تعارض التحفظ مع موضوع المعاهدة والهدف منها، أي بمعنى أنه في حالة سكوت المعاهدة عن التحفظ إجازة أو رفضا، فالقاعدة هنا هي جواز التحفظ ما لم يكن مخالفا لموضوع المعاهدة والهدف منها، لعدم وجود نص يمنعه⁽³⁾. ومن الأمثلة على المعاهدات التي سكنت عن الإشارة لموضوع التحفظ نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر اتفاقية التعاون القانوني والقضائي بين دول الاتحاد المغرب العربي والموقعة في رأس لأنوف بلبيبا في (9 - 10/مارس/1994، وكذلك اتفاقيتي فيينا لقانون المعاهدات لعامي 1969/1986، وكذلك اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام 1961. فهذه المعاهدات لم تشر إلى موضوع التحفظ، لكن مع هذا يحق لأي طرف من أطراف المعاهدة أن يبدي عليها ما يشاء من تحفظات بشرط ألا تتعارض هذه التحفظات مع موضوع المعاهدة والغرض منها⁽⁴⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن لهذا المعيار (الموائمة) هدفا وحكمة يبتغيان من وراء عمله، فأما الهدف منه فيتمثل في الحد والتخفيف من اللجوء إلى استعمال التحفظ بشكل مبالغ فيه نظرا لما فيه من نتائج وخيمة قد تؤدي إلى إفشال المعاهدة، وأما الحكمة منه فتكمن في ترشيد استعمال التحفظ لأن إطلاق الحرية لأطراف المعاهدة في استعمال هذا الحق قد يؤدي إلى الحد من فعالية نصوصها وعمومية تطبيق أحكامها⁽⁵⁾.

المطلب الثالث

⁽¹⁾ <https://kitabab.com/cultural>.

التحفظات الدولية حول اتفاقية سيداو، مرجع سابق، ص3.

⁽²⁾ رأيت المحكمة أن هذه الاتفاقية ذات غرض وموضوع إنساني محض، ولا تتضمن تحقيق مصالح ذاتية أو شخصية للدول، فالمصلحة المرجوة من تطبيقها هي مصلحة مشتركة للجميع مفادها صيانة قيم وأهداف عليا للمجتمع الدولي. د. محمد خليل موسى، التحفظات على أحكام المعاهدات الدولية لحقوق الإنسان، مجلة الحقوق الكويتية، العدد الثالث، السنة السادسة والعشرون، 2002، ص361؛ لمزيد من التفصيل: د. محمد منصور الصاوي، أحكام القانون الدولي المتعلقة بمكافحة الجرائم ذات الطبيعة الدولية، "دراسة في القانون الدولي الاجتماعي"، دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية، بدون سنة، ص370 وما بعدها.

⁽³⁾ د. مأمون المنان، مبادئ القانون الدولي العام، وقوانين المعاهدات والمنظمات الدولية، دار الكتب القانونية، القاهرة، 2010، ص72؛ أ. عابدين عبد الحميد حسن قنديل، مرجع سابق، ص206.

⁽⁴⁾ د. علي إبراهيم، التحفظ على المعاهدات الدولية، مرجع سابق، ص124.

⁽⁵⁾ د. علي إبراهيم، الوسيط في المعاهدات الدولية، مرجع سابق، ص347.

التحفظات المحددة

في كثير من الأحيان تحدد أطراف المعاهدة نفسها ما يجوز التحفظ عليه من نصوصها وذلك على سبيل الحصر كأن تنص معاهدة مثلا على أن المادة (10) منها فقط التي يجوز إبداء التحفظات عليها، لذا يجب على أطراف المعاهدة الالتزام والتقيّد بهذا التحديد، بعدم إبداء التحفظات على غير هذه المادة، لأن المعاهدة حددت مجال ونطاق إعمال التحفظ فيها بذلك النص فقط⁽¹⁾. أوضح هذا الأمر المقرر الخاص لموضوع المعاهدات الدولية والخبير القانوني والاستشاري لمؤتمر فيينا لعامي (1968-1969) بقوله: "عندما تجيز المعاهدة إبداء التحفظات على نصوص محددة بالذات، فالاستنتاج المنطقي الذي نستخلصه من ذلك هو أن هذه النصوص وحدها هي التي تكون محلا للتحفظ"⁽²⁾.

ومن أمثلة المعاهدات التي تقيد من نطاق إبداء التحفظات عليها في نصوص محددة، اتفاقية الجرائم والأفعال الأخرى التي ترتكب على متن الطائرات والموقعة في طوكيو بتاريخ 24 ديسمبر 1963، حيث تنص المادة (1/24) منها على أنه: "يجوز لكل دولة أن تعلن عدم التزامها بأحكام الفقرة الأولى من المادة (24) والمتعلقة بوسائل حل المنازعات ولا تكون الدول المتعاقدة الأخرى ملتزمة بالفقرة المذكورة، من قبل الدول المتعاقدة التي أبدت مثل هذا التحفظ". في مقابل ذلك نجد المادة (25) من نفس هذه الاتفاقية تنص على أنه: "فيما عدا التحفظات المشار إليها لا يجوز إبداء تحفظات على هذه الاتفاقية". أي بمعنى أن مجال التحفظ في هذه الاتفاقية محصور في الفقرة الأولى من المادة (24) فقط ولا مجال لإبداء أي تحفظات أخرى عليها ما لم توسع هذه الاتفاقية من نطاق التحفظ فيها. ويتضح من خلال ذلك أنه في حالة وجود نص يجيز للدول والمنظمات الدولية الأطراف في هذه الاتفاقيات إبداء تحفظاتها ولكن في نطاق ضيق ومحصور في نص واحد من نصوص هذه الاتفاقيات، فإنه يجب على أطراف تلك الاتفاقيات أن يتقيّدوا بالتحديد الوارد فيها. كما أن المادة (57) من الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان نصت على أنه: "أ- يجوز لكل دولة، عند التوقيع على هذه الاتفاقية أو عند إيداع صك مصادقتها، أن تبدي تحفظا بشأن حكم بعينه من الاتفاقية، ما دام هناك قانون ساري على أراضيها لا يتطابق مع هذا الحكم. ولا يجوز التحفظات ذات الطابع العام بموجب أحكام هذه المادة. ب- يتضمن كل تحفظ يبدى بموجب هذه المادة عرضا مقتضيا للقانون المعني". وفي هذه الحالة، يصبح حق إبداء التحفظات محدودا جراء شروط شكلية وأخرى جوهرية في الوقت نفسه، وإلى جانب القيود الاعتيادية من حيث الزمن، ينبغي للتحفظات على اتفاقية روما: أ- أن تحيل إلى حكم معين في الاتفاقية. ب- أن تكون مسوغة بحالة تشريعات صاحبها وقت إبداء التحفظ. ج- أن تكون غير محددة بعبارة غامضة أو عامة بشكل لا يسمح بتقدير معناها ومجال تطبيقها بدقة. د- أن تكون مصحوبة بعرض مقتضب يسمح بتقدير مجال تطبيق حكم الاتفاقية الذي تنوي الدولة استبعاد تطبيقه بإبداء تحفظ. وهناك مشاكل تطرأ لدى تقدير مدى تحقيق كل من هذه الشروط. ويمكن مع ذلك اعتبار أن التحفظات التي تجيزها اتفاقية روما محددة بمعنى المادة (19/ب) من اتفاقيتي فيينا لقانون المعاهدات، وأن هذا النوع من التحفظات وحده مقبول⁽³⁾. وفي إطار هذا النظام الذي يشكل دون أدنى شك قاعدة تخصيص على مستوى القواعد العامة للقانون الدولي، يمثل شرح القانون الذي صيغ التحفظ بسببه شرطا حقيقيا لصحة أي تحفظ على اتفاقية روما. فقد اعتبرت المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان في قضية "بليولوس" الشهيرة أن الفقرة (2) من المادة (57)، لا تتضمن مجرد التزام شكلي، بل تنص على شرط جوهري، ورأت المحكمة أن الإلزام بتقديم تعليل أو تفسير يرمي إلى منح الأطراف المتعاقدة الأخرى وهيئات الاتفاقية على وجه الخصوص ضمانا بأن يقتصر التحفظ على الأحكام

(1) المرجع السابق، ص 348.

(2) د. علي إبراهيم، التحفظ على المعاهدات الدولية، مرجع سابق، ص 125-126.

(3) الأمم المتحدة، الجمعية العامة، تقرير لجنة القانون الدولي، الدورة الثالثة والستين، 2011، مرجع سابق، ص 469 وما بعدها.

التي استبعدتها الدولة المعنية بشكل صريح، ويترتب على عدم احترام شرط التعليل أو التفسير هذا عدم صحة التحفظ⁽¹⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن لجنة القانون الدولي أجازت تحفظات محددة بقولها: "إذا كانت المعاهدة تنص على إمكانية إبداء تحفظات محددة دون أن تحدد مضمونها، فلا يجوز لدولة أو منظمة دولية أن تبدي تحفظاً إلا إذا كان هذا التحفظ لا يتعارض مع موضوع المعاهدة والغرض منها". هذا وعرفت اللجنة التحفظات المحددة بأنها: "التحفظات التي تنص عليها المعاهدة صراحة، بشأن أحكام معينة من المعاهدة، أو بشأن المعاهدة ككل فيما يتعلق ببعض الجوانب المحددة"⁽²⁾. وأشارت في تعليقها على تعريف التحفظات المحددة بقولها: "إن الفقرة (ب) من المادة (19) من اتفاقيتي فيينا للمعاهدات يمكن أن تحمل على الاعتقاد بأنها تمثل أحد وجهي العملة التي تشكل الفقرة الفرعية (أ) وجهها الآخر، على أن التطابق ليس تاماً، وحتى يحصل هذا التطابق، فقد كان يتعين الإشارة إلى منع أي تحفظ مغاير للتحفظات المنصوص عليها صراحة في المعاهدة. لكن الأمر غير كذلك: فالفقرة (ب) تتضمن عنصرين إضافيين يمنعان التبسيط المفرط. إذ أن منع بعض التحفظات ضمناً، الناجم عن هذا الحكم الأشد تعقيداً مما يبدو في الظاهر، يفترض استيفاء ثلاثة شروط هي: أ- أن يجيز شرط التحفظ الوارد في المعاهدة إبداء تحفظات. ب- أن تكون التحفظات التي سيسمح بإبدائها محددة ج- أن يشار تحديداً إلى كونها التحفظات الوحيدة التي يجوز إبدائها". وأضافت اللجنة بأنه: "عملياً، يكون تصنيف الشروط التي تجيز التحفظات شبيهاً بتصنيف الأحكام التي تحظرها؛ وتثير هذه الشروط نفس النوع من المشاكل فيما يتعلق بالقيام، من ناحية أخرى، بتحديد التحفظات التي لا يمكن إبدائها: أ- تجيز بعض الشروط إبداء التحفظات في أحكام معينة، يرد ذكرها صراحة وتحديداً إما بشكل إيجابي أو سلبي. ب- تجيز شروط أخرى فئات أخرى معينة من التحفظات. ج- أخيراً هناك شروط أخرى (نادرة) تجيز التحفظات بوجه عام"⁽³⁾.

ولعل السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو هل من حق الدول الأطراف أن يعترضوا على إبداء التحفظات "المحددة" في الأمثلة السابقة على أساس أنها تتعارض مع موضوع المعاهدة وغرضها، أم أن إجازة تلك التحفظات بنصوص صريحة تقتض أنها منقذة مع موضوع المعاهدة والهدف منها، وبالتالي ليس من حق أي طرف أن يعترض على إبدائها؟ وللإجابة على هذا التساؤل هناك رأيان نبيينهما وفقاً للآتي: الرأي الأول: ويذهب هذا الرأي إلى أنه ما دامت المعاهدة قد أجازت هذا التحفظ "المحدد" بنص صريح فيها، فلا مجال هنا في هذه الحالة لإبداء أي اعتراض على ذلك⁽⁴⁾، وبمعنى آخر لا مجال لإعمال قاعدة أو معيار الموائمة في هذه الحالة. ويؤسس عدم جواز الاعتراض في هذه الحالة على وجود قرينة غير قابلة لإثبات العكس، ألا وهي موافقة الأطراف المسبقة على إبداء التحفظ عند كتابتهم لنصوص المعاهدة وإقرارها، أي بمعنى أن هذه الموافقة تقتض أن التحفظ "المحدد" والجائر بنص صريح، هو تحفظ غير مخالف لموضوع المعاهدة والهدف منها⁽⁵⁾. وبناء على هذا تصبح الدولة أو المنظمة الدولية طرفاً في المعاهدة بمجرد إيداعها وثيقة التحفظ وقت التوقيع، أو التصديق، أو الانضمام للمعاهدة. ويعد أي اعتراض على التحفظ من قبل طرف من أطراف المعاهدة، بدافع مخالفة هذا التحفظ لموضوع المعاهدة وغرضها، هو اعتراض غير جائز وغير مقبول بناء على القرينة السابقة.

وأيدت هذا الرأي محكمة التحكيم الفرنسية الإنجليزية والتي فصلت في نزاع قائم بين فرنسا وبريطانيا حول تحديد الامتدادات

(1) المرجع السابق، ص 182.

(2) الأمم المتحدة، الجمعية العامة، تقرير لجنة القانون الدولي، الدورة الثالثة والستين، 2011، المرجع السابق، ص 22 وما بعدها.

(3) الأمم المتحدة، الجمعية العامة، تقرير لجنة القانون الدولي، الدورة الثالثة والستين، 2011، مرجع سابق، ص 464 وما بعدها.

(4) د. على إبراهيم، الوسيط في المعاهدات الدولية، مرجع سابق، ص 351.

(5) د. على إبراهيم، التحفظ على المعاهدات، مرجع سابق، ص 130.

القارية بينها عام 1977، حيث إنها قالت المحكمة: "إنه في الحالة التي تجيز فيها المادة أو النص إصدار التحفظات النوعية يمكننا القول بأن الأطراف في الاتفاقية قد قبلوا سلفاً مثل هذا التحفظ"⁽¹⁾. أما الرأي الثاني: يذهب إلى أنه من حق أطراف المعاهدة الاعتراض على التحفظ "المحدد" بنص صريح في المعاهدة، إذا ما رأوا في هذا التحفظ بأنه متعارض ومخالف لموضوع المعاهدة وهدفها أو الغرض منها. ويستند هذا الرأي إلى حجتين كما يلي: الحجة الأولى: استمدها أصحاب هذا الرأي من التعديل الفرنسي المقترح لنص المادة (2/17) من اتفاقية فيينا أثناء الأعمال التحضيرية لمؤتمر فيينا لقانون المعاهدات لعام 1968، حيث ينص هذا التعديل على أن: "التحفظ المسموح به صراحة بواسطة المعاهدة لا يمكن أن يكون محلاً للاعتراض من جانب الدول الأخرى المتعاقدة ما لم تنص المعاهدة على غير ذلك". وكانت النتيجة رفض التعديل الفرنسي المقترح من قبل المؤتمر المشار إليه. وبناء على ذلك فسر أصحاب هذا الرأي رفض التعديل المقترح من قبل فرنسا بأنه يدل على جواز الاعتراض على التحفظات المحددة بنص صريح في المعاهدة. أما حجتهم الثانية: فهي مستمدة من كيفية إعداد المعاهدة وإقرارها طبقاً لمبدأ الأغلبية في العصر الراهن، حيث تعتمد هذه الأغلبية أحياناً نصاً يجيز التحفظ على بعض أحكام المعاهدة، وفي نفس الوقت تكون هناك أقلية معارضة لهذا التحفظ، إلا أن هذه المعارضة لا تؤدي غرضها، ولا تكون ذات جدوى بسبب قاعدة الأغلبية المعمول بها في المؤتمرات الدولية التي تقوم بإقرار نصوص المعاهدة⁽²⁾. ومع ذلك واحتراماً لمبدأ حرية التعاقد كان من العدالة السماح لهذه الأقلية؛ إبداء اعتراضها على تلك التحفظات الجائزة بنص صريح على أساس مخالفتها لموضوع المعاهدة وغرضها⁽³⁾. ومما سبق، نستخلص أن الرأي الأول أقرب إلى الصواب على أساس أنه يقلل من الخلافات بين الدول المتحفظة والدولة المعترضة، لاسيما أن التحفظات الجائزة بنصوص صريحة في المعاهدة هي في الغالب؛ ليست تحفظات جوهرية ولا تعارض أو تخالف موضوع المعاهدة أو الهدف منها.

وذكرت لجنة القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة "سيداو"، أن للدول الأطراف خيار قبول التحفظ - صراحة أو ضمناً- أو إبداء اعتراض عليه، وبالتالي يمكن أن يستبعد دخول الاتفاقية حيز النفاذ بينها وبين الدولة المتحفظة، وتدرك اللجنة نفسها وتقدر الأثر الإيجابي الذي يمكن أن يؤديه استخدام هذا الإجراء في تشجيع الدول على السحب، كما أن غالبية الدول الأطراف في الاتفاقية لا تصوغ باستمرار اعتراضات على التحفظات غير المتوافقة، وأن العديد من الدول المعترضة تعترض على تحفظ واحد تجده منافياً للتحفظات، ولكنها لا تتفق مع التحفظات الأخرى، التي ترى الدول الأطراف الأخرى أنها غير متوافقة، كما ذكرت اللجنة أن بعض الدول المعترضة قد حددت أن التحفظ الذي تعترض عليه يتنافى مع موضوع المعاهدة والغرض منها، حيث يبين تحليل لمضمون الاعتراضات أن دوافع الدول لصوغ اعتراضات تتفاوت وتتطور مع مرور الزمن، وقد أصبحت الدول أكثر تحديد في اعتراضاتها، حيث وضحت ألمانيا والمكسيك والنرويج، أنها وجدت التحفظ العام مده غير واضح، أما المكسيك هي وحدها المحددة في جميع اعتراضاتها على أن التحفظ سيؤدي حتماً إلى التمييز ضد المرأة في الممارسة العملية. وأشارت الدانمارك فقط في اعتراضها على التحفظ الذي أبدته ليبيا على أساس أنه لا يجوز للدولة المتحفظة أن تحتج بأحكام قانونها الداخلي كمبرر لعدم تنفيذ المعاهدة⁽⁴⁾.

(1) د. علي إبراهيم، الوسيط في المعاهدات، مرجع سابق، ص351؛ انظر أيضاً: الأمم المتحدة، الجمعية العامة، تقرير لجنة القانون الدولي، الدورة الثالثة والستين، 2011، مرجع سابق، ص468.

(2) د. علي إبراهيم، التحفظ على المعاهدات الدولية، مرجع سابق، ص131 وما بعدها.

(3) د. علي إبراهيم، الوسيط في المعاهدات الدولية، مرجع سابق، ص352.

(4) التحفظات الدولية حول اتفاقية سيذاو، مرجع سابق، ص6. <https://kitabab.com/cultural>

المطلب الرابع

حظر التحفظ على قواعد القانون الدولي العام

يتكون حظر التحفظ من شقين، الأول يتعلق بعدم جواز التحفظ على النصوص التي تقوم أو تعمل على تقنين قاعدة عرفية، وأما الشق الثاني فيتعلق بحظر التحفظ على النصوص التي تتضمن أو تحتوي على قاعدة أمر من قواعد النظام العام الدولي. وبناء على هذا سيكون حديثنا عن هذا الحظر وفقاً للتقسيم التالي:

الفرع الأول: حظر التحفظ على نص يعكس قاعدة عرفية

يعني هذا الحظر عدم جواز إبداء تحفظات على النصوص المكتوبة التي كانت في أصلها قاعدة عرفية، وذلك لأن هذه القواعد تنشأ وتفرض وجودها نتيجة لضرورتها وحاجة الدول إليها، كما أن العرف يعد من أحد مصادر القانون الدولي العام، وفقاً لما جاء في نص المادة (38) من النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية. هذا ومن المعروف أيضاً أن جُل القواعد القانونية نشأت وتكونت واستقرت عن طريق العرف، ومن أمثلة هذه القواعد التي تم تقنينها قاعدة الوفاء بالعهد، والقواعد المتعلقة بالحرب، ومبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، ومبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها، ومبدأ المعاملة بالمثل، وغيره من المبادئ والقواعد القانونية التي نشأت نشأة عرفية، كما يعد العرف أيضاً قاعدة موضوعية مستقلة عن إرادات أشخاص القانون الدولي، وله قوة ملزمة عند تطبيقه على أي نزاع، ومما يؤكد ذلك تطبيقه من قبل محكمة العدل الدولية في قضية الجرف القاري بين ليبيا وتونس عام 1982⁽¹⁾، وقضية الجرف القاري لبحر الشمال عام 1969، وعلى أي حال فإن عدم جواز التحفظ على القواعد ذات الأصل العرفي يبرره أساس منطقي، هو أن القاعدة العرفية تطبق بحسب طبيعتها على كل أعضاء الجماعة الدولية "دولاً ومنظمات" ما لم تكن محلاً للرفض عند نشوئها⁽²⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن محكمة العدل الدولية قد أكدت بأن المبادئ والقواعد العرفية التي تم إدراجها في نصوص الاتفاقيات الدولية، عقب إجراء عملية التقنين تظل محتقة بصفاتها الإلزامية التي كانت لها من قبل؛ لأن الطبيعة العرفية للقاعدة لا تتغير، وعملية التقنين لا تنفي عنها صورة القاعدة الملزمة، بل تزيدها ثباتاً ورسوخاً ووضوحاً، ففي أحد أحكامها والصادر بتاريخ 1984/11/29، بخصوص قضية الأنشطة العسكرية وشبه العسكرية في نيكاراغوا، أعلنت المحكمة أن المبادئ والقواعد العرفية والتي تم إدراجها في معاهدات دولية متعددة الأطراف لا يعني ذلك أنها أوقفت عن التطبيق حتى في مواجهة أطراف هذه المعاهدة، فهي تحتفظ بصفاتها الإلزامية على أساس أنها عنصر من عناصر القانون الدولي العرفي. على أنه بالرغم من أن أحكام القانون الاتفاقي التي احتواها قابلة للتطبيق أيضاً.

ومن ذلك نستخلص أنه لا يجوز التحفظ على نصوص المعاهدات الدولية التي تقنن قواعد كانت في أصلها عرفاً دولياً؛ لأن إجازة ذلك تعني أن التقنين أصبح وسيلة للتهرب من تطبيق القانون بدلاً من أن يكون وسيلة لتعميم تطبيقه⁽³⁾. وتجدر الإشارة إلى أن لجنة القانون الدولي أقرت مبدأ التحفظات على نص يعكس قاعدة عرفية بقولها: "إن تعبير نص في المعاهدة عن قاعدة من قواعد القانون الدولي العرفي لا يشكل في حد ذاته عائقاً أمام إبداء تحفظ على ذلك النص"⁽⁴⁾.

(1) د. على ضوي، مرجع سابق، ص 182.

(2) د. على إبراهيم، التحفظ على المعاهدات الدولية، مرجع سابق، ص 139-140.

(3) أ. إبراهيم ميلاد محمد الحداد، مرجع سابق، ص 57.

(4) الأمم المتحدة، الجمعية العامة، تقرير لجنة القانون الدولي، الدورة الثالثة والستين، 2011، مرجع سابق، ص 23.

الفرع الثاني: حظر التحفظ على قاعدة آمرة

القواعد العامة للقانون الدولي هي تلك القواعد التي تحمي مصالح أعضاء المجتمع الدولي ككل، فمن غير الممكن التضحية بمصالح أعضاء الجماعة الدولية من أجل أو في سبيل تحقيق مصلحة دولة بعينها⁽¹⁾، كما أنه لا يمكن الاتفاق على مخالفة هذه القواعد بواسطة تصرف منفرد كالتحفظ؛ لأن هذه القواعد هي قواعد آمرة، وهي كل قاعدة مقبولة ومعترف بها من قبل الجماعة الدولية لا يجوز الخروج على مخالفتها، ومنها تحريم القرصنة، والتمييز العنصري، وتأكيدا على أهميتها واحترامها ميّز القانون الدولي بين وصف مخالفة هذه القواعد الآمرة عن وصف مخالفة غيرها من القواعد الأخرى، حيث اعتبر القانون الدولي أن أي مخالفة لقواعد النظام العام الدولي تعد (جناية) في حين أن مخالفة غيرها من القواعد تعد (جنحة) طبقا للقانون الدولي⁽²⁾.

ومما سبق، يتضح أنه ليس من الجائز إبداء أي تحفظ على أي قاعدة من قواعد النظام العام الدولي، وإذا حدث وأن أبدت دولة أو منظمة دولية تحفظا على قاعدة آمرة من قواعد القانون الدولي، فهذا التحفظ لا يعد مشروعا وفقا للقانون الدولي، ولا يترتب عليه أي أثر قانوني، وفي حالة ما إذا قبل هذا التحفظ من قبل دولة أو منظمة دولية باعتبارها طرفا في معاهدة دولية، كان هذا التحفظ باطلا بطلانا مطلقا، وتظل القاعدة مطبقة بالرغم من هذا التحفظ؛ لأنه لا يجوز الاتفاق على مخالفتها، والتحفظ بطبيعة الحال سيكون متعارضا أو مخالفا لهذه القواعد⁽³⁾.

كما أنه إذا ما نص في معاهدة دولية ما، على خطر أو عدم جواز التحفظ فيها أو عليها، دل ذلك على انصراف نية أطراف المعاهدة إلى إضفاء الصفة الآمرة على قواعد أو نصوص المعاهدة، وبخلاف ذلك، إذا سمحت المعاهدة بإبداء التحفظات عليها دون تحديد، دل ذلك على أن هذه المعاهدة لا تتضمن قواعد آمرة⁽⁴⁾.

ومن الجدير بالذكر، أن اتفاقية فيينا لقانون المعاهدات قد أكدت على ما سبق في العديد من موادها، ومن أمثلة ذلك ما أكدته المادة (53) منها بقولها: "تكون المعاهدة لاغية إذا كانت في وقت عقدها تتعارض مع قاعدة آمرة من قواعد القانون الدولي العام. ولأغراض هذه الاتفاقية يقصد بالقاعدة الآمرة من قواعد القانون الدولي العام، القاعدة التي تقبلها وتعترف بها الجماعة الدولية للدول ككل بوصفها قاعدة لا يسمح بأي خروج عنها، ولا يمكن تغييرها إلا بقاعدة جديدة من قواعد القانون الدولي العام لها نفس الصفة". كما أكدت على ذلك أيضا المادة (64) منها بقولها: "إذا ظهرت قاعدة آمرة جديدة من قواعد القانون الدولي العام، فإن أية معاهدة قائمة تتعارض مع تلك القاعدة تصبح لاغية وتنتهي".

كما أن بعض أعضاء لجنة القانون الدولي أجازوا التحفظ على تلك القواعد "العرفية أو الآمرة" حيث قالوا بأن هذا جائزا من حيث المبدأ، وبرروا ذلك بقولهم أن التحفظ على تلك القواعد من الممكن الاتفاق عليه بإجماع الدول الأطراف على ذلك. إلا أن المفوض الخاص لتلك اللجنة أوضح في رأيه قائلا: بأن التحفظ على القواعد "الآمرة أو العرفية" هو أمر غير جائز، وذلك لمنافاته لموضوع المعاهدة ومقصودها، وبذلك تظل "القواعد الآمرة أو العرفية" باقية وملزمة مهما كان الأمر الذي اتفق عليه أطراف المعاهدة فيما بينهم، أي بمعنى أن التحفظ لا يترتب أي أثر على هذه القواعد⁽⁵⁾.

(1) أ. هيثم مفتاح عبدالقادر بن دائخة، مرجع سابق، ص 55.

(2) أ. إبراهيم ميلاد محمد الحداد، مرجع سابق، ص 57.

(3) د. على إبراهيم، التحفظ على المعاهدات الدولية، مرجع سابق، ص 144.

(4) أ. إبراهيم ميلاد محمد الحداد، مرجع سابق، ص 58.

(5) أ. إبراهيم ميلاد محمد الحداد، مرجع سابق، ص 59.

الخاتمة

بعد أن انتهينا من دراسة موضوع البحث، يتضح أن التحفظ إجراء ضروري تخضع له نصوص المعاهدة وأحكامها لضمان صيرورتها. فالالاتجاه الدولي يميل إلى السماح بإبداء بعض التحفظات على نصوص المعاهدة انطلاقاً من كونه قد أصبح أمراً ضرورياً لملائمة المعاهدة مع الأوضاع السائدة في الدول والمنظمات الدولية أطراف المعاهدة، إلا أنه وبالرغم من ذلك يجب عدم الإفراط في اللجوء إلى هذا الإجراء، حتى لا يصبح وسيلة في يد أطراف المعاهدة لتعطيل تطبيق أحكامها أو لإعادة إبرامها من جديد.

وفي ما يلي نذكر أهم ما تم التوصل إليه خلال دراسة موضوع البحث كالتالي:

أولاً: النتائج:

- 1/ التحفظ شرط رضائي، أي بمعنى أنه لا يحدث أثره ما لم يوافق عليه أطراف المعاهدة الآخرون أو بعضهم على الأقل، وهذا إذا لم تكن المعاهدة تجيز التحفظ صراحة، وكان التحفظ غير مخالف لموضوع المعاهدة وغرضها.
- 2/ وجود معيار رئيسي وجوهري للتحفظ، يعرف من خلاله طبيعة الإعلانات التي يصدرها أطراف المعاهدة بشأنها ويتمثل هذا المعيار في الهدف الذي يبتغيه أطراف المعاهدة من تلك الإعلانات، فمتى كان الهدف من تلك الإعلانات هو الاستبعاد أو تعديل الأثر القانوني لأحكام معينة في المعاهدة فهي تعد "تحفظاً"، ومتى لم يكن هذا هو الهدف من الإعلانات فلا تعد "تحفظاً".
- 3/ في حالة سكوت المعاهدة عن التحفظ، يعد جائزاً ما لم يكن مخالفاً لموضوع المعاهدة وغرضها.
- 4/ كل ما يتعلق بالتحفظ من إجراءات لا بد أن يتم في صورة كتابية، باستثناء حالة واحدة وهي حالة القبول الضمني للتحفظ.
- 5/ الأصل أن التحفظ يبدي وقت - التوقيع أو التصديق أو الانضمام - للمعاهدة أي لحظة تعبير الدولة عن إرضائها بالالتزام بأحكام المعاهدة، ومع ذلك يجوز إبداء التحفظ في غير هذه الأوقات لعدم وجود نص يمنع ذلك.
- 6/ تتميز المعاهدات الدولية لحقوق الإنسان بشمولها للالتزامات موضوعية، مما يجعل النظام الشخصي للتحفظات الواردة في معاهدة فيينا لعام 1969 غير ملائم لتنظيم التحفظات على أحكامها؛ لذلك عمدت الأجهزة المنشأة بمقتضاها والمختصة برقابة تطبيق أحكامها، إلى بلورة مجموعة من القواعد المكونة لنظام موضوعي يحكم صحة التحفظ على أحكامها.

ثانياً: التوصيات:

- 1/ نحث الدول على عقد بروتوكول ملحق باتفاقيتي فيينا لقانون المعاهدات لعامي 1969/1986 ليعالج أوجه القصور فيهما.
- 2/ تجنب المعيار الشخصي كأساس لملائمة التحفظ لموضوع المعاهدة والغرض منها، وأن تتبنى أشخاص القانون الدولي المعيار الموضوعي بشأن ذلك، حتى لا تترك مسألة قبول التحفظات والاعتراضات عليها لرغبة الأطراف المتعاقدة.
- 3/ وضع أساس موضوعي أو قانوني "محكمة أو هيئة" يواجه مسألة التحفظ على الموائيق المنشأة للمنظمات الدولية قبل دخولها حيز النفاذ، كما يوكل إليها مهمة الفصل في المنازعات الخاصة بالتحفظات والاعتراضات.
- 4/ عدم ترك نفاذ سحب التحفظ بدون تحديد مدة زمنية، على أن يحدد له مدة زمنية حتى يصبح ذا فاعلية بعد مضي تلك المدة.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب:

- 1/د. صالح السنوسي، الوجيز في القانون الدولي العام، دار الكتب الوطنية، بنغازي، الطبعة الأولى، 2000.
- 2/د. عبد الغني محمود، التحفظ على المعاهدات الدولية في القانون الدولي العام والشريعة الإسلامية، دار الاتحاد العربي للطباعة، الأردن، الطبعة الأولى، 1986.
- 3/د. عبد الكريم علوان، القانون الدولي العام، منشأة المعارف، الاسكندرية، 2007.
- 4/د. على إبراهيم، التحفظ على المعاهدات الدولية في ضوء أحكام القضاء الدولي واتفاقيتي فيينا لقانون المعاهدات لعامي 1969/1986، دار النهضة العربية، القاهرة، 1990.
- 5/د. على إبراهيم، الوسيط في المعاهدات الدولية "الإبرام - الشروط الشكلية - الشروط الموضوعية - البطلان - الآثار - التطبيق والتفسير"، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1995.
- 6/د. على ضوي، القانون الدولي العام، "المصادر والأشخاص"، الجزء الأول، دار الكتب الوطنية، بنغازي، الطبعة الخامسة، 2013.
- 7/د. مأمون المنان، مبادئ القانون الدولي العام، "النظرية العامة وقوانين المعاهدات والمنظمات الدولية"، دار الكتب القانونية، القاهرة، 2010.
- 8/د. محمد منصور الصاوي، أحكام القانون الدولي المتعلقة بمكافحة الجرائم ذات الطبيعة الدولية، "دراسة في القانون الدولي الاجتماعي"، دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية، بدون سنة.
- 9/د. محمد نوري المهدي، القانون الدولي العام المعاصر، "دراسة تحليلية في الأصول والقضايا"، دار الرواد، طرابلس، الطبعة الأولى، 2004.
- 10/د. مصطفى أحمد أبو الخير، المبادئ العامة في القانون الدولي المعاصر، ايتراك للطباعة والنشر، مصر، 2006.

ثانياً: الرسائل العلمية:

- 1/أ. إبراهيم ميلاد محمد الحداد، التحفظ والقانون الدولي، "وفقاً لاتفاقيتي فيينا لقانون المعاهدات لعامي 1969/1986 وفي ظل أحكام القضاء الدولي"، رسالة ماجستير، أكاديمية الدراسات العليا، مدرسة العلوم الإنسانية، قسم القانون، طرابلس، 2006.
- 2/أ. عابدين عبدالحميد حسن قنديل، تحفظات الدول على قبول الاختصاص الإلزامي لمحكمة العدل الدولية، رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، 1994.
- 3/د. محمود محمد متولي، التحفظ التفسيري في المعاهدات الدولية، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة عين شمس، القاهرة، بدون سنة.
- 4/أ. هيثم مفتاح عبد القادر بن دائخة، أثر التحفظ على المعاهدات الدولية في العلاقة بين الأطراف المتعاقدة، رسالة ماجستير، أكاديمية الدراسات العليا، قسم القانون، بنغازي، 2012.

ثالثا: الدوريات:

1/د. بدرية العوضي، موقف القضاء الكويتي من التحفظ على المعاهدات الدولية، مجلة المحامي الكويتية، العدد الأول، يونيو، 1977.

2/د. محمد خليل موسى، التحفظات على أحكام المعاهدات الدولية لحقوق الإنسان، مجلة الحقوق الكويتية، العدد الثالث، السنة السادسة والعشرون، 2002.

رابعا: القوانين:

القانون رقم "9" لسنة 1977، الصادر في 16 فبراير 1977، بشأن انضمام ليبيا إلى اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية لعام 1961، الجريدة الرسمية، العدد 16، بتاريخ 14 مارس 1977.

خامسا: التقارير:

الأمم المتحدة، الجمعية العامة، تقرير لجنة القانون الدولي، (الدورة الثالثة والستين)، 2011، وثيقة رسمية رقم: "A/66/10/Add.1".

سادسا: الانترنت:

- 1- <https://fanack.com/ar/Libya/human-rights>.
- 2- <https://libyahope.blogspot.com/2008/02/blog-post-24.htm1>.
- 3- <https://kitabab.com/cultural>.

RESEARCH ARTICLE

***MORTIMER THE JUNIOR AS A MACHIAVELLIAN
CHARACTER IN MARLOWE'S EDWARD II***

Fatima Zohra KHELIFI¹

¹ University of Jordan
Department of English language and literature
Supervised by Professor: Dr. Hussein HAWAMDEH

Accepted at 15/11/2020

Published at 01/12/2020

Abstract

This paper attempts to explore and examine Mortimer the junior in Christopher Marlowe's *Edward II* as a Machiavellian character. this study at first represent in brief the author and his main concerns, then it gives an initial representation and introduction to the play, next it emphasis on the analytical section that concern with the character of Mortimer as Machiavellian villain in the light of Machiavellianism as it was understood in the Elizabethan period and associated with villainy and evil. Thus, the central focus of this extended research paper is to examine to what extent Mortimer is a Machiavellian character connecting it to Machiavellian discourse.

Key Words: Edward II- Christopher Marlowe- Mortimer the junior-Machiavellian-Machiavellianism

Christopher Marlowe was one of the most significant and major figure of the Renaissance. He was the “Elizabethan poet, playwright, and translator; he was baptized on February 26, 1564 in Canterbury, England. There is little to be known about his childhood and his early education. At age fifteen he enrolled as a scholar at the King’s School, Canterbury. Then, he went on to Cambridge University’s Corpus Christi College, where he graduated with a BA degree in 1584. He remained in Cambridge until 1587, writing and pursuing his studies (*Christopher Marlowe*). Marlowe was known not only as a notorious blasphemer as well as England's most noteworthy playwright. As a poet he was known by his poetry *Hero and Leander*. in drama he was famous by his play *Dido, Queen of Carthage*; his spectacularly violent two-part epic *Tamburlaine*, about the revolution and emergence of a Scythian shepherd to become lord of a large part of the world, had altered the Elizabethan theater; his cynical comedy and *the Famous Tragedy of the Rich Jew of Malta* had engaged ‘mass audiences by ruthlessly mocking conventional moral pieties’; his challenging history play *Edward II* had offered an unpredictable, complex, sympathetic portrayal of a homosexual king. What's more, the energetic force of his disaster *Doctor Faustus* surpassed and ‘exceeded anything that his rival and exact contemporary, William Shakespeare, had yet written’ (Greenblatt).

Some contemporary moralists seized on the story with an unholy glee; in 1597, for example, Thomas Beard recognized in it “a manifest sign of Gods judgement ... in that he compelled his own hand which had written those blasphemies to be the instrument to punish him, and that in his brain, which had devised the same”. Thomas Nashe described Marlowe as “a diviner Muse” than Musaeus; George Peele called him “the Muses’ darling”; and Michael Drayton observed in him “those brave translunary things that the first poets had.” (*Christopher Marlowe* 2020) It has been noted that “Marlowe had a reputation for violence, and much remains unknown about his government service and his political and religious beliefs. There is some evidence that he served as a spy for Sir Francis Walsingham’s intelligence service. On May 18, 1593, the Privy Council issued a warrant for his arrest, but on May 30, he was stabbed by Ingram Drizer in a Deptford lodging house, allegedly during a dispute over a bill. He was twenty-nine”. (*Christopher Marlowe*)

The exact date of *Edward II* has not been determined, however, it is generally and conceivably assigned to 1590-91. The historical basis for the plot Marlowe found in the Chronicles of Fabyan, Stow, and Holinshed, particularly the last. In its treatment of the realities of history, this play is a run of the mill case of the class of show known as the "chronicle history," which thrived over the most recent two decades of the sixteenth century, and finished in Shakespeare's "Henry IV" and "Henry V." While the order of events in history determines for the most part, generally, the progression of scenes, the playwright consolidates, excludes, explains, elaborates , and re-orchestrates so as to in order to gain dramatic effectiveness and to draw out the character of Edward and the result of his shortcoming. hence, the action covers a recorded time of some twenty-two years, however no such

stretch of time is recommended by the play; the military tasks in Ireland and Scotland, and particularly the battle of Bannockburn, are predated so as to interface them with Gaveston, who was, in fact, dead before any of them happened; and the adherence of Spencer to the King is made to follow immediately, instead of several years, after the death of the earlier favourite. However, with this opportunity in the treatment of subtleties, Marlowe prevails with regards to giving a significantly obvious, just as an intensely influencing, image of the character and destiny of Edward II. The play is the ripest and generally skilful of Marlowe's creations, appearing in the outline of the character, the development of the plot, and the opportunity and assortment of the section, a striking development over his previous work. (W.Eliot)

More specifically, in his *Edward II*, Marlowe entered upon a new field (Boas 52). He moved from Turning aside from the fortunes of foreign and semi-legendary person- ages like Tamburlaine, Faustus, and Barabas, he went for his materials to the national history of his own country, and selected for dramatic treatment the tragically career of Edward II. (ibid) Furthering, Edward II appears to provide a much wider, much increasingly perplexing, and, in specific regards and the more, it offers a “philosophically unsettling statement of power”.

Edward II is the main character of this play, but he is not himself a Machiavellian, nor does he get enchanted by the Machiavellian desire for power that characterized other Marlovian names especially Barabas and Tamburlaine the Great. King Edward II dismisses the political practice just as the demeanour to control such a great amount of embraced by the Machiavellian talk. Be that as it may, he becomes of the egocentric goal and devilish plans directed by his companions just as his foes whose political aspirations have a solid hypothetical connection to the Machiavellian art and discourse. more specifically, it's Mortimer the junior who is portrays as a Machiavellian villain from the very beginning to the end of the play. Thus, the central focus of this extended research paper is to examine to what extent Mortimer is a Machiavellian character connecting it to Machiavellian discourse.

Concerning Machiavellianism, Marlowe is the first author and dramatist who introduce Machiavelli and Machiavellianism onto the stage his *The Jew of Malta 1588* (Meyer30). In addition, It seems crucial to note that most writers and playwrights of the Elizabethan period associate Machiavellian aspects negatively with evil, as Edward Meyer explains in his *Machiavelli and Elizabethan Drama (1897)* that “Machiavelli appeared as the very devil incarnate, or, at least, as the incorporation of all hypocrisy” (1), as he argues that “tantamount significance for the drama was the fact that Machiavelli had been brought on the stage as the incarnation of villainy (37).

Interestingly, in Christopher Marlowe's, *Edward II*, Young Mortimer is portrayed as the second significant character after King Edward II. He is depicted with great pride and power: “Mortimer, who is portrayed with great Spirit and power. It has been too little noticed that Mortimer

is remarkably akin to Marlowe's earlier heroes, especially Tamburlaine. The lines of his character are of course, toned down to suit the altered environment, but there is the same note of lawlessly aspiring ambition". (Boas 54) Mortimer is portrayed "as cloaking his villainy under religious hypocrisy" (Meyer 55) especially when he manifests to get the sympathy of barons in his speech in act V scene IV, to overthrow and execute King Edward from throne: "*The king must die, or Mortimer goes down*".

Moreover, Warshaw, J. in his review "*Machiavelli in Marlowe*" argues that Marlowe is like all the Elizabethan dramatists, knew Machiavelli cursorily and only superficially. He had understood him, or rather, ambiguous adaptations of him, but had never tested his internal significance (433). He adds that "Machiavelli's restricted application of psychology and politics was expelled by Marlowe from its lawful sphere, where, though amazing, it did not seem sardonic, and adjusted to the illimitable range of private life, where it appeared not only villainous, but even subversive of the most sacred social bonds". (ibid) Accordingly, Edward Meyer asserts:

The most colossal figures to be met with in the Elizabethan drama, are Marlowe's Tamburlaine, Faustus, and Barabas : into these Titans he breathed the very soul of his existence, a wild craving for infinite power. He was the ' notable exception 'among the Elizabethan dramatists; for he had studied Machiavelli with a vengeance (33)

Hence, Christopher Marlowe's *Edward II* is noteworthy endeavours to utilize the Machiavellian art in a fitting situation. Indeed, Mortimer junior has the attributes of a successful leader. But as consistently on account of any human character built by Marlowe the 'Will to Power', the exceptional, personal, arrogant pride of the man baffles his commendable ambitions as a ruler. Additionally, Mortimer was too much of an Englishman to work out a Machiavellian plan in the entirety of its consistent subtleties. Customs, moral shows, a specific ineradicable idealism, a kind of coercion to what may be called his "better nature," an evidently indestructible 'belief in the ultimate honour of man', and an obstinate rigidity of will, A poor substitute for Machiavellian smoothness of thought and activity, Negate his honest goals. He suspects Kent, yet doesn't expel him from this sordid world. He ought to have divined the emotions and the plausible direct of the young Prince, yet smugly he expects to be the power behind the throne (ibid 436):

The prince I rule, the queen I do command,
And with a lowly cong? to the ground,
The proudest lords salute me as I pass :
I seal, I cancel, I do what I will :
Feared am I more than loved? let me be feared ;

And when I frown, make all the court look pal?
 I view the prince with Aristarchus' eyes,
 Whose looks were as a breeching to a boy.
 And to conclude, I am Protector now.
 Now is all sure, the queen and Mortimer
 Shall rule the realm, the king ; and none rules us.
 Mine enemies will I plague, my friends advance ;
 And what I list command who dare control ? " (V-IV-48-72)

These lines in act the fifth, scene four are highlighting 'Machiavellian notions'. Indeed, these particular lines denote how Mortimer's evolution as a dramatic character in one more compelling instance of self-destroying mania for power. at the heights of his ambitious rise to eminence, he is given a soliloquy that sounds for all the world like Richard III" (Deats and Logan 218) and Tamburlaine in his speech: *As for myself, I stand as Jove's huge tree,/ And others are but shrubs compar'd to me./ All tremble at my name, and I fear none* (V.vi. 11-14) In other words, "Mortimer lacked was psychological insight. His courage, proved a dozen times, his clever stirring up of rebellion for the purpose of rid ding the court of Gaveston, the king's favourite", his plan to keep Gaveston in England, where he could be more easily assassinated, his repeal of Gaveston's exile, for which the king rewards him by appointing him Lord Marshall, his orders to Gurney to stress the king to death instead of to killing him, his choice to stop the ruler's life on the grounds that the people are starting to feel sorry for him outright, his brief homicide of Lightborn after the latter has killed the King; "are all signs of an accomplished politician, but not necessarily of a statesman". (Warshaw 437)

Nevertheless, For sure he has been fruitful in exceeding his fortune by changing the influence relations he is in. His prosperity against the flunky debilitated ruler, later on, is a show of the most of a hero "*who now makes Fortune's wheel turn as he please*". His control of Fortune here reveals his Machiavellian subjectivity and suggests at his virtue, so run of the mill of a Machiavellian ruler. Be that as it may, when Mortimer is effective in satisfying his aspiration, the other essence of his character comes out. He crushes, deposes, and detains Edward II. Edward II's significant other, Isabella turns into a partner to his plan. He makes Edward II's juvenile child Edward III the lord of England and turns into his Protector. The band of Edward II's partners, for example, Gaveston is either slaughtered or made inadequate. So as to make sure about himself totally, he has imagined the homicide of the powerless, detained Edward II. Here he has used the intensity of language. Along

these lines, he turns into a savage tyrant of England who, for his own capacity and security, leaves his prior motto of enthusiasm and gets lowered in absolutist imperialism. His hang on the English political circumstance is presently supreme.

Therefore, Marlowe's Edward II, shows the influence of Machiavellian villainy on the character of Young Mortimer who uses Lightborn to murder the king. Lightborn himself associates with a great Machiavellian mind, and he has more ways of assassinating than Barabas as he declares in his speech to Young Mortimer in Act V, scene IV:

"I learn'd in Naples how to poison flowers;
 To strangle with a lawn thrust down the throat;
 To pierce the wind-pipe with a needle's point;
 Or, whilst one is asleep, to take a quill,
 And blow a little powder in his ears;
 Or, open his mouth, and pour quick-silver down.
 But yet I have a braver way than these."

Marlowe's concern with the character of Mortimer the junior does not end in permitting a kind of authenticity to that thought of sovereign subjectivity. He rather reveals the false notion in that thought. Mortimer, who, on one phase, flaunts that he really has overreached the constraint of intensity and the limit of power that his social position has recorded him into and that he appears to direct the course of history at his own will, is oppressed at long last to a 'bitter realization' of the imprudence of such vainglorious presumption and awful treatment. His enemy begins functioning when the news on Edward II's homicide arrives at the ears of his son Edward III, now the king of England. The immature king understands that his "*father's murder through thy treachery*" (V.vi.28). However, he does not spare a moment or fear to take appropriate measure against him. . He without a moment's delay sentences him to death.

To sum, to have reached his goals, he should have made allowance for the affection of the English for their king; he ought to have offered leeway for the love of the English for their ruler; he ought to have set the noblemen in opposition to each other; he ought to have debased the Prince and made him a prepared instrument or developed his companionship in an apparently true way through the mother; he ought to have discarded the King in some extremely unpretentious, quick style, rather than letting him wait in prison, an object of everyday compassion and sympathy. However, the entire issue with Mortimer as a Machiavellian is that he moved a consummately decent Italian arrangement

to England without making those racial and fickle changes requested by the particular conditions encompassing him.

In short, from the previous analysis, this study reveals and realizes that Marlowe's character of Mortimer the junior mainly and other minor character like Lightborn are placed and associated with Machiavelli's discourse and represent Machiavellian villain to obtain power with ill manners.

Woks cited

- Boas, Frederick S. *Shakespeare and His Predecessors*, London, J. Murray 1896.
<https://archive.org/details/cu31924013147636>
 - Christopher Marlowe 1564–1593, poets.org. Academy of American Poets, 75 Maiden Lane, Suite 901, New York, NY 10038, Accessed April 30th ,2020 <https://poets.org/poet/christopher-marlowe>
 - Deats, Sara Manson, and Robert A. Logan. *Placing The Plays of Christopher Marlowe: Fresh Cultural Context*. Routledge, 2016.
 - Greenblatt, Stephen “Who Killed Christopher Marlowe?” *The New York Review of Books* April 6, 2006 Issue. Accessed: May 3, 2020 <https://www.nybooks.com/articles/2006/04/06/who-killed-christopher-marlowe/>
 - Marlowe, Christopher. “Edward II.” In *Elizabethan Drama: Marlowe, Shakespeare with Introductions and Notes*, by Charles W. Eliot et al. The Harvard Classics: Grolier, 1980, pp. 7–92.
<https://ia600200.us.archive.org/27/items/harvardclassic00elio/harvardclassic00elio>
 - Meyer, Edward. *Machiavelli and the Elizabethan Drama*. Weimar Verlag Von Emil Felber 1897.
- [Warshaw, J. Machiavelli in Marlowe. The Sewanee Review Collection: JSTOR. Vol 24 1916-10-01](https://archive.org/details/jstor-27532953/page/n15/mode/2up)
<https://archive.org/details/jstor-27532953/page/n15/mode/2up>

عنوان البحث

المدخل الإتصالي وأثره في تنمية متعلمي العربية الناطقين بغيرها

حارث سيف الدين خضر علي¹

¹ جامعة اسطنبول ايدن، تركيا

تاريخ النشر: 2020/12/01م

تاريخ القبول: 2020/11/14م

المستخلص

إن إيجاد أفضل السبل لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها ، هو من مهمات معلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها ، وإن المدخل الاتصالي من المداخل المهمة لتعليم اللغة، ومن تمكين المتعلم من تعلم لغة ثانية، من خلال المهارات " الاستماع ، الكلام ، القراءة ، الكتابة " التي يتم توظيفها في المدخل الاتصالي لخدمة المتعلم، والعمل على إبراز أهمية المدخل الإتصالي في تعليم العربية لغير الناطقين بها ، مما يساعد على تسهيل تعليم العربية وبذل الجهد والوقت اللازمين لتحقيق التناسب والغرض المطلوب، وعن تاريخ المدخل الاتصالي يرجع هواة الدعوة الى التعليم اللغات من منظور اتصالي إلى القرن السابع عشر ، و تشمل مكونات الاتصال على مجموعة عمليات متداخلة تدور بين مكونات أربعة هي : رسالة ومرسل ووسيلة ومستقبل .

الكلمات المفتاحية: المدخل الإتصالي ، تعليم العربية للناطقين بغيرها ، الكفاية اللغوية .

مقدمة :

إن تعلم اللغة العربية من المواضيع المعاصرة المهمة ، وقد بدأ كثير من الدارسين العناية بهذا النوع من العلوم ، ولا سيما ارتباطه بالمداخل الأخرى ، وكان لا بد من الوقوف على المدخل الاتصالي لإهميته في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها ، ويعد الهدف من المدخل الاتصالي ، تنمية القدرة على الفرد لأن يبدع ، ويكون أشكال التعبير (كلام أو كتابة) التي لها القبول الاجتماعي ، أو تحقق الهدف المطلوب ، وتتكون عملية الاتصال من المرسل والرسالة والمستقبل والوسيلة ، وقد وقفنا في هذا المقال على خصائص المدخل الاتصالي ، ومفهومه ، ومكوناته ، فيما يرجع هووات الدعوة الى التعليم للغات من منظور اتصالي إلى القرن السابع عشر حين كتب جون لوك عن تعلم اللغة قائلاً : " يتعلم الناس اللغة من أجل التعامل مع المجتمع ، وتحقيق الاتصال (وهنا ذكر جون لوك كلمة الاتصال نفسها) بين الافكار في الحياة العادية بدون تخطيط ، أو تنظيم مقصود مسبق في استخدامهم للغة ، ومن أجل هذا السبب فإن الأسلوب الحقيقي أو الأصلي (ويستخدم هنا كلمة أصلي) لتعليم اللغة ، فإنما يتم بالمحادثة ، وهذا وحده أدهى لتحقيق تعلم سريع معجل مناسب ، وطبيعي " ويختم المقال ببيان المهارات اللغوية وعلاقتها بتعليم اللغة العربية اتصالياً ، فتطرقنا لطريقة القراءة ، والكتابة ، والاستماع ، والكلام ، وبيان أهميتها في المدخل الاتصالي وعلاقته بتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها .

مشكلة البحث :

المشكلة التي تتصدى لها هذه الدراسة ؛ كيف يمكن أن تعلم اللغة العربية إتصالياً في برامج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ؟ والسعي لمعالجة هذا الموضوع ، من حيث مناهجه ، وأأسسه ، ومجالاته ، وبرامجه ، ومنهجيات العمل فيه . حيث تحاول هذه الدراسة تحقيق :

إيجاد أفضل السبل المناسبة لتعليم اللغة العربية.

-صياغة مناهج واضحة ، ومحددة ، وتؤدي الغرض من تعليم اللغة

مناقشة أهم المفاهيم ، والمصطلحات الشائعة في هذا الإطار ، حتى تتضح للقارئ دلالات ما يريد في ثنايا هذه الدراسة.

استخدام أفضل الطرق الاتصالية الحديثة لتعليم العربية لغير الناطقين بها ، وفق أسس علمية وموضوعية مدروسة .

أهمية البحث :

تأتي أهمية البحث من كونه سوف يحقق ويشير الى الأهداف التالية :

إبراز أهمية المدخل الاتصالي في تعليم العربية لغير الناطقين بها ، مما يساعد على تسهيل تعليم العربية وبذل الجهد والوقت اللازمين لتحقيق التناسب والغرض المطلوب.

التحديد الدقيق للمهارات اللغوية التي يجب أن يكتسبها الدارس وفق المنهج والمدخل الاتصالي في برامج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، مما يساهم في وضع تصور لبرامج تنمية هذه المهارات .

يشخص مشكلات الدارسين التي تواجههم في التعليم وفق المدخل الاتصالي وطرح أهم أساليب العلاج المناسبة.

فتح الباب أمام دراسات أخرى مستقبلية من شأنها أن تساعد في تطوير هذا المدخل الاتصالي ، وذلك في المستويات المختلفة لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

اهداف الدراسة :

- تهدف دراسة المدخل الاتصالي وأثره في تنمية متعلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها ، للأمر التالية :
- توظيف مختلف المفاهيم من أجل إعداد المواد التعليمية المناسبة التي تساعد في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.
- مناقشة الجوانب الخاصة بالمدخل الاتصالي ، وطرح القضايا الخاصة بإعداد المواد التعليمية في ضوءها.
- التعريف بالكفاية الاتصالية ، والكفاية اللغوية وأهم الخصائص والسمات التي تتصف بها.
- 4.التعريف بأهم أساليب تعليم المهارات إتصالياً مع ذكر أولويات المهارات اللغوية في المدخل الاتصالي.

أولاً : تاريخ المدخل الاتصالي :

يرجع هوات الدعوة الى التعليم اللغات من منظور اتصالي إلى القرن السابع عشر حين كتب جون لوك عن تعلم اللغة قائلاً : " يتعلم الناس اللغة من أجل التعامل مع المجتمع ، وتحقيق الاتصال (وهنا ذكر جون لوك كلمة الاتصال نفسها) بين الافكار في الحياة العادية بدون تخطيط ، أو تنظيم مقصود مسبق في استخدامهم للغة ، ومن أجل هذا السبب فإن الأسلوب الحقيقي أو الأصلي (ويستخدم هنا كلمة أصلي) لتعلم اللغة ، فإنما يتم بالمحادثة ، وهذا وحده أدعى لتحقيق تعلم سريع معجل مناسب ، وطبيعي"¹

ترددت إذن منذ القدم مصطلحات مثل : الاتصال ، والأسلوب الأصلي ، أو الحقيقي ، والمحادثة والتعليم الطبيعي.

وهذه المصطلحات الأكثر شيوعاً في المدخل الاتصالي في وقتنا الراهن ، كان هناك إحساس بأن اللغة وظيفتها الاتصال ، وتحقيق التعامل مع أفراد المجتمع ، وتمرُّ سنوات حتى تصل الى القرن التاسع عشر ، وعلى وجه التحديد 1864م ، (أي منذ 140 سنة تقريباً)

وفي الاثناء تجذب طرق تعليم اللغات بأسلوب اتصالي انتباه المعلمين المهاجرين إلى أمريكا ، قد اتخذت هذه الطرق ، كما يقرر هوات عدة أسماء مثل :

الطرق الطبيعية ، وطريقة المحادثة ، والطريقة المباشرة ، والمدخل الاتصالي ، إلا أنه مع أسماء هذه الطرق ، ومع اختلاف اساليبها ، وإجراءات التدريس فيها ، إلا أن الفلسفة الكامنة وراءها تكاد تكون واحدة وهي تعليم اللغة بشكل اتصالي هذه الفلسفة التي تمثل اتجاهاً لأسلوب تعليم اللغة ، كانت السبب في نقد بلومفيلد 1942م لأسلوب تعليم اللغات الأجنبية في أمريكا ، إذ لم يكن مساعداً للدارس على أن يتصل باللغة ، يقول بلومفيلد : " لم تكن الكتب جيدة ، ولم يكن المعلمون يمتلكين مهارات اللغات الأجنبية ذاتها ، وكان الطالب بعد سنتين أو ثلاث أو أربع سنوات من دراسته للغة الأجنبية غير قادر على استخدامها ، أو توظيف ما تعلمه"²

والملاحظ أنه على الرغم من تردد مصطلحات مثل الاتصال ، التعلم الوظيفي ، الطريقة الطبيعية ، الأسلوب الأصلي أو الحقيقي ، الطريقة المباشرة ، المحادثة ، نقول إنه على الرغم من تردد هذه المفاهيم التي تمثل صلب المدخل الاتصالي ، إلا أن التفكير

عبد الراجحي : النحو في تعليم العربية لغير الناطقين بها، ندوة تعليم اللغة العربية في ماليزيا الجامعة الإسلامية، كوالالمبور، أغسطس، 1986 ص 12

رشدي طعيمة ومحمود كامل النافعة، تعليم اللغة اتصاليا بين المناهج والاستراتيجيات ، منشورات المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة 1474 ابيسيكو

² ص23.

المنهجي حول المدخل الاتصالي وتناوله بأسلوب علمي يعتمد على منطلقات معينة ، ويتخذ له إجراءات محددة في الفصل ، لم يبدأ إلا منذ الستينيات من القرن العشرين حين بدأ علماء اللغة البريطانيون في نقد أسلوب تعليم اللغات الأجنبية عندهم ، ووجه هذا النقد أساساً لأسلوب تعليم اللغات في ضوء المواقف وصادف هذا نقداً مماثلاً في أمريكا إلا أنه كان موجهاً للطريقة السمعية الشفوية ، من هنا طرح علماء اللغة البريطانيون فكرة الإمكانات الوظيفية والاتصالية للغة وبرزوا الحاجة إلى الإجابة الاتصالية.

برزت بعد ذلك ، كما يذكر ريتشارد وزورجرز الحاجة الى تعليم لغات الشعوب المتضمنة الى السوق الأوروبية المشتركة ، وكذلك المجلس الأوروبي ، وفي 1971م اجتمع فريق من الخبراء للنظر في إمكانية تنظيم مقررات لتعليم اللغات في ضوء نظام الساعات المعتمدة ، وفي هذا النظام تراعى حاجات الدارسين ، كما اعتمد على دراسة مبدئية قدمها ولكنز ، وفي الدراسة التي نشرها 1972م ، قدم تعريفاً وظيفياً واتصالياً للغة ، وهذا التعريف كان الأساس لإعداد المناهج الاتصالية لتعليم اللغات ، وبدلاً من أن يقدم ولكنز وصفاً لمحاور اللغة بأسلوب تقليدي سواء من حيث المفردات أو النحو ، قدم ولكنز تصوراً جديداً لنمطين من المعاني :

الأول : ويسمى فئات الأفكار (مثل الزمن ، والتوالي ، والكمية ، والمكان ، والتكرار)

والثاني : ويسمى فئات الوظائف الاتصالية (مثل الطلب ، والإنكار ، وتقديم الأشياء ، والشكوى ، ولتوضيح الفرق بين الفكرة العامة ، وبين الوظائف اللغوية نقدم مثلاً لموقف اتصالي يميز بين الأمرين ، وهو زيادة مريض بإحدى المستشفيات ، الفكرة العامة هنا هي " زيارة المريض " أما الوظائف اللغوية فيمكن تحديدها فيما يلي :

التعبير عن التعجب والأسى لمرض هذا الصديق .

. السؤال عن سبب المرض .

. التعبير عن موطن الألم والشكوى .

. تحديد الأوقات التي يحس فيها بالألم .

. السؤال عن المدة التي يستغرقها العلاج .

. التعبير عن ضرورة مراجعة الطبيب .

. الاستفسار عن الدواء المناسب .

. التعبير عن تمنيات الشفاء للمريض .

ولقد أجمال ولكنز هذه الأفكار ، ثم نشرها بعد ذلك في كتاب باسم وكان لهذا الكتاب تأثير كبير في المدخل الاتصالي لتعليم اللغات إلى أن صاغ هيمز مصطلح الكفاية الاتصالية 1972م في مقابل مصطلح الذي صاغه تشومسكي³.

ثانياً : مفهوم الاتصال :

يلخص ويدوسون نقلاً عن ريلي ، عملية الاتصال في قوله : يطلق مصطلح الاتصال حين يحدد مستعمل اللغة موقفاً يتطلب منه نقل معلومات معينة لتحقيق التقارب المعرفي بين الأفراد ، ومن ثم يمكن أن يتغير هذا الموقف بشكل أو بآخر ، وهذا الإجراء أو هذه

عبد الرؤوف الشيخ : الجانب الثقافي في كتب تعليم اللغة العربية للأجانب في المستوى الأول، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة طنطا، ص 43 1985

العملية تتطلب التفاوض أو تبادل وجهات النظر حول المعاني خلال التفاعل بين الأفراد ، واطلق على هذا الشكل من التفاوض لفظ الخطاب هذا المصطلح يشير إلى التفاعل الذي يجب أن يأخذ مكانة لتأكيد قيمة المعنى لما ينطق به المتحدث ، والمتحقق من فعاليته كمؤشر لنية المتحدث أو قصده.

ومواقف الاتصال اللغوي في حجرة الدراسة إنما هي مرحلة تدريبية ، شأنها التدريب في مسبح صغير تهيئة لخوض البحار⁴.

ويعلق الدكتور حسين حمدي الطوبجي مع هذا التعريف إذ يقول : " إن الاتصال هو العملية التي يتم عن طريقها انتقال المعرفة من شخص لآخر حتى تصبح مشاعاً بينهما ، وتؤدي الى التفاهم بين هذين الشخصين أو أكثر ، وبذلك يصبح لهذه العملية عناصر ومكونات ولها اتجاه تسيير فيه ، وهدف تسعى إلى تحقيقه ، ومجال تعمل فيه ، ويؤثر فيهما مما يخضعها للملاحظة ، والبحث ، والتجريب والدراسة العملية بوجه عام⁵"

وتعتبر دائرة المعارف البريطانية أن الاتصال يعني تبادل المعاني بين الأفراد من خلال نظام عام للرموز . ويستمر التعريف لمصطلح الاتصال في المجلد الثالث من دائرة المعارف البريطانية المصغرة ، وكذلك في المجلد 16 من دائرة المعارف الموسعة ، فيستعرض تعريف ريتشارد الناقد البريطاني المشهور ، ووجهة نظره لمفهوم الاتصال ، وتعتبر دائرة المعارف أن تعريف ريتشارد للاتصال ، والذي قدمه 1928م من أوائل التعريفات للاتصال ، ومن أفضلها بعض الوجوه.

ويتسع هذا التعريف في دائرة معارف كولير الأمريكية ، إذ تعتبر الاتصال هو نقل المعارف من شخص لشخص ، أو مخلوق لمخلوق ، أو وجهة نظر لأخرى ، وقد يكون الاتصال في شكل نقل أصوات ، مثل التحدث بين الناس ، وقد يكون الاتصال في شكل ضربات إيقاعية للطبول ، وقد يكون أصواتاً من طيور ، بل قد يكون في شكل ضربات يقوم بها حيوان السمور في الماء بذيله حين يحس بخط قادم ، اما من حيث صورة الاتصال فقد تكون مرئية مشاهدة مثل الكتابة ، والصور ، والإشارات والأعلام ، والملصقات ، بل قد تكون في رقصة نحل العسل ، يشير بها للنحل الآخر أن هناك مصدراً للغذاء ، وقد يكون الاتصال ، أخيراً يتطلب لإتمامه ، استخدام حواس أخرى.

يجدد ولكن هدف تعليم اللغة اتصالياً في أنه " تنمية القدرة على الفرد لأن يبدع ، ويكون أشكال التعبير (كلام أو كتابة) التي لها القبول الاجتماعي ، أو تحقق الهدف المطلوب⁶"

ثالثاً : خصائص الاتصال :

يستند المدخل الاتصالي على الافتراض بأن كل الناس لديهم القدرة الفطرية ما يسمى بجهاز (اكتساب اللغة) لذا تكون الكفاءة اللغوية إبداعية وأكثر تقريراً من العوامل الداخلية . والهدف من تعليم اللغة العربية من هذا المدخل هو الاتصال الواقعي أي بمعنى أن الطلاب اللغة الأجنبية كآلة للاتصالات⁷.

8 وقد ذكر أحمد مرادي عن خصائص المدخل الاتصالي الامور التالية :⁸

⁴ رشدي أحمد طعيمة : الأسس المعجمية والثقافية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، مكة المكرمة، معهد اللغة العربية، جامعة أم القرى ، 1982، ص 19

⁵ حسين حمدي الطوبجي : وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعليم، الكويت، دار القلم ، 1982، ص-12- 23

⁶ Wilkins, D. : Some Issues in Communicative Language Teaching and their Relevance to the Teaching of Languages in Secondary School in Johnson, K. and D. Rorler (eds) Prespective in Communicative Language Teaching, London, Academic Press, 1983p65

⁷ . احمد، محمد عبد القادر، طرق تعليم اللغة العربية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ، ، 1975 ، ص35

الكفاية التواصلية الحيوية ، التي يعتمد في مباحثها المعنى بين متكلمين أو أكثر مع معرفة قواعد اللغة .
الكفاية التواصلية ، والتي تتكون من استخدام اللغة تحريراً أو شفويًا ، بالإضافة لاستخدام الأنظمة الرمزية.
الكفاية التواصلية السياقية ، فالإتصال يأخذ مكانه ، أو يمكن أن يحدث في مواقف لا حد لها ، وإنها تتطلب القدرة على الاختيار المناسب للغة ، والأسلوب في ضوء مواقف الاتصال والأطراف المشتركة.

الفصل بين الكفاية والأداء ، الكفاية تعني القدرة المفترض وجودها والكامنة وراء الأداء ، بينما يعتبر الأداء التوضيح الظاهر هو المكشوف لهذه القدرة ، إن الكفاية هي ما تعرف ، أما الأداء فهو ما تفعل ، وهو الشيء الوحيد الذي يمكن ملاحظته ، وفي ضوءه تتحدد الكفاية وتتميتها وتقويمها.

الكفاية التواصلية نسبية وليست مطلقة ، وتعتمد على التعاون ، من هنا يمكن التحدث عن درجات للكفاية الاتصالية ، ليس عن درجة واحدة ولكن هل الكفاية الاتصالية كل لا يتجزأ إلى أجزاء ، أو أنه مفهوم عام تتدرج تحته كفايات أخرى ؟
يميز كانال وسوين بين أربعة من الكفايات الاتصالية هي :

الكفاية النحوية ، وتشير إلى ما يقصده تشومسكي من الكفاية اللغوية ، أي معرفة اللغة ، والقدرة الكافية على استخدامها.
الكفاية اللغوية الاجتماعية ، وتشير إلى قدرة الفرد على فهم السياق الاجتماعي الذي يتم من خلاله الاتصال ، بما في ذلك العلاقات التي تربط بين الأدوار الاجتماعية المختلفة ، والقدرة على تبادل المعلومات ، والمشاركة الاجتماعية بين الفرد والآخرين.
كفاية تحليل الخطاب ، وتشير إلى قدرة الفرد على تحليل أشكال الحديث ، والتخاطب من خلال فهم بنية الكلام ، وإدراك العلاقة بين عناصره وطرق التعبير عن المعنى ، وعلاقة هذا بالنص ككل.

الكفاية الاستراتيجية ، وتشير إلى قدرة الفرد على اختيار الأساليب والاستراتيجيات المناسبة للبدء بالحديث أو لختامه ، والاحتفاظ بانتباه الآخرين له ، وتحويل مسار الحديث ، وغير ذلك من استراتيجيات مهمة لإتمام عملية الاتصال .⁹
رابعاً : مبادئ المدخل الاتصالي :

يبين أنجل سجارنو وأصحابه في كتاب أحمد مرادي أن الهدف الأساسي من تعليم اللغة هو مساعدة المتعلم في استخدام لغة الهدف . وللوصول لذلك الهدف لا بد على المدرس أن يعرف مبادئ تعليم اللغة ، وبعد ذلك يجب أن يتحقق لأنشطتها التعليمية بشكل عام مبادئها كما يلي:¹⁰

سوف يتعلم المتعلمون اللغة جيداً عندما يعاملهم كالأفراد الذين لديهم احتياجات ورغبة.

سوف يتعلم المتعلمون اللغة جيداً عندما يعطى لهم الفرصة للمشاركة في استخدام اللغة الهدف.

سوف يتعلم المتعلمون اللغة جيداً إذا عرضوا البيانات التواصلية ، والمفهوم المناسب مع الاحتياجات والرغبة.

سوف يتعلم المتعلمون اللغة جيداً عندما يركزون على شكل المهارات والاستراتيجية التي تدفعهم في عملية إكتساب اللغة.

⁸ شعباني، احمد زكي، تطوير كتاب اللغة العربية في ضوء المدخل الاتصالي بمدرسة رحمة المتوسطة مالانج، رسالة ماجستير ، اندونيسيا، 2016، ص 64
رشدي أحمد طعيمة : الأسس المعجمية والثقافية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، مكة المكرمة، معهد اللغة العربية، جامعة أم القرى، ص 22⁹
1982

¹⁰ محمد عيد : الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، القاهرة، علم الكتب، ص، 76، 1979

سوف يتعلم المتعلمون اللغة جيداً إذا عرضوا البيانات الاجتماعية والثقافية والخبرة المباشرة.

سوف يتعلم المتعلمون اللغة جيداً عندما يعلمون دور وطبيعة اللغة والثقافة.

سوف يتعلم المتعلمون اللغة جيداً عندما يعطون ردود الفعل المناسب بشأن تقدمهم.

سوف يتعلم المتعلمون اللغة جيداً عندما يعطون الفرصة لتنظيم تعليمهم.

خامساً : مكونات عملية الاتصال :

الاتصال كما سبق القول عملية مركبة تشتمل على مجموعة عمليات متداخلة تدور بين مكونات أربعة هي : رسالة ومرسل ووسيلة ومستقبل.

الرسالة : ويقصد بها المحتوى الذي يود المرسل نقله إلى الآخرين مستهدفاً من ورائه التأثير عليهم ، ولكل رسالة مضمون ، هو عبارة عن الأفكار التي يراد التعبير عنها ، وشكل وهو عن الرموز اللغوية التي يتم التعبير عنها .

المرسل : وهو مصدر الرسالة ، إنه الطرف الأول في عملية الاتصال والذي يريد التأثير في الآخرين من خلال أفكار لديه ، والمرسل قد يكون فرداً أو مجموعة أفراد ، بل قد يكون إنساناً وقد يكون آلة مع اختلاف بينهما .

الوسيلة : ويقصد بها الأداة التي تنتقل من خلالها ، وتتنوع الوسائل ما بين الصوت العادي عند الاتصال المباشر الى الكتاب الى الخرائط والرسم والسجلات وأجهزة الإعلام . من مذياع إلى تلفاز إلى حاسب آلي (كمبيوتر) إلى غير ذلك من أدوات.

والوسيلة ليست ذات شان بسيط في إتمام عملية الاتصال ، إنها قد تساعد عليها وقد تعوقها ، بل بعض الخبراء إلى درجة المزج بين الرسالة والوسيلة فيقولون إن أداة الاتصال هي الرسالة..

المستقبل : ويقصد به الجهة التي تنتهي إليها الرسالة وقد تكون فرداً أو مجموعة أفراد ، وهي التي تتولى فك رموز الرسالة وتفسيرها بعد ذلك الموقف المناسب إزاءها ، ويتوقف تفسير هذه الرموز على عدة رموز نعرضها بعد ذلك¹¹.

سادساً : معوقات عملية الاتصال :

بعد ان استعرضنا مقومات الاتصال ، سنقف مع معوقات عملية الاتصال ، وقبلها نسأل سؤالاً :

متى يحدث الاتصال بين فردين ؟

يحدث لو اتحد معنى الرموز عند المرسل والمستقبل واستطاع كل منهما تبادل نفس الأفكار بنفس درجة الوضوح وبنفس الخلفية السابقة عن الموضوع ، وهذا الأمر يندر أن يحدث بين البشر..

ولنتصور معلماً يلقي درساً ، المعلم هنا متغير واحد ولكنه أمام عدد من الطلاب ، ولنتصور أن عددهم عشرة طلاب ، ما الذي يحدث في هذا الموقف ؟

إنه موقف اتصالي بلا شك ، المعلم هو المرسل هنا ، والرسالة هي موضوع الدرس ، والوسيلة هي الحديث الشفوي أو السبورة أو الكتاب أو هي هذا كله ، والمستقبل هو الطلاب ، نحن إذن أمام مرسل واحد ، ومستقبل متعدد ، هل تعتقد أن المعلم عندما يلقي درسه أمام هذا العدد يكون قد أبلغ رسالة واحدة ؟

شعباني، احمد زكي، تطوير كتاب اللغة العربية في ضوء المدخل الاتصالي بمدرسة رحمة المتوسطة مالانج، رسالة ماجستير ، اندونيسيا،، 56ص2016¹¹

الإجابة بلا شك هي لا .. لقد بلغ عشر رسائل إذ اختلف استقبال كل طالب للرسالة باختلاف المتغيرات التي سبق الحديث عنها ، حتى لو دار الأمر بين فردين .. فلا بد من وجود تفاوت بين المرسل والمستقبل في تصور الرسالة موضوع الاتصال . هناك إذن معوقات للاتصال الكامل بين البشر ، وهذه جملة من المعوقات والعقبات تحول دون تحقيق عملية الاتصال الفعالة منها: أولاً : المعوقات النفسوجسمية :

وتنضم هذه المعوقات كافة الأسباب النفسية الجسمية منها : الاضطرابات العاطفية ، المزاجية كالهوس والكآبة والانهايار الداخلي ، اضطرابات القوى الإدراكية كاضطرابات الانتباه ، التفكير ، الذاكرة ، الانفعال ، الخيال ، اضطرابات الحواس والإحساس، والاضطرابات الغددية، الاضطرابات المرافقة للعادة الشهرية، الاضطرابات العقلية العضوية، والاضطرابات المميزة للأعمار كالمراهقة، البلوغ ، اليأس ... الخ

ثانياً : المعوقات الخاصة بالمرسل والمستقبل :

وترتبط هذه المعوقات أساساً بنواحي ذاتية تؤثر على تدفق الرسالة وفهمها واستيعابها والاستجابة إليها من ذلك نذكر :

دوافع المرسل تؤثر في حجم وطبيعة المعلومات التي يقوم بإرسالها إلى المرسل

- اعتقاد المرسل أن سلوكه في كامل التعقل والموضوعية والشعور بالمعرفة الكاملة، وتجاهل التغذية المرتدة من الآخرين.

الإدراك الخاطئ للمعلومات وبالتالي اختلاف إدراك وفهم الآخرين لها

الميول والاعتقادات والاتجاهات النفسية للمرسل تؤثر في شكل المعلومات التي لديه والتي يرغب في إرسالها .

التحيز والتعصب من المرسل والمستقبل -

: ثالثاً : المعوقات الخاصة بالرسالة

التحيز أو الترجمة غير الصحيحة لمحتويات الرسالة .

سوء الإدراك أو الفهم للمعلومات التي تنصها الرسالة .

افتقار المرسل للقدرة على تعزيز ما تتضمنه الرسالة من معلومات بتعبيرات الوجه أو حركات الجسد أو ما يعرف بلغة الجسم .

. قصور الوقت المحدد لتدفق الرسالة

. التشويش الذي يجعل الرسالة غير قادرة على النقل

. ويظهر كذلك التشويش حينها تتضمن الرسالة بعض الأخطاء

رابعاً : المعوقات المتعلقة بالوسائل .

ونذكر منها:

اختيار وسيلة الاتصال التي لا تتناسب مع الموضوع محل الاتصال

عدم ملائمة وسيلة الاتصال للوقت المتاح للاتصال

خامساً : المعوقات الثقافية والاجتماعية :

وهي المعوقات الأصعب والأكثر احتمالاً لأشكال اللبس والغموض وتترجع هذه المعوقات عن التقاليد والأعراف الاجتماعية السائدة في المجتمع والمختلفة عن باقي المجتمعات¹².

سابعاً : تدريس المهارات اتصالياً :

قبل الحديث عن المهارات اللغوية الأساسية ، استماع ، كلام ، قراءة ، كتابة ، في ضوء المدخل الاتصالي ينبغي تحديد المقصود بمهارات الاتصال ، ثم بيان العلاقة بينهما ونظام الأولويات بينهما . فمهارات الاتصال هي قدرة الفرد على تكييف القواعد اللغوية واستخدامها من أجل أداء وظائف اتصالية معينة بطرق مناسبة لمواقف معينة .

في مثل هذا الموقف تشترك المهارات اللغوية الأساسية الأربع في وقت واحد ، فالفرد يعبر ع رغبته في الحصول على غرفة (كلام) وهو في أثناء هذا يتلقى من الموظف رداً بالإيجاب مثلاً أي يستمع الفرد إلى موظف الاستقبال (استماع) ، وذلك في نفس اللحظة التي يتكلم فيها الفرد ثم يعطي الفرد بملئها (قراءة ثم كتابة)

والآن ننظر في كل مهارة أساسية على حدة :

أولاً : الاستماع :

الاستماع نشاط أساسي من أنشطة الاتصال المباشر ، فهو النافذة التي يطل الإنسان من خلالها على العالم من حوله وهو الأداة التي يستقبل بواسطتها الرسالة الشفوية . ولنتأمل ما يحدث في موقف اتصال شفوي ، هناك فرد يتحدث ويعرض قضية معينة يستخدم فيها ألفاظاً وجملاً يستقبلها فرد آخر فيترجم هذه الألفاظ والجملة الى معاني ودلالات .

والفرد في أثناء تحدثه قد يستخدم مع اللغة إرشادات أخرى ، يستعين بها في توصيل رسالته وعلى المستمع في ضوء هذا السياق أن يفهم الرسالة التي يريد المتكلم توصيلها إليه . والكتاب الجيد هو الذي يساعد الدارس على تحديد هدفه من موقف الاستماع ويساعده أيضاً على تحقيقه .

والعلاقة بين الاستماع والمهارات اللغوية الأخرى علاقة كبيرة ، بين الاستماع والكلام علاقة مؤداها أنها مهارات صوتية . وإن كانت إحداها مهارة استقبال (استماع) والأخرى مهارة إنتاج (الكلام) ولا يتصور موقف يتحدث فيه إنسان إلا وكان هناك مستمع له يستقبل رسالته ، وبين الاستماع والقراءة علاقة مؤداها أنها مهارتا استقبال في الوقت الذي يجمع فيه بين الكلام والكتابة أنهما مهارتا إنتاج . وتدريس الاستماع في ضوء المدخل الاتصالي يستلزم توفير موقف طبيعي في الفصل الدراسي ما أمكن . والمهم في الأمر هنا عدم التصنع في صياغة الجمل أو افتعال المواقف كما أنه من اللازم أيضاً أخذ المتغيرات السابقة في الاعتبار حتى يقرب الموقف التدريسي في الفصل من الموقف الطبيعي في الحياة . وهنا تتكامل المهارات فقد يشترك الاستماع مع القراءة أو مع الكتابة أو مع الكلام ، والمهم في الأمر أن تتقارب مهام الاستماع في الفصل من مواقف الاستماع الطبيعية في الحياة¹³.

ثانياً : الكلام :

الكلام أيضاً نشاط أساسي من أنشطة الاتصال بين البشر ، وهو الطرف الثاني من عملية الاتصال الشفوي وإذا كان الاستماع وسيلة

¹² محمد أحمد النابلسي 1991، الاتصال وعلم النفس ، دار النهضة العربية ، بيروت، ص 20-27

¹³ Widdowson, H. C. : Teaching Languages as Communication, Oxford, Oxford University Press, 1981.p63

لتحقيق الفهم ، فإن الكلام وسيلة للإفهام . الفهم والإفهام طرفا عملية الاتصال ويتسع الحديث عن الكلام ليشمل نطق الأصوات والمفردات والحوار والتعبير الشفوي . فمن هذه الأفكار أيضاً يمكن أن ننمي قدرة الدارس على الكلام على الكلام يمكن أن تحقق بأن يحفظ كثيراً من الحوارات ، ف نماذج الحوارات تشتمل على مختلف الصيغ والتراكيب التي يحتاج إليها الدارس مثل النفي والإثبات والتعجب والاستفهام وغير ذلك من أساليب ترتفع بمستوى أداء الدارس . فالكلام كنشاط اتصالي عبارة عن حوار يدور بين فردين يتبادلان الأدوار ، فالفرد قد يكون متكلماً ثم يصير مستمعاً وهكذا ، والمتكلم كما نعلم يستعين بتوصيل رسالته بألفاظ وجمل وتراكيب فضلاً عن اللغة المصاحبة التي تشتمل على الإيماءات والإشارات واللمحات وغيرها من حركات يستخدمها المتكلم لتوصيل رسالته

13.14

ثالثاً : القراءة :

القراءة نشاط تتصل العين بصفحة مطبوعة تشتمل على رموز لغوية معينة يستهدف الكتاب منها توصيل رسالة الى القارئ ، وعلى القارئ أن يفك هذه الرموز ويحيل الرسالة من شكل مطبوع إلى خطاب خاص له . ولا يقف الأمر عند فك الرموز وفهم دلالاتها وإنما يتعدى هذا إلى محاولة إدراك ما وراء هذه الرموز ، والقراءة بذلك عملية عقلية يستخدم الإنسان فيها عقله وخبراته السابقة في فهم إدراك مغزى الرسالة التي تنقل إليه .

وهنا تقف عملية تعليم القراءة أمام مدخلين ، أولاً أن يقتصر الأمر على مساعدة الدارس على فك الرموز وفهما . وفي هذا المدخل يعطي الدارس نصاً تتبعه اسئلة تقيس مدى فهمه للنص ، هو ما يسميه هويت بالمدخل التعليمي .

في مقابل المدخل الثاني وهو المدخل الاتصالي وهو يهتم في الدرجة الأولى بتحديد الهدف من القراءة ، ليس هذا فقط بل التفكير في أشكال الأداء الأخرى التي يرجى من الدارس أن يقوم بها سواء أكانت تحديد مكان على خريطة أو اتخاذ قرار أو قراءة شيء آخر أو إجراء حوار أو غير ذلك من أدوات . هذه العملية هي ما يطلق عليه تحويل الرموز وهي عملية تربط بين اللغة المطبوعة وبين أشكال الاتصال الأخرى .

يضاف إلى ذلك مساعدة الدارس على الإدراك المتعمق لما ورد بالرسالة المقروءة ، إن من الأمور الهامة في تدريس القراءة في المدخل الاتصالي تدريب الدارس على استخدام القرائن المختلفة في سبيل استيعاب النص المقروء¹⁵ .

رابعاً : الكتابة :

الكتابة كالقراءة نشاط اتصالي ينتمي للمهارات المكتوبة وهي من الكلام نشاط اتصالي ينتمي الى المهارات الانتاجية . وإذا كانت القراءة يقوم الفرد فيها بفك الرموز وتحويل الرسالة من نص مطبوع إلى خطاب شفوي ، فإن الكتابة عملية يقوم فيها الفرد بتحويل الرموز من خطاب شفوي إلى نص مطبوع .

تعليم الكتابة في المدخل الاتصالي يستلزم تدريب الدارس على اكتساب خبرات في المراحل المختلفة للكتابة بدءاً من مرحلة قبل الكتابة التي يجمع فيها الدارس بيانات عما يريد أن يكتب حوله وانتهاء بمرحلة التعديل والتجديد والتي يعيد فيها الدارس النظر فيما كتبه تطويراً وتحسيناً له .¹⁶

14 .Gremmo , Non- visual information. M J. 37 , P: 75

15 . علي أحمد منكور ورشدي أحمد طعيمة وإيمان أحمد هريدي ، المرجع في مناهج تعليم اللغة ص412 .

16 . Widdowson , H , C.,62 P:59

الخلاصة :

المدخل الاتصالي قد أحدث تغييراً استراتيجياً في أساليب تعليم اللغات الثانية.

تنمية كفاءة الطلاب الاتصالية من خلال عملية التعليم والتعلم في المهارة الأساسية التي تمثل غاية الدراسة اللغوية وهي مهارة الكلام.

اللغة بمعناها الواسع أداة التفاهم ووسيلة التعبير بالنفس بين الناس .

أن تعليم اللغة ليس بمجرد تعليم القواعد اللغوية وإنما تعلمها كوسيلة اتصال ، وأن الطلاب لهم دور مهم في تطوير الكفاءة والمهارات اللغوية .

المصادر والمراجع :

1.عبد الراجحي : النحو في تعليم العربية لغير الناطقين بها، ندوة تعليم اللغة العربية في ماليزيا الجامعة الإسلامية، كوالالمبور، أغسطس ، 1986م .

2-رشدي طعيمة ومحمود كامل النافعة، تعليم اللغة اتصاليا بين المناهج والاستراتيجيات ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة 1474 ابسيكو .

3. عبد الرؤوف الشيخ : الجانب الثقافي في كتب تعليم اللغة العربية للأجانب في المستوى الأول، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة طنطا، ص 43 1985

4. رشدي أحمد طعيمة؛ محمود كامل النافعة، مرجع سابق

5. حسين حمدي الطوجي : وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعليم، الكويت، دار القلم، 1982 م.

6. Wilkins, D. : Some Issues in Communicative Language Teaching and their Relevance to the Teaching of Languages in Secondary School in Johnson, K. and D. Rorler (eds) Prespective in Communicative Language Teaching, London, Academic Press,

1983>

7. شعباني، احمد زكي، تطوير كتاب اللغة العربية في ضوء المدخل الاتصالي بمدرسة رحمة المتوسطة مالانج، رسالة ماجستير ، اندونيسيا، 2016م .

8. شعباني، احمد زكي، تطوير كتاب اللغة العربية في ضوء المدخل الاتصالي بمدرسة رحمة المتوسطة مالانج، رسالة ماجستير ، اندونيسيا، 2016

9. رشدي أحمد طعيمة : الأسس المعجمية والثقافية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، مكة المكرمة، معهد اللغة العربية، جامعة أم القرى، 1982 م.

10. محمد عيد : الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، القاهرة، علم الكتب، ص، 76، 1979

11. حسين حمدي الطوجي : وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعليم، الكويت، دار القلم، 1982 م.

12. محمد أحمد النابلسي 1991، الاتصال وعلم النفس ، دار النهضة العربية ، بيروت .
13. علي أحمد مذكور ، رشدي أحمد طعيمة وإيمان أحمد هريدي ، المرجع في تعليم اللغة ..ص406
14. رشدي أحمد طعيمة ، ومحمود كامل الناقة ، تعليم اللغة اتصالياً ... ص62-24
15. علي أحمد مذكور ورشدي أحمد طعيمة وإيمان أحمد هريدي ، المرجع في مناهج تعليم اللغة ص412
- 16 . Widdowson , H , C.,62 P:59

RESEARCH ARTICLE

**CATASTROPHIC COLLAPSE OF HUMANITY
IN SARAH KANE'S *BLASTED***

Raed Jasem Mohammed¹

¹ Assistant Instructor, The General Directorate for Education of Diyala, Ministry of Education, Republic of Iraq
E-Mail: jassraed6@gmail.com

Accepted at 08/11/2020

Published at 01/12/2020

Abstract

Despair is like death and it causes boring which aggravates sometimes and in some cases leads to thinking of suicide but faith in Allah treats that and reestablishes hope by the Mercy of Allah.

This paper sheds light on *Blasted* as an antiwar play which addresses the audience's indifference towards war as a threat for humanity. Sarah Kane's *Blasted* can be translated as her anxiety for humankind and hope for making changes in a world in which the wall between war and peace is as thin as the wall that is blasted in the lodging room of the play. By representing viciousness at its most Frightening style in her play, Kane deliberately endeavors to dramatize our fierce world and invite us to see and think differently. Utilizing theater as her medium, Kane gives scrutinize of individuals' indifference towards viciousness and its harming outcomes in our contemporary world. In spite of the fact that Kane's *Blasted* is horrendous and brutal, it looks for change and in such manner; it shows its writer's promise for a superior world. Thus, the grievance that Kane's play is immoral is reacted that her performance center is exceptionally moral since her goal is to stun her onlookers so they will open their eyes to the repulsiveness and brutality of the world.

Key Words: viciousness, rape, violence, Degradation, suicide, torment,

انهيار فاجعي في الانسانية في مسرحية سارة كين "انفجار"

رائد جاسم محمد¹

¹ المدرس المساعد، ماجستير ادب انجليزي، جمهورية العراق، وزارة التربية، المديرية العامة للتربية في محافظة ديالى، بريد الكتروني jassraed6@gmail.com

تاريخ النشر: 2020/12/01م

تاريخ القبول: 2020/11/08م

المستخلص

الياس يشبه الموت وهو يسبب الملل الذي يتفاهم أحيانا فيؤدي الى التفكير بالانتحار ولكن الإيمان بالله يعالج ذلك ويعيد ترسيخ الأمل ويربطه برحمة الله .
تسلط هذه الورقة الضوء على الانفجار باعتبارها مسرحية مناهضة للحرب التي تخاطب عدم اكتراث الجمهور بالحرب باعتبارها تهديد للبشرية . ممكن ان تترجم مسرحية سارة كين عن قلقها إزاء الجنس البشري وأملها في إحداث تغييرات في عالم الذي فيه الحائط بين الحرب والسلام رقيق كما في الحائط المنفجر في غرفة النزل في المسرحية . عبر تمثيل التوحش بأكثر بنياته إثارة للصدمة في مسرحيتها . تسعى كين بتعمد لإضفاء طابع درامي على عالما العنيف ودعوتنا لكي نرى ونفكر بطريقة مختلفة . مستعملتا المسرح كأحد وسائل إعلامها , تعطي كين استقراء دقيق للا مبالاة الجمهور اتجاه الوحشية ونتائجها الضارة في عالما المعاصر . بالرغم من الحقيقة أن مسرحية كين هي مروعة ووحشية, المسرحية تتطلع للتغيير بهذه الطريقة, وهي تظهر وعد مؤلفها بعالم أفضل . وبالتالي, فإن الشكوى من أن مسرحية كين غير أخلاقية يتم الرد أن مركز أدائها أخلاقي بشكل استثنائي لأن هدفها هو اذهال المشاهدين لذلك سيفتحون أعينهم على نفور ووحشية العالم .

الكلمات المفتاحية: شراسة ، اغتصاب ، عنف ، انحطاط ، انتحار ، عذاب

Introduction

The action of the theater, like that of plague, is beneficial, for, impelling men to see themselves as they are, it causes the mask to fall, reveals the lie, the slackness, baseness, and hypocrisy of our world. It shakes off the asphyxiating inertia of matter which invades even the clearest testimony of the sense and in revealing to collectivities of men their dark power, their hidden force, it invites them to take, in the face of destiny, a superior and heroic attitude they would never have assumed without it (Artaud introduction).

A lot of us tend to see pain as a negative experience and it is our desire to avoid pain as much as possible, but unfortunately, pain is an inevitable consequence of life and we have to deal with whether we like it or not. When it eventually befalls us, we should try as much as possible to turn it into a positive experience. What does not kill you makes you stronger. Shakespeare said; "feel the pain till it hurts no more" (Speake 170).

Although this may sound extreme, the researcher thinks it is necessary for any person's growth, in order to become as strong as possible, in order to find out what they are really made of. It can even make you understand what happiness is, and not to take it for granted. Learn to view any pain that comes your way as a test of your character and even if you fail the test you can always use that lesson as to improve your character.

Sociobiological and evolutionary theories view rape as a sexually act and all men as potential rapists (Denmark, Rabinowitz and Sechzer 387). Other psychological theories attempt to explain that rape takes issues with one or both of these propositions. Some challenge the view that sexual desire is the basic motivation for rape, and some look to individual pathology or social and cultural factors, rather than genetic and hormonal ones, to account for the prevalence of rape. Psychologists conclude that there are three categories of rapes: anger rapes, which are particularly forceful and degrading rapes motivated by anger resentment towards women; power rapes, which are less vicious and motivated by desire to control and dominate women; and, finally, sadistic rapes, which are ritualized, humiliating, sometimes mutilating or murderous assaults that may be associated with individual pathologies (Denmark, Rabinowitz and Sechzer 387).

A standout amongst the most significant topics in a contemporary universal drama is the misery caused by the decay of ethics and the fall of conventional qualities in the advanced history. Kane's plays regularly investigate the acts of physical, sexual, and verbal dimensions of violence. In any case, violence is just a tool for Kane through which she criticizes the shameful acts of the world. She is not interested in violence for the sake of viciousness (Moshy 30).

The savagery pictures inside Kane's writings suck both the performers and spectators into a calamitous cycle of life and death. Kane invites their participation not to stun

them with the crudeness of viciousness for savagery's purpose, but instead to break open a profound exploration of the absence of empathy in the human experience. (Moshy 30)

Her point by delineating brutality in front of an audience is to demonstrate the real sources and mischief impacts of it upon the human body and soul. In investigating the corrupted history of human beings, Kane's plays center around violence as the absolute largest part of history. The vast majority of her characters are the victims of remorselessness and hostility which describe the postmodern life. Along these lines, Kane dependably has a particular reason for utilizing violence in her plays. She utilizes viciousness as a stunning strategy to rouse her onlookers not to sit inactive and make a move against the monstrosities of life. As indicated by Kane there is no purpose behind human savagery against human on the planet. She has no faith in the possibility that violence is a natural phenomenon for human as species similarly as animals. In the light of this idea, she utilizes theater as a research organization field where she scrutinizes and examines the cycle of futile savagery and the violations of mankind.

Her first play *Blasted* (1995) is an appropriate example, in seeking to illustrate the moral degradation and fractured experience of civil war for both soldiers and civilians. Kane forced the world to listen to atrocities happening in the world. People do not like being told. Kane tried to challenge and change apathy. Alexis Sierz calls Kane's plays, which can and whose main objective is "plays that takes the audiences by the scruff of the neck and shakes it until it gets the message" (Lane 18).

The Daily Mail described *Blasted* as 'this disgusting feast of filth' and the Guardian derided it as scenes of masturbation, fellatio, frottage, micturition, defecation-ah, those old familiar feaces-homosexual rape, eye gouging and cannibalism (Ravenhill 66).

Kane utilizes violence and obscenities both in acts and dialect to make a demoralizing and dehumanizing experience. Kane utilizes these methods as strategies intended to expose to the audience who they truly are; it is the vision of ourselves as we exist or as we are fit for existing behind the edifice of culture.

One of the characterizing qualities of *Blasted* as well as crafted by the supposed 'New Brutalists', was an overriding obsession with crime and violence. The stage, it was stated, had turned into a stalking ground for dramatization whose essential concerns were an exploration of the abhorrent and outlandish. Frequently the brutality and bloodshed were joined by an equal reliance on black humour and a flippant sense of irony. This gave the group a reputation for moral equivocality. Paul Taylor, writing in the Independent, outlines these aspects of their written work:

Features of the urban landscape which would have had earlier Royal Court writers

frothing with outrage, they scrutinize with an unindignant wit and a sharp eye for the quirks and contradictions. Characters who would once have been presented as straightforward victims are shown as being complicit in their own oppression. The protagonists peer with a kind of existential puzzlement at their own affectless, morally disconnected behavior. (Saunders 23)

Suicide is the human act of self-inflicted. Throughout the years there has been an extreme search to find the conclusive factors of the suicidal individual. Hassan (1996) cites a research which demonstrates that conjugal problems, joblessness and medical issues are found to precede suicide. George (2008) takes note of the examination which proposes a connection amongst suicide and dysfunctional behavior, particularly misery. At last, Cooper and Kapur (2004) express that half of suicidal people have a past filled with self-hurt and that reverse life events can trigger suicidal conduct in vulnerable people (White 35). By suicide Kane finished her life and suicide becomes a famous theme in her plays.

Suicide is the act of deliberately causing one's own death (Courtet 6). Hazard factors include mental issue, for instance, depression, bipolar disorder, schizophrenia, identity disorder, liquor addiction, or substance abuse. Others are rash acts because of stress, for instance, from monetary challenges, issues with relationships, or from bullying. The individuals who have already endeavored suicide are at higher hazard for future endeavors (Krakauer 83). Suicide prevents action endeavors restricting access to a technique for suicide, for instance, guns and toxic substances, treating mental disorder and substance abuse, appropriate media reporting of suicide, and enhancing financial conditions. Despite the fact that crisis hotlines are common, there is little proof for their effectiveness. The most commonly utilized strategy for suicide differs amongst nations and is incompletely related with the accessibility of effective means. Common strategies include hanging, pesticide poisoning, and guns.

Sarah Kane was born on 3 February 1971. She grew up in a south Essex village called Kelvedon Hatch, her mother was a teacher and her father was a journalist writing in the Daily Mirror. Her parents raised her as a Christian and she became Evangelical during her teens. Later she struggled with her faith and rejected it completely, but the topic of faith and God remained recurrent themes in some of her plays (Sierz 91). There are a lot of themes in Kane's *Blasted* like: terminal sickness, assault, homosexuality, torment, sodomy, suicide, mental and physical abuse, the death of a child, cannibalism and a bomb blast. Besides the threat that at any minute the battle area outside may come inside, which it definitely does. Kane underscores the dread of attack by the other, and the belief that a few lives are more important than others, through her treatment of the characters. The Soldier never has his name revealed; despite the fact that the observer learns a hint of the subtle elements about the historical backdrop of his life with his dead sweetheart, Col. The soldier and Col's

stories are portrayals of the other, and highlights how they have turned into the dis-human. The Soldier remains the anonymous. His girlfriend Col, inconspicuous in the play, is the epitome of the collateral damage of war and the reason that he wants transference of agony. His desire is to free himself of the torment, of Col's horrifying death at the hands of soldiers. Ian is a character effectively suffering torment and is a self-defined "soldier," and as such, becomes into the person who the soldier sees as the reasonable beneficiary of bearing his agony. As a result of this reciprocity the soldier enacts upon Ian's body similar abominations executed on the body of Col. In an indication of the shaky hole between the unreal and the real, it is, at last, Ian whom the savagery neglects to negate.

Vetlesen clarifies that the transportation of pain happens when the object is to gain relief by passing what is excruciating on to another person who is susceptible to that pain (Vetlesen 75). The perception for the sufferer of agony is that the world is separated into themselves with the pain and the individuals who are not them, who turn into those without pain (Vetlesen 29). For Vetlesen pain is a natural piece of the human condition and hence, every individual's life continually spins around the experience, or the capability of experiencing pain. To mitigate the pain consequently requires the transference of it to another. At the point when pain assumes control over a person's life, as it had with the soldier, their view is tainted and their experience of the world surrounding them is confined. The connection between the soldier and Ian highlights how the suppression of envy of another who exemplifies definitely what another lacks can never again be kept up. The feeling of being human becomes lost in extraordinary conditions, for example, torment; they may lose their capacity for complex ideas and feelings (Vetlesen 29). The readers can see that at the beginning of the second scene when Ian has raped Cate during the night. Cate, later in the scene, tries to exact revenge on Ian by biting down on him during fellatio (Greig 9). Scene three discovers Ian and the soldier in the rubble of what used to be the inn room. Through the course of an extremely tense scene, the soldier describes the war-time abominations he has committed and in addition those that have been submitted upon Col, a lady he thought and cares about. The trooper assaults Ian at gunpoint, at that point continues to suck out and eat his eyes—clearly doing to Ian what was done (Greig 39). Secretary-General Kofi Anan has explained torture that:

Torture is an atrocious violation of human dignity. It dehumanizes both the victim and the perpetrator. The pain and terror deliberately inflicted by one human being upon another leave permanent scars..... Freedom from torture is a fundamental human right that must be protected under all circumstances. Growing awareness of international legal instruments and protection mechanisms gives hope that the wall of silence around this terrible practice is gradually being eroded. (Benedek 47)

However, it might be through an injury that it becomes conceivable to discover who else suffers permeable borders, surprising brutality, dispossession, and fear, and in what ways (Butler xii).

Injury permits insight into whom somebody's life may rely on — individuals who might be obscure and never known to the individual (Butler xii). Kane demonstrates this with subtle nuances in the interactions of the characters, specifically, the individuals who are concealed in the contents. For example, the implication that Cate has enabled men to assault her in return for nourishment for survival, which Kane has portrayed in the content through the stage direction that reads, "Cate enters [...] There is blood leaking from between her legs". (Iball 60)

Rape is any penetration of a person's mouth, anus, or vagina, by a penis or any other object, without that person's consent (Scarce introduction). The play is about a troubled relationship between an abusive male journalist, Ian, and a naïve young woman, Cate, they spend the night in a costly inn room in Leeds. Ian is rough and bigot in his dialect, and he sexually rapes Cate more than once in the first act. In act two, the setting is a battle area; however, the characters inhabit a similar lodging room. The ugliest scene of rape in the play happens to the main character Ian, the male victimizer was punished through rape as a form of justice for all the atrocities he had been inflicting on women for centuries. Cate leaves and Ian is alone when a soldier arrives. The soldier rapes Ian and after that sucks out his eyes. The activity, which is represented realistically, happens near to the audience, in develops line of the play the soldier feminizes Ian, forcing him into a submissive role. (Thompson, Gunne 194):

The soldier turns Ian over with one hand. He holds the revolver to Ian's head with the other. He pulls down Ian's trousers, undoes his own and rapes him-eyes closed and smelling Ian's hair. The soldier is crying his heart out. Ian's face registers pain but he is silent. When the soldier is finished he pulls up his trousers and pushes the revolver up Ian's anus. (Brannigan 153)

There is another theme in this scene, it is revenge, when the soldier rapes Ian, it seems to be a re-enactment, or at least revenge for, what has happened to his girlfriend.

Soldier: you do not know fuck all about me.

I went to school.

I made love with Col.

Bastards killed her, now I am here.

Now I am here. (Grieg 48)

The readers and the audience can recognize two types of rape during the line development of the play; the first one happens in the first scene of the play, the rape was, as usual, male to female. Ian has raped Cate during the night. But the second rape was, unusually, male to male. The soldier raped Ian because the soldier in the war raped his

girlfriend Col. At scene four it is uncovered that the soldier has shot himself in the head. His carcass lays on the rubble of the destroyed inn room, alongside the now blind Ian. Cate returns into the room to find the blinded Ian, and she is conveying a child, clarifying just "a lady gave me her baby." Ian requests that she to give him the firearm so he can kill himself and Cate hands it to him only after expelling the projectiles (Greig 51). At the beginning of scene five, Cate is burying the baby under the torn up floor boards. She leaves, ignoring Ian's cry for food. Some of the degradation images move tableaux-glimpses of Ian's life as time passes (Greig 59):

Ian masturbating.

Ian: cunt cunt cunt cunt cunt cunt cunt cunt

Ian strangling himself with his bare hands.

Ian shitting.

And then trying to clean it up with newspaper.

Ian having a nightmare.

Ian crying, huge bloody tears.

He is hugging the soldier's body for comfort.

Ian lying very still, weak with hunger.

Ian tears the cross out of the ground, rips up the floor and lifts the baby's body out.

He eats the baby.

He puts the remains back in the baby's blanket and put the bundle back in the hole

A beat, then he climbs in after it and lies down, head poking out of the floor.

He dies with relief.

It starts to rain on him, coming through the roof.

Eventually.

Ian: Shit. (Greig 59)

Finally, there is another theme of degradation in scene five when Cate goes out from the hotel, she makes a bargain; she sells her body and dignity to obtain some food. Cate leaves the stage once again to get some food off a soldier by selling herself. When she re-enters carrying some bread a large sausage and a bottle of gin the audience see her tormented and with a damaged body, blood seeping from between her legs (Iball 43).

Wartime sexual viciousness is assault or different types of sexual savagery committed by

soldiers amid equipped clash or war or military occupation frequently as spoils of war, yet now and again, especially in ethnic clash, the phenomenon has more extensive sociological motives. Wartime sexual viciousness may likewise include pack assault and assault with objects. It is recognized from rapes and assault committed among troops in military administration. It likewise covers the circumstance where young ladies and ladies are constrained into prostitution or sexual subjection by an involving power. During war and equipped clash, assault is as often as possible utilized as a method for mental fighting keeping in mind the end goal to warfare in order to humiliate the adversary. Wartime sexual brutality may happen in an assortment of circumstances, including organized sexual servitude, wartime sexual savagery related with particular fights or slaughters, and individual or detached demonstrations of sexual viciousness. Rape can likewise be perceived as genocide and additionally ethnic purging when committed with the purpose to destroy, in entire or in part, a targeted group; be that as it may, assault stays boundless in strife zones. There are other universal legitimate instruments to indict culprits yet this has happened as late. Be that as it may, these legitimate instruments have so far just been utilized for universal clashes, in this manner putting the burden of proof in referring to the international nature of conflict in order for prosecution to proceed.

Soldier's act of violence is illustrative of the significance and scope that assault gets in the midst of war, and additionally an emblematic act of vengeance for his own particular sweetheart who has been assaulted and executed by an aggressor. His desire for revenge cannot in any way, shape or form be fulfilled by rebuffing the real abuser of his better half for his sweetheart is a victim of war assault, which makes the likelihood of finding her victimizer very low. In this manner, his viciousness is directed towards every one of the ladies of his foe. The soldier is fantasizing about Ian's young lady on the grounds that assaulting her is the best vengeance on Ian the individual and the aggressor in general. The soldier's approach to convey his fierceness to the male adversary is through assaulting their ladies. The purely sexual substance of assault for the soldier looking for exact revenge has just marginal meaning — assault is utilized as methods for objectives that have nothing to do with sexuality (Scarce 123). Violence becomes difficult to disregard when it faces you by indicating torment, humiliation and corruption. In some cases this is an issue of indicating fierce acts literally; at different occasions, the recommendation of outrageous mental pitilessness is sufficient to bother. Vicious activities are stunning on the grounds that they defy the norms of discussion; they go beyond words and thus can gain out of power. Viciousness feels primitive, unreasonable and damaging. Brutality in front of an audience additionally bothers when we feel the feeling behind the act (Sierz 55).

Conclusion

The play can be reconsidered as an antiwar which shows its author's concern for humanity and hope for a better world where war must be avoided. Kane explores the relationships between oppressors and oppressed and recreates a sense of humanity and reinforcing awareness of a shared responsibility. The issues examined in Kane's *Blasted* were essentially existential, concerning man's place in the universe and his relationship with Allah, love as an obsession, and sexual fulfillment as both ecstatic and destructive. *Blasted* is a manifestation of the terrifying freedom that arises from an utterly alienated, reified social life, where morality is dead because we have usurped Allah's place. The Golden rule states that:

"One should treat others as one would like others to treat oneself; one should not treat others in ways that one would not like to be treated." (Paramatmananda 119)

This is a moral advice rather than an experience born out of Oneness. Immorality is the active opposition to morality (opposition to that which is good or right), while a morality is variously defined as an unawareness of, indifference toward, or disbelief in any set of moral standard or principles.

Works cited

- "freedom from Torture'Fundamental Right,'Says Secretary-General,"SG/SM/7855,OBV/223(June 26, 2001),available at www.unis.unvienna.org/unis/pressrels/2001/sgsm7855.html (2005).
- Artaud, Antonin. *The Theater and Its Double*. New York: Grave press, 1958.
- Brannigan, John. *Orwell to the Present: Literature in England, 1945-2000*. New York: Palgrave Macmillan, 2003.
- Butler, Judith. *Precarious Life: The powers of Mourning and Violence*. London. New York: Verso, 2004.
- Courter, Philippe. *Understanding Suicide: from Diagnosis to Personalized Treatment*, Switzerland: Springer, 2016.
- Denmark, Florence L. Rabinowitz, Vita Carulli. Sechzer, Jeri A. *Engendering Psychology: Women and Gender Revisited.2 ed*. New York: Routledge, 2016.
- Greig, David. *Sarah Kane: Complete plays: Blasted; Phaedra's Love; Cleansed; Crave; 4.48 Psychosis; Skin*. London: Methuen, 2001.
- Gunne, Sorcha. Thompson, Zoe Brigley edited. *Feminism, Literature and Rape Narratives: Violence and Violation*. New York: Routledge, 2010.

- Iball, Helen. *Modern Theatre Guides: Sarah Kane's Blasted*. New York: Cromwell press, 2008.
- Krakauer, Sarah Y. *Treating Dissociative Identity Disorder: The Power of the Collective Heart*. United State of America: Taylor and Francis, 2001.
- Lane, David. *Contemporary British Drama*. Great Britain: Edinburgh University Press, 2010.
- Moshy, Summer Nelsion. *The Empty Center: Acting Out Theatric Alliance in Three Text by Sarah Kane*, unpublished doctoral dissertation, university of California, San Diego, university of California, Irvine, 2008.
- Paramatmananda, Swami. *Dust of Her Feet: Reflection on Amma's Teaching*. Mata amritanandamayi Center: United States of America, 2014.
- Ravenhill. Mark, *Shopping and Fucking, in Plays I*. London: Methuen, 2001.
- Saunders, Graham. *Love Me or kill Me, Sarah Kane and the Theatre of Extremes*. Britain: Manchester University Press, 2002.
- Scarce, Michel. *Male on Male Rape; the Hidden Toll of Stigma and Shame*. United States of America: Perseus, 1997.
- Sierz, Aleks. "Sarah Kane." *In-Yer-face Theater: British Drama Today*. London: Faber and Faber, 2011.
- Speake, Jennifer. *Oxford Dictionary of Proverbs. 6th ed.* United Kingdom: Oxford, University press, 2015.
- Vetlesen, Arne Johan. English translation by John Irons. *A philosophy of Pain*. London: Reaktion Books, 2009.
- Wass, Hannelore. Neimeyer, Robert A. *Dying: Facing the Facts. 3rd ed.* London: Taylor and Francis, 1995.
- White, Tony. *Working with Suicidal Individuals, A Guide to Providing Understanding, Assessment and Support*. Jessica kingsley: London and Philadelphia, 2011.

عنوان البحث

الموقف السوفيتي من القضية الكردية في العراق (1968-1975)

نهاد طالب عويد¹

¹ وزارة التربية - مديرية تربية ذي قار، العراق

07808389939

nihadtalib99@gmail.com

تاريخ النشر: 2020/12/01م

تاريخ القبول: 2020/11/08م

المستخلص

يعد الاتحاد السوفيتي من ابرز القوى الدولية التي ادت دوراً مهماً في مجريات الاحداث السياسية الداخلية في العراق وفي مقدمتها القضية الكردية , فقد شغلت القضية الكردية حيزاً مهماً في سياسة الاتحاد السوفيتي وزاد هذا الاهتمام بعد تولي البعث السلطة في 17 تموز 1968. وبخاصة بعد ما دخلت القضية الكردية منعطفاً خطيراً تمثل بتصاعد وتيرة الاضطرابات بينهم وبين حكومة البعث وصلت الى حد القتال المسلح, يهدف البحث الى معرفة مدى التأثير السوفيتي في مسار القضية الكردية والذي برز بشكل واضح في هذه المدة (1968-1975) , فقد كان موقف الاتحاد السوفيتي تجاه القضية الكردية متذبذباً وغير ثابت فعلى الرغم من محاولة السوفييت وقادته التوسط لحل المعضلة الكردية بين الحكومة العراقية وقادة الحركة الكردية وانهاء الصدام المسلح بينهما , الا ان تلك المحاولات كانت نابعة من اعتبارات سياسية تتعلق بمصالحة الامر الذي دفع الاكراد الى التوجه للمنافس الاول للاتحاد السوفيتي وهو الولايات المتحدة الامريكية , فضلاً عن ان الحكومة العراقية لم تكن صادقة في حل مشكلة الاكراد العراقيين بالطرق السلمية و التقت السبب على الاكراد كونهم السبب الاساس في تلك الحروب والصراعات والتي سمحت لجهات خارجية التدخل في الشأن الداخلي العراقي .

الكلمات المفتاحية: الاكراد، السوفييت، حزب البعث، الحزب الديمقراطي الكردستاني

Accepted at 08/11/2020

Published at 01/12/2020

Abstract

The Soviet Union is one of the most prominent international powers that played an important role in the course of internal political events in Iraq, especially the Kurdish issue. The Kurdish issue occupied an important place in the politics of the Soviet Union, and this interest increased after the Ba'ath took power on July 17, 1968. Especially after the Kurdish issue entered a dangerous turning point represented by the escalation of the unrest between them and the Ba'ath government and reached the point of armed fighting, the research aims to know the extent of the Soviet influence in the course of the Kurdish issue, which emerged clearly during this period (1968-1975). The Soviet approach to the Kurdish issue was vacillating and unstable. Despite the attempt of the Soviets and its leaders to mediate a solution to the Kurdish dilemma between the Iraqi government and the leaders of the Kurdish movement and end the armed clash between them, these attempts stemmed from political considerations related to reconciliation, which prompted the Kurds to go to the main rival of the Soviet Union, which is The United States of America, in addition to the fact that the Iraqi government was not sincere in solving the problem of the Iraqi Kurds by peaceful means, and put the reason on the Kurds as they are the main cause of those wars and conflicts that allowed external parties to intervene in the internal affairs of Iraq .

Key Words: Kurds The Soviets Baath Party March Statement The Kurdistan Democratic Part

المقدمة

يعد الاتحاد السوفيتي من أبرز القوى الدولية التي أدت دوراً مهماً في مجريات الأحداث السياسية الداخلية في العراق منذ قيام الجمهورية الأولى عام 1958 وسقوط الملكية وفي مقدمتها القضية الكردية، فقد شغلت القضية الكردية حيزاً مهماً في سياسة الاتحاد السوفيتي الذي كان يؤكد دوماً على ضرورة معالجتها بالطرق السلمية وزاد هذا الاهتمام بعد تولي البعث السلطة في تموز 1968، وبخاصة بعد ما دخلت القضية الكردية منعطفاً خطيراً تمثل بتصاعد وتيرة الاضطرابات بينهم وبين حكومة البعث وصلت إلى حد القتال المسلح، الأمر الذي أدخل البلاد في أزمة سياسية داخلية حقيقية استغلتها القوى الدولية والإقليمية بما يخدم مصالحها السياسية والاستراتيجية في المنطقة وأولها الاتحاد السوفيتي، الذي كان يحاول بثى الطرق إبعاد الدول الكبرى المنافسة له لاسيما دول المعسكر الرأسمالي وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية من التدخل في هذه القضية واستغلالها لصالحها سيما أن المعسكرين الغربي والشرقي في تلك الفترة كانتا في أوج حالات التنافس، وفي المقابل كان القادة الأكراد يحاولون استغلال هذا التنافس من أجل قضيتهم واستخدامها كورقة ضغط على تلك القوى من أجل الحصول على الدعم الملائم لهم بما يحقق لهم المكاسب التي يطمحون إليها وهي تأسيس كيان سياسي مستقل بهم عن الدولة العراقية.

ولعل المدة ما بين (1968-1975) مثلت نموذجاً واضحاً لذلك التنافس والعزف على وتر القضية الكردية للحصول على مبتغاها، ومن هنا تأتي أهمية الدراسة،

فالاتحاد السوفيتي أصبح أكثر انخراطاً ونفوذاً في علاقاته مع حكومة البعث والأكراد على حد سواء وقد ظهر تأثيره بشكل واضح من خلال وساطته في حل المشاكل العالقة بين الحكومة العراقية والأكراد بطرق سلمية بعيدة عن العنف والقتال ومنح الحكم الذاتي للأخيرة، كما أن هذه الفترة شهدت تقارباً عراقياً سوفيتياً أثر على مجريات الأحداث داخلياً وإقليمياً ودولياً.

يهدف البحث إلى معرفة مدى التأثير السوفيتي في مسار القضية الكردية والذي برز بشكل واضح في هذه المدة،

قسم البحث إلى محورين أساسيين وخاتمة، فضلاً عن هذه المقدمة وقائمة مصادر، تطرق المحور الأول والذي حمل عنوان (المتغيرات السياسية في العراق وأثرها في الموقف السوفيتي من القضية الكردية خلال المدة 1968-1971) إلى موقف السوفييت من قضية أكراد العراق بعد انقلاب البعث في تموز 1968 واستلامه مقاليد السلطة، ومحاويلته إيقاف الصراع المستمر بين الحكومة الجديدة والأكراد من خلال دعم الطرفين في الرجوع إلى طاولة المفاوضات وإصدار قانون الحكم الذاتي لهم في عام 1970، أما المحور الثاني فكان بعنوان (القضية الكردية والموقف السوفيتي منها خلال المدة 1972-1975) إذ مثل مرحلة التقارب العراقي السوفيتي وتأثيره على المسألة الكردية وتوجه الأكراد بعد هذا التقارب الصريح نحو الولايات المتحدة الأمريكية لطلب المساعدة والعون في صراعها مع الحكومة العراقية وعبر البوابة الإيرانية، فضلاً عن أسباب انهيار الحركة الكردية على يد القوات العراقية.

اعتمد البحث على مجموعة قيمة ومتنوعة من المصادر العربية والأجنبية، تمثلت بالوثائق العربية الغير منشورة وفي مقدمتها وثائق مكتبة الوفاق الوطني، والوثائق العربية المنشورة والوثائق الأجنبية المنشورة وأبرزها وثائق دائرة الاستخبارات المركزية للولايات المتحدة الأمريكية، والعديد من الكتب والمراجع العربية والمعرّبة والأجنبية، فضلاً عن الصحف والمجلات والمقالات والبحوث المنشورة التي رفدت البحث بالكثير من المعلومات المهمة التي انصبت في هذا الموضوع.

أولاً: المتغيرات السياسية في العراق وأثرها في الموقف السوفيتي من القضية الكردية خلال المدة 1968-1971

يعد الاكرد احدى اكبر القوميات التي لا تمتلك دولة مستقلة او كياناً سياسياً معترفاً به دولياً , وهناك الكثير من الجدل حول هذه القومية سواء من ناحية منشأهم , او تاريخهم وحتى مستقبلهم السياسي (1), الا انها حظيت فيما بعد باهتمام كبير اقليمياً ودولياً في المنطقة وذلك لأهميتها الجيوسياسية والاستراتيجية والاقتصادية وبخاصة مع وجود النفط , وايضا لكونها تحفل بصراعات قومية وانثية ودينية غير قليلة تؤثر على دول المنطقة وعلى المصالح الدولية والاقليمية ,فالقضية الكردية او القومية الكردية اخذت ابعاداً دولية (2) , وانتقلت من كونها شأن داخلي الى كونها ملف لإعادة التوازنات المفقودة داخل الدولة العراقية(3).

ومن خلال النظر الى تاريخ القضية الكردية بشكل عام والى اكراد العراق بشكل خاص ظهر اتجاهان اساسيان : اولهما يرجح الخيار العسكري و الثاني يرجح الخيار السلمي بل يدعو الى اعتماده في حل المعضلة الكردية , والاعتراف بحقوق الشعب الكردي وشراسته في الوطن عن طريق منحهم الحكم الذاتي(4) .

لم تكن المسألة الكردية وتداعياتها وصراعاها مع الحكومات العراقية وليد الصدفة وانما كان لها جذور تاريخية قديمة لكنها برزت بشكل واضح بعد تأسيس الحكومة العراقية عام 1921 خلال الانتداب البريطاني واقامة النظام الملكي في العراق من خلال عدة ثورات وحركات قامت بها ضد الحكومة العراقية مطالبة بالانفصال عن حكم الاخيرة (5) , لاسيما ثورة مها باد عام 1945 التي ادت الى قيام جمهورية مها باد في كردستان ايران (6) وذلك بتشجيع من الاتحاد السوفيتي الذي كان يطمح الى ملئ الفراغ في المنطقة الفاصلة بينه وبين الغرب بعد انتصارهما في الحرب العالمية الثانية (7), الا ان الاتحاد السوفيتي انسحب من هذه المناطق نتيجة لضغوطات دولية ادت الى انهاء الجمهورية وفشل الثورة فلجأ مصطفى البرزاني الى الاتحاد السوفيتي وبقي لاجئاً هناك حتى قيام ثورة 14 تموز 1958 التي انهدت الملكية في العراق (8) .

حاولت الحكومات العراقية المتعاقبة بعد سقوط الملكية وقيام الجمهورية منذ عام(1958-1968) ايجاد حلول مناسبة للقضية الكردية الا ان تلك الحلول كانت وقتية وغير مجدبة بالنسبة للأكراد تخللتها موجة من الصراع الدامي بينهم وبين والحكومة العراقية(9), وخلال هذه المدة كان للسوفييت حضور واضح تجاه هذه القضية الا ان اغلب هذا الحضور كان متذبذباً من ناحية التأييد لهذه القضية ولم تخرج من هذا الاطار على الرغم من تعاطفه المعنوي تجاه الاكراد, وذلك بحكم العلاقة التي كانت تربط البلدين وان كانت تلك العلاقات محدودة في تلك المدة , سيما ان العراق حاول ايجاد حالة من التوازن في علاقاته بين المعسكر الاشتراكي بزعامة السوفييت والرأسمالي بزعامة الولايات المتحدة الامريكية(10) .

وفي 17 تموز 1968 قاد البعثيون وقوى اخرى انقلاب عسكري ضد حكم الرئيس عبد الرحمن عارف (1966-1968) انتهى باستلامهم مقاليد السلطة في البلاد (11) , وبعد تفرد حزب البعث بالسلطة اصبحت الحركة الكردية في مواجهة مباشرة مع حزب البعث (12) اذ ظلت السياسة العراقية نفسها تجاه الكرد وفي المقابل ظل النزاع والصراع قائماً بينهما(13).

فيما بقي اهتمام السوفييت على حاله في دعم الطرفين من اجل مصالحه , فقد دعم الحكومة العراقية من اجل تثبيت نفوذة في المنطقة , كما دعم الاكراد كونهم في نظره حركة تحرر وطني من حيث المبدأ على الاقل (14), فضلا عن ان حل القضية الكردية في العراق كانت معضلة كبيرة بالنسبة لهم إذ ان حلها كان مرتبطاً بنظرهم تمام الارتباط بحل مشكلة الشيوعيين في البلاد (15) , وايضا ان القيادة الكردية ومئات من اعوانهم كانوا لاجئين في الاتحاد السوفيتي وتدريبوا فيه كما ان البعض منهم كان ماركسياً, لذلك كانت لديهم رغبة في خلق حلفاء مستقبلين من اجل استخدامهم في اثارة القوميات الكردية في تركيا وايران المؤيدين للغرب , وايضا من اجل الضغط على العراق لكي يبقى بحاجة الى الدعم السوفيتي وبخاصة في مجال التسليح(16).

من جانب اخر كانت ترى حكومة البعث ان الدعم السوفيتي لها يعد امراً مهماً لتحقيق هدفها في تثبيت وجودها كلاعب رئيس

في منطقة الخليج العربي وشرق منطوق الشرق الأوسط لذلك كان مرحباً بالدور والوساطة السوفيتية اذ انه لم يرغب في اثاره ضغائن الاخيرة لأنه كان يحتاج الى دعمهم بشدة (17) .

لذلك فبعد الانقلاب واستمرار الاكراد في حركاتهم المناوئة للحكومة واندلاع قتال عنيف بينهما , بدأت الاتصالات بين الحكومة العراقية وبين قادة الحركة الكردية من أجل التوصل إلى حل لهذه المشكلة وانهاء الصراع الدموي بينهما . فقد ابدت قيادة البعث منذ تسنمها السلطة رغبتها بأنهاء الثورة الكردية عبر اتفاق للحكم الذاتي (18) , وفي إثر ذلك تجمدت العمليات العسكرية في شمال العراق بانتظار ما تسفر عنه نتائج تلك الاتصالات (19) , حيث حاولت الحكومة العراقية من خلال تلك الاتصالات استدراج الأكراد عن طريق إعلانها بعض القرارات المهمة التي تصب في مصلحتهم تعبيراً عن نيتها للوصول إلى حل شامل للقضية والابتعاد عن المصادمات القتالية ومن هذه القرارات اعتبار يوم الحادي والعشرين من آذار من كل سنة عيداً وعطلة رسمية باسم (عيد نوروز) , وإصدار قانون جامعة السليمانية في الثامن والعشرين من تشرين الأول 1968 (20) , إلا ان الوصول لهذا الحل لم يتم لأن الحكومة العراقية لم تقدم على تحقيق خطوات فعلية وإيجابية تجاه الحل السلمي للقضية الكردية لذلك بقي الوضع متوتراً وشهد تدهوراً واضحاً وازداد تعقيداً وبخاصة مع تصاعد الحملات العسكرية ضد الشعب الكردي وقصف العديد من مناطقه (21) , الا انه وبرغم من ذلك لم يصل الى حد القطيعة , اذ ان الجانب الكردي كان يؤكد دوماً ان موقفه وعلاقاته مع الحكومة الجديدة يعتمد على طبيعة سياستها تجاه قضيتهم (22) .

وبما ان الحكومة العراقية السابقة بقيت على سياستها فقد استأنفت العمليات العسكرية بين الطرفين لاسيما في شباط 1969 تمكنت خلالها قوات البشمركة الكردية من تحقيق عدة انتصارات على الحكومة العراقية وبرزت تلك العمليات هي ضرب المنشآت النفطية في كركوك في 1 اذار من العام نفسه (23) , كما شنت الحكومة العراقية في نيسان 1969 هجوماً على القوات الكردية بزعامة الملا مصطفى البرزاني (24) الذي بعث بدوره برسالة واضحة الى الادارة الأمريكية وضح فيها في حال رفضت الادارة الأمريكية مساعدته في حربه مع حكومة البعث فانه سيستهدف ايضاً منشآت النفط , الا ان الولايات المتحدة الأمريكية رفضت تقديم المساعدة وأوصت الاكراد بالحصول على الدعم من قبل النظام الايراني (25) .

كما ناشد ممثل الحركة الكردية في واشنطن (شفيق قزاز) الحكومة الاميركية خلال زيارته للولايات المتحدة عام 1969 بتقديم المساعدة للأكراد في ثورتهم ضد الحكم البعثي (26) , وكانت استراتيجية الحركة الكردية خلال تلك الفترة تعتمد على استهداف المنشآت النفطية وقطع امداداته كونه يعد امرٌ حيوي بالنسبة للاقتصاد العراقي وهذا بدوره سيعمل على اضعاف الحكومة العراقية واسقاطها مستقبلاً , الا ان الولايات المتحدة رفضت التدخل هذه المرة ايضا اذ اكد احد مسؤولي الخارجية الاميركية ويدعى (تالكوت ديبيلو سيلبي) : " ان الولايات المتحدة متعاطفة مع معاناة الاكراد ومع ذلك نحن لا نؤيد قيام دولة كردية مستقلة , وان الولايات المتحدة لديها العديد من المصالح في المنطقة وعليها ان تأخذ هذه المصالح بنظر الاعتبار " (27) .

من جهة اخرى حاولت الحكومة العراقية التقرب اكثر من الاتحاد السوفيتي بقصد الدعم السياسي والاقتصادي لها فجرت مفاوضات بين البلدين اثمرت عن توقيع اتفاقية لتأمين المعونة الفنية السوفيتية في موسكو في 21 حزيران 1969 , التي ادت الى زياده مؤيدي الاتحاد السوفيتي في العراق وبخاصة في وسط الاكراد , اذ كانوا ينظرون الى التقارب العراقي السوفيتي من منظور اهميته بالنسبة لقضيتهم من خلال قدرة السوفييت على ارغام الحكومة العراقية على تلبية مطالبهم (28) , على الرغم من ان الاتحاد السوفيتي لم يدعم الاكراد وقيادتهم بشكل جدي من خلال التوجه للقتال مع حكومة البعث وانما كان دائماً ينصح الكرد باتباع الحلول السلمية والدخول في مفاوضات مع الحكومة العراقية السابقة (29) .

أدرك الرئيس العراقي السابق أحمد حسن البكر أن حل القضية وإنهاء ثورة الأكراد لا يمكن التوصل إليه بقوة السلاح وإنما بالعودة الى طاولة المفاوضات , ويعود السبب في ذلك الى حالة العداء المفتوح مع الجانب الإيراني , و استنفاد حكومته كل طاقاتها لأحراز انتصارات على البرزاني و اتباعه (30) فالكرد ازدادوا ضراوة ومراساً في القتال واصبحوا منظمين اكثر من السابق وايضاً لتخفيف الضغط في شمال العراق (31) لذلك اعلنت حكومة البعث في 12\30\1969 عن رغبتها في اجراء مباحثات مع القوى الكردية لإنهاء القتال في شمال العراق وقد كان لهذا الاعلان صدى واسع وبالغ الاهمية لدى السوفييت لاسيما بعد سلسلة الاتصالات التي اجرتها الحكومة العراقية مع الاكراد التي كانت من وجهة نظر الحكومة السوفيتية باعثة امل وخاصةً بعد ان وعدت حكومة العراق بإيجاد حلول سلمية للمعضلة الكردية (32) .

بدأ التفكير بشكل جدي من قبل حكومة البعث بإنهاء الثورة الكردية عبر اتفاق للحكم الذاتي , اذ استمرت المفاوضات بين الجانبين الحكومة العراقية والأكراد طيلة شهري كانون الثاني وشباط من عام 1970 من دون أن تؤدي إلى نتائج مرضية للطرفين , إلا أنها دخلت في مرحلتها الحاسمة في مطلع آذار من العام نفسه , عندما وصل صدام حسين الذي كان يشغل منصب نائب رئيس مجلس قيادة الثورة آنذاك إلى شمال العراق في 9 آذار 1970 ومعه عدد من المسؤولين اذ ادى دوراً بارزاً للوصول الى اتفاق مع الأكراد والقيادة الكردية (33) .

وبعد مفاوضات مطولة اتسمت بالمد والجزر توصلت على ثلاث مراحل من بدايتها عام 1969 حتى عام 1970 ذهب خلالها صدام حسين عدة مرات الى كردستان العراق (34) , تم الاتفاق مع الأكراد بمنحهم الحكم الذاتي وفق بيان 11 آذار 1970 حيث نص البيان على الوجود الشرعي للقومية الكردية , ومشاركة الاكراد في الحكم , وإنشاء جامعة في السليمانية , وتخصيص رواتب تقاعدية للذين استشهدوا أثناء القتال مع الحكومة العراقية والعديد من المواد الاخرى (35) , وبهذا اقرت الحكومة العراقية فيه بحق الأكراد بالتمتع بالحكم الذاتي (36) فقد استجاب بيان اذار الى معظم مطالب البرزاني فأصبحت اللغة الكردية لغة رسمية الى جانب اللغة العربية في المناطق التي تكون اكثريتها من الأكراد(37) .

لقد كانت القضية الكردية احد النقاط الاكثر حساسية من حيث الاهمية بالنسبة لمستقبل العلاقات العراقية السوفيتية , حتى ان الأوساط الغربية اشارت في تحليلاتها الى الدور الكبير الذي لعبه السوفييت في انجاح مباحثات العراق مع الاكراد والتي توجت بإعلان اذار (38).

لاقى بيان آذار 1970 ترحاب كبير ليس فقط من قبل الحكومة السوفيتية وإنما من قبل الأوساط الإعلامية الدولية وبخاصة الاعلام السوفيتي , (39) اذ نشرت جريدة (البرافدا) السوفيتية مقالاً اشادت فيه بالإنجاز الذي حققته الحكومة العراقية بإعلانها بيان اذار (40).

وفي صدد بريقيات التهئة ارسل رئيس الحكومة السوفيتية (نيكولاي Nicolai Podgryni بودكورني) (41) برقية تهئة للرئيس العراقي السابق احمد حسن البكر بمناسبة إصدار بيان 11 آذار 1970(42) كما بعثت اللجنة السوفيتية للتضامن الآسيوي الافريقي هي الاخرى ببرقية تهئة بهذه المناسبة (43) .

على الرغم من تلك التهاني والتبريكات التي انهالت على الجانبين الحكومة العراقية والاكراد بمناسبة اتفاق آذار الا ان هذا الاتفاق في الواقع لم يكن سوى مراوغه وخدعة سياسية او هدنة قتال , أرادت منها حكومة البعث كسب بعض الوقت لتجميع قواها وتثبيت وجودها في الحكم الجديد , فقد ورثت حكومة البعث الصراع المستمر مع الأكراد الذي لم تتمكن الأنظمة السابقة من القضاء عليه تماماً , ورغبة من حكومة البعث بالبقاء في الحكم فأنها تطلعت إلى حل المشكلة بإصدارها بيان آذار (44), اذ عادت اجواء

عدم الثقة بين العراق والاكرد بعد رفض مرشح الاكرد لمنصب نائب رئيس الجمهورية كريم حبيب من قبل قيادة البعث باعتباره من اصول ايرانية , وكذلك الفشل في حل مشكلة كركوك , واتهام الاكرد لحكومة بغداد بالمماثلة في اجراء مسح سكاني (45), ومحاولات الاغتيال التي تعرض لها البرزاني وعائلته فقد حاولت عدة مرات اغتيال البرزاني , احدها سميت بمؤامرة العلماء كون الحكومة العراقية استخدمت فيها مجموعة من رجال الدين للقيام بالمؤامرة في أيلول 1971 ومن دون علمهم حيث طلبت منهم التوسط لدى البرزاني من اجل حل الخلافات القائمة بينهما, الا ان حكومة البعث كان لديها نوايا معايرة اذ طلبت من احد رجال الدين وضع جهاز تسجيل مفخخ حول بطنه لتسجيل حديث البرزاني الا انها باءت بالفشل ولم تنتهي حياة البرزاني (46).

اما البرزاني فتضح انه استخدم البيان لتثبيت سلطته في كردستان العراق وزيادة المساعدات الخارجية , فضلاً عن التعاون مع القوى الخارجية وفي مقدمتها إيران والولايات المتحدة الامريكية (47) كما عمد الى اتهام الحكومة العراقية بإعادة توطين العرب في المناطق المتنازع عليها (48) .

لقد اثرت هذه العوامل وبخاصة محاولة اغتيال البرزاني في تبرير طلب الاخير المساعدة من القوى المعادية للعراق وهي ايران الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل منذ اب 1971 (49) .

الامر الذي دفع حكومة بغداد الى اصدار ميثاق العمل الوطني الذي اعلنه الرئيس العراقي السابق احمد حسن البكر في 15 تشرين الاول عام 1971 والذي اكد في عدد من فقراته على تنفيذ ما جاء من في بنود بيان اذار 1970 لاستكمال حلقات الحل السلمي والديمقراطي للقضية الكردية , الا ان ذلك لم يمنع تجدد الاضطرابات بين الطرفين (50).

ثانياً: القضية الكردية والموقف السوفيتي منها خلال المدة 1972-1975

ازداد الخلاف العراقي الكردي بشكل اكثر بعد التقارب العراقي السوفيتي عام 1972 الذي توج بعقد معاهدة للصدقة بينهما في 9 نيسان 1972 (51) الامر الذي دفع السوفييت لعرض وساطتهم منعاً لتجدد الاشتباكات بين الجانبين , لاسيما ان حرص الرئيس العراقي احمد حسن البكر على عدم تجدد القتال بين الطرفين أثناء زيارته إلى مقر الحزب الديمقراطي الكردستاني (52) لم يكلل بالنجاح , فقد ازداد الوضع توتراً وأصبح يهدد بالانفجار , لذا حاولت الحكومة السوفيتية العمل على إيجاد صيغة تعاون جديدة بين الطرفين , ويبدو أن مهمة السوفييت كانت دقيقة جداً بسبب علاقتهم بالأكرد من جهة وبالحكومة العراقية التي عقدت عقد معاهدة صداقة وتعاون معهم من جهة أخرى (53).

افرز هذا التقارب بعد توقيع معاهدة الصداقة آثاراً خطيرة على القضية الكردية خلال تلك المرحلة اذ انه ادخل الخلاف العراقي- الايراني ضمن دائرة الحرب بين المعسكر الغربي و المعسكر الشرقي وكان عبء تلك الحرب والتنافس على القضية الكردية بشكل مباشر فضلاً عن ان الاتحاد السوفيتي الذي كان وسيطاً في اغلب مفاوضات الاكرد مع الحكومة ارتبطت هذه المرة بعلاقات وثيقة مع بغداد , الامر الذي ادخل البرزاني في عزلة داخلية (54) .

و زاد الأمر سوءاً تدخل كل من الولايات المتحدة الأمريكية وإيران في الأوضاع الداخلية ووقوفهما إلى جانب الأكراد ضد الحكومة العراقية , لاسيما بعد طلب مصطفى البرزاني من الولايات المتحدة المساعدة من اجل الوقوف بوجه الحكومة العراقية السابقة (55).

فبعد ان تجاهلت الولايات المتحدة المناشدات العديدة التي وجهها قادة الحركة الكردية لهم حدث تغير في السياسة الامريكية تجاه القضية الكردية ووافقت على تقديم المساعدة لهم (56) , ويعزى السبب في ذلك الى العديد من العوامل اهمها الانسحاب البريطاني من

منطقة الخليج العربي في كانون الاول 1971 وتوقيع العراق معاهدة للصدقة والتعاون مع السوفييت في نيسان 1972 مما جعله حليفاً فعلياً للاتحاد السوفيتي في الحرب الباردة، الامر الذي اكسب السوفييت مزيداً من النفوذ ليس في العراق فحسب وانما في الشرق الاوسط⁽⁵⁷⁾ ، فضلاً عن قيام الحكومة العراقية بتأميم النفط العراقي في 1 حزيران 1972 مما اثر في المصالح الأمريكية الامر الذي كان بمثابة تحدي للمصالح الغربية في المنطقة وتحالف صريح مع الاتحاد السوفيتي⁽⁵⁸⁾.

فضلاً عن ان البرزاني وعد الولايات المتحدة بأنه لو فاز في حربه ضد الحكومة العراقية فإنه مستعد ان يصبح الولاية الحادية والخمسين ، كما انه سيعيد حقول النفط الى الولايات المتحدة الأمريكية وان الاخيرة يمكنها ان تجد صديق في الاوبك عندما تحقق كردستان الغنية بالنفط استقلالها عن الحكومة العراقية⁽⁵⁹⁾ .

وجد البرزاني ضالته في الدعم الخارجي الذي ينتشه ، لاسيما بعد ان قررت الولايات المتحدة الأمريكية في آيار 1972 تقديم الدعم للأكراد بشكل صريح لخلق المشاكل للحكومة العراقية والضغط عليها لتتخلى عن تعاونها مع موسكو ، عن طريق إيران التي اثار مخاوفها ايضاً عقد المعاهدة لما تشكله من خطر على مصالحها في المنطقة كون الأكراد هم الأداة الرئيسة لإضعاف حكومة حزب البعث بنظرهم⁽⁶⁰⁾

في تلك الأثناء حاول الاتحاد السوفيتي غير المسرور برؤية الأكراد وهم يتحولون إلى العوبة بيد المصالح الأمريكية والایرانية إلى تهدئة مخاوفهم حول عقد المعاهدة مع العراق ، وتبريرهم "إن الاتحاد السوفيتي كان آخر شيء يريد هو نشوب حرب أهلية في ذلك البلد" ، إلا أن البرزاني كان يرى في تحالفه مع الغرب انه يوفر له إمكانيات أكبر في حربه مع حكومة حزب البعث⁽⁶¹⁾.

لذلك وجه السوفييت دعوة في تشرين الأول 1972 إلى شخصية كردية بارزة هو وزير الري وعضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي مكرم الطالباني لزيارة موسكو للتباحث في هذا الموضوع⁽⁶²⁾ ، كما وجهت دعوة أخرى إلى الملا مصطفى البرزاني لزيارة الاتحاد السوفيتي في تشرين الأول 1972 ، إلا أن البرزاني اعتذر طالباً تأجيل الدعوة لوقت آخر⁽⁶³⁾ .

ورداً على طلبات مصطفى البرزاني المتكررة في الحصول على المساعدة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية ، بعد التقارب العراقي السوفيتي الذي أثار حفيظة الأكراد والولايات المتحدة ، اقترحت المخابرات المركزية الأمريكية (C.I.A) تقديم المساعدة له ، كما اقترحت ان يقدم البعض من هذه المساعدة على شكل رواتب للقوات الكردية (البشمركة Push Mirga) لكي تستطيع الوقوف بوجه القوات العراقية المجهزة بالأسلحة السوفيتية⁽⁶⁴⁾ .

وفي صدد مقترح المساعدات اقترح هارولد سوندرز أحد موظفي الأمن القومي في المذكرة التي رفعها لمساعدة نائب رئيس شؤون الأمن القومي (هيج) في حزيران 1972 ، تقديم إعانة شهرية مقدارها 1,5 مليون دولار ، لإفشال مخطط السوفييت في العراق⁽⁶⁵⁾.

وفي أثر ذلك بدأت ادارة الرئيس نيكسون عملية دعم اتسمت بالسرية للأكراد وكان الوسيط في تلك المساعدات ايران كما اسلفنا وذلك بسبب موقعها الجغرافي ، وكانت اهداف الولايات المتحدة الامريكية من هذه المساعدات هو افراغ القوة العسكرية للنظام العراقي عن طريق التركيز على دعم المسلحين الاكراد لأضعاف الحكومة العراقية⁽⁶⁶⁾.

وفي الاجتماع الذي تم بين مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية هيلمز (Helms) والعقيد ريتشارد كينيدي (Richard Kenndey) مع مصطفى البرزاني بواشنطن في 30 حزيران 1972 ، أبدى البرزاني شكره وامتنانه للجهود الأمريكية والمساعدة التي تقدمها له ، كونه لا يستطيع مقاومة الضغط السوفيتي من جهة والضغط العراقي من جهة أخرى أكثر من 6 أشهر من دون

مساعدتهم ، واقترح توفير الدعم المالي الكافي لتحويل الأكراد إلى قوة عسكرية هجومية بهدف إسقاط حكومة البعث في بغداد ، بوصف السوفييت الذين يسيطرون على العراق على وفق نظره يهددون المصالح الأمريكية والعالمية في المنطقة (67).

كما ان استراتيجية هنري كسنجر مع الحركة الكردية في العراق كانت تتركز على " ان يتمتع الاكراد بالقوة الكافية ليكونوا جرحاً مفتوحاً في العراق " بمعنى موازنة القوى الكردية عن طريق تجنب الفوز الساحق للأخيرة وفي نفس الوقت تجنب الهزيمة الكاملة لهم ، وهذا سيمكن الولايات المتحدة من افشال مخطط السوفييت في العراق ، ومعاقبة حكومة بغداد على تحالفها مع الاتحاد السوفيتي وتحجيم قواتها (68).

لقد مثلت إيران المعبر الرئيس لوصول المساعدات العسكرية والمالية من قبل الولايات المتحدة وإسرائيل للأكراد ، وكانت أغلب الأسلحة التي أرسلتها الحكومة الأمريكية للأكراد هي أسلحة سوفيتية الصنع واسلحة صينية تم الاستيلاء عليها خلال حرب 1967 بين العرب وإسرائيل واسلحة من كامبوديا (69) ، فقد أفادت المعلومات التي تسربت من وكالة الاستخبارات المركزية بأن الرئيس نيكسون (Nixon) (70) وبالاتفاق مع الشاه محمد رضا ، أمر وكالة المخابرات المركزية عام 1972 بتجهيز الأكراد بأسلحة سوفيتية ، وقد وجهت وكالة الاستخبارات المركزية نقداً لاذعاً لإدارة الرئيس نيكسون ، وعدت فيه ان تجهيز أسلحة سوفيتية بملايين الدولارات وإرسالها للأكراد عبر إيران هي عملية طائشة ولا تتم عن سياسة حكيمة (71).

وعلى الرغم من هذا النقد لنيكسون وإدارته، إلا ان تسليم المال والسلاح ذو المنشأ السوفيتي إلى البرزاني عن طريق إيران تم ومن دون وجود أية عوائق ، حيث استقبل البرزاني العشرات من أطنان الأسلحة السوفيتية الصنع (72).

وفي ذات الصدد استمرت الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم المساعدات المالية إلى القيادة الكردية في العراق لمواجهة المد السوفيتي في المنطقة حتى بلغ مجموعها حوالي 16 مليون دولار ، أنفق أغلبها على شراء الأسلحة وقد تولى خبراء الولايات المتحدة والكيان الصهيوني وإيران إيصالها (73) ، وكان مما يسهل عملية إيصال هذه الأسلحة وجود الأكراد في المناطق الحدودية مع إيران (74) ، وقد أدت إسرائيل دوراً مهماً في هذا المضمار التي أغاضها هي الأخرى التقارب العراقي السوفيتي ، إذ كانت الوفود الكردية لا تنقطع عن زيارة الكيان الصهيوني عن طريق إيران (75) ، فقد حرصت إسرائيل على إرسال مساعدات مالية شهرية للبرزاني تتراوح بين (20-50) ألف دولار لكي يستطيع الوقوف بوجه حكومة البعث المدعومة من قبل الاتحاد السوفيتي والحليفة له (76).

وفي اثر ذلك حاول الاتحاد السوفيتي بذل مساعيه في التوسط بين الحكومة العراقية والأكراد ، وذلك من خلال الزيارة التي قام بها رئيس الوزراء السوفيتي الكسي كوسجين (Alexis Kossyguine) (77) إلى العراق في تشرين الثاني عام 1972 ، حيث علق السوفييت أملاً كبيراً على نجاح وساطتهم (78) ، إلا أن تلك المساعي علما يبدو لم تنجح ، ومما يؤيد ذلك هو تجدد القتال مرة أخرى بين الحكومة العراقية والأكراد ، فقد قامت القوات العراقية في تشرين الثاني 1972 والمجهزة بالأسلحة السوفيتية بقصف القرى الكردية في شمال العراق بحيث ذهب في إثرها الكثير من الضحايا الاكراد (79).

رافق ذلك استمرار الحكومة السوفيتية في التوسط لإيجاد حل للأزمة بطرق سلمية بعيداً عن الاقتتال ، وفي ضوء ذلك بدأت العلاقات بين الاكراد و السوفييت تشهد نشاطاً ملحوظاً ، لاسيما بعد قيام مسؤولين من الحزب الشيوعي السوفيتي بزيارة رسمية إلى كردستان العراق فقد جاء في جريدة الأنوار (بيروت) الصادرة في 21 تشرين الثاني 1973 ان مسؤولين من الحزب الشيوعي السوفيتي توجهوا الى البرزاني وهم يحملون رسالة من السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفيتي ليونيد برجنيف ، ينتقد فيها موقف البرزاني من نظام حكم حزب البعث والأكراد الشيوعيين ، بسبب اتهام البرزاني لحكومة البعث بتسليح الشيوعيين الأكراد لمهاجمة

الأكراد المواليين للبرزاني (80).

و بسبب الموقف السوفيتي هذا أصدر مصطفى البرزاني في نهاية تشرين الثاني 1973 أوامره إلى اتباعه بوقف القتال ضد الأكراد الشيوعيين وضد الحكم القائم ، إلا ان ذلك لم يكن سوى أمر وقتي (81).

اذ لم تتوقف المناورات بين الجانبين على الرغم من الجهود المبذولة من قبل السوفييت لإنهاء الخلاف وتهدة الأوضاع ، والدليل على ذلك ما قام به البكر فقد عمد إلى إعطاء مساعدة مهمة لمجموعة جلال الطالباني المنشقة عن الحزب الديمقراطي الكردستاني والتي كانت تصدر جريدة (النور) وتهاجم باستمرار البرزاني وتصفه بالإقطاعي العميل للإمبريالية ، وقد أراد البكر من وراء ذلك توسيع رقعة الخلاف بين الأكراد أنفسهم، اذ كانت هذه الجماعة تتكون من عدد من الشباب يتزعمهم إبراهيم أحمد وجلال الطالباني ، الذين كانوا جزءاً من الحزب الديمقراطي الكردستاني الذي يتزعمه مصطفى البرزاني قبل الانفصال عنه ، حيث أخذت هذه الجماعة تشكك بصحة أساليب الملا السياسية وتصفها بالدكتاتورية ، لان كثيراً ما اتخذ قرارات سياسية دون الرجوع اليهم ، مما أدى إلى الانشقاق فانقسم الحزب الديمقراطي في اثر ذلك إلى مجموعتين تبعت احدهما إبراهيم احمد والطالباني ، والثانية بقيت على ولاءها للبرزاني (82).

ومع اقتراب تطبيق قانون الحكم الذاتي بحسب ما ورد في بيان آذار 1970، تفاقت الأزمة واشتد الخلاف بين الطرفين الأكراد والحكومة العراقية ، بسبب إصرار الأخيرة على تطبيق بنود الاتفاق في موعده المحدد وهو 11 آذار 1974 ، واصبحت المواجهة العسكرية تلوح في الافق (83) حيث رفض قادة الحزب الديمقراطي الكردستاني هذا الأمر وأصرّوا على تأجيله أو تمديد موعد تطبيق الحكم الذاتي إلى خمس سنوات بدلاً من أربع سنوات لاستكمال الحوار (84).

وفي تلك الاثناء بادر السوفييت الى عرض وساطتهم مرة اخرى لحل القضية بالطرق السلمية ، فقد قام وزير الدفاع السوفيتي اندريه غريشيكو (85) في آذار 1974 بعرض وساطته ومساغته لدى مصطفى البرزاني لإيجاد حل سلمي مرضي للجانبين ، إلا أن البرزاني وبإيعاز من قبل الولايات المتحدة الأمريكية رفض تلك الوساطة (86)، مما حدى بالحكومة العراقية بعد فشل وساطة وزير الدفاع السوفيتي لدى البرزاني ، وعن طريق الجبهة الوطنية التقدمية (87) التي شكلت بدعم واضح من قبل الاتحاد السوفيتي إلى الإعلان عن قطع المفاوضات وإصدار قانون الحكم الذاتي من جانبها فقط ومن دون مشاركة الأكراد وذلك في 3 آذار 1974 وهذا ما كان يخالف ما تم الاتفاق عليه في آذار 1970 (88).

وفي ظل تلك الظروف الصعبة وبعد إعلان الحكومة العراقية إصدار قانون الحكم الذاتي من دون مشاركة الأكراد حاول الأخيرين الاتصال بالسوفييت الذين رفضوا وساطتهم سابقاً ، للتوسط لهم لدى الحكومة العراقية لحل هذه المشكلة ، إلا ان السوفييت الذين كانوا مرتبطين بمعاهدة صداقة وتعاون مع الحكومة العراقية ، نصحوا الأكراد بقبول قرار الحكومة العراقية (89).

رفضت القيادة الكردية مقترح الحكومة السوفيتية بقبول قرار الحكومة العراقية فاصدر مجلس قيادة الثورة سابقاً قانون الحكم الذاتي في 11 آذار 1974 ، رافق ذلك تاييد صريح من قبل الحزب الشيوعي العراقي لقرار حكومة البعث ، لكونه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحزب الشيوعي السوفيتي بحكم ولائه الأممي ، حيث ذكرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي في اجتماعها المنعقد في حزيران 1974 "ان قانون الحكم الذاتي الذي اقترحته الجبهة الوطنية وشرعته السلطة في آذار 1974 هو حصيلة الاتفاق الذي تم بين حزبنا وحزب البعث ، ووصفها لإعلان قانون الحكم الذاتي في آذار 1974 بأنه مفترق طرق أمام قيادة الحركة المسلحة وبين إعادة الأوضاع وحل الأمور المعقدة باتجاه تطبيق الحل السلمي الديمقراطي وبين الاستمرار في طريق التوتر والتصادم" (90).

ومع ذلك ، استمرت المفاوضات بين الطرفين، لكن من دون جدوى ، اذ ان إصرار البرزاني وجماعته على الاستمرار بعلاقتهم ببيزان ورفضهم لمقترح الحكومة السوفيتية زاد من توتر الوضع ، كما أن جريدة (التأخي) الناطقة بلسان الحزب الديمقراطي الكردستاني دافعت عن ذلك بقولها : "إنه حق طبيعي للشعب الكردي ان يسعى للحصول على المساعدات التي تمكنه من مواصلة حقه في الحياة"⁽⁹¹⁾.

فضلاً عن ان البرزاني لم يتردد في اثاره استفزاز الحكومة العراقية عندما قال : "إن الأراضي الكردية غنية بالنفط وهي أراضينا... انها لنا ... ولذلك لا نكون قد اقتربنا أي عمل عدائي إذا أخذناها" اي مدينة كركوك التي يسكنها خليط من العرب والكرديين والتركمان والتي أراد الأكراد جعلها عاصمة للحكم الذاتي، وهي من المدن المهمة تبعاً لعوامل عديدة اهمها الثروة الطبيعية التي تكمن في أراضيها مثل البترول والغاز الطبيعي⁽⁹²⁾، فأراد البرزاني من هذا القول إغراء الولايات المتحدة الأمريكية أكثر ، حيث سيكون بإمكانه التحكم بحقل كركوك ومن ثم إعطائه إلى احد الشركات الأمريكية لتشغيله فيما إذا وفرت له الولايات المتحدة الامريكية الحماية لمواجهة النظام العراقي المدعوم من قبل حليفه السوفيتي ⁽⁹³⁾ .

وقعت الحرب الدامية بين الجانبين في اذار 1974 بعد ما وصلت الأمور إلى مفترق طرق ، بعد رفض الأكراد بيان 11 آذار 1974 بوقت قصير، وفي ظل صمت سوفيتي هذه المرة ، ازداد الوضع سوءاً بالنسبة للحكومة العراقية بعد ان نشرت إيران لواءين في شمال العراق لتوفير الدعم بشكل مباشر للأكراد ، فضلاً عن المساعدات الأخرى من أسلحة وعتاد وذخيرة لمواجهة قطاعات الجيش العراقي ، الذي خذل هذه المرة من حليفه السوفيتي ، حيث بادر الاخير إلى إعلان حياده من هذه الحرب⁽⁹⁴⁾.

الامر الذي ادى بسبب هذا الحياد والخذلان من حليفه السوفيتي وامتناعه عن تزويده بالسلح بحجة الحياد الى تعرض الجيش العراقي إلى خسائر فادحة نتجت عنها العديد من الإصابات ، حيث استطاع الأكراد في بادئ الأمر زعزعة الاستقرار لدى الحكومة العراقية ، بسبب الخسائر التي تعرضت لها بسبب هذه الحرب وامتناع السوفييت عن إمداده بالسلح⁽⁹⁵⁾.

وفي ظل تلك الاوضاع الصعبة والخسائر الكبيرة التي تكبدها الطرفين ، وعدم إمكانية تحقيق نصر نهائي لأي منهما، أصبحت الحكومة العراقية مستعدة لقبول عرض الوساطة العربية والجلوس على طاولة المفاوضات ، وبخاصة بعد فشل الوساطة السوفيتية قبل اندلاع الحرب للوصول إلى حل سلمي ، فضلاً عن حالة التوتر التي اصابت العلاقات العراقية السوفيتية⁽⁹⁶⁾ في نهاية عام 1974 ، لرفض الحكومة العراقية طلب الحكومة السوفيتية منحها تسهيلات قاعدة متمتعة بالسيادة لقاء تقديمهم المزيد من الدعم العسكري للعراق⁽⁹⁷⁾.

الحقيقة ان القيادة الكردية اخطأت في تقدير قوة الجيش العراقي و الحكومة العراقية السابقة وعلاقتها الدولية ، كما انها اخطأت في تحليل مجرى الأوضاع العالمية آنذاك ، وفهم حقيقة أن تخلي السوفييت عن حليفهم العراقي في تلك الظروف ، لا يعني بالضرورة هزيمة نظام له علاقاته وارتباطاته الدولية المتعددة والتي تحكمها المصالح المشتركة ⁽⁹⁸⁾ .

انتهت الحرب التي استمرت حوالي اثنا عشر شهراً من (آذار 1974 - آذار 1975) بهزيمة الحركة الكردية وقيادتها، لأسباب عدة منها اولاً: قوة الجيش العراقي ثانياً : خذلان حلفائهم الامريكان والاييرانيين لهم حيث تخلوا عنهم بعد ان علقوا امالاً كبيرة عليهم في الانتصار على الحكومة العراقية ، فقد امتنعت الولايات المتحدة الأمريكية عن إمدادهم بالسلح والسبب يعود في ذلك الى كونها لم تكن تريد أن ينتصروا الأكراد في هذه المعركة بقدر ما كانت تريد كعنصر مزعز للمنطقة وبخاصة مع الوجود السوفيتي فيها⁽⁹⁹⁾.

وفي الشأن ذاته مثلت اتفاقية الجزائر التي عقدت في 6 آذار 1975 الحربة التي طعنت بها طهران الحركة الكردية وقيادتها (100) ، فخلال يومين فقط من عقد الاتفاقية التي تمت دون علم الاتحاد السوفيتي ، سحبت طهران قواتها العسكرية بكافة تشكيلاته فانهارت بذلك الحركة الكردية (101) ، فضلاً عن مهاجمة قطاعات الجيش العراقي القوات الكردية بقسوة شديدة وحشية راح خلالها آلاف الضحايا (102).

وبفشل الحركة الكردية وانهارها خير البرزاني وقادة الحركة الكردية بين تسليم نفسه مع مقاتليه للسلطة ببغداد للاستفادة من العفو العام ، أو اللجوء إلى إيران ، أو الاستمرار في القتال من دون دعم طهران ، فاختر البرزاني إلقاء السلاح واللجوء إلى إيران في 18 آذار 1975 (103).

الخاتمة

لقد تبين من خلال هذا البحث ان موقف الاتحاد السوفيتي تجاه القضية الكردية كان متذبذباً وغير ثابت فعلى الرغم من محاولة السوفييت وقادته التوسط لحل المعضلة الكردية من خلال التقريب في وجهات النظر بين الحكومة العراقية وقادة الحركة الكردية وانهاء الصدام المسلح بينهما والذي توج باتفاق اذار 1970 الا ان هذا الموقف كان نابغاً من اعتبارات سياسية تتعلق بمصالحة ، فقد ظل الموقف السوفيتي محكوماً بمصالحه مع الحكومة العراقية ففي كل مرحلة من مراحل الصراع والتفاوض كان السوفييت حاضراً فيها وبما يخدم مصالحه لاسيما بعد توقيع معاهدة الصداقة والتعاون مع حكومة البعث في 9 نيسان 1972، والتي اثرت بشكل واضح على موقف الاتحاد السوفيتي من القضية الكردية الذي اكنفى بتهدئة الاوضاع بين الجانبين ورفض تقديم المساعدة للقادة الاكراد في صراعهم مع حكومة بغداد، فتضح ان السوفييت لم يكونوا جادين بدعم قضية الاكراد وانما ارادوا منها موطاً قدم لهم يتمكنوا من خلاله الضغط على الحكومة العراقية كلما ابتعدت عنهم واتجهت صوب المعسكر الغربي ، الامر الذي دفع الاكراد الى التوجه الى المنافس الاول للاتحاد السوفيتي وهو الولايات المتحدة الامريكية التي وافقت على تقديم الدعم العسكري للأكراد من خلال ايران واسرائيل بغية تحجيم دور الاتحاد السوفيتي في المنطقة ، كما تبين ان الحكومة العراقية لم تكن صادقة في حل مشكلة الاكراد العراقيين ولم تقم باحتوائهم ولم تسعى للتفاوض مع الجهات التي كانت تحاول تمويل بل مولت الاكراد بالسلاح وانما القت السبب على الاكراد كونهم السبب الاساس في تلك الحروب والصراعات والتي سمحت لجهات خارجية التدخل في الشأن الداخلي العراقي ، وتبين ايضاً ان الاتحاد السوفيتي لم يخذل الجانب الكردي فقط وانما خذل حليفه العراقي وامتنع عن امداده بالسلاح في معركته مع الاكراد والتي انتهت بانتصار حكومة البعث وانهاية الحركة الكردية وتوقيع اتفاقية الجزائر 1975 التي حطمت الآمال الكردية بتأسيس كيان سياسي خاص بهم .

قائمة المصادر والمراجع

- (1) ديفيد مكدول، تاريخ الاكراد الحديث ، ترجمة راج ال محمد ، دار الفارابي ، بيروت ، 2004 ، ص 41-43؛ نسيم الخوري ، الاكراد او الدولة المتعثرة بين الواقع والوعود ، مجلة الدفاع الوطني اللبناني ، العدد 56 نيسان 2006، ص3.
- (2) ظفر عبد مطر التميمي ، المسألة الكردية واشكالية وآليات المعالجة الدولية ، مجلة المستنصرية ، العدد 6 ، ص27.
- (3) احمد تاج الدين ، الاكراد تاريخ شعب وقضية وطن ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، 2001، ص172-133.
- (4) ظفر عبد مطر التميمي ، المصدر السابق ، ص 34 .
- (5) عماد يوسف قدورة التأثير الاقليمي والدولي في القضية الكردية في العراق (دراسة حالة 1972-1975)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، الدوحة ، 2016، ص4.
- (6) تأسست في 22 كانون الثاني 1946 برئاسة قاضي محمد في اقصى شمال غرب ايران في مدينة مها باد نتيجة لعوامل داخلية وخارجية واكدت على عدم انفصالها عن ايران ، دعمت من قبل الاتحاد السوفيتي في بداية تأسيسها ، وكانت الجمهورية الكردية الاولى ، الا انها سقطت في عام 1947 وتم اعدام زعيمها القاضي محمد في 31 اذار 1947 في ساحة مدين مها باد . موسى مخول ، الاكراد من العشيرة الى الدولة ، بيسان للنشر والتوزيع ، بيروت ، 2013، ص ؛ ابراهيم خليل احمد و خليل علي مراد، تاريخ ايران وتركيا الحديث والمعاصر ، الموصل ، 1977، ص169.
- (7) عماد يوسف قدوة ، المصدر السابق ، ص4.
- (8) سعد ناجي جواد ، العراق والمسألة الكردية 1958-1970 ، دار المدى ، لندن ، 1990، ص15-22.
- (9) ميهان محمد حسن رشيد السامرائي ، سياسة الاتحاد السوفيتي تجاه الحركة القومية الكردية التحريرية في كردستان الجنوبية (1945-1968) ، اربيل ، 2008، ص304.
- (10) المصدر نفسه .
- (11) للمزيد عن تفاصيل الانقلاب ينظر : عبد الوهاب حميد رشيد ، العراق المعاصر ، دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق ، 2002 ، ص164-165 ؛ نبيل زكي ، الاساطير والثورات والحروب ، القاهرة ، 1991 ، ص91-92.
- (12) نبيل زكي ، المصدر السابق ، ص92.
- (13) جورج حجار ، المسألة الكردية نحو اخوة عربية كردية ، بيروت ، (د. ت)، ص 48 ؛ عماد يوسف قدوة ، المصدر السابق ، ص5.
- (14) عماد يوسف قدورة ، المصدر السابق ، ص5.
- (15) نهاد طالب عويد الحميداوي ، العلاقات العراقية السوفيتية 1972-1980، مؤسسة الصادق للنشر ، الحلة ، 2018، ص40.
- (16) عماد يوسف قدورة ، المصدر السابق ، ص5.
- (17) Foreign Rrelatio Uunite State, Vol XXVII ,Research of conversation ,Washington , May29 , 19 69 , P. 258.
- (18) Richard Synge , Middle East year 1979 (political , History condition 24 countries of the middle east) , London , 1979 , P.119.
- (19) محمد سلمان منور التميمي ، فؤاد عارف ودوره العسكري والسياسي في العراق حتى عام 1975 ، رسالة ماجستير غير منشور ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، 2008 ، ص142؛ نهاد طالب عويد ، المصدر السابق، ص40.
- (20) عبد الجليل صالح موسى ، جمال عبد الناصر والقضية الكردية في العراق (1952-1970)، مطبعة دهوك ، دهوك ، 2013، ص ؛ محمد سلمان منور التميمي ، المصدر السابق ، ص 143 .
- (21) جورج حجار ، المصدر السابق ، ص48.
- (22) عبد الجليل موسى ، المصدر السابق ، ص271.

- (23) المصدر نفسه .
- (24) مصطفى ابراهيم سلمان ، استراتيجية التعامل الامريكى مع اقليم كردستان العراق منذ 2014،مجلة جامعة الانبار للعلوم القانونية والسياسية ، مج 10، العدد 1، 2020، ص584-585.
- (25) F.R.U.S. Vol, XXVII ,Research of conversation ,Washington, May29 , 19 69 , P. 258.
- (26) Ipid.
- (27) ; F. R. U. S , 1969 -1976 , vol.E-4 , Iran and Iraq (1969-1972), Document 259,2006,p.1-3.
- (28) مكرم الطالباني ،مراحل الحركة القومية الكردية ، السليمانية، 2009،ص402-403.
- (29) ميهفان محمد حسن رشيد السامرائي ، المصدر السابق ، ص305.
- (30) محمد سلمان منور التميمي ، المصدر السابق ،142.
- (31) فلاح خلف محمد ، اتفاقية الجزائر 1975 مقدماتها ، نتائجها ، رسالة ماجستير غير منشورة ، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية ، الجامعة المستنصرية ' 2006، ص42.
- (32) عمار فاضل حمزه . العلاقات العراقية السوفيتية 1968-1972، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ' 1998، ص71-72.
- (33) كان من بين هؤلاء المسؤولين فؤاد عارف وعزيز شريف لما يحظيان به من مكانة وتقدير لدى البرزاني .محمد سلمان منور التميمي ، المصدر السابق ، ص146 ؛
- Marigh Willem , The most power fulirime (How the united state took sides the Iran – Iraq war 1980-1988) , Dotter dam , 2006 , P.22.
- (34) طالب عبد الجبار حيدر ، المسألة الكردية في الوثائق العراقية (المشكلة ، الحل ، النتيجة) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، 1982، ص319.
- (35) للمزيد من التفاصيل ينظر :
- F.R.U.S. Vol, XXVII ,Research Study Prepared in the Central Intellingence Agency ,Washington ,November 1976 ,Subject; Iraq Under Baath Rule, 1968-1976,No317 ;.
- نديم أحمد ياسين ، المسألة الكردية (مواقف ومنجزات) ، منشورات وزارة الإعلام ، بغداد ، 1975 ، ص56-58 ؛ منشورات الثورة ، لكي يسان السلام وتتعزيز الوحدة الوطنية ، بغداد ، 1973 ، ص20-21 ؛ أحمد عبد الرحيم مصطفى ، الأكراد والوحدة الوطنية في العراق ، مجلة السياسة الدولية (القاهرة) ، العدد 423 ، كانون الثاني 1972، ص38-39.
- (36) Parti Socialist arabeass , Li Revolution Naire 1968-1973 , Huitieme Congers Regionul Duparti Bath Arabeet Socialite En Iraq , Baghdad , 1974 , P.80 ;
- منشورات الثورة ، المصدر السابق ، ص138.
- (37) F.R.U.S. Vol, XXVII ,Research Study Prepared in the Central Intellingence Agency ,Washington ,November 1976 ,Subject; Iraq Under Baath Rule, 1968-1976,No317
- (38) عمار فاضل حمزه ، المصدر السابق ، ص73-74.
- (39) نقلاً عن: الجريدة السياسية ، وزارة الخارجية ، تعليقات الصحف البريطانية ، مواقف الصحف البريطانية من الأكراد في العراق 4 أيلول 1971 ، ص1.

- (40) كان المقال بعنوان "العراق يتخطى مرحلة صعبة" ذكرت فيه "ان إعلان حق الأكراد في الحكم الذاتي ضمن الدولة العراقية يعتبر خطوة ضرورية يتعذر بدونها خلق اتحاد متين بين الشعبين": سمير عبد الكريم ، أضواء على الحركة الشيوعية في العراق ، ج5 ، دار المرصاد ، بيروت ، (د.ت) ، ، ص93.
- (41) احد سياسيي السوفييت البارزين من مواليد كاركوفا بأوكرانيا 1903، بدأ حياته عاملاً ثم التحق بجامعة كييف العمالية فتخرج منها مهندساً في صناعة السكر، انضم إلى الحزب الشيوعي الأوكراني عام 1930، وفي عام 1957 أصبح الأمين العام للحزب الشيوعي الأوكراني، ثم أصبح في عام 1963 سكرتير اللجنة المركزية مع برجينييف بعد مغادرته أوكرانيا، وفي عام 1965 حل بناءً على اقتراح برجينييف محل ميكوبان في منصب رئيس مجلس رئاسة السوفييت الأعلى ، أقيل من منصبه في ربيع 1977. عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة ، ج1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1990 ، ص591.
- (42) عمار فاضل حمزة ، المصدر السابق ، ص74-75 .
- (43) جريدة التأخي ، العدد 684 ، 15 اذار 1971.
- (44) ساندرامكي ، الملفات السرية للحكام العرب ، عرض عادل عبد الصبور ، الدار العربية للكتب والنشر ، القاهرة ، 1999 ، ص173 .
- (45) عماد يوسف قدورة ، المصدر السابق ، ص8.
- (46) كان رجل الدين يدعى الشيخ هادي الخزرجي الذي ضغط على الزر المفخخ لتسجيل الكلام فتفجر وتطايرت أشلاءه وسط الغرفة وقتل على إثرها ثلاثة من أعضاء الوفد وجرح رابع وفي إثر ذلك سارع البرزاني ومحمود عثمان اللذان كان في الغرفة إلى مغادرة المكان وبذلك نجا من المؤامرة. للمزيد من التفاصيل ينظر : صلاح الخرسان ، التيارات السياسية في كردستان العراق (قراءة في ملفات الحركات والأحزاب الكردية في العراق 1940-2004) ، مؤسسة البلاغ للنشر والتوزيع ، بيروت ، 2001 ، ص196 ؛ سعد العبيدي ، نوايا وحروب (نظرة نفسية لوقائع وحروب دامت أكثر من ثلاثين عاماً) ، مؤسسة الفاروق للطبوعات ، بيروت ، (د.ت) ، ص78.
- (47) صلاح الخرسان ، المصدر السابق ، ص125.
- (48) فلاح خلف محمد ، المصدر السابق ، ص45؛ عماد يوسف قدورة ، المصدر السابق ، ص8 .
- (49) Kamal Said Qadir , The Barazani Chameleon, Middle East Quarterly, 2007, p88.
- (50) كما اكد الميثاق على اهمية الاستمرار في توثيق علاقات التعاون مع الدول الاشتراكية وفي مقمتهما الاتحاد السوفيتي ، فضلاً عن الامور الاقتصادية والاجتماعية للبلد. للمزيد من التفاصيل عن ميثاق العمل الوطني ينظر: وزارة الاعلام ، مديرية الاعلام العامة ، ميثاق العمل الوطني الذي اعلنه الرئيس احمد حسن البكر في 15 تشرين الاول 1971، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ص28-31 7 ؛ جريدة الثورة (بغداد)، 16 تشرين الثاني 1971،
- (51) تكونت المعاهدة من 14 مادة فضلاً عن ديباجة ، تناولت سبل التعاون في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية ، وحددت مدة المعاهدة ب25 سنة قابلة للتجديد. للمزيد من التفاصيل عن بنود المعاهدة ، ينظر : نهاد طالب عويد ، المصدر السابق ، ص89-90 ؛مجلة الثقافة الجديدة (بغداد)، العدد 35، نيسان 1972 ص90-94.
- (52) تأسس هذا الحزب عام 1946 عندما كان الملا البرزاني لاجئاً في الاتحاد السوفيتي ، والذي عرف باسم الحزب الكردي الديمقراطي في البداية ، ثم عرف فيما بعد باسم حزب البارتني حيث تم انتخاب الملا البرزاني رئيساً له والشيخ لطيف الشيخ محمود نائباً أول للرئيس ومحمد زياد نائباً ثاني وحمزة عبد الله سكرتيراً عاماً للحزب وذلك في آب 1946 ، وظل هذا الحزب يحمل هذا الاسم حتى عام 1953 حيث تم تبديله إلى الحزب الديمقراطي الكردستاني ، وتمت إجازته بشكل رسمي عام 1960 عندما قدم البرزاني طلباً إلى وزارة الداخلية بتأسيس حزبي سياسي بصورة رسمية ، تعرض هذا الحزب وكوادره إلى الكثير من المضايقات من قبل الحكومات العراقية المتعاقبة ، وتعرض إلى الانشقاق في صفوفه ، إلا ان الحزب استمر واستمر البرزاني

- بزعامته حتى وفاته 1979. عبد الستار طاهر شريف ، الجمعيات والمنظمات والأحزاب الكردية في نصف قرن 1908-1958 ، بغداد ، 1989 ، ص155-177 ؛ موسى مخول ، موسوعة الحروب والأزمات الإقليمية في القرن العشرين (آسيا) ، ط2 ، بيروت ، 2006 ، ص386-387.
- (53) ، وثائق مكتبة الوفاق الوطني ، الحزب الشيوعي والقضية الكردية ، ملف 122\34\6 ، الصحافة اللبنانية في اسبوع والتقرير الصحفي الاسبوعي للسفارة العراقية في بيروت ، العدد ص39 ، 17 تشرين الثاني 1972 ، ص7.
- (54) ادمون غريب ، الحركة القومية الكردية ، بيروت ، 1973 ، ص80.
- (55) F. R. U. S, 1969 -1976 , vol.E-4 , Iran and Iraq (1969-1972), No.299 , Memorandum for State for Near Eastern and South Asian Affairs , 9 March 1972 ; F. the Assistant security of R. U. S , 1969 -1976 , vol.E-4 , Iran and Iraq (1969-1972), No.302 , Memorandum for the director of Central InTelligence (Helms) to the president Assistant of National security Affairs (Kissinger) and security Laird , Washington , 29March 1972.
- (56) عماد يوسف قدورة ، المصدر السابق ، ص10-16؛ مصطفى ابراهيم سلمان ، المصدر السابق، ص588.
- (57) عماد يوسف القدوة ، المصدر السابق ، ص14-16،
- (58) Amin Saikal, The rise and Fakll of The Shah, New Jersey,P.1656.
- (59) . Edmund Ghareeb, the Kurdish Question in Iraq, University press,1981,p140
- (60) ديفيد مكديول ، المصدر السابق ، ص498 ؛ فلاح خلف محمد ، المصدر السابق ، ص46؛ عماد يوسف قدورة ، المصدر السابق ، ص13.
- (61) ديفيد مكديول ، المصدر السابق ، ص498.
- (62) و. م. و ، المواقف الدولية من القضية الكردية ، ملف 122/33/9 ، روسيا وعدت العراق بالضغط على الأكراد كي لا تتجدد الاشتباكات ، مقالة لجريدة النهار البيروتية ، ص155 ، 1 تشرين الثاني 1972 ، ص1.
- (63) المصدر نفسه.
- (64) F. R. U. S , 1969 -1976 , vol.E-4 , Iran and Iraq (1969-1972) No.315 , Memorandum from the Chief of the Near East and South Asia Division Central in Telli gence (Helms) , Washington , 12 Jun 1972.
- (65) F. R. U. S , 1969 -1976 , vol.E-4 , Iran and Iraq (1969-1972) No.318 , Memorandum from Harold Saunders of the National Security Central state to the presidents Deputy Assistant for National Security Affairs (Haig) , Washington , 23 Jun 1972.
- (66) مصطفى ابراهيم سلمان ، المصدر السابق ، ص588.
- (67) F. R. U. S , No.319 , Memorandum conversation , Washington , 5July , 1972 ,
- (68) مصطفى ابراهيم سلمان . المصدر السابق . ص589.
- (69) . Edmund Ghareeb, Op.Cit ,p140
- (70) ولد في كاليفورنيا عام 1913 ، تلقى تعليمه في المدارس الحكومية وكان الأول بين أقرانه ، التحق بكلية الحقوق التابعة لجامعة ديوك بعد ان حصل على منحة دراسية من جامعة وي تير ، عمل في المحاماة بعد تخرجه ثم تطوع في البحرية الأمريكية في بداية الثلاثينيات من القرن العشرين ، استمر في عمله في البحرية حتى وصل إلى رتبة رائد بحري ، وبعد نهاية

خدمته العسكرية اتصل به جماعة من شباب الحزب الجمهوري وابتدأت =رحلته مع الحزب عن طريقهم والتي انتهت بتتصيه رئيساً للولايات المتحدة عام 1969 لولايتين ، وهو يمثل الرئيس السابع والثلاثين للولايات المتحدة الأمريكية ، شهد عهده نهاية الحرب الأمريكية الفيتنامية وانسحاب القوات الأمريكية من فيتنام عام 1972 ، استطاع بدبلوماسيته ان يحسن علاقة حكومته مع أعظم دولتين شيوعيتين هما الاتحاد السوفيتي والصين ، الا ان كل الانجازات التي حصل عليها لم تشفع له في فضيحة تجسس حزبه الجمهوري على الحزب الديمقراطي المنافس له والمعروفة بوتركيت والتي انتهت بخروجه من السلطة عام 1974 ، توفي في نيسان 1994.

Conrad Black , A life in full Richard Nixon , United State of Amirca , 2007 , P.3-10.

(71) و. م. و ، المواقف الدولية من القضية الكردية ، ملفه 122 \3319 ، مقتطفات من الصحف الأمريكية ، الاستخبارات المركزية والأكراد ، 10 تشرين الثاني 1975 ، ص13.

(72) F. R. U. S , 1969 -1976 , vol.E-4 , Iran and Iraq (1969-1972)No.325 , Memorandum from the presidents Assistant of national security Affairs (Kissinger) to presidents Nixon , Washington , 5 October 1972.

(73) فاطمه حمدي عبد الرحمن ، العلاقات العراقية - الامريكية 1967-1987، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، 1989 ، ص54؛ سليم مطر ، جدل الهويات (عرب - أكراد - تركمان - سريان - يزيدي - صراع الانتماء في العراق والشرق الأوسط ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 2003 ، ص122 ؛

David Ryan and Patrick Kiely , Op. Cit , P.43.

(74) سهاد عادل محمد محمود الصالحي ، الأقليات والوحدة الوطنية في العراق المعاصر ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية ، الجامعة المستنصرية ، 2005 ، ص148.

(75) المصدر نفسه ، ص149.

(76) سليم مطر ، المصدر السابق ، ص122.

(77) ولد في سان بطرسبرغ من أسرة عمالية بسيطة ، ألتحق بالجيش الأحمر وهو لم يتجاوز الخامسة والعشرين ، أصبح عام 1939 مفوضاً أي (وزيراً) للصناعة النسيجية ، انتخب عام 1941 رئيساً للحزب الشيوعي ، ثم عضواً للمكتب السياسي في عام 1960 ، عين نائباً أول لرئيس الحكومة ، وفي عام 1964 أصبح رئيساً للحكومة وقد حافظ على هذا المنصب حتى تشرين الأول 1980 حيث قدم استقالته لأسباب صحية ، ثم توفي بعد أسابيع قليلة . عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة ، ج5 ، ط2، بيوت ، 1990 ، ص234-235.

(78) و. م. و ، ملفه الحزب الشيوعي والقضية الكردية ، ملفه 122/34/6 ، التقرير الصحفي الأسبوعي ، ما هي أسباب الخلاف بين حكومة العراق وحركة البرزاني ، مقالة لجريدة العلم المغربية ، العدد ص/272/2 ، 17 تشرين الثاني 1972 ، ص5.

(79) و. م. و ، ملفه الحزب الشيوعي والقضية الكردية ، ملفه 122/34/6 سفارة الجمهورية العراقية (قينا) ، الأكراد والمسيحيون مهددون بتزايد الصدام مع نظام البعث ، العدد (153/1/4) ، 27 تشرين الثاني 1972 ، ص2.

(80) جاء هذا الاتهام بعد الخلاف الذي نشب بين جماعة الحزب الديمقراطي الكردستاني و الشيوعيين الأكراد . نقلاً عن سجل العالم العربي ، وثائق ، أحداث ، آراء سياسية ، (كانون الثاني - حزيران) ، 1974 ، ص237.

(81) المصدر نفسه .

(82) و. م. و ، ملفه الحزب الشيوعي والقضية الكردية ، ملفه 122/34/6 ، كتاب وزارة الإعلام إلى مجلس قيادة الثورة المرقم

3807 في 17 أيار 1999 ، ص 2 .

- (83) عندما وقع الطرفان على اتفاق آذار 1970 ، حدد موعد تنفيذه في مدة لا تزيد عن أربع سنوات أي في 11 آذار 1974 الموعد المحدد لتنفيذه. حامد محمود عيسى ، القضية الكردية في العراق منذ الاحتلال البريطاني إلى الغزو الأمريكي 1914-2004 ، عربية للطباعة والنشر ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 2005 ، ص363-367 ؛ الحزب الشيوعي العراقي ، الحزب الشيوعي العراقي ، وثائق الاجتماع الاعتيادي الكامل للجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي ، حزيران 1974 ، ص132.
- (84) الحزب الشيوعي العراقي ، المصدر السابق ، ص132.
- (85) درية عوني ، المصدر السابق ، ص91 ؛ حامد محمود عيسى ، المصدر السابق ، ص367.
- (86) و. م. و ، ملفه الحزب الشيوعي والقضية الكردية ، ملفه 122/33/6 ، التقرير الصحفي للجمهورية العراقية في واشنطن ، أزيح اللثام في الأسبوع الماضي عن الخيانة التي ارتكبت سراً ضد الشعب الكردي ، مقالة لجريدة (نيويورك تايمز) ، 12 شباط 1976 ، ص1.
- (87) تشكلت في 17 تموز 1973 بين الحكومة العراقية المتمثلة بحزب البعث والحزب الشيوعي العراقي وبدعم سوفيتي ، وقعا كل من عزيز محمد واحمد حسن البكر كما وقعا البيان المشترك لإعلان الجبهة الوطنية التقدمية التي تألفت على وفق نظامها الداخلي وقواعد العمل فيها من اللجنة العليا وسكرتارية اللجنة العليا ، على ان تتكون اللجنة العليا من 16 عضواً ، 8 منهم يمثلون حزب البعث و8 يمثلون بقية الأحزاب والقوى السياسية ، ورئيس اللجنة العليا هو أمين سر القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي أو نائب أمين سر القيادة القطرية. سمير عبد الكريم ، موقف الحزب الشيوعي من الجبهة والتحالف الجبهوي ، مطبعة الأندلس ، بيروت ، 1981 ، ص42-43 ؛ صالح جواد كاظم وعلي غالب العاني ، الأنظمة السياسية ، دار الحكمة ، بغداد ، 1991 ، ص155
- (88) درية عوني ، المصدر السابق ، ص91 ؛ حامد محمود عيسى ، المصدر السابق ، ص367.
- (89) درية عوني ، المصدر السابق ، ص91.
- (90) نقلاً عن : الحزب الشيوعي العراقي ، المصدر السابق ، ص7-10 .
- (91) نقلاً عن : نبيل زكي ، المصدر السابق ، ص125.
- (92) ليام اندرسن وغاريت ستانفيلد، عراق المستقبل (دكتاتورية ، ديمقراطية أم تقسم) ، ترجمة رمزي ق. بدر ، مراجعة وتقديم وتعليق ماجد شبر ، دار الوراق للنشر ، لندن ، 2005 ، ص114 ؛ منذر الفضل ، دراسات حول القضية الكردية ومستقبل العراق ، دار آراس للطباعة والنشر ، اربيل ، (د.ت) ، ص53.
- (93) منذر الفضل ، المصدر السابق ، ص53 .
- (94) ليام اندرسن وغاريت ستانفيلد ، المصدر السابق ، ص114-115 .
- (95) F. O ، 371-104564 ، confidential Talks from British Embassy in Delhi to foreign office ، 8 March 1975.
- (96) مجيد خدوري ، تاريخ جذور الحرب العراقية الإيرانية ، ترجمة مصطفى نعمان احمد ، (د. م) ، (د.ت) ، ص100.
- (97) و. م. و ، المواقف الدولية من القضية الكردية ، ملفه 122/33/9 ، مقالة لجريدة واشنطن بوست في 13 تشرين الثاني 1975 ، ص1.
- (98) جعفر الحسيني ، على حافة الهاوية العراق 1968-2003 ، دار الحكمة ، لندن ، 2003 ، ص42.

(99) فاضل البراك ، مصطفى البرزاني الأسطورة والحقيقة ، بغداد ، 1989 ، ص190 ؛ فيصل شرهان العرس، الحرب العراقية – الإيرانية (يوميات ووقائع وأحداث) الجذور السياسية وأحداث شهر أيلول 1980 ، ج1 ، مطبعة دار الجاحظ ، بغداد ، (د.ت) ، ص42.

(100) و. م. و. ، الموقف الدولية من القضية الكردية ، ملفه 122/33/9 ، الصحافة السويسرية ، مقالة للصحفي السويسري تشارلس بابيس (رحلة يجب إزالة آثارها) ، 1976 ، ص3 ؛ و. م. و. ، ملفه الحزب الشيوعي والقضية الكردية ، ملفه 122/34/6 ، سفارة الجمهورية العراقية (وارشو) ، مقالة لجريدة غون ريبونينا الناطقة بلسان اتحاد نقابات العمال ، المسألة الكردية الرؤيا والوقائع ، 8 نيسان 1979 ، ص2.

(101) هالة فتاح وفرانك كاسوا ، خلاصة تاريخ العراق المعاصر ، ترجمة مصطفى نعمان أحمد ، مؤسسة مصر مرتضى للكتاب العراقي ، بيروت ، 2011 ، ص98.

(102) موسى مخول ، المصدر السابق ، ص391.

(103) حامد محمود عيسى ، المصدر السابق ، ص376 ؛ درية عوني ، المصدر السابق ، ص34.

عنوان البحث

المهارات الإرشادية للمرشد التربوي في التعامل أثناء الأزمات بمحافظة غزة

لعلا حكيمه³

هاني أحمد الغمري²

سعيد عمر نبهان¹

¹باحث بسلك الدكتوراة علم نفس بجامعة الحسن الثاني بالمملكة المغربية

محاضر بجامعة القدس المفتوحة

²ماجستير علم نفس من الجامعة الإسلامية

موظف في وكالة الغوث وتشغيل اللاجئين مرشد تربوي

³دكتورة علم الاجتماع بجامعة الحسن الثاني بالمملكة المغربية

تاريخ النشر: 2020/12/01م

تاريخ القبول: 2020/11/22م

المستخلص

تهدف الدراسة إلى التعرف على واقع المهارات الإرشادية في التعامل أثناء الأزمات، والتعرف على الفروق في واقع المهارات الإرشادية بحسب المتغيرات (الجنس، جامعة التخرج، سنوات الخبرة)، وقد قام بإتباع المنهج الوصفي التحليلي من خلال إعداد استبانة وتطبيقها على عينة تكونت من (141) مرشد تربوي مما يعملون في المدارس الحكومية بمحافظة غزة، ومن أهم نتائج الدراسة أن درجة امتلاك المرشدين للمهارات الإرشادية في التعامل أثناء الأزمات (81.27%) وفي المرتبة الأولى مهارة الدعم النفسي بنسبة (85.71%)، ثم مهارة التعامل مع الأزمات بنسبة (83.76%)، ثم مهارة التعاطف بنسبة (72.81%)، ولا يوجد فروق في جميع أبعاد الإستبانة بحسب المتغيرات الديمغرافية ما عدا في بعد مهارة الدعم النفسي الديني بحسب متغير سنوات الخبرة لصالح من (5-10 سنوات)، وقد إقترحت الدراسة إجراء دراسات لمعرفة مدى تمكن أو امتلاك الأكاديميين في الجامعات للمهارات الإرشادية لتدريب طلبة الإرشاد النفسي عليها، وأوصت بتدريب وتأهيل المرشدين للتعامل مع الأزمات وخاصة في المهارات (التعاطف وإعادة التلخيص ومهارة الدعم النفسي الديني وعكس المشاعر).

RESEARCH ARTICLE

COUNSELLING SKILLS FOR COUNSELOR IN DEALING DURING CRISES IN GAZA GOVERNORATES

Accepted at 22/11/2020

Published at 01/12/2020

Abstract

The study aims to identify the status of counselling skills in dealing during crises, and to identify the differences in the status of guidance skills according to variables (sex, university, and years of experience). The researcher adopted a descriptive analytical approach by developing a questionnaire and applying it to sample consisted of 141 counsels working in governmental schools in Gaza governorates. One of the most important findings of the study is that the degree of which counsellors have counselling skills of dealing during crises is 81.27%. The skill of psychological support came first (85.71%), followed by the skill of dealing with crises (83.76%), and then the skill of empathy (72.81%). Moreover, there are no differences in all dimensions of the questionnaire according to demographic variables except in the skill of religious psychological support according to the years of experience variable for the benefit of (5-10 years). The study recommended conducting studies to examine the extent to which academics in universities have the counselling skills to train students of Psychological Counselling. The study also recommended strengthening the capacity of counsellors to deal with crises, especially in following skills: empathy, re-summarizing, and the skill of religious psychological support and the reversal of feelings.

مقدمة

تعتبر الخدمة الإرشادية من أرقى الخدمات التي تقدم في المجتمع ككل والمدرسة كجزء من المجتمع لذلك إن التعامل مع الأزمات المدرسية أمراً ليس يسيراً ، بل يتطلب أن يكون المرشد التربوي قد حصل علي تدريب كافي في التعامل مع الأزمات المدرسية من قبل وزارة التربية والتعليم كونها الجهة المسؤولة عنه، حيث تساعد الخدمات النفسية والإرشادية على الوقاية من الوقوع في الاضطرابات النفسية والانحرافات السلوكية ، وكذلك تقوية ثقة الفرد بنفسه وشعوره بالأمن ومساعدته على حل المشكلات في جميع المجالات التربوية والمهنية والزوجية والأسرية، مما يساعد على تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي والتمتع بقدر عالٍ من الصحة النفسية.(حسين ، 2004 :24).

وقد شهد المجتمع الفلسطيني العديد من الأزمات من حروب ومذابح ومجازر و قصف للطائرات وإجتياحات وهدم منازل فوق رؤوس ساكنيها، كل هذه العوامل أسهمت بشكل كبير في وجود مجموعة من الاضطرابات النفسية، فجعلت جميع فئات المجتمع بحاجة الى تدخل نفسي من قبل أخصائيين وأطباء ومرشدين أكفاء للتعامل مع هذه الظروف والحالات، حيث إن الطالب الذي يعيش في جو يسوده التوتر والقلق ، فهو بحاجة ماسة إلي تلك التدخلات النفسية ، ولا بد من تقديم التدخلات النفسية بمهارة عالية كي تساعده على الحد من المشاكل التي تواجهه، مما أدى إلي نشوء فكرة الدراسة، وغذى هذه الفكرة شعور الباحث من خلال عمله أن بعض المرشدين بحاجة الى تدريب، وقد راعي الباحث في هذا الدراسة أن يكون واقعياً متضمناً جميع الجوانب المختلفة المتعلقة بالمهارات الإرشادية للتعامل مع الأزمات المدرسية .

مشكلة الدراسة : وتتبلور مشكلة الدراسة في الإجابة على التساؤلات التالية:-

1. ما مستوى امتلاك المرشد التربوي للمهارات الإرشادية في التعامل أثناء الأزمات بمحافظة غزة؟
2. هل توجد فروق ذات دلالة احصائية لامتلاك المرشد التربوي للمهارات الإرشادية في التعامل أثناء الأزمات بمحافظة غزة تعزى لمتغيرات الدراسة (الجنس، جامعة التخرج ، سنوات الخبرة)

أهداف الدراسة: تتحدد أهداف الدراسة الحالية فيما يلي:

1. التعرف على مستوى امتلاك المرشد التربوي للمهارات الإرشادية في التعامل أثناء الأزمات بالمدارس الحكومية بمحافظة غزة .
2. التعرف على الفروق في المهارات الإرشادية لدى المرشدين تبعاً للمتغيرات (الجنس - جامعة التخرج- سنوات الخبرة).

أهمية الدراسة:

1. تمثل الدراسة الحالية محاولة هادفة للتعرف علي مستوى امتلاك المرشد التربوي للمهارات الإرشادية في التعامل أثناء الأزمات بمحافظة غزة.
2. تناول موضوعاً حيويًا يهم ويخدم العاملين في ميدان الإرشاد التربوي والمعلمين والمدراء وأولياء الأمور ويهم كذلك صانعي القرار التربوي من أجل رفع مستوى الإرشاد التربوي .
3. قد تساعد في إنشاء برنامج للخدمات الإرشادية للطلاب، وذلك من شأنه تخفيف حدة الأزمة لديهم ورفع مستوى الأداء والتحصيل الدراسي الذي يتأثر بالأزمات.

4. تقدم الدراسة إطاراً نظرياً حول مفهوم المهارات الإرشادية، الأمر الذي يدفع بعض الباحثين في المجال النفسي لإجراء المزيد من الدراسات التي تتناول المهارات الإرشادية وعلاقته ببعض المتغيرات التربوية والنفسية الأخرى.

حدود الدراسة:

1. **الحد الموضوعي:** ويتحدد في عنوان الدراسة وهو المهارات الإرشادية المرشد التربوي في التعامل أثناء الأزمات بمحافظة غزة

2. **الحد المكاني:** طبقت هذه الدراسة على المرشدين العاملين في المدارس الحكومية التابعة لوزارة التربية والتعليم بمحافظة غزة.

3. **الحد الزمني:** طبقت الدراسة خلال الفصل الدراسي الثاني للعام الدراسي 2013-2014م

1. **الحد النوعي:** طبقت هذه الدراسة على عينة بسيطة المرشدين العاملين في المدارس الحكومية بمحافظة غزة.

مصطلحات الدراسة:

1. **المرشد التربوي:** وهو الشخص الحاصل على شهادة البكالوريوس أو الماجستير في علم النفس أو الإرشاد النفسي ، يقدم خدمة

إنسانية لمساعدة الطلبة على حل مشكلاتهم ، في المدارس الحكومية التابعة لوزارة التربية والتعليم الفلسطينية أو مدارس الغوث".

2. **المهارة :** هي القيام بأداء مهمة عقلية أو اجتماعية أو حركية بسهولة ومرونة وكفاءة عالية وبأقصر وقت ممكن".

3. **المهارة الإرشادية:** وقد عرف الباحث المهارة الإرشادية إجرائياً: هي قدرة المرشد على الوصول لأهدافه في كل لقاء، باستخدام

الفنيات والتقنيات المناسبة.

4. **الأزمات المدرسية:** حدث مفاجئ أو مجموعة من الأحداث ، ينطوي عليها سلسلة من التطورات المتلاحقة تتضمن تهديداً

لأهداف أو موارد المؤسسة التعليمية (المدرسة) أو استقرار العملية التعليمية ، وقد يتعلق هذا التهديد بالبنية الأساسية المادية

للعلمية التعليمية ذاتها (مبني المدرسة، الأثاث... الخ) ، أو المكون البشري (الطلاب أو المعلمين أو الفريق الإداري للمدرسة)

أو كلهم معاً، ويولد هذا الموقف ضغطاً على أطراف الأزمة بضرورة إتخاذ قرار ما خلال فترة زمنية محددة (الموسى ، 2005 :

10).

الإطار النظري

تمهيد:

يعد دور المرشد التربوي من الأدوار المهمة وخاصة في مساعدة الفرد على حل مشكلاته وتعديل السلوك وتقييمه ويعمل على زيادة

ثقة الفرد بنفسه وقدراته وإمكانياته ويساعده على التكيف النفسي والاجتماعي. وإن العمل الإرشادي في المدرسة مسئولية جماعية

يشارك فيها المرشد ومدير المدرسة، والمعلمون ، وأولياء الأمور وغيرهم إلا أن المرشد هو المتخصص الأول لذلك، وبدون المرشد

يكون من الصعب تنفيذ أي برنامج للتوجيه والإرشاد لأن المرشد هو المتخصص في تنفيذ العمليات الرئيسية في التوجيه والإرشاد

وخاصة عملية الإرشاد نفسها(زهران، 1980: 469).

يعرف المرشد التربوي "بأنه الشخص المهني المتخصص في حقل التوجيه والإرشاد ، والذي يقدم خدمات التوجيه والإرشاد في

المدرسة بشكل متفرغ" (عوض ، 2003 : 8).

صفات المرشد التربوي: قد حددت الجمعية الأمريكية للتربية والإشراف للمرشدين (AESC) الصفات الشخصية التي يجب أن تتمثل في المرشد وهي : الإيمان بقدرة كل فرد على تغيير نفسه بنفسه، و الإيمان بالقيم الإنسانية عند المسترشد، والقدرة على تقبل التغيير وكل جديد يحدث في العالم، يمتلك قدرة عقلية منفتحة، القدرة على فهم ذاته وفهم الآخرين، الأمانة والإلتزام المهني والعلمي (أبو عطية، 1997:101) .

دور المرشد التربوي كما حددتها وزارة التربية والتعليم: وقد حددت الادارة العامة للتوجيه والإرشاد لوزارة التربية والتعليم العالي الفلسطينية (2002) أدوار ومهام المرشد التربوي وقسمتها الي قسمين : أدوار أساسية وأدوار ثانوية ، كما وضحت الممارسات التي ينبغي أن يبتعد المرشد التربوي عن القيام بها في المدرسة.

المهارة الارشادية: هي قدرة الفرد علي أداء أنواع من المهام العلمية بكفاءة عالية بحيث يقوم الفرد بالمهمة بسرعة وبدقة وإتقان مع اقتصاد في الوقت والجهد (اللولو ، 2005: 15). وعرفت المهارات الإرشادية بأنها مجموعة الفنيات والكفايات التي يمتلكها المرشد ويمارسها أثناء المقابلة والعملية الإرشادية ، لمساعدة العميل على التوافق مع نفسه و بيئته ، وتحقيق ذاته ، وتنمية قدرته وحل مشاكله بأقصى درجات الكفاءة والإنتاجية (العبادة والمحتسب ، 2012: 13).

أهمية اكتساب المهارات الإرشادية: يحتاج الإنسان إلي مجموعة من المهارات التي تمكنه من التواصل مع الآخرين، والتفاعل معهم ، وتعيينه على تحقيق أهدافه بنجاح، وتكفل له حياة اجتماعية سعيدة، وبقدر ما يتقن الفرد المهارات يكون تميزه في حياته أعظم، لذلك فإن الإتجاهات الحديثة في التعليم من أجل الحياة تعمل على تسليح المتعلم للتعامل مع مواقف الحياة المختلفة، وعلى احتمال الضغوط، ومواجهة التحديات اليومية وبما يمكنه من حل مشكلاته الشخصية والاجتماعية والتعامل معها بوعي وثقة، وبشكل عام فإن إمتلاك المهارات يساعد المرشد على ما يلي :

- تكسبه ثقة في نفسه ، وتشعره بالراحة والسعادة حين ينفذ أعماله بإتقان .
- تكسبه حب الآخرين، واحترامهم له، وتقديرهم لعمله، وتزيد من دافعيته .
- تساعده على تطبيق ما يتعلمه عملياً، وتمكنه من القيام بأعماله بنجاح .

تصنيف المهارات الإرشادية :

أولاً : مهارة الدعم النفسي الديني : إن الإرشاد النفسي الديني هو طريق توجيه وإرشاد وعلاج وتربية وتعليم ، تقوم على معرفة الفرد لنفسه ولربه ولدينه ولقيمه ومبادئه الدينية والأخلاقية (زهران ، 1980: 358).

بينما يفرق السهل(9:2001)، الإرشاد النفسي الديني والإرشاد الديني ، حيث يوجد فرق شاسع بين المصطلحين ، فالإرشاد الديني ليس بالضرورة أن يكون له بعد نفسي ، بل قد يكتفي بالجانب الشرعي ويقوم به شخص مختص بالعلوم الشرعية ، بينما الإرشاد النفسي الديني يتناول بالضرورة البعد النفسي ويقوم به شخص مختص بالعلوم النفسية .

ثانياً: مهارة التعاطف (Empathy) : إن التعاطف يختلف عن العطف والشفقة وهو نوع من أنواع المشاركة الوجدانية الضرورية لنجاح العلاقة المهنية، ويتضمن التفهم وليس بالضرورة الموافقة على ما يقوله العميل ، والتعاطف يجب أن يعكس شعوراً بالتقدير الدقيق من قبل المرشد للمشاعر التي تمتلك المسترشد محاولاً معاشتها من وجهة نظر المرشد، ولكن لا يجب أن تقسر هذه المشاعر بنفس التفسير الذي يتبناه المسترشد، وتزداد أهمية هذه المهارة في بعض المشكلات الصعبة كالسلوك المضاد للمجتمع

(إبراهيم، 1988: 86). ويرى الباحث أنه لابد للمرشد أن يستخدم مهارة التعاطف حيث تسمى (N.U.R.S) والتي يقصد بها أن يستخدم المرشد المتمرس المهارات التالية بالترتيب (التسمية ، الفهم ، الإحترام ، الدعم) حيث يقوم البعض باستخدام إحدى المهارات وليس الكل.

مهارة التعامل مع الأزمات وبناء الأمل لدى المسترشد:-

الأزمة: هي فترة حرجة أو حالة غير مستقرة يترتب عليها حدوث نتيجة مؤثرة، وتتطوي في الأغلب علي أحداث سريعة وتهديد للقيم أو الأهداف التي يؤمن بها من يتأثر بالأزمة.

تشخيص الأزمة: إن الأزمة في حقيقتها ليست أكثر من مرض خطير هاجم جسداً فوجده منهك القوى ضعيف المقاومة ، ومن ثم كان بديهياً القول بأن التشخيص السليم للأزمة هو بداية الاهتمام للأسلوب الأمثل للتعامل معها ، ويمكن تشخيص الأزمة عبر ما يسمي بالمنهج الشامل الذي يقوم علي المحاور الآتية:

1. استقرار تاريخ الأزمة وتصنيفه إلى مراحل .

2. تفكيك الأزمة إلي الأجزاء التي تفاعلت على نحو معين مما أدى إلي حدوثها .

ويرى (أبو أسعد ، 2011 : 193) أنه لابد من تشخيص الأزمة وتحديد أسبابها حتي يستطيع أن يتدخل بطريقة صحيحة من خلال :

1. تحديد الأزمة بدقة.

2. قدرة المرشد على التفريق بين الأزمة الظاهرية والأزمة الحقيقية ، فالأولى قد يفتعلها آخرون من أجل لفت الانتباه وإنهاك القوى ، مثلاً قد يغمى على طالب في المدرسة من أجل لفت الانتباه له وهو قد يكون مصاباً بالصرع ، وعلى المرشد المبدع أن يمتلك حساسية بالغة تجاه المشاكل والأزمات فيتمكن من تحديد طبيعة الأزمة قبل الحكم عليها.

3. أهم الإستراتيجيات للتعامل مع الأزمات :

كبت الأزمة، تفرغ الأزمة، إنكار الأزمة أو بخسها، عزل قوى الأزمة.. احتواء الأزمة، تصعيد الأزمة، تفرغ الأزمة من مضمونها، استراتيجية التفرغ كثيراً ما تستخدم في الأزمات الدينية والثقافية(أبو أسعد ، 2011 : 193).

4. **مهارة بناء الأمل:** تعتبر مهارة بناء الأمل لدى المرشد لما لها من أهمية وصبغة في نفس المرشد وقت الأزمة حيث تعتبر دافعاً لتخطي المواقف الضاغطة التي يتعرض لها ، لذلك على المرشد أن يكون باستمرار متفائلاً ولا يدخل اليأس إلى داخله حتى يكون مرشداً ناجحاً ومبدعاً ، ولو استمع المرشد إلى كلام الآخرين المغرضين له لما استطاع أن يشعر بالتفاؤل أو بالأمل ، ولا يستطيع بالتالي أن يبني ذلك لدي المرشدين ، وفيما يلي اخترت لكم بعض الحكم والعبر التي يمكن للمرشد أن يتبعها ويعتبرها قوانين في حياته من أجل أن تساعد المرشد في بناء الأمل لديه ، وخاصة عندما يتعرض المرشد لأزمة من الأزمات السابقة التي تم ذكرها .(القضاة ، 1986 ، 1:430).

ثالثاً:التعامل مع الأزمات المدرسية: إن الأزمات التي تمر بها المدارس نقطة حرجة وحاسمة في كيان المدرسة تختلط فيها الأسباب بالنتائج ، مما يفقد مديري المدارس قدرتهم على التعامل معها ، واتخاذ القرار المناسب حيالها ، في ظل ظروف عدم التأكد وضيق الوقت ونقص المعلومات ، الأمر الذي يؤدي إلى إعاقة المدرسة عن تحقيق أهدافها ، وربما إحداث الخسائر المادية والبشرية ، مما

يفقد مديري المدارس قدرتهم على التعامل معها ، واتخاذ القرار المناسب حيالها ، في ظل ظروف عدم التأكد وضيق الوقت ونقص المعلومات ، الأمر الذي يؤدي إلى إعاقة المدرسة عن تحقيق أهدافها ، وربما إحداث الخسائر المادية والبشرية (الجهني ، 2010).

1.العناصر الأساسية لمعرفة وجود الأزمة:-

لمعرفة وجود الأزمة من عدمها لا بد من ظهور عناصر أساسية للأزمة وهي :

1. **عصر المفاجئة:** إذ أن الأزمة تنشأ وتتفجر في وقت مفاجئ غير متوقع بدقة وفي مكان مفاجئ أيضاً.
2. **عصر التهديد:** تتضمن الأزمة تهديداً للأهداف والمصالح في الحاضر والمستقبل.
3. **عصر الوقت:** أن الوقت المتاح أمام صناع القرار يكون مؤقتاً ضيقاً ومحدوداً (أبوفاة ، 2009 : 25).

2.تصنيف الأزمات المدرسية :

تتباين وتتعدد المعايير الخاصة بتصنيف الأزمات ، فلا تأتي الأزمات على وتيرة واحدة ولا نوع واحد ، كما لا تتفق في حجمها ومدى تأثيرها ، ولذا تم تصنيف الأزمات لأنواع كثيرة ، حيث لم يتفق العلماء على تصنيف واحد لها .
فقد صنف الخضير الأزمات إلى عشرة أنواع من حيث مرحلة التكوين ، تكرار الحدوث ، والعمق ، والشدة ، والشمول والتأثر ، والموضوع أو المحور ، والإحساس بها ، وسرعتها ، والمستوى ، والمنطقة الجغرافية (الخضير، 2003:141).

وقد اضاف كلاً من (HILL & HILL,1994) ثلاث تصنيفات لأزمات المدارس وهي:

1. كوارث سببها الأضرار مثل جرائم العنف ، إطلاق النار ، الإنتحار وغيرها .
2. كوارث الحوادث تصدر عن سلوك غير معلوم ، مثل حوادث المواصلات ، الحريق ، المواد الكيميائية ، الغاز وغيرها .
3. كوارث الطبيعة مثل البراكين ، الزلازل ، الفيضانات... إلخ.

الدراسات السابقة:

دراسة (شومان ، 2008): هدف الدراسة : هدفت الدراسة إلى معرفة و تقويم مستوى الأداء الوظيفي للمرشدين النفسيين في محافظات قطاع غزة و معرفة الصورة التي هم عليها في أدائهم الوظيفي و ذلك في ضوء بعض متغيرات الدراسة. وتكونت عينة الدراسة من (207) مرشد و مرشدة من العاملين في كل من وكالة الغوث الدولية و المرشدين النفسيين العاملين في وزارة التربية والتعليم ، موزعين ما بين ذكور و إناث و وكالة و حكومة حسب الجنس و جهة العمل بواقع (104) مرشد من العاملين في وكالة الغوث و (103) مرشد من العاملين في وزارة التربية والتعليم موزعين مناصفة ما بين ذكور و إناث.

استخدم الباحث مقياس مستوى الأداء الوظيفي للمرشد النفسي من وجهة نظر مدرء المدارس و من واستخدم الباحث المنهج الوصفي وأظهرت نتائج الدراسة بأنه: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الأداء الوظيفي للمرشدين النفسيين تعزى لمتغير (الجنس، جهة العمل، سنوات الخبرة) ، توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الأداء الوظيفي للمرشدين النفسيين تعزى لمتغير رضا المرشدين عن العمل.

دراسة (أبويوسف، 2008): هدفت الدراسة إلى التعرف على مدى فعالية البرنامج التدريبي المقترح لتنمية المهارات الإرشادية لدى المرشدين النفسيين بمدارس وكالة الغوث الدولية بقطاع غزة، كما هدفت أيضاً التعرف على مستوى المهارات الإرشادية لدى المرشدين

النفسيين بمدارس وكالة الغوث الدولية بقطاع غزة، كما هدفت أيضاً التعرف على الفروق بين المرشدين النفسيين في مدى وجود المهارات الإرشادية لديهم تبعاً لمتغير الجنس و لمتغير التخصص ، و لمتغير سنوات ، و لمتغير جامعة التخرج. واستخدم الباحث المنهج التجريبي الإكلينيكي ، وتكونت العينة من عينه قصديه من المرشدين النفسيين بالمنطقة الجنوبية بلغت (11مرشدة). أظهرت نتائج الدراسة توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($0.05=\alpha$) بين القياس القبلي والقياس البعدي لمستوى المهارات الإرشادية لدى المرشدين النفسيين. وعدم توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($0.05=\alpha$) في كل من القياس القبلي والقياس البعدي لمستوى المهارات الإرشادية لدى المرشدين النفسيين تعزى لمتغير الجنس. وتوجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($0.05=\alpha$) في كل من القياس القبلي والقياس البعدي لمستوى المهارات الإرشادية لدى المرشدين النفسيين تعزى لمتغير التخصص لصالح المتخصصين علم نفس، و لسنوات الخبرة لصالح ذوي الخبرة الأكثر من أربع سنوات، و لصالح جامعه التخرج لصالح خريجي الجامعة الإسلامية.

إجراءات الدراسة: منهج الدراسة: من أجل تحقيق أهداف الدراسة قام الباحث باستخدام المنهج الوصفي التحليلي الذي يتم من خلاله وصف الظاهرة موضوع الدراسة، وهو أحد أشكال التحليل والتفسير العلمي المنظم لوصف ظاهرة أو مشكلة محددة وتصويرها كميًا (أبوخطب وصادق : 1991، 105).

مجتمع الدراسة : يتكون مجتمع الدراسة من جميع المرشدين التربويين في محافظات غزة للعام 2014م.

عينة الدراسة: اشتملت عينة الدراسة على عينة عشوائية بسيطة تكونت من (141) مرشداً ومرشدة من العاملين في مدارس وزارة التربية والتعليم بمحافظة غزة للعام 2014 م .

جدول رقم (1)

يوضح توزيع أفراد عينة الدراسة حسب متغيرات الدراسة

المتغير	فئات المتغير	العدد	النسبة المئوية
الجنس	ذكر	73	51.77
	انثي	68	48.23
الجامعة	الأقصى	25	17.73
	الاسلامية	50	35.46
	الأزهر	22	15.60
	القدس المفتوحة	21	14.89
	أخرى	23	16.31
عدد سنوات الخدمة	أقل من 5 سنوات	38	26.95
	من 5-10 سنوات	57	40.43
	أكثر من 10 سنوات	46	32.62

أدوات الدراسة :

أولاً: استبانة المهارات الإرشادية في التعامل أثناء الأزمات

وقد بلغ عدد فقرات الإستبانة بعد صياغتها النهائية (37) فقرة موزعة على ثلاثة أبعاد حيث أعطى لكل فقرة وزن مدرج وفق سلم ليكرت الخماسي (كبيرة جداً، كبيرة، متوسطة، قليلة، قليلة جداً) وقد أعطيت الأوزان التالية (5 ، 4 ، 3 ، 2 ، 1) وبحسب المحك في الجدول التالي:-

جدول رقم (2) جدول يوضح طول الخلية والوزن النسبي المقابل لها ودرجة التوافر

طول الخلية	الوزن النسبي المقابل له	درجة التوافر
من 1.80-1.00	من 36% فأقل	ضعيفة جداً
من 2.60-1.81	أكثر من 36% - 52%	ضعيفة
من 3.40-2.61	أكثر من 52% - 68%	متوسطة
من 4.20-3.41	أكثر من 68% - 84%	كبيرة
من 5.00-4.21	أكثر من 84% - 100%	كبيرة جداً

صدق الإستبانة:

أولاً: **صدق المحكمين:** تم عرض الإستبانة على مجموعة من المختصين ممن يعملون في الجامعات الفلسطينية في محافظات غزة، حيث قاموا بإبداء آرائهم وملاحظاتهم حول مناسبة فقرات الاستبانة، ومدى انتماء الفقرات إلى كل بعد من أبعاد الاستبانة، وكذلك وضوح صياغاتها اللغوية، وفي ضوء تلك الآراء تم تعديل بعض الفقرات بدون إي حذف لأي منها.

ثانياً: **صدق الاتساق الداخلي:** تم التحقق من صدق الاتساق الداخلي (الصدق البنائي) للاستبانة بتطبيق الاستبانة على عينة استطلاعية مكونة من (30) مرشداً ومرشدة، وتم حساب معامل ارتباط بيرسون بين درجات كل بعد من أبعاد الاستبانة والدرجة الكلية للاستبانة وكذلك تم حساب معامل ارتباط بيرسون بين كل فقرة من فقرات البعد والدرجة الكلية للبعد الذي تنتمي إليه وذلك باستخدام البرنامج الإحصائي (SPSS) ، والجدول رقم (3) يبين ذلك.

الجدول(3)

معامل ارتباط كل فقرة من فقرات البعد الأول: مهارة الدعم النفسي الديني مع الدرجة الكلية للبعد

م	الفقرة	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
1.	أعمل على زيادة وعي المسترشد بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.	0.372	دالة عند 0.05
2.	أحث المسترشد على الصلاة و صلاة النوافل.	0.781	دالة عند 0.01
3.	أساعد المسترشد على التحلي بالصبر أثناء حدوث الأزمة.	0.661	دالة عند 0.01
4.	اساعد المسترشد الذي تعرض للأزمة على تقبلها	0.732	دالة عند 0.01
5.	أقدم التوعية اللازمة للمسترشد بأن الخير والشر هو من عند الله.	0.731	دالة عند 0.01
6.	احث المسترشد بالدعاء لله لتخفيف وطأة الأزمة.	0.766	دالة عند 0.01
7.	أذكر المسترشد بالنعم التي أنعم الله بها عليه.	0.503	دالة عند 0.01
8.	أقدم نماذج من قصص الصحابة للمسترشد أثناء حدوث الأزمة.	0.679	دالة عند 0.01
9.	أساعد المسترشد على زيادة وعيه بالإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره.	0.712	دالة عند 0.01

ر الجدولية عند درجة حرية (28) وعند مستوى دلالة (0.01) = 0.463

ر الجدولية عند درجة حرية (28) وعند مستوى دلالة (0.05) = 0.361

يبين الجدول السابق أن معاملات الارتباط بين كل فقرة من فقرات البعد والدرجة الكلية لفقراته دالة عند مستوى دلالة (0.01،0.05)، وتراوحت معاملات الارتباط بين (0.372-0.781) ، وبذلك تعتبر فقرات البعد صادقة لما وضعت لقياسه.

ثانياً: البعد الثاني مهارة التعاطف: والجدول رقم (4) يوضح معامل الارتباط للفقرات مع الدرجة الكلية للمجال.

الجدول (4)

معامل ارتباط كل فقرة من فقرات البعد الثاني: مهارة التعاطف مع الدرجة الكلية للبعد

م	الفقرة	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
1.	من خلال اللقاء يفهم المسترشد أنني أتفهم ردة فعله.	0.498	دالة عند 0.01
2.	أقدم خدمة الإرشاد رغم عدم تفهمي للمسترشد.	0.373	دالة عند 0.05
3.	أفتنع بكل ما يقوله المسترشد.	0.698	دالة عند 0.01
4.	أقوم بتسمية الشعور للمسترشد.	0.388	دالة عند 0.05
5.	أتفهم مشاعر المسترشد وقت الأزمة.	0.398	دالة عند 0.05
6.	أظهر احترامي للمسترشد عن طريق التواصل غير اللفظي.	0.400	دالة عند 0.05
7.	أوضح للمسترشد بأنني موجود لتقديم الدعم والمساندة له .	0.426	دالة عند 0.05
8.	لا أتفهم مشاعر المسترشد وقت الازمة.	0.497	دالة عند 0.01
9.	لا أفتنع بكل ما يقوله المسترشد.	0.651	دالة عند 0.01
10.	أظهر احترامي للمسترشد عن طريق التواصل اللفظي.	0.562	دالة عند 0.01

ر الجدولية عند درجة حرية (28) وعند مستوى دلالة (0.01) = 0.463

ر الجدولية عند درجة حرية (28) وعند مستوى دلالة (0.05) = 0.361

يبين الجدول السابق أن معاملات الارتباط بين كل فقرة من فقرات البعد والدرجة الكلية لفقراته دالة عند مستوى دلالة (0.01) و (0.05)، وتراوحت معاملات الارتباط بين (0.373-0.698)، وبذلك تعتبر فقرات البعد صادقة لما وضعت لقياسه.

ثالثاً: البعد الثالث: مهارة التعامل مع الأزمات وبناء الامل: والجدول رقم (5) يوضح معامل الإرتباط للفقرات مع الدرجة الكلية للمجال.

الجدول (5)

معامل ارتباط كل فقرة من فقرات البعد الثالث: مهارة التعامل مع الأزمات وبناء الأمل مع الدرجة الكلية للبعد

م	الفقرة	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
1.	أشجع المسترشد على سلوكه الإيجابي خلال الأزمة .	0.707	دالة عند 0.01
2.	أعمل على التخفيف من الآثار الناجمة عن الأزمة.	0.647	دالة عند 0.01
3.	استطيع أن أوجه الأسئلة الموجهة لبناء الأمل للمسترشد.	0.686	دالة عند 0.01
4.	أقدم إرشاد أسري للأهالي حول الأعراض الناجمة عن الأزمة.	0.402	دالة عند 0.05
5.	أتعامل بخطة إجرائية معدة مسبقاً مع الأزمة.	0.471	دالة عند 0.01
6.	أقنع المسترشد بأهمية دوري الإرشادي وقت الأزمة.	0.645	دالة عند 0.01
7.	أساعد على تهدئة وطمأنة المسترشد وقت الأزمة.	0.646	دالة عند 0.01
8.	أساعد المسترشد الذي تعرض للأزمة علي تطوير أهداف واقعية ومناسبة.	0.631	دالة عند 0.01
9.	أبحث عن أشخاص داعمين للحالات المتعرضة للأزمة.	0.588	دالة عند 0.01
10.	أحتفظ باتزان الانفعالي (بتماسكي ورباطة جأشي) أثناء الأزمة.	0.478	دالة عند 0.01
11.	أستطيع التفرقة بين أزمة المسترشد الظاهرية والأزمة الحقيقية.	0.655	دالة عند 0.01
12.	أساعد المسترشد على اتخاذ قرارات دون خوف من الفشل.	0.369	دالة عند 0.01
13.	أحتفظ بالأمل والتفاؤل أثناء الأزمة.	0.487	دالة عند 0.01
14.	أشجع المسترشد الذي تعرض للظروف الصعبة علي الأمل والتفاؤل بالمستقبل.	0.505	دالة عند 0.01
15.	أساعد المسترشد على أن يكون صبوراً ومتسامحاً.	0.504	دالة عند 0.01
16.	أساعد المسترشد على إدارة وقته وأن يفرق بين العاجل والمهم والبدء بالعاجل ثم المهم.	0.581	دالة عند 0.01
17.	أساعد المسترشد المتعرض للأزمة بالنظر لأنفسهم بإيجابية.	0.637	دالة عند 0.01
18.	أستشير ذوي الخبرة في التعامل مع الأزمات المدرسية.	0.449	دالة عند 0.05

ر الجدولية عند درجة حرية (28) وعند مستوى دلالة (0.01) = 0.463

ر الجدولية عند درجة حرية (28) وعند مستوى دلالة (0.05) = 0.361

يبين الجدول السابق أن معاملات الارتباط بين كل فقرة من فقرات البعد والدرجة الكلية لفقراته دالة عند مستوى دلالة (0.01)،

(0.05)، وتراوحت معاملات الارتباط بين (0.369-0.707) ، وبذلك تعتبر فقرات البعد صادقة لما وضعت لقياسه.

وللتحقق من الصدق البنائي للأبعاد قام الباحث بحساب معاملات الارتباط بين درجة كل بعد من أبعاد الاستبانة والأبعاد الأخرى

وكذلك كل بعد بالدرجة الكلية للاستبانة والجدول (6) يوضح ذلك.

الجدول (6)

مصفوفة معاملات ارتباط كل بعد من أبعاد الاستبانة والأبعاد الأخرى وكذلك كل بعد بالدرجة الكلية للاستبانة

البعد الثالث	البعد الثاني	البعد الأول	الدرجة الكلية للاستبانة	معامل ارتباط بيرسون
		1	0.859	البعد الأول: مهارة الدعم النفسي الديني
	1	0.588	0.835	البعد الثاني: مهارة التعاطف
1	0.647	0.717	0.927	البعد الثالث: مهارة التعامل مع الأزمات وبناء الأمل

ر الجدولية عند درجة حرية (28) وعند مستوى دلالة (0.01) = 0.463

ر الجدولية عند درجة حرية (28) وعند مستوى دلالة (0.05) = 0.361

يتضح من الجدول السابق أن جميع الأبعاد ترتبط ببعضها البعض وبالدرجة الكلية للاستبانة ارتباطاً ذو دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.01) وهذا يؤكد أن الاستبانة تتمتع بدرجة عالية من الصدق والاتساق الداخلي.

ثبات الاستبانة **Reliability**: أجرى الباحث خطوات التأكد من ثبات الإستبانة وذلك بعد تطبيقها على أفراد العينة الاستطلاعية بطريقتين وهما التجزئة النصفية ومعامل ألفا كرونباخ.

1- طريقة التجزئة النصفية **Split-Half Coefficient**: تم استخدام درجات العينة الاستطلاعية لحساب ثبات الاستبانة بطريقة التجزئة النصفية حيث احتسبت درجة النصف الأول لكل بعد من أبعاد الاستبانة وكذلك درجة النصف الثاني من الدرجات وذلك بحساب معامل الارتباط بين النصفين ثم جرى تعديل الطول باستخدام معادلة سبيرمان براون (Spearman-Brown Coefficient) للأبعاد الزوجية ومعامل جتمان للأبعاد الفردية والجدول (7) يوضح ذلك:

الجدول (7)

يوضح معاملات الارتباط بين نصفي كل بعد من أبعاد الاستبانة وكذلك الاستبانة ككل قبل التعديل ومعامل الثبات بعد التعديل

البعد	عدد الفقرات	نوع الاختبار	معامل الثبات
البعد الأول: مهارة الدعم النفسي الديني	9	جتمان	0.731
البعد الثاني: مهارة التعاطف	10	سبيرمان براون	0.723
البعد الثالث: مهارة التعامل مع الأزمات وبناء الأمل	18	سبيرمان براون	0.679
الدرجة الكلية للاستبانة	37	جتمان	0.711

يتضح من الجدول السابق أن معامل الثبات الكلي للاستبانة (0.788) وهذا يدل على أن الاستبانة تتمتع بدرجة عالية من الثبات تظمن الباحث إلى تطبيقها على عينة الدراسة.

2- طريقة ألفا كرونباخ:

استخدم الباحث طريقة أخرى من طرق حساب الثبات وهي طريقة ألفا كرونباخ، وذلك لإيجاد معامل ثبات الاستبانة، حيث حصل على قيمة معامل ألفا لكل بعد من أبعاد الاستبانة وكذلك للاستبانة ككل والجدول (8) يوضح ذلك:

الجدول (8)

يوضح معاملات ألفا كرونباخ لكل بعد من أبعاد الاستبانة وكذلك للاستبانة ككل

البعد	عدد الفقرات	معامل ألفا كرونباخ
البعد الأول: مهارة الدعم النفسي الديني	9	0.832
البعد الثاني: مهارة التعاطف	10	0.626
البعد الثالث: مهارة التعامل مع الأزمات وبناء الأمل	18	0.857
الدرجة الكلية للاستبانة	37	0.772

يتضح من الجدول السابق أن معامل الثبات الكلي للاستبانة (0.904) وهذا يدل على أن الاستبانة تتمتع بدرجة عالية من الثبات تطمئن الباحث إلى تطبيقها على عينة الدراسة.

إجراءات تطبيق أدوات الدراسة:

1- إعداد الأداة بصورتها النهائية.

2- بعد إجراء الصدق والثبات قام الباحث بتوزيع (141) استبانة صالحة للتحليل الإحصائي.

3- تم ترقيم وترميز أداة الدراسة، كما تم توزيع البيانات حسب الأصول ومعالجتها إحصائياً، من خلال جهاز الحاسوب للحصول على نتائج الدراسة.

الأساليب الإحصائية المستخدمة في الدراسة:

لقد تم تنقيح وتحليل الإستانة من خلال برنامج (SPSS) الإحصائي وتم استخدام الأساليب الإحصائية التالية:

1- التكرارات والمتوسطات الحسابية والنسب المئوية.

2- معامل ارتباط بيرسون "Pearson".

3- التجزئة النصفية، ومعامل ارتباط ألفا كرونباخ.

4- اختبار T.Test.

5- تحليل التباين الأحادي.

نتائج الدراسة

الإجابة عن السؤال الأول من أسئلة الدراسة: وينص على: " ما مستوى امتلاك المرشد التربوي للمهارات الإرشادية في التعامل مع الأزمات في محافظات غزة؟ وللإجابة عن هذا التساؤل قام الباحث باستخدام التكرارات والمتوسطات والنسب المئوية، والجدول التالي توضح ذلك:

الجدول (9)

التكرارات والمتوسطات والانحرافات المعيارية والوزن النسبي لكل بعد من أبعاد الاستبانة وكذلك ترتيبها في الاستبانة

م	البعد	المتوسط	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	الترتيب
1	البعد الأول: مهارة الدعم النفسي الديني	38.567	3.544	85.71	1
2	البعد الثاني: مهارة التعاطف	36.404	3.806	72.81	3
3	البعد الثالث: مهارة التعامل مع الأزمات وبناء الأمل	75.383	6.423	83.76	2
	الدرجة الكلية للاستبانة	50.118	4.591	81.27	

يتضح من الجدول (9) أن مهارة الدعم النفسي الديني حصلت على المرتبة الأولى بوزن نسبي (85.71%)، ثم مهارة التعامل مع الأزمات وبناء الأمل حيث بلغ الوزن النسبي (83.76%)، ثم مهارة التعاطف حيث بلغ الوزن النسبي (72.81%)، أما الدرجة الكلية للاستبانة حصلت على وزن نسبي (81.27%). وتفسير النتائج المتعلقة بامتلاك المرشد التربوي للمهارات الإرشادية للتعامل أثناء الأزمات بمحافظة غزة قام الباحث بإعداد الجداول الآتية الموضحة لمجالات الاستبانة بالشكل التالي:

البعد الأول مهارة الدعم النفسي الديني

جدول (10) التكرارات والمتوسطات والانحرافات المعيارية والوزن النسبي لكل فقرة من فقرات البعد وكذلك ترتيبها

م	الفقرة	المتوسط	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	الترتيب
1	أعمل على زيادة وعي المسترشد بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.	4.440	0.590	88.79	1
2	أحث المسترشد على الصلاة و صلاة النوافل.	4.277	0.698	85.53	7
3	أساعد المسترشد على التحلي بالصبر أثناء حدوث الأزمة.	4.340	0.607	86.81	3
4	اساعد المسترشد الذي تعرض للأزمة على تقبلها	4.248	0.678	84.96	8
5	أقدم التوعية اللازمة للمسترشد بأن الخير والشر هو من عند الله.	4.298	0.641	85.96	5
6	أحث المسترشد بالدعاء لله لتخفيف وطأة الأزمة.	4.298	0.694	85.96	6
7	أذكر المسترشد بالنعمة التي أنعم الله بها عليه.	4.348	0.654	86.95	2
8	أقدم نماذج من قصص الصحابة للمسترشد أثناء حدوث الأزمة.	3.979	0.857	79.57	9
9	أساعد المسترشد على زيادة وعيه بالإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره.	4.340	0.607	86.81	4
	الدرجة الكلية للمجال	38.567	3.544	85.71	

يتضح للباحث من خلال الجدول السابق ما يلي:

أن أعلى فقرتين في البعد كانت:

-الفقرة (1) والتي نصت على "أعمل على زيادة وعي المسترشد بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر " احتلت المرتبة الأولى بوزن نسبي قدره (88.79%).

-الفقرة (7) والتي نصت على "أذكر المسترشد بالنعم التي أنعم الله بها عليه " احتلت المرتبة الثانية بوزن نسبي قدره (86.95%).

وأن أدنى فقرتين في البعد كانت:

-الفقرة (4) والتي نصت على "اساعد المسترشد الذي تعرض للأزمة على تقبلها " احتلت المرتبة الثامنة بوزن نسبي قدره (84.96%).

-الفقرة (8) والتي نصت على "أقدم نماذج من قصص الصحابة للمسترشد أثناء حدوث الأزمة " احتلت المرتبة الأخيرة بوزن نسبي قدره (79.57%)، أما الدرجة الكلية للبعد حصل على وزن نسبي (85.71%).

ويفسر الباحث ذلك أن الفقرتين الأولى والسابعة حصلتا على أعلى وزن بإعتبار أن المرشدين يدينوا بالديانة الإسلامية والذي يعتبر الأساس في تحمل الصدمات والأزمات والذي يؤنس قلب المؤمن في تحمل الأزمات التي يمر بها، وإن تكبير الإنسان بنعم الله التي أنعم الله بها عليه يجعله يحتسب ما فقده عند الله، فلا يمكن للمرشد أن يقدم خدمته الإرشادية دون استخدام بعض الدلائل الدينية التي تكون لها أثر بالغ في استبصار المسترشد .

ويفسر الباحث حصول الفقرتين الرابعة والثامنة على وزن أقل وذلك لقلة خبرة المرشدين في توجيه المسترشدون وقت الأزمة لتقبل الحدث، فلا يمكن أن تتجح العملية الإرشادية دون تقبل المسترشد للحدث التي سبب له مشكلة ، أما الفقرة الثامنة من المرشدين يكون هدفهم تقديم الخدمة الإرشادية وقت الأزمة فمنهم من ليس لديه العلم الكافي بقصص الصحابة فيما يختص بتعاملهم وقت الأزمة.

البعد الثاني مهارة التعاطف

جدول (11) التكرارات والمتوسطات والانحرافات المعيارية والوزن النسبي لكل فقرة من فقرات البعد وكذلك ترتيبها

م	الفقرة	مجموع الاستجابات	المتوسط	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	الترتيب
1	من خلال اللقاء يفهم المسترشد أنني أتفهم ردة فعله.	603	4.277	0.688	85.53	5
2	أقدم خدمة الإرشاد رغم عدم تفهمي للمسترشد.	386	2.738	1.229	54.75	9
3	أقتنع بكل ما يقوله المسترشد.	395	2.801	0.994	56.03	7
4	أقوم بتسمية الشعور للمسترشد.	555	3.936	0.804	78.72	6
5	أتفهم مشاعر المسترشد وقت الأزمة.	621	4.404	0.521	88.09	2
6	أظهر احترامي للمسترشد عن طريق التواصل غير اللفظي.	618	4.383	0.617	87.66	4
7	أوضح للمسترشد بأنني موجود لتقديم الدعم والمساندة له.	626	4.440	0.602	88.79	1
8	لا أتفهم مشاعر المسترشد وقت الأزمة.	314	2.227	1.284	44.54	10
9	لا أقتنع بكل ما يقوله المسترشد.	394	2.794	1.112	55.89	8
10	أظهر احترامي للمسترشد عن طريق التواصل اللفظي.	621	4.404	0.609	88.09	3
	الدرجة الكلية للمجال	5133	36.404	3.806	72.81	

يتضح للباحث من خلال الجدول السابق:

أن أعلى فقرتين في البعد كانت:

-الفقرة (7) والتي نصت على "أوضح للمسترشد بأني موجود لتقديم الدعم والمساندة له " احتلت المرتبة الأولى بوزن نسبي قدره (88.79%).

-الفقرة (5) والتي نصت على " أتفهم مشاعر المسترشد وقت الأزمة." احتلت المرتبة الثانية بوزن نسبي قدره (88.09%).

وأن أدنى فقرتين في البعد كانت:

-الفقرة (2) والتي نصت على " أقدم خدمة الإرشاد رغم عدم تفهمي للمسترشد " احتلت المرتبة الثامنة بوزن نسبي قدره (54.75%).

-الفقرة (8) والتي نصت على " لا أتفهم مشاعر المسترشد وقت الازمة " احتلت المرتبة الأخيرة بوزن نسبي قدره (44.54%).

أما الدرجة الكلية للبعد حصل على وزن نسبي (72.81%).

ويفسر الباحث ذلك أن الفقرتين الخامسة والسابعة حصلتا على أعلى وزن نسبي، لأن العمل الإرشادي قائم في الأساس على تقديم الدعم والمساندة للمسترشد، أي توضيح المرشد للمسترشد ما يستطيع أن يقدمه في العملية الإرشادية، أما الفقرة السابعة حصولها على ثاني أعلى وزن نسبي، لأن تفهم لمشاعر المسترشد في الجلسات الإرشادية تشعر المسترشد بالطمأنه وتساعد بشكل كبير في نجاح العملية الإرشادية.

أما الفقرتين الثانية والثامنة حصلتا على أقل وزن نسبي لأن العبارتين سلبيتان فمن الطبيعي حصولهم على أدنا درجات، لا يمكن أن تتجح العلاقة الإرشادية دون تفهم لمشاعر المسترشد أو "تقبله على ما هو عليه"، فالمرشد التربوي الناجح يسعى دائما لتفهم مشاعر المسترشد و تقبله كما هو لا كما يريد .

البعد الثالث مهارة التعامل مع الأزمات وبناء الأمل

جدول (12)

التكرارات والمتوسطات والانحرافات المعيارية والوزن النسبي لكل فقرة من فقرات البعد وكذلك ترتيبها

م	الفرقة	المتوسط	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	الترتيب
1	أشجع المسترشد على سلوكه الإيجابي خلال الأزمة .	4.404	0.573	88.09	1
2	أعمل على التخفيف من الآثار الناجمة عن الأزمة.	4.255	0.602	85.11	7
3	استطيع أن أوجه الأسئلة الموجهة لبناء الأمل للمسترشد.	4.284	0.565	85.67	4
4	أقدم إرشاد أسري للأهالي حول الأعراض الناجمة عن الأزمة.	3.858	0.858	77.16	18
5	أتعامل بخطة إجرائية معدة مسبقاً مع الأزمة.	4.106	0.694	82.13	12
6	أفقع المسترشد بأهمية دوري الإرشادي وقت الأزمة.	4.071	0.790	81.42	16
7	أساعد على تهدئة وطمأنة المسترشد وقت الأزمة.	4.404	0.609	88.09	1
8	أساعد المسترشد الذي تعرض للأزمة علي تطوير أهداف واقعية ومناسبة.	4.262	0.556	85.25	6
9	أبحث عن أشخاص داعمين للحالات المتعرضة للأزمة.	4.106	0.662	82.13	13
10	أحتفظ باتزان الانفعالي (بتماسكي ورباطة جأشي) أثناء الأزمة.	4.355	0.599	87.09	3
11	أستطيع التفرقة بين أزمة المسترشد الظاهرية والأزمة الحقيقية.	4.092	0.716	81.84	15
12	أساعد المسترشد على اتخاذ قرارات دون خوف من الفشل.	4.021	0.898	80.43	17
13	أحتفظ بالأمل والتفاؤل أثناء الأزمة.	4.106	0.763	82.13	14
14	أشجع المسترشد الذي تعرض للظروف الصعبة علي الأمل والتفاؤل بالمستقبل.	4.213	0.715	84.26	9
15	أساعد المسترشد على أن يكون صبوراً ومتسامحاً.	4.227	0.625	84.54	8
16	أساعد المسترشد على إدارة وقته وأن يفرق بين العاجل والمهم والبده بالعاجل ثم المهم.	4.206	0.660	84.11	10
17	أساعد المسترشد المتعرض للأزمة بالنظر لأنفسهم بإيجابية.	4.277	0.766	85.53	5
18	أستشير ذوي الخبرة في التعامل مع الأزمات المدرسية.	4.135	0.813	82.70	11
	الدرجة الكلية للمجال	75.383	6.423	83.76	

يتضح للباحث من خلال الجدول السابق:

أن أعلى فقرتين في البعد كانت:

- الفقرة (1 و7) والتي نصت على " اشجع المسترشد على سلوكه الإيجابي خلال الأزمة و أساعد على تهدئة وطمأنة المسترشد وقت الأزمة" احتلت المرتبة الأولى بوزن نسبي قدره (88.09%).

وأن أدنى فقرتين في البعد كانت:

-الفقرة (12) والتي نصت على" أساعد المسترشد على اتخاذ قرارات دون خوف من الفشل " احتلت المرتبة قبل الأخيرة بوزن نسبي قدره (80.43%).

-الفقرة (4) والتي نصت على" اقدم إرشاد أسري للأهالي حول الأعراض الناجمة عن الأزمة " احتلت المرتبة الأخيرة بوزن نسبي قدره (77.16%).

ويفسر الباحث ذلك حصول الفقرتين الأولى والسابعة على أعلى وزن نسبي لأن الثناء على السلوك الإيجابي للمسترشدين يشجع المسترشد بالصبر على ما حل به من أزمة، كذلك التشجيع على السلوك الإيجابي يساعده المسترشد بالنظر لنفسه بإيجابية وتعيد الثقة له بنفسه، ويكون لهذا التشجيع أثر كبير في تجاوز الأزمة، أما الفقرة السابعة حصلت على الترتيب الأول مكرر لأن المرشد يسعى دائماً إلى طمأنة المسترشد وقت حدوث الأزمة حتي يستطيع أن يجمع قواه العقلية ويرتب أفكاره بمنطق وينطلق بحلول جديدة ، لأن المسترشد في وقت الأزمة لا يريد حلول أو اقتراحات لحلول بل يريد أن يشعر بالطمأنه والراحة.

كما وحصلت الفقرة الثانية عشر على دنى فقره يعزو الباحث ذلك لعدم ثقة المرشدين بقدرات المسترشدين على إتخاذ القرارات المصيرية وقت الأزمة، وفي أغلب الظروف لا يكون المسترشدين مستبصرين بذاتهم.

أما الفقرة الرابعة حصلت على أدنى وزن نسبي حيث يعزى ذلك إلى ضعف تواصل الأهالي مع المرشدين ويعود ذلك لعدم وعي الأهالي بدور المرشد في تعديل سلوك ابنهم، كذلك لا التواصل مع الأهالي يحتاج لإجراءات تأخذ وقت وجهد في التنسيق للزيارات الإسرية ، كذلك يتطلب من المرشد الخبرة الكافية في تقديم الإرشاد الإسري .

الإجابة عن السؤال الثاني من أسئلة الدراسة: وينص على: هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في امتلاك المرشد التربوي للمهارات الإرشادية في التعامل أثناء الأزمات بمحافظة غزة تعزى لمتغيرات الدراسة (الجنس، الجامعة، سنوات الخبرة)،؟

أولاً: بحسب متغير الجنس: وللإجابة عن هذا التساؤل قام الباحث باستخدام اختبار "T. test" والجدول (13) يوضح ذلك:

جدول (13) المتوسطات والانحرافات المعيارية وقيمة "ت" للاستبانة تعزى لمتغير الجنس

البعد	الجنس	العدد	المتوسط	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	قيمة الدلالة	مستوى الدلالة
البعد الأول: مهارة الدعم النفسي الديني	ذكر	73	38.466	3.567	0.352	0.726	غير دالة إحصائياً
	أنثي	68	38.676	3.543			
البعد الثاني: مهارة التعاطف	ذكر	73	36.137	3.935	0.863	0.390	غير دالة إحصائياً
	أنثي	68	36.691	3.670			
البعد الثالث: مهارة التعامل مع الأزمات وبناء الأمل	ذكر	73	75.425	6.263	0.080	0.937	غير دالة إحصائياً
	أنثي	68	75.338	6.637			
الدرجة الكلية للاستبانة	ذكر	73	150.027	11.942	0.335	0.738	غير دالة إحصائياً
	أنثي	68	150.706	12.082			

قيمة "ت" الجدولية عند درجة حرية (139) وعند مستوى دلالة (0.05) = 1.96

قيمة "ت" الجدولية عند درجة حرية (139) وعند مستوى دلالة (0.01) = 2.58

يتضح من الجدول السابق أن قيمة "ت" المحسوبة اقل من قيمة "ت" الجدولية في جميع الأبعاد والدرجة الكلية للاستبانة، وهذا يدل على عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير الجنس، حيث اتفقت مع نتائج دراسة أويوسف (2008) بأنه لا توجد فروق في كل من القياس القبلي والبعدي لمستوى المهارات الإرشادية لدى المرشدين النفسيين تعزى لمتغير الجنس.

ثانياً بحسب متغير الجامعة: وللإجابة عن هذا التساؤل قام الباحث باستخدام أسلوب تحليل التباين الأحادي One Way .ANOVA

جدول (14)

مصدر التباين ومجموع المربعات ودرجات الحرية ومتوسط المربعات وقيمة "ف" ومستوى الدلالة تعزى لمتغير خريج الجامعة

البعد	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة "ف"	قيمة الدلالة	مستوى الدلالة
البعد الأول: مهارة الدعم النفسي الديني	بين المجموعات	32.654	4	8.164	0.643	0.633	غير دالة إحصائياً
	داخل المجموعات	1725.956	136	12.691			
	المجموع	1758.610	140				
البعد الثاني: مهارة التعاطف	بين المجموعات	88.813	4	22.203	1.557	0.189	غير دالة إحصائياً
	داخل المجموعات	1939.145	136	14.258			
	المجموع	2027.957	140				
البعد الثالث: مهارة التعامل مع الأزمات وبناء الأمل	بين المجموعات	221.438	4	55.359	1.356	0.253	غير دالة إحصائياً
	داخل المجموعات	5553.881	136	40.837			
	المجموع	5775.319	140				
الدرجة الكلية للاستبانة	بين المجموعات	461.595	4	115.39	0.801	0.527	غير دالة إحصائياً
	داخل المجموعات	19602.67	136	144.13			

البعد	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة "ف"	قيمة الدلالة	مستوى الدلالة
	المجموع	5	7				
		20064.270	140				

ف الجدولية عند درجة حرية (4،136) وعند مستوى دلالة (0.01) = 3.44

ف الجدولية عند درجة حرية (4،136) وعند مستوى دلالة (0.05) = 2.43

يتضح من الجدول السابق أن قيمة "ف" المحسوبة أقل من قيمة "ف" الجدولية عند مستوى دلالة (0.05) في جميع الأبعاد والدرجة الكلية للاستبانة، أي أنه لا توجد فروق ذات دلالة احصائية

تعزى لمتغير خريج الجامعة، كما واختلفت مع نتائج دراسة أبيوسف (2008) في كل من القياس القبلي والبعدي لمستوى المهارات الإرشادية لدى المرشدين النفسيين تعزى لمتغير جامعة التخرج وكانت لصالح الجامعة الإسلامية.

ثالثاً: بحسب متغير سنوات الخبرة: وللإجابة عن هذا التساؤل قام الباحث باستخدام أسلوب تحليل التباين الأحادي One Way ANOVA.

جدول (15)

مصدر التباين ومجموع المربعات ودرجات الحرية ومتوسط المربعات وقيمة "ف" ومستوى الدلالة تعزى لمتغير سنوات الخبرة

البعد	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة "ف"	قيمة الدلالة	مستوى الدلالة
البعد الأول: مهارة الدعم النفسي الديني	بين المجموعات	6.044	2	3.022	0.238	0.789	غير دلالة إحصائياً
	داخل المجموعات	1752.566	138	12.700			
	المجموع	1758.610	140				
البعد الثاني: مهارة التعاطف	بين المجموعات	112.494	2	56.247	4.052	0.019	دالة عند 0.05
	داخل المجموعات	1915.463	138	13.880			
	المجموع	2027.957	140				
البعد الثالث: مهارة التعامل مع الأزمات وبناء الأمل	بين المجموعات	65.996	2	32.998	0.798	0.452	غير دلالة إحصائياً
	داخل المجموعات	5709.323	138	41.372			
	المجموع	5775.319	140				
الدرجة الكلية للاستبانة	بين المجموعات	250.475	2	125.238	0.872	0.420	غير دلالة إحصائياً
	داخل المجموعات	19813.794	138	143.578			
	المجموع	20064.270	140				

ف الجدولية عند درجة حرية (2،138) وعند مستوى دلالة (0.01) = 4.75

ف الجدولية عند درجة حرية (2،138) وعند مستوى دلالة (0.05) = 3.06

يتضح من الجدول السابق أن قيمة "ف" المحسوبة أقل من قيمة "ف" الجدولية عند مستوى دلالة (0.05) في البعد الأول

والثالث والدرجة الكلية للاستبانة، أي أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير سنوات الخبرة، حيث اتفقت هذه

النتائج مع نتائج دراسة شومان(2008)، كما واختلفت هذه النتائج مع دراسة أبو يوسف (2008) في كل من القياس القبلي والبعدي تعزى لمتغير سنوات الخبرة لصالح الأكثر من أربع سنوات.

يتضح من الجدول السابق أن قيمة "ف" المحسوبة أكبر من قيمة "ف" الجدولية عند مستوى دلالة (0.05) في البعد الثاني مهارة التعاطف، أي أنه توجد فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير سنوات الخبرة يعزو الباحث ذلك لحجم التدريب التي حصلوا عليه المرشدين من الوزارة، ويعود ذلك لخبرة المرشدين في المؤسسات قبل تعيينهم في وزارة التربية والتعليم. ولمعرفة اتجاه الفروق قام الباحث باستخدام اختبار شيفيه البعدي والجدول التالية توضح ذلك:

جدول (16)

يوضح اختبار شيفيه في البعد الثاني: مهارة التعاطف تعزى لمتغير سنوات الخبرة

أقل من 5 سنوات	من 5-10 سنوات	أكثر من 10 سنوات	
37.421	35.351	36.870	
0			أقل من 5 سنوات 37.351
2.070*	0		من 5-10 سنوات 35.351
0.551	1.519	0	أكثر من 10 سنوات 36.870

*دالة عند 0.01

يتضح من الجدول السابق وجود فروق بين الخبرة الأقل من 5 سنوات ومن 5-10 سنوات لصالح الخبرة الأقل من 5 سنوات، ولم يتضح فروق في المستويات الأخرى، يفسر الباحث ذلك لخبرة المرشدين الذي تم تعيينهم في السنوات الأخيرة خلال عملهم بالمؤسسات الأهلية أي قبل تعيينهم بوزارة التربية والتعليم.

التوصيات والمقترحات

توصيات الدراسة

1. تدريب وتأهيل المرشدين للتعامل مع الأزمات وخاصة في المهارات التالية: التعاطف وإعادة التلخيص ومهارة الدعم النفسي الديني وعكس المشاعر.
2. تشكيل لجان خاصة مساعدة للمرشدين التربويين وقت حدوث الأزمة، من المدارس و المديريات.
3. ضرورة وضع استراتيجيات للمدرسة قبل حدوث الأزمة أو افتراضها وتدريب الطاقم على تجاوزها وتفعيلها.

4. تدريب الطاقم المدرسي على كيفية إدارة الأزمة بحيث لا تشكل عائقاً للمسيرة التعليمية.

5. ضرورة توعية المجتمع المحلي بالأزمات المدرسية والمساعدة في إيجاد السبل لحلها.

مقترحات الدراسة

1. تقديم دراسات للمعوقات المهنية لدى المرشدين التربويين وأثرها على تطبيقه للمهارات الإرشادية وقت الأزمات المدرسية.
2. إجراء دراسة لمعرفة مدى تمكن أو امتلاك الأكاديميين في الجامعات للمهارات الإرشادية لتدريب طلبة الإرشاد النفسي عليها.
3. تقديم برامج إرشادية تبنى بناء على تقييم المشرفين لتطوير كفاءة المرشدين في المدارس الحكومية.
4. تقديم دورات تدريبية مكثفة لطاقم المدرسة بصورة عامة وللمرشدين التربويين بصورة خاصة بطرق التصرف بالأزمات المدرسية.
5. تدريب طواقم متخصصة للتدخل النفسي في الأزمات في كل مديرية من مديريات محافظات غزة.
6. ضرورة تفعيل دور مؤسسات المجتمع المحلي العاملة في مجال إدارة الأزمات ومجال الصحة النفسية بوقت الأزمات.
7. تنسيق الجهود ما بين المؤسسات المجتمعية المحلية والوزارات وقت الأزمة.

المراجع

1. حسين، طه عبد العظيم(2004):الإرشاد النفسي، النظرية- التطبيق- التكنولوجيا، الطبعة الأولى، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان الاردن.
1. موسى ، ناهد (2005):"إدارة الأزمات في مدارس التعليم العام بمدينة الرياض "تصور مقترح" . رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة الملك سعود ،المملكة العربية السعودية.
2. القذافي، رمضان محمد (1997) : "التوجيه والإرشاد النفسي" ، دار الجبل، بيروت، لبنان.
3. زهران، حامد عبد السلام(1980)"التوجيه والإرشاد النفسي"، ط2، عالم الكتب، القاهرة، مصر.
4. أبو عيطة، سهام درويش (1997): مبادئ الإرشاد النفسي ، الطبعة الثانية ، دار الفكر للنشر والتوزيع ،عمان، الأردن .
5. وزارة التربية والتعليم العالي(2002):"كراس التدريب ملف المدرسة وحدة تدريب ملف الإرشاد المدرسي". رام الله. فلسطين.
6. السهل ، راشد على (2001): "فعالية الإرشاد (السلوكي الجمعي - الديني) في خفض مشكلة الأرق لدى طلبة الجامعة"، المجلة التربوية ، العدد 61 ، جامعة الكويت.
7. عوض، أحمد(2003):"اتجاهات مديري المدارس الحكومية في محافظات غزة نحو الإرشاد التربوي وعلاقتها بأداء المرشد التربوي"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية ، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

8. اللولو ، فتحية(2005):"المهارات الحياتية المتضمنة في محتوى المناهج الفلسطينية للصفين الأول والثاني الأساسيين" . المؤتمر التربوي الثاني الطفل الفلسطيني بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل . الجامعة الإسلامية . غزة .
9. إبراهيم ، عبد الستار (1988): "علم النفس الإكلينيكي" - المناهج والتشخيص والعلاج ، دار المريخ .الرياض. المملكة العربية السعودية.
- 10.صالح، محمود عبدالله (1985): "أساسيات الإرشاد التربوي والنفسي"، دار المريخ للنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية.
- 11.العبادسة ، أنور و المحتسب ، عيسى (2012):المهارات الإرشادية وعلاقتها ببعض المتغيرات لدى المرشدين والمرشدات في قطاع غزة. مجلة كلية التربية ، جامعة عين شمس ، العدد السادس والثلاثون الجزء الاول ، ص13.
- 12.الجهني ، عبدالله مسعود (2010):"أساليب اتخاذ القرار في إدارة الأزمات المدرسية من وجهة نظر مديري المدارس بمحافظة ينبع" ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جدة ، المملكة العربية السعودية .
- 13.أبوفارة ، يوسف أحمد (2009) : "إدارة الأزمات مدخل متكامل". اثراء للنشر والتوزيع .عمان ، الأردن.
- 14.الخضيرى ، محمد أحمد (2003): "إدارة الأزمات" ، مجموعة النيل العربية ، القاهرة.
- 15.القضاة، محمد بن سلامه (1986): "مسند الشهاب": الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- 16.أبوخطب، فؤاد وصادق ، أمال (1991): "مناهج البحث وطرق التحليل الإحصائي في العلوم النفسية والتربوية والاجتماعية" ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة.
17. أبو أسعد، عبد اللطيف .(2011). "المهارات الارشادية" . دار الميسر . عمان.

Hill, M.S., & Hill, F. W.(1994). **Creating safe schools : What principals can do.** Thousand Oaks, CA: Corwin press.

عنوان البحث

الصراعات القبلية في دارفور وأسبابها الفترة 1960 الى 2017

عبدالرحيم محمود عقيق احمد¹ أ. د. الطاهر جاح النور احمد² د.حسن محمد يوسف³

¹مسؤول عن النشر والاعلام - اللجنة الدولية للصليب الاحمر - مكتب ولاية وسط دارفور - زالنجي ، Email :

agig2zal@gmail.com. Tel: 0912508215

² أستاذ التاريخ الحديث و المعاصر - جامعة زالنجي ، Email. Eltahir2015@gmail.com. Tel:0911254830

³د.حسن محمد يوسف- كلية الدراسات العليا/إدارة الكورث، جامعة السودان.

تاريخ النشر: 2020/12/01م

تاريخ القبول: 2020/11/22م

المستخلص

أجريت الدراسة بولاية وسط دارفور في 2019م بهدف معرفة أثار الاجتماعية للصراعات القبلية بولاية وسط دارفور من (2010 الى 2019م) ، اسخدم المنهج التاريخي والوصفي التحليلي ، استخدمت لجمع البيانات الاولية وتم اختيار بعض مبحوث عن طريق عينة عشوائية ، و المعلومات الثانوية جمعت من المصادر و المراجع ذات الصلة:
اهم النتائج:

82 % من أفراد العينة أكدت بأن الصراعات القبلية لها تأثيرات إجتماعية إثنية في دارفور بنما نفي 18%

80 % من أفراد العينة وافقت بان الصراعات القبلية خلقت مشاكل أسرية بنما نفي 20% وجود ذلك

90 % من أفراد العينة أكدت ان القوم السياسي عبر القبائل زاد من حدة الصراعات القبلية بنما نفي 10% وجود

ذلك

RESEARCH ARTICLE**THE TRIBAL CONFLICT IN CENTRAL DARFUR STATE
PERIOD (2010 TO 2019)**

Accepted at 22/11/2020

Published at 01/12/2020

Abstract

The study conducted in Central Darfur State in 2019 to identify the social effects of the tribal conflict in Central Darfur State period (2010 to 2019) the historical and descriptive analytical methods were used. Some random samples of respondents were collected. The questionnaire was used to collect the primary data and secondary information was collected from relevant sources and references.

Main Results:

82% of respondents confirmed the tribal conflict has an ethnic social impact on Darfur community while 18% denied that.

80% of respondents confirmed that the tribal conflict created family issues, while 20% denied that.

90% of respondents confirmed that the political engagements across the tribes its increased the tribal loyalty while 10 % denied that.

المحور الأول: الاطار العام**مقدمة:**

الولاءات القبلية في السودان معروفة منذ القدم لأنها ظاهرة اجتماعية لها مكوناتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وتعتبر من المفاهيم المتجذرة في المجتمع السوداني فالقبلية نظام اجتماعي يضم بداخله مجموعة من العشائر وبطنون تنضوي غالباً تحت قيادة سيد القبيلة ويهدف علي تنظيم حياة هذه الجماعة و المحافظة عليها و حماية مصالحها وحقوقها ، وهي بمثابة نظام إجتماعي إداري في المجتمعات البدائية ، و تطور النظام القبلي في السودان خاصة في ظل المستعمر، وكونت لها هياكل إدارية بمسمى الادارة الاهلية و قد ساهمت في إدارة القبائل وتدين هذه القبائل لإدارتها بالولاء حسب الموروثات الاجتماعية. ٥

ولقد ورثت الحكومات السودانية بأنواعها المختلفة واقعاً اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً معقداً من حيث التباين في الولاءات الحزبية والقبلية والجهوية ولم يتطور الوعي بالانتماء القومي حتى بعد حل الادارة الاهلية ، بينما الولاءات القبلية تحتضن الادارة إرث اجتماعي كبير ومعرفة بشؤون افرادها خاصة في المناطق الريفية التي يقل فيها الوجود الحكومي وبالتالي أصبح الافراد يترنحون بين الانتماء القومي و الولاء القبلي ، إلا ان روح القبيلة اصبح يظهر على السطح واصبح كثير من الناس يتابع او تطالب حقوقها من الدولة بقبائلها و تدخل الصراعات العنيفة مناصرة للقبيلة وتعد دارفور صورة مصغرة من السودان لأنها تضم عدد كبير من المجموعات القبلية التي اصبحت تحارب بعض البعض منذ زمن طويل.

مشكلة البحث:

تدور محاور البحث حول مشكلة الدراسة والتي تتراعى حيثياتها حول تتبع أثر الإنتماءات القبلية في دارفور و مدى تأثيرها على حل النزاع في دارفور مع الوقوف على دور إتفاقيات السلام المبرمة خلال 2005 و ما بعدها.

تطورت الأزمة لتدخل عنفوان القبلية وإشعال الحرب بين القبائل الدارفورية وإنحسار الحركة التجارية والإقتصادية وتردى الوضع الأمني.

وتتامي ظاهرة الولاءات القبلية وبروز الذهنية القبلية في السلوك الإجتماعي المرتبط بالأنشطة السياسية والإستجداد بالقبلية في كثير من النزاعات مما يتطلب معرفة أثارها الإجتماعية ومؤثراتها على الأجيال الراهنة.

عدم وجود دراسات تتحدث عن الإنتماء القبلي وأثره علي مكونات الحياة الاجتماعية والسياسية في دارفور .

أهمية البحث:

تأتى أهمية البحث للوقوف على الحقائق الملموسة من أثر الانتماءات القبلية على ابرام اتفاقيات سلام دارفور والمصالحات القبلية وكيفية تنفيذها على الأرض، وما صاحبها من تغيرات زمانية من ابوجا الى الدوحة، وأيضاً تأتى أهمية الدراسة لعدم كفاية الدراسات التي تناولت تنفيذ وتطبيق اتفاقيات سلام دارفور والمصالحات القبلية لان غالبية الدراسات تحدث عن القضية من ثوبها الخارجي فقط وأيضاً كثرة الاتفاقيات الجزئية المنعقدة بشأن ازمة دارفور وغياب الحلول الناجعة.

اهداف البحث:

- 1- يهدف البحث الى تسليط الضوء على اسباب الانتماء القبلي وأثره على الصلح القبلي و اتفاقيات السلام المبرمة بشأن دارفور بتفسير بنود الاتفاقيات وكيفية تنفيذها وتطبيقها في أرض الواقع
- 2- استخلاص الحقائق الإيجابية والسلبية للانتماءات القبلية على اتفاقيات سلام دارفور على الصعيد الأمني والاجتماعي والاقتصادي
- 3- فهم وجهات النظر المختلفة بين الأطراف القبلية الموقعة على الاتفاقيات الصلح واختلافهم في تفسير وتطبيق بنود

المصالحات وما نتج عن ذلك.

4- إيضاح دور المعاونين في تنفيذ الاتفاقيات السلم و المصالحات القبلية والسياسية على الصعيد الإقليمي والتأثير الخارجي على الأطراف الموقعة وتقييمها من حيث التطبيق.

5- يهدف البحث الى معرفة آراء المبحوثين حول ظاهرة تنامي الأنتماءات القبلية وتأثيرها على حل النزاع في دارفور في (2003-2017م)

منهج البحث:

تعتمد الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي و التحليلي المعتمد على المراجع والمصادر والتقارير الإعلامية والدوريات والمقابلات الشخصية لقادة القبائل لمناقشة أمر الموضوع للخروج برؤية في تحليل أزمة الانتماء القبلي

2. المحور الثاني

أ. وصف جزور الصراعات القبلية في دارفور للفترات السابقة

النزاعات القبلية بدارفور قديمة قدم القبيلة، ومن خلال استقرائنا لتاريخها منذ العام 1445 وهو تاريخ تأسيس سلطنة الفور الاسلامية . كانت دارفور بشكلها القبلي منذ ذلك التاريخ بل وقبل ذلك بكثير ، فقد كانت مسرحاً لحروب الداجو وتأسيسهم لمملكتهم بازاحة قبائل الميما - من فروقي وايرنقي وتمبيري وغيرها من القبائل . ولكن الحروب القبلية بدارفور اخذت اشكالا متعددة منها ما تعلقت بالغارات التي تشنها فرسان القبائل فيما بينها كسبا للمال ومنها ما يتعلق بالقتال حول المراعي والحواكير وغيرها من الاسباب . والقتال القبلي التي شهدته دارفور خلال ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي إنما صورة من صور الحروب القبلية الضاربة في التاريخ إلا ان الاسباب قد تعددت بتداخل وتفاعل الكثير من العوامل وبرزها العامل السياسي الذي هو كذلك ليس بالشئ الجديد. فمقاومة اهل دارفور لسلطان الدولة لعدم مؤاممة السياسات العامة واهدافها ومراميها واسلوب حياة القبائل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية....الخ. يتضح لنا من خلال مقاومات الكثير من قبائل دارفور لجيش سلطان " علي دينار " ونكر منها مقاومة قبيلة التاما بمنطقة ككبائية بقيادة زعيمهم " الفكي سنين التاموي " . ويعتبر تمرد قبيلة التاما من كبريات المشاكل التي واجه " علي دينار " ونذكر كذلك حرب السلطان "علي دينار " لقبيلة البني هلبة التي ارتبطت برباط المصاهرة مع قبيلة الفور ، مما ميزت علاقتها بنوع من الخصوصية الاجتماعية كما يبرز ذلك بجلاء في تنشيط الحركة التجارية بين الطرفين واستمرت تلك العلاقة المتميزة في عهد السلطان " علي دينار " حيث كان من فرسان البني هلبة " رؤؤس مئات " وجنود اشاوس في جيش السلطان(1)

بينما البعض الآخر أن البداية الفعلية لدخول القبيلة مرحلة الصراع السياسي بشكله الحالي كانت عام 1980 م الذي صدر فيه قانون الحكم الإقليمي المستمد من قانون الحكم الذاتي لسنة 1972 م . وتم تعيين حكام الولايات من ابنائها فطالب سكان دارفور بأن يكون حاكم دارفور من ابنائها ، فعين الرئيس نميري احمد إبراهيم دريج والياً (حاكماً) علي دارفور(2)

وقد ادعي البعض ان دريج قد انتهج نهج المحسوبية والعنصرية القبليةحتي وصفت القبائل العربية حكومته بانها حكومة الزرقة بل اتهموا دريج بالعنصرية وتعيين ابناء الفور في المناصب الرفيعة ، كرد فعل علي سياسات دريج ظهر التجمع العربي الذي استطاع ان يمارس بعض الضغوط علي الصادق المهدي . وقد جاء في خطاب التجمع العربي للصادق المهدي رئيس الوزراء بتاريخ 1987\9\9 م ما نصه : (إقليم دارفور الذي يضم اربعاً وثمانين قبيلة هو واحد من أقاليم السودان التي يتطلع أبناؤها إلي المشاركة في حكم إقليمهم بقدر ما يتوفر لكل قبيلة من ابناء يصلحون للقيادة، إذا ذلك هو مفهوم الحكم الاقليمي فإننا كعرب نحن باننا قد سلبنا حق التمثيل في قيادة هذا الاقليم والمشاركة في اتخاذ القرار فأصبحت أغلبية بلا وزن...)

وفي النهاية خلص الخطاب الذي وقع عليه سبعة عشرة من القبائل وسادتها إلي مطالبتهم بالنصف من مقاعد الحكم الذاتي.نتيجة

لذلك أصبحت الصراعات القبلية تتسم بالعنصرية وظهرت عدد من مجموعات الضغط التي سعت كل منها للوصول لغايتها وتحقيق مآربها علي حساب تماسك النسيج الاجتماعي لدارفور كما ان هناك اتهامات ومزاعم بان الاحزاب كانت وراء الاحتراب بين الفور والفور والجماعات العربية الجدير بالذكر ان الاوضاع القبلية بدارفور أخذت في التطور المربع بعد هذه الفترة وأخذت القبيلة بزمام المبادرة في البحث عن الكسب السياسي علي مستوي الاقليم والمركز مما ادي إلي زيادة الصراعات القبلية وحدتها , تشكلت فهذا الوضع الملتهب هيئة غير رسمية في الخرطوم وهي المجلس الوطني لانقاذ دارفور في مارس 1988 م.وقد صدرت المبادرة من بعض مثقفي دارفور المقيمين في الخرطوم وكانت نتاجاً لمناقشات غير رسمية متواصلة قام بها ابناء دارفور المتعلمين هم الذين يغذون القبيلة ويتلاعبون بالصراعات العرقية في الاقليم . وقج تشكلت لجنة تنفيذية للمجلس في اجتماع عقد في جامعة الخرطوم في فبراير 1988 م كمحاولة للتغلب علي الانتماءات العرقية الضيقة . وهنا جاءت اضافة الوطني لاسم الهيئة وكان الشعار الذي تبناه المجلس هو انقاذ دارفور واجب وطني⁽³⁾

ب. الصراع حول الموارد الطبيعية:

فالصراع الحقيقي بدأ عام 1983م بين الرعاة والمزارعين والتنافس حول الموارد الشحيحة والأرض الصالحة للزراعة، وكنتيجة لموجات الجفاف والتصحر التي ضربت منطقة الساحل الأفريقي منذ أواخر الستينيات والتحولت البيئية التي نتجت عنها انحسر نطاق المراعي والموارد المائية والتربة الخصبة، وحماية للحقوق المشتركة بين المزارعين والرعاة، اتقف أهل دارفور على فتح مراحل ومسارات أصبحت الآن سبباً، للصراعات القبلية⁽⁴⁾

وذلك لكثرة أعداد الإبل والماشية التي تمر عبر المرحال ليستحيل معها ضبط هذه الحركة خاصة مع التوسع الزراعي، فضلاً عن بعض الأخطاء الإدارية وعدم متابعة السلطات المحلية المراحل الموسمية، أيضاً أن محاولة بعض القرويين قفل المسارات أو الطرق التي تؤدي إلى مشارب المياه تسبب في صراعات دموية بين المزارعين والرعاة، كما نجد أيضاً في أحيان كثيرة نتيجة للضغوط الاقتصادية بعض المواطنين بحجز موارد المياه والآبار، وذلك بتسويرها بأشواك والبدء في بيعها بالصفحة، ولأن الرعاة يعتبرون الماء ملكاً مشاعاً فهم لا يترددون البتة في إزالة الأشواك، كما يقوم بعض المزارعين في محاولة منهم لإبعاد الرعاة عن مناطقهم وتجنب الصراع بحرق المراعي والعلف الطبيعي لمسافات شاسعة، ما يؤدي لصراعات دموية ويظهر هذا الصراع بصورة واضحة بين قبائل الزغاوة والرزيقات الشمالية (المهريّة والجلول والعريقات) في العام 1969م بمنطقة الجنيك التابعة لمحافظة كتم، وفي عام 1994م بنفس المنطقة، وكذلك النزاع بين الزيادية والميدوب ضد الكبابيش والكواهلة في منطقة شمال الفاشر منذ عام 1932م وتكررت في الأعوام 1957م، 1964م، 1982م، 1997م.

وجميعها نزاعات حول مصادر المياه والرعي يعتبر الجفاف احد المظاهر الموروثة لاراضي المناطق الجافة بغرب السودان في ولايات شمالي دافور وكردفان، ولقد مرت 5 فترات جفاف علي المنطقة خلال القرن الماضي , اثان منها وقعتا خلال 20 عاماً الأخيرة . وفي هذه المناطق الذي يتراوح معدل سقوط الامطار فيها بين 100- 600 ملمتر فإن انخفاض 100 ملمتر فقط من متوسط معدل الامطار السنوي

من اسباب زيادة صراع الموارد توسع الاراضي الزراعية علي حساب المراعي وإنشاء ما يسمى (بزرائب الهواء) وهي زرائب يقيمها السكان المقيمين لحفظ الكلاً وإستخدامها في زمن الصيف او بيعها او الاستفاداة منها لماشيتهم المحلية المقيمة معهم في القرى , فإذا دخل مواشي الرعاة في تلك الزرائب يدفع صاحب الماشية تعويضاً مالياً مما يزيد حدة الاحتقان والكراهية بين الجانبين .كما درج بعض المزارعين علي جرف المراعي لمسافات شاسعة لإبعاد الرحل عن مزارعهم وقراهم مما حرم الرعاة من مرعي وفير لماشيتهم , كما ان الكثير من الرعاة ترعي الرعي بسبب موت ماشيتهم خلال الجفاف المتكرر , كل هذا ادي إلي إختلال في التوازن بين طاقة

- الأرض الاستيعابية الغير متجددة من وزيادة الماشية وحاجة كل من المزارعين والرعاة⁽⁵⁾ من المعروف ان جفاف الثمانينيات من القرن الماضي ادي الي مجاعة كبيرة , إلي قتال علي الوتيرة والي نزوح الالاف بدرجة تتجاوز كثيراً آثار جفاف العقد السابع من القرن العشرين ولعل التفسيرات المحتملة لهذا الاختلاف هي:
- كان انتاج الغذاء في السودان خلال السبعينات موجهاً نحو تلبية احتياجات الاسواق المحلية , اما في الثمانينيات فقد اتجه نحو التصدير .
 - خلال السبعينات استطاع الغذاء المحلي والمخزون الاحتياطي في دارفور ان يخفف من تأثير الجفاف لكن الثمانينيات وجدت الاحتياطي قد تلاشي .
 - كانت الادارات المحلية (التقليدية) خلال السبعينيات ما زالت تعمل بكفاءة وقدرة علي دعم المجتمعات المحلية ولكن قد الغيت قبل عقد الثمانينيات علي يد الجنرال نميري .
- من جهة اخري ادت إزالة الغطاء النباتي عن مساحات كبيرة , مع صاحبها من تدهور عام في معدل هطول الامطار , الي اباده معظم الحياة النباتية المتبقية ما عدا القليل من الشجيرات المتألمة علي ظروف الجفاف في مناطق الكثبان الرملية كبعض انواع شجر السنط .

ومنذ حلول الجفاف بدأ الاقتصاد الريفي في الانهيار . ماتت اعداد كبيرة من الحيوانات واجبر الرعاة علي التخلص من حيواناتهم المتبقية باسعار زهيدة . وادار تجار المدن - مرة اخري - ظهورهم للاقتصاد الريفي المتداعي تاركينه يواجه مصيره منفرداً . وبعد ان هجرته الطبيعة وهجره التجار الم به الفقر والمجاعة وصارت الحياة معاناة حقيقية . وتداعت الاحداث وانهار الامن وصار المجتمع الريفي مهياً للفتك والاضطرابات والصدمات المسلحة واخيراً للحرب⁽⁶⁾

اما من ناحية سعي حكومات (الانظمة المتعاقبة علي السلطة) في تطوير المرافق المائية المذكورة منذ الاستقلال فلا حلول تذكر , سوي حفر بعض الآبار الإرتوازية والسواني المذكورة أنفاً وبعض الدوانكي بمختلف انحاء الاقليم وبعض الخزانات والسدود . واكثر المناطق التي حظيت بالمحافير الجوفية هي مناطق دار جبل ودارقمر ودار مساليت . ولكن هذا التوسع في مصادر المياه بدون دراسة جدي لطاقة الأرض الاستيعابية أدي إلي نتائج سلبية من زوال الغطاء النباتي إحتدام التنافس القبلي علي الموارد الطبيعية .

وهكذا فان المناطق الشمالية الغربية من دارفور ونتيجة لظروف الجفاف والتصحر خلال العقود الماضية والهجرة الوافدة إليها بكثافة عالية من الانسان والحيوان (لتوفر الحفائر المذكورة انفاً).وقد بدأت مراعيها تتدهور والمسارات التي كانت تحمي اتجاهات الرعاة من الشمال إلي الجنوب قد قامت عليها مزارع ومشاريع، مما ادي إلي الاحتكاك القبلي وإنفجار الصراع القبلي بين قبيلة المساليت ومجموعة القبائل العربية خلال العوام 96 - 97 - 1998م وصراع الرزيقات الشمالية (الماهرية) والزغاوة في كتم 1994 م وكذلك صراع التعايشة والقمر والفلاتة بريفي رheid البردي وريفي تلس، ومن ضمن الاسباب الواردة بملف الصلح بين قبيلتي التعايشة والقمر باتفاقية سرير بتاريخ 20-11-1984 جاء الاتفاق : ان تترام السكان علي موارد المياه الشحيحة هو اقوي الاسباب للصراع ولايد من توفير مصادر المياه بحفر الابار في كل من ريفي رheid البردي وريفي كتيلا.⁽⁷⁾

ج. الصراع السياسي في دارفور - غياب التنمية

يجمع الكثيرون علي ان الحكومات المتعاقبة في الخرطوم لعبت دوراً أساسياً في تعجير أزمة دارفور . فقبل عام 1933 كان لزعماء القبائل سلطات مطلقة قائمة علي العرف والعادات والتقاليد وحدها , وكان كل منهم مستقلاً حيث ان العلاقة بالحكومة المركزية كانت

اسمية قاصرة فقط علي إعلان الولاء والطاعة ودفع الضرائب المقررة وإستتباب الامن وحفظ النظام . هكذا كان الحال في مملكتي الفور والفونج . ثم جاء العقد الثالث من القرن العشرين وإعترف المستعمر بالوضع القائم (سلطات زعماء القبائل) , وجعل له هيكلأ هرمياً وتم ربطه بالجهاز البيروقراطي للدولة لإحكام العلاقة بين السلطتين المحلية والمركزية , فأدخل نظام المديرات والمراكز , و للسلطة العليا في المديرية للمدير يساعده معاونون في المركز مسؤولون عن التدرج الهرمي لنظام الحكم القبلي الذي قمته الناظر ثم العمدة وأخيراً الشيخ في القاعدة , اضع إلي ذلك فقد عين نظار بعض القبائل الكبرى في وظائف إدارية وديوانية⁽⁸⁾ وقد فاقم الحكم الثنائي المصري 1916 م من التخلف التنموي والتهميش في دارفور بتجبير التنمية الاقتصادية في السودان لتغطي إحتياجات الامبراطورية البريطانية .

فقد ركزت معظم الاستثمارات في المشاريع الزراعية الكبرى والمتوسطة لتنمية مثلث(الخرطوم- كسلا - كوستي) ومن 1170 مشروعاً تم تنفيذها بحلول عام 1955 م لم يكن من بينها مشروع واحد تم تنفيذه في دارفور .لذا صار دارفور خالية من المشروعات الزراعية والانتاجية من الصناعات التحويلية الزراعية والحيوانية , وخالية من مشاريع البنية التحتية , مثل الطرق والجسور والمطارات ومشروعات المياه والكهرباء , أن دارفور من المناطق المتخلفة وشديد التأثير بالوتائر غير العادلة وغير المتوازنة للتنمية في السودان , ظل كثير من المشاريع القومية التنموية تقام في الجزء الاوسط من السودان لذلك فإن الإقتصاد المحلي كل ملامح الإقتصاد والتي تعاني منذ الاستقلال اكثر من غيرها فإن التفاوت في التنمية يعكس فجوة تتسع باضطراد علي الدوام بين الإغنياء والفقراء وبين الحضر الغنية والريف الفقيرة البعيدة , إن امر التنمية يمثل مفتاحاً لتجاوز حالات الاحتراب وإن الموارد التنموية هي التي ينقل المجتمعات من مرحلة اقتصاد السوق الذي يتلاشي عندها الاحتراب القبلي والعرقى ظلت علاقة دارفور بمركز السلطة في الخرطوم طوال العهد الوطني علاقة المركز الذي يتميز بثقل اقتصادي وسياسي وهامش متخلف وتابع (مصدر للمواد الاولية - المواد الخام - العمالة الرخيصة ومستهلك للمواد المصنعة في المركز) . فالحقيقة إن دارفور لم تشهد اي مجهود تنموي وفق رؤية وطنية مستقلة من قبل الحكومات التي تعاقبت علي حكم السودان منذ مطلع الاستقلال الامر الذي ولد غبناً عبر عنها نخب ابناء الاقليم بطرق مختلفة قبل الوصول الي المرحلة التي تم فيها حمل السلاح في وجه الدولة تحت شعارات إزالة التهميش , وتحقيق العدالة والمساواة وما الي ذلك⁽⁹⁾.

د. الصراع حول الارض (الحاكورة)

إن كلمة " الحاكورة " او "الدار", هنا تعني قطعة الارض , المعملة بحدود, التي احتكرت و خصصت لشخص او جماعة, فهي هنا إما حاكورة "قدح " اي للعيش عليها وهي توصف بانها ملك او هبة او صدقة وهي عادة لطبقة العلماء والفقراء(حفظة القرآن) ويمكن ان تورث وهي عادة قطعة صغيرة , تو حاكورة لمجموعة او قبيلة , وهي قطعة كبيرة وهي هنا للمنفعة العامة ولا تورث , فالدور الحواكير التي سميت باسماء القبائل او التي احتكرت او خصصت لها , هي حواكير ادارية لممارسة السلطة عليها وهي ايضاً لمنفعة المجموعة التي احتكرت او سميت باسمها ,قسمت دارفور الي دور وقسمت الدور الي دملجيات , في عهد السلطان محمد الفضل (1800- 1848) فيما بعد , في زمن السلطان حسين (1848) قسمت الدملجيت إلي حواكير لسهولة الحكم عليها وإدارتها من قبل الدمالج (دلمونق بلغة الفور تعني السوار إي إشارة للحكم او السلطة) واسياد وملاك الحواكير المالكين لريعتها . هذه مكنت السلطان وكذلك اسياذ (ملاك) الحواكير , من خلال مناديبهم, من طلب تحويل حصيلة المنتوجات والثروات والايادات من هذه الحواكير إلي الفاشر وانواع الحواكير كثيرة منها" الضلف" (ظلف البهيمة) بمعنى ان الحاكورة منحت للرعي فقط ومنها ما تمنح للحكم عليها ومنها ما تمنح للعيش عليها وهذه الاخيرة غالباً ما تمنح للذين تزوجوا من

الاميرات او من بنات المقربين للسلطان لغرض توزيعها للرعي او الزراعة العامة بالاستفادة من خراجها في شكل عشور والتي تعني

عشر المقدار المنتج من المحصول كإيجار للأرض ، ان هذا النوع الأخير يشبه الاقطاع الأروبي⁽¹⁰⁾. إن الحاكرة بالتعريف السابق به خلط لمفهوم الحاكرة بمنح الأرض بالمراسيم السلطانية أو مراسيم التفويض بالوكالة . وحتى نجلي مفهوم الحاكرة فهي الأرض التي يمنحها السلطان لشخص أو مجموعة بغرض الحكر دونما تحديد لوجه إستخدامها وتشمل الحواكير الممنوحة للحكم عليها مثل حاكرة روتجا وهي التي منحت " للامين حامد" جد مقدم مقومية دارا بنيالا لغرض حكمها وتعميرها بتمثل سلطة السلطان عليها . وتضم منطقة تلس وكتيلة وضواحيها من مناطق غرب وجنوب ولاية جنوب دارفور الحالية ويسكنها الفلاتة والقمر والقليل من الزغاوة والفور والتروج وغيرها من القبائل . وحاكرة روكوري والتي منحت لآل " محمد امحمد عبدالنبي" لمزاولة الحكم والعيش عليها ، وتشمل مناطق الساني دليبة ود رقمبو وبابنوسة والدونكي وبوابة ودريسة وتمتد حتى قوز جنغو جنوباً وسنام الناقة ومناطق ام دواوين ... الخ ليشمل جزءاً كبيراً من ريفي جنوب غرب محافظة نيالا . وكذلك حاكرة جبال الداجو وهذه تختلف عن الحاكرتين السابقتين وذلك لان الداجو هم اصحاب ارض وكانت لهم مملكة ممتدة من جبال الداجو (جنوب غرب وشمال شرق محافظة نيالا) حتى شمال شرق وجنوب شرق جبل مرة . وبالتالي حاكرتهم هذه وإن عرفت باسم حاكرة رومري بلغة الفور، إنما ذلك فقط للاعتراف بأسبقيتها في الوجود لمسألة التنظيم السلطاني الفوراوي للحاكرة . وتسكن بهذه الحاكرة ومنذ القدم قبيلة الداجو وبعض القبائل التي لها عموديات عمرها اكثر من مائة عام . منهم الزغاوة واولاد ام كملتي والترجم واولاد الشيخ والحوطية والتعالبة وغيرهم من القبائل⁽¹¹⁾.

فمن وجهة نظر التاريخية ليس ثمة مثل هذا التطابق في الدلالة ، فمن المعروف أن أول من ابتدع نظام الحاكرة هو السلطان موسى بن السلطان سليمان سولونق الذي حكم في الفترة ما بين (1670-1682م) وهو نظام - كما وصفه محمد بن عمر التونسي - يجعل البلاد كلها ملكاً للسلطان "وقسم بلاد الحضر إلى "حواكير" ووزعها على أهله وأخصائه وكبار قومه بججج مختومة بختمه ، فعاشوا بريعتها هم وأهلها المزارعون " . هذا دليل قاطع بأن الحاكرة ليست داراً للقبيلة وإنما كانت (إقطاعية) تمنح للأخصاء ويشمل هؤلاء الفقهاء والقضاة من الأعراب الذين كانوا يتدفقون من مختلف أنحاء العالم الإسلامي ، من السودان النيلي ومصر ، ومن المغرب والسودان الغربي ومن بلاد العرب والحجاز لما عرفت عن هذه السلطنة من إكرام ورعاية بالغة لهذه الطائفة من الناس . وقد شملت الذين حازوا على الحواكير كبار التجار (الجلابة) ، فضلاً عن الأمراء والأميرات (الميارم) و رجال البلاط وكبار الضباط. وفي هذا الإطار لم تكن الحاكرة أرضاً وبشراً على الدوام ، وإنما قد تكون بشراً فقط ، ومرجعنا في ذلك التونسي نفسه الذي يقول : "وكذلك قسم قبائل البادية فخص كل قبيلة بأمير من أبناء السلاطين أو بعين من الأعيان تجبي له زكاتها"

وللتلليل على هذا نورد هنا نص صك تحكير قبيلة الماهرية للميرم (الأميرة) زهرة بنت الميرم فاطمة أم أدريس بنت السلطان محمد حسين بن محمد الفضل الذي حكم في الفترة من (1831-1839م) وهو أحد أتس السلاطين الذي حكموا دارفور - حيث يوضح في هذا الصك أن والد الأميرة - وهو الحاج أحمد بن عيسى من أعيان دارفور- قد تنازل عن حاكرة الماهرية لابنته وحفيده السلطان الميرم زهرة . ويقول النص : " من حضرة سلطان المسلمين ، وخليفة سيد المرسلين سيدنا ومولانا السلطان محمد حسين المهدي المنصور بالله تعالى أمين إلى كل من يقف على هذا الرسم من ولاية الأمور والأمراء والوزراء والملوك والشراطي والدمالج وأبناء السلاطين والميارم والجبايين وملوك العربان والمشايخ والكراسي والخدامين ومقاديمهم وكافة أهل الدولة من الخدام أما بعد :فإني سابقاً تفضلت وأعطيت صهرنا الحاج أحمد عيسى عربياً من الماهرية من جماعة الشيخ دلم ، وأسماؤهم عبد النعيم والنعمان والداني وأحمد وحسين وحامد وزرزار وطاهر وعجز هؤلاء الرجال المذكورين كسرت عظمهم واتبعتهم لصهرنا الحاج أحمد عيسى وعفوت له بجميع منافعهم وصاروا تبعاً له ولذريته . والآن صهرنا المذكور أعطاهم لابنته الميرم زهرة في زينة رأسها وأعلمني به ، فأنا أتممته وقابلتها بجميع منافعهم الشرعية والعادية من الزكاة والفطرة والدم والفسق والهامل وغير ذلك ليس عليهم شوية ولا نوبة ولا خدمة جميع

أمرهم مقابل اتنايتنا (حفيدتنا) الميرم زهرة ، لا يعترض لها فيهم معترض، ولا ينازعها منازع، بل صاروا عرباً لها ، ورعاتها لها ولذريتها من بعدها .. هذا جوابي ومشراطي ومهري ختمي لمن يعرفه تحريراً في عام (1268هـ/18⁽¹²⁾)

المحور الثالث:

وصف آخر نماذج الصراعات القبلية في دارفور (2010 إلى 2014)

أ. صراع الرزيقات الأباله وبنو حسين :

تشهد ولايات دارفور صراعات قبلية متجددة ومتمكرة في الآونة الأخيرة ، فما أن يهدأ القتال في إحدى المناطق حتى يتجدد في منطقة أخرى، فهناك صراع الرزيقات الأباله وبنو حسين الذي يدور رحاه بشمال دارفور والذي بدأ في مطلع هذا العام في جبل عامر بسبب التنافس على أبار الذهب في المنطقة إثر تدخل نافذين من حزب المؤتمر الوطني ، حيث اتهم الشيخ موسى هلال على الملاً والي ولاية شمال دارفور محمد عثمان كبر بأن له مصلحة تسببت في اندلاع الصراع ، مستدلاً على الزيارة التي قام بها كبر بصحبة وزير المعادن كمال عبد اللطيف لمنطقة جبل عامر والتي أعقبها مباشرةً الاشتباك المسلح ، معلناً أنه يمتلك الأدلة على ذلك . ولان حكومة المؤتمر الوطني بعيدة عن الشفافية وحكم القانون مر هذا الاتهام مرور الكرام فلم تكون لجنة للنظر في الاتهام (13).

وتدخل الأجوايد من أجل لملمة الصراع من دون الغوص في مسباته والتي لا بد أن تشمل التحقق من الإدعاءات التي أطلقها الشيخ موسي هلال حتى يتم وضع العلاج الناجع له، وبالتالي يضمن عدم تجدد. تجدد الصراع يوم الجمعة 21 من يونيو المنصرم بهجوم على منطقة الجحير واتهمت قبيلة بنو حسين الرزيقات الأباله بتنفيذه وسقط عدد كبير من القتلى والجرحى من الجانبين . قال معتمد محلية السريف هارون الحسين جامع في تصريح : (إن القتال الذي تجدد يوم الجمعة وأودى بحياة (17) شخصاً وإصابة (20) من بني حسين هو إمتداد لخروقات مستمرة منذ الاحتقان القبلي السابق

بمنطقة جبل عامر . وناشد المعتمد هارون الحسين جميع الأطراف المتنازعة بضرورة ضبط النفس والالتزام بالتعايش السلمي والهدنة الموقعة بين الطرفين إلي حين قيام مؤتمر الصلح بهدف إعادة الأوضاع إلى سابق عهدها .) ويذكر أنه سبق وأن أعلنت الآلية المشتركة الخاصة بمعالجة الأوضاع في محلية السريف منتصف ابريل الماضي موعداً لعقد مؤتمر الصلح بين قبيلتي الرزيقات الأباله وبنو حسين إلا أن المؤتمر لم يقم لأسباب غير معلومة .

وصرح والي ولاية شمال دارفور محمد عثمان كبر في مؤتمر صحفي يوم 13 يناير 2014 من العام الجاري بعد حدوث الصراع :بهدهو الأوضاع الأمنية بالمنطقة (كما أوضح : (أن الأجهزة المختصة تمكنت من إخماد الأزمة وتواصل مطاردة قطاع الطرق والحركات المسلحة التي أرادت بث سمومها وسط الناس) وتبين فيما بعد استناداً على حديث المعتمد هارون الحسين أعلاه أن الخروقات من الجانبين لم تتوقف حتى تجدد الصراع مرة أخرى . وقطع كبر بعد اندلاع الصراع مرة أخرى: بالسيطرة التامة على الأوضاع في منطقة جهيرة والسريف بمنطقة جبل عامر (مشيراً إلى بعض الخروقات والإشكالات في الاتفاقية وصرح بأنها من بعض المستفيدين من الأوضاع الأمنية والمنفلتين من الطرفين ، وذكر كبر في حديثه لمؤتمر إذاعي يوم 28 يونيو المنصرم : (الآن تجري ترتيبات لإعادة الأمن لمربعه الأول). لا نعتقد أن سياسة إخفاء حقائق الواقع عن المواطنين والرأي العام يمكن أن تؤدي لحلول شاملة ودائمة لهذا الصراع القبلي المستمر والمتجدد والمتنامي(14)

ب.الصراعات بين السلامات و المسيرية:

تجدد القتال بين السلامات والمسيرية يوم 18 يونيو المنصرم ، حيث قتل أكثر من (40) وجرح ما لا يقل عن (45) شخصاً بمناطق دقرسة الواقعة شرق زالنجي ، إلي جانب إحراق (5) قري تتبع للمسيرية بالكامل ، كما شهدت البلدة عمليات نزوح وتشريد المئات من الأسر التي نزحت لزالنجي . وقال معتمد محلية شطاية الصادق عبد الله حمد الله في تصريحات صحفية ، إن تجدد الاشتباكات

بين السلامات والمسيرية خلف (40) قتيلاً وجرح (45) وامتد الصراع من المناطق التي تقع حول زالنجي بولاية وسط دارفور إلي مناطق محلية شطاية بولاية جنوب دارفور . وكشف حمد الله عن وقوع اشتباكات بمحليته صباح الثلاثاء 18 يونيو المنصرم ، وقضت النيران علي أكثر من (5) قري تتبع للمسيرية ، لافتاً لإرسال تعزيزات عسكرية للمنطقة . ونفي العمدة جبريل حسن ادم نائب رئيس شوري قبيلة السلامات ما جاء علي لسان معتمد محلية شطاية بولاية جنوب دارفور حول ملاسبات حادثة الصراع الدائر بين قبيلتي السلامات والمسيرية التي وقعت يوم 18 يونيو في منطقة دقرسة . واتهم والمسيرية بمهاجمتهم⁽¹⁵⁾

الصراع بين بني هلبة والقمر:

قال عضو المجلس الوطني سلطان دار قمر هاشم عثمان هاشم للصحافة أنهم التقوا بالنائب الأول للرئيس علي عثمان محمد طه لإحاطته بالإحداث التي وقعت مؤخراً بين القبليتين والتي راح ضحيتها العشرات ، وأضاف أن النائب الأول أكد توليه للملف ووعده بالتدخل السريع لحل الصراع بين القبليتين ، كاشفاً عن اجتماعه بالآلية المكونة من ولاية دارفور والسلطة الإقليمية والأجهزة الأمنية بالإقليم للتواضع علي حلول للصراع القبلي بالإقليم . وتعهد النائب الأول بحسب هاشم بحل جميع الصراعات القبلية والتدخل العاجل للجم القوات النظامية المشاركة في الصراع ، مطالباً الطرفين بضبط النفس والاحتكام لصوت العقل . وحذر سلطان دار قمر من هجوم جديد من قبيلة بني هلبة علي دار قمر ، وكشف عن معلومات تفيد بأن هناك استعدادات من قبل بني هلبة لشن هجوم جديد بمعاونة عشر عربات من قوات حرس الحدود . وأضاف هناك لجنة مكلفة بولاية جنوب دارفور لمتابعة الأحداث رصدت تلك التحركات وأبلغت والي الولاية اللواء ادم محمود جار النبي الذي قام بدوره بإرسال تعزيزات عسكرية من قوات الشرطة لتحول دون الهجوم وتحمي المواطنين⁽¹⁶⁾

المحور الرابع :

العوامل التي تساعد في تنامي القبلي :

نسبة لعدم وجود دولة واحدة في السابق ، كانت القبلية هي مصدر الامان والحماية للفرد ، لذلك كان ولاء الفرد الاول و الاخير للقبيلة ، و كانت القبيلة للفرد الكيان السياسي و الاداري و تمثل له مصدر قوته وضعفه وفق ووضعية القبيلة وسط القبائل الاخرى مما كانت له تأثيرات كبيرة في جوانب عديدة منها:

أ. تأثير الولاء القبلي على الولاء الوطني

كما يذكر رغم العلاقة الطيبة بين قبيلتي الفور و بني هلبا والتي إرتبطت هذه العلاقة برباط المصاهرة مما ميزت هذه العلاقة بنوع من الخصوصية هذه العلاقة لم تشفع للخضوع لحكم السلطان علي دينار و إنهم في عام من الاعوام أنعم الله عليهم بالخير الوفير حيث زرعوا وحصدوا كميات كبيرة من الغلال وقاموا بإحراقها حينها كانت البلاد تمر بفترة الصيف و قالوا: أن الله يقول: (أن الارض يرثها عبادي الصالحون) ونحن عباده الصالحون فكيف يحكمنا الفور⁽¹⁷⁾

ولذلك ان العصبية القبيلة هي تلك تكون بين أشخاص ينحازون الي بعضهم حتى في الباطل بدافع انهم ينتمون لذات القبيلة و يتحتم عليهم الدفاع عنها و عن افرادها.

ب. التأثير السياسي على الولاء الوطني

يلعب الإستقطاب السياسي دوراً فعالاً في زيادة الولاء القبلي و توجيهاً نحو الإتجاه السالب حيث تكون القبيلة هي الحزب الذي يتجه إليه أفرادها للنيل المكاسب السياسية ، حيث إستخدمت الحكومات المتعاقبة منذ فجر الاستقلال في إستقطاب زعماء القبائل و العشائر، حيث عملت الاحزاب في إستمالة زعماء الإدارات الاهلية لكسب تأييدها و عبرها تكسب افراد القبيلة و هذا المنحى أفرز ولاءات قبلية (18)

وسعت حكومة الانقاذ بوسائل عدة في زيادة حدة الولاء القبلي حيث سعت على كسب التأييد السياسي من القبائل عن طريق المبايعة عبر زعمائها والتشجيع على قيام مجالس الشورى للقبائل واصبحت تتصارع القبائل في حشد اتباعها لكسب رضاء الحكومة لتمكينها من نيل مكاسب سياسية عبر القبيلة ، مما أوج الحمية القبلية التي كانت نائمة على حساب ممسكات النسيج الاجتماعي لمكونات المجتمع . حيث يقول ادم الزين في ذلك الاتجاه (لم تكتف حكومة الانقاذ بالتأثير السياسي على زعماء العشائر وحدهم بل حاولت التأثير على أتباعهم مستخدمة في ذلك سياسة الجذرة و العصاء) و تمنحهم أو تمنعهم الوظائف القيادية وفق إثبات أو عدم إثبات الولاء السياسي نتيجة هذ التسييس المتصل للكيانات القبلية و الإثنية تلاشت ممسكات التعايش السلمي بينها بعد أن عصفت بها إعتبرات الولاء القبلي و المكافأة او العقاب(19)

ج. خطر العصبية القبلية على الانتماء الى الوطن:

نجحت القبيلة كتنظيم إجتماعي في بداية الحياة البشرية أن تستوعب متطلبات أفراد وتلبي إحتياجاتها إلا أن التطور للإنسان كونه كائن إجتماعي اصبح يطور المجتمعات وكونت حياة المدن ومن ثم إستوعب جميع المكونات القبلية مكونة دولة المدينة ، ثم دولة قومية ضمت داخلها جميع الاطراف القبلية واصبحت الولاءات ليست للقبيلة بل للوطن. وبدأت الشعوب تطور أنظمة الحكم كلها بما يتواءم والتطور الانساني يسوده الحرية وحقوق الانسان و المواطنة ، فالدولة الفاعلة هي التي تعمل على تماسك وتضامن مجتمعاتها ضمان تفاعلها ، وذلك بوجود هوية جامعة ومؤسسات دولة تستوعب وتعبر بمساواة شاملة عن مصالح جميع الكتل البشرية لشعب الدولة، وهذا لايتماشى مع هوية الانتماء القبلي الضيق الذي يرفع الولاء القبلي فوق ولاءات الوطن وتعمل على الافضلية القبلية و تتعارض مع المواطنة الحقّة ، كلما تناقصت قدرة الدولة على الامساك بكل زمام الامور وغياب هوية الدولة كلما إرتفعت حدة الولاء القبلي وزادت الصراعات القبلية مما تهدد كيان الوطن ووحدها.(20)

مقابلات شخصية مع بعض قادة الادارة الاهلية و اساتذة والمنتقنين والمرآة في ولاية وسط دارفور لمعرفة آراءهم في الولاءات القبلية ودورها في تعقيد عملية السلام في اقليم دارفورو كذلك أنت آراءهم كلاتي :

مقابلة (1)

مع الاستاذ صديق عبدالمولي سليمان صالح ،جمعية الهلال الاحمر- ولاية وسط دارفور - زالنجي- 25.09.2020 فاجابة على الاسئلة التالية:

1. (كيف تصف تأثير الولاءات القبلية على سلام دافور)

تأثير الولاءات القبلية على سلام دافور كانت ماثلة في دارفور و مؤثرة في جلب السلام و السبب هو عدم قبول القبائل لبعضها البعض كمكون لاقليم دارفور .

2. (كيف نستفيد من التعدد الاثني القبلي في دارفور)

نستفيد من التعدد الاثني القبلي في دارفور يقبول تعدد الثقافات و احترامها وجعلها بوتقة جامعة لاهل الاقليم في بناء السلام الاجتماعي .

3. (الولاءات القبلية في دارفور كانت حاضرة في عملية التفاوض لماذا؟)

لأن الصراعات بين القبائل كانت وما زالت موجودة في منابر التفاوض في جوبا وغيرها من الاتفاقيات السابقة التي امبرمت في ابوجا و الدوحة.

4. (هنالك شعور بالغبن لبعض الكيانات القبلية التي لا تملك حواكير تجاه ملاك الحواكير لماذا؟)

يجب على القبائل التي لا تملك حواكير أن تتعايش مع ملاك الحواكير كما كانت في العهد القديم لدارفور

5. (كيف نتخلص من النزعة القبلية المتفشية في اقليم دارفور)

نتخلص من النزعة القبلية المتفشية في اقليم دارفور بقبول الآخر و احترامه

6. (لماذا تعتمد الحركات المسلحة في دارفور احياناً علي القبيلة دون القومية)

الاعتماد على سرية الفكرة حتى لا تندثر .

7. (فشل احلال السلام سببه عدم مشاركة النازحين واللاجئين و جميع المكونات المجتمعية والاثنية الدارفورية في عملية

التفاوض ماذا ترى؟)

لان السلام في دارفور يحتاج للحوار يشمل جميع مكونات دارفور و ان يتحاور المجتمع الدارفوري فيما بينهم حول القضايا الجزرية التي قامت المشاكل من اجلها.

مقابلة (2)

مع الاستاذ صلاح الدين حسين ادم ابر- منسق الشؤون الانسانية لحركة تحرير السودان جناح عبدالواحد محمد النور-

ولاية وسط دارفور -غرب جبل مرة -منطقة كويلا - 25.09.2020

فاجابة على الاسئلة التالية:

1. (كيف تصف تأثير الولاءات القبلية على سلام دافور)

للسعوبة الامر ، لأن الانتماءات الاجتماعية في اقليم دارفور تعتمد على ثقافة زاتية للانتماءات ، بالتالي تحتاج لتوعية عبر المدارس الانسانية

2. (كيف نستفيد من التعدد الاثني القبلي في دارفور)

يمكن ان يكون عبر الاعتراف بذلك التعدد ويكون بنشر ثقافة القبول او ما يسمى بالديمقراطية الاجتماعية

3. (الولاءات القبلية في دارفور كانت حاضرة في عملية التفاوض لماذا؟)

لكي تؤدي عملية التفاوض مفهومها و معناها الحقيقي ان يشارك كل اطراف الشعب بما فيهم زعماء القبائل و المعادلة المتنازعة.

4. (هنالك شعور بالغبن لبعض الكيانات القبلية التي لا تملك حواكير تجاه ملاك الحواكير لماذا؟)

لأن ملاك الحواكير لديهم تأثير قطري و سياسي إتجاه الاراضي و استخدامها .

5. (كيف نتخلص من النزعة القبلية المتفشية في اقليم دارفور)

يكون عبر التعايش وتحاور الدارفوري حقيقي يشارك فيه كل مكونات الشعب الدارفوري بالاجواء سياسية أمنة ومتوفرة.

6. (لماذا تعتمد الحركات المسلحة في دارفور احياناً علي القبيلة دون القومية)

لأن ثقافة السودان من الحكومات التي تعاقبت على سدة الحكم (قبل وبعد) تركزت على ثقافة الانتماءات الضيقة دون القومية. (7). فشل احلال السلام بسببه عدم مشاركة النازحين واللاجئين و جميع المكونات المجتمعية والاثنية الدارفورية في عملية التفاوض ماذا ترى؟)

نعم نرى أنه حقيقة فشل الاتفاقات السلام يرجع الى عدم مشاركة جميع مكونات شعب دارفور بضمانات وافرة تحقق ابجديات إتفاق السلام اولاً قبل توقيعه

مقابلة (3)

نورالدين عبدالمحمود عبدالشافع ادم - مطوع بجمعية الهلال الاحمر السودان - ولاية وسط دارفور- جبل مرة -كويلا-
25.09.2020

فاجابة المذكور اعلاه:

1. كيف تصف تأثير الولاءات القبلية على سلام دارفور)
الولاءات القبلية لها تأثير سلبي علي مسار السلام عقدت خيوط الحل
2. كيف نستفيد من التعدد الاثني القبلي في دارفور)
يمكن نستفيد في بناء اقليم اذا احسن ادارته.
3. (الولاءات القبلية في دارفور كانت حاضرة في عملية التفاوض لماذا؟)
ساهمت في عدم الاتفاق بين مكونات القبائل حول القضية دارفور
4. (هنالك شعور بالغبن لبعض الكيانات القبلية التي لا تملك حواكير تجاه ملاك الحواكير لماذا؟)
في نظرة اصحاب الحواكير هنالك انتقاص المواطنة من قبل الذين لا يملكون الحواكير
5. (كيف نتخلص من النزعة القبلية المتفشية في اقليم دارفور)
بالتسامح والمساواة بين القبائل في حقوق المواطنة الحققة ومشاركة السياسية
6. (لماذا تعتمد الحركات المسلحة في دارفور احياناً علي القبيلة دون القومية)
إذا اعتمدت على القومية قد لا تحقق فكرة المشروع
7. (فشل احلال السلام بسببه عدم مشاركة النازحين واللاجئين و جميع المكونات المجتمعية والاثنية الدارفورية في عملية التفاوض ماذا ترى؟)

يجب توحيد آراء النازحين واللاجئين و مكونات الاخرى بتفويض منهم تساعد في حل المشكلة

مقابلة (4)

مع عبدالله حقار محمد بره - عضو اللجنة التنسيقية العليا لأبناء المحاميد -ولاية وسط دارفور - زالنجي - حي الوحدة -
04.10.2020

فاجابة المذكور.

1. (كيف تصف تأثير الولاءات القبلية على سلام دارفور)
لها تأثير كبير بين مكونات المجتمع الدارفوري فأن القبيلة تمثل الدنمو المحركة له في اثناء سلمه و حربه
2. (كيف نستفيد من التعدد الاثني القبلي في دارفور)
بوضع مشروع يستوعب هذا التعدد بكل مكوناته المجتمعية والقبلية

3. (الولاءات القبلية في دارفور كانت حاضرة في عملية التفاوض لماذا؟)
المجتمع الدارفوري تكوينته قبلية بحتة
4. (هنالك شعور بالغبن لبعض الكيانات القبلية التي لا تملك حواكير تجاه ملاك الحواكير لماذا؟)
لان التي لا تملك تواجه تنمر و اقضاء من قبل ملاك الحواكير
5. (كيف نتخلص من النزعة القبلية المتفشية في اقليم دارفور)
عبر الحوارات المجتمعية تناقش اسباب النزعة القبلية وتأثيرها في عملية بناء السلام الاجتماعي
6. (لماذا تعتمد الحركات المسلحة في دارفور احياناً علي القبيلة دون القومية)
لان برامجها تعتمد على اقضاء الاخرين و ليس لها مشروعات تستوعب الكل
7. (فشل احلال السلام سببه عدم مشاركة النازحين واللاجئين و جميع المكونات المجتمعية والاثنية الدارفورية في عملية التفاوض ماذا ترى؟)
لان اتفاقيات السلام لم تناقش جزور المشكلة و احيان كثيرة تعتبر محصنات لتقسيم الكراسي و السلطة على حساب اصحاب المصلحة الحقيقيين .

مقابلة (5)

يوسف موسي فضل إسحاق - مطوع في جمعية الهلال الاحمر - وسط دارفور - جبل مرة - عمدية ليون 24.09.2020

1. (كيف تصف تأثير الولاءات القبلية على سلام دارفور)
فاجاب على ذلك السؤال الولاءات القبلية كانت مؤثرة على سلام في دارفور كما واضح في منابر التفاوض في جوبا و انقسام الحركات المسلحة حول القضية.
2. (كيف نستفيد من التعدد الاثني القبلي في دارفور)
يمكن الاستفادة منها في تبادل المعلومات والآراء في بناء السلام الدائم
3. (الولاءات القبلية في دارفور كانت حاضرة في عملية التفاوض لماذا؟)
نعم عدم اتفاق حول رؤية السلام في دارفور بين مكونات القبائل كان سبب حضور القبيلة في التفاوض
4. (هنالك شعور بالغبن لبعض الكيانات القبلية التي لا تملك حواكير تجاه ملاك الحواكير لماذا؟)
يرى الاشخاص الذين لا يملكون الحواكير بالغبن لانهم لا يمثلون السكان الاصليين
5. (كيف نتخلص من النزعة القبلية المتفشية في اقليم دارفور)
بالتساوي في الحقوق والواجبات والتسامح و المصاهرة بين القبائل
6. (لماذا تعتمد الحركات المسلحة في دارفور احياناً علي القبيلة دون القومية)
اذا اعتمدت على القومية قد لا تحقق الاهداف والطموحات المنشودة
7. (فشل احلال السلام سببه عدم مشاركة النازحين واللاجئين و جميع المكونات المجتمعية والاثنية الدارفورية في عملية التفاوض ماذا ترى؟)
توحيد جميع آراء النازحين و اللاجئين و جميع المكونات الاخرى قد يساعد في حل المشكلة في دارفور

مقابلة (6)

صلاح الدين صالح يوسف عبدالله - ولاية وسط دارفور - عمدة قبيلة الفور بغرب جبل مرة - منطقة جلدو -

24.09.2020

فاجاب على الاسئلة الاتية

1. (كيف تصف تأثير الولاءات القبلية على سلام دارفور)
- الولاءات القبلية كانت سلبية في عملية السلام والتفاوض و آثرت و عمقت المشكلة في دارفور و عدم توحيد القبائل عمق الجراح في دارفور
2. (كيف نستفيد من التعدد الاثني القبلي في دارفور)
- يمكن ان نستفيد في بناء الاقليم بجميع مكوناتهم المختلفة
3. (الولاءات القبلية في دارفور كانت حاضرة في عملية التفاوض لماذا؟)
- الولاءات القبلية مبنية على الادارة الاهلية وهي الاساس في بناء السلام و هم قادة المجتمع الاصليين وهم مدركين للنظام الحواكير الاقليم و تركيبة السكانية وعدم مشاركتهم في التفاوض اعاق سبل حله.
4. (هنالك شعور بالغبن لبعض الكيانات القبلية التي لا تملك حواكير تجاه ملاك الحواكير لماذا؟)
- كانت الحواكير نظاماً قديماً جداً يحتوي كل القبائل الموجودة منذ قديم الزمان و لكن الذين لا يملكون حواكير هم الوافدين الجدد الى المنطقة
5. (كيف نتخلص من النزعة القبلية المتفشية في اقليم دارفور)
- بتتاسي النزعات القبلية و بناء سلام حقيقي و التصاهر و الرجوع الى الموروثات القديمة المتعارف عليها الجميع مثل أمره تقود عشرة من الجمال على حدها و محملة بالبضائع ولا تتعرض لاي نوع من الاذى و الاضطهاد.
6. (لماذا تعتمد الحركات المسلحة في دارفور احياناً علي القبيلة دون القومية)
- أ. عدم الثقة بين القبائل لذلك اعتمدت على القبلية دون القومية
- ب. الحفاظ على سرية المشروع و بناءه دون انهيار .
7. (فشل احلال السلام سببه عدم مشاركة النازحين واللاجئين و جميع المكونات المجتمعية والاثنية الدارفورية في عملية التفاوض ماذا ترى؟)
- هنالك سماسة يتحدثون نيابة عن النازحين و الاجئين دون تفويض منهم

مقابلة (7)

صلاح ابراهيم عبدالله الدودو - منظمة الاغاثة العالمية - ولاية وسط دارفور - زانجي - 5.8.2020

فاجاب على الاسئلة الاتية

1. (كيف تصف تأثير الولاءات القبلية على سلام دارفور)
- لها تأثير البالغ لان معظم الحركات المسلحة قائمة على الولاء القبلي لذا نجد القبيلة
2. (كيف نستفيد من التعدد الاثني القبلي في دارفور)
- عندم نتوجه توجيه اجابي نحو قبول الاخر دونما التقليل من شأن او الانطواء الذاتي
3. (الولاءات القبلية في دارفور كانت حاضرة في عملية التفاوض لماذا؟)

- لان الحركات قائمة على الولاء القبلي الضيق
4. (هنالك شعور بالغبن لبعض الكيانات القبلية التي لا تملك حواكير تجاه ملاك الحواكير لماذا؟)
- لان الذي لا يملك حاكورة يعتبروه الملاك بأنه غير اصلي من الدرجة الثانية
5. (كيف نتخلص من النزعة القبلية المتفشية في اقليم دارفور)
- بالتسامح وقبول الاخر و نبذ القبلية الضيقة و النظرة العامة و الشعور بالقومية
6. (لماذا تعتمد الحركات المسلحة في دارفور احياناً علي القبيلة دون القومية)
- لكي تسند نفسها بتقوي بالقبيلة وذلك عبر التأييد القبلي وهي تتخباء في اراضي تلك القبيلة وحفظ الاسراها
7. (فشل احلال السلام سببه عدم مشاركة النازحين واللاجئين و جميع المكونات المجتمعية والاثنية الدارفورية في عملية التفاوض ماذا ترى؟)
- التفاوض يجب أن يشمل كل قطاعات المجتمع نازحين و لاجئين و غيرهم حتي يشعر الجميع بروح المشاركة و ابداء الرأي و الملاحظات والحقوق العادلة.

مقابلة (8)

محمد احمد محمد علي - باحث اجتماعي - ولاية وسط دارفور - زالنجي 29.09.2020

فاجابة على الاسئلة التالية

- (كيف تصف تأثير الولاءات القبلية على سلام دافور)
- بالطبع تأثير الولاءات القبلية على سلام دارفور سلبياً ، لان السلام يجب ان يكون بناءً على مناقشة جزور الازمة بصورة موضوعية وتاريخية غير ذلك يمكن أن تسمى ترصيات
2. (كيف نستفيد من التعدد الاثني القبلي في دارفور)
- حسب فلسفة العلوم الاجتماعية التعدد يمكن ان يكون مدخل للوحدة الجازية ، بالتالي اذا تم توظيف هذا التعدد بمنهجية علمية يمكن ان تصنع مجتمع مسالم وقوي لا يمكن تفكيته
3. (الولاءات القبلية في دارفور كانت حاضرة في عملية التفاوض لماذا؟)
- لأن نظرة الوسطاء هي نظرة قاصرة على الترضيات فقط و ليس الحل الجزري
4. (هنالك شعور بالغبن لبعض الكيانات القبلية التي لا تملك حواكير تجاه ملاك الحواكير لماذا؟)
- في تقديري هذا الغبن تم صناعته بواسطة ايدولوجية الانظمة التي تعاقبت على حكم السودان
5. (كيف نتخلص من النزعة القبلية المتفشية في اقليم دارفور)
- لا يمكن التخلص من هذه النزعة اذا لم تعالج جزور الازمة بصورة عادلة و كذلك يجب انتدرج بعض المواد في المناهج الدراسية وكذلك سن بعض القوانين الرادعة
6. (لماذا تعتمد الحركات المسلحة في دارفور احياناً علي القبيلة دون القومية)
- افراد القبيلة هي التي تدافع عنها وتطورت هذه العملية الى تكوين الحركات التي اعتمدت اولاً على القبيلة ومن ثم الانتفتاح حسب طبيعة الثقة واحترام المشروع
7. (فشل احلال السلام سببه عدم مشاركة النازحين واللاجئين و جميع المكونات المجتمعية والاثنية الدارفورية في عملية التفاوض ماذا ترى؟)

لا يوجد ضرورة لمشاركة النازحين واللاجئين اذا كانت القضايا التي تناقش في الطاولة الحوارية بصورة واقعية عن قضية النازحين واللاجئين. لذا تكمن عملية نجاح احلال السلام في النظر الى ما هي المشكلة ، الاسباب ، تاريخها و النتائج ومن ثم العمل على حلها هكذا منهج صنيعة السلام.

مقابلة (9)

مع محمد يوسف سليمان ادم - معلم مرحلة الاساس - مدير مدرسة اروكوم الاساسية - زالنجي - 07.10.2020

فاجبة على الاسئلة التالية

1. (كيف تصف تأثير الولاءات القبلية على سلام دارفور)
- تأثر سلام دارفور تأثيراً مباشراً وكبيراً بالولاءات القبلية ذلك أن هذا البلد منذ امد بعيد يعتبر دائرة صراعات قبلية فاصبحت الولاءات القبلية سيده الموفق
2. (كيف نستفيد من التعدد الاثني القبلي في دارفور)
- اولاً التعدد الأثني و القبلي له دور الاكبر في توليد افكار تساعد الدولة في وضع خطط سليمة للتنمية والسلام الاجتماعي لذلك يد الله مع الجماعة
3. (الولاءات القبلية في دارفور كانت حاضرة في عملية التفاوض لماذا؟)
- لأن دارفور وطن للجميع فقط الفرق هو تسمية (دارفور) وهذا لا يدل أن من سميت البلاد بأسمهم هم الذين لديهم الحق في تقرير أمر هذه المنطقة فدارفور وطن للجميع
4. (هنالك شعور بالغبن لبعض الكيانات القبلية التي لا تملك حواكير تجاه ملاك الحواكير لماذا؟)
- لأنهم يشعرون جراء عدم تملكهم الحواكير أن ليس لهم الحق في التمثيل وهذا غير صحيح فالارض لمن يصلحها ودارفور عبارة عن بيت حبوبة يضم الكل
5. (كيف نتخلص من النزعة القبلية المتفشية في اقليم دارفور)
- أن النزعة القبلية السائدة اليوم في دارفور خلقتها السياسات الانظمة العنصرية لابعاد ابناء دارفور بمختلف قبائلهم حتى لا يتفقوا ويزاحموهم في كراسي السلطة
6. (لماذا تعتمد الحركات المسلحة في دارفور احياناً علي القبيلة دون القومية)
- نظراً للفتنة التي خلقتها السياسات العنصرية و التي اصبحت تؤثر في ابناء دارفور جعلت القبائل تكره بعضها البعض لذا القومية ضرورية
7. (فشل احلال السلام سببه عدم مشاركة النازحين واللاجئين و جميع المكونات المجتمعية والاثنية الدارفورية في عملية التفاوض ماذا ترى؟)
- فشل الكثير من منابر التفاوض سببها عدم مشاركة النازحين واللاجئين والمجتمعات الاثنية الدارفورية لان الفئات المذكور سابقاً تشعر بالظلم لان الذين يتفاوضون من المنابر يسرقون أسنة النازحين وهم غير مفوضون من طرف النازحين لذا كان عدم مشاركة النازحين واللاجئين له الاثر في فشل كل الاتفاقيات التي تم توقيعها من قبل.

مقابلة (10)

مديحة يعقوب باسي - ضابط تأمين صحي - وسط دارفور - زالنجي - حي كنجومية- 07.10.2020

فاجابة على الاسئلة التالية

1. (كيف تصف تأثير الولاءات القبلية على سلام دافور)
بالنسبة القليلة هنالك تأثير سلبي في بعض الحالات
2. (كيف نستفيد من التعدد الاثني القبلي في دارفور)
يأتي بتوحيد القبلي بين مكونات الوطن الواحد
3. (الولاءات القبلية في دارفور كانت حاضرة في عملية التفاوض لماذا؟)
نعم كانت حاضرة في دارفور بشكل خاص و في السودان بشكل عام.
4. (هنالك شعور بالغبن لبعض الكيانات القبلية التي لا تملك حواكير تجاه ملاك الحواكير لماذا؟)
هذا الغبن أتي سياسيا و ليس اجتماعيا بمعنى السياسون يخلطون الحابل بالنابل لكسب سياسي
5. (كيف نتخلص من النزعة القبلية المتفشية في اقليم دارفور)
بالتوحيد و التزواج وعدم اقضاء الاخرين
6. (لماذا تعتمد الحركات المسلحة في دارفور احيانا على القبيلة دون القومية)
سببه فقدان الثقة بين مكونات المجتمع السودان
7. (فشل احلال السلام سببه عدم مشاركة النازحين واللاجئين و جميع المكونات المجتمعية والاثنية الدارفورية في عملية التفاوض ماذا ترى؟)
عدم الايجابية بين قبائل في دارفور لقبول الاخر .

مقابلة (11)

حليمة مختار النور عبدالله - ربة منزل - زالنجي - 07.10.2020

فاجابة على الاسئلة التالية

1. (كيف تصف تأثير الولاءات القبلية على سلام دافور)
تأثيرها سلبي على سلام دارفور
2. (كيف نستفيد من التعدد الاثني القبلي في دارفور)
بناء بيئة لتعارف القبائل لبعضها البعض و ربط النسيج الاجتماعي بمشاريع مشتركة
3. (الولاءات القبلية في دارفور كانت حاضرة في عملية التفاوض لماذا؟)
عدم احترام التعدد هو سبب النزاعات واطاحة فرصة لكل هو مفتاح الحل
4. (هنالك شعور بالغبن لبعض الكيانات القبلية التي لا تملك حواكير تجاه ملاك الحواكير لماذا؟)
هناك تمييز بين السكان الاصليين و الجدد
5. (كيف نتخلص من النزعة القبلية المتفشية في اقليم دارفور)
بالتصاهر و التوعية العلمية

6. لماذا تعتمد الحركات المسلحة في دارفور احياناً علي القبيلة دون القومية)

لنقشي القبلية في دارفور و السودان

7. فشل احلال السلام سببه عدم مشاركة النازحين واللاجئين و جميع المكونات المجتمعية والاثنية الدارفورية في عملية التفاوض ماذا ترى؟)

نرى أن السلام هو الحل لجميع سكان دارفور ويجعلهم يعيشون في أمن و طمانينة في كل ولاياتهم .

مقابلة (12)

عبد الله داؤود دفع الله حامد - باحث اجتماعي - ولاية وسط دارفور - زالنجي - 07.10.2020
فاجابة على الاسئلة التالية

1. كيف تصف تأثير الولاءات القبلية على سلام دافور)

يجب ان يكون تأثير ايجابي يساعد في تطبيق السلام على الارض

2. كيف نستفيد من التعدد الاثني القبلي في دارفور)

يمكن الاستفادة منه في خلق قوة جاذبة في المجتمع

3. (الولاءات القبلية في دارفور كانت حاضرة في عملية التفاوض لماذا؟)

يمكن ان تساعد في التقدم مسار التفاوض حتى إنجازه

4. هنالك شعور بالغبن لبعض الكيانات القبلية التي لا تملك حواكير تجاه ملاك الحواكير لماذا؟)

أنا في اعتقادي هذه مسألة لخلق الفتن في المجتمع

5. كيف نتخلص من النزعة القبلية المتفشية في اقليم دارفور)

بالتناسي و الرجوع الى العهد القديم قد يساعد في حل المشاكل.

6. لماذا تعتمد الحركات المسلحة في دارفور احياناً علي القبيلة دون القومية)

هذه مسألة ليست صحيحة بل انما الحكومة السابقة حرضت بعض القبائل ضد بعض.

7. فشل احلال السلام سببه عدم مشاركة النازحين واللاجئين و جميع المكونات المجتمعية والاثنية الدارفورية في عملية التفاوض ماذا ترى؟)

هو سبب في فشل المفاوضات حالياً

مقابلة (13)

احمد محمد سليمان - معلم في مرحلة الثانوي - ولاية وسط دارفور - زالنجي - 07.10.2020

فاجابة على الاسئلة التالية

1. كيف تصف تأثير الولاءات القبلية على سلام دافور)

المجتمعات المحلية و رجلات الادارة الاهلية هي التي تاتر سلباً او ايجابياً في حركة المجتمع وفي عملية التفاوض

2. (كيف نستفيد من التعدد الاثني القبلي في دارفور)

التعدد القبلي و قبول الاخر يعتبر ركيزة اساسية في بناء السلام و التعايش الاجتماعي

3. (الولاءات القبلية في دارفور كانت حاضرة في عملية التفاوض لماذا؟)

- المجتمع الدارفوري يتأثر بالقيادات القبلية وحل مشاكله يجب عبر قيادات المحلية.

4. هنالك شعور بالغبن لبعض الكيانات القبلية التي لا تملك حواكير تجاه ملاك الحواكير لماذا؟)

نعم بعض الادارات الاهلية ترى ذلك

5. كيف نتخلص من النزعة القبلية المتفشية في اقليم دارفور (

التزام بالدين الاسلامي كمخرج من الازمات و قبول الاخر هو مفتاح الحل

6. لماذا تعتمد الحركات المسلحة في دارفور احياناً علي القبيلة دون القومية (

لان المجتمع متأثر بقياداته القبلية دون القومية

7. فشل احلال السلام سببه عدم مشاركة النازحين واللاجئين و جميع المكونات المجتمعية والاثنية الدارفورية في عملية

التفاوض ماذا ترى؟)

نتفق لحدما لان مشاركة الناشطين من قيادات الفاعلة تأثر ايجابياً على عملية السلام

مقابلة (14)

محمد علي بخيت فائق - معلم مدرسة الفردوس الاساسية - ولاية وسط دارفور - زالنجي - 07.10.2020

فاجابة على الاسئلة التالية

1. (كيف تصف تأثير الولاءات القبلية على سلام دافور)

قد يكون لها تأثير عندما المواطن ولائه للقبيلة لا الوطن و السلام محتاج الى وحدة من كل المواطنين دارفور ودعم من القبائل.

2. (كيف نستفيد من التعدد الاثني القبلي في دارفور)

عندما نوجه الجهد القبلي و كل ثقافة من مواطن دارفور في خلق بيئة من التعايش السلمي و اظهار الولاء للمنطقة

3. (الولاءات القبلية في دارفور كانت حاضرة في عملية التفاوض لماذا؟)

اولاً. ضعف من الوساطة وثنائياً. تقادياً للانتقادات كلاً منهما يريد ان يكون له تمثيل في الحكومة القادمة

4. (هنالك شعور بالغبن لبعض الكيانات القبلية التي لا تملك حواكير تجاه ملاك الحواكير لماذا؟)

ملاك الحواكير يسمون الذين ليس لهم حواكير بالدخيلين عليهم و ليس لهم حق و سبب الاحتقان القبلي.

5. (كيف نتخلص من النزعة القبلية المتفشية في اقليم دارفور)

بوضع قوانين تمنع القبيلة وعمل ورش وتدريب مكثف و توعية للمواطن بنبذ العنصرية ووضع منهج يدرس في مدارس الاطفال.

6. (لماذا تعتمد الحركات المسلحة في دارفور احياناً علي القبيلة دون القومية (

نسبة لتفشي النزعة القبلية في دارفور و يعتمد قادة الحركات المسلحة على الفرد الذي له ولاء لقبيلته

7. (فشل احلال السلام سببه عدم مشاركة النازحين واللاجئين و جميع المكونات المجتمعية والاثنية الدارفورية في عملية

التفاوض ماذا ترى؟)

الكل موجود في عملية التفاوض لكن هنالك ممثلين لهم ولا يريدون المتاجرة بالقضية مثل السياسيون لمصالحهم الخاصة بهم.

مقابلة (15)

محمد علي عبدالله - معلم ثانوي - ولاية وسط دارفور - زالنجي - 07.10.2020

فاجابة على الاسئلة التالية

1. (كيف تصف تأثير الولاءات القبلية على سلام دارفور)
تأثير سلبي 100% عندما يكون الولاء للقبيلة دون النظر الى الكيانات من حولنا
2. (كيف نستفيد من التعدد الاثني القبلي في دارفور)
بتعدد الافكار والآراء من كل قبيلة الخروج بهذا التعدد الى مصلحة المواطن
3. (الولاءات القبلية في دارفور كانت حاضرة في عملية التفاوض لماذا؟)
اكيد لازالت الولاءات القبلية تسيطر على كل الحركات المسلحة بالذات لأن التكوين الهيكلي للحركات قائم على اساس قبلي هو سبب تأخير السلام
4. (هنالك شعور بالغبين لبعض الكيانات القبلية التي لا تملك حواكير تجاه ملاك الحواكير لماذا؟)
نعم موجود بين مكونات المجتمع
5. (كيف نتخلص من النزعة القبلية المتفشية في اقليم دارفور)
بالتثقيف وارساء روح الوطنية و المصلحة العامة و عقد ورش عن الوطنية تثمين السلام المجتمعي
6. (لماذا تعتمد الحركات المسلحة في دارفور احياناً علي القبيلة دون القومية)
لتحقق بعض الاهداف و المصالح الخاصة وذلك لحشد النعرات القبلية لتحقيق
7. (فشل احلال السلام سببه عدم مشاركة النازحين واللاجئين و جميع المكونات المجتمعية والاثنية الدارفورية في عملية التفاوض ماذا ترى؟)
عدم مشاركة الكل يقوض عملية السلام.

الخاتمة:

ختاماً ونظراً للنماذج السابقة الذكر ، أن التأثير السياسي على الصراعات القبلية كان يلعب الاستقطاب السياسي دوراً فعالاً في زيادة الولاء القبلي وتوجيهها نحو الإتجاه السالب حيث تكون القبلية هي الحزب الذي يتجه اليه أفرادها للنيل المكاسب السياسية والاجتماعية. لذلك حيث استخدمت الحكومات المتعاقبة منذ فجر الاستقلال في إسقطاب زعماء القبائل والعشائر ويطون القبائل لتحقيق طموحات الشخصية ، حيث عملت الاحزاب في استمالة زعماء الادارة الاهلية لكسب تأييدها وعبرها تكسب أفراد القبلية وهذا المنعطف افرز ولاءات قبلية و صراعات دموية واحقاد موروثه للاجيال.

النتائج:

- 82 % من أفراد العينة أكدت بأن الصراعات القبلية لها تأثيرات إجتماعية إثنية في دارفور بنسبة 18%
- 80 % من أفراد العينة وافقت بأن الصراعات القبلية خلقت مشاكل أسرية بنسبة 20% وجود ذلك
- 90 % من أفراد العينة أكدت ان القدوم السياسي عبر القبائل زاد من حدة الصراعات القبلية بنسبة 10% وجود ذلك
- 94% من افراد العينة أكدوا أن الاستمرار في إنشاء وإنشطار الكيانات القبلية الجديدة لها أثرها في إزياد روح الولاءات القبلية والتعصب لها ، بينما 6 % نفى وجود ذلك.
- 67% من أفراد العينة أكدت بأن الصراعات القبلية تبعد روح التعامل والتفاعل بين الافراد المجتمع بينما 13% نفى وجود ذلك.

التوصيات :

1. على وزارة الحكم المحلي و الخدمة العامة تحديد دور القبلية في العمل الاجتماعي وعدم زجها في العمل السياسي
2. على الدولة القيام بمسئولياتها الامنية والاجتماعية دون الرجوع الى القبيلة

3. على الدولة الاهتمام بشريحة الرحل وتوفير الخدمات الخاصة بهم مثل توفير المياه وتطوير المراعي
4. على الدولة تشجيع و تفعيل دور مؤسسات المجتمع المدني ورعايتها لتقوم بدورها وسط المجتمع
5. رتق النسيج الاجتماعي و زرع روح السلام الاجتماعي بين مكونات المجتمع .

المراجع والمصادر

1. على احمد حقار، البعد السياسي للصراع القبلي في دارفور، رسالة ماجستير منشورة 2003 ، جامعة أمدرمان الاسلامية.
2. عبده مختار موسى ، دارفور من أزمة دولة الى صراع القوى العظمى ،دار عزة للنشر والتوزيع ،الخرطوم،
3. عبده مختار موسى ، دارفور من أزمة دولة الى صراع القوى العظمى ،دار عزة للنشر والتوزيع ،الخرطوم، 2010
4. أحمد ادم بوش ، جدلية العلاقات بين العوامل البيئية و النزاعات في دارفور، مركز دراسات الشرق الاوسط وافريقيا ، نوفمبر/ ديسمبر 2003
5. زين العابدين محمد حسين، التدخل الدولي وأثره على النزاع في دارفور، رسالة غير منشورة ص 23
6. محمد سليمان محمد ، السودان حروب الموارد والهوية ، دار عزة للنشر والتوزيع 2006، <https://www.noor-book.com>
7. عبدالوهاب الافندي ، سيدي احمد ولد احمد سالم واخرون- دارفور حصاد الازمة بعد عقد من الزمان، مركز الجزيرة للدراسات ص156
8. عبده مختار موسى ، دارفور من أزمة دولة الى صراع القوى العظمى ،دار عزة للنشر والتوزيع ،الخرطوم، 2010
9. عبدالوهاب الافندي وسيدي ولد احمد واخرون مصدر سبق ذكره ص163
10. ادريس يوسف احمد،حقيقة الحواكير الاراضي المجتمعية ونظام الادارة الاهلية في دارفور، ص53
11. على احمد حقار، البعد السياسي للصراع القبلي في دارفور، رسالة ماجستير منشورة 2003 ، جامعة أمدرمان الاسلامية
12. ابوبكر ابكر حسب النبي، نشر في سودانيزاونلاين، يوم 16.10.2012
13. <http://www.sudanile.com/57521>
14. <http://www.sudanile.com/57521>
15. <https://www.dabangasudan.org/ar/all-news/article>
16. <https://www.dabangasudan.org/ar/all-news/article>
17. الصادق عبدالحكم اسحاق، الثورة المسلحة في دارفور ، دواعي الصراع وايجاد الحلول ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة زالنجي، مركز دراسات السلام والتنمية 2007
18. ايدام عبدالرحمن أدم ، تاريخ دارفور منذ عهد السلطنات في العصور الوسطى ،الطبعة شركة مطابع السودان للعملة المحدودة 2008
19. أدم الزين محمد ، دارفور من الانفلات الامني الى السلام الاجتماعي،معهد دراسات الادارة والحكم الاتحادي
20. موسى المبارك الحسن ، تاريخ دارفور السياسي، دارالخرطوم للطباعة والنشر، 1995

- المقابلات

1. صديق عبدالمولى سليمان صالح ،جمعية الهلال الاحمر - ولاية وسط دارفور - زالنجي - 25.09.2020
2. صلاح الدين حسين ادم ابكر - منسق الشؤون الانسانية لحركة تحرير السودان جناح عبدالواحد محمد النور - ولاية وسط دارفور - غرب جبل مرة -منطقة كويلا - 25.09.2020
3. نورالدين عبدالحمود عبدالشافع ادم - مطوع بجمعية الهلال الاحمر السودان - ولاية وسط دارفور- جبل مرة - كويلا- 25.09.2020
4. عبدالله حقار محمد بره - عضو اللجنة التنسيقية العليا لأبناء المحاميد -ولاية وسط دارفور - زالنجي - حي الوحدة - 04.10.2020-
5. يوسف موسي فضل إسحاق - مطوع في جمعية الهلال الاحمر- وسط دارفور- جبل مرة - عمدية ليون 24.09.2020
6. صلاح الدين صالح يوسف عبدالله - ولاية وسط دارفور- عمدة قبيلة الفور بغرب جبل مرة - منطقة جلدو - 24.09.2020
7. صلاح ابراهيم عبدالله الدودو - منظمة الاغاثة العالمية - ولاية وسط دارفور- زالنجي - 5.8.2020
8. محمد احمد محمد على - باحث اجتماعي - ولاية وسط دارفور- زالنجي 29.09.2020
9. محمد يوسف سليمان ادم - معلم مرحلة الاساس - مدير مدرسة اروكوم الاساسية - زالنجي - 07.10.2020
10. مديحة يعقوب باسي - ضابط تأمين صحي - وسط دارفور - زالنجي - حي كنجومية- 07.10.2020
11. حليلة مختار النور عبدالله - ربة منزل - زالنجي -07.10.2020
12. عبد الله داؤود دفع الله حامد - باحث اجتماعي - ولاية وسط دارفور- زالنجي -07.10.2020
13. احمد محمد سليمان - معلم في مرحلة الثانوي - ولاية وسط دارفور - زالنجي 07.10.2020
14. محمد علي بخيت فائق- معلم مدرسة الفردوس الاساسية - ولاية وسط دارفور - زالنجي - 07.10.2020
15. محمد علي عبدالله - معلم ثانوي - ولاية وسط دارفور - زالنجي -07.10.2020

عنوان البحث

الإعلان الإلكتروني وزيادة فاعلية الأنشطة الاقتصادية

(دراسة على الإعلانات بالموقع الإلكتروني لشركة زين للاتصالات في السودان)

د. خالد عبد الحفيظ محمد حمد²

د. مرتضى البشير عثمان الأمين¹

¹ أستاذ الإعلام المشارك بجامعة وادي النيل/ السودان

² أستاذ الاقتصاد المساعد بجامعة وادي النيل/ السودان

تاريخ النشر: 2020/12/01م

تاريخ القبول: 2020/11/22م

المستخلص

تعالج الدراسة وتبحث في الإعلان الإلكتروني وكيفية مسانده للأنشطة الاقتصادية، ويتم ذلك من خلال دراسة الإعلانات بالموقع الإلكتروني لشركة زين للاتصالات في السودان، وهي دراسة نوعية تقوم على المنهج الكيفي بالاعتماد على الملاحظة النوعية، وكشفت الدراسة عن ضرورة المواقع الإلكترونية بالمؤسسات الاقتصادية للاعتماد عليها في الترويج لخدماتها باستخدام الإعلانات الإلكترونية، لذلك اهتمت شركة زين بوظيفة عرض الخدمات من خلال الإعلانات بموقعها الإلكتروني الذي تغلب عليه صفة الترويج. وتوصي الدراسة بالاستفادة من التقنيات الحديثة والعمل على زيادة الاهتمام بالإعلانات المتحركة للتأثير على المستهلك وزيادة مبيعات خدمات شركة زين، وكذلك استخدام الصور والرسوم والكلمات ومزجها لتصبح رموزاً مرئية تعبر عن الخدمة والشركة، وأيضاً التركيز على الإعلانات عبر الفيديو لإقناع المستهلك بخدمات زين، مع ضرورة الاهتمام بالإعلانات الإرشادية لتعليم الجمهور كيفية الاستفادة القصوى من الخدمات التي تقدمها شركة زين.

RESEARCH ARTICLE**ELECTRONIC MEDIA AND THE INCREASE OF THE
EFFECTIVENESS OF ECONOMIC ACTIVITIES**
A study on advertisements of Zain telecom Website. Sudan

Accepted at 22/11/2020

Published at 01/12/2020

Abstract

This study deals with and examines the electronic advertising, attempting to display how it can support economic activities. This is done through studying advertisements on Zain Telecom Website in Sudan. It is a qualitative study adopting the qualitative approach through observation. The study revealed the necessity of web sites with economic establishments to rely on them in promoting their services, using electronic advertisements. That is why Zain has taken care of the job of offering services through advertisements on its web site which has the advantage of being promoted. The study recommends to take advantage of modern technologies and work to increase interest in mobile advertising to influence the consumer and to increase the sales of Zain services, as well as using images, graphics, words and mix them to become visible symbols that express the service and the company besides the focus on videos advertising to convince the consumer of Zain services with the need to pay attention to informative advertisements to teach the public how to make the most of the services provided by Zain.

مقدمة

أصبحت المؤسسات والشركات الاقتصادية بمختلف أشكالها تعتمد على استخدام الفضاء العالمي في التسويق لمنتجاتها وخدماتها، نتيجة لدخول الانترنت واتساع حجم الشبكة وكفاءتها وبروز التقنيات الحديثة والأساليب المتقدمة، التي زادت من سرعة التواصل مع الجماهير وبفعالية عالية مما ساعد في التوسع في الأسواق، وساهم ذلك إلى ضرورة الاهتمام بالترويج الإلكتروني أحد عناصر المزيج التسويقي الذي يعمل على تنشيط المبيعات بتملك المعلومات والمعرفة للعملاء عن المنتج أو الخدمة التي تقدمها المؤسسة للجماهير، ولما كان الترويج يواجه مشكلات كبيرة في الترويج للخدمات نتيجة لطبيعتها اللاملموسة، لجأ إلى الإعلان إلى الاستفادة من الموقع الرسمي للشركة، في توصيل المعلومات عن الخدمات إلى المجتمعات المتفرقة وواسعة الانتشار بأسهل الطرق وأقل التكاليف، وبهذا يمكن للعملاء التفاعل الشخصي مع الإعلانات عبر موقع الشركة، مما يتيح فرصة الاستجابة المباشرة من الجماهير، وبهذا يمكن الوصول إلى تفعيل الأنشطة الاقتصادية وتحريكها بفتح أسواق جديدة وزيادة المبيعات.

مشكلة الدراسة:

يعتبر الإعلان الرقمي أحد عوامل نجاح الأنشطة الاقتصادية إذ يمكن عن طريقه تحريك هذه الأنشطة ودفعها نحو التطور ومنعها من التدهور، بمعالجة أماكن الضعف وتعزيز مناطق القوة، وبالنظر في المتغيرات التي طرأت على البيئة الاقتصادية نتيجة لتوغل العولمة التي من سماتها التجارة الإلكترونية والتسويق الشبكي الإلكتروني وأيضاً زيادة مساحة الإعلام الإلكتروني وتممه في المجتمع، وتبعاً لذلك تأثرت الأنشطة الاقتصادية سلباً وإيجاباً، نتيجة لزيادة حدة المنافسة بين الأنشطة الاقتصادية المتنوعة، وأصبحت تعدل من سياساتها ومنهجياتها حتى تتوافق مع البيئة المجتمعية الحديثة، التي تغيرت عاداته وتقاليده وبذلك سادت مفاهيم جديدة في طرق تفكير المجتمعات الحديثة وأذواقها ونمطها الاستهلاكي، لذلك ظهرت أساليب جديدة وحديثة في الإعلان باستخدام التقنيات الحديثة، ولأهمية الإعلان في التواصل مع الجماهير وإشباع رغباتهم المعرفية، اعتمدت عليه الكثير من المؤسسات الاقتصادية في تنشيط منتجاتها الاستهلاكية أو الصناعية، إلا أنها ما زالت تعاني من تحديات التكنولوجيا الحديثة وامكانية الاستفادة منها في مواكبة الإعلان للتطورات التي تحدث في البيئة الاقتصادية، وتكمن مشكلة الدراسة في العولمة التي جاءت نتاج تمدد شبكة الانترنت مما اتاح فرصة التطور في مجال الإعلان وتحوله من التقليدي إلى الإلكتروني فأصبح يمثل تحدياً كبيراً يواجه النشاط الاقتصادي، حيث اتاحت شبكة الانترنت للمؤسسات الاقتصادية الإعلان عن منتجاتها وخدماتها متخطية الحواجز الجغرافية، وهذا زاد من مشكلة توظيف الإعلان الرقمي وتثبيت القيمة التفاعلية من خلال التواصل الجيد مع الجماهير وتمليكهم المعلومات حسب رغباتهم وحاجتهم لها واستخدامه في ضبط التفضيل بين الخدمات لدي الجماهير، والمساهمة في بناء التوازن في المنافسة بين الأنشطة الاقتصادية الخدمية.

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية الدراسة إذا نظرنا إلى أهمية الإعلان الرقمي في :

- دورة حياة السلع (يتم اختيار الإعلان على حسب مرحلة حياة السلعة أو الخدمة وتقديم معلومات تتناسب مع المرحلة المعينة مع مراعاة حالة المستهلك).
- طبيعة السوق (يختلف السوق من حيث نوع وشكل السلع وكذلك من حيث اتساع السوق وتمركزه، لذلك يؤدي الإعلان دوره وفقاً لحالة وطبيعة السوق).
- خصائص المنتج (تختلف المنتجات من حيث خصائصها فلذلك يجب توظيف الإعلان المناسب لخاصية المنتج المعين).

- حجم الميزانية (التوسع في حجم ميزانية الإعلان يتيح فرصة أكبر لاختيار المزيج الترويجي المناسب).
 - طبيعة المنافسة في السوق (حسب نوع وحجم المنافسة يكون اختيار الإعلان المناسب معها).
 - طبيعة الجمهور المستهلك (طبيعة المستهلكين تحكم اختيار المناسب من الإعلان).
- تتحكم هذه العوامل في الإعلان ويمكنها أن تجعله خارج حسابات الأنشطة الاقتصادية لذلك تأتي أهمية الدراسة من الدور الذي يمكن أن يلعبه الإعلان الرقمي في كسب تأييد المؤسسات الاقتصادية الخدمية بما يقدمه من جهود تصب في صالح الأنشطة الاقتصادية وتحريكها نحو التطور.

أهداف الدراسة:

- 1/ التعرف على تأثير الإعلان الرقمي على الأنشطة الاقتصادية.
- 2/ تحديد أنواع الإعلان الرقمي في الأنشطة الاقتصادية المختلفة.
- 3/ الوصول إلى استخدام الإعلان الرقمي في:

- التواصل مع المستهلكين وإشباع حاجاتهم المعرفية.
- تنشيط الخدمات التي تقدمها شركات الاتصال.
- حفظ التوازن في المنافسة بين الأنشطة الاقتصادية الخدمية.

تساؤلات الدراسة:

- ما مدى تأثير الإعلان الرقمي على الأنشطة الاقتصادية ؟
 - ما هي أنواع الإعلان الرقمي في الأنشطة الاقتصادية؟
 - ما مدى استخدام الإعلان الرقمي في:
- ✓ التواصل مع المستهلكين وإشباع رغباتهم المعرفية؟
 - ✓ تنشيط ما تقدمه شركات الاتصال من خدمات ؟
 - ✓ حفظ التوازن في المنافسة بين الأنشطة الاقتصادية ؟

نوع الدراسة ومنهجها:

تعتبر الدراسة ضمن البحوث الوصفية النوعية التي تساعد في فهم الظاهرة مكان الدراسة وتصحيح المعرفة بها والوصول إلى معلومات عميقة يصعب التعبير عنها بطرق كمية أو إحصائية (ماجد، 2016: ص 34). وبمساعدة أسلوب تحليل المضمون الذي يهدف إلى الوصف الكيفي والموضوعي والمنهجي للمحتوى الظاهر للاتصال للتعرف على اتجاهات المادة المراد تحليلها بطريقة علمية منظمة (المشهداني، 2017: ص 120).

مجتمع الدراسة والعينة:

يتكون مجتمع الدراسة من الإعلانات الإلكترونية بموقع شركة زين للاتصالات بالسودان، وتم الاعتماد على العينة الشاملة التي تمكن من حصر جميع الإعلانات بالصفحة الرئيسية وصفحات (الأفراد، الشركات، الخدمات الإضافية والترفيه، عن زين و صفحة إشترافي).

أدوات الدراسة:

اعتمدت الدراسة على الملاحظة النوعية لأنها لا تحتاج تنظيمًا كبيراً باستخدام تصنيفات وأنماط محددة مسبقاً، فهي تميل إلى التلقائية وتسجيل الملاحظات بشكل مفتوح كما يحدث في الواقع (ماجد، 2016: ص 36).

الدراسات السابقة:

الدراسة الأولى: (موصلي، إبراهيم، 2015)

تمثلت أهداف الدراسة في الكشف عن العوامل التي تحدد اتجاهات العملاء نحو إعلانات الأسواق التجارية عبر الشبكة الاجتماعية فيسبوك، ومعرفة أثر هذه المحددات في السلوك الاستجابي للعملاء، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، ومن نتائجها المهمة أن إعلانات شبكة فيسبوك تؤثر في السلوك الاستجابي، وأيضاً تؤثر اتجاهات العملاء نحو العلامة التجارية المعلى عنها على العلاقة بين محددات اتجاهات العملاء نحو إعلانات الأسواق التجارية في شبكة فيسبوك وبين سلوك العملاء الاستجابي (النقر على الإعلانات أو الشراء)، وتوصي الدراسة بمجموعة توصيات تفيد الأفراد والشركات في الاستفادة من إعلانات الأسواق التجارية عبر شبكة الفيسبوك بالشكل الأمثل.

الدراسة الثانية: (العامري، محمد عبد حسن، وهاشم، جعفر شهيد، 2012)

هدفت الدراسة إلى معرفة اتجاهات المتصفحين من الشباب العراقي لإعلانات الانترنت، والتعرف على القيم الإيجابية والسلبية لها، والوقوف على أشكال الخداع والتضليل لهذه الإعلانات، وهي دراسة وصفية اعتمدت على المنهج المسحي، وتوصل إلى أن إعلانات الانترنت تعبر عن السلعة باستخدام المبالغة والتضليل، وهناك عدم توافق بين الاستخدام السليم للمرأة في الإعلانات وقيم المجتمع العربي، مما يعني مخالفة الإعلانات على الانترنت للقيم المجتمعية السليمة، وتوصي الدراسة بتبني الشركات التي تستخدم الانترنت في الإعلان للمداخل التي تتسم بالمسؤولية تجاه قيم المجتمع وعدم المبالغة والتهويل فيه.

الدراسة الثالثة: (عفاف، خويلة، 2010)

تهدف الدراسة إلى التعرف على مدى استغلال المؤسسات الاقتصادية الجزائرية لتكنولوجيا المعلومات والاتصال في الإعلان، والتعرف على أهم التقنيات المستخدمة لزيادة فاعلية الإعلان الإلكتروني، اعتمدت الدراسة على الاستبانة في جمع المعلومات من المؤسسات الاقتصادية الجزائرية في القطاعين الخدمي والصناعي، وكشفت الدراسة أن زيادة فاعلية الإعلان تزيد تبعاً لاستخدام تكنولوجيا والاتصال، لذلك توجهت المؤسسات نحو الإعلان عبر الانترنت لأنه يغطي مساحة واسعة في المجتمع ويحقق للمؤسسات أهدافها المتمثلة في زيادة المبيعات وجلب عملاء جدد وتصحيح المفاهيم الخاطئة حول المنتج وإتاحة الفرصة للتعرف على منافسة السوق، وتوصي الدراسة بضرورة تعميم استخدام الإعلان عبر الانترنت في المؤسسات الاقتصادية الجزائرية ودعم البنيات الأساسية من انترنت واتصالات لتسهيل عملية استخدام الإعلان الإلكتروني، مع زيادة الاهتمام بالرسالة الإعلانية بحيث أنها تتوافق مع التقنيات الحديثة لتحقيق الأثر المطلوب.

الإطار النظري:**الأنشطة الاقتصادية:**

النشاط الاقتصادي: (Economic Activity) هو (المجهود الذي يبذله الفرد لإشباع حاجاته أو من أجل الحصول على الأموال

والسلع والخدمات، ويتميز النشاط الاقتصادي بصفتين أحدهما اجتماعية والأخرى فردية، وتتمثل الصفة الاجتماعية بالتبعية المتبادلة بين الشخص وأفراد الهيئة الاجتماعية مع بعضهم بصفتهم منتجين، كما تقوم رابطة التبعية أيضاً بين أفراد الهيئة الاجتماعية بصفتهم مستهلكين. أما الصفة الفردية فتتجلى في قيمة الفرد كعنصر اقتصادي تعتمد إلى درجة كبيرة على صفاته الشخصية كالذكاء وحب النظام والرغبة في العمل وخدمة المجتمع وغيرها من الصفات والعوامل الخاصة) ([https://ar.wikipedia.org/wiki/ 6/7/2020](https://ar.wikipedia.org/wiki/6/7/2020))، وتتقسم إلى:

1. الأنشطة الزراعية : وهي من أهم الأنشطة الاقتصادية، ويعتبر العصب الحساس في اقتصاديات بلدان العالم باعتباره النشاط الذي يؤثر في النشاطات الأخرى بدرجة كبيرة، إضافة إلى تأثيره بالتغيرات التي تحصل في القطاعات الأخرى ويستوعب عدداً كبيراً من حجم القوى العاملة، ومساهمته في تكوين الناتج المحلي الإجمالي، وتلبية للحاجات الاستهلاكية الغذائية لتحقيق مستوى معين من الأمن الغذائي، بالإضافة إلى السلع والمواد الأولية التي تستخدم كمدخلات في العديد من الصناعات التحويلية. من خلال تحقيق أقصى ما يمكن من الإنتاج الزراعي. (باشي، 2003، ص 180)
 2. الأنشطة الصناعية : تعتبر الأنشطة الصناعية أمراً ضرورياً ومكماً للقطاع الزراعي، فتصنيع المنتجات الزراعية يزيد من دخل الدولة، كما أن الإنتاج الصناعي يستطيع أن يمد قطاع الزراعة بالعديد من احتياجاته. ويتم اختيار مواقعها بما يحقق لها الاستخدام الأمثل لعناصرها للوصول إلى أقل التكاليف الممكنة
 3. الأنشطة السياحية : تكتسب الأنشطة السياحية أهمية متزايدة، كونها تؤمن موارد مالية إضافية للسكان وتعمل على تحسين ميزان المدفوعات، فهي تمثل إحدى الصادرات الهامة غير المنظورة، وعنصراً أساسياً في عناصر النشاط الاقتصادي، ومنه يترتب على الأنشطة السياحية مجموعة من التأثيرات التنموية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية في المقصد السياحي للدول المستقبلية. (عدنان، 2010: ص 14)
 4. الأنشطة الخدمية : عرفت الجمعية الأمريكية للتسويق الخدمة بانها) منتجات غير ملموسة أو على الأقل هي كذلك إلى حد كبير، فإذا كانت بشكل كامل غير ملموسة فإنه سيتم تبادلها مباشرة من المنتج إلى المستعمل ولا يتم نقلها أو تخزينها وهي تقريباً تفتقر بسرعة، فسلع الخدمات يصعب تحديدها أو معرفتها لأنها تظهر للوجود بنفس الوقت الذي سيتم فيه شراؤها واستهلاكها فهي تتكون من عناصر ملموسة يتعذر فصلها وغالباً تتضمن مشاركة الزبون بطريقة هامة وتشمل الخدمات التعليمية والصحية والخدمات المصرفية وخدمات الاتصالات. (حداد، وسويدان، 1998: ص ص 250 - 251)
- خدمات الاتصالات : أصبح قطاع الاتصالات من أهم القطاعات الرائدة لكفاءة التجارة الدولية، فمع التوسع في استخدام التجارة الإلكترونية بفضل التلاحم التكنولوجي الذي حصل بين الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، ويستحوذ على الحصة الأكبر في دعم وتطوير هذه التجارة مقارنة بباقي القطاعات الأخرى. وقد شهدت نهاية القرن العشرين ومطلع القرن الحادي والعشرين تطورات واضحة في المجتمع والإدارة واقتصاد المعرفة وهي تطورات لا يمكن مقارنتها إلا بتغيرات الثورة الصناعية، لذلك فإن الثورة المعلوماتية حققت قفزة نوعية حولت المعرفة إلى مورد أساسي من الموارد الاقتصادية وإلى قوة حقيقية في الاقتصاد، وأضحت كأحد أهم الأدوات التي تساعد على رفع كفاءة العمل في المؤسسات الإنتاجية (عباس، 2002: ص 1). لذلك أخذت خدمات الاتصال والمعلومات تحتل مكانة مميزة في خدمة أهداف التنمية لما لها من تأثير على جميع مظاهر الحياة وبما تحدثه من تحول في الكوادر البشرية والتفاعل بينهم، فضلاً عن كونها أداة هامة في زيادة الإنتاجية ورفع وتيرة النمو الاقتصادي.

المواقع الإلكترونية:

أصبحت المواقع الإلكترونية في العصر الحديث الوجهة والقناة الأكثر استخداما في شتى المجالات والمعاملات، ولهذا اتجه الأفراد والمؤسسات وحتى الدول للاستثمار في هذا المجال بما يقدمه من مزايا وفوائد اقتصادية واجتماعية وغيرها، وإلى جانب توجه مؤسسات اليوم على اختلاف وتعدد نشاطها لاستغلال هذه التكنولوجيا وتحسين جودة خدماتها من أجل الحفاظ على بقائها في ظل التغيرات التكنولوجية السارية ويعرف الموقع الإلكتروني بأنه (مجموعة من الصفحات والنصوص والصور والمقاطع الفيديوية المترابطة وفق هيكل متماسك ومتفاعل يهدف الى عرض وصف المعلومات عن جهة ما أو مؤسسة ما، بحيث يكون الوصول إليه غير محدد بزمان ولا مكان وله عنوان فريد يميزه عن بقية المواقع على شبكة الانترنت) (الزعبي، والشرابية، 2004 : ص ص 351-352).

استخدامات المواقع الإلكترونية في المؤسسات الاقتصادية :

أصبح اكتساب المؤسسة الخدماتية لموقع إلكتروني ضروري وحتمي، نظرا لأهميته وفعاليتها في تسيير شؤون المؤسسة وتحقيقه لمكاسب اتصالية وخدماتية لطرفين على حدا سواء) المؤسسة، الزبون. (كذلك لأنه أداة لسد الفراغ والفجوة المعرفية بين المؤسسة وجمهورها الذي أصبح في اتصال مباشر معها، ينقل لها اقتراحاته وانشغالاته ومطالبه ويحصل على الخدمات والاستشارات المناسبة، دون تكلفة أو جهد، وهذا ما يخلق نوع من الولاء والرضى لدى الزبون، فأصبح امتلاك موقع ويب ضرورة حتمية في ظل هذا العصر الذي لا مكان فيه للذهنية الانعزالية. وهذا ما دفع إلى زيادة إدراك الهيئات والمؤسسات المختلفة إنشاء مواقع إنترنت تمكنها من الوصول إلى العالمية، وتساعد على عرض منتجاتها والبحث عن منتجات أخرى، وإبرام الصفقات الإلكترونية. وهذا قد يرجع إلى ما تتصف به هذه الوسيلة خاصة مع تقنيات الجيل الثالث والرابع

التي تسمح للزبون بتصفح الموقع الإلكتروني والتمتع بمختلف الخدمات الإلكترونية الأخرى وهذا في كل زمان ومكان، وهي من أهم مميزات الخدمات والمواقع الإلكترونية. إذ بإمكانها الوصول إلى قاعدة عريضة من الزبائن دون التقيد بمكان وزمان دون أن تنحصر الخدمة على الزبائن المقيمين بجوار المؤسسة. فالموقع الإلكتروني ألغى الحدود الجغرافية وكذلك عامل الوقت فأصبح الزبون يصل إلى الخدمة دون جهد وبوسائل بسيطة. (الجنبيهي، منير والجنبيهي، ممدوح، 2005: ص 14).

الترويج

يمثل الترويج القوة الدافعة للنشاط التسويقي، والعامل الأكثر حسما في تصريف بعض السلع والخدمات، وبالنظر لأهمية دور الترويج في عملية تصريف المنتجات، فإن هناك منظمات تساوي بين مفهوم التسويق ومفهوم الترويج وتتنظر إلى الترويج على أنه التسويق نفسه، وعلى الرغم من خطأ مثل هذا الانطباع، فإن محاولة وضع الترويج على قدم المساواة مع التسويق يشير إلى الأهمية البالغة التي توليها بعض المنظمات للنشاط الترويجي. (الصميدعي، 2006: ص 181) والترويج يعني التعريف أو التثقيف بالشيء أي تسهيل بيعه، وعرف "كوتلر" الترويج بأنه (النشاط الذي يتم في إطار الجهود التسويقية التي تتخذها المنشأة لتوصيل منتجاتها إلى أذهان المستهلكين وإقناعهم بشرائها). (العبدلي، 2011: ص 19)

أهمية الترويج (البكري، 2006: ص 152)

1. ازدياد المسافة والبعد الجغرافي بين البائع والمشتري يتطلب إيجاد وسائل مناسبة لتقليصها

وتحقيق التواصل المستمر ما بين الطرفين.

2. ارتفاع مستوى تعليم الجمهور ويكون للترويج أثر كبير في اتخاذ المستهلك لقرار الشراء.
3. كثرة عدد الشركات المنافسة وزيادة حجم الإنتاج وتنوع السلع المطروحة في السوق.
4. تزايد عدد السكان في المدن وهم غالبا الفئة المستهدفة في جميع وسائل الإعلان.

الإعلان الرقمي

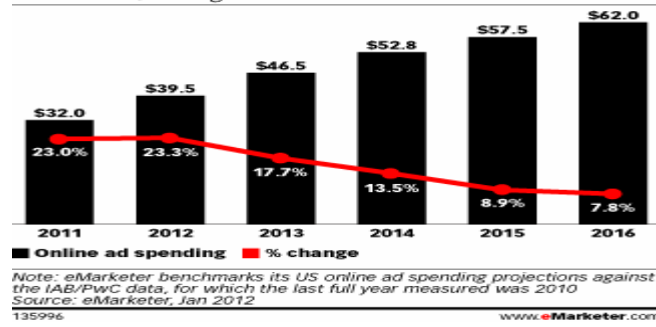
اعتمدت المؤسسات الاقتصادية في السنوات الأخيرة على الإعلان عبر الإنترنت، وذلك بفعل المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية، التي فرضتها تقنية الاتصالات والمعلومات الركيبة الأساسية لاقتصاد المجتمع الحديث الذي يقوم على المعرفة. ويمكن تعريف الإعلان بأنه " نشاط غير شخصي مدفوع القيمة، يهدف إلى التعريف بالسلع أو الخدمات من من معلن معين، باستخدام وسائل الاتصال المختلفة في محاولة للاقناع والتأثير على سلوك المستهلك" (البادي، 2014 : 123-128).

أهداف الإعلان:

يهدف الإعلان إلى تحقيق الأهداف التالية: (الزعبي، 2008:ص 17-18)

1. تغيير ميول واتجاهات وسلوك المستهلكين ويعتبر هذا الهدف الأساسي من الإعلان ويتم من خلال: (توفير المعلومات، تغيير الرغبات وتفضيل المستهلكين لماركة معينة).
2. تحقيق الزيادة في المبيعات.
3. خلق وعي طيب والاهتمام بمنتجات أو خدمات المؤسسة.
4. بناء صورة ذهنية طيبة لسمعة المؤسسة.
5. دعم الروح المعنوية لرجال المبيعات.
6. توسيع قاعدة المستهلكين.

تحتاج زيادة الحصة في السوق من المبيعات الخاصة بالمؤسسات الاقتصادية إلى الإعلان عن نشاط المؤسسة من خلال محركات البحث العملاقة أو المواقع الإلكترونية الخاصة بالمؤسسة لأنها تمثل حلقة الوصل الفعالة بين المؤسسة والعميل المستهدف. وأشارت دراسة نشرتها شركة eMarketer المتخصصة في سوق الإعلان على الإنترنت بأن الشركات ستتنفق هذا العام 2012 على الإعلانات الإلكترونية أكثر مما ستنفقه على الإعلانات المطبوعة في المجلات والصحف، وذلك للمرة الأولى في تاريخ الولايات المتحدة التي تُعتبر السوق الأول في العالم من حيث الإعلان على الإنترنت. وأشارت الدراسة بأنه من المتوقع أن تصل مبيعات الإعلان على الإنترنت إلى ما يقدر بـ 39.5 مليار دولار هذا العام، بزيادة قدرها 23.3% عن العام 2011، مقارنةً بـ 33.8 مليار دولار بالنسبة للإعلانات المطبوعة. (<https://aitnews.com/2012/01/19>)

US Online Ad Spending, 2011-2016
billions and % change

شكل (1) يوضح نسبة الإنفاق المتوقعة على الإعلان الإلكتروني في الولايات المتحدة

المصدر: البوابة العربية للأخبار التقنية (<https://aitnews.com/2012/01/19>)

ومن المتوقع أن تستمر الشركات بتخفيض ميزانياتها على الإعلان المطبوع بالنسبة لنصف العقد القادم بحيث سيصل الإنفاق المتوقع إلى 32.3 مليار في العام 2012 بانخفاض نسبته 10% عن ما تم استثماره في الإعلانات المطبوعة في العام 2011.

المحور التطبيقي: تحليل محتوى الإعلانات:

جدول (1) يوضح إعلانات الصفحة الرئيسية



تعتبر الإعلانات في هذه الصفحة هي بوابة الدخول إلى الموقع الإلكتروني للشركة الذي تعتمد عليه شركة زين في الترويج لخدماتها، ويضم الإعلانات (1) و(2) و(3) هي إعلانات متحركة تعطي صورة كاملة لشركة زين وخدماتها التي تقدمها، من ناحية الجودة وسرعة الاتصال من خلال شبكة انترنت متدرجة حسب طلب ورغبة المستهلك، وهذا يساعد على تحريك الأداء الذي أصبح يعتمد بصورة كبيرة على التقنيات الحديثة وشبكات الاتصال، ومن خلال هذه الإعلانات التي استخدمت فيها الصورة والوصف بالكلمات يمكن للزائر أن يكون إنطباعات ممتازة عن الشركة، أما الإعلانات في (4) هي إعلانات الكترونية بعضها نصية والبعض الآخر إعلانات مصورة يصاحبها نص لأن الكلمات توضح تفاصيل الصورة وتقص عن أشياء تعجز عنها الصورة ويأتي ذلك لزيادة التعريف بموضوع الإعلان، مما يتيح فرصة أكبر للزائر للتعرف على موضوع الإعلان، وتحاول هذه الإعلانات إبراز خصائص الخدمة مع استخدام الألوان المتناسقة وهذا يجعل الإعلانات أكثر جذباً للجمهور، وتشكل هذه الإعلانات الإلكترونية خلفية لشركة زين تسهم في تكوين شخصيتها وتثبيت علامة الشركة في أذهان المجتمع، وبهذا تتجس الشركة في خلق إتجاه محابي لخدماتها.

جدول (2) يوضح إعلانات الأفراد



تستهدف الشركة من خلال إعلانات هذه الصفحة الأفراد وتسعى إلى تملكهم المعلومات التي تفيدهم في التفاعل مع خدمات الشركة والاستفادة منها، وبالتالي زيادة المبيعات وضمان لاستمرارية الخدمات وتجويدها.

(1) الدفع الأجل: (إعلان شريط ثابت مصور، تتبع له إعلانات نصية توضح أسعار زين كلاس الدفع الأجل وزين كلاس انترنت وعروض أخرى للعائلة والأصدقاء تعريف كامل بالأسعار والخدمات المقدمة.

(2) الدفع المقدم: (أربعة إعلانات متحركة بالتعاقب، إعلانات نصية توضح أسعار وخدمات (زين شباب، زين إيزي، زين كلاس، عروض العائلة والأصدقاء، أسعار المكالمات العالمية).

3/ عروض الانترنت: (إعلان ثابت مصور، إعلانات نصية توضح أسعار الانترنت على الموبايل والأسعار على شرائح البيانات).

4/ التجوال الدولي: (إعلان ثابت مصور، إعلانات نصية تعريفية بالخدمات وأسعار المكالمات والانترنت).

5/ خدمات الموبايل: (إعلان ثابت مصور، إعلان نصي بوابة زين، إعلان عن كود يمكن عن طريقة التعرف على الرصيد وخدمات وعروض زين الجديدة)

تمتاز الإعلانات بوضوح عباراتها، والألوان المستخدمة تتناسب مع نوع الخدمة التي تقدمها الشركة، وأظهرت الإعلانات الالكترونية من خلال محتواها أن الخدمات التي تقدمها الشركة متوافقة مع امكانيات المستهلكين، وهذا يعمل على تحريك العرض والطلب والمساهمة في زيادة الطلب على خدمات الشركة، والمحافظة على أسعارها عند مستوى مُحدّد، وتعزيز دافع الشراء عند المستهلكين ويصب ذلك في صالح تنشيط وتحريك الاقتصاد من خلال ثبات واستمرارية الخدمات الاتصالية المختلفة.

جدول (3) يوضح إعلانات الشركات



تهتم هذه الصفحة بالخدمات التي تقدمها شركة زين إلى الشركات الأخرى، وفيما يلي إعلانات الصفحة التي تهدف إلى

الترويج لخدمات زين المختلفة من خلال الإعلان الإلكتروني:

- 1/ عروض الشركات: (خمس إعلانات متحركة (1 وحتى 5/1)، إعلانات نصية تعريفية (6/1 وحتى 7/1) توضح الباقات المختلفة التي تناسب أنشطة الشركات وكيفية الإشتراك فيها، وأيضاً تبين العروض العامة والعروض الترويجية للشركات).
- 2/ عروض الانترنت: (إعلان ثابت مصور وآخر نصي يشرح للشركات كيفية التمتع بخدمات الانترنت بالحزم المختلفة).
- 3/ التجوال الدولي: (إعلان ثابت مصور وآخر نصي يوضح كيفية الاستفادة من خدمة التجوال الدولي بالنسبة لأفراد الشركات).
- 4/ حلول الأعمال: (إعلانان متحركان، نفس الإعلانين في (4/1 و 5/1) وإعلان نصي يوضح "نقاط البيع وهي شرائح تستخدم في ماكينات الدفع الإلكتروني تساعد في التحول نحو تنشيط البيع عبر الدفع بواسطة البطاقة الإلكترونية وكذلك خدمة الربط بين المواقع المختلفة للشركة، خدمة لحنا شركات وهي خدمة تفعيل نغمة التليفون ذات مضمون يعبر عن الشركة، خدمة الرسائل الجماعية وكذلك خدمة أعلن مع زين")

يظهر من خلال هذه الإعلانات أن شركة زين تقدم معلومات كافية، وتفاصيل وافيه للتعريف بخدماتها وتوضح طرق الوصول إليها وكيفية الاستفادة منها، أرست شركة زين مع غيرها من شركات الاتصال دعائم توصيل المعلومات إلكترونياً، وهذا بدوره ساهم في انتشار الإعلانات الإلكترونية، وعن طريقها يمكن تحقيق النمو الاقتصادي لشركة زين من خلال اهتمام الجمهور بمتابعة الخدمات الحالية أو الجديدة، مما يُساعد في زيادة مُعدّل استهلاك الأفراد للخدمات التي تعرضها شركة زين؛ وهذا يزيد من حجم الإنتاج. وأيضاً زادت من سرعة وسهولة التواصل مع الشركات المختلفة وتلبية احتياجاتها، مما جعلها تشارك بفاعلية في الأنشطة الاقتصادية المختلفة.

جدول (4) يوضح إعلانات الخدمات الإضافية

٣ / ١	٢ / ١	١ / ١
٣ / ٣	١ / ٢	٢ / ٢
١ / ٤	٤ / ٤	١ / ٣

يحتوي الجدول رقم (4) الإعلانات التي تشرح الخدمات الإضافية التي تقدمها شركة زين لجمهورها وهي:

- 1/ خدمات المحتوى: (إعلانان متحركان وإعلان نصي يوضح خدمة الرسائل النصية ورسائل الوسائط المتعددة وكيفية الإشتراك فيها).
- 2/ خدمات المجيب الصوتي: (إعلان نصي يوضح قائمة من الشركات استفادت من الخدمات الصوتية التفاعلية، خدمات إضافية في التفاعل الصوتي كالنكات وعلى خطى الحبيب وتعلم الإنجليزية وغيرها).
- 3/ الخدمات التعليمية: (إعلان ثابت مصور يحمل اسم مؤسسة نور التعليمية، إعلان نصي عن بوابة نور التعليمية وشرح كيفية

الإشتراك للاستفادة من الفيديوهات التعليمية).

4/ لحنا: (إعلان ثابت يحوي صورة وعبرة لحنا وسمعهم أحلى نغمة، إعلان نصي يشرح كيفية الاستفادة من مخزون النغمات في شركة زين واستخدامها كنغمة تعبر عن توجهات الفرد أو الشركة).

يضم الجدول رقم (4) إعلانات متنوعة ومتعددة تدعم الإعلانات بالصفحات السابقة تفوقته الإعلانات النصية عن إعلانات الشريط الثابتة والمتحركة، ويعتبر المحتوى البصري أكثر تشويقاً وتأثيراً عن المحتوى النصي، فالصورة تزيد من تعلق الشخص بالإعلان وبالتالي تدعم ارتباطه بالشركة من خلال بناء القدرة على التذكر، وأيضاً تساهم الصورة في زيادة مشاركتها مع الآخرين مما يعني زيادة انتشار الإعلان بين قطاعات كبيرة في المجتمع، يمكن أن تؤثر هذه الإعلانات الإلكترونية في جودة الخدمات بتقديمه للمساعدة بشكل غير مباشر في تحسين جودة الخدمات، مما يساهم في تعزيز رغبة المستهلكين للحصول عليها. وبالتالي التأثير على القوى الشرائية وارتفاع نسبة المبيعات وهذا يزيد من فاعلية النشاط الاقتصادي.

جدول (5) يوضح الإعلانات عن زين



يضم الجدول رقم (5) الإعلانات عن شركة زين ومشاركتها في الأنشطة المختلفة، ومحاولة الكشف عن نفسها باستخدام الإعلانات الإلكترونية مختلفة الأشكال:

- 1/ عرض عام: (ثلاثة إعلانات متحركة).
- 2/ المسؤولية الاجتماعية (ثلاثة إعلانات متحركة توضح مساهمة الشركة في البيئة، مسؤولية الشركة في دعم المهن، وكذلك مسؤوليتها أمام ذوي الاحتياجات الخاصة).
- 3/ أخبار زين: (إعلان ثابت مصور تظهر من خلاله اهتمامات الشركة بنشر أخبارها، بعض الإعلانات النصية مع الصور توضح مشاركات زين في أنشطة المجتمع).

4/ خطة الأنشطة: (إعلان ثابت مصور وإعلان آخر نصي يشرح اسهامات زين في مشاريع المجتمع).

5/ معرض الصور: (إعلان شريطي ثابت مصور، وإعلان آخر يوضح استخدام الصورة في الإعلان عن مشاركات الشركة في المحافل المختلفة).

6/ ألبوم الفيديو: (إعلان الشركة عن طريق الفيديو)

7/ أين تجدنا: (إعلان عن مواقع الشركة في السودان باستخدام خريطة مع نص إعلاني)

8/ وظائف شاغرة: (إعلان ثابت مصور يوحي باستخدام معايير دقيقة في اختيار الكادر البشري بالشركة، وآخر نصي يحفز على السعي للحصول على وظيفة بالشركة).

تصنف هذه الإعلانات ضمن الإعلانات الإعلامية التي تستهدف تقوية المنتج أو الخدمة ومن ثم ترمي إلى تكوين صورة ذهنية طيبة عن الشركة في أذهان جمهورها، واستخدام الإعلانات الإلكترونية المتحركة تسهل عملية إبراز خصائص ومميزات الخدمة المعلن عنها وهذا يحرك انتباه المستهلك ويثير اهتمامه تجاه الخدمة، وكذلك زاد من فعالية الإعلان الإلكتروني في موقع شركة زين استخدام الصور والفيديوهات مما ساهم في إقناع المستهلك بالخدمة بعد مشاهدة الإعلان، لذلك يمكن أن يكون للإعلان أثر كبير في تحريك الرغبات الكامنة لدي الجمهور وتحويلها في اتجاه محابي للخدمة، مما يزيد من حركة الشراء وزيادة المبيعات التي تنعكس إيجاباً على النشاط الاقتصادي ككل.

جدول (6) يوضح إعلانات إلكترونية



تحتوي هذه الصفحة على إعلان ثابت مصور يشرح إمكانية تسديد فاتورة الخدمة خلال الإنترنت، وهذه الخدمة تسهل كثيراً على رجال الأعمال والشركات وتوفر لهم الوقت والجهد والاستفادة منه في أعمال أخرى، وآخر نصي يوضح طريقة الإشتراك في الشركة للتعرف على أخبارها وخدماتها، وهذه الخدمة تربط العملاء بالشركة وتساعد في سرعة واستمرارية التواصل معهم.

الخاتمة:

حققت المواقع الإلكترونية كسباً كبيراً للمؤسسات الاقتصادية في الترويج لمنتجاتها وخدماتها باستخدام المزيج الإعلاني، ومع التقدم التكنولوجي الذي ساهم في تطور قطاع الاتصالات الذي يمثل الركيزة الأساسية في تفعيل الأنشطة الاقتصادية وذلك لقيامه بتسهيل عمليات نقل البيانات والمعلومات إلكترونياً والاستفادة في المجال الاقتصادي، ويعتبر قطاع الاتصالات من القطاعات الرائدة والمهمة في الأنشطة الخدمية خاصة بعد المزج بين الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، وهذا فتح الباب أمام الإعلان الإلكتروني ليسهم بفاعلية في الترويج للمنتجات والخدمات في المؤسسات الاقتصادية أياً كان نوعها، وأصبح نجاح المؤسسة مرهون بقوة استخدامها للتقنيات الحديثة وجودة الموقع الإلكتروني فيها، ويزيد من نجاحها الاستخدام الأمثل للإعلانات الإلكترونية لأنها تعمل على زيادة الإنتاجية ورفع درجة النمو الاقتصادي في المؤسسات. وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- كشفت الدراسة ضرورة الموقع الإلكتروني في المؤسسات الاقتصادية، نتيجة للتطور التقني وسهولة استخدامه في التواصل مع الجمهور.
- أثبتت الدراسة تزايد اعتماد المؤسسات الاقتصادية على مواقعها الإلكترونية في الترويج لمنتجاتها وخدماتها.
- أوضحت الدراسة أهمية الإعلانات الإلكترونية في عرض منتجات وخدمات المؤسسة الاقتصادية.
- بينت الدراسة فاعلية استخدام الإعلانات الإلكترونية من خلال موقع المؤسسة لتحريك الإنتاج وزيادة النمو الاقتصادي.

- كشفت الدراسة أن الموقع الإلكتروني في شركة زين هو موقع ترويجي يقوم بوظيفة عرض خدمات الشركة من خلال الإعلانات الإلكترونية.
- أوضحت الدراسة أن الإعلانات الإلكترونية بشركة زين ساهمت في تجسير الفجوة المعرفية بين الزبون والخدمة.
- أبرزت الدراسة جودة الإعلانات الإلكترونية بموقع شركة زين من حيث:
 - ✓ سهولة الاستخدام
 - ✓ جاذبية الألوان والتصميم
 - ✓ تنوع الإعلانات وتباينها
 - ✓ سلامة لغة الإعلانات ووضوح عباراتها
 - ✓ سهولة الوصول إلى الإعلانات
- أظهرت الدراسة صعوبة تحديد حداثة المحتوى المطروح بالموقع الإلكتروني لشركة زين.

من خلال هذه النتائج توصي الدراسة بالآتي:

- ضرورة استخدام المواقع الإلكترونية في المؤسسات الاقتصادية، نسبة لتزايد مستخدمي الانترنت في المجتمعات.
- النظر بإيجابية إلى الإعلانات الإلكترونية باعتبار أنها تحقق مكاسب اتصالية تربط الجمهور بالمؤسسة، وهذا يزيد من اقبال الجمهور على خدمات المؤسسة.
- زيادة الاهتمام بشمولية المعلومات بحيث تعطي معلومات كافية ووافية عن الخدمة المعلن عنها.
- الاهتمام بزيادة مساحة التفاعلية في الإعلان الإلكتروني
- التركيز على الإعلانات المتحركة للوصول إلى الإبداعات الحسية والشكلية التي تقيد تنمية العلاقة بين الزبون والخدمة.
- استخدام الصورة وتناسق الألوان والاهتمام بالمحتوى البصري لإبراز خصائص الخدمة لجذب أكبر عدد من العملاء وربطهم بالخدمة والشركة.
- التركيز على ظهور الإعلانات الإلكترونية في أماكن سهلة الوصول إليها.
- زيادة الاهتمام بالإعلانات الإرشادية لتعليم الجمهور كيفية الاستفادة من الخدمات التي تقدمها شركة زين.
- الاهتمام باستخدام الصورة في الإعلانات الإلكترونية لسهولة مشاركتها مع الآخرين، وهذا يتيح فرصة انتشار الإعلان بين قطاعات واسعة من الجمهور.
- استخدام العبارات مع الصور يزيد من فهم الإعلان ويعطي تفاصيل أكبر عن الخدمة لا تقي بها الصورة.
- زيادة الاهتمام بإقناع المستهلك من خلال استخدام في الإعلان، مع ضرورة وضع الروابط لمن يرغب في المزيد.
- العمل على مزج الصور والرسوم والعبارات لتصبح عنصراً مرئياً وليس مقروء، حتى تصبح رموزاً تدل على الخدمة أو الشركة.
- متابعة تحديث بيانات الموقع وكتابة تاريخ آخر تحديث، وهذا يزيد من واقعية ومصداقية الموقع.

المراجع

- ماجد، ريماء، (2016)، منهجية البحث العلمي، مؤسسة فريدريش إيبيرت، بيروت، لبنان.
- المشهداني، سعد سلمان، (2017)، مناهج البحث الإعلامي، ط2، دار الكتاب الجامعي، جمهورية الإمارات العربية المتحدة، الجمهورية اللبنانية.
- موصلي، إبراهيم، (2015)، دور محددات اتجاهات العملاء نحو الإعلانات عبر شبكة الانترنت في سلوكهم الاستجابي، رسالة دكتوراة منشورة، كلية الاقتصاد، جامعة حلب، سوريا.
- العامر، محمد عبد حسن، و هاشم، جعفر شهيد، 2012، دور وسائل الإعلام الالكترونية في حماية المستهلك - دراسة ميدانية للإعلانات المضللة في الانترنت، مجلة كلية الآداب، العدد 102، جامعة بغداد.
- عفاف، خويلة، (2010)، فعالية الإعلان في ظل تكنولوجيا المعلومات والاتصال لدى المؤسسات الاقتصادية الجزائرية، مجلة الباحث، العدد 7.
- <https://aitnews.com/2012/01/19> البوابة العربية للأخبار التقنية
- الصميدعي: محمد جاسم و يوسف: ردينة، (2006) ، "أدارة التسويق مفاهيم وأسس"، دار المناهج للنشر"، الأردن، ط1، ص181
- العبدلي، سمير عبد الرزاق، (2011) ، " وسائل الترويج التجاري"، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الاردن، ط1 ، ص19.
- البكري: ثامر، (2006) ، " الاتصالات التسويقية والترويج"، دار الحامد للنشر، الأردن، د. ط، ص152
- البادي، محمد محمد، (2014)، الدخلى الاتصالي إلى العلاقات العامة والإعلان، ط2، مكتبة فلسطين للكتب المصورة.
- الزعبي، علي فلاح، (2008)، الإعلان الفعال من منظور تطبيقي، اليازوري للنشر، الأردن ، عمان.
- <https://ar.wikipedia.org/wiki/6/7/2020>
- باشي، أحمد، (2003)، القطاع الفلاحي بين الواقع ومتطلبات الإصلاح، مجلة الباحث، العدد 2.
- عدنان، موفق، (2010) ، "أساسيات التمويل والاستثمار في صناعة السياحة"، الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، ص14.
- حداد، شفيق إبراهيم وسويدان، نظام، (1998)، " اساسيات التسويق"، ط1، دار الحامد، الأردن.
- عباس، بشار، (2002) ، "التعليم بوابة مجتمع المعلومات"، دراسة مقدمة الى الندوة العربية الخامسة للمعلومات حول دور التوثيق والمعلومات في بناء مجتمع المعلومات العربي، النادي العربي، سوريا.
- الزعبي، محمد بلال والشراعية، أحمد بطيشان، (2004)، "الحاسوب والبرمجيات الجاهزة"، ط1، دار وائل للنشر، الأردن.
- الجنيبيهي، منير محمد والجنيبيهي، ممدوح محمد، (2005) ، ط1، "الشركات الالكترونية"، دار الفكر الجامعي، مصر.

عنوان البحث

رحلة الحسن الوزان المعروف بـ " Jean Leon L'Africain "

إلى دول أفريقيا جنوب الصحراء
تقاطعات الأبعاد الفكرية و الحضارية

عبد الله الحاجي¹

¹ أستاذ التعليم العالي، مركز تكوين الأساتذة CRMEF-SM، جهة سوس ماسة، أكادير، المغرب.

Email: elhajji2008@gmail.com

تاريخ النشر: 2020/12/01م

تاريخ القبول: 2020/11/20م

المستخلص

ينتمي الحسن بن محمد الوزان الفاسي الأندلسي إلى قبيلة بني زيات الزناتية الواقعة بين سبتة وتطوان بالمغرب، عاشت أسرته حقبا من الزمن في الأندلس الإسلامية، ولد الحسن الوزان بفاس و درس بجامع القرويين على كبار علمائها. شغل مهام سياسية خطيرة في المغرب، دفعته إلى القيام برحلات عديدة، كان أهمها الرحلة الثالثة إلى دول أفريقيا جنوب الصحراء، التي وصفها في كتابه "وصف أفريقيا"، حيث صحب فيها عمه الذي كان مكلفا بسفارتي المغرب ومملكة "سنغاي" في عهد محمد الوطاسي الشهير بالبرتغالي .
تحدث الحسن الوزان عن زيارته لخمس عشرة مملكة في السودان الغربي كان أهمها : مالي و تنبكتو وكوبر و كانو و بورنو و كوكة و كاو وغيرها، وهي ممالك تتوزع على المجال الجغرافي في حوض نهر النيجر.

الكلمات المفتاحية: سبتة - تطوان - الأندلس - المغرب - مملكة سنغاي - محمد الوطاسي - نهر النيجر.

RESEARCH ARTICLE

THE VOYAGE OF AL-HASSAN AL WAZZAN, IDENTIFIED AS "JEAN LEON L'AFRICAIN" TO THE COUNTRIES OF SUB-SAHARAN AFRICA
Intersection between intellectual and cultural dimensionsAbdallah EL HAJJI ¹

¹ Higher Education Professor, Souss Massa CRMEF-SM Center, Agadir, Morocco, Email: elhajji2008@gmail.com

Accepted at 20/11/2020

Published at 01/12/2020

Abstract

Al-Hassan Bin Muhammad Al-Wazzan Al-Fassi Al-Andalusi belong to the family of Beni Zayat Al-Zenatia, located between Sebta and Tetouan in Morocco. His family lived for many years in Islamic Andalusia. Al-Hassan Al-Wazzan was born in Fes and studied at the Al-Qarawiyyin Mosque among its leading scholars. He held dangerous political assignments in Morocco, which prompted him to undertake many trips, the most important of which was the third voyage to sub-Saharan Africa, which he described in his book "Description of Africa", in which he accompanied his uncle, who was in charge of the embassies of Morocco and the Kingdom of "Singhai" during the reign of the famous Mohamed El Wattassi known as the Portuguese.

Al-Hassan Al-Wazzan talked about his visit to fifteen kingdoms in western Sudan, the most important of which were: Mali, Timbuktu, Koper, Kano, Borno, Kouka, Kau and others, which are kingdoms distributed over the geographical area in the Niger River basin.

Key Words: Sebta - Tetouan - Andalusia - Morocco - the Kingdom of Singai - Mohamed El Wattassi - Niger River

تقديم

قبل أن نغمد القلم في المحبرة، كان الهدف أن لا نرتهن لنظرة ضيقة أحادية الرؤية في التعاطي مع موضوع رحلة الحسن الوزان إلى دول أفريقيا جنوب الصحراء، ذلك أن الحسن الوزان سينتقل من بيئة معتدلة المناخ إلى بيئة أقل ما جادت به المصادر الوسيطة أو الحديثة أن اختراقها ليس بالأمر الهين، لأن مصادر الماء قليلة، وحتى إذا افترضنا أنها موجودة فإنها تحتاج إلى دليل القافلة الذي يسير بها من محطة إلى أخرى، قصد تأمين مواطن الماء للناس ثم الكلال للإبل، فابن بطوطة يسجل إعجابه واستغرابه من الدليل الذي استأجره، حيث كان أعور العين الواحدة، ومريض الثانية، لكنه كان أعرف الناس بالطريق، وقد استأجره ابن بطوطة بمائة مثقال، هذا يعني أن ركوب مخاطر الصحراء لا يتم إلا لمن له دراية تامة بمفاوزها و جنباتها¹.

خروج الحسن الوزان من مراكش ومروره بدرعة، يعني أنه مرّ من الطريق الغربي الذي يصل تكمدارت ببتبكتو مباشرة مروراً بمحطات أهمها لكتاوة وتغازي وتاودني² (الوثيقة 1). وعلى طول هذه الطريق حفر البدو الرّحل عدداً كبيراً من الآبار لشربهم وشرب مواشيهم، وعندما رحلوا عنها أصبحت سابلة، وفي الشرع الإسلامي يوجد مفهوم "حق الشفة" إذ هو في الاصطلاح الفقهي ينصرف إلى شرب الأدميين وسقي بهائمهم، بغض النظر عن جنس الإنسان أو دينه أو وطنه³. ومع التطور الذي حصل في أوروبا في مجال المواصلات البحرية، فإن معظم هذه الخطوط البرية الصحراوية انتقلت إلى شواطئ السنغال وخليج غينيا.

وحسب ما نعلم أنه باستثناء ابن بطوطة ما بين القرنين (السابع والثامن الهجريين) لم يسافر أحد من الرحالة إلى بلاد السودان، فكل الذين كتبوا عن بلاد السودان كالبكري والإدرسي وابن سعيد والعمري، اعتمدوا على شهادات التجار والموظفين في حين أن ابن خلدون استجوب فقيه غانة واستعان به في بعض الأحداث. أما ابن بطوطة فقد سافر إلى بلاد السودان في العام (752هـ/1352م) وأقام بمالي قرابة سنتين. لذلك نجد أن الحسن الوزان هو آخر من انطلق في رحلته إلى هذه البلاد في العام (917هـ/1511م) حيث دامت رحلته قرابة سنتين ونصف.

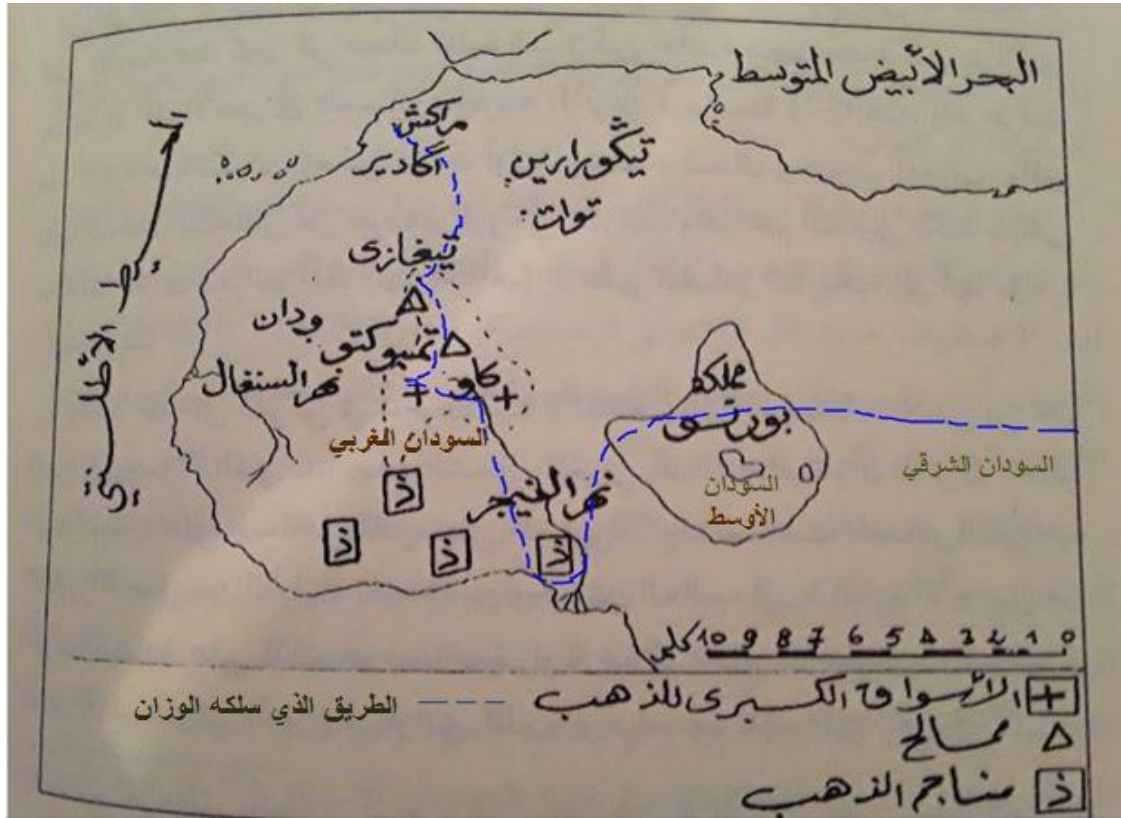
فمن هو الحسن الوزان؟ وكيف تعرفنا على رحلته لدول أفريقيا جنوب الصحراء؟ وكيف كانت علاقات المغرب مع هذه البلدان؟ وماهي الوظائف التي قام بها الحسن الوزان أثناء رحلته هاته؟ أهي مقتصرة على البعثة السفارية مع عمه؟ إلى أي حد طغت الأبعاد الفكرية والحضارية على توجهاته في هذه الرحلة؟ كيف تم نسج هذه الأبعاد بين المغرب وهذه البلدان في العصر الحديث؟

¹- عبد الله التجاني، رحلة التجاني، تونس، المطبعة الرسمية، 1958، ص.111

²- يظهر من خلال الخريطة الطريق الذي سلكه الحسن الوزان منذ خروجه من مراكش إلى حين وصوله إلى ممالك السودان الغربي، وهو ما يعرف عند الرحالة والمؤرخين بالطريق الغربي الذي ينطلق من مراكش مروراً بدرعة وكتاوة وتغازي وتاودني "الصورة 1".

³- أحمد إد الفقيه، نظام المياه والحقوق المرتبطة بها في القانون المغربي شرعاً وعرفاً وقانوناً، 2002، ط1، صص: 68-69.

الوثيقة 1: خريطة بلدان أفريقيا جنوب الصحراء



التعريف بالحسن الوزان

الحسن بن محمد الوزان الفاسي الأندلسي عاش في بداية حياته في بيئة إسلامية، حيث ينتمي إلى قبيلة بني زيات الزناتية، المتوقعة في أقصى غرب بلاد غمارة من سلسلة جبال الريف بالمغرب، أي بين ساحل البحر الأبيض المتوسط ومجرى وادي "لاو" في أحواز سبتة و تطوان، عاشت أسرته حقبة من الزمن في الفردوس المفقود.

ولد الحسن الوزان بمدينة غرناطة قبل سقوطها في يد الإسبانيين، فاختلف المؤرخون في تحديد سنة ولادته بالضبط، فجعلها البعض في العام 901هـ/ 1495م والبعض الآخر جعلها في العام 906هـ/ 1500م، لكن كلا التقديرين لا يستويان لذلك رجح المرحوم محمد حجي ومحمد الأخضر اللذين ترجمتا كتابه "وصف أفريقيا" عن الفرنسية أن تكون ولادته حوالي 888هـ/ 1488م أي قبل سقوط غرناطة بنحو عشر سنوات.

انتقل الحسن الوزان في خضم الهجرات الأندلسية مع أسرته الصغيرة إلى فاس، فبدأ دراسته في جامع القرويين على يد أعلام القرويين آنذاك ومنهم الإمام محمد بن غازي المكناسي حيث يعتقد أن الحسن الوزان قرأ عليه بعضا من كتبه التي اشتمل عليها فهرسه المعنون بـ "التعلل برسم الإسناد بعد انتقال أهل المنزل والثأد"⁴ الذي كان يجيز به تلاميذه، حيث يحتوي على علوم اللغة وآدابها والعقائد والفقه والتصوف، والتفسير والقراءات والحديث والسير والحساب والفلك والمنطق وغيرها.

⁴ محمد بن غازي، فهرس التعلل برسم الإسناد بعد انتقال المنزل و الناد، تحقيق محمد الزاهي، الدار البيضاء، دار المغرب للتأليف و الترجمة و النشر 1979.

أهمية كتاب وصف أفريقيا للحسن الوزان

يعد كتابه "وصف أفريقيا" المرجع الوحيد الذي يؤكد بداية حياته العلمية حيث انتصب للشهادة مع عدول فاس الرسميين، وبذلك بدأ يجالس العلماء والقضاة والفقهاء في المدن والقرى خلال رحلاته الشهيرة، وهو ومع ذلك يعتبر كاتباً بارعاً يحبر الرسائل تحبيراً، وينظم القصائد التي ينال بها العطايا الشخصية من الرؤساء، وأخيراً فهو يهتم بالحسبة إذ كان يستخلص واجبات بيت المال من القبائل. قَرَّب سلطان فاس آنذاك محمد الوطاسي المعروف "بالرتغالي" الحسن الوزان إليه ونظمه في سلك بلاطه، حيث أسند إليه مهام سياسية خطيرة في ظرف عرف فيه المغرب انقساماً إلى مملكتين مملكة فاس ومملكة مراكش، وتدخلاً برتغالياً-إسبانياً لعدد من الثغور المغربية على البحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلنطي⁵.

هذه المهام السياسية التي اضطلع بها الحسن الوزان، والنشاط الدبلوماسي والتجاري لأسرته، هي التي دفعت به إلى القيام برحلات عديدة داخل المغرب وخارجه، حتى غدا كتابه الجغرافي زبدة تسجيلاته ومشاهداته التي دونها في مذكرات شبه يوميات.

ذكر الحسن الوزان قراءه بالرحلات التي قام بها مع والده وهو صغير، يضاف إليها الرحلات التسع التي جاءت في ثنايا كتابه وصف أفريقيا، ومنها رحلته الأولى إلى الشواطئ الغربية القريبة من فاس، ثم الرحلة الثانية إلى وسط المغرب حيث زار خلالها تادلا وتعرف على محمد القائم بأمر الله الذي بويع في سوس أميراً للجهاد في العام 916هـ/1510م بعد عام من التخطيط والتنظيم بمساعدة أولياء الجنوب في عاصمة الدولة آنذاك، حيث بقيت مدينة تيديسي لمدة ست سنوات عاصمة قبل انتقالها إلى مدينة تارودانت.

ثم الرحلة الثالثة إلى بلاد السودان الذي صحب فيها عمه الذي كان مكلفاً في العام 917هـ/1511م بسفارة بين ملك فاس محمد الوطاسي البرتغالي وملك "سنغاي" محمد أسكيا الكبير، حيث انطلقا في رحلتها من مراكش عبر درعة وسلوكوا في رجوعهما طريق سجلماسة متجهين نحو فاس.

يقول ليفي بروفنصال عن الحسن الوزان:

إن الصورة التي رسمها ليون الأفريقي (الحسن الوزان الفاسي) في كتابه "وصف أفريقيا" لازالت أصولها شاخصة إلى الآن لم يغير الدهر منها شيئاً كثيراً، وإن الناظر إليها اليوم سرعان ما يشعر وكأنه يرجع أدراجاً إلى عهود فاس القديمة، ويشاطر أهلها الحياة برهة من الزمان⁶.

شخصية الحسن الوزان

هل حدث انكسار في شخصية أو في المسار العلمي للحسن الوزان⁷؟ خاصة وأن البعض يشكك في عقيدته عندما قضى ثلاثين عاماً في الأسر بإيطاليا؟ وبالتالي كيف تغلب على هذه الإكراهات؟

⁵ عبد الله الحاجي.- الدولة السعدية: آليات التطور ومظاهر التدهور: سوس بين 916-1510هـ/ 1015-1609م منشورات أفريقيا الشرق 2013. ط1، ص 158-159.

⁶ ليفي، بروفنصال، مؤرخو الشرفاء. ص37.

⁷ يجب التفريق بين الحسن بن محمد الوزان وعمر بن محمد الوزان فهذا الأخير هو أبو حفص محمد الكماد الأنصاري القسنطيني المعروف بالوزان، قال عنه أحمد المنجور في فهرسته: "هو الفقيه العالم المتفنن المحقق الراسخ الصالح أبوحفص عمر الوزان، كان آية، يهر العقول في تحقيق فنون المنقول والمعقول... أخذ عنه شيخنا محمد اليسيتي الأصلين والبيان وغيرها، وقرأ عليه "معالم الفخر" قراءة بحث وتحقيق (توفي قرب 960هـ) له تأليف عديدة منها: "الرد على الشوبية" و"البضاعة المزجة" وحاشية على "شرح الصغرى" للسوسي.

معلوم أن عائلة الحسن الوزان قد طردت من غرناطة فاستقرت بفاس، وهذا لا يطرح أي مشكل للوزان نظراً لأنه ولد بغرناطة وتلقى تعليمه بفاس، صحيح أنه قد عانى "نفسياً" مع الأندلسيين المطرودين آنذاك من منطلق الجماعة المسلمة المغلوبة على أمرها التي كانت تحت سلطة الإسبان.

وإذا كان المؤرخون قد اهتموا بوضعية المورسكيين بالأندلس، فإنهم لم يصلوا بشكل جلي إلى العناية بفكرهم لأن وضعيتهم كانت "مقلوبة"، وقد انتبه إلى ذلك أحمد بن يحيى الونشريسي الذي حاول في كتابه "المعيار المعرب والبيان المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب" إيجاد الحلول الفقهية لما عاناه الأندلسيون عندما كانوا تحت الحكم الأجنبي في الأندلس، وفي معرض التحدث عنهم كان يستعمل عبارة "المسلمين الذميين" أو "المساكين الذميين" مشيراً لتلك الوضعية "المقلوبة".

جاء في بعض فتاوى الشيخ أحمد الونشريسي أن بعض الأندلسيين: "تدموا على الهجرة بعد حلولهم بدار الإسلام، وسخطوا وزعموا أنهم وجدوا الحال عليهم ضيقة، وأنهم لم يجدوا بدار الإسلام التي هي دار المغرب... بالنسبة إلى التسبب في طلب أنواع المعاش على الجملة رفقاً ولا يسراً ولا مرتقفاً، ولا إلى التصرف في الأقطار أمناً لاثقاً..."⁸

وأضاف صاحب المعيار أن بعض الأندلسيين صرح أنه: "إن جاء صاحب قشتالة إلى هذه النواحي نسير إليه، فنطلب منه أن يردنا إلى هناك..."⁹

لكن جواب الونشريسي كان قطعياً في هذا الشأن ذلك:

"أن الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيامة..."¹⁰

على أية حال فإن طرد الأندلسيين "المورسكيين" كان خسارة اقتصادية بل وحضارية بالنسبة لاسبانيا¹¹، فقد كانوا صناعاً مهرة ومحيطين بفنون الزراعة. ولا أدل على ذلك من إنشائهم لمعامل السكر في كل من تارودانت وشيشاوة ومراكش وغيرها بالمغرب.

لقد لجأت اسبانيا إلى هذا الطرد لأن المورسكي "غير قابل للإدماج، فاسبانيا لم تتصرف بدافع حقد عنصري بل بدافع من الحقد الحضاري وهو اعتراف بالعجز، فالمورسكي بقي على شاكلته أجداده، نفس الزي والدين واللغة والدار المنغلقة والحمامات العمومية... لقد حافظ على كل شيء"¹².

في الرحلة التاسعة التي انتقل فيها الحسن الوزان من البلاد الليبية ثم التونسية في طريق عودته إلى المغرب في العام 926هـ/1520م أبحر من تونس، لكن سوء الحظ أوقعه في أيدي القراصنة الإيطاليين فأسروه بالقرب من جزيرة "جربة" فأخذوه إلى نابولي حيث قدموه هدية إلى البابا ليون العاشر في روما، الذي كان من أعمدة عصر النهضة حيث عمل على إحياء العلوم والآداب والفنون، فوجد في الحسن الوزان عالماً مغربياً شاباً، سرعان ما توثقت الصلة بينهما.

⁸-أحمد الونشريسي. -المعيار المعرب والبيان المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق محمد حجي وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1981، ج2، ص 119.

⁹- الونشريسي، المعيار...، ج2، ص. 120.

¹⁰-الونشريسي، المعيار...، ج2، صص: 121-122.

¹¹-أحمد الحجري "أوقاي". -ناصر الدين على القوم الكافرين، نشره محمد رزوق، منشورات كلية الآداب، الدار البيضاء، 1987، صص: 111-113.

¹²-F. Braudel.-La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II, éd. Armand Colin, 2ème éd, 1966,P.129.

ماذا كان على الحسن الوزان أن يقوم به؟ وكيف يمكنه تحدي إكراهات الأسر في دولة مسيحية؟

لقد كان حتمياً على الحسن الوزان أن يتقن سلوكين منفصلين، سلوك مع نفسه وهو العالم المغربي الذكي المسلم، وسلوك مع المحيط المهيم، فتظاهر الوزان باعتناق المسيحية وحمل اسم البابا "يوحنا الأسد الغرناطي أو الأفريقي" "Jean Leon L'Africain" ستراً وتقيّة فتأقلم بسرعة مع البيئة المسيحية، وهو مورسكي فتح عينه في غرناطة بلغتها القشتالية الوثيقة الصلة باللاتينية. لقد ثبت من خلال مؤلف الوزان "وصف أفريقيا" أنه كان مستمراً على إسلامه وعقيدته وكان يدافع عن الذات الثقافية ولم يُسلم بانهزامه الحضاري في كل ثنايا الكتاب، إذ كان يتحدث عن العادات والأعياد الإسلامية فينسبها إلى نفسه بقوله: "عندنا" ولم يحدث أن نسب لنفسه شيئاً من طقوس المسيحيين الدينية أو غيرها، بل نجده في كتابه دائم التلميح إلى العادات الإسلامية في المدن والقرى التي زارها الحسن بن محمد الوزان.

يشكل الحسن بن محمد الوزان الإنسان المورسكي الذي صار خصمه المسيحي في غرناطة على نفس الأرضية قبل هجرته إلى المغرب، لذلك فهو قد وعى الدرس بأكمله بوجوده في نفس الجو المسيحي والواقع الحتمي، الذي تغلب عليه باشتغاله بتدريس اللغة العربية للخاصة من رجال الكنيسة في روما و نابولي ولعامّة الطلبة في مدرسة بولونيا الشهيرة في عصر النهضة الأوروبية.

ظروف بلاد السودان

في العام 917هـ/ 1511م خرج الحسن الوزان من مدينة فاس في رحلته إلى بلاد السودان صحب خلالها عمه الذي كان مكلفاً بسفارة دبلوماسية بين ملك فاس محمد الوطاسي البرتغالي، وملك سنغاي محمد أسكيا الكبير.

سلك الوزان في رحلته الطريق الرابطة بين مراكش وبلاد السودان مروراً بدرعة وكتاوة ثم تغازي ثم تاودني فتنبكتو وصولاً إلى ممالك بلاد السودان. إن طرق المواصلات عبر الصحراء الذي حدثت فيه هذه الرحلة، كانت تشغل المجال الجغرافي لشمال أفريقيا، حيث أكد محمد الغربي في كتابه¹³ المسافات التي تقطعها القوافل التجارية من مراكش إلى تنبكتو¹⁴ خلال خمسة وستين يوماً أو ثمانين يوماً بمسافة تقدر بألفين وأربعمائة وستين كيلومتراً. هنا يمكن أن نتساءل: هل كان الوطاسيون على صلة بدول أفريقيا جنوب الصحراء منذ بداية دولتهم؟ وهل كانت للسلطان الوطاسي محمد الوطاسي المعروف بالبرتغالي أهداف غير معلنة من خلال إرسال هذه السفارة إلى بلاد السودان لربط علاقات دبلوماسية مع ملك سنغاي محمد أسكيا الكبير؟

على الرغم من المصاعب التي يواجهها الرحالة التجار في رحلاتهم إلى بلاد السودان، والتي يبينها ابن خلدون بقوله "المغامرة المجهلة لا يهتدى فيها للسبيل، ولا يمر الوارد ماعداً بالدليل الخبير من الملتئمين الطواعن بذلك الفقر، يستأجره التجار على الدراية يسهم فيها بأوفى الشروط"¹⁵ فإن هذه الرحلة السفارية إلى بلاد السودان كانت تنظم بشكل دقيق، فهي قافلة مخزنية تستدعي الشروط الكاملة من رئيس ودليل وحراس ومحاربين الذين يشكلون الطليعة والمؤخرة، فهم مسلحون درءاً للأخطار التي يواجهونها في طريقهم خاصة قطاع الطرق، وغالباً ما تتزامن الرحلات القفلية التجارية مع الرحلة السفارية فتصبح على شكل: "مدينة أهلة تتحرك"¹⁶

¹³-محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، الدار الوطنية للتوزيع والإعلان، بغداد، 1982، ص. 458.

¹⁴-تنبكتو: تكتب (تين بكت) هي ملقى القوافل التجارية البرية القادمة من شمال وغرب أفريقيا وكذلك الآتية من تودني، ازدهرت فيها الحركة الثقافية، يسكنها العرب الطوارق.

¹⁵-عبد الرحمان بن خلدون، العبر و ديوان المبتدأ والخبر...، ج6، ص79.

¹⁶-زهرة، طموح، تنظيم القافلة خلال القرن 19م، التجارة والمجتمع والدولة عبر التاريخ، ج2، 1992، ص299.

علاقات المغرب مع بلدان أفريقيا جنوب الصحراء

لنا أن نتساءل تساؤلات مشروعة من قبيل كيف كانت امتدادات العلاقات الاقتصادية والحضارية والاجتماعية بين المغرب وأفريقيا جنوب الصحراء في العصر الحديث؟

وهل بقيت هذه العلاقة متواصلة بدون إكراهات؟ أم أن الظروف الداخلية للمغرب آنذاك حتمت التدخل في هذه المناطق؟ وإلى أي حد استطاع أحمد المنصور السعدي استمالة علماء السودان؟

نعلم أن المصادر الوسيطة¹⁷ قد ذكرت أن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة قد اقتحم بلاد السوس الأقصى وبلاد السودان وأصاب من الذهب والفضة والسبي أمراً عظيماً... وسبى من قبائل البربر قبيلة يقال لها مسوفة في طريق السودان¹⁸ وهذا يعني أن الصحراء لم تكن حاجزا للتوغل فيما وراء نهر النيجر¹⁹. ولقد كانت نشأة مملكة غانة بأفريقيا جنوب الصحراء سببا في التلاقح بينها وبين المغرب الصحراوي، منذ أمد بعيد خاصة بعد استيلاء المرابطين على "غانة"²⁰ وبقيت العلاقات الاقتصادية إلى العصر الحديث الذي شهد نقلة هامة على مستوى المبادلات التجارية، حيث كان المغرب يصدر لأفريقيا جنوب الصحراء مجموعة من المواد كالحناء والتاكوت والملح والسكر والصبغ العربي، في حين كان يستورد منها زيت النخيل وجوز الهند والذهب وغيرها²¹ حيث كانت مدينة كومبي²² ملتقى التجار القادمين إليها من كل الأقطار، ومن اللافت أن القوافل كانت تغادر ملاحه تغازي محملة بالملح وترجع مملوءة ذهباً حسب البكري²³

لن أطيل في إظهار التكامل الحاصل في العلاقات بين المغرب وأفريقيا جنوب الصحراء، لكن هذه الإضاءات القليلة هي التي تعتبر تمهيدا وفرشا لتقاطعات الأبعاد الفكرية والحضارية، خاصة بعد تبادل السفارات بين المغرب وهذه البلدان في العصر الحديث زمن حكم الدولة الوطاسية التي أرسلت وفدا مغربيا دبلوماسيا شكل عم الحسن الوزان القطب الرئيس فيه.

هذه البلدان في أفريقيا جنوب الصحراء دخلها الإسلام منذ عهود قديمة، يدل على ذلك التأثيرات الدينية والثقافية والحضارية، إذ ساهمت كل هذه العوامل في انبعاثها حضاريا وولوجها إلى ساحة الأحداث في العالم²⁴.

لذلك أصبح الإسلام هو الدين المنتشر في هذه الأصقاع، وهو ما دفع السكان يعتنقونه ويتخلون عن العادات والتقاليد الوثنية، ودفن الطوارق للميت في الصحراء خير دليل على ذلك²⁵.

كما أن قبول هذه القبائل الانصهار في بوتقة واحدة على المستوى الإثني جعل السلالات تختلط بالمصاهرة ووحدة العقيدة²⁶، ومنذ

¹⁷ -ولد السالم حماه الله. تاريخ قبائل البيضان... (م.م)، ص.26.

¹⁸ -ولد السالم حماه الله، (م.م)، ص.26.

¹⁹ -عبد الوهاب الشكري، لمحات من التاريخ الاقتصادي لدرعة، ص.41.

²⁰ -يوسف نصر، تاريخ غرب أفريقيا، ص.16.

²¹ -عبد المجيد أمريغ، المجال الصحراوي المغربي من خلال النصوص الأدبية القديمة، مرجع سابق، ص.222.

²² -كومبي: هي قبة صالح، كانت عاصمة مملكة غانة.

²³ -أبو عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2013، ص.260.

²⁴ -عبد الله بازينة، انتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، ص.12.

²⁵ -ستيفان كزيل، تاريخ شمال أفريقيا القديم، م.س، ج6، ص.183.

²⁶ -كزيل، مرجع سابق، ج1، ص.231.

ذلك الحين والاحتكاك المادي بين المغرب وبلدان أفريقيا جنوب الصحراء يزداد تجذرا على مستوى العقيدة، حيث أنشئت مدارس قرآنية وأصبحت "غاو وكيكيا وتنبكتو" من أهم المراكز العلمية والفكرية، إضافة إلى أهميتها في التجارة البنينية²⁷. وهو ما ساعد على ظهور الكتابة والمؤلفات وتشجيع العلماء العرب الرحالة للتأليف في مختلف فنون المعرفة²⁸. في هذه الأثناء ظهر حكام سودانيون بلغوا شأوا كبيرا في تطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتمسك بتعاليم الإسلام الصحيح، انطلاقا من عهد الملوك الأسكيين خاصة الملك أسكيا محمد الحاج (898-935هـ / 1493-1528م).

كانت مملكة سنغاي عبارة عن تجمع سكاني صغير، لكن تطورت في ظرف وجيز إلى إمبراطورية مترامية الأطراف واستولت على السودان الغربي بأكمله، وصلت إلى أوج ازدهارها ورخائها في عهد الملك أسكيا محمد الذي حج البيت الحرام لأداء الفريضة، وقال له الخليفة العباسي: "يا هذا أنت الحادي عشر من الخلفاء... لكنتك جنتنا ملكاً، والمُلك والخلافة لا يتفقان..."²⁹. وبعد ذلك ترك أسكيا الحاج محمد كل مظاهر السلطنة حتى حاز مقومات الخلافة وصفاتها³⁰ وهو بذلك سيُصارع العثمانيين والسعديين على "المشروعية والخلافة"³¹ الأمر الذي جعل أحمد المنصور السعدي يوجه رسالة إلى إسحاق أسكيا الثاني تصور المنصور على أنه: "المأمور والمكلف" بتوحيد كلمة المسلمين، وذلك: "لما اختصنا الله به من إمامة الجماعة... و وراثته الأرض ومن عليها"³². وهو بذلك يميز نفسه عن العامة، إذ "الناس في هذا الأمر تبع، ونحن المتبعون"³³.

وبهذا تكفل المنصور في تدخله في بلاد السودان بإصلاح الأوضاع فيها، وإزالة المحرمات والكبائر خاصة بعد وفاة أسكيا الحاج محمد حيث: "فسدت في تلك البلاد الأحوال وظهر الاختلال وتبدلت الشرائع، فلم يُضرب قط بين اثنين منهم عقد نكاح... ولا وقع التزواج على وجه مباح..."³⁴.

كما أن مدينة تنبكتو وصفها المؤرخون بأنها من المدن التي:

"لا نظير لها من بلاد السودان إلى أقصى المغرب مروءة وتعففا وصيانة وحفظ عرض ورأفة بالمساكين والغرباء وتلطفا بطلبة العلم وإعانتهم..."³⁵.

وزاد أيضا:

"...وسكن فيها الأخيار من العلماء والصالحين وذوي الأموال من كل قبيلة ومن كل بلد..."³⁶.

وقال آخر: "...كانت تنبكتو قبل الحملة وتغيير آل أقيت عنها في غاية الحسن والجمال، وإقامة الدين، وإحياء السنة، بها ماشئت

²⁷-يوسف، روكز، أفريقيا السوداء: سياسة وحضارة، م. س، ص. 56.

²⁸-أحمد الشكري. الذاكرة الإفريقية في أفق التدوين إلى غاية القرن 18م (نموذج بلاد السودان) منشورات معهد الدراسات الإفريقية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 2010م، ص. 29-30.

²⁹-محمود، كعت، تاريخ الفتاش...باريس، نشر هوداس، 1964، ص. 12.

³⁰-كعت، المرجع السابق، ص. 12.

³¹-عبد الله الحاجي، الدولة السعدية، م، صص 239-240.

³²-الفتتالي، مناهل الصفا... مصدر سابق، ص. 123.

³³-الفتتالي، مناهل... ص 124.

³⁴-عبد الهادي التازي، المغرب... ص148+بئعلة، مجموعة رسائل سعدية، ص187.

³⁵-عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان، نشر هوداس، باريس، 1964، ص179.

³⁶-السعدي، تاريخ السودان، م. س، ص. 20-21.

من دين ودنيا، وجيران تنافسوا في المعاني...³⁷ ووصفها الوزان نفسه بأنها:

"...كعبة الثقافة الإسلامية والعلوم، وبها نهضة علمية وثقافية بفضل أساكي سونغاي وهي حافلة بالفقهاء والقضاة والأئمة، وإن تجارة الكتب تفوق كل تجارة في ربحها، ولا توجد سلع تضاهيها في الربح سواء كان الكتاب منسوخا في نفس البلد أو مستورداً من البلاد الإسلامية... يدفع الملك أسكيا محمد إلى القضاة والأئمة مرتبا حسنا، ويعظم الأدباء كثيرا..."³⁸.

ويضيف الناصري: "... كان بنو أقيت التكروريون من أهل مدينة "تنبكتو" ممن لهم الوجاهة الكبيرة والرياسة الشهيرة ببلاد السودان ديناً ودنياً بحيث كثر فيهم العلماء والأئمة والقضاة..."³⁹.

وقد كان السكان أهل سونغاي "...يعرفون بمسلمي الدّم أي إضافة إلى إسلامهم طوعاً، فقد جادوا بدمائهم لنصرة الدين أيضاً..."⁴⁰ لكن بعد تدخل المنصور السعدي في هذه البلاد لم يكن هناك مبرر واضح للتدخل لأن البلاد إسلامية، فأحترق الفقهاء في تبرير أجوبتهم عن هذا الغزو، إذ "...إن المحن ترادفت على السلطان أحمد المنصور من كل وجه، حتى قيل إنه ندم على ما صدر منه تجاه علماء السودان..."⁴¹.

دخول الحسن الوزان إلى بلاد السودان

عند أول دخول للحسن الوزان إلى بلدان أفريقيا جنوب الصحراء تعرض للحديث عن هذه البلاد في إطار رحلته التي همت بعض الممالك، وعجزه عن الوصول إلى البعض الآخر نظراً "لبعدها عن تجارتنا..."⁴² كما يقول.

تحدث الوزان عن خمس عشرة مملكة من أرض السودان التي زارها وهي "ولّاته وجيني ومالي وتنبكتو وكاؤو وكؤوبز وأغادس وكاؤو وكّلاتسنية وزكرك وزنفرة وبورنو وكاوكا والنوبة"، وهي الممالك التي تتوزع على المجال الجغرافي لحوض نهر النيجر، حيث تمر بها الطرق التجارية خاصة الخط الشرقي الواصل إلى مصر بين درفور وأسيوط الذي لم يكن مؤمناً إلى حدود أواخر القرن السادس عشر الميلادي. هذه الممالك التي زارها الحسن الوزان انضمت في شكل اتحاديات على رأس كل واحدة ملك مستقل، منها مملكة "تنبكتو" وهي أكبر هذه الممالك ثم مملكة "بورنو" وهي صغيرة المساحة ومملكة "كاؤو" وتشغل الباقي.

عندما بدأ الحسن الوزان بتدوين رحلته هاته اعتمد على أقوال الجغرافيين والمؤرخين الذين ذكروا أصل السكان البيض في أفريقيا جنوب الصحراء، حيث يرى البعض أنهم ينتمون إلى الفلسطينيين الذين هاجروا قديماً إلى أفريقيا حين طردهم الاثوريون، ويؤمن آخرون أن أصلهم راجع إلى السبئيين أي "الجميريّين" الذين كانوا يعيشون في اليمن قبل أن يطردهم الاثوريون أو الأثيوبيون منها، ويدعي فريق ثالث أنهم هاجروا من أطراف آسيا تحت ضغط شعوب معادية لهم، فاستقروا باليونان وبعدها لجأوا إلى أفريقيا.

أما السكان السود فإنهم جميعاً من نسل "كوش بن حام بن نوح"، مهما يكن من أمر فإن الحسن الوزان اعتذر عن إعطاء المزيد من الافتراضات لأنه منذ عشر سنوات لم يطلع على أي كتاب في التاريخ الإسلامي لكي يعتمد عليه.

³⁷ - محمود كعت، تاريخ الفتاش... مم، ص. 179.

³⁸ - الوزان، وصف أفريقيا، م. س، د2، 167.

³⁹ - أحمد الناصري الاستقصا لاختار دول المغرب الأقصى، ج5، ص129.

⁴⁰ - السعدي، تاريخ... م. س، ص 3.

⁴¹ - السعدي، تاريخ... م. س، ص. 202-203.

⁴² - الوزان، وصف أفريقيا ج1، ص. 29.

لكن كيف وجد الحسن الوزان بلدان أفريقيا جنوب الصحراء؟ وما هي الوظائف التي قام بها أثناء رحلته هاته؟ وهل كانت الأبعاد الفكرية والحضارية هي المتحكمة في توجّهاته؟ أم كان له دور في البعثة السفارية مع عمه إلى بلاد السودان؟

بدأ الحسن الوزان بوصف مدينة تنبكتو التي كان يعتقد أن بناءها كان على يد منسا سليمان في بداية القرن السابع الهجري/13م، حيث اتخذ أمراء "المأندنغو" هذا اللقب "منسا" الذي يعني السلطان، لكن عبد الرحمن السعدي فصل في الكلام عن تأسيس تنبكتو حيث أرجعه إلى القرن الخامس الهجري على أيدي "التوارق" أو "الطوارق"، كما بين أنها بلدة طيبة زكية، حكمها أسكيا الحاج محمد وفي عهده قصدها الأخيار من العلماء والصالحين وذوي الأموال، من كل بلاد من أهل "قزان وغدامس وتوات ودرعة وتافلات وفاس وسوس"⁴³.

وكانت تنبكتو تعج بالعلماء والصلحاء والقضاة منهم القاضي محمود آل أقيت الإمام العالم التقى الورع الشهير في علم العربية الذي كان يُفَرِّق كتاب الشفا للقاضي عياض في شهر رمضان في مسجد سنكري⁴⁴ الذي بُني بالحجر المركب بالطين والجير على شكل لِبَنَاتٍ قام بتصميمه مهندس أندلسي، وقصر كبير بني من طرف هذا المعلم⁴⁵ لسكنى الملك، تحيط به دكاكين للصناع والتجار والنساجين.

الحسن الوزان هو شاهد عيان استقر في أول محطة له بمدينة تنبكتو فلاحظ أن النساء محتجبات، إلا الجوّاري اللائي يقمن بعملية البيع والشراء يُوجدن وسط السوق، وقد كان الملح في "تنبكتو" يساوي ثمانين مثقالا، والتجار يقومون بتعويضه سلعة بسلعة في إطار المقايضة والتجارة الصامتة. والملك دائما يُحب النظام والأبهة، خاصة عندما يتنقل من مدينة إلى أخرى، إلا أن هذه العناصر السكانية المتعايشة سواء السكان الأصليين أو الأجانب من شمال أفريقيا لا يشكلون عنصرا إزعاج للملك، كما يُمثله العنصر اليهودي الذي يُمنع من الاستقرار داخل المدينة، ربما للمعاملات الربوية التي يستعملونها في معاملاتهم التجارية، وقد كان الملك يحرص على تطبيق المبادئ الإسلامية إذ يستغرق أموال التاجر الذي يتعامل مع أهل الذمة خاصة إذا كان أجنبيا، حيث تستعمل في المعاملات التجارية قطع الذهب الخالص بدل العملة المسكوكة⁴⁶، وهذا ربما ما جعل العنصر اليهودي يستقر أساساً في المراكز التجارية التي تمر منها أو تنتهي إليها قوافل الذهب الرابطة بين شمال أفريقيا وبلاد السودان⁴⁷ صحيح أن اليهود زاولوا عدة أنشطة صناعية وجمع الجبايات والمكوس⁴⁸، حيث أكد الفشتالي أنه: "قُطعت معاقدة الكراء فيها (معاصر السكر)...لطائفة من أهل الذمة"⁴⁹.

وقد أكدنا في دراسات سابقة الدور المحوري الذي كان يلعبه اليهود كوسطاء في التجارة بين المغرب وبلاد السودان⁵⁰ وكان للعائلات اليهودية نفوذ أوسع لدى أحمد المنصور وبعد وفاته، وهذا ما جعل الفقهاء والعلماء يؤاخذونه على اتصال اليهود الدائم ببلاطه⁵¹

⁴³ -السعدي، تاريخ السودان، م. س، ص. 20-21.

⁴⁴ -السعدي، تاريخ... م. س، ج2، ص29.

⁴⁵ -الوزان، وصف افريقيا، م. س، ج2، ص. 165.

⁴⁶ -الوزان، وصف افريقيا، م. س، ج2، ص. 167.

⁴⁷ -محمد حجي، الحركة الفكرية...ج1، صص: 267-268.

⁴⁸ -الوزان، وصف... م. س، ج1، ص. 78 و ص 219.

⁴⁹ -عبد العزيز الفشتالي، مناهل الصفا...م. س، ص 210.

⁵⁰ -عبد الله الحاجي، الدولة السعدية: آليات التطور...م. س، ص 136.

⁵¹ -محمد حجي، الحركة الفكرية...ج1، ص 271.

خاصة وأن المنصور قد "أخرج يهوديا من الأشر من جزيرة "مالطا" بمال عظيم"⁵².

وقد ألف الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي كتاب: "مصباح الأرواح في أصول الفلاح" انتقد فيه: "ما عليه يهود هذا الزمان... من الجور والطغيان، والتمرد على الأحكام الشرعية وقد حلت دماؤهم وأولادهم ونساؤهم ولا ذمة لهم"⁵³ إلا أن الونشريسي أكد أن: "ظلم أهل الذمة لا يجوز شرعا... وقد تضافرت الأحاديث النبوية بالنهي عن ظلم أهل الذمة، فلا سبيل إلى استباحته"⁵⁴.

تعود أهل تنبكتو على المرح، والتجول في المدينة ليلاً وهم يعزفون على آلات الطرب ويرقصون، وهي التقابلية التي وضحها ابن خلدون في العمران خاصة في مستواه الأول حيث أكد أنه "قد رأينا خلق السودان على العموم الخفة والطيش وكثرة الطرب، فتجدهم مولعين بالرقص... موصوفين بالحمق في كل فطر..."⁵⁵.

الحسن الوزان الذي وصل السودان أواخر العام 917هـ بدأ ينتقل عبر حوض نهر النيجر فوصل إلى مدينة "كبيرة" التي تقع على فرع من هذا النهر ربما في العام 918هـ/ 1512-1513م، وهي لا تبعد عن مدينة تنبكتو إلا بـ : سبع كيلومترات على طريق البر، وسبعة عشر كيلومترا عبر القناة الموصلة إلى تنبكتو، لاحظ الوزان أن السلع والبضائع كانت تنقل بواسطة السفن إلى غينيا ومالي، وتنبكتو بدورها تتلقى من "كبيرة" نصف المواد الغذائية، لكن أمراض الحمى تنتشر فيها نظرا لكثرة البعوض.

أما مدينة كاغو فهي بعيدة من تنبكتو باتجاه الجنوب الشرقي، وهي أكثر تحضرا من الثانية يأتي إليها السكان السود من كل صوب محملين بكميات من الذهب لشراء المواد الآتية من المغرب، وغالبا ما ينفقون النصف أو الثلثان، يكثر فيها اللحم والخبز، لكن الخمر والفواكه منعذمان، وهناك سوق للنخاسة يباع فيه عدد كبير من الرقيق ذكورا وإناثا. حيث تساوي الفتاة والفتى في سن خمس عشرة سنة نحو ستة مثاقيل. أما الملك في هذه المدينة فله قصر خاص مُعدُّ لعدد هائل من النساء والجواري والعبيد، للقصر بابان، الباب الخاص والباب العام تتوسطه ساحة كبيرة على جوانبها رواق مخصص للإستقبالات. أما الجانب الديني فيشكو من الجهالة الجهلاء على حد تعبير الوزان⁵⁶، حيث نجد ابن خلدون يؤكد هذه الظاهرة بقوله: "...لا يدينون بشريعة إلا من قرب منهم من جوانب الاعتدال وهو في الأقل النادر... مثل أهل مالي وكوكو والتكرور المجاورين لأرض المغرب الدائنين بدين الإسلام..."⁵⁷

أما مملكة كوبر في تقع شرق مملكة كاغو، كانت في غاية التحضر بها صناع مهرة من نساجي القماش، وتجار من الأجانب، لذلك ازدهرت الحياة الاقتصادية في هذه المدينة التي زارها الوزان في بداية العام 919هـ/ 1513م، في حكم أسكيا الحاج محمد⁵⁸ الذي ولى عليها واليا يتقل كاهل السكان بالضرائب، وهو ما أكده السعدي في تاريخه⁵⁹ إذا كان السكان يحققون أرباحا طائلة من معاملاتهم التجارية.

أما مملكة ولآة فهي أقل هذه الممالك شأنا حيث حدثت هجرة ارتدادية نحو تنبكتو وكاغو نظرا لقلّة الموارد الفلاحية والتجارية، يلثم

⁵² -أحمد بن القاضي. المنتقى المقصور...م. س، ج1، ص364.

⁵³ -محمد المغيلي. مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تحقيق: رايح بونار، الشركة الوطنية للتوزيع الجزائر 1968، ص16.

⁵⁴ -أحمد بن القاضي. المنتقى المقصور...م. س، ج3، صص215-222.

⁵⁵ -عبد الرحمان بن خلدون. المقدمة، م. س، ج1، ص68.

⁵⁶ -الوزان، وصف...م. س، ج2، ص170.

⁵⁷ -ابن خلدون، المقدمة، م. س، ج1، صص: 34-35.

⁵⁸ -الوزان، وصف...م. س، ج2، ص171.

⁵⁹ -السعدي، تاريخ السودان، م. س، ص68.

النساء والرجال وجوههم، فلا تجد حاشية ولا قضاة، حيث يعيش الناس في فقر مدقع⁶⁰. يتحدث السكان اللغة العربية اليوم، أما الوزان فقد أكد أنهم كانوا يتحدثون لهجتهم المحلية.

بانتهاء الحسن الوزان خلال هذه الرحلة إلى الأطراف الغربية من أفريقيا جنوب الصحراء، توقف في مملكة "غينيا" "كناوة" ليصور لنا امتدادها على طول نهر النيجر وعلى المحيط الأطلسي. لاحظ الوزان خلال مُقامه بها الفلاحة المزدهرة والتجارة مع تجار بلاد البربر الذين يحملون معهم الثياب الأوربية الملونة والنحاس والسلاح (الخناجر) مقابل العملة المحلية التي هي الذهب غير المسكوك، وأهل هذه المملكة متحضرون يلبسون لباسا حسنا وهم ملثمون بلثام أزرق أو أسود أما الفقهاء والأئمة فيتلثمون بلثام أبيض وهي تقيم علاقات تجارية مع تنبكتو.

أما مملكة مالي التي زارها الحسن الوزان فهي تمتد على طول مجرى أحد روافد نهر النيجر، وهي متاخمة لمملكة غينيا، إلا أنها أكثر سكانا وتضم ستة آلاف كانون وعاصمتها مالي "أو مل" -حسب السعدي في تاريخه- وهي أكثر الممالك في أفريقيا جنوب الصحراء استقطابا للصناع والتجار المقيمين والطارئين الذين أصبحوا أغنياء بفضل تجارتهم، ويزودون تنبكتو وغينيا بالعديد من المنتجات، لهم أساتذة يدرسون مختلف العلوم في المساجد، نظرا لأنهم السابقون إلى اعتناق الإسلام الذي دخل مع الدعوة المرابطية.

لما ذهب الحسن الوزان إلى مملكة بورنو وجد التجار مستائين لأن الملك لا يدفع لهم ثمن البضاعة التي باعوها له إلا بعد ثلاثة أشهر، إذ كان يغير على جيرانه فيأسر الكثير من العبيد لكي يدفع مقابل كل فرس خمسة عشر أو خمسة وعشرين عبداً. وينكر الوزان أنه رأى كل ما يجهز به الملك خيله، من ركائب وأعنة كلها من الذهب الخالص وحتى سلاسل كلاب الملك هي من الذهب، ويظهر أن الملك كان بخيلاً يفضل أداء الثمن بواسطة الرقيق على أن يدفعه ذهباً، وقد أكد الوزان أنه يصعب رسم حدود مضبوطة لهذه البلاد، وهو ما حدث له بالضبط، لأنه كما قال لم يقض في هذا الإقليم أكثر من شهر تقريباً.

دخل الوزان مملكة كاوكا التي تتاخم بورنو غرباً وحدود مملكة نوبيا شرقاً، إلى تخوم مصر، حيث لاحظ عدم وجود حضارة ولا آداب إسلامية ولا حكومة تنظم شؤون البلاد، لكن مع ذلك فقد لاحظ غنى السكان نظراً لاهتمامهم بالتجارة مع مصر وما والاها، ويؤكد الوزان أنه أقام عند ملك هذه البلاد "كاوكا". وكان حاضراً⁶¹ عندما وفد عليه رجل من دمياط وأهدى إليه فرساً في غاية الجمال وسيفاً تركيا وبندقية، وبعض المرايا الجميلة، وسبجات من المرجان وبعض السكاكين يقدر ثمنها كلها في القاهرة بخمسين مثقالاً، فأعطاه الملك مقابل ذلك خمسة عبيد وخمسة جمال وخمسائة مثقال سكة البلاد (الذهبية) بالإضافة إلى نحو مائة من أنياب الفيل العاجية.

عند حديثه عن مملكة النوبة ركّز الوزان كلامه على موقعها الجغرافي حيث يخترقها نهر النيل، ويبلغ عدد كوآينها عشرة آلاف كانون، بها مدينة دُمقَلة يسكنها سكان أغنياء متحضرون، يزاولون تجارة القماش والسلاح والبضائع المختلفة.

وعلى البحر الأحمر يؤكد الوزان وجود مدينة عظيمة لعلها مدينة "عدياب" التي ذكرها ياقوت الحموي، وهي تقابل مباشرة ميناء جدة. وقد ذكر الوزان في معرض حديثه عن مملكة النوبة أن هذا هو كل ما استطاع أن يكتبه ملخصاً عن بلاد السودان التي زارها في العام 917هـ/ 1511م، ذلك أن هذه الممالك جنوب الصحراء كل واحدة تشبه الأخرى في طبيعة البلاد والحضارة والعادات وأسلوب العيش.

لقد كان هدفنا من خلال بسط الكلام عن رحلة الحسن الوزان إلى دول أفريقيا جنوب الصحراء هو الوقوف على النقاط التي

⁶⁰-الوزان، وصف...م. س، ج2، ص162.

⁶¹-الوزان، وصف...م. س، ج2، ص. 179.

همت الجوانب الفكرية والجوانب الحضارية التي نسجت العلاقة بين المغرب وهذه الدول الأفريقية فهل بالفعل كانت رحلة الحسن الوزان إلى هذه البلدان ذات طبيعة سفارية؟ وما هي التلميحات التي تبين أن الوزان قضى هذه الفترة مع عمه في بلاد السودان؟ وهل كانت اهتمامات الوزان خلال الرحلة دبلوماسية أم تحدثها للجوانب الاقتصادية؟ وإلى أي حد مثلت رحلة الوزان إلى هذه الدول روابط حضارية بين المغرب ودول أفريقيا جنوب الصحراء؟

فعلا تمت رحلة الحسن الوزان إلى دول أفريقيا جنوب الصحراء. لكن لنا أن نتساءل كيف كانت وضعية هذه الدول آنذاك؟ وما هي نوع العلاقات التي ربطت بينها وبين المغرب الوطاسي؟ وكيف كان التنافس حول "الولاية العظمى" أو "الخلافة" بينهما؟ على الأقل في عهد الدولة السعدية؟ وكيف كانت استتباعات ضم هذه البلدان إلى المغرب؟

اعتمد قيام دول أفريقيا جنوب الصحراء على مجموعة من الأسس، من ضمنها عائدات التجارة الصحراوية وغيرها، لذلك فموقعها الجغرافي القريب من مناجم الذهب العديدة مكنها من التحكم في أهم محاور التجارة بعيدة المدى المعتمدة على القوافل التجارية، إضافة إلى المواد التي كانت تتوفر عليها هذه الدول كأنياب الفيلة (العاج) وبيض وريش النعام والعبيد، إذ كانت تنتشر الأسواق العامة على طول الخط التجاري الذي يربط المغرب بهذه الدول⁶².

معلوم أن الدولة الوطاسية في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي اهتمت بهذا النشاط الحيوي لذلك ربطت علاقات دبلوماسية وتجارية في نفس الآن، لكن المصادر لا تسعفنا في ما إذا كان هذا الاتصال يحدث بين هذه الدول في إطار من الاستقلال السياسي لكل كيان؟

صحيح أن التجارة خلال هذا القرن ركزت على الذهب والعبيد لما كانت تدره من أرباح على التجار، حيث وضح البكري هذه الوضعية في معرض حديثه "تجد التجار الذين يولعون بالدخول إلى بلاد السودان أرفع الناس وأكثرهم أموالاً لبعدهم طريقهم ومشقتهم واعتراض الغارة الصعبة المخطرة بالخوف والعطش، لا يوجد فيها الماء إلا في أماكن معلومة يهتدي إليها أدلاء الركبان فلا يركب خطر هذا الطريق إلا الأقل... فتجد سلع بلاد السودان قليلة لدينا فتختص بالغلاء، وكذلك سلعنا لديهم... ويسرع إليهم الغنى والثروة من أجل ذلك"⁶³

لقد استوعب أهل السودان أهمية الانخراط في التجارة الصحراوية، فحرصوا منذ بداية اتصالهم بالتجار المسلمين على تامين هذه العلاقة وتأصيلها، وبلغ هؤلاء درجة من التقدير والاحترام من طرف هذه الشعوب، حتى إن ملوك السودان كانوا "يستعينون بهم في تسيير دواليب الحكم"⁶⁴

وقد رأى بعض الرحالة في هذه الأثناء بأودغشت "صكا في مستحقات تاجر من تجار أودغشت لآخر من أهل سجماسة باتنين وأربعين ألف دينار وما رأيت ولا سمعت بالمشرق بهذه الحكاية شبيها ولا نظيراً"⁶⁵.

لا نعرف بالضبط حيثيات هذه السفارة التي أرسلها الوطاسيون إلى بلاد السودان في عهد محمد البرتغالي، لأن المغرب كان يعرف في هذه المرحلة مشاكل بنيوية تتمحور حول الوضع العام الذي فرضه البرتغاليون على الشواطئ المغربية والتدخل في محاصرة مدن داخلية كمراكش وفاس.

⁶²-عبد الله الحاجي، الدولة السعدية..، م، ص 240-241.

⁶³-البكري. المسالك والممالك، در الغرب الاسلامي، بيروت، 1992، ص178.

⁶⁴-ابن خلدون، م، ج6، ص. 315.

⁶⁵-Mauny (R). Tableau géographique de l'ouest Africain, Dacar, 1961, P. 56.

لا تهمنا السفارة الآن بقدر ما تهمنا رحلة الوزان إلى مملكة كاغو التي يقول عنها الوزان نفسه بأنها أكثر تحضراً من تنبكتو، حيث يأتي إليها سكان هاته الممالك السودانية محملين بكميات كثيرة من الذهب لشراء المواد الآتية من المغرب... وهناك سوق للنخاسة يباع فيه عدد كبير من العبيد ذكورا و إناثاً⁶⁶.

وقد ذكر صاحب "المناهل" وصفاً دقيقاً لهذه البلدان جنوب الصحراء وخيراتهما:

"ما شئت من مدن قاهرة، وقرى متراسة ومروج نظرة وأسواق بالخلق والنعم زاخرة... وارض كرم الله تربتها وأبان فضلها بما اختصها به من معادن الذهب الذي به قوام العالم، وأس الملك وبناء المجد فمن ملكها ملك الأرض"⁶⁷.

هذا الثراء هو الذي أدى إلى تكوين سلطنة إسلامية بلغت دولة آل أسكيا فيها شأنًا كبيراً فقد أسسوا دولتهم على يد محمد أسكيا المعروف بأسكيا الكبير، ثم خلفه أبناؤه في حكم البلاد ابتداء من العام 1583م حيث دخلوا في صراعات عقيمة فيما بينهم وهو ما انعكس سلباً على مملكتهم: "ذلك أنه تم فساد حكمهم وقطع سلك نظام دولتهم، وقد ظل ذلك قائماً إلى أن وصلت محلة أهل مراکش"⁶⁸.

وبمجرد أن دخل السعديون مدينة فاس، واستتب لهم ملك البلاد، أخذ محمد الشيخ يبحث عن موارد إضافية لخزينة الدولة إذ: "كان سيداً مطلقاً في كل ما يملكه رعاياه، ولم يكن باستطاعة أحد أن يعتبر نفسه مالكاً لأي شيء سواء كان مالا أو ربعا"⁶⁹.

هناك تساؤلات بنيوية عديدة تشغل بالنا وسائر الباحثين من قبيل هل بلدان أفريقيا جنوب الصحراء هي ملك لأصحابها؟ هل فتحت هذه البلدان عنوة أم صلحا؟ أم أسلم عليها أهلها؟ أم أن أرضها خالصة لأهلها لا صلح فيها ولا عنوة؟ وهل إرسال السفارة من طرف محمد البرتغالي الوطاسي إلى بلاد السودان كانت من منطلق التعامل مع الأنداد؟ وبالتالي هل كان تعامل السعديين هم أيضاً مع أهل هذه البلاد تحكمه العلاقات الودية، أم تبدلت بمجرد صعودهم للحكم؟ ثم كيف ومتى نسجت الأبعاد الفكرية والحضارية بين دول أفريقيا جنوب الصحراء والمغرب؟ وما هو دور الحسن الوزان في رسم هذه الترابطات الحضارية والتقاطعات الاجتماعية؟

الإطالة على بعض هذه الجوانب في حد ذاتها يعد مغامرة شائكة فقد مرّ معنا أن دخول الإسلام إلى دول أفريقيا جنوب الصحراء قد أحدث "طفرة دينية وفكرية وحضارية، وهو في نفس الوقت يعتبر بداية يقظتها الحضارية وتاريخ ولوجها إلى ساحة الأحداث في العالم"⁷⁰. لذلك وجدنا أن هذه الشعوب بدأت تحيد عن العادات والتقاليد التي كانت متأصلة فيها، وهذا ما جعل الطوارق يستجيبون لأوامر الدين الإسلامي في الصحراء⁷¹.

ابتداء من العصر الحديث بدأت هذه الممالك السودانية تعرف حضارات حقيقية، حيث كان ملوكها: "يعيشون في قصور فخمة... وأنشأ المسلمون في "غاو وكيكيا" مدارس قرآنية فأصبحت من أهم المراكز العلمية والفكرية، فضلا عن أهميتها التجارية المرموقة"⁷² لذلك "وصف مؤرخو الصحراء من الطوارق والسودان والعرب، أيام هؤلاء الملوك لا سيما منسا موسى صاحب الحجة المشهورة، بالعدل والرخاء، وبسطوا القول في مدح عهد الملك أسكيا محمد وخلفائه عموماً (1493-1591م) و ركزوا على ازدهار الثقافة

⁶⁶ -الوزان، م م، ج2، ص 170.

⁶⁷ -الفشتالي، م م، ص 117.

⁶⁸ -محمود كعت، م م، ص. 142.

⁶⁹ -دي طوريس، تاريخ الشرفاء ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، الجمعية المغربية للتأليف وت ون، سلا، 1988، ص. 9.

⁷⁰ -يازينة. م م، ص 12.

⁷¹ -أكزيل/ م م، ج6، ص 183، محمد بلو، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تحقيق بهيجة الشاذلي، الرباط، ط1، 1996، ص 53.

⁷² -عبد الوهاب شكري، لمحات من التاريخ الاقتصادي لدرعة، منشورات كلية الآداب أكادير 1996، ص 41.

العربية الإسلامية في هذه الممالك، وتقريب العلماء والتمكين للمؤسسات الاجتماعية لا سيما في خطط الدرس والخطابة والفتيا وركب الحاج والقضاء⁷³.

صحيح أن البرتغاليين احتلوا ثغور مغربية على الساحلين المتوسطي والأطلسي، لكنهم فشلوا في إخضاع معظمها، فتوجهوا مباشرة إلى السواحل الأفريقية حيث التبر والعبيد والملح وغيرها، فحاولوا بذلك خنق الاقتصاد المغربي⁷⁴.

لقد كان هدف البرتغاليين هو حرمان المغرب من عنصر الوساطة التجارية التي كان يتمتع بها منذ العصر الوسيط⁷⁵ بين دول أوربا ومناطق وجود هذه المواد الثمينة خاصة بلاد السودان الغربي⁷⁶.

وصحيح أيضا أن مملكة سونغاي تحولت من مملكة صغيرة إلى إمبراطورية شاسعة مترامية الأطراف، حيث استولت على معظم السودان الغربي أو كله، حيث وصلت في عهد أسكيا الحاج محمد (898-935هـ/1493-1528م) إلى أوج ازدهارها ورخائها. لكن ما هو مبرر الانخراط في التنافس حول الخلافة الشرعية والولاية العظمى؟ وهل كان أسكيا الحاج محمد مؤهلا للاستحواذ على الزعامتين الزمنية والروحية؟

لا شك أن أسكيا الحاج محمد كان يفتقد هذه المقومات مما جعله يبحث عن مصدر آخر للشرعية، حيث وجده كما ذكرنا في "التقويض" بالرغم من وجود هاجس التنافس على "الخلافة" بين إمبراطورية سونغاي والدولة العثمانية والدولة السعدية الناشئة.

كان العثمانيون يسعون جاهدين لاستكمال سيادتهم على كل شمال أفريقيا بضم المغرب الأقصى لنفوذهم، ولم لا ضم بلدان أفريقيا جنوب الصحراء تحت حكمهم؟

يظهر ذلك بوضوح في المراسلات والبعثات من الباب العالي إلى السلطان السعدي محمد الشيخ⁷⁷ الذي كان يطمع هو الآخر، بعد مادانت له بلاد المغرب، أن يتجه صوب بلاد المشرق إذ كان يقول: "لا بد لي أن أذهب إلى مصر وأخرج منها الأتراك من أبحارهم وأنازلهم في ديارهم، فتخوف منه السلطان سليمان القانوني⁷⁸.

وقد كان يعتقد أن هدف حملة أحمد المنصور المضمرة هو التخلص من العناصر العسكرية المزعجة مثل العلوج والأندلسيين (المورسكيين) والأتراك، لأنها كانت ربما تهدد حكمه خاصة العناصر المورسكية⁷⁹، نظرا لأن بعض الجند تمردوا عليه، إلى أن طلوعوا جبل كليز وناقفوا عليه فيه، فأمر بإعطاء الراتب وإقامة المحلة أرسلها مع القائد "ابن السالم" وأمره أن يمر بالمحلة إلى "كاغو" من بلاد السودان إلى أن دخلوا القفر، ففر عنهم الدليل عن إذن السلطان، فتأهوا في الصحراء، وهلكوا عن آخرهم⁸⁰.

كان هاجس الخلافة هو المحرك الأساس لتطلعات أحمد المنصور⁸¹. لذلك أورد الفشتالي رسالة من أحمد المنصور إلى أسكيا

⁷³ -حماء الله ولد السالم، الإسلام والتعاقف...، م م، ص 12.

⁷⁴ -أحمد بوشرب. وثائق عن الغزو البرتغالي ونتائجه، منشورات دار الأمان، الرباط، ط1، 1997، ص. 158.

⁷⁵ -بوشرب. المغرب وإفريقيا في سياق كشف العوامل الجديدة، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 1992، صص: 8-18.

⁷⁶ -الحاجي. الدولة السعدية...، م م، صص: 47-48.

⁷⁷ -حجي. منكرات من التراث المغربي، ج3، ص 185.

⁷⁸ -الإفراني: نزعة الحادي لأخبار ملوك القرن الحادي، ص 36.

⁷⁹ -أحمد رزوق. الاندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 و17م، الدار البيضاء، مطبعة أفريقيا الشرق، 1989، صص: 189-210.

⁸⁰ -المؤرخ المجهول. تاريخ الدولة السعدية الدرعية التكمدرتية، ص 66.

⁸¹ -محمد حجي. حملة المنصور وهاجس الخلافة، ضمن أعمال ندوة المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء في بداية العصر الحديث، منشورات كلية الآداب مراكش، 1995، صص: 27-32.

اسحاق الثاني تصور الخليفة على أنه "المأمور والمكلف" بتوحيد كلمة المسلمين وذلك:

"لما اختصنا الله به من إمامة الجماعة... وورثة الأرض ومن عليها"⁸² ومن تم يضيف المنصور أن خلافته مستحقة بحكم تفضيله: "على جميع أولي الأمر والسلطان من ملوك الأرض بالنسب القرشي الذي هو من شروط الخلافة بإجماع علماء الإسلام"⁸³ وبذلك نجد أحمد المنصور قد تكفل بإصلاح أوضاع السودان وإزالة المحرمات والكبائر خاصة بعد وفاة أسكيا الحاج محمد حيث "فسدت في تلك البلاد الأحوال وظهر الاختلال، وتبدلت الشرائع، فلم يضرب قط بين اثنين منهم عقد نكاح... ولا وقع التزواج على وجه مباح"⁸⁴

وهكذا قدم أحمد المنصور نفسه مالكا المفتاح ومنقذا للسودان وللعالم عامة من الضلال، فهو الخليفة "الإمام الفاطمي النبوي" وذلك بالرغم من أن بعض السودانين يلحقون نسبهم إلى النسب القرشي، وهذا يعني أن المنصور السعدي كان مضايقا بمفهوم وهاجس "الخلافة" حتى من سكان أفريقيا جنوب الصحراء خاصة تنبكتو⁸⁵.

منطق العلماء الرافضين من السودانين لمشروع احمد المنصور كان يحكمه الموقف الشرعي: أن بلاد السودان أسلم عليها أهلها، وبذلك لم يبق لأحمد المنصور أي مسوغ لغزوها، خاصة وأن هذا الأخير استهدف العلماء قبل حملته قصد تهية الأجواء فيها.⁸⁶ لكن العلماء آنذاك كانت لهم "وجاهة كبيرة ورياسة شهيرة ببلاد السودان دينا ودنيا بحيث كثر فيهم العلماء والأئمة والقضاة، وتوارثوا رياسة العلم مدة طويلة، وكانوا مع ذلك من أهل اليسار والسؤدد والدين لا يبالون بالسلطان فمن دونه"⁸⁷.

خطاب أحمد المنصور لعلماء السودان يحمل في طياته دعوة سلمية للانخراط في المشروع السياسي لكن في حالة تنكبهم للاذعان له فهو يضمم الإجراءات القمعية والتعسفية لبيعة الإمام الشرعي و"الانقياد لدعوته النبوية والانتماء بإمامته الكريمة"⁸⁸ حسينا في هذه الإطالة أن نبين الامتدادات والتقاطعات التي أحدثتها رحلة الوزان إلى هذه الممالك.

ظهر التلاقح الفكري الحضاري في رحلة الحسن الوزان إلى هذه الربوع التي وصفها وصفا دقيقا خاصة فيما يتعلق بمجالاتها الفسيحة وخصائص شعوبها وأخلاقهم، إذ أنه درس القسم الثالث من هذه البلاد وهو الصحراء الكبرى والقسم الرابع التي هي بلاد السودان الواقعة وراء الصحراء⁸⁹ وقسم الوزان البلاد التي زارها إلى أربعة أجزاء، أعطينا إضاءات حول بعضها، حيث بين نُظم الحكم فيها، أكثر من اعتبار الاختلافات البيئية مبينا- كما قال:

"المدن والجبال والمواقع والقوانين والعوائد دون إهمال شيء مما يستحق أن يُعرف"⁹⁰

⁸²-الفتتالي. م، ص. 123.

⁸³-نفسه، ص. 123.

⁸⁴-عبد الهادي التازي. المغرب. م، ص. 148.

⁸⁵-من رسالة أحمد المنصور إلى أسكيا إسحاق الثاني، جاءت عند الفتتالي في المناهل، ص. 124.

⁸⁶-كعت. تاريخ الفتاش...م، ص 179.

⁸⁷-الناصري. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج5، ص. 129.

⁸⁸-الفتتالي. م، ص. 131.

⁸⁹-الوزان، وصف...م، ج 1، ص. 13.

⁹⁰-الوزان، نفسه والصفحة نفسها.

خلاصات وامتدادات

جميل أن الوزان أعطانا وصفا لممالك السودان جنوب الصحراء، وأجمل ما فيه أنه ركز بتلميحاته على المجتمعات المتعايشة بهذا المجال الجغرافي، فقد أحصى في بعض الممالك عدد الكوانين، ووصف الرجال والنساء في عاداتهم وتقاليدهم وأعمالهم اليومية وفلكلورهم وحيويتهم وحالات كسلهم، وهي نفس التقابلية التي وضحها ابن خلدون في العمران البشري خاصة في مستواه الأول. وما زاد رحلة الحسن الوزان وزنا أنه لامس مستوى الذهنيات المتعايشة في هذه الأقطار، بل وركز على تجذر الهوية الأفريقية جنوب الصحراء مع المغرب في مسألة اللغة والدين والتاريخ المشترك، حيث أعاد الثقة للتبادل الحضاري الذي يضمن التماسك الاجتماعي عكس ما تدعيه الإيديولوجيات الاستعمارية من إرادة التشويه باللحظات الكبرى للتاريخ وبالأزمنا الكبرى لتلاقح الحضارات بين دول أفريقيا جنوب الصحراء والمغرب.

إن جل الدراسات المدققة والمعتمة بينت أهمية الرحلات التسع التي قام بها الحسن الوزان داخل المغرب وخارجه خاصة الرحلة الثالثة التي همت بلدان أفريقيا جنوب الصحراء والتي بلورها في مؤلفه وصف أفريقيا خاصة وأن بعض النقاد الأوربيين توصلوا بالبديهة أنه تأليف عربي بتفكير أوروبي، بحيث سارت مناهج الدراسات الاجتماعية بأوروبا على خطاه، وبذلك أصبح معلمة تتقاطع فيها الأبعاد الفكرية بالأبعاد الحضارية.

مصادر و مراجع البحث

- أحمد اد الفقيه، نظام المياه والحقوق المرتبطة بها في القانون المغربي شرعا وعرفا وقانونا، 2002، ط1.

- عبد الله الحاجي، الدولة السعدية: آليات التطور ومظاهر التدهور: سوس بين 916-1510هـ/ 1015-1609 م منشورات أفريقيا الشرق 2013. ط1.

- - أحمد رزوق، الاندلسيون وهجرتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 و17م، الدار البيضاء، مطبعة أفريقيا الشرق، 1989.

- ليفي بروفنسال، مؤرخو الشرفاء.

- محمد الغربي، ، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، الدار الوطنية للتوزيع والإعلان، بغداد، 1982.

- زهرة طموح، تنظيم القافلة خلال القرن 19م، التجارة والمجتمع والدولة عبر التاريخ، ج 2 ، 1992.

- ولد السالم، حماه الله. تاريخ قبائل البيضان.

- عبد الوهاب الشكري، لمحات من التاريخ الاقتصادي لدرعة.

- يوسف نصر، تاريخ غرب افريقيا.

- عبد المجيد أمريغ، المجال الصحراوي المغربي من خلال النصوص الأدبية القديمة.

- عبد الله بازينة، انتشار الاسلام في أفريقيا جنوب الصحراء.

- ستيفان كزليل، تاريخ شمال أفريقيا القديم، م. س، ج6.

- يوسف روكز، أفريقيا السوداء: سياسة وحضارة.
- أحمد شكري، الذاكرة الأفريقية في أفق التدوين إلى غاية القرن 18م (نموذج بلاد السودان) منشورات معهد الدراسات الأفريقية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 2010م .
- محمد حجي، الحركة الفكرية، ج1.
- ديبكو دي طوريس، تاريخ الشرفاء ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، الجمعية المغربية للتأليف وت ون، سلا، 1988.
- أحمد بوشرب، وثائق عن الغزو البرتغالي ونتائجه، منشورات دار الأمان، الرباط، ط1، 1997.
- عبد الوهاب شكري، لمحات من التاريخ الاقتصادي لدرعة، منشورات كلية الآداب أكادير 1996.
- عبد الله التجاني، رحلة التجاني، تونس، المطبعة الرسمية، 1958
- أحمد الونشريسي، المعيار المعرب والبيان المغرب عن فتاوى أهل أفريقيا والأندلس والمغرب، تحقيق محمد حجي وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1981، ج2 .
- أحمد الحجري افوقاي، ناصر الدين على القوم الكافرين، نشره محمد رزوق، منشورات كلية الآداب، الدار البيضاء، 1987.
- عبد الرحمن بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر...، ج6.
- ابو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2013.
- محمود كعت، تاريخ الفتاش...باريس، نشر هوداس، 1964.
- عبد العزيز الفشتالي، مناهل الصفا...
- عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، نشر هوداس، باريس، 1964.
- الحسن الوزان، وصف أفريقيا، م. س، ج2.
- احمد بن القاضي، المنتقى المقصور...م. س، ج1.
- محمد المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تحقيق: رايح بونار، الشركة الوطنية للتوزيع الجزائر 1968.
- المجهول، تاريخ الدولة السعدية الدرعية التكمدرتية.
- محمد الإفرائي، نزهة الحادي لاخبار ملوك القرن الحادي.
- Maury R, Tableau géographique de l'ouest Africain, Dacar, 1961.
- F. Braudel , La Méditerranée et la monde méditerranéen à l'époque de Philippe II, éd. Armand Colin, 2ème éd, 1966.

عنوان البحث

قابس ومواقع أخرى تحت وطأة الوباء من خلال رحلة التجاني ١٣٠٦/هـ

عبد الهادي نجم عبدالله الحسيني¹

¹ جمهورية العراق - وزارة التربية - المديرية العامة لتربية صلاح الدين.

تاريخ النشر: 2020/12/01م

تاريخ القبول: 2020/11/22م

المستخلص

نظرا لما خلفته الأوبئة من آثار وخيمة خلدها تاريخ البشرية والإسلام بتاريخه الخاص ، فلا بد من أن ينصب التركيز والاهتمام بدراستها وتناول آثارها ، خصوصا تزامن هذا التوجه الفكري والثقافي جاء طبقا لما يشهده العالم من انتشار الوباء العالمي ، والمسمى بالاصطلاح الحديث بفيروس كورونا ، الذي ترك العديد من الوفيات وخلق حالات الخوف والذعر بين الناس ، خصوصا في البلاد التي استفحل فيها على اعتبار أن هذا النوع من الوباء قضاء الله وقدره انطلاقا من قوله تعالى " وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين " البقرة : ١٩٥ ، ودراستنا بعنوان قابس ومدن أخرى تحت وطأة الوباء من خلال رحلة التجاني (٧٠٦ هـ /١٣٠٧م) التي بينت الدراسة على منوالها ، ونظمت معلوماتها وفق ما جاد به كتاب الرحلة التجاني الذي كان شاهدا على وباء قابس ، ولمس ما تركه من آثار جسيمة على حياة الناس الغرباء والأهالي في قابس ، وموكب رحلة التجاني برفقة الأمير الحفصي ابن اللحياني وجاهزية الخروج سريعا مبدأ تم تفعيله تأسيا بالهدي النبوي من عدم القدوم على أرض فيه الوباء ، وخفت وطأة وباء مظمطة وحصن الجم ، وشحت المعلومات وقلت بياناتها حول وبائها ، أمردعي التجاني إلى تسجيلها في مصنف الرحلة ، كل ذلك سوف تجدونها في صدر دراستنا . ولا يسعنا إلا القول بأن تلك الأوبئة من صنع الله سبحانه وتعالى ، انطلاقا من الإيمان بالقضاء خيره وشره.

Accepted at 22/11/2020

Published at 01/12/2020

Abstract

Given the disastrous effects of epidemics perpetuated by the history of mankind and Islam with its own history, focus and attention must be focused on studying them and dealing with their effects, especially the coincidence of this intellectual and cultural trend, according to what the world is witnessing of the spread of the global epidemic, called the modern term Corona virus, which left many Deaths and the creation of states of fear and panic among people, especially in countries in which it has escalated, considering that this kind of epidemic is the judgment of God and His destiny, based on the Almighty's saying: "And spend in the way of God and do not throw your hands into perdition and do good. God loves the benefactors" Al-Baqarah: 195 ", and our study Under the title of Gabes and other cities under the weight of the epidemic through the journey of Al-Tijani (706 AH / 1307 AD), which the study showed its way, and its information was organized according to what was stated by the book, The Journey Tidjani, which was a witness to the Gabes epidemic, and touched on what it left of the grave effects on the lives of strangers and people In Gabes, the procession of the Tidjani journey accompanied by Prince Hafsi Ibn al-Lahiani and the readiness to leave quickly is a principle that was activated according to the Prophet's guidance of not coming on a land where the epidemic was, and the impact of the Matmata and fortified epidemic eased Al-Jam, and the information became scarce and its data about its epidemic were scarce. I invite Al-Tijani to register it in the trip classifier, all of this you will find in the beginning of our study.

We can only say that these epidemics are made by God Almighty, based on belief in the judiciary Good and bad

المبحث الأول**النشأة:****١- الاسم واللقب.**

ليس من السهولة على من ترجم للتجاني أن يقطع بصحة الاسم ، فالخلاف واضح بينهم ، فهو عندهم محمد بن عبدالله بن إبراهيم ، وذكر غيرهم أنه محمد بن أحمد بن إبراهيم⁽¹⁾.

ونبه أحدهم إلى اسمه ابو عبدالله بن محمد بن احمد التجاني ، وقال آخر أبو أحمد التجاني⁽²⁾، ولقبه أحدهم بالتجاني⁽³⁾.

نشأ التجاني بتجان بتونس عاصمة الحفصيين محل سلطانهم ودولتهم بين سنتي ٦٧٠ - ٦٧٥ هـ - ١١٢٧٢ - ١٢٧٦ م ، تربي في ظل والده العالم الأديب ، الذي تلقى منه القراءة والكتابة ، منذ الصغر أقبل على مواكبة دروس التفسير والفقه والحديث ، حتى ترعرع على تلك النشأة وحصل على ملكة التميز⁽⁴⁾.

٢- مؤلفاته.

يعد التجاني من كبار العلماء ، وتجلت له العديد من المؤلفات التي ظهرت في خضم المصادر المتعددة ، وتنوع محتواها بين الفقه والتفسير والأدب والجغرافية والطابع التاريخي في طبيعتها ، يدل على تنوع مجالات ثقافته ، وقدرته على الرقم في الفنون العلمية المختلفة⁽⁵⁾

وسوف يوجز الباحث مؤلفات التجاني على النحو التالي

١- أداء اللازم في شرح مقصورة حازم.

تلك المقصورة لحازم هي ألفية من ألف بيت ، وضعها أبو الحسن القرطاجني الأندلسي المهاجر الى تونس ، والمتوفى بها في رمضان ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م

في قرطاجنة ، وهذا الشرح مفقود بكل أسف⁽⁶⁾.

٢- الوفاء ببيان فوائد الشفا .

يعد مؤلفه من أمتع شروح الشفا فقد تحرى فيه الصدق والنقل ودقة الاخبار المروية ، ونبه إلى الأحاديث الضعيفة والمرسلة ، إضافة للأخبار والقصص والتراجم⁽⁷⁾

٣- أحكام المغيب الحشفة.

أنتج التجاني خلال شبابه مستغلا نكائه ليصدر لنا مؤلفه أحكام المغيب الحشفة ، وهو استدراك شيخه أبو علي عمر بن علوان الهذلي ، طموح التجاني رغم صغر سنه وسعة علمه ، دفعت به أن يرقم مؤلفه الموسوم وعرضه على الشيخ الهذلي الذي أقر له بالعلم والفضل وتعظيمه غاية التعظيم⁽⁸⁾.

٤- الدر النظيم

كتاب اختص بالأدب والتراجم ، وهو أيضاً مفقود⁽⁹⁾

٥- تقييد على صحيح مسلم بن الحجاج القشيري.

ألفه في رحلته وأثناء إقامته بطرابلس سنة ١٣٠٩/٥٧٠٧ حين قرأه على الشيخ عبد العزيز السبائي من علمائها ، وهذا الكتاب كسابقه مفقود ولا يعرف عنه شي(10).

٦- تحفة النسرين في مخاطبة ابن شيرين . سفر أدبي ضخم جمع التجاني فيه المخاطبات و المجاوبات مع الأديب الأندلسي ابن شيرين الجذامي ، وهذا السفر في عداد المفقود(11)

٧- علامة الكرامة في كرامة العلامة

لا يستدل على التأليف سوى من اسمه ، ويرجح أنه في تراجم الأعلام الذين تولوا هذه الخطة التي لها شأن كبير في الدولة الحفصية ، لكنه مفقود(12).

٨- تحفة العروس ونزهة النفوس.

موسوعة شاملة تناولت ذكر المرأة العربية ، والحكايات والأخبار والنوادر والأحاديث والأشعار مع معلومات دينية وتاريخية ولغوية تخص المرأة(13).

٩- الرحلة.

يعد كتاب الرحلة من المصنفات التونسية النادرة في وصف تونس وليبيا ، وذكر أهم المعالم فيهما ، خلال القرن الثامن الهجري أحد العصور الغامضة في تاريخ تونس ، لندرة النصوص الواصلة إلينا (١٤)

ومن مميزات معرفة أخبار المدن والمدائن والقرى ، والتعريف بالنابعين من فقهاء وقواد وأدباء ، ولا تقتصر على وصف المدن والقرى التي يجتازها بما فيها من معاهد ومعالم ذات شهرة وقيمة، بل تبين أسماء الأوطان والنواحي ومن يسكنها من القبائل(15).

٣- رحلته.

أن رحلة التجاني اقتصر على القطرين التونسي والليبي ، ولكثرة المدن والمواقع التي جاء على ذكرها سنحاول إيجازها بما قدرنا ، والتي كانت سنة ١٣٠٧/٥٧٠٦م ، وبدايتها يزور الساحل التونسي الزاخر بال عمران ، ويمر بصفاقس(16) ، ثم ينزل إلى الجنوب من قابس(17) ، وجزيرة جربة(18) ، فيعرفها أحسن تعريف متعرضا للعادات ، ثم يدخل الواحات الجنوبية بقسميها مطماطة و نفاوة(19) والغربي "بلاد الجريد"(20) ويقطع سبخة تاكمرت(21) ، ثم يعود في ركاب ابن اللحياني (٧١١هـ/١٣١١م) ، فيجوز إلى التراب الطرابلسي ويزور منازل الساحلية وزواياه كزوار(22) وزواغه(23) وززور(24) وينعتها بما تستحق ، ويقم بمدينة طرابلس(25) ، مدة ويتصل بمن يتصف بالعلم ، ويحضر مجالس بعض محدثيها(26) ، وبعد برهة من الزمن يسافر مخدومه إلى المشرق فيفارقه التجاني ويلوي عنان رحلته عائدا إلى وطنه على طريق الجادة الإلزامية التي تربط إفريقية بالمشرق ، ويعود إلى وصف ما يمر به من غير الطريق الأولى إلى أن يبلغ في آخر ترحاله إلى تونس عاصمة البلاد وقصبتها الشامخة ، وكان أمد الغيبة عنها من يوم الخروج إلى يوم الدخول عامين وثمانية أشهر وأيام(27).

٤- وفاته.

تولى محمد بن أبي يحيى زكريا بن اللحياني الملقب أبا ضربة زمام الأمور بتونس سنة (٧١٧ هـ/١٣١٧م) ، ولم يمضي وقت قصير حتى داهمها أبو بكر بن أبي زكريا الحفصي(٧١٨ هـ/١٣١٨م) أمير قسنطينة بجيش جرار ، رغم تقاني ابو ضربة بالدفاع

عن بلاده إلا أنه لم يجدي نفعا ، فهزم وألت تونس إلى ابو بكر ، وفاز بالعرش الافريقي بعد ذلك زمنا⁽²⁸⁾، في ظل الظروف الصعبة عميت الاخبار عن التجاني ولم يعد له ذكر فما ثمة أخبار عنه منذ سنة ١٧١٨/٣١٨م⁽²⁹⁾ .

المبحث الثاني - الوباء في مدينة قابس :

١- تعريف الوباء والطاعون والفرق بينهما.

الوباء بالمد والقصر مرض عام وجمع الممدود أوبية وجمع المقصور أوباء⁽³⁰⁾، والطاعون قروح تخرج في المعالم والمفارق ، ثم تعم البدن ويحصل خفقان القلب⁽³¹⁾.

والوباء مرض يصيب الكثير من الناس في جهة من الأرض دون سائر الجهات ، ويكون مخالفا للمعتاد من الأمراض في الكثرة وغيرها ، ويكون نوعا واحدا⁽³²⁾ .

وتسمية الطاعون وباء لايلزم منه أن كل طاعون ، بل يدل عكسه ، وهو كل طاعون وباء ، ولكن لما كان الوباء ينشأ كثر الموت ، وكان الطاعون أيضا كذلك أطلق عليه اسمه⁽³³⁾.

٢- أسباب الوباء في قابس .

أ- المناخ .

بما أن المناخ قد يكون أحد الأسباب الرئيسية في تقشي الأمراض والأوبئة ، وظهور تأثير التغيرات المناخية على البشر يحدث بشكل مباشر وغير مباشر ، حتى أنه من المحتمل أن تؤدي هذه التغيرات إلى موت الأفراد ، ويكون التأثير المباشر بسبب الإجهاد الحراري أو بسبب الفيضانات والعواصف ، بينما تكون تأثير التغيرات بشكل غير مباشر بسبب تندي نوعية المياه أو نوعية الهواء أو توافر الغذاء أو جودته أو زعزعة استقرار النظام الطبيعي⁽³⁴⁾.

ورغم امتياز قابس عن باقي المدن في تونس بساتينها الوفيرة والمغدقة بثمارها وفواكهها ، وتغنى التجاني بوصفها جنة الدنيا ودمشق الصغرى⁽³⁵⁾ إلا أن تلك الجنة هناك عيب يطالها ويقلق سكونها وأحاطها وحفها وعد من المكاره أن الوباء يتعاهدا ، وينتاب سكانها ، من الأمراض كما ذكر التجاني⁽³⁶⁾، وذلك أن مناخ قابس لم يراع فيها طيب الهواء مما جعلها عرضة لكثير من الأمراض الغالب عليها⁽³⁷⁾، ورغم ذلك راعى التجاني قضية سوء المناخ بقابس في كتاب الرحلة ، عندما علل سبب ذلك إلى فساد هوائها ومائها وعفونتها⁽³⁸⁾ ، والجدير بالإشارة ان وخم الهواء والعفن أصبح ملازم لمدينة قابس ، وعرف ذلك من خلال الكثير من ساكنيها وزوارها من الغرباء وطارقيها والذي لا يكاد أن يخلص من حمى العفن بوجه⁽³⁹⁾، وهذا يدفعنا الى قبول رأي ابن خلدون حول تفسير منطقي يفضي إلى حقيقة إشكالية المناخ في قابس بالقول " إن البلد إذا كان كثير الساكن كثرت حركات أهله فيتموج الهواء ضرورة ، وتحدث الرياح المختلفة للهواء الراكد ، ويكون ذلك معينا له على الحركة والتموج ، وإذا خف الساكن لم يجد الهواء حركته وتموجه ، وبقي ساكنا راكدا وعظم عفنه وكثر ضرره"⁽⁴⁰⁾.

وكون قابس مدينة مستجدة العمران ، وكثيرة الساكن ، تموج بأهلها موجا ، فكان ذلك معينا على تموج الهواء وتخفيف الأذى عنها ، عند ذلك لم يكن فيها كثير عفن ولا مرض ، وعندما خف سكانها ركد هوائها المتعفن بفساد مياهها ، فكثرت العفن والمرض⁽⁴¹⁾.

ولعل من المفيد أن نوضح مسألة تتعلق بمناخ قابس ومعاناة أهلها من وخم الهواء الذي لا يطاق ورائحة العفن المنبعث من مياهها التي تزكم الأنوف كلها مقدمات لظهور أمراض عديدة منها تعدد الحميات وانتشارها بين الأهالي التي قلما ينجو أحد من

عدواها ، وهو مفهوم نتج من قول التجاني دون تفاصيل تذكر ، وأشار إليها في صدر رحلته (42)، وكان قد سبقه في هذا المضمار الرحالة العبدري (٧٠٠هـ/١٣٠٠م) ، من خلال زيارته لها في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي قبيل رحلة التجاني بعشرات السنين ، الذي عانى ما عانى من وخم هوائها وعفن مياهها ، ولم تطب نفسه فيها ، وعدم الشعور بالميل إليها ، واضطرابه بالبقاء فيها ، أوجز عنها بكلمات تفصح عن مضمون ما بداخله من التشائم والذم حيالها " ذات المنظر الخبيث والمحيا العالي ، وهواء وخيم ولؤم وطبع وخيم إلى عفونات تخبو لقربها المصابيح ، وتمحو بالنحول كل وجه صبيح " (43)

ويشير العبدري في موضع آخر " ودارت به غابة من نخيل قد ظلمست ثمرتها بكف كل بخيل على الهواء العفن قد منعها الجفوف " (44)

. وعلى ما يبدو أن مدينة قابس لم تسلم من موجة الانتقاد فيما يخص مناخها ، وكل من يأتي على ذكرها يلخص عيوبها بكثرة الأوبئة (٤٥).

وما يخص حديث التجاني عن قابس ملوحا إلى وخامة الهواء وتعفن المياه يأتي منسجما متوافقا مع رأي الرحالة والمؤرخين الواردة في مصنفاتهم ، كان لزاما علينا من ذكره والاستعانة به في هذا الجانب بما يعزز الرأي ويصدق القول .

ب - شجرة الدفلى.

جدير بالذكر أن التجاني خلال الرحلة ومرورا بقابس مكنته من تسجيل مشاهداته وفق معطيات التي أفرزتها أرض الواقع ، يعني هذا تحصيل حاصل وهذا ما أريد توضيحه عندما نبه إلى مخاطر شجرة الدفلى التي انتشرت زراعتها بشكل واسع بمدينة قابس خصوصا أن الناس هناك بتلك البقعة اقبلوا على زراعتها والاهتمام بغرسها على ضفاف الأنهار والجداول وهم على دراية بمضارها حسب قولهم غير مبالغين وكما سنبين ذلك في مستهل الحديث ، فعندما عرج صاحبنا التجاني على ذكر قابس ، وقف على تاريخها مطولا ، وأفاض بالتقييد على أحداثها وما شهدته خلال فترة زمنية غابرة من وقائع (46) ، وفي معترك تلك الأحداث تلك لم ينسى أن ينشد الأسماع ويضطرب النفوس حول رونقها وصفائها ببعض الأبيات الشعرية (47) . ولغاية اعداد السرد سالف القول أمر المدينة تبعث على النفس الراحة والطمأنينة ، وليس هناك ما يقلق مضجعها ، لكننا عند متابعتنا رحلة التجاني ، تبين العكس وفوجئنا أن قابس المدينة بغاباتها وبساتينها ذائعة الشهرة ، هناك ما ينزع فرحتها ويجرح جمال خضرتها ويخدش نظارتها ، عندما أشار في معرض حديثه لهذه المسألة أن الوباء يدهمها في أغلب الأوقات وتتخلل أجساد ساكنيها أمراض عديدة ، وما ذاك إلا بسبب كثرة ما تشهده من وفرة أشجار الدفلى فيها (48) ، وفي إطار ما تم طرحه من قبل التجاني ما علاقة شجرة الدفلى بارتفاع وتيرة الوباء بقابس وتعدد الأمراض ، ولمعرفة سبب العلة ، و بالعودة إلى التجاني الفيصل في هذه القضية الذي أدلى بمعلومة مرتبطة بمقولة شائعة عند أهالي قابس ، مفادها أن كثرة شجرة الدفلى بقابس على ضفاف الأنهر والجداول يكسب الماء منها لدى جريه سمية ومرارة تضر بأبدان ساكنيها كثيرا (49) .

وبناء عليه فإن الآثار المترتبة على مرور الماء بشجرة الدفلى ، وما تحدثه من آثار صحية واضحة على الناس جراء ذلك ، مكنت التجاني في حصرها في أكثرهم ، ولم يسلم منهم إلا القلة ، وذلك عندما أمعن النظر في وجوه الناس بقابس لم يجد وجوه الكثير منهم إلا مصفرة (50).

ولم يتوقف التجاني بمشاهدته في بيان آثار شجرة الدفلى على البلده إلى هذا الحد بل أشار أن بلدة قابس ، ونظرا لوجود شجرة الدفلى على ضفاف الأنهار أدى إلى حدوث فساد وتغيير سببه كثرة عفونتها (51).

وهنا تظهر لنا مشكلة أنية تتبلور حول معاناة أهالي قابس في كيفية الحصول على المياه العذبة ومنابعها ، وتجنب ضرر المياه التي تمر بشجرة الدفلى ، ترتب على هذا الأمر كما بين التجاني أن جميع مياه قابس ما يسلم من السمية والمرارة التي تسببه شجرة الدفلى، والضرر الذي تحدثه بالأبدان كثيرا، مما يضطر أهلها الذهاب إلى عين ماء تسمى عين الأمير منسوبة للأمير الأزدي المعروف بأبن الصغير ، وعين أخرى تسمى السلام ترجع حسب عقودهم القديمة عين سنام⁽⁵²⁾ ، ويواصل سرده مبينا إن ماء هاتين العينين يسلم من السمية والمرارة والسبب على حد تعبيره سالم من الفساد لعدم مروره على شجرة الدفلى⁽⁵³⁾.

ج- الخرافة.

الخرافة تعني في العرف اللغوي الفاكهة الفاسدة ، أما علماء اللغة فيقولون : أن أصلها يرجع إلى اسم شخص من قبيلة تدعى "عذرة" استهوته الجن ، فكان يحدث قومه فيما يرى ، لكن لا أحد كان يستقبل كلامه بالرضا والقبول ، بل كانوا يكذبونه ويقولون حديث خرافة وهو حديث مستملح كذب ، وقد نقل ابن الأثير ضمن حديثه في تعريف الخرافة رواية عن النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم أنه قال " خرافة حق " ⁽⁵⁴⁾ ، بمعنى أن الخرافة ليست على الدوام حديث ينتابه الكذب ، وربما أحيانا لها واقعية ، وذات مغزى حقيقي.

وبما أننا مررنا على موضوع الخرافة ، يتبادر سؤال إلى الأذهان هل هناك صلة وثيقة أو رابط جمع بين الخرافة والوباء في هذا الإطار، وما دورها في أنتشاره في مدينة قابس ، ومشروعية اعتماد الخرافة على مسوغ تاريخي أو فكر ثقافي يجمع بينهما ، كلها تساؤلات يمكننا الإجابة عليها من خلال الاستعانة بالتجاني ، عندما قص علينا حكاية تجد المصادقية تهتز خيالها بشكل لافت ، وكيف انها لقت رواجاً بين أهالي قابس اعتمدها وصدقوا حدسها ووقعها وأنها سبب الوباء وما حل بهم دون النظر والتمعن بمصادقيتها ، وتفصيل الحكاية تستند بالقول لأهالي قابس وما يذكرونه " أن مدينتهم كانت سالمة من الوباء إلى أن أحترفوا حفره فيها موضعاً توهموا أن فيه مالا ، فاستخرجوا منه تربة إبراء فحدث الوباء عندهم بسببها من ذلك الزمان إلى هلم جرا" ⁽⁵⁵⁾، طبعاً الحكاية التي أوردها التجاني لم تكن من نسج خياله ، بل أستمد معلوماتها من الأهالي والرحالة الجغرافي البكري (٤٨٧ هـ/١٠٩٤ م) ، الذي سبق وأن أوردها في كتابه ، والتي لا تختلف عما سرده التجاني ، والتي في مجملها لا يمكن لعامل أن يقنع بالتصديق بمحتواها ، وكونها سبب الوباء بقابس " أنه وقع فيها حفر فيه إناء من نحاس مختوم بالرصاص ، فلما فض ختانة سعد منه دخان إلى الجو وانقطع وكان ذلك مبدأ أمراض الحميات فيه ، وأراد بذلك أن الإناء كان مشتملاً على بعض أعمال الطلسمات لوبائه ، وأنه ذهب شره بذهابه ، فرجع إليها العفن والوباء " ⁽⁵⁶⁾، ولأبن خلدون (٨٠٨ هـ/١٤٠٦ م) ، في مسألة الخرافة الانية الذكر وعلاقتها بوباء قابس أفادة بديعة ، عندما ذكر أن الحكاية من مذاهب العامة ، ومباحثهم الركيكه ⁽⁵⁷⁾، مع توجيه النقد في الوقت ذاته إلى البكري حول فرضية القبول بها دون بيان حقيقتها بالقول " والبكري لم يكن من نباهة العلم وأستمارة البصيرة يدفع مثل هذا أو يتبين خرقة ، فنقله كما سمعه " ⁽⁵⁸⁾، وأراء موقف التجاني حيال تلك الحكاية ومايدر في فلكها من الخرافات، يختلف عن البكري ، تثبت لنا بلا شك عدم الميول لها ، ولا يسمح لعقله بقبولها ، ورغم ذكرها في مصنفه ، إلا ان ذلك لم يمنعه من الخروج عن صمته ، وبيان موقفه حول الخرافة ونقصها بتعليق ينم عن عقل وفكر واعى وخبره بمسائل الخرافات ، عندما لخصها وعد الحكاية بكل ما جاء فيها من جنس الخرافات ⁽⁵⁹⁾.

المبحث الثالث :

أولاً- وصف شدة الوباء وتأثيره بقابس .

نظرا لما عانتها قابس من الوباء وشدته وخطورته على أهلها ، ومعاناة القاصد الذي يروم زيارتها ، لذلك أنبرى لنا من يتبنى وصف الوباء ، ويخصص لها الوقت وزجها في كتاباته ، من أولئك ابو مطرف ابن عميرة (60)، والتجاني من خلال مصنفة ينقل لنا ما قاله أبو مطرف حول قابس " وبالجملة فهم تام الغرابية ، مدهام الغابية ، مستأثر بسيد من سادات الصحابة ، ولا عيب بتريته الا وخامة مائها ، وحميات قلما يعرى من عدوائها " (61) . ويدخل ابن عميرة بعد ذلك في عرض الكلمات الوصفية وجمالية غابة قابس من خلال رسائله التي نقلها التجاني (62) ، وتطرق بعدها إلى حظوظ قابس السيئة من ناحية الوباء وشدته فيها عند ذكر بالقول " ولا عيب الا هواء وخامته تخاف ، ماء غير من خالصة الماء المضاف " (63).

يبدو من قول أبي المطرف أن حديثه ينصب على وباء قابس على العموم ، وليس مخصوص بفترة معينة ، وهو ما لم يحدده برسائله تلك ، دليل قوي على أنها دائمة التعرض للأوبئة ، وعلى الرغم من وجود قبر أحد سادات الصحابة فيها (64) ، إلا أن ذلك لم يدفع عنها الوباء ، أما عن مدى تأثيره على أهل قابس ، وكيف كان وقعه ، نذهب الى التجاني مصدر المعلومات ليصف الوباء لنا وما خلفه من ضحايا ، خصوصا أنه شاهد وقعه ولمس ما تركه من آثار ، إلى درجة أنه عجز عن احصاء عددهم أو حصرهم بنسبة معينة ، وهذا مؤشر خطير للحالة التي كان عليها الوباء الذي لم يكن مألوقا بهذه القوة والإفراط ، ولم يعتد عليه ، مما حدا بالتجاني إلى وصف الوباء بطريقة توحى إلى وقعه وعظم خطره ، وعلن بالقول " أنه قد أفرط فيها في هذا الفصل وخرج عن معتادة ، وقتل بشرا كثيرا " (65).

أما من هم الفئة الأكثر تضررا من الوباء وطالهم وأثر فيهم بشكل كبيرا يخبرنا التجاني الذي عرف بنتائجه ، ورصد من هم ضحاياه مبينا " أن تأثيره غالبا إنما هو في الغرباء الذين ليسوا من سكانها " (66).

في ضوء الصورة التي رسمها التجاني عن الوباء وبيان الحالة التي كان عليها ، يمكن القول حول حقيقة الوباء ووصفه بهذا الطريقة المرعبة دلالة واضحة على هولته وخطبه وأثاره المرعبة في أفتراس ارواح الكثيرين من الناس ، ووقعه عليهم لم يكن كسابق عهده وضحايا ه بالدرجة الأولى الغرباء الذين يتقاطرون على قابس ولم يعوا خطورته ، غير مدركين أن أخذ التدابير والاحتياطات بتجنبه أمر مفروغ منهم ، على عكس أهل قابس الوقاية خير وسيلة للنجاة مبدأ ربما عملوا على التقييد به إلى حدا ما ، ولذلك نراهم أقل عرضة له .

ثانياً - طرق الوقاية من وباء قابس :

١- النهي النبوي .

المرض في الإسلام له فلسفة لا تجدها عند غيره ، فالإسلام مشروع ومنهج منظم متكامل ، مامن شاردة إلا وبين فيها ، ومن ذلك انتشار الأوبئة وشيوعها بين الناس ، ومن أهم الأسباب ما جاء على لسان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم " لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها ، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا " (67)، وهذا نص صريح لا احتمال التأويل فيه ، مع هذا رحمة النبي صلى الله عليه وسلم بأمتة لا نظير لها بين حملة الرسائل السماوية ، حتى مع تقشي الطاعون والأوجاع المستعصية ، يوجه أمتة لآليات وقائية تمنع أنتشار المرض وتمنح فرصة لمراجعة النفس والتوبة وإصلاح الحال وتدارك الأمر (68).

ومن الآليات الوقائية من الأوبئة في الإسلام الإمتناع عن الفرار من وباء الطاعون فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم " إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها (69)، لذلك نرى التجاني ومن بمعيته في ظل الظروف الحالي الذي تمر به قابس من تفشي الوباء فيها ، وسماعهم به وما أحدثه من فزع وهلع داخل موكب الرحلة ، ونتج عن ذلك وكما يشير التجاني من خلال حديثه سببا في الحث على التعجيل والارتحال عنها ما كان بها من وباء ، وهنا استخدم موكب رحلة التجاني علة النهي النبوي في القدوم على أرض مصابه بالوباء ، ووضعها على محمل الجد ، واللافت في هذه القضية أنه هناك توافق وإجماع من كان بالرحلة دون اعتراض أو تشكيك بحدوثه ، إيماننا وتصديقا بأن النهي النبوي يصب في المصلحة العامة كوسيلة نجاة وطوق أمان من وباء قابس ، ونرى كيف شرعوا بالبحث عن مكان بديل ، وتخيروا موضعا آخر يقصد للإقامة ، لتتجه الأنظار بعدها نحو غمراسن (70) ، وهنا نخلص إلى الحكمة والفتنة الذي أبداه ابن اللحياني (٧١١ هـ / ١٣١١ م) ، ومن معه في الالتزام الديني عبر النهي النبوي عادا إياه منقذا من بلية الوباء، وممارسة دوره الإنساني والأخلاقي في الحفاظ على أرواح طاقم الرحلة ، وكل من بمعيته بما يؤمن بحياتهم ويضمن سلامتهم .

٢--الإقامة بعيدا عن الوباء :

في ظل المنطق والعقل وتغليب الفكر الصائب ، وتصويب الإجراء الاحترازي مسبقا بالنهي النبوي سالف الذكر ، كلها مؤشرات تفترض من موكب الأمير ابن اللحياني ضمن رحلة التجاني حالة التأهب القصوى في ظل تداعيات الموقف الخطير جراء انتشار وباء قابس ، قضية البقاء بقابس أو التوغل أكثر بداخلها مجازفه لا يمكن النجاة منها ، والخلاص منه في هذا الحال يدفع إلى حتمية البحث عن بدائل للنجاة منها بايجاد مكان أو وملاذ آمن يسع موكب الأمير ابن اللحياني (٧١١ هـ / ١٣١١ م) ، ويضمن سلامتهم ونجاتهم من ذاك الوباء ، لذلك تعاطى الأمير ابن اللحياني على هذا الأساس ووظف معايير السلامة والنجاة عندما اتخذ قرارا حازما صدور الأمر الأميري دون تأخير بضرورة المغادرة والخروج الفوري بمجرد وصول الأنباء عن وقوع الوباء بقابس(71) ، ليتخير موضعا تكون الإقامة صالحه وأمنه ، وينطلق التجاني في حديثه أن سير خط الرحلة المرسوم لها تغيير إزاء الموقف الطارئ، والمفترض أن تكون الإقامة بقابس، وبدأ موكب الرحلة بالسير نحو بر الأمان والنجاة مبتعدا عن الوباء الفتاك ، وتخير موضعا للإقامة فيه ريثما يصل الفقيه أبو زكريا من الحضرة " تونس " ، المزمع التوجه جميعا إلى طرابلس وتكون الإقامة هنالك إلى أن يصل الى طرابلس ، ويتوجه ابن اللحياني (٧١١هـ/١٣١١م) ، معه إلى المشرق حسبما أشار التجاني (72).

ويكمل التجاني بناء معلوماته بشأن الإقامة ومكانها الجديد أنه وقع الاختيار على مكان للإقامة فيه ، بعد ملاحظة كثيرة وتنازع شديد بين يعقوب ابن عطية أمير المحاميد ، وسالم بن مرغم أمير الجوارى ، ويقع الاختيار على أمير المحاميد والإقامة معه تكون بمنزل يعقوب بغمراسن(73)، ويرتقي الأمير ابن اللحياني ، بإقامته على أحد الجبال وبذلك يكون بمأمن من الوباء ، مع توفر الأمن الذي لا تخاف معه أغارة ، ولا ضياع كبير من الأشياء أو صغير كما علل التجاني ذلك(74).

المبحث الثالث: الوباء في مواقع أخرى .

١ -حمة مطماطة.

قبل الدخول في موضوع حمة مطماطة ، لابد من أن نعرف لماذا سميت بهذا الاسم ، وماذا تعني فقد أفاد التجاني في هذا الجانب عندما أشار الى الحمة أنها اكتسبت الاسم من سخانة مائها هذا بالنسبة للاسم ، أما معناها كما شرحه في اللغة هي العين التي بمائها سخانة ، وجاء في الحديث النبوي مثل العالم مثل الحمة (75).

ومن ناحية الموقع فإن حمة مطماطة تفرقة بينها وبين بلاد الجريد ، وتقع على بعد ٣٣ كيلو متر مربع غربي قابس ، في منبسط من الأرض شبه سبخة تحيط الجبال والروابي من الشرق والجنوب والغرب والشمال (76).

وحمة مطماطة زارها التجاني ونزل فيها أوائل القرن الثامن الهجري وأقام فيها بصحبة الركب ستة أيام ، وخلال مدة الإقامة عين المدينة وشاهدها عن كثب ، ويضعها تحت الوصف بالقول "مدينة حاضرة تحف بها غابة نخل تحمل حمله" (77). ولم تتوقف معلومات التجاني عن حمة مطماطة إلى هذا الحد بل أخبرنا عن مياه المدينة بالذكر "وجميع مياه هذه البلدة شروية" (78).

مع التنبيه أن تلك المياه في غاية السخانة (79)، ومنظر الأبخرة تتصاعد ومنها يصعد ويتجمع في أودية صغيرة تجلب الإنتباه مع سواق تتخلل الغابة والسوق (80).

ونظرا لما تحتويه هذه الحامة من المياه الساخنة يجعلها في مأمن من صولات الوباء في غالب الأوقات ، لكن المرعب بحمة مطماطة عند تعرضها الى الوباء يكون أثاره ونتائجه فيها أشد من باقي المدن ، ولمزيد من المعلومات نترك المجال للتجاني للاستيضاح منه أكثر حول هذه المعلومة ، عندما وقف على ذكر وباء الحمة مبينا "أن البلدة في أكثر الأوقات سالمة من الوباء فإذا وبئت استأصلت أهلها ، وكانت في ذلك أشد من قابس (81).

على الرغم أن التجاني لم يستطع تحديد فترة الوباء في حمة مطماطة إلا أنه لفت الإنتباه إلى خطورته وتأثيره عند الحلول فيها . لكن ذلك لا يمنع أن نوضح مسألة مهمة تتعلق بحمة مطماطة فاندتها بالنسبة للمرضى ، ومحطة تقصد لأجل الاستشفاء ، وهو ما ألمح التجاني حول هذه المسألة معلنا أن الحمة عين حارة يستشفى بها المرضى ، ويستند التجاني بالدليل على قول من سبقه في هذا المضمار كأبي عبيدة البكري في كتاب الأمثال العالم كالحمة يأتيها الغرباء ويزهد فيها القرياء (82).

والجدير بالذكر أن عين حمة مطماطة تخرج من منابع طبيعية قرب البلدة ، وتم إنشاء حمام عليها فيما بعد ، لذلك قد شاع عنها مقاومتها للأمراض ومنها مرض البرد "الروماتيزم" ، مما جعلها مقصد لمرضى شتى من أطراف تونس (83)، ولم تكن حمة مطماطة المشاع عن فاعليتها للمرضى، بل هناك حمة نافستها ولها دور طبي في الشفاء ، وجاء على ذكرها التجاني في مصنف الرحلة تلك حمة الجزيرة والمعروفة بمرناق المنسوبة إلى أحد ملوك النصارى ذات الماء الحميم الموصوفة بأبراء ذوي العاهات بالجلوس على مائها ،ونظر لذبوع صيتها وبلوغ شهرتها على أنها جلييلة مجربة النفع في كافة الأصقاع أبيحت لكل الناس (84).

٢- حصن الجم.

سيكون الحديث في هذا الجانب مختلف عن سائر المواضيع الأخرى ، حيث أن الحديث في المواضيع التي سبقت كان ينصب على الوباء بشكل خاص على الإنسان وخطورته ومدى تأثيره ، لكن تحديدا الموضوع في هذا الإطار يختلف نوعا ما والسبب أن فحوى حديثنا بخصوص الوباء المزمع عرضه يشمل صنف ثاني من المخلوقات ونعني به حيوان الأبل ، وعلينا أولا أن نتعرف على هذا الحصن من حيث الموقع ، وما علاقته بالوباء الذي يصيب الإبل ، وهل هناك سر يكمن في تقشي الوباء بتلك الحيوانات ، كلها مقدمات سيتم الإفصاح عنها خلال عرضنا الموضوع بشكل مفصل .

وحصن الجم مر التجاني عليه برحلته ، ويرمق ببصره أعظم حصون أفريقية وأشهرها بالقدم ، ويهوله مشهد الحصن العظيم ولا أضخم ولا أعجب منه إذا أ ستثنى حصن الحنايا بقرطاجنة (85) ، ويواصل التجاني في سياق بناء المعلومات حول حصن الجم الحافل بالأحداث مثل سرية عبد الله بن أبي سرح (86)، ومقتل زهير البلوي (87) ، وحصار الميورقي (88)، كلها شواهد على جسامه الأحداث ، لسنا في مجال لعرضها .

ويتطرق التجاني من خلال حديثه ، " ومن هذا الحصن ظهر لنا كوكب المعروف بسهيل ⁽⁸⁹⁾ ، مشيراً في الوقت نفسه أنه لا يظهر بتونس ولا ما يقاربها بأراضي إفريقية ، مبيّناً أن القادم من المغرب شرقاً يراه ⁽⁹⁰⁾ .

وأتى التجاني على خرافات وأباطيل حول كوكب سهيل ليس في محل لذكرها أثبتتها في صدر كتاب الرحلة ⁽⁹¹⁾ ، رغم الشائعات والأباطيل التي تحوم حول كوكب سهيل إلا أن حقيقة ما رآه التجاني لم تمنعه من تصديق أن الإبل ساعة طلوعه تستدبره فلا تزال مولية بوجهها عنه ما دام طالعا ، وان كانت حين طلوعه مقابلة لجهته استدارت في الحين فولته الأدبار ⁽⁹²⁾ ، ويذكر التجاني أن هذا الأمر شائع ومستفيض عند أهالي حصن الجم ، ولم يسجل أي اعتراض من أحدهم بل يقرون بصدقه ، على حد زعمهم أن طلوع كوكب سهيل يسبب موت الإبل ووقوع البلاء فيها ، فلأجل ذلك تكرهه وتستدبره ⁽⁹³⁾ .

وهنا التجاني فيما يخص طلوع الكوكب وضرره على الإبل ووقوع البلاء فيها ، استشهد ببيتين الأول لأبي العلاء المعري ⁽⁹⁴⁾ ، قوله .
لا تحسبي أبلي سهيلاً طالعا .. بالشام فالمرئي شعله قابس ⁽⁹⁵⁾ .

أما البيت الثاني لأبي الطيب المتنبّي ⁽⁹⁶⁾ .

وتكرر موتهم وأنا سهيل ... طلعت بموت أولاد الزنا ⁽⁹⁷⁾ .

وكون التجاني على دراية بالأدب فإنه جاء على توضيح البيتين بالتفصيل ⁽⁹⁸⁾ .

وتتواصل استفسارات التجاني باحثاً عن حقيقة علاقة كوكب سهيل بموت الإبل ووقوع البلاء فيها ، ليتوصل إلى حقيقة تختلف من حيث المضمون ، وتبين عكس ما سمعه ، وعلى لسان بعض الإعراب مفادها أنه ليس له تأثير عليها إلا أن ساعة طلوعه عندهم أمان الإبل المغشوشة من الموت ، والغش داء معروف عندهم ، قالوا فما لم يمت بالغش قبل طلوعه لا يموت بعده ، وهنا ينقل التجاني الاعتقاد المتعارف والشائع عند العرب ومربي الإبل هو أن ساعة طلوعه تفصل الحوران من أمهاتها ، يقال أن ذلك هو سبب كراهة الإبل لنجم سهيل ⁽⁹⁹⁾ .

الخاتمة.

أوضحت الدراسة عن الوباء بقابس وغيرها في ضوء رحلة التجاني عن نتائج يمكن حصرها في نقاط متسلسلة أهمها .

١- تبيين الدراسة حجم المخاطر والدمار الذي أحدثه الوباء بمجرد حلوله بقابس .

٢- لاح لنا من خلال الدراسة أن مدينة قابس من أكثر المدن التونسية بتسجيلها الوباء واقتصاره عليها عكس نظيراتها من المدن المجاورة.

٣- وجدت الدراسة أن مناخ قابس شكل عبئ ثقيل على أهالي قابس لما يخلفه من هواء وخم وبذلك يقدم فرصة كبيرة لخلق الوباء وانتشاره.

٤- أظهرت الدراسة كيف أن المياه الآسنة والعفنة وقلّة المياه الصالحة عامل مساعد في انتشار الوباء .

٥- نبهت الدراسة إلى خطورة شجرة الدفلى من خلال سميتها ومرارتها وغرام أهل قابس بزراعتها وانعكاسها الصحي عليهم ، والمخاطر وعدم الاكتراث بذلك ، تداعيات ظهور الوباء .

٦- أبرزت الدراسة دور الخرافات والعقائد الوهمية وارتباطها بالوباء كان له صدى بين الأهالي بقابس .

- ٧- اتضح لنا عن طريق الدراسة كيف تعامل التجاني وبمعية أبن اللحياني في التحاشي من وباء قابس الذي داهمها بطريقة مفزعة ومروعة ، واقتدائهم بالنهي النبوي وتغيير مكان الإقامة خارج منطقة الوباء حصانة لمن بالرحلة .
- ٨- أن الوباء بقابس عمل على حصد أرواح الغرباء بالدرجة الأولى كما وضحه التجاني برحلته وأفرزته الدراسة .
- ٩- بينت الدراسة أن حمة مطماطة وتأثير الوباء فيها قياسا بقابس وبالمقارنة يعد رحمة ومعجزة نالتهم.
- ١٠- حصن الجم الشاهق بعلوه اقتصر الوباء على الإبل وارتباطه بأحد الظواهر الفلكية مخاض عسير أبت الدراسة الأ خوض غماره وكشف معالمه .

الهوامش:

- 1- التجاني، ابومحمد عبدالله بن محمد ، رحلة التجاني ، قدم لها حسن حسني ، الدار العربية للكتاب ، (تونس ، ١٩٨١) ، المقدمة .
- 2- حميدة ، عبد الرحمن ، أعلام الجغرافيين العرب ، ط١ ، دار الفكر ، (القاهرة ، ١٩٩٥) ، ص٥٢٩ ؛ كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، نقله للعربية : صلاح الدين عثمان ط٢ ، دار الغرب الإسلامي ، (بيروت ، ١٩٧٨) ، ص٣٨٣ .
- 3- عمران ، علاوة ، ابن شداد الصنهاجي جامع أخبار المغرب ، مجلة التاريخ ، العدد ٢١ ، ٢٠٠٢ ، ص٦٨ .
- 4- التجاني ، رحلة التجاني، المقدمة ؛ حسني ، حسن ، كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين ، مراجعة : محمد العروسي، بشير بكوش ، ط١، دار الغرب الإسلامي ، (دم. دت) ، ص٤٦٥ ؛ حميدة ، أعلام الجغرافيين ، ص٥٢٩ .
- 5- التجاني ، رحلة التجاني ، المقدمة .
- 6- رمضان ، احمد ، الرحلة والرحالة المسلمون ، دار البيان العربي ، (بيروت ، ١٩٨٣) ، ص٣٦٢ ؛ محفوظ ، محمد ، تراجم المؤلفين التونسيين ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي ، (تونس ، ١٩٨٢) ، ج١ ، ص١٥٥ .
- 7- التجاني ، رحلة التجاني، المقدمة ؛ محفوظ ، تراجم ، ج١، ص١٥٥ .
- 8- محفوظ ، تراجم ، ج١ ، ص١٥٦ .
- 9- محفوظ ، تراجم ، ج١، ص١٥٦ ؛ النيفر ، محمد، عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم وأديب ، دار الغرب الإسلامي ، (دم. م. ١٩٩٦) ، ج١ ، ص٢٨٤ .
- 10- التجاني ، رحلة التجاني، المقدمة .
- 11- التجاني ، رحلة التجاني ، المقدمة ؛ محفوظ ، تراجم ، ج١ ، ص١٥٥ ؛ محمد النيفر ، عنوان الأريب ، ص٢٩٠ .
- 12- التجاني ، رحلة التجاني ، المقدمة ؛ حسن حسني ، كتاب العمر ، ج٢ ، ص٤٨٦ ؛ محفوظ ، تراجم ، ج١ ، ص١٥٨ .
- 13- التجاني ، تحفة العروس ونزهة النفوس ، تحقيق: جليل عطية ، ط١ ، (دم. دت) ، ص١٣ .
- 14- التجاني ، رحلة التجاني ، المقدمة .
- 15- التجاني ، رحلة التجاني، المقدمة .

- 16- صفاقس : مدينة من إفريقية أكثر غلاتها الزيتون ، تقع على ضفاف الساحل وبينها وبين المهديّة مسيرة ثلاثة أيام . الحموي ، ياقوت بن عبدالله، معجم البلدان ، دار صادر ، (د.م ، ١٩٩٣) ، ج ٣ ، ص ٢٢٣ .
- 17- قابس : مدينة جليلة عامرة ، حفت فيها من نواحيها غابات وجنات ملتفة ، وعليها سور منيع محيط بها ، ولها أسواق عامرة وتجارات رابحة ، مقديش ، محمود ، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ، تحقيق: علي الزاوي ، محمد محفوظ ، ط ١ ، دار الغرب الإسلامي ، (بيروت ، ١٩٨٨) ، ج ١ ، ص ١٠٦-١٠٧ .
- 18- جربة : من طرف الجرف إلى جزيرة جربة في البحر أربعة أميال وهي جزيرة عامرة بقبائل البربر ، مقديش ، نزهة الأنظار ، ج ١ ، ص ١٤١ .
- 19- نفاوة : مدينة عليها سور وطوب وبها جامع وأسواق عامرة ، وفيها كثير النخل والثمار ، وجامع وحمام ، البكري ، أبي عبدالله بن عبدالعزيز ، المسالك والممالك ، حققه : الدكتور جمال طلبه ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، د.ت) ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ .
- 20- قاعدتها توزر ، وليس في بلاد الجريد غابة أكبر منها ولا أكثر مياها ، واصل مياها من عيون تتبع خارج البلد ، التجاني ، رحلة التجاني ، ص ١٥٧ .
- 21- سبخة تاكمرت : عبارة عن سبخة تمنع السالك من الخروج عن طريقها المسلوكة يمينا وشمالا ، التجاني ، رحلة التجاني ، ص ١٥٤ .
- 22- زوارة : غابة متسعة ملتفة الأشجار وبها مياه عذبة وأكثر شجرها الزيتون ، التجاني ، رحلة التجاني ، ص ٢١٤ .
- 23- زواغة : مدينة تقع على مسافة ٧٢ كم غربي طرابلس وهي قريبة على البحر ولها مرسى بحري . الزاوي ، الطاهر أحمد ، معجم البلدان الليبية ، ط ١ ، مكتبة النور ، (طرابلس ، ١٩٦٨) ، ص ١٧٥ .
- 24- من قرى طرابلس تقع على بعد اثني عشر ميلا غربي طرابلس ولها غابة متسعة ملتفة الأشجار ، وفيها مياه عذبة وأكثر شجرها الزيتون ، التجاني ، رحلة ، ص ٢١٤ ؛ الزاوي ، معجم البلدان ، ص ١٧٢ .
- 25- طرابلس : عاصمة ليبيا وميناء على البحر المتوسط، تقع وسط غابة وعليها سور وصخ. جليل البنبان ، وهو على شاطئ البحر ، ومبنى جامعها من أحسن الجوامع ، وبها أسواق حافلة ، ينظر : المسلم ، عبد العزيز ، مدائن الريح رحلات في العالم ، ط ١ ، دار السويدي للنشر والتوزيع ، (الأردن ، ٢٠٠٤) ، ص ٢٩ .
- 26- لتجاني ، رحلة التجاني ، المقدمة .
- 27- عن تلك المجالس وما دار فيها من نقاش علمي . ينظر: التجاني ، رحلة ، ص ٢٥٥ ؛ رمضان ، الرحلة والرحالة ، ص ٣٦٢ .
- 28- التجاني ، رحلة التجاني ، المقدمة ؛ مقديش ، نزهة الأنظار ، ج ١ ، ص ٥٦٧ ؛ برنشفيك ، روبر ، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي في القرن ١٣ إلى نهاية القرن ١٦ ، نقله للعربية : حمادي الساحلي ، ط ١ ، دار الغرب الإسلامي ، (بيروت ، ١٩٨٨) ، ج ١ ، ص ١٦٢ .
- 29- التجاني ، رحلة التجاني ، المقدمة .
- 30- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، ط ١ ، دار الفكر ، (بيروت ، ٢٠٠٨) ، ج ١ ، ص ١٨٩ .

- 31- العسقلاني ، أحمد بن حجر ، فتح الباري شرح صحيح مسلم ، حققه: الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز ، دار الفكر ، بيروت ، (٢٠١٩) ، ص ٢٦٣ .
- 32- العسقلاني ، النكت على كتاب ابن صلاح ، حققه : محمد فارس ، مسعود عبد الحميد ، (بيروت ، د.ت) ، هامش رقم (١) ، ص ٤٥ .
- 33- العسقلاني ، بذل الماعون في فضل الطاعون ، تحقيق : احمد عصام عبدالقادر ، دار العاصمة ، (الرياض ، د.ت) ، ص ١٠٤ .
- 34- climate change and human health" www .who int Retrived 01-09-2019 .Edited .
- 35- التجاني، رحلة ، ص ٨٩ ؛ محمد المرزوقي ، قابس جنة الدنيا ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (القاهرة ، ١٩٦٢) ، ص ٢٧٤ .
- 36- ينظر : رحلة التجاني ، ص ٨٦ .
- 37- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ، أعتنى به عادل بن سعد، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت) ، ج ١ ، ص ٢٧٤ .
- 38- التجاني، رحلة التجاني، ص ٨٩ .
- 39- ابن خلدون، العبر ، ج ١، ص ٢٧٤ .
- 40- ابن خلدون، العبر ، ج ١، ص ٢٧٤ .
- 41- ابن خلدون ، العبر ، ج ١ ، ص ٢٧٤ .
- 42- نقلا من قول ابن عميرة . ينظر التجاني ، رحلة التجاني ، ص ٩١ .
- 43- العبدري ، محمد بن محمد بن علي، رحلة العبدري، حققها علي إبراهيم كردي ، دار سعد الدين للطباعة والنشر ، (دمشق، د.ت) ، ص ١٨٠ .
- 44- العبدري، رحلة العبدري، ص ١٨٠ .
- 45- البكري ، المسالك والممالك ، ج ٢، ص ١٩٠ .
- 46- لمعرفة تلك الوقائع التي حصلت لمدينة قابس ينظر : رحلة ، ص ٩٥ وما بعدها .
- 47- مما أورده التجاني حول جنة قابس بعض ابيات شعرية يقول فيها جنة الدنيا وفي قلبي... .. لوشك البين خرقة مسعر . للمزيد . ينظر : رحلة التجاني، ص ٨٩ .
- 48- ينظر : التجاني، رحلة التجاني ، ص ٨٩ ، ٩١ .
- 49- التجاني ، رحلة التجاني، ص ٨٩ .
- 50- التجاني ، رحلة التجاني ، ص ٨٩ .
- 51- التجاني ، رحلة التجاني ، ص ٨٩ .
- 52- التجاني ، رحلة التجاني ، ص ٨٩ .

53- شجرة الدفلى : من النباتات السامة والخطيرة جدا على الإنسان والحيوان . وعن فوائد واضرار نبات الدفلى ينظر : جريدة الرياض ثمرة واحدة من نبات الدفلى كافية لقتل انسان ، العدد ١٤١٠٨ ، ٨ ، فبراير ، ٢٠٠٧ ؛ مقال منشور ، بواسطة كتاب سطور ، ١٢ فبراير ، ٢٠٢٠ .

Oleander ,www.meficinent.com Retrieved 11-02-2020 Edited.

54- ضعيف عن مجالد بن سعد بن مسروق عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها . الإمام أحمد بن حنبل، مسند، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، (بيروت ، د.ت) ، ج ٦ ، ص ١٥٧ ؛ الترمذي، محمد بن عيسى، جامع الترمذي مع شمائل الترمذي محشي بجواشي ، الناشر: نور محمد واخرون ، (باكستان ، د.ت) ، ج ٢ ، ص ٥٨-٥٩ ؛ ابن الاثير ، المبارك بن محمد الجزري ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ط ١ ، (الجلي ، د.ت) ، ج ٢ ، ص ٢٥ ؛ أبو يعلى، أحمد بن علي، مسند أبي يعلى ، المحقق: حسن سليم أسد ، دار المأمون للتراث ، ١٩٨٩ ، ج ٧ ، رقم الحديث ٤٤٤٢ ؛ ص ٤١٩ ؛ الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، مكتب المعارف ، (مصر ، د.ت) ، ج ٤ ، ص ٢٠٢ ؛ مجلة دعوة الحق للدراسات الإسلامية ، حديث خرافة في ميزان النقد الديني ، المغرب ، العددان ١٧٩ ، ١٨٠ ،

55- التجاني، رحلة التجاني ، ص ٩٠ .

56- البكري ، المسالك والممالك ، ج ٢ ، ص ٩ ؛ ابن خلدون، العبر ، ج ١ ، ص ٢٧٤

57- ابن خلدون، العبر ، ج ١ ، ص ٢٧٤ .

58- بن خلدون، العبر ، ج ١ ، ص ٢٧٤ .

59- التجاني ، رحلة التجاني ، ص ٨٩ .

60- أبو مطرف . احمد بن عبدالله بن محمد ابن عميرة المخزومي، من فحل العلماء والكتاب، نشأ في بلنسية ، وتنقل بين غرناطة والمغرب وتونس ، تولى القضاء في عهد الخليفة الحفصي المستنصر بالله ، واستقر بقابس ، حتى وافته المنية سنة ستمائة وثمان وخمسين الهجرة . أبي مطرف ، أحمد بن عميرة ، رسائل ابن عميرة الديوانية والاخوانية ، جمعها ، محمد بن هاني اللخمي تحقيق : د. محمد بن معمر ، دار الكتب العلمية ، (دم. د.ت) ، ص ٤ ؛ النيفر ، عنوان الاريب ، ج ١ ، ص ٣٩٣ ؛ المرزوقي ، قابس ، ص ٢٦٨-٢٦٩ .

61- لتجاني ، رحلة التجاني ، ص ٩١ ؛ مقديش ، نزهة الأنظار ، ج ١ ، ص ١٠٧ ؛ المرزوقي، محمد، قابس جنة الدنيا ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة ، ١٩٦٢) ، ص ٢٦٩ .

62- عن وصف قابس وما قيل بحقها . ينظر التجاني ، رحلة ، ص ٩١ .

63- التجاني ، رحلة التجاني ، ص ٩١ ؛ المرزوقي، قابس ، ص ٢٦٩ .

64- أبو لبابة بشير بن عبد المنذر شهد العقبة وبدو ، ويقال لم يشهدا ، كثر الجدل عن الذنب الذي اقترفه ، توفي في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه. للمزيد ينظر : ابن هشام ، عبد الملك بن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق ، مصطفى السقا وآخرون ، ط ٢ ، مكتبة البابي الحلبي ، (مصر ، ١٩٥٥) ، ج ٢ ، ص ٢٣٦-٢٣٧ ؛ السهيلي ، عبدالرحمن بن

- عبدالله ، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق : عبد الرحمن الوكيل ، ط١ ، دار الكتب الإسلامية ، (د.م. ، ٢٠٠٥) ، ج ٦ ، ص ٢٨٦ .
- التجاني، رحلة ، ص ٩١-٩٢ .
- 65- التجاني ، رحلة التجاني ، ص ١٧٩ .
- 66- التجاني، رحلة التجاني ، ص ١٧٩ .
- 67- ابن ماجه ، أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجه ، تحقيق : محمود حسن نصار ، دار الكتب العلمية ، (د.م. ، د.ت) ، ج ٨ ، رقم الحديث ٤٠١٩ ، ص ٤٠٨ ؛ السخاوي ، الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ، الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه ، تحقيق : د.محمد اسحاق ابراهيم ، (السعودية ، د.ت) ، حديث رقم ٣٣١ ، ص ١١٦٧ ؛ الكاندهلوي ، محمد بن زكريا ، أوجز المسالك الى موطن مالك، تحقيق: أيمن صالح شعيب ، دار الكتب العلمية، (د.م. ، د.ت) ، ج ٨ ، ص ٤٨٤ .
- 68- خلفه ، عبد الرحمن ، معالم منهج الإسلام الوقاية من الأمراض والأوبئة، جريدة النصر ، العدد ١٦٢٩ ، الجمعة، ٢٤ أبريل ، ٢٠٢٠ .
- 69- البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي ، السنن الكبرى ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، د.ت) ، ج ٣ ، ص ٥٢٧ ؛ المتقي ، علاء الدين بن حسام الدين ، كنز العمال في سنن الاقوال والافعال ، تحقيق : محمود عمر الدمياطي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، د.ت) ، ج ٩ ، ص ٣٣ .
- 70- غمراسن : اسم ناحية من الجبل المتصل الذي أصله جبل درن بالمغرب وهو الجبل الأعظم الذي قل على وجه الأرض نظير ما يدانيه سموا وامتداد .التجاني ، رحلة التجاني ، ١٨٥ .
- 71- التجاني ، رحلة التجاني ، ص ١٧٩ .
- 72- اقتضت حملة أبن اللحياني إتمام الحركة إلى بلاد الجريد والإقامة بطرابلس وانتظار ركب ملك المغرب أبو يوسف المريني والعودة الى تونس والانطلاق بصحبة بعض الأمراء بهدية ملك المغرب إلى المشرق . التجاني ، رحلة التجاني، ص ٤-٥ ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ، ص ٣٦٨ .
- 73- التجاني ، رحلة التجاني ، ص ١٧٩ .
- 74- التجاني، رحلة التجاني ، ص ١٧٩ .
- 75- الزمخشري ، محمود بن عمر ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ط١ ، (الرياض ، ١٩٩٨) ، ج ٦ ، ص ٦٥٦ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٥ ، ص ١٠٨ ؛ النووي ، محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف ، المجموع شرح المهذب للإمام أبي إسحاق بن إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ، تحقيق وتعليق ، الشيخ أحمد عادل عبد الموجود وآخرون ، دار الكتب العلمية، (بيروت ، د.ت) ، ج ١ ، ص ٤٢١ ؛ التجاني، رحلة التجاني ، ص ١٣٥ ؛ محمد المرزوقي ، قابس ، ص ١٠٦ .
- 76- المرزوقي ، قابس ، ص ١٠٥ .

- 77- التجاني ، رحلة التجاني ، ص ١٣٤-١٣٥ ؛ المرزوقي ، قابس ، ص ١٠٤-١٠٥ .
- 78- التجاني ، رحلة التجاني ، ص ١٣٥ ؛ المرزوقي ، قابس ، ص ١٠٦ .
- 79- التجاني ، رحلة التجاني ، ص ١٣٥ ؛ المرزوقي ، قابس ، ص ١٠٦ .
- 80- المرزوقي ، قابس ، ص ١٠٦ .
- 81- التجاني ، رحلة ، ص ١٣٥ ؛ المرزوقي ، قابس ، ص ١٠٦ .
- 82- التجاني ، رحلة التجاني ، ص ١٣٥ ؛ النوي ، المجموع شرح المهذب ، ج ٥ ، ص ١٠٨ ؛ المرزوقي ، قابس ، ص ١٠٦ .
- 83- المرزوقي ، قابس ، ص ١٠٧ .
- 84- ينظر : التجاني ، رحلة التجاني ، ص ١٠ .
- 85- التجاني ، رحلة التجاني ، ص ٧٥ ؛ مقديش ، نزهة الأنظار ، ج ١ ، ص ١١٠ .
- 86- للمزيد ينظر : النوي ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق: الأستاذ عبد المجيد الترحيني ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، د.ت) ، ج ٢٣-٢٤-٢٥ ، ص ١٧-١٨ ؛ التجاني ، رحلة ، ص ٥٨ .
- 87- زهير بن قيس البلوي ومقتله ، وما جرى فيها من أحداث يفضل مراجعة : الصدفي ، أبي سعيد عبدالرحمن بن يونس بن عبد الأعلى المصري ، تاريخ ابن يونس الصدفي ، جمع وتحقيق دراسة وفهرسة : الدكتور عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح ، دار الكتب العلمية ، دم ، د.ت ، ص ٣٨٧ ؛ مقديش ، نزهة الأنظار ، ج ١ ، ص ٢٠٩ وما بعدها ؛ حمودة ، عبد الحميد حسين الدكتور ، تاريخ الدولة العربية الإسلامية ، دار الثقافة للنشر ، (القاهرة ،) ، ٢٠٠٤ ، ص ٣٤٤ ؛ الخزاعة ، طالب ، الخلافة العباسية وموقفها من الدول المستقلة في المغرب بين القرنين الثاني والرابع الهجريين ، (دم ، ٢٠٠٧) ، ص ٣٩-٤٠ ؛ عبد الفتاح ، فتحي عبد الفتاح ، معالم الثقافة الإسلامية في القرنين الأولين من الهجرة ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، د.ت) ، ص ٣٨٧ .
- 88- قاتل أهل الحصن يحيى بن إسحاق الميورقي فاعأياه وارتحل عنها خائبا ، ومما يذكر أنهم رموه بعد الحصر الطويل بالسلك الحي ، التجاني ، رحلة التجاني ، ص ٥٩ .
- مقديش ، نزهة الأنظار ، ج ١ ، ص ١١٠ .
- 89- سهيل كمعظم النجوم يختفي عن الأنظار فترة من السنة ثم يعود إلى الظهور فترة أخرى تبدأ من صبيحة الرابع والعشرين من أغسطس من كل عام ، ثم يختفي في مايو . للمزيد ينظر : الأصبهاني ، أبي الحسين بن إبراهيم ، دستور اللغة العربية كتاب الخلاصة ، دراسة وتحقيق: احمد هادي زيدان ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، د.ت) ، ج ١ ، ص ٣١٤ ؛ الجروان إبراهيم ، النجم سهيل علامة التحولات الجوية ، ١٧/٨/٢٠١٤ .
- 90- ينظر : التجاني ، رحلة التجاني ، ص ٦٠ . مقديش ، نزهة الأنظار ، ج ١ ، ص ١١١ .
- 91- التجاني ، رحلة التجاني ، ص ٦٢ .
- 92- التجاني ، رحلة التجاني ، ص ٦٢ .
- 93- التجاني ، رحلة التجاني ، ص ٦٢ .

- 94- أبو العلاء المعري احمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي ينسب إلى معرة النعمان في الشام ، ينتهي نسبه لقضاة ، كنيته أبو العلاء ولقبه المعري ، شاعر وأديب وله ديوان ، ولد سنة ٣٦٣هـ / ٩٧٣م ، توفي سنة ٤٤٩هـ / ١٠٥٨م ؛ عيمان ، تغريد الدكتور ، الآراء الفلسفية عند أبي العلاء المعري ، ط١ ، دار الثقافة للنشر ، (القاهرة ، ٢٠٠٣) ، ص ٤٢٣ .
- 95- التجاني، رحلة التجاني ، ص ٦٣ .؛ شمس الدين ، احمد ديوان أبو العلاء المعري سقط الزند ، دار الكتب العلمية، بيروت ، د.ت) ص ٣ ؛ ناصر، محمد ، المفردات اللغوية في شعر أبي العلاء المعري ، جريدة دنيا الوطن ، النشر ، ٢٠١٠/٥/٢٨ .
- 96- ابو الطيب ، احمد بن الحسين بن عبدالصمد الجعفي الكندي الكوفي المعروف بالمتنبي الشاعر المشهور ، ولد في كندة من مناطق الكوفة بالعراق سنة ٣٠٣هـ / ٩١٥م ، وبلغ بهمته وعبقريته اسمى مراتب الشهرة ، قتل سنة ٣٥٤هـ / ٩٦٥م . ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن هبة الله الشافعي ، تاريخ دمشق ، تحقيق: عمرو بن غرافة المعموري ، دار الفكر ، د.م ، ١٩٩٥) ، ج ٧١ ، ص ٨٢ ؛ ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا ، ومصطفى عبد القادر عطا ، ط١ ، دار الكتب العلمية، (بيروت ، ١٩٩٢) ، ج ١٤ ، ص ١٦٧ ؛ ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم ،وفيات الأعيان ، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر ، (بيروت ، د.ت) ، ج ١ ، ص ١٢٩ .
- 97- التجاني، رحلة التجاني، ص ٦٣ .؛ البرقوقي، عبد الرحمن ،شرح ديوان المتنبي ، دار الكتب العلمية ،(د.م ، د.ت) ، ج ١-٢ ، ص ٩٨ .
- 98- التجاني، رحلة التجاني ، ص ٦٣ .
- 99- كانت العرب تقول إذا طلع سهيل برد الليل وخيف السيل وكان للحوار الويل ابن الناقة ، لأنه يفصل عن أمه . التجاني ، رحلة ، ص ٦٣ ؛ إبراهيم الجروان ، النجم سهيل ، الجريدة الكويتية ، في ١٧/٨/٢٠١٤ .

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم .
- أولاً-المصادر .
- ١- ابن الاثير ، المبارك بن محمد الجزري ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ط١ ، (الخطبي ، د.ت) ، ج٢ .
- ٢- أحمد بن حنبل ، مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المحققون: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة ، (بيروت ، د.ت) ، ج٦ .
- ٣- البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي ، السنن الكبرى ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، د.ت) ، ج٣ .
- ٤- البكري ، أبي عبدالله بن عبدالعزيز ، المسالك والممالك ، حققه ووضع فهرسه : الدكتور جمال طلبه ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، د.ت) ، ج٢ .
- ٥- التجاني ، أبو محمد عبدالله بن محمد ، رحلة التجاني ، قدم لها ، حسن حسني ، الدار العربية للكتاب، (تونس، ١٩٨١) .
- تحفة العروس ونزهة النفوس ، تحقيق: جليل عطية ، ط١ ، (د.م ، د.ت) .
- ٦-الترمذي ، محمد بن عيسى ، جامع الترمذي في شمائل الترمذي محشي بحواشي ، الناشر ، نور محمد ، (باكستان ، د.ت) .
- ٧- ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق: عبد القادر عطا ، مصطفى عبد القادر عطا ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ١٩٩٢) ، ج١٤ .
- ٨-الحموي ، ياقوت بن عبدالله ، معجم البلدان ، دار صادر ، (د.م، ١٩٣٣) ، ج٣ .
- ٩-ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر أيام العرب والعجم ، أعتى به عادل بن سعد ، دار الكتب العلمية ، (د.م ، د.ت) ، ج١ .
- ١٠- أبن خلكان ، أحمد بن محمد بن إبراهيم ، وفيات الأعيان ، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر ، (بيروت ، د.ت) ، ج١ .
- ١١- الزمخشري ، محمود بن عمر ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ط١ ، (الرياض ، ١٩٩٨) ، ج٦ .
- ١٢- السخاوي ، الحافظ عز الدين محمد بن عبد الرحمن ، الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه ، تحقيق: محمد أسحاق إبراهيم (السعودية ، د.ت) .
- ١٣- السهيلي ، عبد الرحمن بن عبدالله ، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل ، ط١ ، دار الكتب الإسلامية ، (د.م ، ٢٠٠٥) ، ج٦ .
- ١٤- الصدي ، أبي سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس بن عبد الأعلى المصري ، تاريخ ابن يونس الصدي ، جمع وتحقيق ودراسة : الدكتور عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، د.ت) .
- ١٥-الأصبهاني ، أبي الحسين بن إبراهيم ، دستور اللغة العربية كتاب الخلاصة ، دراسة وتحقيق: أحمد هادي زيدان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت ، ج١ .

- ١٦- العبدري ، أبي عبدالله محمد بن محمد ، رحلة العبدري ، تحقيق: علي إبراهيم كردي ، ط٢، الناشر ، دار سعد الدين ، (دمشق ، د.ت) .
- ١٧- ابن عساكر ، أبي القاسم علي بن الحسين بن هبة الله الشافعي ، تاريخ دمشق ، تحقيق : عمرو بن غرافة العموري ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، (دم ، ١٩٩٥)، ج ٧١ .
- ١٨-العسقلاني ، أحمد بن حجر ، فتح الباري في شرح صحيح مسلم ، حققه: الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز ، دار الفكر ، (بيروت ، ٢٠١٩).
- _ النكت على كتاب ابن صلاح ، حققه: محمد فارس ، مسعود عبد الحميد ، (بيروت ، د.ت) .
- _ بذل الماعون في فضل الطاعون ، تحقيق : أحمد عصام عبد القادر، دار العاصمة ، (الرياض ، د.ت) .
- ١٩- ابن ماجه ، أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ، سنن ابن ماجه ، تحقيق : محمود حسن نصار ، دار الكتب العلمية، (دم ، د.ت) ، ج ٨ .
- ٢٠-المتقي ، علاء الدين بن حسام الدين ، كنز العمال في سنن الاقوال والافعال ، تحقيق: محمود عمر الدمياطي ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، د.ت) ، ج ٩ .
- ٢١- أبي مطرف ، أحمد بن عميرة ، رسائل أبْن عميرة الديوانية والاخوانية ، جمعها ، محمد بن هاني اللخمي ، تحقيق : د.معمر بن معمر ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، د.ت) .
- ٢٢- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، ط١ ، دار الفكر، (بيروت ، د.ت) ، ج ١ .
- ٢٣- النووي ، محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف ، شرح المذهب للإمام أبي إسحاق ابن إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ، تحقيق وتعليق : الشيخ أحمد عادل عبد الموجود وآخرون ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، د.ت) ، ج ١ .
- ٢٤- النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب ، تحقيق : عبد الرحمن ترحيني ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، د.ت) ، ٣ أجزاء .
- ٢٥- ابن هشام ، عبد الملك بن هشام ، السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرون ، ط٢ مكتبة البابي الحلبي ، مصر ، ١٩٩٥ ، ج ٢ .
- ٢٦-أبو يعلى ، أحمد بن علي ، مسند أبي يعلى ، المحقق : حسن سليم أسد ، دار المأمون للتراث ، (دم ، ١٩٨٩)، ج ٧ .
- ثانيا-المراجع العربية .
- ١- الألباني ، محمد ناصر الدين ، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، مكتب المعارف ، (مصر ، د.ت) ، ج ٤ .
- ٢-البرقوقي ، عبد الرحمن ، شرح ديوان المتنبي ، دار الكتب العلمية ، (دم ، د.ت) ، ج ١-٢ .
- ٣-برنشفيك ، روبر ، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي في القرن ١٣ إلى نهاية القرن ١٦ ، نقله للعربية ، حمادي الساحلي ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي ، (بيروت، ١٩٨٨) .
- ٤-حسني ، حسن ، كتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين ، مراجعة: محمد العروسي ، بشير بكوش ، ط١، دار الغرب

الإسلامي، (د.م ، د.ت) .

٥-حميدة، عبد الرحمن، أعلام الجغرافيين العرب، ط١، دار الفكر ، (القاهرة ، ١٩٩٥) .

٦-حمودة ، عبد الحميد حسين ،تاريخ الدولة العربية الإسلامية ، دار الثقافة للنشر ، (القاهرة ، ٢٠٠٤) .

٧-الخرزعة ، طالب ،الخلافة العباسية وموقفها من الدول المستقلة في المغرب بين القرنين الثاني والرابع الهجريين ، (د.م ، ٢٠٠٧) .

٨-رمضان ، احمد ، الرحلة والرحالة المسلمون ، دار البيان العربي ، (بيروت ، ١٩٨٣) .

٩-الزاوي ، الطاهر احمد، معجم البلدان الليبية ،مكتبة النور ، (طرابلس، ١٩٦٨) .

١٠- شمس الدين ، احمد ، ديوان أبي العلاء المعري سقط الزند ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، د.ت) .

١١- عبدالفتاح فتحي عبد الفتاح ، معالم الثقافة الإسلامية في القرنين الأولين من الهجرة ، دار الكتب العلمية،(بيروت ، د.ت) .

١٢-عيمان ، تغريد ، الآراء الفلسفية عند أبي العلاء المعري ، ط١ ، الدار الثقافية للنشر ، (القاهرة ، ٢٠٠٣)

١٣-الكاندهلوي ، محمد بن زكريا ، أوجز المسالك الى موطن مالك ، تحقيق : أيمن صالح شعيب ، دار الكتب العلمية، (د.م، د.ت) ، ج٨ .

١٤-كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، نقله للعربية : صلاح الدين عثمان ، ط٢، دار الغرب الإسلامي، (بيروت ، ١٩٧٨) .

١٥-محفوظ ، محمد تراجم المؤلفين التونسيين ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي ، (تونس، ١٩٨٢)، ج٢ .

١٦-المرزوقي ، محمد ، قابس جنة الدنيا ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة ، ١٩٦٢) .

١٧-المسلم ،عبدالعزیز ، مدائن الريح رحلات في العالم ، ط١، دار السويدي للنشر والتوزيع ،(الأردن ، ٢٠٠٤) .

١٨-مقديش ، محمود نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ، تحقيق: علي الزاوي ، محمد محفوظ ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي ، (بيروت ، ١٩٨٨) ، ج٢ .

١٩-النيفر ، محمد ، عنوان الأريب عما نشأ بالبلاد التونسية من عالم وأديب، ط١ ، دار الغرب الإسلامي ،(د.م ، ١٩٦٦) ، ج١
ثالثا- المجالات والدوريات.

١-جريدة الرياض ، ثمرة واحدة من نبات الدفلى كافية لقتل انسان، العدد ١٤١٠٨ ، فبراير، ٢٠٠٧، منشور في ١٢ فبراير ، ٢٠٢٠ .

٢-الجروان ، ابراهيم ،النجم سهيل علامة التحولات الجوية ، الجريدة الكويتية ١٧/٨/٢٠١٤ .

٣-خلفة ، عبد الرحمن ، معالم منهج الإسلام في الوقاية من الأمراض والأوبئة ، جريدة النصر ، العدد ١٦٢٩ ، ٢٤ ابريل ، ٢٠٢٠ .

٤-علاوة ، عمارة ، ابن شداد الصنهاجي جامع أخبار المغرب، مجلة التاريخ ، العدد ٢١، ٢٠٠٢ .

٥-مجلة دعوة الحق للدراسات الإسلامية ، حديث خرافة في ميزان النقد الديني ، المغرب ، العددان ، ١٧٩ ، ١٨٠ .

٦- ناصر، محمد ،المفردات اللغوية في سفر أبي العلاء المعري ، جريدة دنيا الوطن ، النشر ٢٠١٠/٥/٢٨ .

ثالثاً- المراجع الأجنبية:

1-climate change and human health ."www. who int Retirve 01-09-2019

Edited .

مقال منشور ، بواسطة كتاب سطور ، في ١٢ فبراير 2020-

.Oleander .www. meficinent com

-.Retived 11-02-2020 Edited .

RESEARCH ARTICLE

**SPHERICAL AND ENDPOINT BOUNDS FOR DERIVATIVES
OF FRACTIONAL MAXIMAL FUNCTIONS THROUGH
FOURIER MULTIPLIERS**

ABDULRAHMAN AL_AMEEN ADAM EDREES¹ - ABDURAHIM MOHAMMED
EBRAHEEM² AND YASIR MOHMED ALAMEN³

¹University of Kassala, College of Graduate Studies, Graduate Student, Sudan

AbdulrahmanGamel398@gmail.com

²University of Kassala . Faculty of Education , Department of Mathematics , Sudan

ruba1978@gmail.com

³University of Kassala . Faculty of Education , Department of Mathematics , Sudan

aboibrahem2009@yahoo.com

Accepted at 19/11/2020

Published at 01/12/2020

Abstract

We study and prove endpoint bounds for derivatives of fractional maximal functions with either smooth convolution kernel or lacunary set of radii in dimensions $n = 2 + \delta$, $\delta \in \mathbb{N}$. We also show that the spherical fractional maximal function maps L^p into a first order Sobolev space in dimensions $n = 5 + \delta$, $\delta \in \mathbb{N}$.

كروية وحدود نقطة النهاية لمشتقات الدوال الاعظمية الكسرية عبر مضاعفات فوريير

تاريخ النشر: 2020/12/01م

تاريخ القبول: 2020/11/19م

المستخلص

درسنا وبرهنا حدود النقطة لمشتقات الدوال الاعظمية الكسرية مع كل من نواة الالتفاف الأملس أو الفئة الجوفاء من أنصاف الأقطار

في الأبعاد $n = 2 + \delta, \delta \in \mathbb{N}$

أيضاً أوضحنا الدوال الأعظمية الكسرية الكروية L^p في فضاء رواسم سوبوليف ذو الرتبة الأولي في الأبعاد :

$n = 2 + \delta, \delta \in \mathbb{N}$.

1. Introduction

Define the fractional maximal function as

$$M_\alpha f(x) = \sup_{t>0} \left| \frac{t^\alpha}{|B(x,t)|} \int_{B(x,t)} f \, dy \right|$$

For $\alpha \in [0, n)$. The study of its regularity properties was initiated in [22] by Kin-nunen and Saksman. They proved the pointwise inequality

$$|\nabla M_\alpha |f|(x)| \leq C M_{\alpha-1} |f|(x), \quad \alpha \geq 1 \tag{1.1}$$

with a constant C only depending on the dimension n and α . This inequality has two interesting consequences. First, M_α maps $L^p(\mathbb{R}^n)$ into a first order Sobolev space. Second, as noted by Carneiro and Madrid [8], the pointwise bound together with the Gagliardo - Nirenberg - Sobolev inequality implies

$$\|\nabla M_\alpha f\|_{L^p} \leq C \|M_{\alpha-1} f\|_{L^p} \leq C \|f\|_{L^{n/(n-\alpha)}} \leq C \|\nabla f\|_{L^1} \tag{1.2}$$

for $\alpha \geq 1$ and $P = n/(n - \alpha)$ When $\alpha \in (0,1)$, inequality (3.1) no longer helps, and the conclusion of (1.2) is an open problem. When M_α is replaced by its non-centred variant, the analogous result is due to Carneiro and Madrid [8] for $n = 1$ and Luiro and Madrid [28] for f radial and. For $n = 2$. other aspects of the regularity of fractional maximal functions, see e.g. [17, 18] and the references therein.

The first result of David Beltran and Olli Saari is a smooth variant of the inequality (1.2) for $\alpha \in (0,1)$ and $n \geq 2$, [40]. Define the lacunary fractional maximal function as

$$M_\alpha^{lac} f(x) := \sup_{k \in \mathbb{Z}} \left| \frac{2^{\alpha k}}{|B(0,2^k)|} \int_{B(x,2^k)} f \, dy \right|.$$

For integrable φ and $t > 0$, let $\varphi_t(x) = t^{-n} \varphi(x/t)$. Assume, for simplicity, that φ is a positive Schwartz function and define the smooth fractional maximal function as

$$M_\alpha^\varphi f(x) = \sup_{t>0} t^\alpha |\varphi_t * f(x)|.$$

The smoothness requirement can be substantially relaxed, see §§ 3.3.

Corollary(1.1)[40]: Let $f \in \dot{BV}(\mathbb{R}^n)$ and suppose that $\alpha \in (0,1)$ and $n = 2 + \delta$, $\delta \in \mathbb{N}$. Then $M_\alpha \in \{M_\alpha^{lac}, M_\alpha^\varphi\}$, there exists a constant C only depending on dimension n , α and φ such that

$$\|\nabla M_\alpha f\|_{L^p(\mathbb{R}^{2+\delta})} \leq C \|f\|_{BV(\mathbb{R}^{2+\delta})}$$

for $p = 2 + \delta / (2 + \delta - \alpha)$

The proof of this corollary uses the g-function technique familiar from Stein's spherical maximal function theorem. The idea is to follow the scheme behind the short estimation (1.2). The Fourier transform is used to find a substitute for (1.1) at the level of Besov spaces, from which the conclusion then follows by a refined Gagliardo-Nirenberg-Sobolev type embedding theorem [10]. The last step requires $n > 1$ whereas the smoothness condition on the maximal operator is imposed by Fourier analysis. We stress that the right hand side of the conclusion is BV norm instead of the considerably larger homogeneous Hardy-Sobolev norm one might first expect. The detailed proof is given in §3, and all necessary definitions can be found in §2. To the best of our knowledge, Fourier transform techniques have not been exploited effectively in the study of endpoint regularity of maximal functions prior to this work.

The background of the question (1.2) goes back to Kinnunen's theorem [20, 21] asserting that the

Hardy-Littlewood maximal function is bounded in $W^{1,p}$ with $P > 1$. His result was later extended to $W^{1,1}$ in the form

$$\|\nabla Mf\|_{L^1(\mathbb{R}^{2+\delta})} \leq C\|\nabla f\|_{L^1(\mathbb{R}^{n+\delta})} \tag{1.3}$$

by Tanaka [38] when $n = 1$ and Luiro [27] when $n = 2 + \delta, \delta \in \mathbb{N}[40]$ and f is radial. Here M is the noncentred Hardy {Littlewood maximal function. The same inequality for M_0 (centred maximal function) was established by Kurka [23] when $n = 1$, and the question is open in dimensions $n = 2 + \delta, \delta \in \mathbb{N}[40]$. Kurka's theorem can be seen as the limiting case $\alpha = 0$ of (1.2).

In connection to (1.3), maximal functions with smooth convolution kernels are better understood than the Hardy-Littlewood maximal function. Inequality (1.3) can be proved with sharp constant for many smooth kernels [7, 9] whereas the best constant for centred Hardy-Littlewood maximal function is not known (for the noncentred maximal function [2] as well as for certain non-tangential maximal functions [31] the constant is one). Similarly, a Hardy-Sobolev bound corresponding to (1.3) is known for smooth maximal functions in all dimensions [30] whereas the progress for the standard maximal function is limited to the case of radial functions [27]. Finally, there are metric measure spaces where Kinnunen's theorem does not hold but suitable smoother maximal functions satisfy a Sobolev bound [1]. Theorem 3.1 can be seen as a part of this line of research attempting to understand (1.2) and (1.3) first in the case of smooth maximal functions.

David Beltran and Olli Saari studies the regularity of the spherical fractional maximal function

$$S_\alpha f(x) := \sup_{t>0} |t^\alpha \sigma_t * f(x)|, \tag{1.4}$$

where σ_t is the normalized surface measure of the sphere $\partial B(0,t)$. For $\alpha = 0$, one recovers the spherical maximal function of Stein [36] ($n \geq 3$) and Bourgain [5] $n = 2$. For $\alpha > 0, L^p \rightarrow L^q$ bounds for this operator follow from the work of Schlag [33] ($n = 2$) and Schlag and Sogge [34] ($n \geq 3$). It is natural to ask if the fractional spherical maximal function has regularizing properties similar to (1.1), [40]. The result of David Beltran and Olli Saari and our corollary in this direction is the following.

Corollary(1.2)[40]: Let $n = 5 + \delta, \delta \in \mathbb{N}, 5 + \delta/(3 + \delta) < \delta^2 + 4\delta + 5 \leq 2\delta^2 + 7\delta + 5 < \infty$ and

$$\alpha \left(\frac{\delta^2 + 4\delta + 5}{\delta + 3} \right) : \\ = \begin{cases} \frac{\delta^4 + 12\delta^3 + 51\delta^2 + 96\delta + 70}{\delta^3 + 8\delta^2 + 21\delta + 20} & \text{if } \frac{5 + \delta}{3 + \delta} < \frac{\delta^2 + 4\delta + 5}{\delta + 3} \leq \frac{\delta^2 + 10\delta + 26}{\delta^2 + 8\delta + 34} \\ \frac{\delta^2 + 7\delta + 12}{\delta^2 + 4\delta + 5} & \text{if } \frac{\delta^2 + 10\delta + 26}{\delta^2 + 8\delta + 34} < \frac{\delta^2 + 4\delta + 5}{\delta + 3} \leq \delta + 4. \end{cases}$$

Assume that

$$\frac{\delta+3}{2\delta^2+7\delta+5} = \frac{\delta+3}{\delta^2+4\delta+5} - \frac{\alpha-1}{5+\delta}, \quad 1 \leq \alpha < \alpha \left(\frac{2\delta^2+7\delta+5}{\delta+3} \right)$$

Then, for any $f \in L \left(\frac{2\delta^2+7\delta+5}{\delta+3} \right), S_\alpha f$ is weakly differentiable and

$$\|\nabla S_\alpha f\|_{L \left(\frac{2\delta^2+7\delta+5}{\delta+3} \right)} \lesssim \|f\|_{L \left(\frac{\delta^2+4\delta+5}{\delta+3} \right)}.$$

The proof of this corollary is also based on the use of the Fourier transform. When $q \geq 2$, we

study $L^{\left(\frac{\delta^2+4\delta+5}{\delta+3}\right)} \rightarrow L^{\left(\frac{2\delta^2+7\delta+5}{\delta+3}\right)}$ [40] estimates for a maximal multiplier operator in analogy with the estimates in [33, 34, 25] for the spherical maximal function. Since Corollary(1.2) is a statement at the derivative level, the corresponding multiplier enjoys worse Fourier decay than $\widehat{\sigma}$. This forces us to study the behavior in $L^{\left(\frac{\delta^2+4\delta+5}{\delta+3}\right)}$ with large p more carefully than what is needed to understand $L^{\left(\frac{\delta^2+4\delta+5}{\delta+3}\right)}$ mapping properties of the spherical maximal function. We take advantage of the sharp local smoothing estimate for the wave equation in $L^{\delta+4}(\mathbb{R}^{\delta+5})$ which is available whenever $n = \delta + 5, \delta \in \mathbb{N}$ thanks to recent advances in decoupling theory (see [6, 14, 15, 24, 39] and [3, 19, 26, 29, 35] for more on decoupling and local smoothing estimates). We remark that results in $n = 4$ could be obtained upon further progress on local smoothing estimates.

2. Notation and Preliminaries

2.1. Notation. All function spaces are defined over, \mathbb{R}^n and it is written, for instance L^2 for $L^2(\mathbb{R})$. The letter C denotes a generic constant whose value may vary from line to line. Its dependency on other parameters will be clear from the context. The notation $A \lesssim B$ is used if $A \leq CB$ for such a constant C , and similarly $A \gtrsim B$ and $A \sim B$. The Fourier transform of a tempered distribution $f \in \mathcal{S}'$ is denoted by \widehat{f} or $\mathcal{F}(f)$ and its inverse Fourier transform by $f^{-1}(f)$ or f^\vee ; in particular for a Schwartz function $f \in \mathcal{S}$,

$$\widehat{f}(\xi) = \mathcal{F}f(\xi) = \int_{\mathbb{R}^n} e^{-2\pi i x \cdot \xi} f(x). dx.$$

Given any multi-index $r \in \mathbb{N}^n, \partial^r$ denotes

$$\partial^r f = \partial_{x_1}^{r_1} \dots \partial_{x_n}^{r_n} f.$$

For any $\alpha \in \mathbb{R}$, the notation $(-\nabla)^\alpha$ is taken to denote the operator associated to the Fourier multiplier $|\xi|^\alpha$.

2.2. Besov spaces and Littlewood-Paley pieces. Given a smooth function $\psi \in C_c^\infty$ supported in $\{\xi \in \mathbb{R}^n: 2^{-1} < |\xi| < 2\}$ and such that

$$\sum_{j \in \mathbb{Z}} \psi(2^{-j}\xi) = 1$$

for $\xi \neq 0$, let f_j denote the Littlewood-Paley piece of f at frequency 2^j , given by $\widehat{f}_j = \widehat{f} \psi(2^{-j}\xi)$

The Besov semi norm for $\dot{B}_{p,q}^s$ for $s \in \mathbb{R}$ and $p, q \in [1, \infty]$ is defined as

$$\|f\|_{\dot{B}_{p,q}^s} = \left(\sum_{j \in \mathbb{Z}} 2^{qjs} \|f_j\|_{L^p}^q \right)^{1/q};$$

the seminorms defined through different Littlewood-Paley functions ψ are comparable (see [4, Chapter 6] for further details).

2.3. BV space. A function f is said to have bounded variation, and denoted by $f \in \dot{BV}$, if its variation, defined by

$$|f|_{BV} := \left\{ \int_{\mathbb{R}^n} f \, diV(y); y \in C_c^1(\mathbb{R}^n, \mathbb{R}^n), \|y\|_\infty \leq 1 \right\},$$

is finite, where $g = (g_1, \dots, g_n)$ and the L^∞ norm is defined by

$$\|g\|_\infty = \left\| \left(\sum_{i=1}^n g_i^2 \right)^{1/2} \right\|_{L^\infty}$$

Note that if f belongs to space $W^{1,1}$, integration by parts allows one to identify

$$|f|_{BV} = \int_{\mathbb{R}^n} |\nabla f|.$$

See [13, Chapter 5] for more.

2.4. Finite differences. Denote

$$D^h f(x) = \frac{f(x+h) - f(x)}{|h|}.$$

Recall (see e.g [12, Chapter 5, §5.8, Theorem 3.3.1]) that if there is a finite constant A such that

$$\|D^h f\|_{L^p} \leq A$$

for all $h \in \mathbb{R}^n$, then the weak derivatives of f exist and

$$\|\nabla\|_{L^p} \leq CA$$

for a constant C only depending on the dimension n . If S is a sublinear operator that commutes with translations, then

$$|D^h S f| \leq |S D^h f|.$$

In particular, if S is a maximal function and f is a positive function, this allows us to reduce the question about differentiability to boundedness of a maximal multiplier for all Schwartz functions f .

3. Endpoint results

3.1. A model result. It is instructive to start first with a model case for corollary(1.1). This consists in the study of the single scale version of the (rough) fractional maximal function M_α , defined as

$$M_\alpha^* f = \sup_{1 \leq t \leq 2} \left| \frac{1}{|B(x,t)|} \int_{B(x,t)} f(y) dy \right|.$$

Corollary(3. 1): Let $\alpha = 1 - \delta$, $p = 2 + \delta/(2\delta + 1)$ and $n = 2 + \delta$, $\delta \in \mathbb{N}$. Then there is a constant C only depending on dimension $n = 1 + \delta$, $\delta \in \mathbb{N}$ and α such that for any $f \in \dot{B}_{2+\delta/(2\delta+1),1}^\delta$

$$\|M_{1-\delta}^* D^h f\|_{L^{2+\delta/(2\delta+1)}} \leq C \|f\|_{\dot{B}_{2+\delta/(2\delta+1),1}^\delta}$$

uniformly on $h \in \mathbb{R}^{2+\delta}$.

By the discussion in §§2.4, Corollary(3. 1) implies an $L^{2+\delta/(2\delta+1)}$ bound for the gradient of $M_{1-\delta}^*$. It will be shown in §§3.2 how the proof of the above estimate gives, Corollary(1. 1) for slightly smoother versions of the fractional maximal function, such as its lacunary version or maximal functions of convolution type with smooth kernels.

Proof. Write, for $f \in S$,

$$M_{1-\delta}^* (D^h f)(x) = \sup_{1 \leq t \leq 2} \left| \mathcal{F}^{-1} \left((t|\xi|)^{1-\delta} \widehat{1_{B(0,1)}}(t\xi) \mathcal{F}(T_h(-\Delta))^{\delta/2} f \right) \right|$$

where T_h is the operator defined by

$$\widehat{T_h g}(\xi) = \frac{e^{i\xi \cdot h - 1}}{|\xi||h|} \widehat{g}(\xi) =: a_h(\xi) \widehat{g}(\xi). \tag{3.1}$$

Observe that T_h is a bounded operator on $L^{2+\delta/(2\delta+1)}$ uniformly in $h \in \mathbb{R}^{\delta+2}$ for all $1 < 2 + \delta/(2\delta + 1) < \infty$ by the Mihlin-Hörmander multiplier theorem (see, for instance [11, Theorem 8.10]); it is clear that $|\partial^r a_h(\xi)| \lesssim |\xi|^{-|r|}$ for all multi-indexes $r \in \mathbb{N}_0^{\delta+2}$ with implicit constant independent of $h \in \mathbb{R}^{\delta+2}$. Thus, the operator T_h plays no role in determining the range of boundedness for $M_{1-\delta}^* D^h$.

Let $m(\xi) = |\xi|^\alpha \widehat{1_{B(0,1)}}(\xi)$ and $m_t(\xi) := m(t\xi)$ For all $t > 0$. For each $j \in \mathbb{Z}$, let $f_j = \psi_j * f$ denote the Littlewood-Paley piece of f around the frequency 2^j as in §2.2. Assume momentarily that the following holds.

Corollary(3.2)[40]: Let $g \in S$. Then for $p = 2n/(n + 2\delta)$ and $\alpha = n/2 - \delta$, $\delta \in \mathbb{N}$

$$\| \sup_{1 < t < 2} |\mathcal{F}^{-1}(m_t \hat{g}_j)| \|_{L^{2n/(n+2\delta)}} \lesssim (2^{j(n/2-\delta)} 1_{\{j \leq 0\}} + 1_{\{j > 0\}}) \|g_j\|_{L^{2n/(n+2\delta)}}.$$

Then the proof may be concluded as follows. Decomposing the function f into frequency localised pieces f_j and applying Corollary(3.2) to the function $g = T_h(-\Delta)^{1/4(2-n+2\delta)} f$ one has

$$\begin{aligned} \| \sup_{1 < t < 2} |\mathcal{F}^{-1}(m_t \hat{g}_j)| \|_{L^{2n/(n+2\delta)}} &\leq \sum_{j \in \mathbb{Z}} \| \sup_{1 < t < 2} |\mathcal{F}^{-1}(m_t \hat{g}_j)| \|_{L^{2n/(n+2\delta)}} \\ &\lesssim \sum_{j \in \mathbb{Z}} (2^{j(n/2-\delta)} 1_{\{j \leq 0\}} + 1_{\{j > 0\}}) \|g_j\|_{L^{2n/(n+2\delta)}} \\ &\leq \sum_{j \in \mathbb{Z}} 2^{j^{1/2}(2-n+2\delta)} \|f_j\|_{L^{2n/(n+2\delta)}} \sim \|f\|_{\dot{B}_{2n/(n+2\delta),1}^{1/2(2-n+2\delta)}} \end{aligned} \quad (3.2)$$

where the last step follows from the $L^{2n/(n+2\delta)}$ boundedness of T_h and Young's convolution inequality.

Remark (3.3): By Bernstein's inequality, $2^{j^{1/2}(2-n+2\delta)} \|f_j\|_{L^{2n/(n+2\delta)}} \lesssim 2^j \|f_j\|_{L^1}$, so one may further bound $\|f\|_{\dot{B}_{2n/(n+2\delta),1}^{1/2(2-n+2\delta)}} \lesssim \|f\|_{\dot{B}_{1,1}^1}$, in (3.2).

It remains to prove Corollary(3.2). This is done by interpolating an L^2 bound with an $L^1 - L^{1,\infty}$ bound as in the proof of the spherical maximal function theorem that can be found in the textbooks, see [37, Chapter XI, §3.3] or [16, Chapter 5.5]. Writing

$$\mathcal{F}^{-1}(m_t \hat{g}_j) = t^{n/2-\delta} \mathcal{F}^{-1}(\widehat{1_{B(0,1)}}(t\xi) (|\xi|^{n/2-\delta} \hat{g}_j)),$$

it is clear that

$$\sup_{1 \leq t \leq 2} |\mathcal{F}^{-1}(m_t \hat{g}_j)| \lesssim \sup_{1 \leq t \leq 2} |t^{-n} 1_{B(0,t)} * ((-\Delta)^{1/2(n/2-\delta)} g)| \leq M((-\Delta)^{1/2(n/2-\delta)} g)$$

where M is the Hardy-Littlewood maximal function. Bounds on M and Young's convolution inequality then imply

Proposition(3.4): Let $g \in S$. Then

$$\| \sup_{1 \leq t \leq 2} |\mathcal{F}^{-1}(m_t \hat{g}_j)| \|_{L^{1,\infty}} \lesssim 2^{j\alpha} \|g_j\|_{L^1}$$

The L^2 estimate follows by estimating the Fourier decay of m after an application of a Sobolev embedding. This is the part of the proof that allows to take advantage of better symbols m later in §3.3 so we write the proof in detail.

Proposition(3.5): Let $g \in S$. Then

$$\| \sup_{1 \leq t \leq 2} |\mathcal{F}^{-1}(m_t \hat{g}_j)| \|_{L^2} \lesssim (2^{j\alpha} 1_{\{j \leq 0\}} + 2^{j\alpha(-\frac{n}{2}+\alpha)} 1_{\{j > 0\}}) \|g_j\|_{L^2}.$$

Proof. Let $\tilde{m}(\xi) = \xi \cdot \nabla m(\xi)$ and denote by T_m and $T_{\tilde{m}}$ the operators associated to the multipliers m and \tilde{m} . By the fundamental theorem of calculus,

$$\sup_{1 \leq t \leq 2} |m_{mt} g_j| \leq |m_{mt} g_j| + 2 \left(\int_1^2 |T_{mt} g_j| |T_{\tilde{m}t} g_j| \frac{dt}{t} \right)^{1/2}$$

$$\leq |m_m g_j| + 2 \left(\int_1^2 |T_{mt} g_j| 2 \frac{dt}{t} \right)^{1/4} \left(\int_1^2 |T_{\tilde{m}t} g_j| 2 \frac{dt}{t} \right)^{1/4} \quad (3.3)$$

Taking L^2 -norm in the above expression, an application of the Cauchy-Schwarz inequality and Fubini's theorem reduces the problem to compute the L^∞ norm of $m\psi_j$ and $\tilde{m}\psi_j$.

Recall that $1_{B(0,1)}(\xi) = |2\pi\xi|^{-n/2} J_{n/2}(2\pi|\xi|)$, where $J_{n/2}$ denotes the Bessel function of order $n/2$, and

$$J_{n/2}(r) \lesssim r^{n/2} 1_{\{r \leq 1\}} + r^{-1/2} 1_{\{r > 1\}};$$

see, for instance, [16, Appendix B] for further details. This immediately yields

$$\|m\psi_j\|_{L^\infty} \lesssim 2^{j\alpha} 1_{\{r \leq 0\}} + 2^{j(-\frac{n+1}{2} + \alpha)} 1_{\{j > 0\}}. \quad (3.4)$$

Concerning \tilde{m} , the relation

$$\frac{d}{dr} [r^{-n/2} J_{n/2}(r)] = -r^{-n/2} J_{n/2+1}$$

and a similar analysis to the one carried above leads to

$$\|\tilde{m}\psi_j\|_{L^\infty} \lesssim 2^{j\alpha} 1_{\{r \leq 0\}} + 2^{j(-\frac{n-1}{2} + \alpha)} 1_{\{j > 0\}}.$$

Putting both estimates together in (3.3) concludes the proof corollary(3.2) now follows by interpolation, and the proof of the model case is complete.

3.2. Extension to the full supremum. From now on, we redefine m to be Fourier transform of an integrable function smoother than $1_{B(0,1)}$. Momentarily assume m satisfies

$$\| \sup_{1 \leq t \leq 2} |(m_t \hat{g}_j)^V| \|_{L^p} \lesssim (2^{j\alpha} 1_{\{j \leq 0\}} + 2^{-j\epsilon} 1_{\{j > 0\}}) \|g_j\|_{L^p}, \quad (3.5)$$

which we next show to be enough to conclude a bound as in corollary(1.1). The proof of (3.5) is postponed to §§3.3.

Inequality (3.5) rescales as

$$\| \sup_{2^{-k} \leq t \leq 2^{-k+1}} |(m_t \hat{g}_{j+k})^V| \|_{L^p} \lesssim (2^{j\alpha} 1_{\{j \leq 0\}} + 2^{-j\epsilon} 1_{\{j > 0\}}) \|g_{j+k}\|_{L^p}, \quad (3.6)$$

In order to use this bound, break the full supremum over all possible scales and use the embedding $\ell^p \subseteq \ell^\infty$,

$$\sup_{t < 0} |(m_t \hat{g})^V| = \sup_{k \in \mathbb{Z}} \sup_{2^{-k} \leq t \leq 2^{-k+1}} |(m_t \hat{g})^V| \leq \left(\sum_{k \in \mathbb{Z}} \sup_{2^{-k} \leq t \leq 2^{-k+1}} |(m_t \hat{g})^V|^p \right)^{1/p}$$

Taking L^p norm and using (3.10), we see

$$\| \sup_{t > 0} |(m_t \hat{g})^V| \|_{L^p} \lesssim \sum_{j \in \mathbb{Z}} (2^{j\alpha} 1_{\{j \leq 0\}} + 2^{-j\epsilon} 1_{\{j > 0\}}) \left(\sum_{k \in \mathbb{Z}} \|g_j + k\|_{L^p}^p \right)^{1/p}$$

Using the geometric decay to sum in $j \in \mathbb{Z}$ and recalling

$$\|g_{j+k}\|_{L^p} = \|(-\Delta)^{(1-\alpha)/2} f_{j+k}\|_{L^p} \lesssim 2^{(j+k)(1-\alpha)} \|f_{j+k}\|_{L^p}$$

we obtain

$$\left(\sum_{k \in \mathbb{Z}} \|g_j + k\|_{L^p}^p \right)^{1/p} \lesssim \|f\|_{\dot{B}_{p,p}^{1-\alpha}}$$

We then claim

$$\|f\|_{\dot{B}_{p,p}^{1-\alpha}} \lesssim |f|_{BV} \tag{3.7}$$

for $n > 1$ and $0 < \alpha < n/2$. This will follow from a Gagliardo-Nirenberg-Sobolev type inequality.

Corollary(3.6)[40]: ([10]). Assume $\gamma = 1 + \delta_1$ or $\gamma = 1 - \delta_1 - 1/n$, $\delta_1 > 0$ and let $(s; q)$ satisfy $(s - 1)q'/n = \gamma - 1$ for some $q = 1 + \delta_2$, $\delta_2 > 0$ where $q' = 1 + \delta_2/\delta_2$. Then, for any $\theta = 1 - \delta_2$,

$$\|f\|_{\dot{B}_{(1+\delta_2)/(1+\delta_2-\delta_2^2), (1+\delta_2)/(1+\delta_2-\delta_2^2)}^t} \lesssim \|f\|_{\dot{B}_{1+\delta_2, 1+\delta_2}^{(1-\delta_3)/(1+\delta_3)}} |f|_{BV}^{(2\delta_3)/(1+\delta_3)}$$

where $p = (1 + \delta_2)/(1 + \delta_2 - \delta_2^2)$ and $t = \delta_2(s - 1) + 1$.

Indeed, taking $\gamma = 0, s = 1/2(1 + \delta_3)$ and $\theta = 2\delta_3/1 + \delta_3$, which are admissible for $n = 1 + \delta_3$ and $\alpha = 1/2(1 - \delta_3)$, $\delta_3 > 0$ one has

$$\|f\|_{\dot{B}_{(1+\delta_2)/(1+\delta_2-\delta_2^2), (1+\delta_2)/(1+\delta_2-\delta_2^2)}^{1/2(1+\delta_3)}} \lesssim \|f\|_{\dot{B}_{2,2}^{(1-\delta_3)/(1+\delta_3)}} |f|_{BV}^{2\delta_3/1+\delta_3}$$

Applying Bernstein's and Minkowski's inequalities as well as Littlewood-Paley theory, we see

$$\begin{aligned} \|f\|_{\dot{B}_{2,2}^{1/2(1+\delta_3)}} &\sim \left(\sum_{j \in \mathbb{Z}} 2^{2j(1/2(1+\delta_3))} \|f_j\|_{L^2}^2 \right)^{1/2} \lesssim \left(\sum_{j \in \mathbb{Z}} 2^{2j(1/2(1+\delta_3))} 2^{2j1/2(\delta_3-1)} \|f_j\|_{L^{(1+\delta_3)/\delta_3}}^2 \right)^{1/2} \\ &= \left(\sum_{j \in \mathbb{Z}} \|f_j\|_{L^{(1+\delta_3)/\delta_3}}^2 \right)^{1/2} \leq \left\| \left(\sum_{j \in \mathbb{Z}} |f_j|^2 \right)^{1/2} \right\|_{L^{(1+\delta_3)/\delta_3}} \sim \|f\|_{L^{(1+\delta_3)/\delta_3}}. \end{aligned}$$

Inequality (3.7) then follows from the Gagliardo-Nirenberg-Sobolev inequality [13, Theorem 5.6.1. (i)], and we conclude

$$\|sup_{1 \leq t \leq 2} |\mathcal{F}^{-1}(mt\hat{g})|\|_{L^{(1+\delta_2)/(1+\delta_2-\delta_2^2)}} \lesssim \|f\|_{L^{(1+\delta_3)/\delta_3}}^{(1-\delta_3)/(1+\delta_3)} |f|_{BV}^{(2\delta_3)/(1+\delta_3)} \lesssim |f|_{BV}.$$

Thus it suffices to verify (3.5). This is done separately in the cases when m comes from a smooth kernel and when the maximal function is lacunary.

3.3. Smooth kernel. Define the smooth fractional maximal function as follows. Let $\epsilon > 0$. Let φ be a positive function with radial L^1 -majorant such that $\hat{\varphi}(\xi) \lesssim \varphi |\xi|^{-n/2-\epsilon}$ whenever $|\xi| > 1$ and. For instance, any positive Schwartz function or even

$$\varphi(x) = (1 - |x|^2)_+^\epsilon$$

with $\epsilon > 0$ will do (see Appendix B.5 in [16]). The subscript denotes the positive part as $f_+ = f \cdot 1_{\{f>0\}}$. Now we want to analyse M_α^φ as defined in the introduction. A repetition of the proof of Proposition (3.5) gives the L^2 bound

$$\|sup_{1 \leq t \leq 2} |\mathcal{F}^{-1}(t|\xi|^\alpha \hat{\varphi}(t\xi) \hat{g}_j)|\|_{L^2} \lesssim \left(1_{\{j \leq 0\}} 2^{j\alpha} + 1_{\{j > 0\}} 2^{j(-\frac{n}{2} + \alpha - \epsilon)} \right) \|g_j\|_{L^2}.$$

The ϵ -decay gain in the above estimate continues to hold on $L^{n/(n-\alpha)}$, so the extra decay assumption (3.5) is satisfied for smooth convolution kernels. By §3.2, Theorem (1.1) holds in this case.

3.4. Lacunary set of radii. Similarly, there is a gain in the L^2 estimate when we study the lacunary fractional maximal function. Now $m(\xi) = |\xi|^\alpha 1_{\widehat{B(0,1)}}(\xi)$ and

$$c_n M_\alpha^{lac} f(x) = sup_{k \in \mathbb{Z}} \left| 2^{k\alpha - nk} \int_{B(x, 2^k)} f(y) dy \right| \leq \left(\sum_{k \in \mathbb{Z}} \left| 2^{k\alpha - nk} \int_{B(x, 2^k)} f(y) dy \right|^p \right)^{1/p}$$

so that it suffices to use a bound for a single dilate (3.4) and replace the Proposition (3.5) by

$$\|\mathcal{F}^{-1}(m\hat{g}_j)\|_{L^2} \lesssim (2^{j\alpha}1_{\{j \leq 0\}} + 2^{j(-\frac{n+1}{2}+\alpha)}1_{\{j > 0\}})\|g_j\|_{L^2},$$

which has an extra 1/2-decay compared to Proposition(3.5). After interpolation, this leads to an ϵ - decay gain in the $L^{n/(n-\alpha)}$ estimate so that (3.5) (without supremum) and Theorem(1.1) for lacunary set of radii follow.

4. Proof of Corollary(1.2)

Recall the definition (1.4). By the characterization through finite differences described in §2, the sublinearity of $S_{1-\delta}$ and by density, it suffices to prove

$$\|S_{1-\delta}D^h f\|_{L^{(2\delta^2+7\delta+5)/(\delta+3)}} \lesssim \|f\|_{L^{(\delta^2+4\delta+5)/(\delta+3)}}$$

for all Schwartz functions f uniformly in $h \in \mathbb{R}^{(\delta+5)}$.

Observe that by means of Fourier transform,

$$S_{1-\delta}D^h(x) = \sup_{t>0} |\mathcal{F}^{-1}(t^{1-\delta})|\xi|\hat{\sigma}(t\xi)\mathcal{F}(T_h f)(x)|, \tag{4.1}$$

where T_h is the Fourier multiplier operator (3.1). As described in §3.1, T_h is bounded on $L^{1+\delta}$ for all $p = 1 + \delta, \delta > 0$ uniformly in $h \in \mathbb{R}^{(\delta+5)}$ by the Mihlin-Hörmander multiplier theorem, so it plays no role in determining the boundedness range for $S_{1-\delta}D^h f(x)$; for this reason, $T_h f$ is identified with f in the rest of this section.

4.1. The case $q = 2 + \delta, \delta \geq 0$ It is enough to consider the single scale version of the maximal function in (4.1): suppose we can prove

$$\|\sup_{1 \leq t \leq 2} |\mathcal{F}^{-1}(t^{1-\delta})|\xi|\hat{\sigma}(t\xi)\hat{f}_j|\|_{L^{2+\delta}} \lesssim 2^{js_1}1_{\{j \leq 0\}} + 2^{-js_2}1_{\{j > 0\}}\|f_j\|_{L^{(\delta^2+4\delta+5)/(\delta+3)}} \tag{4.2}$$

For $s_1, s_2 > 0$. Then rescaling gives

$$\|\sup_{2^{-k} \leq t \leq 2^{-k+1}} |\mathcal{F}^{-1}(t^{1-\delta})|\xi|\hat{\sigma}(t\xi)\hat{f}_{j+k}|\|_{L^{2+\delta}} \lesssim 2^{js_1}1_{\{j \leq 0\}} + 2^{-js_2}1_{\{j > 0\}}\|f_{j+k}\|_{L^{(\delta^2+4\delta+5)/(\delta+3)}}$$

under the relation $\frac{1}{q} = \frac{1}{p} - \frac{\alpha-1}{n}$, and arguing as in §3.2

$$\|\sup_{t>0} |\mathcal{F}^{-1}(t^{1-\delta})|\xi|\hat{\sigma}(t\xi)\hat{f}|\|_{L^{2+\delta}} \lesssim \sum_{j \in \mathbb{Z}} (2^{js_1}1_{\{j \leq 0\}} + 2^{-js_2}1_{\{j > 0\}}) \left(\sum_{k \in \mathbb{Z}} \|f_{j+k}\|_{L^p}^{2+\delta} \right)^{1/2+\delta} \lesssim \|f\|_{L^{(\delta^2+4\delta+5)/(\delta+3)}}$$

where the last inequality follows from Minkowski's inequality ($q \geq p$); controlling $l^{2+\delta}$ norm by l^2 norm, and applying Littlewood-Paley theory to see the inner sum as $l^{(\delta^2+4\delta+5)/(\delta+3)}$ norm of f . The sum in j converges as $s_1; s_2 > 0$. Hence it suffices to prove (4.2).

For low frequencies $j \leq 0$, we can use domination by the Hardy-Littlewood maximal function, Young's convolution inequality and Bernstein's inequality to see

$$\|\sup_{1 \leq t \leq 2} |\mathcal{F}^{-1}(t^{1-\delta})|\xi|\hat{\sigma}(t\xi)\hat{f}_j|\|_{L^{2+\delta}} \lesssim \|M(-\Delta)^{1/2} f_j\|_{L^{2+\delta}} \lesssim 2^{j(2-\delta)} \|f_j\|_{L^{(\delta^2+4\delta+5)/(\delta+3)}}$$

Hence it suffices to prove (4.2) for $j > 0$.

4.2. A local smoothing estimate.

The Fourier transform of the spherical measure is

$$\hat{\sigma}(\xi) = 2\pi|\xi|^{-\frac{\delta+3}{2}} J_{\frac{\delta+3}{2}}(2\pi|\xi|) = \sum_{\pm} a_{\pm}(\xi) e^{\pm 2\pi i|\xi|}$$

Where the symbols a_{\pm} are in the class $s^{-(\delta+4)/2}$, that is

$$\left| \partial_{\xi}^{\gamma} a_{\pm}(\xi) \right| \lesssim (1 + |\xi|)^{-\frac{\delta+3}{2} - |\gamma|}$$

For all multi indices $\gamma \in \mathbb{N}_0^{\delta+5}$ (c.f.[37,chapter VIII]). hence

$$\mathcal{F}^{-1}(\hat{\sigma}(t\xi)\hat{f}) = \sum_{\pm} \int_{\mathbb{R}^{\delta+3}} e^{2\pi i(\xi \cdot x \pm |\xi|t)} a_{\pm}(t\xi)\hat{f}(\xi),$$

so that the connection to half-wave propagator $e^{it\sqrt{-\Delta}}f(x) := \int_{\mathbb{R}^{\delta+3}} e^{i \cdot x \cdot \xi} e^{it|\xi|\hat{f}(\xi)}d\xi$ is evident .we will quote the following result:

Corollary(4.1)[40]: (Consequence of [6]).For $n = 2 + \delta, \delta \in \mathbb{N}, s \in \mathbb{R}$,

$$\left(\int_1^2 \left\| e^{it\sqrt{-\Delta}}f \right\|_{L_{s-s(\delta^2+3\delta+6)/(1+\delta)}^{(\delta^2+3\delta+6)/(1+\delta)}(\mathbb{R}^{2+\delta})} dt \right)^{1/p} \lesssim \|f\|_{L_s^{(\delta^2+3\delta+6)/(1+\delta)}(\mathbb{R}^{2+\delta})}$$

holds for $\theta = (1 - \delta^3 - 3\delta^2 - 5\delta)/(\delta^2 + 3\delta + 6), \delta \in \mathbb{N}$, and $s_{(\delta^2+3\delta+6)/(1+\delta)} = (1 + \delta) \left(\frac{1}{2} - \frac{(\delta^2+3\delta+6)}{(1+\delta)} \right)$ whenever $p = \frac{(\delta^2+3\delta+6)}{(1+\delta)}$.

This can be found as Corollary(1.3) (i) in [14] knowing that the conjectured value of p_d in Table 1 of that paper has later been verified by [6].

Proposition (4.2): Let g be a Schwartz function and $j > 0$. For any $\epsilon > 0$

$$\left\| \sup_{1 \leq t \leq 2} |\sigma_t * g_j| \right\|_{L^{n-1}} \lesssim 2^{j(\epsilon-1)} \|g_j\|_{L^{n-1}}$$

Proof. For $j > 0$ and a smooth bump x around $[1, 2]$, we have

$$\begin{aligned} \left\| \sup_{1 \leq t \leq 2} |\sigma_t * g_j| \right\|_{L^{n-1}} &\lesssim \left\| (1 + \sqrt{-\partial_t^2})^r x \cdot \sigma_t * g_j \right\|_{L^{n-1}(\mathbb{R}^{n+1})} \\ &\lesssim 2^{j(r+s_{p-\theta} - \frac{n-1}{2} + \epsilon)} \|g_j\|_{L^{n-1}(\mathbb{R}^n)} \end{aligned}$$

where we used Sobolev embedding with $r > 1/(n - 1)$, Corollary(4.1) with $p = n - 1$ as well as Young's convolution inequality. Simplifying the exponent in accordance with Corollary(4.1), we obtain the claim.

4.3. $L^p \rightarrow L^q$ estimates. To finish the proof of (4.2), we prove $L^p \rightarrow L^q$ estimates following the interpolation scheme of Lee [25] enhanced with the sharp local smoothing estimate. Denote

$$S_j^* f(x) := \sup_{1 \leq t \leq 2} \left| \mathcal{F}^{-1} \left(\hat{\sigma}(t\xi) |\xi| \hat{f}_j(\xi) \right) (x) \right|$$

where $\hat{f}_j = \hat{f}\psi_j$ still stands for Fourier localization at the level of a Littlewood-Paley piece of frequency 2^j .

Proposition (4.3): Let P be the open convex polygon with vertices

$$A = \left(\frac{n-2}{n} - \frac{2}{n} \right), \quad B = \left(\frac{n^2 - 2n - 1}{n^2 + 1}, \frac{2(n-1)}{n^2 + 1} \right)$$

$$C = \left(\frac{1}{n-1}, \frac{1}{n-1} \right), \quad D = \left(\frac{n-2}{n}, \frac{n-2}{n} \right)$$

Then

$$\|S_j^* f\|_{L^q} \lesssim 2^{-\varepsilon j} \|f_j\|_{L^p}$$

for some $\varepsilon > 0$ and all $j > 0$ provided that $(1/p, 1/q) \in P$.

Proof. Since $\text{supp } \hat{\sigma}_j(t\xi) \subset \{|\xi| \sim 2^j\}$, we can assume that $b \hat{f}$ is supported in an annulus around $|\xi| = 2^j$. We use the following bounds:

$$\begin{aligned} \|S_j^* f\|_{L^1} &\lesssim 2^{2j} \|f_j\|_{L^1} \\ \|S_j^* f\|_{L^\infty} &\lesssim 2^{2j} \|f_j\|_{L^1} \\ \|S_j^* f\|_{L^{n-1}} &\lesssim 2^{2j} \|f_j\|_{L^{n-1}} \text{ for all } \delta > 0 \\ \|S_j^* f\|_{L^2} &\lesssim 2^{\frac{n-4}{2}j} \|f_j\|_{L^2} \\ \|S_j^* f\|_{L^{\frac{2(n+1)}{n-1}}} &\lesssim 2^{-j \frac{n^2-4n-3}{2n+2}} \|f_j\|_{L^2}. \end{aligned} \tag{4.3}$$

To verify (4.3), use Proposition(4.2) as well as Young's convolution inequality to obtain

$$\|S_j^* f\|_{L^{n-1}} \lesssim 2^{-j(1-\delta)} \|(-\Delta)^{1/2} f\|_{L^{n-1}} \lesssim 2^{j\delta} \|f_j\|_{L^{n-1}}.$$

The other inequalities follow similarly, that is, by borrowing the corresponding bounds for the spherical maximal function (inequalities (1.7) - (1.10) in [25]), and applying Young's convolution inequality. Interpolating the bounds above, we obtain the claimed proposition

For each $p > 1$, we want to find the values of α such that $(1/p; 1/q) \in P$ when $(\alpha - 1)/n = 1/p - 1/q$ and $q \geq 2$. When $q \geq 2$ is assumed, this happens when

$$\frac{n}{n-2} < p \leq \frac{n^2+1}{n^2-2n-1}, \quad \alpha < \frac{n^2-2n-1}{n-1} - \frac{2n}{p(n-1)}$$

or

$$\frac{n^2+1}{n^2-2n-1} < p \leq n-1, \quad \alpha \frac{n-1}{p}.$$

This concludes the proof for the case $q \geq 2$. Notice that the restriction $q \geq 2$ is not dictated by validity of $L^p \rightarrow L^q$ estimates but it was required in order to upgrade the single scale bounds to bounds for the full maximal operator in §4.1.

4.4. The case $q \leq 2$. Next we remove the assumption $q > 2$. Let

$$T^* f(x) = \sup_{t>0} \left| \mathcal{F}^{-1} \left((t|\xi|)^\alpha \hat{\sigma}(t\xi) \hat{f}(\xi) \right) (x) \right|.$$

The operator S_α in (4.1) can be written

$$S_\alpha = T^* I_{\alpha-1} T_h f$$

where $\widehat{I_{\alpha-1} f} = |\xi|^{1-\alpha} \hat{f}$ is the Riesz potential of order $\alpha - 1$ and T_h are as in (3.1). As discussed in §3.1, T_h are bounded in L^p for all $p > 1$. Also, by the Hardy-Littlewood-Sobolev inequality $I_\alpha - 1$

is bounded $L^p \rightarrow L^q$; for p, q obeying $\frac{\alpha-1}{n} = \frac{1}{p} - \frac{1}{q}$. Therefore, it is enough to analyse the operator T^* .

Let $m(\xi) = |\xi|^\alpha \hat{\sigma}(\xi)$ and take a Littlewood-Paley function ψ (as in §2). We define $m_1 = \sum_{j>0} \psi_j m$ and $m_0 = \sum_{j \leq 0} \psi_j m$ Take T_j^* to be as T^* but m replaced by m_j . Then

$$T^*f \leq T_0^* + T_1^*f.$$

We first bound T_0^* . A straightforward computation shows that m_0 is bounded and for any multi-index $\beta \in \mathbb{N}^n$ with $|\beta| = k, k \leq n + 1$

$$\left| \partial_\xi^\beta m_0(\xi) \right| \lesssim |\xi|^{\alpha-k}$$

so that

$$\|(1 + |\cdot|)^{n+1} \mathcal{F}^{-1}(m_0)\|_{L^\infty} \lesssim 1$$

(because $\alpha > 1$). Consequently

$$T_0^*f \lesssim Mf$$

and boundedness in any L^p with $p > 1$ follows from that of the Hardy-Littlewood maximal function.

To bound T_1^* , we use a part of Theorem B from [32]:

Theorem (4.4): (Rubio de Francia [32]). Let m be a function in $C^{s+1}(R^n)$ for some integer $s > n/2$ such that $|D^\alpha m(\xi)| \lesssim |\xi|^{-a}$ for all $|\alpha| \leq s + 1$. Suppose also that $a > \frac{1}{2}$: Then the maximal multiplier operator $T^*f := \sup_{t>0} |\mathcal{F}^{-1}(m(t \cdot) \hat{f})|$ is bounded in L^r , for

$$\frac{2n}{2n+2n-1} < r \leq 2$$

Since $\sum_{j<0} \psi_j m$ is smooth and satis $|D^\alpha m(\xi)| \lesssim |\xi|^{-a}$, for all $|\alpha| \leq s + 1$

with $a = \frac{n-1}{2} - \alpha$, we can apply the theorem to conclude the proof whenever

$$\frac{2n}{2n-2-2\alpha} < q \leq 2, \quad a > \frac{1}{2}$$

which is equivalent to $p > \frac{n}{n-2}$ and $\alpha < \frac{n-2}{2}$. However, given $p > \frac{n}{n-2}$, the condition $\alpha > \frac{n}{n-2}$ is automatically satisfied whenever $q \leq 2$. Hence $\alpha < \alpha(p)$ is an active constraint only when $q > 2$.

References

- [1] D. Aalto and J. Kinnunen. The discrete maximal operator in metric spaces. J. Anal. Math., 111(1):369{390, 2010.
- [2] J. M. Aldaz and J. P_erez L_azaro. Functions of bounded variation, the derivative of the one dimensional maximal function, and applications to inequalities. Trans. Amer. Math. Soc., 359(5):2443{2461, 2007.
- [3] D. Beltran, J. Hickman, and C. D. Sogge. Wol_-type inequalities and sharp local smoothing estimates for wave equations on manifolds. arxiv.org/abs/1801.06910 (2018).
- [4] J. Bergh and J. L_öfström. Interpolation spaces. An introduction. Springer-Verlag, Berlin-New York, 1976. Grundlehren der Mathematischen W issenschaften, No. 223.
- [5] J. Bourgain. Averages in the plane over convex curves and maximal operators. J. Analyse Math.,

47:69{85, 1986.

- [6] J. Bourgain and C. Demeter. The proof of the 12 decoupling conjecture. *Ann. of Math. (2)*, 182(1):351{389, 2015.
- [7] E. Carneiro, R. Finner, and M. Sousa. On the variation of maximal operators of convolution type ii. To appear in *Rev. Mat. Iber.*, arxiv.org/abs/1512.02715 (2015).
- [8] E. Carneiro and J. Madrid. Derivative bounds for fractional maximal functions. *Trans. Amer. Math. Soc.*, 369(6):4063{4092, 2017.
- [9] E. Carneiro and B. F. Svaiter. On the variation of maximal operators of convolution type. *J. Funct. Anal.*, 265(5):837{865, 2013.
- [10] A. Cohen, W. Dahmen, I. Daubechies, and R. DeVore. Harmonic analysis of the space BV. *Rev. Mat. Iberoamericana*, 19(1):235{263, 2003.
- [11] J. Duoandikoetxea. Fourier analysis, volume 29 of Graduate Studies in Mathematics. American Mathematical Society, Providence, RI, 2001. Translated and revised from the 1995 Spanish original by David Cruz-Urbe.
- [12] L. C. Evans. Partial differential equations, volume 19 of Graduate Studies in Mathematics. American Mathematical Society, Providence, RI, second edition, 2010.
- [13] L. C. Evans and R. F. Gariepy. Measure theory and μ -properties of functions. Studies in Advanced Mathematics. CRC Press, Boca Raton, FL, 1992.
- [14] G. Garrigós and A. Seeger. On plate decompositions of cone multipliers. *Proc. Edinb. Math.Soc. (2)*, 52(3):631{651, 2009.
- [15] G. Garrigós and A. Seeger. A mixed norm variant of Wolff's inequality for paraboloids. In Harmonic analysis and partial differential equations, volume 505 of *Contemp. Math.*, pages 179{197. Amer. Math. Soc., Providence, RI, 2010.
- [16] L. Grafakos. Classical Fourier analysis, volume 249 of Graduate Texts in Mathematics. Springer, New York, third edition, 2014.
- [17] T. Heikkinen, J. Kinnunen, J. Korvenpää, and H. Tuominen. Regularity of the local fractional maximal function. *Arkiv för Matematik*, 53(1):127{154, 2015.
- [18] T. Heikkinen, J. Kinnunen, J. Nuutinen, and H. Tuominen. Mapping properties of the discrete fractional maximal function in metric measure spaces. *Kyoto J. Math.*, 53(3):693{712, 2013.
- [19] Y. Heo, F. Nazarov, and A. Seeger. Radial Fourier multipliers in high dimensions. *Acta Math.*, 206(1):55{92, 2011.
- [20] J. Kinnunen. The Hardy-Littlewood maximal function of a Sobolev function. *Israel J. Math.*, 100:117{124, 1997.
- [21] J. Kinnunen and P. Lindqvist. The derivative of the maximal function. *J. reine angew. Math.*, 503:161{167, 1998.
- [22] J. Kinnunen and E. Saksman. Regularity of the fractional maximal function. *Bull. London Math. Soc.*, 35(4):529{535, 2003.
- [23] O. Kurka. On the variation of the Hardy-Littlewood maximal function. *Ann. Acad. Sci. Fenn.*

Math., 40(1):109{133, 2015.

- [24] I. Laba and T. Wolff. A local smoothing estimate in higher dimensions. *J. Anal. Math.*, 88:149{171, 2002.
- [25] S. Lee. Endpoint estimates for the circular maximal function. *Proc. Amer. Math. Soc.*, 131(5):1433{1442, 2003.
- [26] S. Lee and A. Seeger. Lebesgue space estimates for a class of Fourier integral operators associated with wave propagation. *Math. Nachr.*, 286(7):743{755, 2013.
- [27] H. Luiro. The variation of the maximal function of a radial function. arxiv.org/abs/1702.00669 (2017).
- [28] H. Luiro and J. Madrid. The variation of the fractional maximal function of a radial function. To appear in *Int. Math. Res. Not.*, arxiv.org/abs/1710.07233 (2017).
- [29] G. Mockenhaupt, A. Seeger, and C. D. Sogge. Wave front sets, local smoothing and Bourgain's circular maximal theorem. *Ann. of Math. (2)*, 136(1):207{218, 1992.
- [30] C. Pérez, T. Picon, O. Saari, and M. Sousa. Regularity of maximal functions on Hardy{Sobolev spaces. arxiv.org/abs/1711.01484 (2017).
- [31] J. P. Ramos. Sharp total variation results for maximal functions. arxiv.org/abs/1703.00362 (2017).
- [32] J. L. Rubio de Francia. Maximal functions and Fourier transforms. *Duke Math. J.*, 53(2):395{404, 1986.
- [33] W. Schlag. A generalization of Bourgain's circular maximal theorem. *J. Amer. Math. Soc.*, 10(1):103{122, 1997.
- [34] W. Schlag and C. D. Sogge. Local smoothing estimates related to the circular maximal theorem. *Math. Res. Lett.*, 4(1):1{15, 1997.
- [35] C. D. Sogge. Propagation of singularities and maximal functions in the plane. *Invent. Math.*, 104(2):349{376, 1991.
- [36] E. M. Stein. Maximal functions. I. Spherical means. *Proc. Nat. Acad. Sci. U.S.A.*, 73(7):2174{2175, 1976.
- [37] E. M. Stein. Harmonic analysis: real-variable methods, orthogonality, and oscillatory integrals, volume 43 of Princeton Mathematical Series. Princeton University Press, Princeton, NJ, 1993. With the assistance of Timothy S. Murphy, Monographs in Harmonic Analysis, III.
- [38] H. Tanaka. A remark on the derivative of the one-dimensional Hardy-Littlewood maximal function. *Bull. Austral. Math. Soc.*, 65(2):253{258, 2002.
- [39] T. Wolff. Local smoothing type estimates on L^p for large p . *Geom. Funct. Anal.*, 10(5):1237{1288, 2000.
- [40] David Beltran and Olli Saari, Regularity of fractional maximal functions through Fourier multipliers, Article in *Journal of Functional Analysis* · 1-13, March 2018.

عنوان البحث

التعليم الإلكتروني آفاق تطوره ،،، نحو نظام تعليمي جديد

الدكتور: بدوي الطاهر أحمد بدوي¹

¹ عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة البحر الأحمر - السودان

تاريخ النشر: 2020/12/01م

تاريخ القبول: 2020/11/25م

المستخلص

يرتبط التطور الحاصل في مجال تكنولوجيا المعلومات بالتغيرات الاجتماعية التي تؤدي لأنماط جديدة من التدريب والتعليم. تؤثر هذه التغيرات الكبيرة في الأنظمة التعليمية والتدريبية. يعتبر التعليم الإلكتروني من أكثر الأنماط تطوراً في مجال التربية والتعليم وبحسب معهد هامبيرش فان التعليم الإلكتروني على وشك الانفجار ومن المتوقع ان تزداد حاجة المتعلم للتعليم الإلكتروني. تتعلق مشكلة الدراسة الى التعرف الى أهمية التعليم الإلكتروني بمعاهد التعليم العام والعالى.....أهمية التحول للتعليم الإلكتروني بسبب الضغوط الاقتصادية لتقليل تكلفة التعليم التقليدي. كما تهدف الدراسة لمعرفة اساليب التعليم الإلكتروني واستخدامه. توصلت الدراسة بأن هناك عقبات تواجه تطبيق هذا النوع من التعليم وتحديات جمة إلا أن تخطيها ممكن وذلك بتهيئة المجتمع ومساهمة العاملين بالحقل التعليمي وتوفير البيئة المناسبة والتدريب المستمر لتعميم هذا النمط التعليمي

مقدمة :

إن التطورات الحادثة في مجال تقنية المعلومات ، مقرونة بالتغيرات الاجتماعية تضع أنماطاً جديدة للتربية والتدريب ، إذ تؤثر هذه التغيرات الضخمة بصورة متعاطمة في المنظومات التربوية والتدريبية ، ويحتاج المشاركون في هذه الأنماط بيئات تعليمية غنية ومدعمة بمصادر جيدة التصميم ، حيث يتوقع هؤلاء تلقى تعليم ساعة طلبهم إياه بصورة عالية الجودة في أي وقت وأي مكان يشاؤون وبخدمات داعمة جيدة ، ولكي تظل المؤسسات التي تقدم الخدمات التربوية والتدريبية قابلة للنمو في خضم السوق العالمية المنافسة ، فإن عليها أن تطور منظومات تعليمية ذات كفاءة عالية وميسرة وموزعة تكون معقولة التكلفة وفعالة لتتمكن من إحتياجات المجتمع ، وعليه فإن هناك طلباً متزايداً على بيئات تعليمية ميسرة وموزعة تكون معقولة التكلفة وكفاءة وسهلة المنال ومفتوحة ومرنة وجيدة التعليم وتنمحو حول الطالب ، وهناك توجه متزايد في المنطقة العربية للإستفادة من التعليم الإلكتروني من خلال تصميم المقررات الدراسية شكلياً وافتتاح الجامعات الإلكترونية والمفتوحة والتوصية بوضع المعايير الضابطة لهذا النوع من التعليم.

ويعد التعليم الإلكتروني السوق الواعدة المتزايدة نمواً في مجال التعليم التربوي ، وطبقاً لتقرير مؤسسة (هامبريش) فقد شارك التعليم الإلكتروني على الانفجار وتتوقع المؤسسة أن يتضاعف حجم سوقه أكثر من مرتين كل عام ابتداء من عام 2002م ، بقدوم طرق الإنترنت والتعليم الإلكتروني وتقنياتها تقوم مؤسسات الخدمات التربوية بمرحلتها التعليم العام والعالي والمؤسسات التدريبية بإنتاج مواد للتعليم الشبكي للإستجابة لهذا الطلب ، وأصبح التعليم بإستخدام الإنترنت مقبولاً أكثر في مواقع العمل ، وتطالب المؤسسات العديد من مدريسيها ومدريسيها تحويل مقرراتهم من الطريقة التقليدية للتدريس وجهاً لوجه إلي التعليم الإلكتروني ، ويواجه الأفراد المنخرطون في عملية تصميم التعليم الإلكتروني وتحويل المقررات من الطريقة التقليدية إلي بيئة التعليم الإلكتروني العديد من التحديات من قبيل : ما الذي يفنيه التعليم الإلكتروني ؟ وكيف يختلف عن الطريقة التقليدية ؟ وما الذي يصلح ، وما الذي لا يصلح للتعليم الإلكتروني ؟ وكيف يمكننا قياس نجاح التعليم الإلكتروني؟ وأن التعليم الإلكتروني يستخدم للتعبير عن هذا النوع عن طريق الإنترنت ، والتعليم بإستخدام الشبكة والتعليم الموزع المتقدم والتعليم المتنقل ، والتعليم المتجول والتعليم في أي زمان وأي مكان ، ويمكننا النظر إلي التعليم الإلكتروني على أساس أنه طريقة إبداعية لتقديم بيئة تفاعلية متركزة حول المتعلمين ومصممة مسبقاً بشكل جيد وميسرة لأي فرد وفي أي مكان ، وأي وقت بإستعمال خصائص ومصادر الإنترنت والتقنيات الرقمية بالتطابق مع مبادئ التصميم التعليمي المناسبة لبيئة التعليم المفتوحة والمرنة والموزعة ، ويثير التعريف المذكور سؤالاً حول الطريقة التي يمكن بها الاستفادة من الصفات التكنولوجية والمنهجية المختلفة للتعليم الإلكتروني لوضع مميزات التعليم المناسبة لكل شرائح المتعلمين في بيئة مفتوحة ومرنة وموزعة.

إنَّ استخدام التعليم الإلكتروني في مجال تدريس العلوم هو وسيلة المجتمع لإعداد المتعلمين للتكيف والتفاعل مع عالم المستقبل ، ويعد التعليم الإلكتروني في تدريس العلوم أحد الوسائل المهمة لتوفير بيئة تعليمية تفاعلية لجذب إهتمام الطلاب وحثهم على تبادل الآراء والخبرات ، حيث تعد المعلومات ممثلة في الحاسوب والإنترنت ، وما يلحق بهما من وسائط متعددة من أنجح الوسائل لتوفير هذه البيئة التعليمية الثرية.

مشكلة الدراسة:

تمر المؤسسات التعليمية في الوقت الحاضر في مرحلة تحول جذري يعود إلي الضغوط الاقتصادية والتكاليف الضخمة من جهة ، وإلي عالم الأعمال من جهة أخرى ، والاختلاف الكبير بين الطلاب الذين يختارون الحضور للجامعات أو التعليم عن بعد هو أيضاً من عوامل ذلك التحول ، وبالرغم من كل ذلك ما زالت الكليات تجذب أعداداً من الطلاب إلي مدرجاتها لتلقى التعليم.

أهمية الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلي معرفة أهم تعريف مفهوم التعليم الإلكتروني ، وكذلك خصائص المجتمع في عصر الفضاء المعلوماتي ، وإستخدام الوسائط المتعددة في التعليم.

ومن هنا يتم تناول هذه القضية المهمة من خلال المحاور التالية المتعلقة بإستخدام التعليم الإلكتروني في تدريس العلوم.

1. المحور الأول : مميزات الحاسوب وإمكاناته التعليمية.
2. المحور الثاني : التعليم الإلكتروني مكوناته وخصائصه ومعاييره وفوائده.
3. المحور الثالث : الوسائط المتعددة وإستخدامها في التعليم.
4. المحور الرابع : إستخدام الحاسوب في الجامعات السودانية (كليات الآداب)
5. الخاتمة.

المحور الأول

مميزات الحاسوب وإمكاناته التعليمية

أن مجال الحاسوب في التربية مجال واسع يحدث فيه التطور بخطوات هائلة ، حيث أن التطور في ميدان الحواسيب سريع ومذهل من الصعب ملاحقة الجديد فيه ، يرى كثير من التربويين أن أختراع الحاسوب كان وسيكون له تأثير كبير على النظم التربوية في العالم وأن الحاسوب وسيلة قوية لها مستقبل عظيم في تحسين العملية التربوية ، بل إنَّ إنتشار إستخدامه في التربية ، قد أحدث ثورة في تكنولوجيا التربية.

ومنذ أكثر من خمسة وعشرين عاماً أعتبر (الكسندر شور) أن الحاسوب أفضل الوسائل قدرة على حل المشكلات التي تواجه المدنية ، بل ومشكلات العالم أجمع ، وذلك فهو يعتبر جزءاً أساسياً في مجال التربية بكافة جوانبها ، وأن الحاسوب سيكون أفضل الوسائل قدرة على حل المشكلات التربوية المعاصرة.

ولقد بدأ الإستخدام الفعلي للحاسوب في التعليم مع بداية الستينات ، وبالتحديد في عام 1959م حيث قام كل من (راث واندرسون ووينيد) بإقتراح تطبيق إستخدام الحاسوب في تنفيذ المهام التعليمية ، وقاموا بالفعل ببرمجة عدد من المواد التعليمية ، وفي بداية السبعينات بدأ عدد من الجامعات الكبيرة في الولايات المتحدة الأمريكية والمؤسسات الطبية والصناعية والعسكرية في إستكشاف إمكانيات إستخدام الحاسوب في التعليم والتدريب ، وبعد حوالي خمس سنوات كان ما يقرب من أربعين مؤسسة تربوية في العالم تستخدم تكنولوجيا الحاسوب في عملية التعليم ، كما تم إنتاج ما يزيد من مئة منهج ميرمج (Course Ware) تم تقويمها بالفعل عن طريق الحاسوب.

في بداية عمل الحاسوب في التربية إستعان به المعلم في تحليل المعلومات الخاصة بطلابه ، حيث كان المعلم يقوم بتغذية الحاسوب ببعض المعلومات الخاصة عن طلابه ، ويحصل على نتائج أكثر فائدة تقيده في متابعة تعليمهم ، حيث كانت المعلومات يتم إدخالها في صورة بطاقات مثقبة وتخرج النتائج في صورة مطبوعة ، ثم تطور بعد ذلك حتى أصبح إستخدام الحاسوب في التربية يتضمن تفاعل المتعلم معه بمعنى أن يعرض الحاسوب المحتوى، ويتلقى إستجابة المتعلم ويعطيه تغذية راجعة عن هذه الإستجابة ، وبناء على ذلك يتم تغيير مسار الأحداث التعليمية ، وهو ما يحدث الآن¹.

➤ **إعتماد التعليم الإلكتروني على الحاسوب:** لا زال التعليم الإلكتروني المعتمد على الحاسوب أسلوباً مرادفاً للتعليم الأساسي التقليدي ، ويمكن إعتماده بصورة مكملية لأساليب التعليم المعهودة ، وبصورة عامة يمكننا تبني تقنيات وأساليب عديدة ضمن خطة تعليم وتدريب شاملة تعتمد على مجموعة من الأساليب والتقنيات ، ويتطلب التعليم الإلكتروني ناحية أساسية تبرر إعتماده والإستثمار فيه وهي الرؤية النافذة للإلتزام به على المدى البعيد ، وذلك لتجنب عقبات ومصاعب في تقنية المعلومات ، ومقاومة ونفور المتعلمين منه. إنَّ نجاح التعليم الإلكتروني يتوقف على تطوير وإنتقاء نظام تعليم الكتروني مناسب ، من حيث تلبية متطلبات التعليم كالتحديث المتواصل لمواكبة التطورات ومراعاة المعايير والضوابط في نظام التعليم المختار ليكفل مستوى وتطوير المتعلم ويحقق الغايات التعليمية والتربوية إذ أن تقنية المعلومات ليست هدفاً أو غاية بحد ذاتها بل هي وسيلة لتوصيل المعرفة وتحقيق الأغراض المعروفة من العملية بكل أوجهها والتي أصبحت تعتمد بشكل أو بآخر على تقنية المعلومات وطبيعتها المتغيرة بسرعة¹.

إنَّ الحاسوب ينوع عرض المعلومات ، ويمكن المتعلم من التفاعل المستمر ويعمل على نقل المتعلم من نجاح إلي نجاح ، وهذا ما يطمئن المتعلم أثناء التعليم والتقدم بالبرنامج وفيما يلي أهم مميزات الحاسوب في التعليم :-

1. الحاسوب وتضخم المواد التعليمية :

إنَّ التقدم في العلوم المختلفة أنتج ثروة كبيرة من المعلومات في كل مادة تعجز المجلدات عن إحتوائها ، ويعتبر الحاسوب أنسب وسيلة تستخدم لمراجعة هذه الظاهرة لما لها من قدرة كبيرة على تخزين المواد وإسترجاعها بشكل أنسب وأدق من المصادر والمراجع الورقية.

2. الحاسوب وعجز الوسائل التقليدية: -

من أبرز الوسائل التعليمية التقليدية إنتشاراً الكتاب ومهما إستثمر في الكتاب من جهد خلاف تبقى له حدود لا يمكن تجاوزها ، أما الحاسوب ففيه من الخصائص والحيوية ما يعطيه دوراً مميزاً عن بقية الوسائل التعليمية قاطبة.

3. الحاسوب المحاكاة :

تمثل برمجيات المحاكاة تكراراً لسلوك ظاهرة ما في الطبيعة بحيث يصعب أو يستحيل تنفيذها في حجرة الدراسة ، لهذا النمط من البرمجيات فوائد كثيرة.

4. الحاسوب والتعليم التفاعلي :

تعتمد معظم نظم التعليم الفعالة على التفاعل بين المتعلم والمعلم أو التفاعل بين المتعلم والحاسوب ، ويتطلب التفاعل إستقبال

¹ د. إبراهيم عبد الوكيل الغار ، إستخدام الحاسوب في التعليم ، ص، 17.

¹ د. فياض عبد الله - رجاء كاظم ، ص، 3.

المعلومات المعروضة وتسجيل إستجابة المتعلم ، ومن ثم إعطائه التغذية الراجعة ، أن خاصية التفاعل الإيجابي التي تتوفر في الحاسوب تميزه عن غيره من وسائل التعليم المختلفة ، وتجعله أفضل وسيلة تعليمية عرفها الإنسان حتى يومنا هذا.

5. الحاسوب وزيادة فاعلية التعليم:

ما يمتلكه الحاسوب من قدرة كبيرة على تخزين المعلومات وإسترجاعها والقدرة على المحاكاة والتفاعل الإيجابي ، وغير ذلك من شأنه أن يخلق بيئة مشوقة للتعليم والتعلم من جانب الطالب تقوده إلي إتقان ما تعلمه مما يزيد من فاعلية التعليم من حيث الفهم والإستيعاب والتحليل والتركيب ، وهذا من الأهداف العليا للتربية.

6. الحاسوب مصدر متميز من مصادر المعلومات:

لقد وصفت تكنولوجيا المعلومات وشبكات الإتصالات بأنها بداية ثورة جديدة في المجتمعات الإنسانية ، ووصف البعض هذه الثورة بأنها تعتبر أعظم إكتشاف حققه الإنسان منذ الثورة الصناعية ، فيتقدم الحاسوب وتكنولوجيا المعلومات والإتصالات فأصبح في مقدور الطلاب والمعلمين وأعضاء هيئة التدريس ، والقائمين على الإدارة المدربة الحصول بسهولة ، من الشبكات المحلية والعالمية على كافة الكتب والمراجع العلمية من مصادرها الأصلية سواء أكان بالحصول عليها مباشرة أو بالإستعارة أو بالشراء¹.

7. الحاسوب معيناً لدراسة المواد المختلفة:

يختص عنصر التفاعل الحقيقي بين المعلم والمتعلم في أغلبية طرائق التدريس والتعليم الراهنة ، وذلك لظروف كثيرة نعلمها جميعاً أهمها كثافة الحجات الدراسية إضافة إلي الفجوة الكائنة بين النظرية والتطبيق. إنَّ إستخدام الحاسوب في عملية التعليم والتعلم لمساعدة الطالب على تعلم المواد المختلفة بأنماط مختلفة في طليعة المصادر التعليمية القابلة للتطبيق لأن الحاسوب قادر على حل مثل هذه المشكلة ذات الأبعاد المتعددة ، وحتى يحقق الحاسوب الأهداف التربوية فلا بد من إعداد برمجيات تعليمية مرضية لتلك المواد وبأنماط مناسبة.

8. الحاسوب والتعليم عن بعد :

إن فكرة التدريس عن بعد ليست جديدة فقد بدأت منذ حوالي عقدين من الزمن ، وقد أستخدمت المواد التعليمية المطبوعة كوسيلة لذلك وتعتبر فكرة **الجامعة المفتوحة** التي بدأت في بريطانيا في 1969م من أقوى وسائل التدريس عن بعد ، وأخذت كثير من دول العالم تتبنى هذا الأسلوب في أيامنا هذه. وقد ساعدت فكرة **الجامعة المفتوحة (Open university)** الكثير من الراغبين في الحصول على الشهادة الجامعية دون الحاجة إلي الإنتظام في حضور المحاضرات ، وقد ساعد ظهور التلفاز الملون على تحسين هذه المواد من خلال الألوان والرسومات المختلفة ، ثم تطورت فكرة التدريس عن بعد حيث تم إستخدام ما يسمى بنظام المشاركة الزمنية من خلال ربط شاشة حاسوب المتعلم مع مركز معالجة البيانات الرئيسي عن طريق شبكة الإتصالات.

9. الحاسوب والبحوث التربوية:

يعد إستخدام الحاسوب لإغراض البحوث التربوية وتطوير المناهج المدرسية من التطبيقات المهمة والضرورية التي يجب

¹ د. إبراهيم عبد الوكيل الغار ، ص، 41.

تشجيعها ، ودعم القائمين عليها وأن إستخدامات الحاسوب في مجال البحث العلمي لم يقتصر على العلوم الأساسية بل تعداه إلى مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية والتربوية.

10. الحاسوب في خدمة المتعلم:

الغاية المنشودة من إدخال الحاسوب وتكنولوجيا المعلومات في مجال التعليم والتعلم هو جعل الحاسوب وسيلة طبيعية لتعلم ذاتنا دون وسيط ، ويحتاج ذلك إلى آلة ذكية تستطيع الحوار مع الإنسان بصورة شبة طبيعية ، ويستخدم الحاسوب كوسيلة لتدريب المتعلمين لإتقان المهارات التعليمية مثل : مهارات التمارين الحاسوبية والرياضية وتنمية حصيلة الطالب من المفردات اللغوية وإعراب الجمل ، وإنّ التعليم والتعلم عن طريق الحاسوب يهيئان للمتعم بيئة تعليمية نشطة وتفاعلية ، يتيح الحاسوب وتكنولوجيا المعلومات لمطوري المناهج مصادر المادة التعليمية خاصة ما ستجد منها ، وذلك عن طريق بنوك المعلومات وقواعد البيانات¹.

➤ **مجالات إستخدام الحاسوب في التعليم :** منذ أكثر من عشرين عاماً إدراك الكثيرون ما للحاسوب من إمكانات ضخمة لخدمة عمليتي التعليم والتعلم ، ومع التقدم الهائل في تقنية الحاسوب وتكنولوجيا المعلومات أصبح أكثر ملائمة للمطالب العديدة التي تفرضها صناعة وتنمية البشر مما أكثرها. في ما يأتي بعض الخدمات التي يمكن للحاسوب تقديمها في عدد من المجالات التربوية:-

1. الحاسوب في خدمة المتعلم:

الغاية المنشودة من إدخال وتكنولوجيا المعلومات في مجال التعليم والتعلم هو جعل الحاسوب وسيلة طبيعية للتعليم ذاتنا دون وسيط يحتاج ذلك إلى آلة ذكية تستطيع الحوار مع الإنسان بصورة شبة طبيعية ، ولاشك أن الحاسوب قد قطع شوطاً كبيراً في هذا الصدد.

أن التعليم والتعلم عن طريق الحاسوب يهيئان للمتعم بيئة تعليمية نشطة وتفاعلية تقل فيها بدرجة كبيرة عملية التشتيت ، وعدم الإنتباه ، والتي كثيراً ما تحدث أثناء إستخدام طرائق التدريس المختلفة خاصة تلك التي تعتمد على الإلقاء ، وذلك لأن تقديم المادة التعليمية للطالب مرتبط بإستجاباته التي يقدمها له الحاسوب.

2. الحاسوب في خدمة المعلم :

يعتقد البعض أن إدخال الحاسوب إلى المدرسة قد يؤدي إلى الإستغناء عن المعلم ، ولا شك أن هذا الاعتقاد خاطئ لأن الحاسوب أداة تعليمية معينة للمعلم تساعد على القيام بواجبه في إعداد دورسه وتقديمها لطلابه ويمكن القول أن الحاسوب يستطيع أن يزود المعلم بمعلومات كافية وتقارير عن المواقف التعليمية لطلابه.

ويمكن إستخدام الحاسوب كوسيلة للتحكم في الوسائط التعليمية المختلفة للربط بين الأجهزة السمعية والبصرية المختلفة كجهاز عرض البيانات (Data Show) وأجهزة الفيديو حيث يخزن المعلم في برنامجه السيناريو المطلوب لتقديم مادة الدرس ، لتقدم الحاسوب بدور الماسترو في تنظيم الإيقاع ، وتوزيع الأدوار على الرسائل المختلفة لتقديم المادة التعليمية.

3. الحاسوب في خدمة أغراض التدريب :

¹ المرجع السابق ، ص، 55-58.

كانت مؤسسات الأعمال سباقة في استخدام الحاسوب وتكنولوجيا المعلومات في تدريب العاملين على المهارات المختلفة كتعلم الآلة الكاتبة ، وتشخص أعطال المعدات من المتوقع أن تلعب النظم الخبرة دوراً فعالاً في مجال التدريب ، وكذلك استخدام الوسائط المتعددة من خلال الأقراص المدمجة ذات السعة العالية لنقل الواقع بالصوت والصورة.

4. الحاسوب في خدمة الإدارة المدرسية :

يعتبر استخدام الحاسوب في الإدارة المدرسية من أولى التطبيقات التي بدأت منذ أن دخل الحاسوب إلى البيئة المدرسية ، وتشمل هذه التطبيقات عدداً من الخدمات منها شؤون الموظفين والشؤون المالية وشؤون الطلاب والامتحانات والتقييم والسجلات والجدول المدرسية والإرشاد التربوي وشؤون إدارة المكتبات وإنتاج المطبوعات التعليمية والأعمال المكتبية اليومية وغيرها.

5. الحاسوب في خدمة مطوري المناهج :

إن التطبيقات التي ترتبط بتطوير وتنظيم المناهج المدرسية بالحاسوب تتمركز حول تحويل المواد الدراسية المنهجية إلى برمجيات تعليمية تدرس بالحاسوب وسيكون لهذا النوع من التطبيقات شأن كبير في استخدامات الحاسوب في المستقبل ، ويتيح الحاسوب وتكنولوجيا المعلومات لمطوري المناهج مصادر المادة التعليمية خاصة ما يجد منها وذلك عن طريق بنوك المعلومات وقواعد البيانات. يساعد الحاسوب وتكنولوجيا المعلومات كثيراً في تحويل محتوى المواد الدراسية إلى فئات عمرية أقل مع المحافظة على مستوى جودتها.

6. الحاسوب في خدمة واضعي السياسات التربوية:

أصبحت مراكز المعلومات التربوية أحد المقدمات الأساسية لزيادة فاعلية الإدارة التعليمية وترشيد عملية وضع السياسات التعليمية ومتابعة خطط التجديد والإصلاح التربوي ، وعلاوة على تقديم خدمات معلوماتية عديدة لمطوري المناهج والباحثين التربويين ، لا يقتصر دور المراكز على تقديم البيانات الإحصائية المختلفة عن الطلبة والمدرسين والأبينة المدرسية وتحليل نتائج الامتحانات ، بل يقدم خدمات الإحاطة بالأنشطة الجارية ومستخلصات البحوث والوثائق اللازمة لفئات مختلفة من متخذي القرار ، والمخططين والإداريين والباحثين¹.

المحور الثاني

التعليم الإلكتروني مكوناته وخصائصه ومعايير وفوائده

التعليم الإلكتروني : هو طريقة للتعليم باستخدام آليات الاتصال الحديثة من حاسب وشبكاته ووسائطه المتعددة من صوت وصورة ورسومات ، وآليات بحث ومكتبات الكترونية وكذلك بوابات الإنترنت سواءً أكان عن بعد أم في الفصل الدراسي ، المقصود هو استخدام التقنية بجميع أنواعها في إيصال المعلومة للمتعلم بأقصر وقت وأقل جهد وأكبر فائدة.

والدراسة عن بعد هي جزء مشتق من الدراسة الإلكترونية ، وفي كلتا الحالتين فإن المتعلم يتلقى المعلومات من مكان بعيد عن المعلم ، وعندما نتحدث عن الدراسة الإلكترونية فليس بالضرورة أن نتحدث عن التعليم الفوري المتزامن (Online)

¹ د. إبراهيم عبد الوكيل ، ص، 47-57.

(Learning) ، بل قد يكون التعليم الإلكتروني غير متزامن فالتعليم الافتراضي هو أن التعليم المفيد من مواقع بعيدة لا يحدها مكان ولا زمان بواسطة الإنترنت والتقنيات.

➤ **التعليم الإلكتروني المباشر:** تعني عبارة التعليم الإلكتروني المباشر أسلوب وتقنيات التعليم المعتمدة على الإنترنت لتوصيل ، وتبادل الدروس ومواضيع الأبحاث بين المتعلم والمدرس ، والتعليم الإلكتروني مفهوم تدخل فيه الكثير من التقنيات والأساليب.

فقد شهد عقد الثمانينيات اعتماد الأقراص المدمجة CD للتعليم ، لكن عيبها كان واضحاً وهو إفتقارها لميزة التفاعل بين المادة والمدرس والمتعلم او المتلقى ، ثم جاء إنتشار الإنترنت مبرراً لإعتماد التعليم الإلكتروني المباشر على الإنترنت ، وذلك لمحاكاة فعالية أساليب التعليم الدافعية ، وتاتي للمسات الإنسانية عبر التفاعل المباشر بين اطراف العملية التربوية والتعليمية، ويجب ان نفرق تماماً بين تقنيات التعليم ومجرد الإتصال بالبريد الإلكتروني مثلاً.

إنَّ التعليم الإلكتروني يوسع حدود التعليم حيث يمكن للتعليم أن يحدث في الفصول الدراسية ، وفي المنزل وفي مكان العمل ، والتعليم الإلكتروني يتم بصورة مرنة ، وذلك لوجود بدائل للمتعلمين من حيث مكان وزمان التعليم ، ويسمح المقرر الإلكتروني ذو التصميم الجيد للمتعلمين بأن يصبحوا منخرطين بصورة اكثر نشاطاً في عمليات التعليم ، ويعتمد مدى الإنتشار والمرونة في التعليم الإلكتروني على كيفية تصميم أنشطة التعليم الإلكتروني¹.

➤ **الواقعية في التعليم :** يعد الإفتقار للنواحي الواقعية في عملية التعليم الإلكتروني المباشر أهم عيوب هذا الأسلوب في التعليم الذي يحتاج في بعض الحالات للمسات إنسانية بين المتعلم والمدرس ، ونخص هنا بالحديث الفئات التي يجدى فيها لتعليم الإلكتروني المباشر ، وحالياً نجد أنه يستهدف طلاب المرحلة الثانوية بشكل رئيسي ، ثم طلبة الجامعات والمهن الأخرى مثل : الأطباء والمهندسين أي : بشكل أو بآخر للتدريب المؤسس الذي يتلقاه العاملون والفنيون في المؤسسات والشركات الكبيرة على إختلاف مجالاتها.

وهناك مواد تعليمية تصلح للتعليم الإلكتروني المباشر وتحقق فعالية كبيرة ، ويمكن القول وبكل ثقة أنه يمكن اعتماد التدريب الإلكتروني المباشر بصورة ناجحة كمتتم لأساليب التعليم التربوية الأساسية ، وذلك لتطوير الموارد المتاحة للطلاب لتدريبهم على إستخدام التقنية لتحسين التعليم ، وإيجاد مدارس أكثر مرونة وزيادة تفاعل أولياء الطلبة في العملية التعليمية إضافة لزيادة وصول الطلاب ، وإتاحة التقنية لهم وتوسع فرص التطوير المهني للمعلمين ، ويمكن للتقنية أن تفرز قدرات الطلاب والمدرسين والتربويين. ويرى بعض التربويين والخبراء أن التعليم الإلكتروني المباشر أو التعليم بالإعتماد على الكمبيوتر سيلقى مقاومة تضعف نجاحه إذا كان يخل بسير العملية التعليمية أو يهدد أطرافها.

➤ **مكونات وخصائص التعليم الإلكتروني :** يناقش برنامج التعليم الإلكتروني هنا في صورة مكونات وخصائص مختلفة يمكن أن تكون معنية في التعليم في حين تعد المكونات أجزاء مكملة لنظام التعليم الإلكتروني ، فإن الخصائص هي مواصفات برنامج التعليم الإلكتروني التي تشارك بها تلك المكونات ، ويمكن أن تشارك المكونات فردياً أو جماعياً بوحدة أو أكثر من الخصائص على سبيل المثال فإن البريد الإلكتروني أداة الإتصال الإلكتروني غير المتزامن (فهو مكون) ويمكن إستخدامه بواسطة الطلاب والمدرسين للتفاعل في الأنشطة التعليمية ، وعليه وبإستخدام إستراتيجيات التصميم التعليمي المناسبة فإن البريد الإلكتروني يمكن تضمينه في برنامج للتعليم الإلكتروني لتضمنه خاصية تفاعلية بين الطلاب والمدرسين ، يمكن أن تشارك أدوات البريد الإلكتروني

¹ د. بدر الخان ، إستراتيجيات التعليم الإلكتروني ، دار النشر ، شعاع – سوريا ، ط 1 2005م ، ص، 21، 20.

القوائم البريدية مجموعات الأخبار والمؤتمرات الإلكترونية وجميعها مكونات مقرونة بمبادئ وإستراتيجيات التصميم التعليمي المناسبة ، وفي خصائص تعاونية للطلاب العاملين في مشروع جماعي¹.

➤ مكونات التعليم الإلكتروني :

1. التصميم التعليمي (Enstructional Design)

أ. نظريات التعليم والتعلم.

ب. الإستراتيجيات والأساليب التعليمية.

2. مكونات الوسائط التعليمية.

أ. النص والرسومات البيانية.

ب. التسجيل الصوتي (مثل : التسجيل بإستخدام برمجية (Red Audio)

ج. عرض فيديو (مثل : التسجيل بإستخدام برمجية (Quick Time)

د. وصلات مثل وصلات فائقة (Hypertext Links) ووصلات وسائطية فائقة (Hypermedia Links) ووصلات ثلاثية الأبعاد والوصلات المتعددة النقاط (Emagemaps).

3. أدوات الإنترنت.

أ. أدوات الإتصالات.

i. غير المتزامنة : البريد الإلكتروني والقوائم البريدية ومجموعات الأخبار.

ii. المتزامنة النصية مثل : الدردشة الكترونية Chat ، وحوار الإنترنت الجماعي IRC والحوار المتعدد الأطراف Muds وإرسال الرسائل وأدوات التواصل ، والمؤتمر السمعي.

ب. أدوات الوصول النائي التحول إلي حواسيب بعيدة : ونقل ملفات.

4. الحواسيب وأجهزة التخزين.

أ. الأطر الحاسوبية ذات الأنظمة المشغلة لواجهات المستخدم التخطيطية مثل : يونكس ، وويندوز ، وماكنتوش ، ولينوكس ، بالإضافة إلي الأنظمة غير المتعددة على واجهة المستخدم التخطيطية مثل : Dos ، والأجهزة المحمولة مثل : المساعدة الفورية الرقمية (PDAS) المشغلة لنظام الحاسوب القلمي والأطر الأخرى.

ب. الأقراص الصلبة ، والأقراص المدمجة ، وأقراص الفيديو الرقمية المتعددة الأغراض (DVD).

5. مزودو الخدمة والإتصالات.

أ. الناقل المتماوج للمعلومات (المودم Modem).

¹ د. بدر الخان ، إستراتيجيات التعليم الإلكتروني ، ص ، 22.

ب. خدمات الإتصال مثل : الخط الهاتفي العادي ، والشبكة الرقمية للخدمات المتكاملة (ISDN) ومودم الكيبل الرقمي ، والخط الهاتفي السريع المستأجر .

ج. التكنولوجيا المتنقلة مثل : اللاسلكي المرتبط وشبكة الإتصالات المحلية (LAN) ، والشبكة اللاسلكية واسعة النطاق (WAN) وشبكة الإتصالات الفردية (PAN)

د. مزودو خدمة البرمجيات (APSS).

6. برمجيات التأليف والإدارة ، وبرمجية تخطيط المصادر المؤسسية ومعاييرها .

أ. لغات الكتابة مثل : (لغة النص الفائق المدرج (HTML) ، ولغة نماذج الواقع الافتراضي (VRML) ، واللغة المدرجة القابلة للتوسع (XML) ، واللغة المدرجة اللاسلكية (WML) ، والجافا وكتابة نصوص الجافا).

ب. نظام إدارة التعليم ، ونظام إدارة محتوى التعليم.

ج. برمجيات تحويل وكتابة لغة (HTML).

د. نظم وأدوات التأليف (وهي أسهل للاستخدام من اللغات البرمجية).

7. الخوادم والتطبيقات المرتبطة بها.

أ. الخوادم الحاسوبية لنقل النص الفائق (HTTP) وبرمجية النظام الموسع لنقل النص الفائق (HTTPD).

ب. لغات الكتابة الهامشية للخوادم الحاسوبية وصفحات خوادم الجافا الحاسوبية.

ج. نظام البرمجيات اللاسلكية (WAP) ويغير هذا النظام الصلب الثنائي التشفير إلي طلب نظام نقل النص الفائق (HTTP) ، ويرسله إلي خادم الحاسوبي للشبكة¹.

➤ خصائص التعليم الإلكتروني: يمكن لبرنامج التعليم الإلكتروني المصمم جيداً أن يقدم خصائص عديدة تؤدي إلي التعليم ، ولكن

ينبغي دمج هذه الخصائص بشكل مجدٍ في برنامج التعليم الإلكتروني لتحقيق أهداف التعليم المنشودة فيه. فكلما زاد عدد المكونات التي يقوم برنامج التعليم الإلكتروني ببرمجتها ، ازدادت عدد خصائص التعليم التي يمكن تقديمها ، ولكن فعالية خصائص التعليم الإلكتروني تعتمد بشكل كبير على مدى النجاح في تضمينها في تصميم برامج التعليم الإلكتروني ، يمكن أن تتحسن بالتعامل مع قضايا مهمة ضمن الإتجاهات المختلفة لبيئات تعليمية مفتوحة ومرنة وموزعة. وفيما يلي أمثلة لبعض ميزات التعليم الإلكتروني أهمها التفاعلية والأصالة والتمركز حول المتعلم والملائمة والذاتية في التحكم وسهولة الإستخدام والدعم الإلكتروني المباشر والحفاظ على أمن المقررات وفاعلية التكلفة والتعاون ، والبيئات الرسمية وغير الرسمية والخبرات المتعددة والتقييم الإلكتروني والبحث الإلكتروني وسهولة الوصول من مختلف أنحاء العالم والتفاعل بين مختلف الثقافات والخلو من التميز العنصري.

ومع تحسن مكونات التعليم الإلكتروني كنتيجة لنمو منهجيات وتقنيات الإنترنت والتعليم الإلكتروني فإن خصائص التعليم الإلكتروني الحالية ستتحسن ، وقد تتوفر لنا خصائص أخرى جديدة.

¹ مرجع سابق ، ص، 24،25.

وعند تصميم بيئات التعليم الإلكتروني باستخدام الخصائص المشار إليها ينبغي علينا أن نكتشف القضايا المتضمنة في الإتجاهات المختلفة لبيئات التعليم المفتوحة والمرنة والموزعة ، ويمكن تقييم خصائص التعليم الإلكتروني على النحو التالي:

أ. سهولة الإستخدام.

ب. التفاعلية.

ج. الخبرات المتعددة.

ح. التعليم التعاوني.

خ. الأصالة.

د. التمرکز حول المتعلم.

➤ **معايير التعليم الإلكتروني** : تعددت المعايير العالمية لإستخدام التعليم الإلكتروني ، ومن أهم المعايير العالمية وأشهرها ، التي تطبق في التعليم الإلكتروني لتدريس العلوم منها:

1. معايير سكورم SCORM.

هي عبارة عن مجموعة من معايير متعددة في خدمة واحدة أطلق عليها (سكورم) : وتعني نموذج (Sharable Content Object Reference Model) إختصار ، للعبارة مشاركة المحتوى والأشياء.

ما هو (SCORM) ؟

عبارة عن بروتوكول قياس أساس للتواصل بين المادة التعليمية ، ونظام وتيسير إدارة التعليم (LMS) ، حتى أن هذه المادة التعليمية أصبحت تسمى بـSOC إختصاراً لـSCORM ، مع العلم فإن المادة التعليمية هي الوحدة الأساسية للتعليم التي تطلع لتحقيق هدف معين وبإمكانها أن تتواصل مع نظام تيسير معين للتعرف على نتائج المتدرب والمدة الزمنية التي قضاها ، وكذلك تدرجه في إستيعاب المادة التدريسية.

وللوصول إلي هذه الأهداف فإن بروتوكول (SCORM) يوصي بمجموعة من القواعد الواجب إتباعها عند تصميم ، وتطوير المادة التعليمية ، بحيث تكون من جهة أخرى منسجمة مع هذا النظام ، ومن جهة قائمة بذاتها كما تقتضي معايير الجودة في مواد التعليم ، وتتألف معايير سكورم من النقاط التالية¹:-

1. الأهداف: تسعى معايير (SCORM) إلي تحقيق عدد من الأهداف أهمها:

أ. الوصول (Accessi ability) .

ب. قابلية التكيف (Adapt ability).

ج. الإنتاجية (Afford ability) .

د. قابلية التشغيل البيئية (Inter opera a bility).

¹ د. عبد الله علي ود أحمد صادق ، الجيل الثاني في التعليم الإلكتروني معايير سكورم SCORM ، دار النشر ، السحاب – القاهرة ، ط 1 2011م ، ص، 139،140.

هـ. قابلية إعادة الاستخدام (**Reus ability**).

2. المحتويات : تشغيل سكورم يحتوى على ثلاثة عناصر رئيسية وهي :

أ. نموذج تجميع المحتوى (**Content Aggreation Model**).

ب. بيئة التشغيل (**Run – Time – Environ Ment**) للوحدات التعليمية.

ج. التصفح والتتابع (**The Sequencing and Navigation**).

2. معايير أي إم إس (**I M S**):

هي إختصار للائتلاف العالمي لنظام إدارة التعليم (**Managemnt Consortium System Instruction**)

وهي جمعية دولية أمريكية لمزودي الجامعات الذين يعتمدون في تجديد مواصفات مصادر التعليم بناء على لغة إكس أم إل (**X M L**) ونصف هذه المواصفات خصائص المقررات والدروس والتقييم والمجوعات التعليمية ، وتتألف من المكونات التالية¹:-

1. الأهداف : تركز معايير (**IMS**) على هدفين رئيسيين هما:

أ. تعريف إرشادات محدودة تضمن القابلية البنينة للتشغيل بين التطبيقات والخدمات في التعليم الإلكتروني.

ب. دعم تطبيق التوجيهات في المنتجات والخدمات الدولية.

2. المكونات : تتألف معايير (**IMS**) من العناصر الرئيسية التالية:-

أ. بيانات البيانات: وهي العنصر الرئيسي الذي يستخدم لوصف الموارد التعليمية.

ب. حزم المحتوى : وهو وصف بناء التجميع للمصادر التعليمية في المقرر أو أجزاء منه.

ج. القابلية البنينة في التشغيل للإسئلة والاختبارات : وهي إرشادات تضمن المشاركة في اختبارات التقييم والبيانات.

ولابد من التأكيد كذلك على المدخل التربوي في التعليم من خلال تطبيق مبادئ التصميم التعليمي (**Design Instru**)

الذي يهتم بالجوانب التربوية في عملية تصميم التعليم الإلكتروني ، وقد تبينا هذا المبدأ في نموذجها الحديث في نظام إدارة التعليم معايير سكورم.

➤ فوائد التعليم الإلكتروني : لاشك أن هناك مبررات لهذا النوع من التعليم يصعب حصرها ، لكن يمكن القول بأن أهم مزايا ومبررات وفوائد التعليم الإلكتروني مايلي¹:

1. زيادة إمكانية الإتصال بين الطلبة فيما بينهم وبين الطلبة والمدرسة ، وذلك من خلال سهولة الإتصال ما بين هذه الأطراف في عدة إتجاهات.

2. المساهمة في وجهات النظر المختلفة للطلاب.

¹ المرجع السابق ، ص ، 141.

¹ د. فياض عبد الله – رجاء كاظم ، التعليم الإلكتروني والتعليم التقليدي دراسة تحليلية مقارنة ، كلية بغداد للعلوم الاقتصادية ، العدد 19 ، 2009 ، ص ، 4.

3. الإحساس بالمساواة.

بما أن أدوات الإتصال تتيح لكل طالب فرصة الإدلاء برأيه في أي وقت دون حرج خلافاً لقاعات الدرس التقليدية التي تحرمه هذه الميزة ، إما بسبب سوء تنظيم المقاعد أو ضعف صوت الطالب نفسه أو الخجل أو غيرها من الأسباب ، لكن هذا النوع من التعليم يتيح الفرصة كاملة للطالب لأنه بإمكانه إرسال رأيه وصوته من خلال أدوات الإتصال المتاحة من بريد الكتروني وغرف للحوار.

4. سهولة الوصول إلي المعلم.

أتاح التعليم الإلكتروني سهولة كبيرة في الحصول على المعلم والوصول إليه في أسرع وقت ، وذلك خارج أوقات العمل الرسمية لأن المتدرب أصبح بمقدوره أن يرسل إستفساراته للمعلم من خلال البريد الإلكتروني ، وهذه الميزة مفيدة وملائمة للمعلم أكثر بدلاً من أن يظل مقيداً على مكتبه ، وتكون أكثر فائدة للذين تتعارض ساعات عملهم مع الجدول الزمني للمعلم أو عند وجود إستفسار في أي وقت لا يحتمل التأجيل.

5. إمكانية تحويل طريقة التدريس.

من الممكن تلقي المادة العلمية التي تتاسب الطالب ، فمنهم من تتاسبه الطريقة المرئية ، ومنهم من تتاسبه الطريقة المسموعة أو المقروءة وبعضهم تتناسب معه الطريقة العملية ، فالتعليم الإلكتروني ومصادره تتيح إمكانية تطبيق المصادر بطرق مختلفة وعديدة تسمح بالتحويل وفقاً للطريقة الأفضل بالنسبة للمتدرب.

6. ملائمة مختلف أساليب التعليم.

التعليم الإلكتروني يتيح التركيز على الأفكار المهمة أثناء الكتابة والتجميع للمحاضرة أو الدرس ، وكذلك يتيح للطلاب الذين يعانون من صعوبة التركيز وتنظيم المهام الإستفادة من المادة ، وذلك لأنها تكون مرتبة ومنسقة بصورة سهلة وجيدة العناصر المهمة فيها محددة.

7. المساعدة الإضافية على التكرار:

هذه ميزة إضافية بالنسبة للذين يتعلمون بالطريقة عملية فهؤلاء الذين يقومون بالتعليم عن طريق التدريب ، إذا أرادوا أن يعبروا عن أفكارهم فأنهم يضعونها في جمل محددة مما يعنى أنهم أعادوا تكرار المعلومات التي تدربوا عليها ، وذلك كما يفعل الطلاب عندما يستعدون لإمتحان معين.

8. الإستمرارية في الوصول إلي المناهج:

هذه الميزة تجعل الطالب في حالة إستقرار ذلك أن بإمكانه الحصول على المعلومة التي يريدتها في الوقت الذي يناسبه فلا يرتبط بأوقات فتح وإغلاق المكتبة مما يؤدي إلي راحة الطالب.

9. الإستفادة القصوى من الزمن:

أن توفير عنصر الزمن مفيد ومهم جداً للطرفين المعلم والمتعلم ، فالطالب لديه إمكانية الوصول الفوري للمعلومة في المكان والزمان المحدد وبالتالي لا توجد حاجة للذهاب من البيت إلي قاعات الدرس أو المكتبة أو مكتب الأستاذ وهذا يؤدي إلي حفظ الزمن من الضياع.

10. تقليل الأعباء الإدارية بالنسبة للمعلم:

التعليم الإلكتروني يتيح للمعلم تقليل الأعباء الإدارية التي كانت تأخذ منه وقت كبير في كل محاضرة مثل : إستلام الواجبات وغيرها ، فقد أصبح من الممكن إرسال وإستلام كل هذه الأشياء عن طريق الوسائط الإلكترونية ، مع إمكانية معرفة إستلام الطالب لهذه المستندات.

المحور الثالث

الوسائط المتعددة وإستخدامها في التعليم

تسمح مشاريع الوسائط المتعددة (Multi Media) للطلاب بعرض استيعابهم لموضوع ما بطرائق متنوعة ، كما أنها توفر للطلاب الفرصة لتوضيح عملهم وأفكارهم للآخرين ، حيث تزود الوسائط المتعددة الطلاب بوسيلة تواصل قوية وتمنحهم بصائر جديدة في تنظيم وتركيب وتقييم المعلومات ، تمتلك الوسائط المتعددة الإمكانية لجعل الأستاذ والمتعلم يتبادلان الأدوار ، وتفسير التفاعل فيما بينهما بالسماح للطلاب بتكوين تفسيرهم الخاص للمعلومات. وبالإضافة إلي إدراك المعرفة وتطوير المهارات ، فإن تطوير وبناء مشاريع الوسائط المتعددة يمنح الطلاب الفرصة للعمل معاً في نواحي عدة من التعليم والتفكير التأملي وإستخدام المقاربة البناءة للتعليم.

➤ **تعريف الوسائط المتعددة:** تعرف الوسائط المتعددة كمصطلح عام بأنها عبارة عن إستخدام عدة وسائط لتقويم المعلومات ، وقد يتضمن ذلك دمجاً بين النصوص والرسومات والحركة والصور والفيديو والصوت.

تتضمن الوسائط المتعددة على الحاسوب عروض الحاسوب التقديمية وتنسيق الوسائط العديدة على سبيل المثال النص والصور والأصوات والفيديو لإيصال المعلومات نمط خطي أو لاطخي ، والتركيز على مشاريع الوسائط المتعددة المنشأة عن طريق التأليف أو العروض التقديمية والفيديو وأدوات الويب.

أن الوسائط المتعددة هي تقنيات العصر ، ولعله من غير الإعتيادي اليوم أن نجد منتجات لا تعتمد على الوسائط المتعددة والهدف الأساسي هو مساعدة المدرسين والطلاب على تصميم وإنتاج مشاريع الوسائط المتعددة والوصول إليها بإستخدام أدوات تطوير متنوعة ، وقد تم توفير توجيهات ، وأدلة للمشاريع تحتاج إلي يومين أو أسابيع لإكمالها¹.

➤ **لماذا تستخدم الوسائط المتعددة ؟** تحت مشاريع الوسائط المتعددة الطلاب على العمل في مجموعات والتعبير عن أفكارهم بطرائق متعددة ، وحل المشاكل والمعوقات ومراجعة وتعديل عملهم وبناء المعرفة ، كما أنها توفر للطلاب الفرصة للتعليم وإكتساب المهارات العملية وإدراك الطلاب أهمية وقيمة العمل ضمن الفريق وتسمح مشاريع الوسائط المتعددة للطلاب بالتركيز على محتويات الفصل الدراسي ، ورفع مستوى التعليم التعاوني والتفاعل وشغل الطلاب بأعلى مستوى من مهارات التفكير وعرض وتوضيح الأفكار من خلال أنواع مختلفة من الوسائط ، أنها تسمح للطلاب كذلك بالتعامل مع أدوات تضمنية متنوعة وأهداف معروضة على الشاشة ونماذج المعلومات.

➤ **نظرية (Howard Gardner) في الذكاء المتعدد:** لقد طور عدد من الباحثين نظريات متنوعة للمعرفة ، مقترحين بأن الطلاب يمتلكون عدة أنماط مختلفة من الذكاء ، وربما كانت النظرية الأكثر تميزاً حول الذكاء المتعدد هي نظرية (Howard Gardner) في الذكاء المتعدد ، ويعرف الذكاء بأنه (قدرة أداء إمكنانية بيولوجية نفسية على معالجة المعلومات والتعامل معها

¹ كنيس ليفه ، ت. عبد الوهاب ، إستخدام الوسائط المتعددة في التعليم التصميم - الإنتاج - التقييم ، دار النشر شعاع - سوريا ، ط 1 2009 ، ص، 11، 12.

والتي يمكن تفعيلها في محيط أو خلفية ثقافية لحل المشكلات أو خلق المنتجات التي تشكل أهمية كبيرة وقيمة عظيمة في الثقافة.

إقترح بأن أنماط الذكاء هي : عبارة عن شروط أو حالات عصبية ، والتي قد يتم أو لا يتم تفعيلها في الفرص المناسبة ، أو القدرات الشخصية أو القيم وإقترح Gardner عدة مناطق من الذكاء تتضمن التالي: _

1. **الذكاء اللغوي (Linguistic Intelligence):** وهو القابلية على استخدام الكلمات بطريقة مؤثرة وفعالة سواء أكان ذلك شفاهة أم كتابةً.
2. **الذكاء المنطقي - الرياضي (Logical Mathematical Intelligence) :** هو القدرة على استخدام الأرقام بفعالية والقدرة على الإقناع الجيد بالحجة والمنطق.
3. **الذكاء المكاني (Spatial Intelligence) :** وهو القابلية على إدراك وفهم العالم البصري المكاني بدقة وإنجاز التمويلات على تلك الإدراكات الحسية.
4. **الذكاء الجسدي - الحسي الحركي (Bodily -Kinesthetic -Intelligence):** وهو الخبرات في استخدام جسد الشخص لتوضيح وشرح الأفكار والمشاعر والبراعة في استخدام يرى الشخص صنع وتحويل الأشياء.
5. **الذكاء الموسيقي (Musical Intelligence) :** وهو القابلية على إدراك وتميز التعامل مع النماذج الموسيقية.

➤ **تطبيق نظرية الذكاء المتعدد في مشاريع الوسائط المتعددة:** إن إحدى الفوائد الكثيرة لتطوير مشاريع الوسائط المتعددة هي السماح للطلاب ببناء ونقل المعرفة بطرائق متنوعة ، كما تحت مشاريع الوسائط المتعددة كذلك على العمل الجماعي والتفاعل الإجتماعي ، ولكنها لا تتطلب خبرات موحدة لجميع الطلاب.

فالطلاب الذين يتم تصنيفهم على أن لديهم ذكاءاً مكانياً ربما يكونون مناسبين لتصميم المحتوى الرسومي وتخطيط مشاريع الوسائط المتعددة ، والطلاب الذين تم تصنيفهم على أنهم أذكاء في المجال المنطقي والرياضي ، قد يكونون مناسبين لتصميم المخطط الإنسيابي الهيكلي لمشروع والمتطلبات البرمجية.

➤ **التعليم التعاوني :** يحدث التعليم التعاوني عندما يعمل جنباً إلى جنب لإنجاز الأهداف المشتركة ، يتم استخدام مجموعات صغيرة في أغلب الحالات التعاونية بحيث يعمل الطلاب جنباً إلى جنب لزيادة وتعليم الآخرين إلى الحد الأقصى ، وأن التعليم التعاوني يمتلك خمس خصائص غيرها:-

1. **الإعتماد الإيجابي :** إنَّ هناك هدفاً للمجموعة وهو توسيع تعليم الأعضاء إلي حده الأقصى بما يتجاوز القابليات الفردية لكل منهم ينجح الأعضاء فقط إذا نجح زملاؤهم الآخرون في مجموعتهم.
2. **مسؤولية الفردية :** يحمل أعضاء المجموعة أنفسهم ويحملون بعضهم بعضاً مسؤولية جودة العمل العالية يتحمل الطلاب مسؤولية عملهم المشترك.
3. **التفاعل المعزز وجهاً لوجه :** ينتج أعضاء المجموعة منتجات مشتركة ومترابطة فيما بينها موقرين كلا من الدعم الأكاديمي والشخصي ويعزز الطلاب تعليم بعضهم البعض.

4. **المهارات الإجتماعية** : يتعلم أعضاء المجموعة المهارات الإجتماعية ، ومن المتوقع أن يستخدموها لتنسيق جهودهم . التأكيد على فريق العمل.

5. **المعالجة الجماعية** : يحلل أعضاء المجموعة كيف يصلون إلي أهدافهم بأفضل الطرائق فيعملون معاً ويتعلمون معاً¹.

➤ **تطبيق نظرية التعليم التعاوني في مشاريع الوسائط المتعددة** : إنَّ لإستخدام المجموعات التعاونية في تصميم وتطوير الوسائط المتعددة فوائد جمة تتضمن هذه الفوائد تدريس الزميل ، الإستخدام المتزايد لإستراتيجيات التفضيل والإتفاق وما وراء الوعي ، التوفيق بين الإختلافات الفردية التفكير والتأمل الذاتي ، زيادة التحفيز والمواقف الإيجابية تجاه التعليم ، وزيادة وتحسين الأداء ، إن دور الأستاذ هو توجيه وتنسيق جهود المجموعات التعاونية وتسهيلها وإنَّ مشاريع الوسائط المتعددة للمجموعات التعاونية تدعم تفاعل المجموعات الصغيرة فيما بينها.

والإندماج الإيجابي في المجتمع والتعليم وتدريس الزميل وتطوير مشاريع أصيلة تعكس التعاونية والتضافر بين أعضاء المجموعة ، فإن المجموعات التعاونية يمكن لها أن تقلل التعقيد وتؤدي إلي الإلتزام بالزمن أو الوقت ومسؤوليات محددة بحيث يساهم كل طالب في المشروع ويكون لديه الفرصة لأن يشارك الآخرين خبراته ويتعلم منها أيضاً.

➤ **البنائية (Constructivism)**: يؤمن العلماء النفسانيون المختصون بالإدراك بعملية التعليم من خلال بناء المعرفة ويصرحون بأن : (الناس يتعلمون من خلال بناء المعرفة بشكل نشط وفعال فيقومون بوزن المعلومات الجديدة مقابل معارفهم وفهمهم السابقين ، عرفوا المدرسين البنائين بأنهم أولئك الذين :-

1. يتقبلون إستقلال الطالب وروح المبادرة لديه ويبحثون عليها.

2. يستخدمون بيانات خام ومصادر رئيسية جنباً إلي جنب مع المواد الفيزيائية واليدوية والتفاعلية.

3. يسمحون باستجابات الطالب لقيادة الحصص الدراسية وتفسير إستراتيجيات التعليم ، والتأثير على المحتوى.

4. يعتمدون على فهم الطلاب للأفكار والمفاهيم قبل مشاركة فهمهم الخاص لتلك الأفكار والمفاهيم.

➤ **تطبيق نظرية البنائية في مشاريع الوسائط المتعددة** : لقد أظهر البحث بوضوح أن تطوير مشاريع الوسائط المتعددة ، يمكن أن يساعد الطلاب على تعلم كيفية تطوير المفاهيم والأفكار ووضع الخطط ، ووضع ما تعلموه موضع التطبيق وصقل وتحسين الأسئلة ، وجمع وتحليل البحوث وربط النتائج وإيصالها إلي الآخرين وحل المشاكل والمعوقات.

ويري باحثون آخرون أنَّ تطوير مشاريع الوسائط المتعددة يسمح للتعليم بأن يحدث في سياق ذي معنى وهدف أكثر وأنَّ تصميم مشاريع الوسائط المتعددة يمكن أن يوفر مناسبة وسياًقاً صلباً ، وذا مغزى لتطوير مهارات التفكير من المستوى الأعلى فإن التعليم البناء يتضمن مكونات منها الفعالية أو النشاط ، وأن يكون تصديدياً ، وأن البحث على التأمل والتفكير ، وأن يكون هادفاً. يمكن لمشاريع الوسائط المتعددة أن توفر بيئات تعلم مثالية لتنفيذ المقاربة البناءة للتعلم ، وإنَّ إنشاء مشاريع الوسائط المتعددة يشجع على التفكير المتشعب ، وأنماط مختلفة للتعبير ، ووضع الهدف ومهارات التفكير الإبتقادي والعمل الجماعي

¹ كيفن ليف ، ت. عبد الوهاب إسماعيل ، ص، 25، 22.

كفريق ، كما توفر الفرص للتعديل ، وإعادة التفكير ، تزود مشاريع الوسائط المتعددة المدرسين والمربين بطرائق مختلفة للوصول إلي تقدم الطلاب¹.

➤ **تطور طرائق وأساليب برمجة الدروس:** في بداية استخدامات الحاسوب في عمليتي التعليم والتعلم كانت تعد برمجيات تعليمية متواضعة باستخدام لغات البرمجة العامة مثل : فورتران (Fortran) ولغة بيسك (Basic) ولغة بسكال (Pascal) ولغة سي (Clanguage) التي يتطلب استخدامها خبرات واسعة. الأمر الذي يصعب بل يستحيل توفرها في معلمي المواد ، كما تقتصر تلك اللغات نفسها إلي الوسائل العملية لتصميم الأساليب المتنوعة لتقديم المادة التعليمية ، مما أدى إلي إهدار الكثير من الجهد والوقت في سبيل إنتاج بعض الدروس المبرمجة بها إضافة إلي البحث الشديد عند تنفيذ الدروس المنتجة بتلك اللغات.

بعد فترة من الزمن ظهرت لغات تأليف خاصة بها بعض الإمكانيات التي تتيح للمستخدم تصميم الدروس التعليمية مثل : لغة (Plato) ولغة بايلوت (Pilot) ، ثم ظهرت نظم تأليف المقررات ، والتي لا تحتاج من المؤلف أو المعلم أي خبرة في البرمجة ، حيث يقوم النظام بمساعدة المؤلف على إنتاج البرمجيات التعليمية بالموصفات التي يصفها ، ليركز المؤلف على دقة إنتقاء المادة التعليمية وأسلوب عرضها وتنظيمها وكيفية تحقيق الأهداف التعليمية وتلبية الغايات التربوية.

ويستفيد المتحدثون باللغة الإنجليزية من هذه الأنظمة إلي حد كبير ، أما باللغة العربية يوجد نظام صادر صفر لإعداد الدروس.

وأخيراً ظهر مايسمى بأنظمة تأليف برمجيات الوسائط المتعددة التي تتيح لمنتجي المقررات الدراسية المبرمجة الإستفادة من الوسائط التعليمية المختلفة كالفديو وأجهزة تشغيل أقراص الليزر (CD-ROM) والأصوات والصور الثابتة والمتحركة ، ودمج العديد من المشاهد والمواقف بالبرمجيات المستهدفة ، هذا وتتميز هذه الأنظمة عن سابقتها بأنها مزودة بإستراتيجيات واختبارات وأدوات خاصة للتصميم التعليمي ، الأمر الذي يسمح بمرونة كبيرة أثناء مرحلة التنفيذ تمكن المؤلفين والمنفذين من إعداد الدروس وفقاً للمعايير التربوية السليمة دون خبرة كبيرة في برمجة الحاسوب.

تقدم نظم التأليف الجديدة أدوات قوية ومرنة لتحويل المحتويات الجامدة إلي تطبيقات تفاعلية . لذا فعلى مستخدميها أن يختار النظام الأنسب لمشروعه ومستوى خبرته¹.

المحور الرابع

إستخدام الحاسوب في الجامعات السودانية (كليات الآداب)

1. جامعة الخرطوم :

أسست وحدة التعليم عن بعد بجامعة الخرطوم في شهر مايو من العام 1999م حيث ألحقت إدارة وحدة التعليم عن بعد بكلية الدراسات التقنية والتنمية ، وكان غرض هذه الوحدة تنشيط كليات الجامعة المختلفة للدخول في نظام التعليم المفتوح والاستفادة من إمكانية تقنية التعليم الإلكتروني ، عقدت الجامعة العديد من الندوات وورش العمل والدورات التدريبية للمشرفين على هذه التقنية الجديدة ، وذلك سعياً لضمان الحصول على المخرجات التعليمية بالموصفات المطلوبة ، وتضمنت برامج التدريب على العناصر التالية :

¹ المرجع السابق ، ص، 32، 31.

¹ د. إبراهيم عبد الوكيل الغار ، إستخدام الحاسوب في التعليم ، دار النشر ، الفكر – عمان ، ط1 2002م ، ص، 280، 279.

أ. تدريب الأساتذة على تصميم وكتابة المواد التعليمية للتعليم عن بعد.

ب. إنتاج المواد التعليمية المرئية.

ج. تصميم وإنتاج المواد التعليمية عن طريق الحاسب الآلي والتقنيات الملحقة.

وفي عام 2001م عقدت جامعة الخرطوم بالتعاون مع منظمة (SOLO) ورشة عمل بكلية الدراسات التقنية والتنمية ، جلبت لها خبير أجنبي ورشحت كل كلية من كليات جامعة الخرطوم اثنين من أعضاء هيئة التدريس لحضور الورشة التي ركزت أساساً على التدريب العملي على كتابة وإعداد وتحرير المادة المكتوبة. ومن ثم أجازت الجامعة مجموعة من البرامج ليتم القبول لها وفق شروط التعليم عن بعد ، وتطبق فيها التعليم الإلكتروني كإحدى نظم بث المعلومات إشتملت هذه البرامج على الآتي:

أ. المحاسبة والإدارة المالية.

ب. برنامج إدارة الأعمال المطروحة من قبل كلية العلوم الرياضية.

ج. برنامج الغابات المطروح من قبل كلية علوم الغابات.

د. برنامج كلية التربية.

هـ. برامج دراسات الحاسوب التطبيقية.

أيضا من التقنيات الإلكترونية التي إستفادت منها جامعة الخرطوم في تنفيذ برامجها الآتي:

➤ الشبكات المحلية (LAN) وخدمة الإنترنت: حيث أدخلت هذه الخدمة في عام 1999م ، أهم ما قدمته خدمة الإنترنت هي ربط مجتمع الجامعة مباشرة بالعالم الخارجي ، ولتحقيق هذا الغرض طبقت الجامعة تكنولوجيا عالية الكفاءة تعرف بـ (Zaknet) وتتميز هذه التقنية بسرعة تبادل البيانات ، والتي تبلغ 196kPS ، وهي تشغيل المعلومات عن طريق طيف موجة القمر الصناعي آسيا (Asia2) وبتوظيف هذه التقنية تمكنت الوحدة من توفير خدمة الكترونية تكفي لجميع كليات ومراكز جامعة الخرطوم وبتكلفة قليلة مقارنة بنظام خطوط الهاتف¹.

2. جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا :

بدأت فكرة التعليم عن بعد بهذه الجامعة في 1995م عبر أول مكتب خارجي للجامعة بالدوحة وتخصصات البرامج الدراسية المطروحة في الآتي:

أ. الدراسات التجارية.

ب. التربية بتخصصاتها المختلفة.

ج. الغابات.

د. الأحصاء التطبيقي.

¹ د. العجب محمد إسماعيل ، دورة تقنية لتعليم الإلكتروني في تحقيق أهداف التعليم المفتوح (ورقة علمية مقدمة لندوة التعليم الإلكتروني ، المملكة العربية 2003 ، ص، 10،9.

3. جامعة جوبا :

بدأت جامعة جوبا التعليم عن بعد في 1998م داخل السودان والأردن والإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية ، وأهم ما يميز برامج التعليم المفتوح لهذه الجامعة عن غيرها اقتصرها على العلوم الإجتماعية والإنسانية المختلفة في :

- أ. إدارة الأعمال.
- ب. المحاسبة.
- ج. العلوم الإنسانية.
- د. التربية (لغات) والتربية (جغرافيا و تاريخ).

4. جامعة الزعيم الأزهرى :

أدخلت الجامعة هذه التجربة في أكتوبر 2000م والبرامج التي تعرضها لها تضم كل من:

- أ. الشريعة والقانون.
- ب. القانون.
- ج. التربية.
- د. تكنولوجيا التعليم.

5. جامعة السودان المفتوحة :

تلبية للارغبة المتزايدة في التعليم الجامعي توسعاً للمشاركة فيه بما يناسب الظروف الإجتماعية والإقتصادية والعلمية لطالبيه ، ولما يوفره التعليم المفتوح لهم من سهولة الإتصال والتطوير التقني تم إنشاء مشروع جامعة السودان المفتوحة ، وقد بدأ التقديم لهذه الجامعة في مارس 2003م في أربع برامج تضم كل من الآتي:

- أ. التربية (للمعلمين فقط).
- ب. علوم الحاسوب.
- ج. المحاسبة.

وتعتمد جامعة السودان المفتوحة في تنفيذ برامجها الدراسية على إستخدام التقنيات الحديثة وخاصة المواد التعليمية المخزنة إلكترونياً ، وتشمل هذه المواد الكتب المطبوعة المهمة وفق مواصفات التعليم عن بعد والتعليم المفتوح ، وإعداد المواد التعليمية المسموعة والمرئية ، وإعداد المواد الحاسوبية والوسائل المستخدمة لبث هذه البرمجيات إلكترونياً تشمل على:

- أ. البث الإذاعي المسموع في إتجاه واحد.
- ب. شبكة الإتصالات السريعة (الإنترنت و البريد الإلكتروني).
- ج. المراكز الدراسية المزودة بمعامل الحاسب والمواد الدراسية المختلفة.
- د. اللقاءات الصفية بين الخبراء والطلاب بتلك المراكز.

هنالك العديد من الفوائد التي حققها تطبيق هذه السياسة التعليمية بالسودان تنحصر أهمها في التالي:

- أ. الرسوم الدراسية تعتبر عائداً مادياً يزيد من موارد الجامعة المالية.
 - ب. المساهمة في تحسين دخل الأستاذ الجامعي مما ساعد على إستقرار الأساتذة.
 - ج. إتاحة الفرصة للذين لم يكملوا التعليم الجامعي لمواصلة تعليمهم.
 - د. قلة التكلفة ساعدت على الالتحاق بالجامعات.
 - هـ. إثراء روح البحث العلمي وخاصة في مجال التقنيات الحديثة ودورها في تطوير طرائق وإستراتيجيات التعليم.
- أما العوائق التي تقف في وجه التعليم عن بعد بالسودان فعلى النحو التالي:
- التطبيق لأمثل تقنية التعليم الإلكتروني فيمكن نحصرها في الآتي:
- أ. عدم المام بعض أعضاء هيئة التدريس بالجامعات ومعاهد التعليم العالي بتطبيق التقنيات الحديثة.
 - ب. التكلفة العالية لإعداد برمجيات التعليم عن بعد.
 - ج. عدم توفر التمويل اللازم لبناء البنية التحتية.

6. جامعة البحر الأحمر :

أدخلت جامعة البحر الأحمر التعليم عن طرائق الوسائط الإلكترونية عام 1999م عند إنشاء كلية الطب ، وذلك لإيصال بعض المحاضرات العلمية عن طريق (الفيديو كونفرس) ، مما وفر الجهد والوقت وعالج النقص بإعضاء هيئة التدريس ، ثم استعين بالوسائط الإلكترونية مثل : الإيميل والإسكابي للتواصل بين الطلاب والأساتذة ببرنامج التعليم عن بعد بالدراسات العليا ، خاصة في الإشراف والمتابعة بين الطلاب خارج البلاد والأساتذة بالجامعة.

وتتدرج الجامعة في إدخال النظم الإلكترونية الحديثة يربط كل الكليات والمراكز بشبكة إتصالات تتيح التواصل ، حيث تمت حوسبة كل الأعمال المكتبية بالجامعة ، وتم تزويد الكثير من القاعات بوسائل العرض الإلكتروني مثل : البروجكتر - وشاشات البلازما لتكون معظم القاعات الدراسية قاعات ذكية.

بكلية الآداب تستخدم الوسائط الإلكترونية في تقديم بعض المواد الدراسية في اللغات (معمل لغات) والعلوم الإنسانية بإستخدام عرض البوربوينت (Power Point) لعرض الأفلام الوثائقية وغير ذلك.

الخاتمة:

خلال العقد الماضي كانت هناك ثورة ضخمة في تطبيقات الحاسوب التعليمي ولايزال استخدام الحاسب في مجال التربية والتعليم في بداياته التي تزداد يوماً بعد يوم ، بل أخذ أشكالاً عدة فمن الحاسب في التعليم إلي استخدام الإنترنت في التعليم ، وأخيراً ظهر مفهوم التعليم الإلكتروني الذي يعتمد على التقنية لتقديم محتوى للمتعلم بطريقة جيدة وفعالة كما أن هناك خصائص ومزايا لهذا النوع من التعليم وتبرز أهم المزايا والفوائد في إختصار الوقت والجهد والتكلفة إضافة إلي إمكانية الحاسب في تحسين المستوى العام للتحصيل الدراسي ومساعدة المعلم والطالب في توفير بنية تعليمية جذابة.

ورغم تلك الأهمية لهذا النوع من التعليم والنتائج الأولية التي أثبتت نجاح ذلك إلا أن الاستخدام لا زال في بداياته ، حيث يواجه هذا التعليم بعض العقبات والتحديات سواءً أكانت تقنية تتمثل بعدم اعتماد معايير موحدة بصياغة المحتوى أم فنية ، وتتمثل في الخصوصية والقدرة على الإختراق أو تريبوية ، وتتمثل في عدم مشاركة التربويين في صناعة هذا النوع من التعليم.

توصيات:

أخيراً يمكن القول بأنه لضمان نجاح صناعة التعليم الإلكتروني يجب عمل ما يلي:

1. التهيئة الإجتماعية لدى أفراد المجتمع للتفاعل مع هذا النوع من التعليم.
2. ضرورة مساهمة التربويين في صناعة هذا التعليم.
3. توفير البنية التحتية لهذا النوع من التعليم ، وتتمثل في إعداد الكوادر البشرية المدربة ، وكذلك توفير خطوط الإتصالات المطلوبة التي تساعد على نقل هذا التعليم من مكان إلي الآخر.
4. وضع برامج لتدريب الطلاب والمعلمين والإداريين للإستفادة القصوى من التقنية.

قائمة المراجع:

- | الرقم | المرجع |
|-------|--|
| 1 | د. إبراهيم عبد الوكيل الغار : إستخدام الحاسوب في التعليم ، دار النشر الفكر - عمان ط1 2002م. |
| 2 | د. بدر الخان : إستراتيجيات التعليم الإلكتروني ، دار النشر شعاع - سوريا ط1 2005م. |
| 3 | كينت ليفرس : ت. عبد الوهاب إسماعيل : إستخدام الوسائط المتعددة في التعليم التصميم - الإنتاج ، التقييم ، دار النشر شعاع - سوريا ط1 2009م. |
| 4 | د. عبد الله علي و د. أحمد صادق : الجيل الثاني في التعليم الإلكتروني معايير سكورم ، دار النشر السحاب - القاهرة ، ط1 2011م. |
| 5 | د. العجب محمد إسماعيل : دور تقنية التعليم الإلكتروني في تحقيق أهداف التعليم المفتوح ، ورقة علمية للندوة التعليم الإلكتروني ، المملكة العربية السعودية 2003م. |
| 6 | د. فياض عبد الله - رجاء كاظم : التعليم الإلكتروني والتعليم التقليدي دراسة تحليلية مقارنة ، كلية بغداد للعلوم الإقتصادية ، العدد التاسع عشر ، 2009. |

عنوان البحث

صعوبات ومشكلات تعليم اللغة العربية لدى غير الناطقين بها
"الازدواجية اللغوية" أنموذجاً

ماهر الحمود العكل¹

¹ قسم اللغة العربية للناطقين بغيرها، جامعة اسطنبول ايدن

تاريخ النشر: 2020/12/01م

تاريخ القبول: 2020/11/25م

المستخلص

إن هذه الدراسة تسلط الضوء على مشكلة باتت تشكل ظاهرة لدى كل متعلمي اللغة الثانية وهي الازدواجية اللغوية . كما يهدف هذا البحث الى معالجة الصعوبات والمشاكل التي يواجهها المتعلم أثناء دراسته للغة العربية ، ويسعى البحث أيضا للتفريق بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية من حيث الصفات والخصائص في مسعى للوصول إلى متعلم قادر على فهم الجملة العربية تحدياً وقراءة ومعالجة النصوص الدينية والأدبية دون الحاجة للترجمة، وإلى بيان أسباب ظاهرة الازدواجية اللغوية وأثرها السلبي في عرقلة العملية التعليمية وبيان أنجع الطرق في معالجتها.

RESEARCH ARTICLE

**DIFFICULTIES AND HURDLES OF TEACHING ARABIC TO
NON-NATIVE SPEAKERS
BILINGUALISM AS A MODEL**Maher Alhamoud Alekel¹¹ Istanbul Aydin University, Department of the Arabic language for speakers of other languages

Accepted at 25/11/2020

Published at 01/12/2020

Abstract

This brief study sheds light on bilingualism, a problem which has become a phenomenon for all learners of second languages.

This study also addresses the difficulties and problems faced by learners while studying Arabic and it seeks to differentiate between diglossia and bilingualism in terms of qualities and characteristics to help learners understand Arabic while speaking, reading as well as processing religious and literary texts without the need for translation. This research also tackles the reasons behind bilingualism as well as its negative impact on the learning process while suggesting some of the most effective methods to deal with it.

1- الصعوبات والمشكلات:

اختلف العلماء في تحديد تعريف صعوبات التعلم وذلك لصعوبة تحديد هؤلاء الطلاب الذين يعانون صعوبات في التعلم، وكذلك صعوبة اكتشاف هؤلاء الطلاب على الرغم من وجودهم بكثرة في العديد من المدارس فهم حقاً فئة محيرة من الطلاب للمستوى الفعلي (التعليمي) والمستوى المتوقع المأمول الوصول إليه، فنجد أن هذا الطالب من المفترض حسب قدراته ونسبة ذكائه التي قد تكون متوسطة أو فوق المتوسطة أن يصل إلى الصف الرابع أو الخامس الابتدائي في حين أنه لم يصل إلى هذا المستوى.¹

1.1 الطلاب الذين يعانون صعوبات التعلم

هم الطلاب الذين لا يعانون إعاقة عقلية أو حسية (سمعية أو بصرية) أو حرماناً ثقافياً أو بيئياً أو اضطراباً انفعالياً بل هم طلاب يعانون اضطراباً في العمليات العقلية أو النفسية الأساسية التي تشمل الانتباه والإدراك وتكوين المفهوم والتذكر وحل المشكلة يظهر صداه في عدم القدرة على تعلم القراءة والكتابة والحساب وما يترتب عليه سواء في المدرسة الابتدائية أو فيما بعد من قصور في تعلم المواد الدراسية المختلفة، لذلك يلاحظ المعلمون أن هذا الطالب لا يصل إلى نفس المستوى التعليمي الذي يصل إليه زملاؤه من نفس السن على الرغم مما لديه من قدرات عقلية ونسبة ذكاء متوسطة أو فوق المتوسطة .

2.1 أنواع صعوبات تعلم اللغة العربية :

1. صعوبات تعلم نمائية: وتتعلق بنمو القدرات العقلية والعمليات المسؤولة عن التوافق الدراسي للطلاب وتوافقه الشخصي والاجتماعي والمهني وتشمل صعوبات (الانتباه، الإدراك، التفكير، التذكر، حل المشكلة). ومن الملاحظ أن الانتباه هو أولى خطوات التعلم ومن دونه لا يحدث الإدراك وما يتبعه من عمليات عقلية مؤداها في النهاية التعلم وما يترتب على الاضطراب في إحدى تلك العمليات من انخفاض مستوى الطالب في المواد الدراسية المرتبطة بالقراءة والكتابة وغيرها.

2. صعوبات تعلم أكاديمية: وهي تشمل صعوبات القراءة والكتابة والحساب، وهي نتيجة ومحصلة لصعوبات التعلم النمائية أو أن عدم قدرة الطالب على تعلم تلك المواد يؤثر على اكتسابه التعلم في المراحل التالية.²

3.1 محكات التعرف على صعوبات تعلم اللغة العربية:

ومن الجدير بالاهتمام، أن نتعرف عليها وهي:

1. محك التباعد: ويقصد به تباعد المستوى التحصيلي للطلاب في مادة عن المستوى المتوقع منه حسب حالته وله مظهران:

أ- التفاوت بين القدرات العقلية للطلاب والمستوى التحصيلي .

ب- تفاوت مظاهر النمو التحصيلي للطلاب في المقررات أو المواد الدراسية، فقد يكون متفوقاً في الرياضيات عادياً في اللغات ويعاني صعوبات تعلم في العلوم أو الدراسات الاجتماعية، وقد يكون التفاوت في التحصيل بين أجزاء مقرر دراسي واحد. ففي اللغة العربية مثلاً، قد يكون طلق اللسان في القراءة جيداً في التعبير، ولكنه يعاني صعوبات في استيعاب دروس النحو أو حفظ النصوص الأدبية.

2. محك الاستبعاد: حيث يستبعد عند التشخيص وتحديد فئة صعوبات التعلم في الحالات الآتية: "التخلف العقلي، والإعاقات

¹ عبد الحميد عبد الله وناصر عبد الله الغالي، أسس إعداد الكتب التعليمية لغير الناطقين بالعربية، دار الغالي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص: 11

² تحي على يونس ومحمد عبد الرؤوف الشيخ، "المرجع في تعليم اللغة العربية للأجانب: من النظرية إلى التطبيق"، مكتبة وهبة، القاهرة، 1423هـ/2003م.

الحسية، والمكفوفين، وضعاف البصر، والصم، وضعاف السمع". وكذلك ذوي الاضطرابات الانفعالية الشديدة، مثلاً: الاندفاعية والنشاط الزائد، مع حالات نقص فرص التعلم أو الحرمان الثقافي".

3 . محك التربية الخاصة: ويرتبط بالمحك السابق ومفاده أن ذوي صعوبات التعلم لا تصلح لهم طرق التدريس المتبعة مع الطلاب العاديين فضلاً عن عدم صلاحية الطرق المتبعة مع المعاقين، و إنما يتعين توفير لون من التربية الخاصة من حيث التشخيص، والتصنيف، والتعليم، يختلف عن الفئات السابقة.

4 . محك المشكلات المرتبطة بالنضوج: حيث نجد معدلات النمو تختلف من طالب لآخر في عمليات التعلم، فما هو معروف أن الطلاب الذكور يتقدم نموهم بمعدل أبطأ من الإناث، ما يجعلهم في حوالي الخامسة أو السادسة غير مستعدين أو مهينين من الناحية الإدراكية لتعلم التمييز بين الحروف الهجائية قراءة وكتابة الأمر الذي يعوق تعلمهم اللغة. ومن ثم يتعين تقديم برامج تربوية تصحح قصور النمو الذي يعوق عمليات التعلم سواء كان هذا القصور يرجع لعوامل وراثية أو تكوينية أو بيئية. ومن ثم يعكس هذا المحك الفروق الفردية بين الجنسين في القدرة على التحصيل

5 . محك العلامات الفيزيولوجية: حيث يمكن الاستدلال على صعوبات التعلم من خلال التلف العضوي البسيط في المخ الذي يمكن فحصه من خلال رسام المخ الكهربائي، وينعكس الاضطراب البسيط في وظائف المخ (Minimal Dysfunction) في الاضطرابات الإدراكية (البصري والسمعي والمكاني، النشاط الزائد والاضطرابات العقلية، صعوبة الاداء الوظيفي). وجدير بالذكر، أن الاضطرابات في وظائف المخ تنعكس سلبياً على العمليات العقلية ما يعوق اكتساب الخبرات التربوية وتطبيقها والاستفادة منها بل يؤدي الى قصور في النمو الانفعالي، والاجتماعي، ونمو الشخصية العامة.³

1.4 أهمية تعليم اللغة العربية الفصحى للناطقين بغيرها:

مما لا ريب فيه أن اللغة العربية، هي العروة الوثقى التي تلتئم وتلتحم فيها الشعوب الإسلامية على اختلاف أقطارها ولغاتها وأجناسها، وهي لغة عقيدة وحضارة ورسالة سماوية حية وخالدة، فهي لغة أهل الجنة، وهذا شرف لها، كما أنها تشرفت بالقرآن الكريم الذي نزل على خير البرية، قال تعالى: "وإنه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين، بلسان عربي مبين".⁴

وقد انتشرت اللغة العربية انتشاراً واسعاً إبان قوة الدولة الإسلامية، وقد أسهم ذلك الانتشار في إطلاع العالم على منجزات الفكر العربي في شتى ميادين العلوم والمعرفة، فقد ترجمت رسائل (جابر بن حيان) في الكيمياء، و(ابن سينا) في الطب، و(الخوارزمي) في الرياضيات إلى اللغات الأوروبية، ثم تفهقت إنجازات اللغة العربية لظروف مرت بها أمتنا.⁵ وكان لذلك التفهق أثر بارز أدى إلى عزلة ثقافية وسياسية، وفي العصر الحديث أخذت العربية مكانتها بين اللغات، واعترف بها لغة رسمية تستخدم في الهيئة العامة للأمم المتحدة، وفي تنظيماها، كمنظمة الأمم للتربية والعلوم والثقافة ومنظمة الأمم المتحدة للأغذية والزراعة، ومنظمة الصحة العالمية، ومنظمة العمل الدولية وهي لغة رسمية، ولغة عمل في منظمة الوحدة الأفريقية⁶

ونظراً لاختلاف العاميات في البلاد باختلاف القرية والمدينة والبادية والإقليم والقطر، فإنه من الواجب أن يتعلم الناطقون بغيرها

³ عمر الصديق عبد الله، تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها: الطرق-الأساليب -الوسائل ، الدار العالمية للنشر والتوزيع، الهرم، الطبعة الاولى، 2008م.

⁴ الشعراء: الآيات (192 و 195).

⁵ السيد: شؤون لغوية، ص 166-167.

⁶ طعيمة، تعليم العربية لغير الناطقين بها مناهجه وأساليبه، ص 34.

العربية الفصيحة؛ لأنها ذات قدرة اتصالية أكبر من العاميات التي تنحصر قدرتها على تحقيق التواصل في إقليمها أو قطرها الضيق⁷

5.1 أهمية تعليم اللغة العربية الفصيحة:

وتتجلى بما يلي:

1- إن تعليم اللغة العربية للمسلمين المنتشرين في أنحاء العالم يساعدهم على فهم الدين الإسلامي، وأداء شعائره التي لا تؤدي إلا باللغة العربية، كالصلاة، والحج، فهي لغة قادرة على صهر الملايين من المسلمين في شتى أصقاع المعمورة في بوتقة واحدة .

2- إن تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها ييسر إيجاد تحاور وتقاوم ونقاش في أمور الدين الإسلامي، وما يجري في أيامنا هذه من نسب الإرهاب الى الدين الإسلامي، والإسلام منه بريء. فالتاريخ الإسلامي شاهد على نبذ الإرهاب، ولا أدل على ذلك مما قام به الرسول -عليه الصلاة والسلام- مع الرجل اليهودي الذي كان يلقي القمامة على باب منزل النبي، إلا أنه في يوم من الأيام خرج -عليه السلام- فلم يجد قمامة أمام منزله، فعرف أن الرجل اليهودي مريض، فزاره، ثم أسلم ذلك اليهودي. ونهى أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- أثناء نشر الدين الإسلامي، وفتح الأقطار عن قتل الشيوخ والنساء والأطفال وقطع الأشجار، كما أن الدين الإسلامي يحث على حسن التعامل مع غير المسلم بغض النظر عن دينه وعرقه. إن تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها واجب مقدس؛ لأن معرفتهم بلغتنا تجعلهم يتفهمون قضايانا ومشكلاتنا عن كثب في منأى عن كل تزييف وتضليل، كما هو الحال بما تقوم به الصهيونية التي تصور القضايا بأسلوب مزيف، وبعيد عن الواقع، فعندما يتعلمون اللغة العربية يصبحون سفراء لنا في بلادهم، وينافحون عن العدالة التي لا يراها الغرب سبيلاً للعرب، كما أن تعليم الناطقين بغيرها يسهم في إطلاعهم على الجوانب الإنسانية في حضارتنا العربية، وبيان ما قدمته هذه الحضارة من فوائد جمة، وخدمة الفكر الإنساني، ما يعزز الروابط الإنسانية بيننا وبينهم⁸

3- إن تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها يسهم في إنقاذ الأمتين العربية والإسلامية عند الذين لا يعرفون اللغة العربية، حيث إنهم يزودون بكتب ومنشورات ومطبوعات بغير اللغة العربية عن الإسلام وأبنائه، يراد بها القضاء على الإسلام معنوياً وفكرياً بتشويه تعاليمه وبث السموم الفكرية بين أتباعه

4- يكسب تعليم اللغة العربية الفصيحة للناطقين بغيرها امتلاك النظام اللغوي العربي لمعرفة الألفاظ العربية، والتراكيب اللغوية، والقواعد نظرياً ووظيفياً، حتى تخدمه تلك اللغة لقضاء غرضه الذي جاء من أجله، كأن يكون من أجل العمل في إحدى شركات النفط العربية، أو من أجل السياحة في البلاد العربية، أو نيل شهادة علمية من إحدى المراكز العلمية، أو الجامعات في الوطن العربي، وهذا المتعلم يتميز بأنه يتعلم من اللغة العربية القدر الذي يلزمه لتحقيق غرضه أو تلبية⁹

⁷ العناتي، اللسانيات التطبيقية وتعليم العربية لغير الناطقين بها، ط1، ص 228.

⁸ السيد، محمود، 1989، شؤون لغوية، (ط1)، (دمشق: دار الفكر).

⁹ الألوائي، الوسائل التعليمية، لحل المشكلات اللغوية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وقائع ندوات تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها الجزء (2)، (ص 52).

- 5- إن تعليمها للناطقين بغيرها يخدم المتعلم اتصالياً حتى يعبر عن أفكاره وخبراته بكل إتقان، دون تعثر، وسوء فهم بينه وبين العربي، لأنه إذا انعدم الاتصال السليم عن طريق اللغة بين المتحاورين انعدم الفهم السليم كذلك
- 6- يسهم تعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها في تلبية الدافع التكاملي الذي يريد منه ذلك المتعلم الاتصال بمتحدثي اللغة العربية، والتعرف على الثقافة العربية، وعلى شخصية الإنسان العربي وقيمه، واتجاهاته، وميوله، ودوافعه عن طريق التعايش مع أبناء اللغة العربية.

6.1 المشكلات التي يتعرض لها متعلم اللغة العربية من غير الناطقين بها

من أهم المشكلات التي يتعرض لها متعلم اللغة العربية من غير الناطقين بها هي:

- 1 - القدرة على التخاطب: يقصد بالتخاطب، مقدرة الطالب على إلقاء الكلمات والعبارات شفويا تجاه معلمه أو تجاه أقرانه أو من يقابلهم من أفراد المجتمع، وقدرة فهمه لما يقال له أثناء تخاطبه مع غيره، والباحث يرى أن متعلمي اللغة العربية من غير الناطقين بها قد يواجهون صعوبة عندما يريدون التخاطب باللغة وذلك لأن هؤلاء المتعلمين قد تعودوا على النطق بأصوات لغاتهم الأم ما يشكل عليهم صعوبة عندما يريدون النطق بأصوات لغة أخرى وإلى ذلك أشار أحد الباحثين بقوله: إن الدارسين للغات الأجنبية هم من كبار السن الذين تكيفت أجهزة نطقهم تكيفاً محدوداً، حيث تستقر أعضاء نطقهم على وضع ثابت لا تتحول عنه إلا بمعاونة.¹⁰
- ومن المؤشرات التي استخدمت لتحديد الصعوبات المتعلقة بمشكلة التخاطب ما يلي:

- أ- عدم سلامة التخاطب باللغة: ويقصد بسلامة التخاطب باللغة مقدرة المتعلم على الكلام باللغة العربية الفصيحة بطريقة تتصف بالدقة وعدم التلعثم أثناء التحدث .
- ب- عدم سلامة النطق أثناء التخاطب: ويقصد الباحث من سلامة النطق أثناء التخاطب أن يكون في قدرة المتعلم للغة العربية من غير الناطقين بها السيطرة على إخراج الأصوات بالشكل الذي يمكنه من التخاطب باللغة العربية بحيث يخرج الأصوات من مخرجها الصحيحة .
- ج- صعوبة الفهم أثناء التخاطب: وهذا يعني أن المتعلم للغة العربية من غير الناطقين بها قد يجد صعوبة في الفهم أثناء عملية التحدث أو أثناء عملية الاستماع .

- د- صعوبة ازدواجية اللغة العربية: والتي تتمثل في وجود لغة عربية فصيحة وعربية عامية فإذا كان الطلاب من أبناء العرب يصادفون صعوبات جمة في التعرف على السياق العربي كأن يدرس الفصحى ويختلط عليه الأمر بسماع العامية. فلا شك أن الطالب غير الناطق بالعربية سيواجه صعوبات أكبر وأشد خطورة مما يعرفه الطالب العربي، والأمر في الحالتين مرتبط بأن اللغة التي اكتسبها الطالب في طفولته المبكرة مغايرة للغة العربية الفصحى فهي بالنسبة للطالب العربي لهجة عامية غير فصيحة، وبالنسبة للطالب الآخر لغة أجنبية لا تمت إلى العربية بصلة ولهذه اللهجة العامية كما لتلك اللغة الأجنبية نظام يختلف في تكوينه عن نظام اللغة الفصحى من حيث الأصوات والصرف والنحو، والمعجم، والثقافة، والدلالات. واللغة العامية قد تكون مشكلة على دارس العربية غير الناطق بها، ويمكن أن يواجه الدارس صعوبة في ازدواجية اللغة أثناء اتصاله المباشر بمعلم الصف، أو بالطلاب وغيرهم، أو أثناء احتكاكه بالمجتمع.¹¹

¹⁰ التمهيد في اكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها، تمام حسان، وزارة التعليم العالي، جامعة أم القرى، معهد اللغة العربية، مكة المكرمة، دط، 1404هـ-1984م، ص 59-60.

¹¹ داخل تعليم اللغة العربية، دراسة مسيحية كندية، أحمد عبده عوض، جامعة أم القرى-كلية التربية، مكة المكرمة، ط01، 1421هـ-2000م، ص 1

2 - القدرة على القراءة: تعتبر القراءة مهارة أساسية من مهارات تعلم أي لغة أجنبية فالقراءة عملية عقلية تشمل تفسير الرموز التي يتلقاها القارئ عن طريق عينيه، وتتطلب هذه الرموز فهم المعاني والربط بين الخبرة الشخصية وهذه المعاني، فالعمليات النفسية المرتبطة بالقراءة معقدة لدرجة كبيرة. وغني عن البيان فالطالب العربي الذي يتعلم اللغة العربية تواجهه صعوبات شتى كالصعوبة في القراءة وغيرها، مع العلم أنه ألف اللغة العربية وأصواتها وتراكيبها منذ الصرخة الأولى له في الحياة، وهناك شكوى نابعة بشأن ضعف الطلاب العرب في اللغة العربية ولا سيما في عامل القراءة،

إن الضعف ليس مقصوراً على طلاب المدارس فحسب بل تجاوز إلى الكثير من الخريجين ويلاحظ هذا في اللغة التي تستعمل في الإذاعة والتلفزيون حيث يشيع فيها اللحن والتحريف إلى درجة مثيرة حتى ليخيل إلى السامع في كثير من الأحيان أن المتكلم يعتمد هذا التشويه لأنه مما لا يظن أن يتورط مثله فيه جهلاً. فإذا ألقينا نظرة متأنية تجاه الطالب الغريب عن العربية والذي لم يسبق له تعلم العربية منذ الصغر فلا شك أنه سيواجه صعوبات في تعلمه لمهارات اللغة العربية، والقراءة تعتبر إحدى هذه المهارات.¹²

والمؤشرات التي استخدمت لقياس تصور الطلاب والمدرسين على مدى الصعوبات التي تواجه الطلاب في القراءة ما يلي:

أ- السرعة في القراءة ويقصد بها عدم التلعثم .

ب- سلامة النطق أثناء القراءة .

ج- سلامة الفهم أثناء القراءة .

د- صعوبة فهم قواعد اللغة العربية.

3 - القدرة على الكتابة: تعتبر الكتابة مهارة مهمة جداً من مهارات اللغة العربية، كما تعتبر القدرة على الكتابة هدفاً أساسياً من أهداف تعلم اللغة الأجنبية ويقصد بالكتابة هنا هو أن يستطيع متعلم اللغة العربية من غير الناطقين بها رسم الحروف العربية بوضوح ودقة حسب قواعد الخط والهجاء المتفق عليها، واستخدام هذه المهارة في مواقف الحياة المختلفة والتي تتطلب التعبير المكتوب.¹³

والباحث يرى أن هذه المهارة يلاقي فيها المتعلمون للغة العربية من غير الناطقين بها صعوبة تتطوي تحت عنصرين رئيسيين هما:

أ- صعوبة الإملاء: فطالب اللغة العربية غير الناطق بها قد يجد صعوبة في مادة الإملاء من حيث:

1- صعوبة القدرة على الكتابة الصحيحة.

2 - الصعوبة في استيعاب قواعد الإملاء.

3 - الصعوبة في تشابه أشكال الحروف.

4 - الصعوبة في التفريق بين الصوت المنطوق وغير المنطوق .

ب- صعوبة التعبير: والتعبير إما أن يكون كتابياً بين الفرد وغيره ممن يفصلهم عنه البعد المكاني والزمني، وإما أن يكون شفويّاً.

¹² نهج الايسيسكو لتدريب اللغة العربية لغير الناطقين بها، أساسيات طريقة التدريس والتربية العلمية لدورات تدريب المعلمين، إسحاق أمين المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، ط2، 1428هـ - 2008م، ص 2

¹³ المرجع سابق ذكره، ص 6

فطالب اللغة العربية غير الناطق بها قد يواجه بعض الصعوبات في التعبير من حيث¹⁴ :

- 1- القدرة على التعبير شفويًا باللغة الفصيحة.
- 2- القدرة على التعبير خطياً.
- 3 - القدرة على استخدام الجمل المفيدة.
- 4 - القدرة على استخدام الكلمات المناسبة.
- 5 - القدرة على التعبير عن كل الأفكار والمفاهيم التي تتوارد في الذهن .

7.1 مشكلات في عملية تعليم اللغة العربية .

مسألة التعليم هي مسألة أساسية في بناء المجتمع تطوره وتقدمه أو تراجعه ، وفساده ودماره، إن كان التعلم جيداً فالحياة جيدة، و إن كان التعليم سيئاً فالمجتمع مهدد بالمخاطر كلها.

وفي بحث هذا الموضوع قسم الكاتب (العصيلي) المشكلات في عملية تعليم اللغة العربية إلى قسمين، وهما:¹⁵

- أ. المشكلات العامة: والمشكلات العامة في التعليم تكمن في المعلم والمنهج وطريقة الإيصال، فاختيار المعلم لمراحل التعليم كافة في الدول الإسلامية يجري على غير ما يجب أن يكون، تساهلاً في قواعد الاختيار، فيسألونه في العلم والحياة والثقافة، ويختبرون قوة شخصيته وسرعة بديهته وأشياء يطول بي الحديث عنها، فكيف نسلم أجيالنا لمعلمين أو معلمات بعضهم جاء إلى هذه المهنة مقهوراً بلا زاد ولا معرفة؟ والمنهج تدخلت في وضعه الوزارة تحقيقاً لأهداف الدولة و المجتمع، ولكن الذين اختاروا ذلك لم يكونوا على قدر المسؤولية، فهؤلاء يجب أن يكونوا من العلماء الذين لا يؤمنون إلا بالبحث العلمي وسيلة وسبباً لوضع منهاج يحقق الأهداف، ويتدرج بالمعلومات .
 - ب. المشكلات الخاصة: وطريقة التوصيل مرتبطة بالمنهج والمعلم والاستعداد لدى المدرسة أو الوزارة لإغناء المدرسة بكل جديد متطور لتكون المدرسة مكاناً محبباً للطلاب الذين يسعون إليه.
- ويبين الباحث هذه المشكلات الخاصة في تعليم اللغة العربية على النقاط التالية :

- 1- العربية محاربة: فقد زُيّنت لأولي الأمر وللمجتمع العلوم التجريبية، فالعصر عصر العلوم التكنولوجية، وكان ذلك على حساب العلوم الإنسانية وأولها وأغناها اللغة العربية، فلم يعد معلم العربية المَعلم الأول، بل تراجع ليكون أثره ضعيفاً، وما عرف هؤلاء وأولئك أن العلوم التجريبية سيضعف مستواها لأن الأساس فيها هو اللغة، وازدادت الأمور سوءاً في بعض الدول العربية حين أخذوا بنصائح العولمة، فأهلوا العربية، وأحلوا الإنجليزية محلّ الصدارة .
- 2- الإيهام بصعوبة العربية: أدخل في روع الناس أن اللغة العربية لغة صعبة، عصيّة على التعلم، هي لغة قديمة، وقواعدها بائدة، لا علاقة لها بالحدثة، ولا يمكن لها التعبير عن علوم العصر، وأنا أزعم أن اللغة العربية أسهل من كلّ اللغات إن كان المجال للمقارنة بين السهولة والصعوبة، ولكنّ إضعاف الإحساس بالانتماء إلى العروبة يحتاج إلى مثل هذه المقولة،

¹⁴ توظيف اللسانيات في تعليم اللغات، رضا الطيب الكشو، مكتبة الملك فهد الوطنية، مكة المكرمة، دط، 1436هـ ، ص 297-

¹⁵ فتحي على يونس ومحمد عبد الرؤوف الشيخ، "المرجع في تعليم اللغة العربية للأجانب: من النظرية إلى التطبيق"، مكتبة وهبة، القاهرة، 1423هـ/2003م،

وأسهم المهتمون بالعربية عن حسن نية في هذا الوهم حين اعتقدوا أن النحو والإعراب هو الذي يعلم العربية، وأن الألفية مثل جيد لحفظ القواعد، والحقيقة أن النحو لا يتعدى أن يكون سجاجاً وإقياً وحامياً، ويحتاج إلى أن يقدم بصورة تليق بالعربية، أما تعلم العربية فلا يكون إلا من النصوص، قراءة ومنهجاً وبحثاً واستقصاء.

3- الغربة بين بعض مسائل علوم العربية من جهة وبين الحياة المعاصرة من ناحية أخرى: لابد في اختيار عناصر المادة المدروسة، أو الكتاب المقرر في علوم العربية من التوازن بين النصوص التراثية والنصوص المعاصرة، ولابد من البعد عن افتعال تكوين نصوص غثة باردة لتكون مثلاً لدروس علوم العربية، ويجب التوضيح بكل القواعد والمسائل اللغوية التي لا صلة لها بحياتنا المعاصرة، ويجب أن توضح العبارات المسكوكة في الإعراب أو المصطلحات النحوية القديمة كالتمييز والحال والمفعول المطلق ولا النافية للجنس وغيرها كثير، ويجب الاكتفاء بالصورة التي يجري عليها أكثر اللغة أو أكثر نصوصها الحديثة، ويجب البعد ما أمكن عن الجوازات التي جرّ إليها القياس أو التي جاءت تحت ما يسمى بالضرورة الشعرية، وأن يكون للإعراب وظيفة أساسية هي إدراك المعنى، ويجب التساهل في الشكل، وقبول التسكين مبدئياً.

4- اختيار النصوص: النصّ النثري المختار يجب أن يتميز بعنصري التشويق والإثارة، وأن يتم اختياره وفقاً لبحث علمي، والمرد من وراء ذلك التدرج المبني على التجربة، فنختار النصوص التي تغني الطالب بالمفردات من جهة وبأساليب من جهة أخرى، ويجب ألا تطغى النصوص القطرية، لأن اللغة العربية عاملٌ من عوامل التوحيد، وأن يكون هنالك اتفاق بين مديري التربية في الوطن العربي على ذلك.

5- الاهتمام بالمعجم: لا أعرف لغة أغنى من اللغة العربية في معاجمها التراثية، ولكنها لتزيين المكتبات العامة أو بعض المكتبات الخاصة، ولا أعرف لغة من اللغات الحية أوفر من اللغة العربية في استخدام أبنائها للمعاجم العامة والخاصة، فنحن نفقر في المعجم إلى تدريس طلابنا طريقة استخراج الكلمة من المعجم الذي يأخذ بأخر المفردة، والمعجم الذي يأخذ بأوائلها. والمعجم كنز من العلم والمعلومات اللغوية وغير اللغوية، والمتعلم يجب أن يكون على صلة بالمعجمات الخاصة والعامة، قبل هذا يجب أن تكون الثقافة المعجمية ثقافة عامة، ولابد من التوجه إلى هذا اللون من التأليف لأنه مازال قليلاً في الوطن العربي. نحن في حاجة إلى معجم معاصر يعنى بلغة الحياة التي نحياها حتى تقوم الصلة بيننا وبينه، فالصلة اليوم مقطوعة بالمعجم القديمة لأنه لا فائدة منها.

6- اللغة والأدب: العلاقة أساسية بينهما، والمزج أو الخلط بينهما يمكن أن يؤدي إلى مشكلة تعليمية، فأنا أقترح أن يتعلم الطالب في مرحلة التعليم الأساسي الأولى القراءة والكلام بالفصيحة، ثم يتدرب في مرحلة التعليم الأساسي الثانية على قضايا النحو والصرف والمعجم وغيرها من خلال نصوص فيها متعة وتشويق وفائدة، أما الأدب وقضاياها فيجب أن يترك للمرحلة الثانوية مع تذكير دائم بما كان من قواعد علوم العربية.

7- التعبير: لا أعرف شكوى أكثر مرارة من شكوى التلاميذ والطلاب حين يكلفهم المعلم أو المعلمة بكتابة موضوع يعبرون فيه عن أمر ما، فلا المدرس يعرف الطريقة التي يوصل فيها للطلاب طريقة الكتابة، ولا الطالب قادر على الإبداع والابتكار لأنه لم يدرب على ذلك. ودرس التعبير أو محاولة المتعلم التعبير عن شأن من شؤونه الخاصة أو من شؤون الحياة شيء له أهمية خاصة، وهو إحدى مهارات العربية ولعله أهمها.

2- الازدواجية اللغوية

الازدواجية ظاهرة لغوية تلقي بظلالها على مستويات تعليم اللغة العربية سواء لأبنائها أو للناطقين بغيرها، وتتجلى في مظان المكتوب

والمنطوق، ونحن هنا لسنا بصدد الوقوف في صف التنديد والإنكار لهذا الواقع اللغوي، بل بصدد الخلوص إلى حل يخرجنا من هذا الصراع، فقد كشفت الدراسة أنه باستبصار أوجه العلاقة بين الازدواجية ومكونات البيئة التعليمية من مناهج، ومعلمين، ومتعلمين، وأهداف تعليمية، ومجتمع اللغة، تقل حدة الازدواجية، وأنه إذا ارتبطت المناهج التعليمية بأهداف الدارسين لن يشكل الازدواج اللغوي عائقاً يحول دون تحقيق أهدافهم. وثمة مسؤولية كبيرة على عاتق المعلمين الذين نهضوا لتعليم العربية للناطقين بغيرها، إذ ينبغي أن ينطلق المعلم في تعليمه من رؤية واضحة لطبيعة المتعلمين وأهدافهم التي رسموها لأنفسهم.

تعتبر مشكلة الازدواجية في اللغة العربية من أهم المشكلات اللغوية التي تواجه الوطن العربي وبخاصة من النواحي الاجتماعية والنفسية والتربوية. ولطبيعة هذا الموضوع الحساسية من الناحيتين القومية والسياسية من جهة والدينية من جهة أخرى، فإنه لم يلقَ عناية موضوعية كافية، أو بحثاً مستفيضاً في ضوء الدراسات اللغوية المعاصرة، خاصة التطورية والمقارنة منها. و يبقى الكثير مما كتب ردود فعلٍ أنيئة أملتته انتماءات ومصالح مختلفة أكثر مما أملاه البحث الموضوعي الجاد في العالم العربي، سأتناول في هذا البحث قضية الازدواجية بالتعريف، وأربطها بالوضع اللغوي العربي، شارحاً أربعة أنماط للعربية تحدث عنها الغربيون، وتبعهم العرب في الحديث عنها؛ ثم فكرة الدعوة إلى العامية، مبيّناً ثلاث مراحل تاريخية مهمة لتطورها.

1.2 تعريف الازدواجية :

لغة:

جاء في لسان العرب: الزوج: خلاف الفرد، يقال: زوج أو فرد، و كان الحسن يقول في قول عز وجل: " ومن كل شيء خلقنا زوجين" قال: السماء زوج، و الأرض زوج، و الشتاء زوج، والصيف زوج والليل زوج والنهار زوج، ويجمع الزوج أزواجاً و أزواج.... و الأصل في الزوج الصنف و النوع من كل شيء. و كل شئيين مقترنان، شكلين كانا أو نقيضين، فهما زوجان، و كل واحد منهما زوج¹⁶

اصطلاحاً:

ورد في قاموس robert ptit le تعريف الازدواجية اللغوية بأنها استعمال لغتين عند الفرد أو في منطقة ما¹⁷.

بينما يعتقد إميل يعقوب أن ما يقصد بالازدواجية اللغة "bilinguism le" وجود لغتين مختلفتين عند فرد ما، أو جماعة ما، في آن واحد، و من دون الدخول في المعايير التي بواسطتها نستطيع أن نؤكد أو ننفي وجود الازدواجية بين لغتين معينتين، فإن بعض الباحثين يفضلون استعمال مصطلح الازدواجية الذي يستعمله كثير من اللغويين للدلالة على شكلي اللغة العربية الفصحى والعامية. ذلك أن العامية والفصحى فصيلتان من لغة واحدة، والفرق بينهما بالتالي فرعي لا جذري و عليه فالازدواجية الحق لا تكون إلا بين لغتين مختلفتين، كما بين الفرنسية والعربية، أو الألمانية والتركية، أما أن يكون لغتان إحداهما عامية والأخرى عربية فصحى، فذلك لا ينطبق مفهوم الازدواجية عليه، إنه بالأحرى ضرب من الثنائية اللغوية¹⁸.

يعرفها دي بوا dubois بأنها" الوضع اللغوي الذي يستعمل فيه المتكلمون لغتين مختلفتين حسب البيئة الاجتماعية والظروف اللغوية. أما الموسوعة الجغرافية فيؤكد اندري André فيها بأنها" الوضع الذي توجد فيه لغتان في نفس البلد إحداهما لغة الأغلبية والأخرى

¹⁶ - العربي العياشي(2012). لغة الطفل العربي و المنظومة المغوية في مجتمع المعرفة(الجزائر، ص36

¹⁷ كرم صالح خوالدة(2012) (الإليز المغوي، ط1، عمان: دار الحامد لمنشر و التوزيع، ص132

¹⁸ دليمة فرحي(2009). الازدواجية المغوية: مفاهيم و اراءصات .مجلة المخبر بأبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، جامعة بسكرة(العدد الخامس)ص270

لغة الأقلية ولهما نفس الوضع القانوني والعالمي وكذلك في الدوائر الحكومية، مثال ذلك بلجيكا، كندا، فنلندا، سويسرا، دول المغرب العربي (الجزائر، تونس و المغرب)، و جمهورية جنوب افريقية¹⁹.

2.2 نشأة ازدواجية في العربية :

في هذا السياق يمكن الحديث عن نشأة الازدواجية من زاويتين؛ الأولى حيث ينظر إلى الازدواجية بوصفها ظاهرة لغوية، رافقت اللغة نفسها منذ النشأة الأولى لها، والثانية حيث ينظر إليها بوصفها اصطلاحاً لغوياً أو مفهوماً بدأ يظهر في دراسات اللغويين العرب وغير العرب، منذ بدء هذه الدراسات، لكنه لم يتخذ شكلاً عالمياً إلا من عهد قريب حين كتب "فيرغسون" مقالته الشهيرة عن الازدواجية اللغوية (Diglossia) سنة 1958م، وكان له فضل السبق في استخدامه، ثم ما لبث أن انتشر وشاع لدى علماء اللسانيات الاجتماعية

3.2 أسباب الازدواجية اللغوية:

هناك عوامل وأسباب تساعد على ظهور وتغشي ظاهرة الازدواجية اللغوية والتي تتمثل في:²⁰

1 . الغزو العسكري و الاحتلال:

تتم عملية تهيمش أو مس اللغة الأصليّة لبلد ما عن طريق سيطرة وفرض هيمنة البلد القوي والمتطور من شتى الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية إلى غير ذلك ، فيصبح البلد المحتل ضعيفا يعرف بالتبعية الأجنبية .

هذه الظاهرة قد تحدث لأسباب عدة بحيث يقوم البلد القوي والمتطور من كل الجوانب إلى فرض كلمته على بلد ضعيف فيؤدي إلى فرض لغته ومحاولة منه تهيمش اللغة الأصليّة لهذا البلد الضعيف، نستعين بمثال حي ما حدث في الجزائر التي تعرضت للاستعمار الفرنسي ، أو ما يحدث اليوم في فلسطين ، وهو الشأن في العراق وغيرها من البلدان التي تعرضت للظلم والاحتقار ، كما أن ما حدث في عصر الفتوحات الاسلامية الذي عرف نشر للقرآن الكريم في جل أنحاء العالم وانتشار اللغة العربية .

2 . الهجرة الجماعية :

وهذه الآفة تحدث لأسباب عدة منها : السياسية أو الاقتصادية وحتى الديني، وهذا يحدث فرارا أو هروبا من الاضطهاد السياسي أو الديني أو لأسباب أخرى منها المرض والفقر واللا أمن، بحثا عن السلم والهناء وطلب الرزق، فعلى المهاجرين تعلم لغة البلد المضيف، حتى يسهل عليهم التعامل مع تلك الشعوب، وهذه العملية (أي الاحتكاك مع تلك الشعوب) تجعل كلا الطرفين يتعلم لغة الآخر وبنسبة أكبر المهاجرين، ولا يجب اعتبار الهجرة وحدها سببا لظهور الازدواجية اللغوية، فهناك عدة أسباب مثال التجارة وعملية تبادل السلع .

هذا كله يؤدي إلى ظهور وتغشي الازدواج اللغوي فالיום بالكاد نجد قوماً لا يتقنون على الأقل لغتين والأسباب عديدة نصوغ بعضها

في هذه العناصر :²¹

¹⁹ ابراهيم صالح القالي، (1996)، ازدواجية اللغة: النظرية و التطبيق، ط1، الرياض: مكتبة الممك فهد الوطنية. ص56

²⁰ حمود ابراهيم كايد، العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية ، المجلة العلمية بجامعة الملك فيصل، العلوم الإنسانية والإدارية، المجلد الثالث، العدد الأول، 4114هـ، ذو الحجة، 2002م، ص77

²¹ . محمد علي الخولي، الحياة مع لغتين، الثنائية اللغوية، دار الفالح للنشر والتوزيع، الاردن، 2002م، ص41.

- 1- الإلحاق والضم : يحدث هذا عندما تقوم دولة بفرض سلطانها وسيطرتها على دولة أخرى، وفرض لغتها كلغة رسمية لتلك الدولة كما حدث على سبيل المثال عندما قام الاتحاد السوفياتي بضم دول البلطيق (ليتوانيا ، استونيا ،..... إلخ) إلى سلطانه، وفرض اللغة الروسية كلغة رسمية لتلك الدول، ويؤدي هذا الضم إلى ظهور التعدد اللغوي أو الازدواج اللغوي
- 2- المصاهرة والتزاوج : قضية التزاوج بين الأجناس من الأسباب في ظهور الازدواج اللغوي ، خاصة إذا تكلمنا عن الزواج من دون الأقارب فهذا يؤدي إلى ولادة أطفال وأجيال مزدوجي اللغة ، فقد يحمل الأطفال لغة الأم ولغة الأب في نفس الوقت أو سيقوم كل من الأب والأم بتعليم الطفل اللغة الخاصة بالوالدين ، وربما ذلك للعرف والعرق أو الافتخار كل واحد بلغته الأم وهذه الظاهرة سبب من أسباب ولادة أطفال مزدوجي اللغة ، فنجد اليوم كثيرا من الأطفال الا أنهم يتعاملون مع المولودين في بلد غير بلدهم الأصلي ويتقنون لغتين رغم سنهم الصغير ببساطة ومن دون صعوبة تذكر .
- 3- . التعليم والثقافة : نجد في هذا العنصر أن ما كان عليه في السابق وما هو عليه الحال حاليا بالنسبة للحدود الرسمية للغة تختلف عن حدودها الثقافية ، ففي العادة الحدود الرسمية للغة لا تتطابق مع الحدود الثقافية فقد تتعدى حدودها ، هذا ما حصل بالنسبة لليونانية حيث كانت السياسية للدول ، أم في السابق لغة العلم والفلسفة والأدب في أوروبا ثم جاءت بعدها اللاتينية ، بعدها جاء دور اللغة الفرنسية ، وفي الأخير سيطرت اللغة الإنجليزية على أنحاء العالم.
- 4- العقيدة والدين: مما هو معروف أن لكل بلد دين وثقافة ولغة خاصة به، حيث يسعى كل بلد إلى نشر عقيدته وثقافته في جل أنحاء العالم ، فمثال الدول العربية وما حدث في الفتوحات الاسلامية من توسع في مختلف أوساط غير الدول العربية ، حيث قام المسلمون بدور كبير في نشر هذه الرسالة الربانية المتمثلة في الإسلام ، حيث نجد اليوم كثيرا من غير العرب يمارسون شعائر الإسلام في مناطقهم لتأثرهم بهذا الدين الجديد، وقد سارعت تلك الشعوب إلى تعلم اللغة والدين الجديد ولم يكن هذا بالاستعمار فاللغة العربية ضرورية لفهم هذا الدين، وهذا التداخل بين الشعوب سيولد شعب ازدواجي اللغة.

2.4 تأثير الازدواجية في متعلم العربية من الناطقين بغيرها

إن الازدواجية في اللغة العربية أو التعددية اللغوية، أي تعدد المستويات اللغوية، ظاهرة لغوية اجتماعية غير مرغوب فيها، لكنها مشكلة يعاني منها الناطقون بالعربية والدارسون لها من الناطقين بغيرها، لكن قد يكون لهذه الظاهرة جوانب إيجابية تخدم اللغة العربية الفصيحة، وذلك لأن التغير وانحطاط المستوى يبقى في العاميات التي يتحدث بها الناس، ولا يمس الفصيحة بسوء، لأن التغير والتطور غالبًا ما يحدث في لغة الناس اليومية بشكل أوضح مما هو في الفصيحة، فتبقى اللغة سليمة من التغير.

ومشكلة الازدواجية بين العامية والفصيحة من المشكلات التي تؤثر تأثيرا مباشرا في متعلم العربية من الناطقين بغيرها، وذلك عندما يستخدم مدرس اللغة العربية الفصيحة أثناء تدريسه، ثم لا يلبث أن ينتقل إلى العامية في حديثه مع المتعلمين، وهذا الأمر يؤثر في المستوى اللغوي عند متعلم العربية، ويجعله ضعيفا في اللغة العربية. ومتعلم اللغة العربية من الناطقين بغيرها يأتي إلى البلاد العربية، لدراسة اللغة العربية أملا في تعلمها في الموطن الأصلي، ثم يبدأ بدراسة اللغة في قاعة الدرس بلغة فصيحة، ولكن عندما يخرج إلى المجتمع، ويحتك بأبناء اللغة الأصليين، يجدهم يتحدثون بلغة تختلف عن اللغة التي مارسها في قاعة الدرس، هذه اللغة هي "العامية"، وقد يتبادر لأذهان أبناء اللغة أن الفرق بين العامية والفصيحة واضح وسهل، لكن الأجنبي يجد الاختلاف كبيرا بينهما، ما يخلق عنده يأسا؛ بسبب عدم تلبية ما يتعلمه نظاميا للتواصل مع زملائه العرب الذين يتكلمون العامية في أحاديثهم الجانبية.

بيد أنه يجب ألا ننسى أن تعليم اللغة للناطقين بغيرها يتطلب توفير بيئة لغوية، بمعنى أن يكون الجو المحيط بالمتعلم عاملا مساعداً أو مشجعا، وحافزا على سرعة اكتساب اللغة وليس غريبا ما يعانیه متعلم العربية من الناطقين بغيرها من أمر الحيرة والتقلب بين

الفصيحة والعامية، فالعامية انحرف لغوي قد يكون طبيعياً، وهذا الانحرف له أثر في العقل يظهر جلياً على اللسان، لأن المتعلم عندما يبدأ بالكلام، يواجه مشكلة الصراع بين ما يتعلمه من قواعد ومفردات للغة الفصيحة، وما يسمعه من تحرر من بعض القواعد اللغوية الفصيحة في العامية²².

ويؤيد نهاد الموسى فكرة الاضطراب اللغوي عند المتعلم بسبب الازدواجية بقوله: "وتقضي هذه الازدواجية بالتلاميذ إلى اضطراب مركب. فعلى المستوى الوظيفي تكون العامية هي لغة الحديث، ذلك أن الكبار يتحدثون إليهم بالعامية، كما أن التلاميذ يستعملون العامية عندما يتحدث بعضهم إلى بعض ثم يجد التلاميذ أنهم يجاهدون لوضع الفصحى موضع العامية وجعلها تؤدي وظائف العامية في التعبير الشفوي. وعلى المستوى الموضوعي يتعلمون نحو الفصحى من خلال أحكام نظرية، وأنماط تحاكي دون ممارسة عملية مباشرة، ولا شك أن العواقب النفسية التي تترتب على هذه الازدواجية تستحق أن تستطلع استطلاعاً تجريبياً بعناية بالغة²³.

5.2 الازدواجية اللغوية وتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها:

أشارت كثير من الدراسات إلى أن الازدواجية تمثل عقبة في تعليم اللغة العربية لأبنائها أولاً ثم لمتعلمي اللغة العربية من

الناطقين بغيرها، وكشفت أن للازدواجية آثاراً سلبية على اكتساب المتعلمين للغة، لاسيما إذا كانت اللغة ثانية، وما

انفكت هذه الظاهرة تورق اللغويين المعاصرين، ورأوا في العامية انحرفاً وعقبة تحول دون تحقيق أهداف الدارسين، فإذا تطلعتنا إلى نشر العربية في العالم واستئنافها دوراً حيويًا حضاريًا فإن الازدواجية تقوم في وجه هذا الانتشار كالجدار، ذلك أن الدارس من غير أبناء العربية اعترضته الحيرة، وهو يتطلع إلى تعلم اللغة العربية، لأنه ينشد لغة تمكنه من أن يقرأ وأن يكتب وأن يتحدث، وإنه إذا تعلم إحدى اللهجات المحكية لم يمكنه ذلك من التحدث بالعربية في غير البيئة المحلية لتلك اللهجة، فتوقعتنا الازدواجية في مفارقة مرجحة حين يتكلم إلينا غير العربي بالفصحى فيجد أن جمهور الناطقين بالعربية يعزفون عن مجاراته²⁴، ما يؤثر في تحقيق كفايته التواصلية، ويحول دون اندماجه في مجتمع اللغة.

ولكن كما أقررنا في مستهل الحديث فإن تعدد المستويات اللغوية واقع لا مفر منه، فالعامية أداة الاتصال بين الناس، وليس لنا أن نتصور اختفاءها، ولا يعدو الأمر وراء إنكارها في أن يكون تجاهلاً لواقع يفرض نفسه، أو تسرعاً في إصدار الأحكام العلمية أو مزيدة لهدف²⁵، وهذا مدعاة للنظر إلى الازدواجية بعين الباحث المعالج لا المنكر الراض؛ بغية إيجاد حلول تتأى بنا عن التنظير وترتقي بواقعنا اللغوي. لذا قصدنا استبصار أوجه العلاقة بين الازدواجية والبيئة التعليمية من منهاج ومعلمين ومتعلمين، وفي ذلك مقصد علمي يهدف إلى تحديد دور كل من هذه العوامل في التقليل من الازدواجية، لأن تجاهل هذه العلاقة يؤثر سلباً على العملية التعليمية، ويعمق من حدة الازدواجية، وكان علينا استقراء اتجاهات المتعلمين نحو التنوع اللغوي، بغية تحقيق مآربهم وانسجام ما يقدم لهم مع ما ينشدونه.

²² السيد، محمود، 1988، تعليم اللغة بين الواقع والطموح، (ط1 دمشق: دار طلاس للنشر والتوزيع، ص212

²³ الموسى، نهاد، 1987، قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي الحديث، (ط1)، عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع، ص 117-118

²⁴ السيد، مرجع سابق

²⁵ الموسى، مرجع سابق

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- القرآن الكريم
- 2- عبد الحميد عبد الله وناصر عبد الله الغالي، أسس إعداد الكتب التعليمية لغير الناطقين بالعربية، دار الغالي، الرياض، المملكة العربية السعودية
- 3- تحي على يونس ومحمد عبد الرؤوف الشيخ، "المرجع في تعليم اللغة العربية للأجانب: من النظرية إلى التطبيق"، مكتبة وهبة، القاهرة، 1423هـ/2003م.
- 4- عمر الصديق عبد الله، تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها: الطرق-الأساليب-الوسائل، دار العالمية للنشر والتوزيع، الهرم، الطبعة الأولى، 2008م.
- 5- طعيمة، تعليم العربية لغير الناطقين بها مناهجه وأساليبه .
- 6- العناتي، اللسانيات التطبيقية وتعليم العربية لغير الناطقين بها، ط1 .
- 7- الألوائي، الوسائل التعليمية، لحل المشكلات اللغوية في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وقائع ندوات تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها الجزء (2) .
- 8- التمهيد في اكتساب اللغة العربية لغير الناطقين بها، تمام حسان، وزارة التعليم العالي، جامعة أم القرى، معهد اللغة العربية، مكة المكرمة، دط، 1404هـ-1984م.
- 9- داخل تعليم اللغة العربية، دراسة مسيحية كندية، أحمد عبده عوض، جامعة أم القرى-كلية التربية، مكة المكرمة، ط01، 1421هـ-2000م.
- 10- نهج الايسيسكو لتدريب اللغة العربية لغير الناطقين بها، أساسيات طريقة التدريس والتربية العلمية لدورات تدريب المعلمين، إسحاق أمين المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيسكو، ط02، 1428هـ-2008م.
- 11- توظيف اللسانيات في تعليم اللغات، رضا الطيب الكشو، مكتبة الملك فهد الوطنية، مكة المكرمة، دط، 1436هـ .
- 12- فتحي على يونس ومحمد عبد الرؤوف الشيخ، "المرجع في تعليم اللغة العربية للأجانب: من النظرية إلى التطبيق"، مكتبة وهبة، القاهرة، 1423هـ/2003م.
- 13- العربي العياشي(2012) لغة الطفل العربي و المنظومة المغوية في مجتمع المعرفة(الجزائر).
- 14- كرم صالح خوالدة (2012) الإيدز المغوي، ط1، عمان: دار الحامد لمنشر و التوزيع.
- 15- دليمة فرحي(2009).الازدواجية المغوية: مفاهيم و ارهاصات .مجمة المخبر أبحاث في المغة و الأدب الجزائري،جامعة بسكرة(العدد الخامس).
- 16- ابراهيم صالح القالي،(1996)،(ازدواجية اللغة: النظرية و التطبيق، ط1،الرياض:مكتبة الملك فهد الوطنية.

- 17- محمود ابراهيم كايد، العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، المجلة العلمية بجامعة الملك فيصل، العلوم الإنسانية والإدارية، المجلد الثالث، العدد الأول، 4114هـ، ذو الحجة، 2002م
18. محمد علي الخولي، الحياة مع لغتين، الثنائية اللغوية، دار الفالح للنشر والتوزيع، الاردن، 2002م.
- 19- السيد، محمود، 1988 ، تعليم اللغة بين الواقع والطموح، ط1 دمشق :دار طلاس للنشر والتوزيع.
- 20- الموسى، نهاد، 1987 ، قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي الحديث، ط(1) ، عمان :دار الفكر للنشر والتوزيع.

عنوان البحث

أهمية الموقع الجغرافي لهور الدلمج في نمو حركة الطلب السياحي - دراسة ميدانية

د. زينب صادق مصطفى¹

¹ الجامعة المستنصرية / كلية العلوم السياحية/ العراق

تاريخ النشر: 2020/12/01م

تاريخ القبول: 2020/11/24م

المستخلص

للموقع الجغرافي تأثيرات متعددة على السياحة، فمنه يتحدد نوع المناخ السائد ومن ثم نوع النبات الطبيعي والحيوانات والقرب والبعد من مناطق انطلاق السياح وهذه الشخصية المكانية لها تأثير على نوع وطبيعة الحركة السياحية وموسميتها. ويهدف البحث الى بيان تأثير هذا العامل على النشاط السياحي في هور الدلمج من خلال زيارة ميدانية لتحديد اهم عناصر الموقع الجغرافي التي تؤثر على زيادة رغبة السائح لزيارة الهور، حيث تم توزيع استمارة استبيان على زوار الهور ضمت مجموعة من الاسئلة تخص العناصر الاساس للموقع الجغرافي وقد توصل البحث الى مجموعة من الاستنتاجات كان اهمها تأثر الطلب السياحي بتوفر طرق المواصلات التي تؤمن الوصول السريع و الامن الى الهور اما التوصيات فكانت ضرورة المحافظة على منسوب المياه في الهور لغرض المحافظة على التنوع الاحيائي الذي يمثل احد عناصر الجذب السياحي .

RESEARCH ARTICLE**THE IMPORTANCE OF THE GEOGRAPHICAL LOCATION OF THE DELMAJ MARCH IN THE GROWTH OF TOURIST DEMAND MOVEMENT - A FIELD STUDY****Dr. Zainab Sadiq Mustafa¹**¹ Al-Mustansiriya University / College of Tourism Sciences / Iraq**Accepted at 24/11/2020****Published at 01/12/2020****Abstract**

The geographical location has multiple effects on tourism, as it is determined by the type of climate prevailing and then the type of natural plants and animals and the proximity and distance from the areas of departure of tourists and this spatial character has an impact on the type and nature of tourism movement and its seasonality. The research aims to demonstrate the effect of this factor on the tourist activity in Hor Al-Dalmaj through a field visit to determine the most important elements of the geographical location that affect the increase in the tourist's desire to visit the marsh, where a questionnaire form was distributed to the visitors of the marsh that included a set of questions related to the basic elements of the geographical location. The research reached a set of conclusions, the most important of which was the impact of the tourist demand by the availability of transportation routes that ensure rapid and safe access to the marsh. As for the recommendations, the necessity of preserving the water level in the marsh for the purpose of preserving the biodiversity, which is one of the elements of tourist attractions .

المقدمة

تشكل المسطحات المائية بكل أنواعها احد اهم اماكن القصد السياحي لما توفره من امكانية لممارسة الكثير من النشاطات والفعاليات المائية اضافة الى ماتخلقه المناطق الطبيعية المحيطة من شعور بالراحة والاستجمام كل هذا يرتبط بنوعية المياه ودرجة نقاوتها ومناسبتها وتوفر المناطق الملائمة لممارسة مختلف الفعاليات المائية وامكانية استغلال المناطق المحيطة لتوفير اماكن الايواء والطعام التي يحتاجها مرتادي هذه المواقع .

وتبرز قيمة المسطح المائي في حالة كونه يتميز بموقع جغرافي ملائم و بموارد سياحية معينة تساهم في زيادة رغبة السائح لزيارته والاستمتاع و الانتفاع بمميزاته مثل العيون المعدنية والشواطئ الرملية الواسعة يضاف الى ذلك ماتخلقه هذا الاماكن من فرص عمل تساهم في زيادة دخل السكان المحليين ودعم اقتصاد المنطقة . لكن لا يكفي توفر المقومات الطبيعية لخلق نشاط سياحي في هذه المسطحات مالم يرافق ذلك اهتمام بعناصر تساهم في زيادة رغبة السائح في زيارة الموقع وتكرارها مثل سهولة الوصول وتوفر اماكن الايواء والاستراحات

مشكلة البحث

لقد تمت صياغة المشكلة التي يدور حولها البحث بتساؤل رئيس شكل الفرض العلمي لهذا البحث ومفاده. هل يؤثر الموقع الجغرافي لهور الدلمج في حجم الطلب السياحي

هدف البحث

يهدف البحث لمعرفة وتحديد مايلي

- 1- التعريف بالعوامل المؤثرة على الطلب السياحي من وجهة نظر السائح
- 2- المقومات الطبيعية والبشرية لموقع هور الدلمج
- 3- تحديد العوامل التي تؤثر في حجم الطلب السياحي لزيارة هور الدلمج

المبحث الاول

مفاهيم البحث والدراسات السابقة

اولا : تعريف الموقع والموقع الجغرافي والموقع السياحي

تعول على الموقع اهمية حيوية وخطيرة بالنسبة لنشأة ونمو المدن ، اذ يمكن ان تنمو المدينة حضاريا وعمرانيا واقتصاديا نتيجة لوقوعها في موقع مميز وفي نفس الوقت يمكن ان تتضاءل لو تضمنت المدينة لتضاؤل اهمية موقعها .

يحدد موقع اي دولة على سطح الارض فلكيا بواسطة خطوط الطول ودوائر العرض ،ويظهر تأثير هذا الموقع في الاحوال المناخية والنباتية والحيوانية(1) يقصد بالموقع من الناحية الجغرافية التحديد المكاني للمنطقة المقصودة بالدراسة (اقليم، دولة، مدينة وغيرها) وعلاقتها بالنسبة للمناطق المحيطة بها، او التي تقع خارج حدودها المعمورة (2). او هو دراسة الظواهر الطبيعية للمنطقة المحيطة بالمدينة والتي ترتبط معها بصلات وثيقة وتأثيرات متبادلة لها دورها في صقل شخصية المدينة (3) .

وتؤثر في الموقع الجغرافي الطبيعي لمكان ما (إقليم أو مركز عمراني) مجموعة من العناصر (أو العوامل) الطبيعية أهمها أشكال سطح الأرض (جبال، هضاب، سهول، منخفضات،) والمسطحات المائية(محيطات، بحار، بحيرات، مستنقعات) والأنهار والمناخ

والنبات الطبيعي (غابات، حشائش، نباتات صحراوية) وكذلك التركيب الجيولوجي والتربة. ويؤدي تفاعل العناصر الطبيعية للمكان بعضها أو جميعها دوراً مهماً في تحديد الشكل الخارجي والداخلي للمركز العمراني أو الإقليم (4)

اما الموقع في صناعة السياحة، فهو يعني الموارد الطبيعية الترويحية والمصادر البشرية الترويحية في منطقة او بلد القصد واللذان يشكلان القاعدة الأساس لقيام او احتمال قيام أي تنمية سياحية مهما كانت بسيطة او معقدة، راقية او بدائية (5).

اما التعريف الاجرائي للموقع السياحي هو منطقة ذات جاذبية للسياح بما تمتلكه من خصائص طبيعية او بشرية متميزة او فريدة او نادرة

ويمكن تحديد أربعة أسس رئيسة لتحديد الموقع السياحي الأفضل وهي (6):

1- المواد الأولية، فصناعة السياحة كباقي الصناعات لها موادها الأولية وسبل إنتاجها وطرق وأسواق تصديرها، وهي بذلك شأنها شأن الصناعات الأخرى تعمل على تحويل المواد الأولية من حالة الى حالة أخرى يمكن الاستفادة منها في سد حاجات نفسية واجتماعية للإنسان.

2- السوق، ويختلف السوق السياحي عن الأسواق الأخرى فالموقع السياحي الذي تتوفر فيه كافة الخدمات و التسهيلات السياحية بالنسبة للسياح والذي تتوفر فيه الخاصية الفريدة يعد السوق الأكثر منافسة للأسواق الأخرى.

3- الأيدي العاملة، إذ ترتبط صناعة السياحة بصورة عامة والموقع السياحي بالدرجة الأساس بتوفر الأيدي العاملة الماهرة في مجال التخصص السياحي والفندقي، فالمهارة المتخصصة تؤدي إلى زيادة اقتناع الضيف بالخدمة المقدمة له وتشجعه على تكرار الزيارة.

4- طرق المواصلات، إذ يعد عنصر النقل وطرق المواصلات من العناصر الأساسية في اختيار الموقع السياحي، وتأتي تلك الأهمية عن طريق شعور السائح بالراحة تجاه خدمات النقل وطرق المواصلات وإمكانية وصوله الى الموقع بسرعة وسهولة خاصة وان السائح ينفق عند سفره حوالي 43% من إجمالي إنفاقه على الانتقال.

تعريف الطلب السياحي

يلعب الطلب دورا مهما في الانظمة الاقتصادية المختلفة كلها لانه يعد من العوامل المحددة لانواع وكميات السلع والخدمات المنتجة في البلد . فالطلب يعد موشرا لموقف المستهلكين تجاه السلع والخدمات المختلفة الذي ينتج عنه موقف الشراء للسلعة او الاستهلاك للخدمة ، وبالتالي فهو عبارة عن علاقة بين متغيرين هما السعر والرغبة للافراد في شراء السلعة واستهلاك الخدمة (7).

اما الطلب السياحي فهو يعد من المفاهيم الاساسية في حركة السياحة الداخلية والخارجية ويعد عنصرا مهما في التنمية السياحية وقد اختلف الباحثون والكتاب في تعريف الطلب السياحي ، فهو المجموع الاجمالي لأعداد السياح الوافدين الى المنطقة السياحية المواطنين منهم والاجانب (8)، او أنه اتجاهات السائحين نحو زيارة منطقة بذاتها قوامها مزيج مركب من عدة عناصر مختلفة تمثل الدوافع والرغبات والميول الشخصية فضلا عن المؤثرات الاجتماعية (9)

اما التعريف الاجرائي لطلب السياحي هو العدد الكلي للسائحين من ابناء البلد او الوافدين من خارجه والواصلين الى اماكن القصد السياحي والذين يستفيدون من الخدمات والتسهيلات السياحية المقدمة فيها .

والطلب السياحي شأنه شان اي طلب يتألف من ثلاث عناصر وهي الرغبة الذاتية في السفر الى جهة ما والقدرة المادية التي يمكن

ان تشبع هذه الرغبة وتوفر الوقت او الفراغ (10)

وهناك عدد من العوامل التي تساهم في زيادة طلب السائح لزيارة موقع معين ومنها

- ✓ شهرة الموقع وتمتعه بمواصفات وعناصر لا توجد في غيره من المواقع . حيث يزداد طلب السائح وتكرر زيارته للموقع السياحي اذا كان يتصف بصفات او مميزات لا يجدها في موقع اخر مماثل مثل توفر خصائص علاجية في عين المياه المعدنية تساهم في علاج امراض معينة
- ✓ توفر طرق المواصلات المعبدة والتي تساعد في سهولة وسرعة الوصول الى الموقع . حيث كلما كانت عملية وصول السائح الى الموقع سهلة ومريحة ومن خلال طرق معبدة تنتشر على جانبيها مناظر طبيعية جميلة زادت رغبته بزيارة الموقع او تكرار زيارته .
- ✓ طبيعة الموقع السياحي من طبوغرافية الأرض والمناخ والصفات الجمالية والمساحات الخضراء ، حيث تشكل هذه العناصر احد خصائص الموقع السياحي والتي تميزه عن غيره من المواقع والتي تزيد من رغبة السائح لزيارته
- ✓ تعدد النشاطات والفعاليات التي يمكن القيام بها داخل الموقع ، اذ ان وجود نشاط واحد قد يؤدي الى ملل الزائر او شعوره بالضجر اضافة الى اختلاف رغبات السواح على اختلاف اعمارهم وخلفياتهم الاجتماعية والعلمية وتطلعاتهم . وكلما تعددت الفعاليات والنشاطات التي يمكن ممارستها ازدادت رغبة السائح لزيارة الموقع لوجود ما يحقق الاستمتاع والترفيه

ثانيا الدراسات السابقة

لا توجد دراسات اهتمت بدراسة هور الدلمج من الناحية السياحية ومدى ملائمته لتحقيق التنمية السياحية واغلب الدراسات التي اهتمت بدراسة الهور ركزت على اهميته بالنسبة لتربية الاسماك ونمو النبات الطبيعي ومن هذه الدراسات دراسة عبد الرضا مطر الهاشمي و جميل عبد حمزة العمري الموسومة (الخصائص النوعية لمياه هور الدلمج في محافظة القادسية واثرها في تربية الاسماك) المنشورة عام 2018 في مجلة اوروك للعلوم الانسانية التي تصدر من كلية التربية للعلوم الانسانية في جامعة المثنى

هدفت الدراسة الى الكشف عن الخصائص الفيزيائية والكيميائية لمياه هور الدلمج ومفانيتها مع المياه الملائمة لتربية الاسماك ودراسة واقع الثروة السمكية وتحديد اثر العوامل الجغرافية فيه وتوصلت الدراسة الى ان نسبة الاملاح المذابة والعسرة تتجاوز المحددات الا ان هذا لا يجعل مياه هور الدلمج غير ملائمة لتربية الاسماك لان الاسماك تتنوع حسب طبيعة المياه التي تعيش فيها

اما البحوث والدراسات التي تناولت الموقع الجغرافي واهميته للاقتصاد فهي كثيرة منها دراسة ممدوح الدبس الموسومة (مفهوم الموقع الجغرافي الاقتصادي - البشري، واهميته كعامل في تحديد بنية الإقليم الاقتصادي وتخصصه ووظائف مراكزه العمرانية (إقليم الساحل السوري ومدنه نموذجاً) المنشورة في مجلة جامعة دمشق المجلد 30 العدد 1 و2 لسنة 2014

هدفت الدراسة الى تحليل الأسس النظرية والمنهجية لنظرية الموقع الجغرافي الاقتصادي - وإبداء الرأي بهذا الخصوص من حيث المفهوم والسمات والتصنيف والعناصر المحددة لأهمية هذا الموقع. ودراسة أهمية الموقع الجغرافي الاقتصادي بوصفه عاملاً فاعلاً ومؤثراً في تشكل إقليم الساحل السوري ومدنه وتطوره وتحديد بنيته الاقتصادية الإنتاجية والخدمية ودورها في الاقتصاد الوطني السوري. وتوصلت الدراسة الى ان هناك منظومة من العلاقات المكانية الحيوية التي تؤثر سلباً أو إيجاباً في تشكل الإقليم وتطوره وتفاعله مع محيطه، كما تحدد هذه العناصر أهمية الموقع الجغرافي الاقتصادي - البشري للإقليم ومدنه، وتعد هذه الأهمية عاملاً

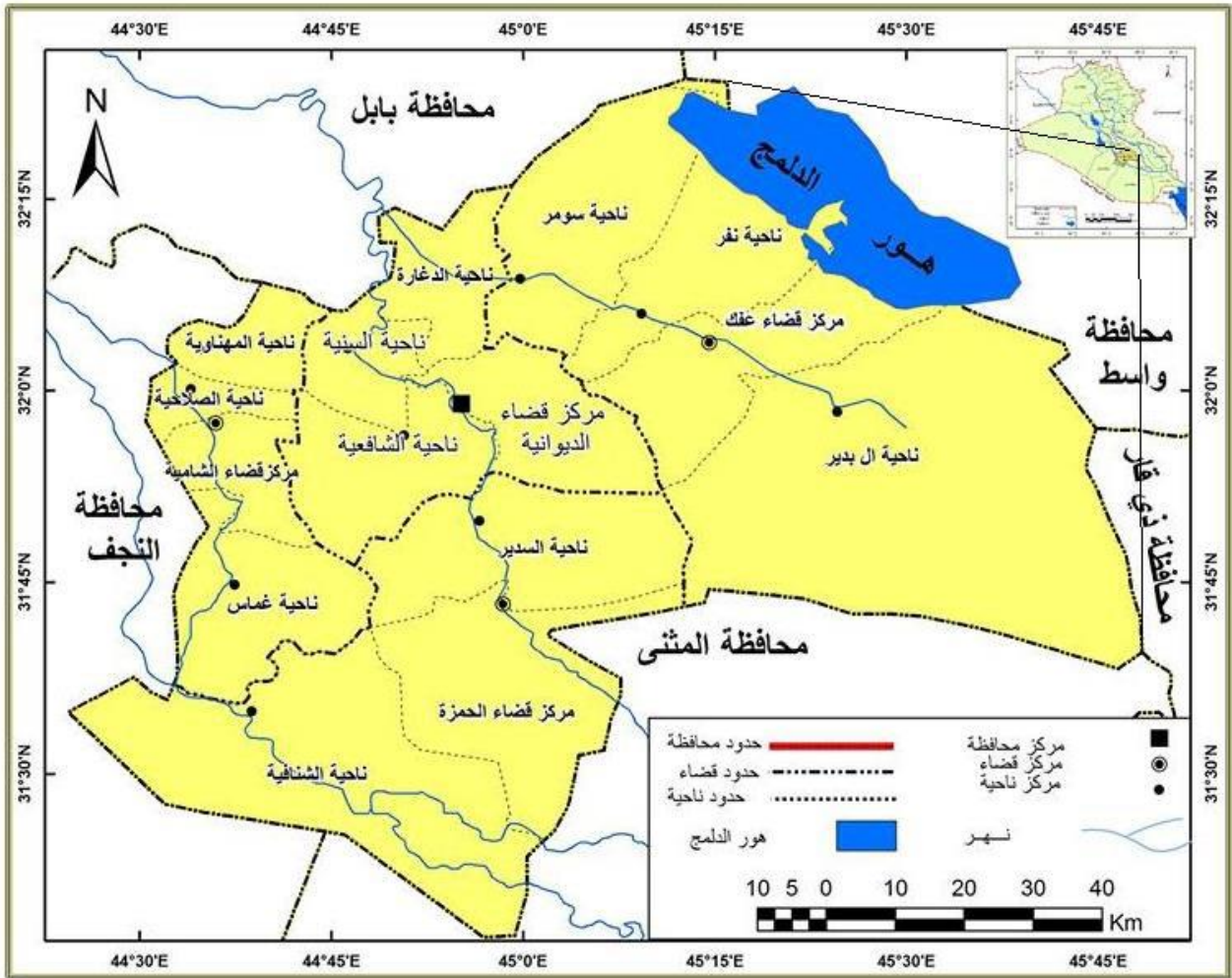
مؤثراً وفاعلاً في تحديد النية الوظيفية (الإنتاجية والخدمية) للإقليم ومدنه، ودور هذه البنية في منظومة الاقتصاد الوطني للبلد، وكذلك في تحديد قدرة الإقليم ومراكزه العمرانية على الاحتفاظ بالسكان وجذب المزيد منهم.

المبحث الثاني

واقع حال الموقع الجغرافي لهور الدلمج

أولاً : الموقع الجغرافي

يشكل هور الدلمج مسطحاً مائياً يمتد من الجزء الشمالي الشرقي لمحافظة الديوانية والجزء الجنوبي الغربي لمحافظة واسط بين خطي طول 45 و 45.30 وعلى بعد 180 كم جنوب بغداد ، أما جغرافياً فيحده من الشمال قضاء النعمانية ومن الشمال الشرقي ناحية الاحرار ومن الشمال الغربي محافظة بابل ومن الشرق ناحية الموقية ومن الغرب محافظة الديوانية ومن الجنوب ناحية الفجر



المصدر : وزارة الموارد المائية ، مديرية الموارد ، محافظة القادسية ، دائرة المصب العام ، 2016

وتبلغ مساحة الهور 12 ألف دونم ويتغذى بالمياه من النهر الثالث (المصب العام) ويختلف عمق الهور باختلاف المواقع حيث تميل اراضي الهور الى الانحدار في المناطق الواقعة في محافظة واسط ونسبة الغمر في الهور من 5-10% من مساحة الهور الكلية ويعتمد ذلك على كمية المياه الواردة من الذراع المغذي من نهر المصب العام (11) . وان استمرار تدفق مياه النهر جعل من

منخفض الدلمج من المنخفضات الدائمة وتختلف كميات المياه المغذية للمنخفض بين فصل واخر وبين سنة واخرى لذلك فان مساحة منخفض الدلمج تتغير باستمرار لارتباطها بظروف التساقط المطري

هور الدلمج أو بحيرة الدلمج ليس هوراً طبيعياً هو منطقة منخفضة جيولوجياً وتم تحويل هذه المنطقة في ثلاثينيات القرن الماضي لسعتها وانخفاضها ، وفي الوقت الحاضر استخدم الهور كمستودعاً لمياه المصب العام ، يستفاد من هذا المنخفض الطبيعي كخزان تنظمي بين المياه المحمولة إليه من المصب العام والمياه المطلقة ثانياً الى المصب العام من الجهة الاخرى ، ويستفاد من الخزان في هور الدلمج في تقليل تصريف الذروة للمياه المحمولة الى المصب العام من ظاهرة التبخر الطبيعي في المنطقة التي يقع فيها الهور وبالتالي اصبح الهور بحيرة تبخيرية لسطوع الشمس الكبير ولذلك يطلق عليه اسم مبخرة هور الدلمج أيضاً (12)

وكخزان للمياه الناتجة عن الفيضانات التي تحصل في الجانب الغربي لنهر دجلة، لكنه تحول الى مسطح مائي كبير ويستخدم كخزان مائي وقتي لتخفيف الضغط عن المصب العام في منطقة السافون عند تقاطع المصب مع نهر الفرات جنوب الناصرية، لتذهب إلى شط البصرة من ثم الى خور عبد الله والخليج (13)

ثانياً : العوامل المناخية

تقع منطقة الدراسة ضمن المناخ الصحراوي الذي يشمل السهل الرسوبي والهضبة الغربية أي مايقارب 70% من سطح العراق وتتراوح الامطار السنوية فيه ما بين 50-200 ملم ويمتاز بالمدى الحراري الكبير ما بين الليل والنهار والصيف والشتاء حيث تصل درجات الحرارة في الصيف ما بين 45-50 درجة مئوية وفي فصل الشتاء يسود الجو البارد وتبقى درجات الحرارة فوق درجة الانجماد ولا تهبط الى ما دون ذلك .

تزداد الرياح في فصل الصيف مقارنة مع فصل الشتاء كما تكون سرعة الرياح في الاجزاء الشمالية اقل من سرعتها المسجلة في الاجزاء الجنوبية من الهور (14)

ثالثاً : الغطاء النباتي

يتميز منخفض الدلمج بوجود غطاء نباتي مؤلف من نباتات مائية بارزة من القصب والبردي والجولان ونباتات مائية غاطسة كالشبلان وتنتشر فيه نباتات برية متنوعة مثل الطرطيع والطفرة ، ويستفيد السكان المحليين من هذه النباتات في علف حيواناتهم وبناء المساكن البسيطة التي تنتشر في المنطقة وكذلك فإن هذه النباتات تعطي جمالية للمنطقة وتوفر بيئة جيدة لمعيشة الحيوانات والطيور (15)

رابعاً : العوامل الاجتماعية (المستوطنات البشرية)

يعيش في هور الدلمج حوالي 2500 عائلة (16) يمتهن اغلبهم الزراعة والرعي وتربية الحيوانات والصيد . وتتميز حياة السكان بالبساطة حيث ان اغلب البيوت مبنية من المواد المحلية المتوفرة في البيئة كالقصب والبردي والأخشاب وتفتقر إلى الخدمات الرئيسية كالماء الصالح للشرب والكهرباء .

ويساهم منخفض الدلمج في امتصاص البطالة والحد من الهجرة الفلاحية للمدن من خلال ممارسة العمل الزراعي وتربية الحيوانات كالجاموس التي تجد من هذا المنخفض بيئة مناسبة لتربيتها وكذلك وجود النباتات الطبيعية كالقصب والبردي إذ تعتبر من المواد الأولية المهمة لاستخدامها في صناعة الحصران وبناء المساكن.

ويمارس السكان مهنة صيد الأسماك لوجود أعداد كبيرة منها ومن النوعيات الجيدة كالبنبي والسمتي والحمري والخشني حيث يوجد إقبال كبير على شرائها في الأسواق المحلية ويستخدمون في الصيد شباك خاصة مختلفة الأحجام متناسبة مع نوعية الأسماك الموجودة ويستعملون المشحوف والبلم اثناء تنقلهم في المياه . وتعتبر هذه الأسماك مصدرا مهما في غذائهم اليومي او لغرض التجارة والتسويق . وكذلك فان بعضهم يمتن صيد الطيور لما يحويه المنخفض من مجموعة كبيرة من الطيور المهاجرة والمستوطنة مثل البط والوز والخضيري والحذاف حيث يستخدمون طريقة خاصة في صيدها تسمى (الدوشة) وكذلك يتم صيد بعض الطيور ببنادق الصيد ويعتبر صيد الطيور صيدا موسميا يكون خاصة في فصل الشتاء واولئ الربيع (17).



تصوير الباحثة خلال زيارة الهور بتاريخ 2019/3/2

خامسا : طرق وامكانية الوصول

إن قطاع أو صناعة النقل لا شك تلعب دوراً مهماً في تطور ونجاح السياحة في أي مكان معين من العالم، فإن توفر وسائل المواصلات السريعة والمريحة وتوفر طرق المواصلات يساعد على نجاح أي منطقة سياحية وخاصةً إذا توفرت لها كافة وسائل النقل البرية والبحرية والجوية، فإن السائح عندما يفكر في زيارة منطقة ما فأول ما يفكر به هو طريقة وسهولة سرعة الوصول، ولهذا السبب فإن نجاح السياحة في أي منطقة كانت يجب أن يصاحبه تطور وتقدم في كافة مجالات النقل الممكنة. وتعد المسافة هي العنصر الهام المؤثر على الموقع الجغرافي السياحي فكلما ازدادت المراكز السياحية بعدا عن مراكز انطلاق السياح ازدادت تكاليف الوصول إليها وتقلصت امكانية بقاء السياح فيها مدة طويلة (18)

يمكن الوصول الى الهور من خلال طريقين الاول من محافظة واسط باعتماد المسار الكوت – النعمانية وهو طريق ترابي غير معبد، اما الطريق الثاني فهو الطريق الواصل من الديوانية – عفك وهو طريق معبد بمسارين



طريق الكوت – النعمانية تصوير الباحثة خلال زيارة الهور بتاريخ 2019/3/2



طريق الديوانية – عفك تصوير الباحثة خلال زيارة الهور بتاريخ 2019/3/2

سادسا : الامكانات السياحية الموجودة

يتميز منخفض الدلمج بأجواء طبيعية مثالية وينفرد بصفات ومناظر خلابة من خلال التنوع الطبيعي لمكوناته من حيث الماء والنبات الطبيعي ويمكن بيان ابرز عناصر الجذب السياحي بالنقاط الآتية :

- 1- يعتبر من المواقع الأثرية الغنية جداً قبل أن تغمره المياه ولا تزال العديد من التلول الأثرية شامخة فيه فهو امتداد لمدينة نيبور الأثرية
- 2- ويعتبر أيضا من مصادر صيد الاسماك في منطقة الجنوب العراقي التي تتميز بسرعة التكاثر والنمو بحكم طبيعة الهور والغذاء الطبيعي الموجود به، واشهر هذه الانواع الخشني ، الشلك ، الجري ، السلفر ، الحمري ، البني و السمتي
- 3- يعيش فيه أكثر من 1200 نوع من الطيور معظم تلك الطيور تأتي من بلدان وقارات بعيدة خلال مواسم هجرتها واشهر انواع الطيور الموجودة طائر الواق الأبيض الصغير ، القبرة المتوجة ، أبو المغازل ، الررفراف الأبقع ، عصفور دوري ، غراب الماء القزمي ، البلشون الأبيض الصغير ، القطقاط أحمر اللغد ، النورس مستدق المنقار ، الغطاس الصغير (18)
- 4- يتميز سكان المنخفض والمناطق المحيطة به بنمط حياتي معين يميزهم عن بقية سكان العراق حيث يربون الجاموس ويبنون بيوتهم من القصب إضافة لامتهانهم للصيد.

وللامكانات الطبيعية للهور اعلنت وزارة الزراعة وبالتنسيق مع الهيئة الوطنية للاستثمار عرض فرصة استثمارية لهور الدلمج وبالغة مساحته الكلية (113588) دونم ، بموجب احكام قانون الاستثمار رقم (13) لسنة 2006 المعدل ووفقا" للاتي(18):

• قطاع الزراعة مثل صيد وتربية انواع مختلفة من الطيور والاسماك وتربية الحيوانات مثل الجاموس والبقر وزراعة الاعلاف.

• القطاع السياحي

• قطاع الصناعة (معامل تعليب الاسماك واللحوم ومعامل الالبان ومعامل تنقية البذور)



تصوير الباحثة خلال زيارة الهور بتاريخ 2019/3/2

المبحث الثالث

الدراسة الميدانية

تلعب الطبيعة الجغرافية دور أساسي في تنشيط حركة السياحة تبعا لما يتمتع به الموقع السياحي من عناصر جذب مثل النبات الطبيعي والمسطحات الخضراء والمسطحات المائية التي تعكس جمالية الموقع وتقرده بمميزات تشجع السائح على زيارته وللوقوف على اهم العوامل المؤثرة على الطلب السياحي لزيارة هور الدلمج تم تنظيم استمارة استبيان وهي احدى أدوات البحث العلمي التي تستخدم بشكل كبير في البحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية والإدارية ، وتهدف بشكل أساسي إلى الحصول على المعلومات التي تتعلق بأحوال الناس، واتجاهاتهم، وميولهم، ويجرى الاستبيان عادةً من خلال وضع عدد من الأسئلة من قبل الباحث بطريقة مترابطة يسعى من خلالها إلى الوصول إلى هدف إقامة البحث، وللإستبيان مزايا كثيرة، من أهمها سهولة الإجابة عن أسئلته وسهولة تحليله إحصائياً، إضافة إلى تقبل الناس (المبحوثين) له وسهولة التعامل معه . ضم الاستبيان (16) سؤال إضافة الى الاسئلة العامة .

تناولت اسئلة الاستبيان بعض العوامل التي تعتقد الباحثة بانها تؤثر في رغبة السائح على زيارة الهور وبالتالي تؤثر على حجم الطلب السياحي وتم اعتماد مقياس ليكرت الثلاثي في تحديد استجابات المبحوثين والتي تنحصر بين (موافق ، غير متأكد ، لا ووافق)

أولاً : فرضية البحث

قام البحث على أساس الفرضية الأساسية ((يتأثر الطلب السياحي في هور الدلمج بعوامل الموقع الجغرافي))
أما الفرضيات الفرعية فهي

- 1- يتأثر الطلب السياحي في هور الدلمج بتطور طرق المواصلات
- 2- يتأثر الطلب السياحي في هور الدلمج بنوع المناخ السائد
- 3- يتأثر الطلب السياحي في هور الدلمج بتوفر الخدمات السياحية

ثانياً : مجتمع وعينة الدراسة

يمثل مجتمع الدراسة كافة السواح والزائرين الحاليين والمحتملين لهور الدلمج وقد تم اعتماد العينة القصدية في اختيار المبحوثين حيث تم ملئ استمارة الاستبيان من قبل زوار الهور المتواجدين خلال زيارة الباحثة للهور بتاريخ 2019/3/ 2 والبالغ عددهم (30) زائر

ثالثاً : المقاييس الإحصائية المستخدمة

لغرض التحليل الإحصائي لنتائج الاستبيان تم استخدام الوسط الحسابي والانحراف المعياري والنسبة المئوية أما اختبار فرضيات البحث فقد تم اعتماد اختبار χ^2 (مربع كاي) وهو اختبار إحصائي يتم تطبيقه لدراسة العلاقة بين متغيرين لمعرفة ما إذا كان هنالك علاقة بين المتغيرين أم لا.

رابعاً : تبويب بيانات الاستبيان

1- توزيع عينة الدراسة حسب الفئة العمرية والنوع

جدول(1) توزيع العينة حسب النوع والفئة العمرية

العمر / النوع	60-51	50-41	40-31	30-21	20-15	المجموع
ذكور	1	8	7	3	1	20
إناث	3	3	2	2	0	10
المجموع	4	11	9	5	1	30

2- توزيع عينة الدراسة حسب الحالة الاجتماعية والنوع

جدول(2) توزيع العينة حسب النوع والحالة الاجتماعية

الحالة الاجتماعية / النوع	مطلق	ارمل	متزوج	اعزب	المجموع
ذكور	0	0	19	1	20
إناث	1	0	6	3	10
المجموع	1	0	15	4	30

يبين الجدول ان 50% من المبحوثين هم من المتزوجين وهذا يعني ان المكان ملائم لزيارة العوائل

3- توزيع عينة الدراسة حسب المستوى التعليمي والنوع

جدول(3) توزيع العينة حسب النوع والمستوى التعليمي

المجموع	اخرى	بكالوريوس	دبلوم	اعدادية	متوسطة	المستوى التعليمي النوع
20	1	8	3	3	5	ذكور
10	3	4	1	2	0	اناث
30	4	12	4	5	5	المجموع

يبين الجدول ان 40% من المبحوثين هم من حملة شهادة البكالوريوس

4- توزيع عينة الدراسة حسب محافظة السكن والنوع

جدول(4) توزيع العينة حسب النوع ومحافظة السكن

المجموع	القادسية	واسط	بغداد	نوع المشاركة النوع
20	8	7	5	ذكور
10	6	0	4	اناث
30	14	7	9	المجموع

يبين الجدول اعلاه ان 46% من المبحوثين هم من سكنة محافظة الديوانية وذلك لسهولة الوصول الى مكان الهور وملائمة

الطريق للوصول اليه

5- توزيع عينة الدراسة حسب المرافقين والنوع

جدول(5) توزيع العينة حسب النوع والمرافقين

المجموع	مع الاصدقاء	مع العائلة	بمفرده	نوع المشاركة النوع
20	12	7	1	ذكور
10	4	6	0	اناث
30	16	13	1	المجموع

يبين الجدول ان 53% من المبحوثين يزور الهور برفقة الاصدقاء تليها نسبة 43% من يزور الهور برفقة عوائلهم وذلك لان

ممارسة النشاطات والفعاليات الترويحية تكون اكثر تشويق ومتعة بالمشاركة مع الاصدقاء او الاقارب . وهذا مايتطلب توفر

اماكن للراحة وتقديم الطعام والشراب لاستكمال متعة الزائر من زيارة المكان .

6- توزيع عينة الدراسة حسب النوع وسيلة الوصول

جدول (6) توزيع العينة حسب النوع ووسيلة الوصول

المجموع	اخرى	باص	سيارة اجرة	سيارة خاصة	دراجة نارية	مشي	وسيلة الوصول النوع
20	3	6	3	7	1	0	ذكور
10	0	3	0	7	0	0	اناث
30	3	9	3	14	1	0	المجموع

يبين الجدول ان اغلب المبحوثين من زوار الهور قادمين بواسطة سيارة خاصة وبنسبة 46% تليها نسبة القادمين بواسطة الباص

بشكل مجموعة سياحية وبلغت 30%

7- توزيع عينة الدراسة حسب النوع والمهنة

جدول (7) توزيع العينة حسب النوع والمهنة

المجموع	موظف	كاسب	عاطل	المهنة النوع
20	9	8	3	ذكور
10	7	0	3	اناث
30	16	8	6	المجموع

يشكل الموظفين العدد الاكبر من المبحوثين وبلغت نسبتهم 53% وذلك للاستفادة من عطلة نهاية الاسبوع لغرض الاستجمام

والراحة مع ملائمة المناخ لممارسة السياحة ، تليها نسبة الكسبة والبالغة 22%

8- توزيع عينة الدراسة حسب النوع وعدد مرات الزيارة

جدول (8) توزيع العينة حسب النوع وعدد مرات الزيارة

المجموع	مرات	اربع فاكثر	ثلاث مرات	مرتين	اول مرة	عدد مرات	الزيارة النوع
20	4	3	5	8		ذكور	
10	1	0	3	6		اناث	
30	5	3	8	14		المجموع	

من خلال الجدول اعلاه نجد ان نسبة 46,6% من المبحوثين كانت هذه زيارتهم الاولى للمكان ، وكان 26,6% منهم هي الزيارة

الثانية لهم ، اما من زادت زيارتهم عن اربع مرات فقد بلغت نسبتهم 16,6%.

ان ارتفاع نسبة الزائرين لأول مرة يعود الى عدة اسباب منها عدم المعرفة المسبقة بالمكان او الصعوبة في الوصول الى المكان خاصة للقادمين من خارج محافظة واسط

9- توزيع عينة الدراسة حسب النوع وانواع النشاط الممارس خلال الزيارة

جدول (9) توزيع العينة حسب النوع وانواع النشاط الممارس

المجموع	ركوب الزوارق	صيد الطيور	صيد السمك	استجمام	طبيعة النشاط النوع
20	6	3	4	7	ذكور
10	1	0	00	9	اناث
30	7	3	4	16	المجموع

كانت نسبة الزائرين لهور الدلمج لغرض الاستجمام والاستمتاع بالمناظر الطبيعية 53% من عدد المبحوثين ، تلتها نسبة الزائرين لغرض المشاركة بالجولات المائية بالزوارق داخل الهور .

10- نسبة اجابات عينة الدراسة حول اسئلة الاستبيان

جدول (10) النسب المئوية لاجابة المبحوثين حول اسئلة الاستبيان

ت	السؤال	وافق نسبة الاجابة	غير متأكد	نسبة لا وافق الاجابة	نسبة الاجابة
1	موقع الهور يؤثر على عدد الزائرين	50%	12	3	10%
2	يقل عدد الزائرين بسبب موقع الهور	46,7%	12	4	13,3%
3	الطبيعة الجغرافية للمكان تؤثر على عدد الزائرين	46,6%	8	8	26,7%
4	يقل عدد الزائرين بسبب طبيعة المكان وتضاريسه	40%	10	8	26,7%
5	مناخ المكان يؤثر على عدد الزائرين	50%	9	6	20%
6	طريق الوصول الى الهور غير امن	56,7%	3	10	33,3%
7	طريق الوصول الى الهور يفتقر الى الخدمات *	96,7%	0	1	0,3%
8	هناك صعوبة في الوصول الى الهور	63,3%	1	10	33,3%
9	توجد وسائل نقل تصل الى الهور	26,7%	2	20	66,6%
10	تقل زيارة المكان بسبب طول الوقت وبعد المسافة	43,3%	16	1	0,3%
11	يزداد عدد الزائرين للهور في موسم معين	70%	8	1	0,3%
12	المكان مناسب لزيارة العوائل لاغراض الترفيه والسياحة	70%	5	4	13,3%
13	يحتاج المكان الى خدمات الماء والكهرباء	100%	0	0	
14	يحتاج الموقع الى طرق ملائمة للوصول	96,7%	1	0	0,3%
15	تطوير الموقع يحتاج الى جهود سكان المنطقة	70%	7	2	6,7%
16	تطوير المكان يحتاج الى دعم حكومي	100%	0	0	

*يقصد بالخدمات محطة وقود ، مطعم ، محطة استراحة، مركز صحي ، محطة تصليح سيارات

11- التحليل الاحصائي لنتائج الاستبيان

بعد ان تم تحديد وزن لكل راي حيث كان وزن اجابة موافق (3) وهي الاعلى ووزن اجابة غير متأكد و(2) اما وزن اجابة لا اوافق فكانت (1) وهي الاضعف . تم حساب الوسط الحسابي والانحراف المعياري لاجابة المبحوثين عن كل سؤال وكما في الجدول رقم (11)

جدول(11) قيم الوسط الحسابي والانحراف المعياري لاجابات اسئلة الاستبيان

ت	السؤال	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري
1.	موقع الهور يؤثر على عدد الزائرين	2,40	0,67
2.	يقل عدد الزائرين بسبب موقع الهور	2,33	0,71
3.	الطبيعة الجغرافية للمكان تؤثر على عدد الزائرين	2,20	0,84
4.	يقل عدد الزائرين بسبب طبيعة المكان وتضاريسه	2,13	0,81
5.	مناخ المكان يؤثر على عدد الزائرين	2,30	0,79
6.	طريق الوصول الى الهور غير امن	2,23	0,93
7.	طريق الوصول الى الهور يفتقر الى الخدمات *	2,93	0,36
8.	هناك صعوبة في الوصول الى الهور	2,30	0,95
9.	توجد وسائل نقل تصل الى الهور	1,60	0,89
10.	تقل زيارة المكان بسبب طول الوقت وبعد المسافة	2,40	0,55
11.	يزداد عدد الزائرين للهور في موسم معين	2,66	0,54
12.	المكان مناسب لزيارة العوائل لاغراض الترفيه والسياحة	2,56	0,72
13.	يحتاج المكان الى خدمات الماء والكهرباء	3,00	0
14.	يحتاج الموقع الى طرق ملائمة للوصول	2,96	0,02
15.	تطوير الموقع يحتاج الى جهود سكان المنطقة	2,63	0,24
16.	تطوير المكان يحتاج الى دعم حكومي	3,00	0

خامسا : تفسير نتائج الاستبيان

بعد احتساب الوسط الحسابي والانحراف المعياري لاجابات المبحوثين تم التوصل الى النتائج الاتية

1- تقاربت اجابات المبحوثين حول السؤالين الاول والثاني والمتعلقة بتاثير موقع الهور على عدد الزائرين حيث ايد 50% من المبحوثين تاثير موقع الهور على عدد الزائرين بوسط حسابي (2,40) وانحراف معياري (0,67) في حين كانت نسبة من ايد انخفاض عدد الزائرين بسبب موقع الهور 46,7% بوسط حسابي (2,33) وانحراف معياري (0,71) . هذه النتائج تبين ان هناك اثر للموقع الجغرافي للهور من وجهة نظر الزائر في زيادة الرغبة لزيارته .

- 2- ايد المبحوثين اثر طبيعة المكان الجغرافية وتضاريسه في انخفاض عدد الزائرين بنسبة 40% وبوسط حسابي (2,13) وانحراف معياري (0,81) في حين كانت نسبة من ايد اثر مناخ الهور في زيارة المكان 50% وبوسط حسابي (2,30) وانحراف معياري (0,79) . ان العناصر الجغرافية للمكان مثل انبساط الارض ونوعية النبات واصناف الحيوانات اضافة الى ملائمة المناخ السائد من درجات حرارة ورطوبة ورياح كلها عوامل تؤثر في زيادة رغبة اي زائر وتدفعه لزيارة الموقع السياحي خاصة المواقع القريبة من المسطحات المائية .
- 3- ايد 96,7% من المبحوثين افتقار الطريق المؤدي الى الهور الى الخدمات الاساسية مثل محطة وقود ، مطعم ، مركز صحي كما ايد 63,3% منهم صعوبة الوصول الى الهور الناتجة من عدم توفر طريق ملائم وايد 66,6% منهم عدم وجود وسائل نقل عامة تصل الى الهور . كما كانت نسبة 96,7% من المبحوثين ايدت الحاجة الى وجود طرق ملائمة للوصول وبوسط حسابي (2,96) وانحراف معياري (0,02) . ان من اهم عوامل نجاح اي موقع سياحي اضافة الى عناصر الجذب السياحي هي ملائمة الطريق الواصل و سهولة الوصول وسرعة الوصول الامن الى الموقع وهذا غير متوفر في الطريق الواصل الى الهور سواء كان هذا الطريق واصل من محافظة واسط او من محافظة الديوانية .
- 4- لم يؤكد المبحوثين وبنسبة 53,3% انخفاض عدد الزائرين الى الهور بسبب طول الوقت وبعد المسافة وبوسط حسابي (2,40) وانحراف معياري (0,55) وذلك لان هناك عوامل قد تشجع الزائر للوصول الى المكان على الرغم من بعد المسافة او طول وقت الوصول مثل تقدره بعناصر جذب غير موجودة في مكان اخر تزيد من رغبة الزائر لزيارته .
- 5- ايد 70% من المبحوثين وبوسط حسابي (2,66) وانحراف معياري (0,54) زيادة عدد الزائرين للهور في موسم معين . وذلك لان الفترة الملائمة لزيارة الاهوار بصورة عامة وهور الدلمج تنحصر بين شهري تشرين الثاني ونيسان من كل عام وهي فترة تزداد فيها اعداد الطيور المهاجرة والاسماك وملائمة درجات الحرارة والرطوبة .
- 6- ملائمة مكان الهور لزيارة العوائل لاغراض الترفيه والسياحة ايد 70% من المبحوثين وبوسط حسابي (2,56) وانحراف معياري (0,72) وذلك بسبب ما يتمتع به الهور من عناصر جذب وعوامل ترفيه وتسلية مثل صيد السمك او ركوب الزوارق
- 7- الحاجة الى خدمات الماء والكهرباء ايدها المبحوثين بنسبة 100% وذلك لان وجود البنى التحتية مهم اضافة الى البنى الفوقية المتمثلة بخدمات الاقامة والطعام والترفيه
- 8- ايد 70% من المبحوثين مشاركة سكان المنطقة في تطويرها وبوسط حسابي (2,63) وانحراف معياري (0,24) فيما ايد جميع المبحوثين وبنسبة 100% الحاجة الى الدعم الحكومي لتطوير المكان وذلك لان توفير الخدمات الاساسية من ماء وكهرباء وطريق معبد هو من مسؤولية الدوائر البلدية في كل من محافظتي واسط والديوانية وتوفر هذه الخدمات يساهم في ايجاد وتنمية خدمات البنى الفوقية .

سادسا : اختبار الفرضيات

لغرض اختبار الفرضية الرئيسية للبحث والتي تنص على (يتاثر الطلب السياحي في هور الدلمج بعوامل الموقع الجغرافي) يتم اختبار الفرضيات الفرعية باستخدام اختبار مربع الكاي ومقارنة قيمة (χ^2) المحسوبة مع قيمة (χ^2) الجدولية وبدرجة حرية(4) وبمستوى معنوية (0,05) والتي تساوي (9,488)

أ- اختبار الفرضية الفرعية الأولى (يتأثر الطلب السياحي في هور الدلمج بتطور طرق المواصلات) ويتم ذلك من خلال إيجاد العلاقة بين اجابات المبحوثين على السؤال الثامن (هناك صعوبة في الوصول الى الهور) والسؤال الرابع عشر (يحتاج الموقع الى طرق ملائمة للوصول) وكانت اجابات المبحوثين وفق جدول القيم المشاهدة رقم (12)

جدول(12) القيم المشاهدة لاجابة المبحوثين على السؤالين الثامن والرابع عشر

سؤال 14 موافق				سؤال 8
مجموع	لا وافق	غير متأكد	موافق	
20	صفر	صفر	20	موافق
1	صفر	صفر	1	غير متأكد
9	صفر	1	8	لا وافق
30	صفر	1	29	مجموع

كانت قيم (χ^2) المحسوبة تساوي (2,40) وهي اقل من القيمة الجدولية وهذا يعني قبول الفرضية ويتأثر الطلب السياحي بتطور طرق المواصلات ، حيث كلما كانت طرق الوصول الى منطقة القصد السياحي مهيأة وامنة ازدادت رغبة السائح او الزائر بزيارة الموقع

ب- اختبار الفرضية الفرعية الثانية (يتأثر الطلب السياحي في هور الدلمج بنوع المناخ السائد) من خلال إيجاد العلاقة بين اجابة المبحوثين على السؤال الخامس (مناخ المكان يؤثر على عدد الزائرين) والسؤال الحادي عشر (يزداد عدد الزائرين للهور في موسم معين) وكانت القيم المشاهدة كما مبين في الجدول رقم (13)

جدول(13) القيم المشاهدة لاجابة المبحوثين على السؤالين الخامس والحادي عشر

السؤال 11 موافق				السؤال 5
مجموع	لا وافق	غير متأكد	موافق	
13	صفر	3	10	موافق
10	صفر	3	7	غير متأكد
7	1	صفر	6	لا وافق
30	1	6	23	مجموع

كانت قيم (χ^2) المحسوبة تساوي (5,42) وهي اقل من القيمة الجدولية وهذا يعني قبول الفرضية ويتأثر الطلب السياحي بالمناخ وعناصره خلال السنة

ج- اختبار الفرضية الفرعية الثالثة (يتأثر الطلب السياحي في هور الدلمج بتوفر الخدمات السياحية) من خلال ايجاد العلاقة بين اجابة المبحوثين عن السؤالين السابع (طريق الوصول الى الهور يفتر الى الخدمات)و الثاني عشر (المكان مناسب لزيارة العوائل لاجراض الترفيه والسياحة) وكانت القيم المشاهدة لاجابة المبحوثين وفق الجدول رقم (14)

جدول(14) القيم المشاهدة لاجابة المبحوثين على السؤالين السابع والثاني عشر

سؤال 12	موافق	غير متأكد	لا اوافق	مجموع	سؤال 7
					موافق
	21	5	3	29	موافق
	صفر	صفر	صفر	صفر	غير متأكد
	صفر	صفر	1	1	لا اوافق
	21	5	4	30	مجموع

كانت قيم (χ^2) المحسوبة تساوي (6,906) وهي اقل من القيمة الجدولية وهذا يعني قبول الفرضية ويتأثر الطلب السياحي بتوفر الخدمات السياحية حتى يكون الموقع ملائم للسياحة والترفيه

ومن خلال قبول الفرضيات الفرعية الثلاث يتم قبول الفرضية الاساس وان الطلب السياحي لزيارة الهور يتأثر بعوامل الموقع الجغرافي

الاستنتاجات

- 1- دراسة الموقع الجغرافي تعد المؤشر الفاعل في تحديد أهمية وخصائص الموقع ومكوناته والتعريف بأهميته النسبية الاقتصادية والمكانية سواء على المستوى الوطني أو المحلي.
- 2- أن الطبيعة وحدها لا تكفي لتنشيط السياحة في اي موقع من دون وجود اسس للبنية التحتية المنتظمة تسهل للسائح إقامته بالبلد المقصود وبالأخص شبكة من المواصلات التي تسهل تنقل الإنسان ضمن هذا البلد وصولا الى اماكن القصد السياحي
- 3- توفر الامكانات الطبيعية من انواع النباتات والطيور والاسماك في هور الدلمج تجعل منه ارضية خصبة لاستثماره سياحيا بالشكل الذي يوفر مورد اقتصادي لسكان المنطقة اضافة الى انه سيكون متنفس سياحي لها.
- 4- تتسم زيارة الهور بالموسمية حيث ينخفض الطلب في موسم الصيف وارتفاع درجات الحرارة او موسم الصيهد عند انخفاض مناسيب المياه
- 5- لا يمكن للسياحة أن تنشط دون وجود مرافق إيوائية وتشمل جميع المنشآت السياحية الخاصة المعدة لاستقبال السواح والزائرين والمجهزة بالأثاث والتي توفر الاقامة والطعام والمنافع الصحية اللازمة ، اضافة الى توفر الخدمات التكميلية

التوصيات

- 1- ضرورة قيام وزارة الموارد المائية ومركز انعاش الاهوار باتخاذ الاجراءات اللازمة للمحافظة على منسوب المياه في هور الدلمج بالشكل الذي يساعد على استمرار وجود التنوع الاحيائي من النباتات والاسماك والتي تعد احدى عناصر الجذب السياحي في الهور والاساس في القيام بالكثير من النشاطات والفعاليات
- 2- ضرورة اهتمام الدوائر البلدية في محافظتي واسط والديوانية بتطوير الطرق المؤدية الى هور الدلمج وتأثيرها بالعلامات الارشادية
- 3- تشجيع الاستثمار لاستغلال المناطق الخالية المحاذية للهور بأنشاء حدائق صغيرة واماكن للجلوس ومظلات وزراعة اشجار الظل التي تتناسب مع بيئة الهور لتكون اماكن للنزهة ومناطق استراحة ممتازة للزائرين .

المصادر

- 1- د. احمد موسى محمود خليل ، مقدمة في الجغرافية البشرية المعاصرة ، المكتب العربي للمعرف ، مصر ، 2014 ، ص 35
- 2- د. مثنى طه الحوري ، دور المصادر الطبيعية في نشوء وتطور السياحة ، مجلة الإدارة والاقتصاد- الجامعة المستنصرية ، العدد السابع، 1982، ص 102.
- 3- د. رياض كاظم سلمان الجميلي ، مدينة كربلاء - دراسة في النشأة والتطور العمراني ، دار ومكتبة النصار، ط1، لبنان ، 2012، ص 31
- 4- د. ممدوح الدبس ، مفهوم الموقع الجغرافي الاقتصادي- البشري، وأهميته كعامل في تحديد بنية الإقليم الاقتصادي وتخصصه ووظائف مراكزه العمرانية (إقليم الساحل السوري ومدنه نموذجاً) ، مجلة جامعة دمشق المجلد 30 العدد 1 و2 لسنة 2014 ، ص 743
- 5- د. الحوري، مثنى طه ، الإرشاد السياحي، مؤسسة الورق للنشر والتوزيع ، الأردن ، الطبعة الأولى، 2002 ، ص 66.
- 6- د. خليل ابراهيم المشهداني، التخطيط السياحي ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، الجامعة المستنصرية ، بغداد 1989 ، ص 142-150.
- 7- عبد المنعم السيد علي ، مبادئ الاقتصاد الجزئي /ج4 ، مطابع جامعة الموصل ، 1998 ، ص 101 .
- 8- الحوري، مثنى طه والدباغ ، اسماعيل محمدعلي، مبادئ السفر والسياحة، ط1 ، مؤسسة الورق للنشر، عمان، 2001، ص21
- 9- رواشده، اكرم عاطف، السياحة البيئية- الاسس والمرتكزات، ط1 ، دار الياض للنشر والتوزيع، عمان، 2009، ص23
- 10- سعد ابراهيم حمد ، تخطيط وتنمية خدمات السياحة الدينية واثرها في نمو الطلب السياحي في محافظة نينوى - منطقة الدراسة جامع النبي يونس عليه السلام ، اطروحة دكتوراه منشورة مقدمة الى جامعة سانت كلمنتس العالمية ، 2009 ، ص 29
- 11- فؤاد منحر علكم ، دراسة بيئية للهائمات النباتية في هور الدلمج - الديوانية ، بحث منشور في مجلة القادسية للعلوم الصرفة ، المجلد 15 العدد 3، 2010 ، ص 1

- 12- هيفاء جواد جوهر، ميسون حسن مشجل السراي ، دراسة مجتمع لاققریات القاع في بحيرة الدلمج وسط العراق ،
لمجلة العراقية للعلوم 2015 ، مجلد 56 ، العدد 3، ص 2514
- 13- لقاء مع رئيس مجلس محافظة واسط مازن الزاملی منشور على الموقع الإلكتروني لجريدة المدى العدد 3883 في
2017/3/23
- 14- زينب ونس الحساوي ، المناخ وتغيراته ، المجلة العلوم العراقية ، 2014 ، ص 314
- 15- فؤاد منحر علكم ، مصدر سابق ص 1
- 16- لقاء مع رئيس مجلس محافظة واسط مازن الزاملی منشور على الموقع الإلكتروني لجريدة المدى العدد 3883 في
2017/3/23
- 17- لقاء مع رئيس مجلس محافظة واسط مازن الزاملی منشور على الموقع الإلكتروني لجريدة المدى العدد 3883 في
2017/3/23
- 18- نبيل زعل الحوامدة و موفق عدنان الحميري ، الجغرافية السياحية في القرن الحادي و العشرون ، ط1، دار
الحامد للنشر، الاردن ، 2006، ص 215.
- 19- هور الدلمج في العراق يستقبل اعداد كبيرة من الطيور المهاجرة سنويا، الموقع الإلكتروني لجريدة الوفاق اون
لاين، رقم الخبر: 284467 تاريخ النشر: حزيران 15، 2020 الوقت: 15:40 الاقسام: سياحة ، تاريخ الزيارة
2020/10/19
- 20- الموقع الرسمي للهيئة الوطنية للاستثمار <https://investpromo.gov.iq> تاريخ الزيارة 2020/9/22



الجامعة المستنصرية
كلية العلوم السياحية
قسم السياحة

أخي الزائر الكريم ...

تعد المسطحات المائية من عناصر العرض السياحي الطبيعي ، وهناك عوامل تلعب دورا في زيادة الطلب السياحي لزيارة هذه المسطحات منها سهولة الوصول والقرب والبعد من مناطق الانطلاق ، و الاهوار واحدة من المسطحات المائية التي تتمتع بعناصر جذب سياحي يمكن ان تستغل لاغراض تنشيط السياحة فيها .
ولاغراض البحث العلمي ارجو التفضل بالاجابة على اسئلة الاستبيان الخاص بالبحث الموسوم (اهمية الموقع الجغرافي للمسطحات المائية في نمو حركة الطلب السياحي – دراسة في هور الدلمج)
شاكرين تعاونكم معنا مع التقدير

د. زينب صادق مصطفى
الباحثة

الاسئلة العامة

- 1- الجنس ذكر انثى
- 2- العمر سنة
- 3- محافظة السكن
- 4- الحالة الاجتماعية اعزب متزوج ارملة مطلق
- 5- التحصيل الدراسي يقرأ ويكتب ابتدائية متوسطة اعدادية
- دبلوم بكالوريوس اخرى
- 6- المهنة عاطل كاسب موظف
- 7- كيفية الوصول للموقع مشي على الاقدام دراجة هوائية دراجة نارية
- سيارة خاصة سيارة اجرة باص اخرى
- 8- تزور الموقع بمفردك مع العائلة مع الاصدقاء
- 9- هل سبق ان زرت الموقع نعم لا
- 10- اذا كانت الاجابة نعم ماهي عدد مرات الزيارة نوع النشاط الذي تقوم به عند زيارة الموقع
صيد الطيور ركوب الزوارق الاستجمام والترفيه صيد السمك

الاسئلة الخاصة : ضع علامة () على ماتجده مناسباً

ت	السؤال	وافق	غير متأكد	لا اوافق
1.	موقع الهور يؤثر على عدد الزائرين			
2.	يقل عدد الزائرين بسبب موقع الهور			
3.	الطبيعة الجغرافية للمكان تؤثر على عدد الزائرين			
4.	يقل عدد الزائرين بسبب طبيعة المكان وتضاريسه			
5.	مناخ المكان يؤثر على عدد الزائرين			
6.	طريق الوصول الى الهور غير امن			
7.	طريق الوصول الى الهور يفتقر الى الخدمات *			
8.	هناك صعوبة في الوصول الى الهور			
9.	توجد وسائل نقل تصل الى الهور			
10.	تقل زيارة المكان بسبب طول الوقت وبعد المسافة			
11.	يزداد عدد الزائرين للهور في موسم معين			
12.	المكان مناسب لزيارة العوائل لاغراض الترفيه والسياحة			
13.	يحتاج المكان الى خدمات الماء والكهرباء			
14.	يحتاج الموقع الى طرق ملائمة للوصول			
15.	تطوير الموقع يحتاج الى جهود سكان المنطقة			
16.	تطوير المكان يحتاج الى دعم حكومي			

* يقصد بالخدمات محطة وقود ، مطعم ، محطة استراحة، مركز صحي ، محطة تصليح سيارات

عنوان البحث

مجلس الامن الدولي ودوره في مكافحة ظاهرة الارهاب في العراق

دراسة قانونية دولية تحليلية في اهم قراراته بين عام 2014-2019

(2160، 2253، 2331، 2299، 2322، 2341، 2367، 2379، 2462، 2470)

أ.م.د خضير ياسين الغانمي

¹ جامعة كربلاء – Kudir.yassen@uokerbala.iq

تاريخ النشر: 2020/12/01م

تاريخ القبول: 2020/11/23م

المستخلص

تطوّر معالجة مجلس الأمن لظاهرة الإرهاب والسلطات الواسعة له بهذا المجال والمستمدة من الميثاق عدت إنجازاً كبيراً في ضوء لور المؤسسي القائم على تلك السلطات، كما أنّ سلطات المجلس توحى من ناحية أخرى على أهمية دور المنظمة الدولية كهيئة ية لها خاصية معالجة الإخلال بالسلامة والأمن الدولي، وتنقية العلاقات الدولية من عوامل العنف والإرهاب؛ وللدول التي تضررت الإرهاب أنّ تتمسك بها وخاصة العراق وإمكانية الاستفادة منها، وهنا اعتبر مجلس الأمن التهديد الذي يُشكّله الإرهاب في العراق اصة ذلك المتأتي عن الأفعال الإرهابية التي ضربت البلاد عالمياً ومستمرّاً في التنوع، وتهديداً للسلامة والأمن الدوليين والسلامة نليمية للعراق مما يستوجب مكافحته، ولذا اختص مجلس الأمن بإصدار العديد من القرارات وفق الفصل السابع من الميثاق نارية ظاهرة الإرهاب في العراق حققت نصراً كبيراً في هذا الشأن.

الكلمات المفتاحية: مجلس الامن، الارهاب، العراق

RESEARCH ARTICLE**THE UN SECURITY COUNCIL AND ITS ROLE IN COMBATING THE PHENOMENON OF TERRORISM IN IRAQ***An analytical international legal study in its most important decision between 2014-2019.*

(2462,2470 ,2379 ,2299,2322,2341,2367 ,2331 ,2253 ,2160)

Dr. Khudair Yassin.¹¹ Assistant Professor. University of Karbala - Kudir.yassen@uokerbala.iq.**Accepted at 23/11/2020****Published at 01/12/2020****Abstract**

The development of the Security Council's treatment of the phenomenon of terrorism and its broad powers in this field, derived from the Charter, was a great achievement in light of the institutional development based on those authorities, and the council's authorities on the other hand suggest the importance of the role of the international organization as an international body with the characteristic of dealing with breaches of international peace and security, And the purification of international relations from the factors of violence and terrorism, and the countries affected by terrorism should adhere to them, especially Iraq, and the possibility of benefiting from them, and here the Security Council considered the threat posed by terrorism in Iraq, especially that stemming from terrorist acts that struck the country globally and continues to diversify, and a threat to peace and security. The international security and territorial integrity of Iraq is something that must be combated, and therefore the Security Council has specialized in issuing many decisions in accordance with Chapter VII of the Charter to combat the phenomenon of terrorism in Iraq and has achieved a great victory in this regard.

Key Words: Security Council, terrorism, Iraq.

المقدمة:

Introduction

اعتبرت الأمم المتحدة أنَّ الإرهاب المستمر في العراق، إنَّما يُضعف من قدرة الحكومة العراقية في تطبيق التشريعات القانونية، والقيام بواجبها في حماية مواطنيها، وتطبيق معايير حقوق الإنسان والإخلال بالروابط الاجتماعية. وقد لفتت هذه الظاهرة في السنوات الأخيرة الاهتمام الدولي، وهي أيضاً من صميم القانون الدولي ومن ضمنها أعمال الأمم المتحدة، والمهم فيها قرارات مجلس الامن وسلطاته، وهي توجي على أهمية دور المنظمة الدولية كهيئة دولية لها خاصية معالجة الإخلال بالسِّلم والأمن الدولي، ودعت إلى التفكير جدياً لتكوين خطط واسس مضادة لمكافحة الإرهاب وتقليل آثاره وخاصة في العراق.

وهذا استوجب تدخُّل الأمم المتحدة بقوة في مكافحة الإرهاب في العراق، ومن هنا تصدى مجلس الامن لهذه المهمة من خلال العديد من القرارات الصادرة عنه والتي حملت في نصوصها العديد من النصوص والاحكام الملزمة وتفويض اعضاء الامم المتحدة بتشكيل تحالف وباستخدام القوة العسكرية، اضافة الى الجزاءات والإجراءات والتأسيس لتكوينات وهيئات مراقبة وتدقيق من اجل الغرض اعلاه، مما اقتضى معه البحث في اهمها تماسا لظاهرة مكافحة الارهاب في العراق وفق منهجية البحث المعتمدة.

أولاً: أهمية موضوع البحث: *Importance of the research topic* :

بيان مدى فاعلية قرارات وجدية المنظمة الدولية من خلال اهم ادواتها التنفيذية مجلس الامن، في معالجة ظاهرة الإرهاب الدولي في العراق وهل استطاعت تلك القرارات في مساعدة العراق في مكافحة الارهاب ومحاربة التنظيمات الارهابية والحد أو التقليل من تلك الأعمال الإرهابية، وهل حققت أهدافها او الغرض من تشريعها بما فيها تجريم الدول او الافراد او الكيانات التي تساعد اوتمول الارهابيين ماديا ومعنويا والبحث في طرح نموذج تطبيقي (العراق) في مدى الاستفادة من آليات مكافحة الإرهاب الدولي في ضوء قرارات مجلس الامن، وهنا تكمن ايضا اهمية البحث.

ثانياً- مشكلة البحث: *Research problem* :

وجود جدلية متلازمة تقوم على أنَّ أساس النجاح في مكافحة ظاهرة الإرهاب الدولي لا يمكن ان تتم الا من خلال القضاء على ظاهرة الإرهاب في العراق وان جزء من استراتيجية مكافحة الارهاب في العراق انما تتمثل في قرارات مجلس الامن الصادرة لمحاربة ظاهرة الارهاب في العراق وقوتها وإلزاميتها، وان نجاحها قد يسجل قصة انتصار عالمي للقانون الدولي وهيبة(الامم المتحدة)، وتساعد في استعادة الزامية ذلك القانون وإنَّه لا يمكن تحقيق الأمن والسِّلم الدوليين ما لم يتم احتواء ظاهرة الإرهاب ومكافحته في العراق.

ثالثاً- خطة البحث: *Search Plan* :

في ضوء ما تقدم استدعى ان تقوم هيكلية البحث على تقسيم مضامينه إلى مبحثين اثنتين بعدة مطالب بحثنا اولا قرارات مجلس الامن لعام 2014 و2015 ومن ثم بحثها في قرارات مجلس الامن لعام 2017 و2019 تباعا، فضلاً عن المقدمة وخاتمة تضم اهم ما توصل اليه الباحث من نتائج وفق التقسيم الآتي:

المبحث الاول- قرارات مجلس الامن لعام 2014 و2015 و2016:

تمهيد:

إنَّ حجم ومستويات دور الأمم المتحدة في مكافحة الإرهاب الدولي من خلال (مجلس الامن) يثير سؤالاً حول فاعلية دور الأمم المتحدة في مكافحة الإرهاب (1)، وخاصة في الدول التي تعاني منه اليوم، مما يعكس تطوُّر في معالجة مجلس الأمن لظاهرة الإرهاب والسلطات الواسعة له بهذا المجال والمستمدة من الميثاق في ضوء التطور المؤسسي القائم على تلك السلطات (2). ويقودنا هذا لطرح عدة أسئلة: هل حققت تلك القرارات والتدابير الغرض من إصدارها ومدى فاعليتها والنجاح الذي حققته في مكافحة الإرهاب في العراق، ومحاربة فكره وتمويله وقطع وسائل تجنيده؟ وإمكانية استثمارها قانونياً في لجم إرهاب الذي ترعاه بعض الدول اليوم في العراق (3)؟ وهل استطاع مجلس الأمن إعادة دوره وسطوته في محاربة أخطر تهديدات السِّلَم والأمن الدوليين من خلال مكافحته في العراق؟ (4). لذا، اقتضى الإجابة على تلك الأسئلة من خلال البحث في هذا الدور لاهم تلك القرارات وفق الآتي التقسيم الآتي:

المطلب الاول: قرارات مجلس الامن لعام 2014.

منذ اللحظات الأولى لاحتلال أجزاء من الأراضي العراقية من قبل تنظيم (داعش) الإرهابي والمتعاونين معه، شرع مجلس الأمن لمحاربة هذا التنظيم ومحاولة القضاء عليه (5)، من خلال اهم تلك القرارات والتي سنبحث في اهمها وفق الآتي:

الفرع الاول-القرار 2160(6):

صدر القرار 2160(7)، بموجب الفصل السابع، ليعيد فاتحة حسنة لقرارته داعياً فيه إلى الحاجة الملحة لقيام الدول بالتعاون وتبادل المعلومات حول أسماء الأفراد والجماعات والكيانات المدرجين في القائمة، الذين يشاركون في تمويل ودعم الافعال الإرهابية (8).

وأشار القرار إلى ضرورة تنفيذ التدابير التي نصَّ عليها القرار (1988) عام 2011 وفق المعايير المعيّنة التي تضمن عمل اللجنة لإدراج الأفراد والمؤسسات والكيانات ضمن هذه القائمة، وهي تشمل المشاركة في تمويل الأنشطة والأعمال

(2) - د صلاح الدين احمد العميري، العدوان في ضوء القانون الدولي العام، زين الحقوقية، ط1، بيروت، 2014، ص221.

(2) بوعزة عبد الهادي، مجلس الأمن والمحكمة الجنائية الدولية في عالم متغير، مطبعة الفكر الجامعي، 2013، ص19.

(3) - عد العراق اليوم من أكثر دول المنظومة الدولية في مجموع القرارات الصادرة ضده ولصالحه أيضاً من الأمم المتحدة: د. عادل حمزة، قرارات مجلس وأثرها في تحديد العلاقة بين العراق والولايات المتحدة، جامعة بغداد، مركز الدراسات الدولية، ص26.

(4) ينظر نص المادة 24 من ميثاق الأمم المتحدة، في حين يذهب البعض إلى القول ان " أداء مجلس الأمن بهذا الخصوص إنما يستند إلى تلك المادة ويوصفه نائباً عن شعوب الأمم المتحدة وهذه النيابة تكسبه الشرعية الأممية عند اتخاذه لقرارته وتصرفاته طالما تكون متفقة والمادة 27 من الميثاق، وأحكام القانون الدولي، وقناعات أعضائه الخمسة عشر الدائمين وغير الدائمين. ينظر في هذا: علي جميل حرب، نظام الجزاء الدولي، ط1، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2010، ص285.

(5) - ما زال العراق يُعد الدولة الأكثر تضرراً من الإرهاب عربياً وعالمياً، حيث تصدر المؤشر بنحو 10 آلاف حالة وفاة مقترنة بالإرهاب وهو أعلى عدد يتم تسجيله في دولة واحدة. مع استمرار تدفق المقاتلين الأجانب على العراق وسوريا خلال عامي 2014 و2015، وتقدر أعدادهم بـ 25 - 30 ألف مقاتل منذ عام 2011، ويفد المقاتلون من 100 دولة مختلفة حول العالم من بينها 21 دولة أوروبية. وهذا يؤشر حجم خطر الإرهاب المحدق بالعراق مما يستوجب معه استثمار كل الطاقات بما فيها البحث العلمي الهادف لمعالجة هذه المشكلة. المرجع نفسه.

(6) - نعتقد ان القرار (1465) يعد بوابة الدخول لمجلس الامن لمحاربة ظاهرة الارهاب في العراق بعد عام2003، حيث وُجِدَ الإرهاب في العراق بالتزامن مع دخول قوات الاحتلال عام 2003، حيث وجدت تلك العصابات الإرهابية مسوغاً لها بحجة مقاومة الاحتلال، فعانت في البلاد قتلاً <http://www.un.org/arabic/sc/roundup/2003/terrorism.htm> وإرهاباً. للمزيد من المعلومات يلاحظ الموقع الإلكتروني:

(7) اتخذ هذا القرار في جلسة مجلس الأمن رقم 7198 التي عقدت في 17 حزيران 2014، وكان هذا القرار يؤكد ويشير إلى قراراته السابقة المتعلقة بشأن الإرهاب الدولي والتهديد الذي يشكله بالنسبة لأفغانستان باعتبارها قاعدة أساسية يمكن الاستناد عليها من كافة الدول.

(8) الفقرة/16 من نفس القرار.

الإرهابية والتخطيط لها بما فيها توفير الأسلحة وملحقاتها من معدات أو بيعها أو نقلها لهم، والدعوة إلى تجنيد الإرهابيين لحسابهم وأي شيء آخر من الدعم لأعمالهم وأنشطتهم ووسائل التمويل والعائدات المتأتية من تجارة المخدرات⁽⁹⁾. وهو بذلك أرسى الاسس الاولى لخلق قاعدة معلومات حول الارهابيين ومن يمولهم ويساعدهم من اجل ايقاع لاتخاذ الجزاءات المنصوص عليها بموجب القرارات السابقة.

المطلب الثاني- قرارات مجلس الامن لعام 2015.

الفرع الأول-القرار (2253) ¹⁰:

تضمن القرار (2253) لعام 2015⁽¹¹⁾، إيضاح صورة الإرهاب في العراق (وسوريا) من خلال إيضاح المفردات التي تقود حتما إلى استمرارية العمل الإرهابي وتقويته في كلا الدولتين من خلال الارتباط الوثيق بين الإرهاب وعملية تدوير الأموال غير المشروع والتجارة الممنوعة والإتجار بالبشر وعمليات نهب الإرث الثقافي الحضاري للدول التي ينتشر بها الإرهاب، إضافة إلى سياسية التهجير بالقوة التي يعتمدها التنظيم الإرهابي لبعض المكونات الاجتماعية الأثنية والدينية من مناطق سكنهم⁽¹²⁾.

وهذا الأعمال بنص القرار وفي الوقت ذاته حفزت المجتمع الدولي للعمل على إيجاد نقاط مشتركة تتلاقى مع المنظومة التشريعية الدولية لوقف تلك الظاهرة لتأثيرها على السلم والأمن العالميين، فجاء إصدار مجلس الأمن للقرار (2253)، ليتضمن في نصوصه الملزمة دعوة الدول كافة إلى تجميد الاسس(الاصول)المالية والموارد الاقتصادية التي تعود إلى تنظيمي (داعش وتنظيم القاعدة)، ومن له علاقة ارتباط بهما من أفراد ومؤسسات وكيانات وكل من يقاتل في العراق (وسوريا)،وتحريم وتجريم المعاملات المالية المتصلة بالإرهاب، بما في ذلك جميع المعاملات مع الإرهابيين من أفراد وجماعات، وليس فقط تلك المرتبطة بأعمال إرهابية، بما يؤدي إلى عرقلة أنشطة المقاتلين الإرهابيين الأجانب ووقف تهريب النفط والإتجار بالبشر والآثار⁽¹³⁾.

وقرر المجلس أيضاً أن تخضع تلك الجماعات والأفراد للتدابير المفروضة بموجب قرار مجلس الأمن(2014/2161)، وأن تُعرف لجنة مجلس الأمن السابقة المنشأة عملاً بالقرارات (1999/1267، و 2011/1989) بشأن تنظيم القاعدة، وما يرتبط به من أفراد وكيانات باسم (لجنة مجلس الأمن المنشأة عملاً بالقرارات (1999/1267، و 2011/1989، و 2015/2253) بشأن (تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) وتنظيم القاعدة وما يرتبط بهما من أفراد وجماعات ومؤسسات

⁽⁹⁾ الفقرات (2، 3، 4، 5) من القرار 2160(2012).

¹⁰ -هنالك العديد من القرارات التي اتخذها مجلس كما اشار اليها في قراره هذا منها: ن مجلس الأمن، إذ يشير إلى جميع قراراته الس ذات الص بالعراق، منها- 1500 (2003) و 1546 (2004) و 1557 (2004) و 1619 (2005) و 1700 (2006) و 1770 (2007) و 1830 (2008) و 1883 (2009) و 1936 (2010) و 2001 (2011) و 2061 (2012)

(2012) و 2110 (2013) و 2169 (2014) و 2233 (2015) و 2299 (2016)، و 2379 (2017) و 2421 (2018)

⁽¹¹⁾ اتخذ مجلس الأمن القرار 2253 (2015) في 17 كانون الأول/ديسمبر 2015، تعبيراً عن تصميم مجلس الأمن على التصدي للتهديد الذي يُشكّله تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (المعروف أيضاً باسم داعش).

⁽¹²⁾ بنظر تقرير وضع حقوق الإنسان في العراق الصادر عن مكتب الأمم المتحدة في العراق للفترة من 1 ايلول الى 31 كانون الأول، 2005، ينظر موقع الأمم المتحدة في العراق المشار إليه سابقاً.

⁽¹³⁾ فرض القرار (2253) على الدول كافة تجريم المعاملات المالية المتصلة بالإرهاب، بما في ذلك جميع المعاملات مع الإرهابيين من أفراد وجماعات، وليس فقط تلك المرتبطة بأعمال إرهابية بما يؤدي إلى عرقلة أنشطة المقاتلين الإرهابيين الأجانب تنفيذاً للقرار 2253 وتنفيذاً لهذا القرار قررت الحكومة العراقية وقف دفع المرتبات للعاملين في الأراضي التي يسيطر عليها تنظيم داعش، بهدف تقليل فرص فرض هذه الضرائب وهو إجراء تأخر تطبيقه والعمل به كثيراً.

وكيانات)، وأن تُعرف ب لوائح الجزاءات المقررة ضد تنظيم القاعدة باسم "قائمة الجزاءات المفروضة على تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، وتنظيم القاعدة. كما شمل القرار مجموعة من النقاط التي أوضحها الأمين العام للأمم المتحدة في تقريره المقدم إلى مجلس الأمن وهي:

- 1- وجوب زيادة التعاون الدولي وتبادل المعلومات والخبرات، وخاصة في وقف التجارة غير المشروعة بالقطع الأثرية الثقافية.
 - 2- توسيع برامج الأمم المتحدة المتعلقة بمكافحة تمويل الإرهاب التي تضم حالياً الفريق العامل المعني بتنفيذ مكافحة الإرهاب.
 - 3- العمل بشكل وثيق مع القطاعات الخاصة والخيرية لتحديد المعاملات مع المشتبه بهم، والاستثمار في النظم التنظيمية ذات المصادقية، والتي يمكن التحكم فيها لتجميد أموال الإرهابيين.
 - 4- الانطلاق في مناقشات على المستوى الاستراتيجي داخل الأمم المتحدة بشأن خطورة التهديد، بما في ذلك على مصادر تمويل هذه الجماعات وتقديم تقرير حول استنتاجاتنا في غضون 45 يوماً.
 - 5- اتخاذ تدابير خاصة بضمان عدم الإضرار بالمهاجرين أو اللاجئين أو بمجتمعاتهم.
 - 6- بيان طبيعة الجهود التي تبذلها الأمم المتحدة دعماً للدول الأعضاء في مكافحة هذا التهديد، وتوصيات بشأن تعزيز قدرات الدول الأعضاء على التخفيف من أثر التهديد الذي يُشكّله (تنظيم الدولة الإسلامية) (14).
- و يلاحظ على هذا القرار ينقصه الوضوح حول المنظّمات والأفراد والمؤسّسات التي ترتبط بتنظيمي (داعش والقاعدة)، مما يدفع بعض الدول لتفسيره حسب مصالحها وأهوائها في تصنيف هذه المنظّمة أو تلك، وقد يصبح سيقاً مسلطاً ضد بعض الأفراد والجماعات والمؤسّسات (15).
- إلاً أننا نرى أنّ غياب أو عدم وضوح تلك الآليات لا يقلل من قيمة القرار القانونية الإلزامية لاستناده إلى الفصل الملزم (السابع) أساساً لصدوره، إضافة إلى أنّه يمكن الاستناد إلى ما وقّرته القرارات الأخرى بشأن مكافحة الإرهاب عامة لإكمال إجراءات التطبيق والمراقبة والتنفيذ (16).

(14) جاء في تقرير الأمين العام للأمم المتحدة السابق (بان كي مون) "طلب المجلس إليّ في الفقرة 97 من قراره 2253 (2015)، أن أقدم تقريراً أولياً على صعيد استراتيجي يثبت ويبين خطورة التهديد المعرف سابقاً، بما في ذلك التهديدات التي يشكلها انضمام المقاتلين الإرهابيين الأجانب إلى تنظيم الدولة الإسلامية والجماعات والأفراد المرتبطة به؛ ويبين أيضاً مصادر تمويل هذه الجماعات، بما ذلك الإتجار غير المشروع بالنفط والقطع الأثرية والموارد الطبيعية الأخرى؛ وأنشطة تخطيطه للهجمات وتيسيرها؛ وأن أقدم كلّ أربعة أشهر بعد ذلك تقارير تتضمن آخر المستجدات بهذا الشأن. تاريخ النشر، www.achr.eu/art1154.htm (15) ناصر الغزالي، قرار مجلس الأمن رقم 2253، الإشكالات والدوافع، منشور على الموقع الإلكتروني: 2016-01-06.

(16) تضمن القرار (2253) إلزام الدول بتجريم المعاملات المالية المتصلة بالإرهاب، بما في ذلك جميع المعاملات مع الإرهابيين من أفراد وجماعات، وليس فقط تلك التي لها علاقة بأعمال إرهابية بما يؤدي إلى عرقلة أنشطة المقاتلين الإرهابيين الأجانب.

المطلب الثالث- قرارات مجلس الامن لعام 2016:

الفرع الأول-قرار مجلس الامن (2331):

جاء القرار (2331) لعام 2016⁽¹⁷⁾، لمكافحة الإرهاب في العراق ليحثّ الدول كافة إلى مكافحة الجريمة المنظّمة وتجارة البشر وضرورة الانضمام إلى اتفاقية الأمم المتّحدة لمكافحة الجريمة المنظّمة عبر الوطنية وبروتوكولها المتعلق بمنع وقمع ومعاقبة الإتجار بالبشر، وبخاصة النساء والأطفال، الذي يتضمّن التعريف الأوّل المتفق عليه دولياً لجريمة الإتجار بالبشر.

وفّر هذا القرار للعراق إطاراً لمنع ومعاقبة الإتجار بالبشر بصورة فعالة كأسلوب تمويل استخدمه الإرهابيين في العراق، وأكد القرار أيضاً الأهمية الحاسمة لقيام الدول الأعضاء جميعاً بتنفيذ قرارات مجلس الأمن ذات الصلة على نحو كامل، بما فيها القرارين (2015/2253/219، و2015/2242) التي صرح فيهما المجلس عن قلقه العميق من استفادة الإرهابيين من الجريمة المنظّمة عبر الوطنية في بعض المناطق، ومنها العراق وسوريا كونهما يشكلان جزءاً من الأهداف الاستراتيجية والفكر الإيديولوجي الذي تؤمن به وتروّج له الجماعات الإرهابية.

كما حملّ القرار الدول كافة مسؤولية العمل على عدم إفلات المنظمات الإرهابية من العقاب، من خلال تضمين تشريعاتها الوطنية التدابير الملائمة بشأن تلك الجرائم التي يرتكبها (تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام وجبهة النصرة)، التي يتعيّن عليها بموجب القانون الدولي القيام بمسؤوليتها عن استمرار الانتهاكات الجسيمة والممنهجة الواسعة النطاق لحقوق الإنسان وللقانون الدولي، وتضمّن القرار مجموعة من الالتزامات التي ينبغي للدول القيام بها على وجه السرعة ومنها:

1- تجريم أي شخص أو كيان يقوم بتحويل الأموال بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى (تنظيم الدولة الإسلامية) الإرهابي في إطار أعمال الاستغلال والإيذاء المشار إليها، وهذا العمل تنطبق عليه معايير الإدراج في قائمة الجزاءات التي تتولاها لجنة مجلس الأمن العاملة الواردة في القرارين (1989، و1267)، بشأن تنظيم الدولة الإسلامية الارهابي في العراق والشام (داعش) بموجب القرار (2015/2253).

2- التأكيد على أنّ الإتجار بالأشخاص (تجارة البشر) يقوّض سيادة القانون، ويُسهم في الأشكال الأخرى من الجريمة المنظّمة عبر الوطنية في انعدام الأمن والاستقرار والتنمية.

3- اقتضى من جميع الدول الأعضاء الالتزام بمضمون القرار (1373) بما يؤدّي أن تكفل محاكمة أي فرد يساهم في دعم الأعمال الإرهابية أو التهيئة لها أو إعدادها أو اقترافها أو يشارك في تمويل تلك الأعمال، ويحث جميع الدول على كفالة أن تنشئ ضمن قوانيننا الوطنية الآليات التي تجرم تلك الأعمال.

4- إدانة جميع أعمال الإتجار ولا سيما عمليات بيع الافراد نساء او رجالا او المتاجرة من "تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام" الإرهابي.

5- يشجع القرار اشخاص القانون الدولي الأعضاء على كفالة التكامل والتعاقد بين الأطر الاستراتيجية الداخلية وخطط العمل الوطنية القائمة لمكافحة الإتجار بالأشخاص، وخطط العمل الوطنية وغيرها من أطر التخطيط بشأن قضايا

⁽¹⁷⁾ القرار (2331) الذي اتخذه مجلس الأمن في جلسته ٧٨٤٧، المعقودة في ٢٠ كانون الأول/ديسمبر 2016 (2016/RES/2331)

المرأة والسلام والأمن.

6- على الدول كافة اتخاذ إجراءات حاسمة وفورية لمنع الإتجار بالأشخاص وتجريمه والتحقيق في حالاته ومقاضاة مرتكبيه وكفالة مساءلة الضالعين فيه وجمع الأدلة عند حدوث هذه الجرائم وحفظها لإجراء التحقيقات والملاحقات القضائية؛ وأن تعمل الدول على تعطيل نشاطها وتفكيكها، وفقاً للقوانين الوطنية، بما في ذلك قوانين مكافحة غسل الأموال ومكافحة الفساد ومكافحة الرشوة، وتشريعات مكافحة الإرهاب.

ولضمان فاعلية القرار أعلاه، فقد تضمن طلباً إلى فريق الدعم التحليلي ورصد الجزاءات التابع للأمم المتحدة وعند التفاهم مع الدول الأعضاء، بتضمين مناقشاته معها مسألة الإتجار بالأشخاص في مناطق النزاعات المسلحة واستخدام العنف الجنسي في النزاعات المسلحة في صلتها بتنظيم الدولة الإرهابي (المعروف أيضاً باسم داعش)، وتنظيم القاعدة وما يرتبط بها من أشخاص ومؤسسات وكيانات، وأن يقدم تقريراً إلى لجنة مجلس الأمن المنشأة وعملاً بالقرارات (126)، (1989، 2253) (18).

الفرع الثاني - قرار مجلس الامن 2016/2299:

يُعد هذا القرار أكثر وضوحاً بشأن محاربة الارهاب في العراق وتجريم سرقة تراثه الحضاري ومصادر الطاقة باعتبارها مصدراً لتمويل الارهاب حيث أجمل القرار (2016/2299)، المضامين والمبادئ كافة التي جاءت بها قرارات المجلس التي سبق ان اصدرها المجلس السابقة بهذا الخصوص، والتي تعتبر الإرهاب في العراق تهديداً للسلام والأمن الدوليين باعتبار أن استقلال العراق ووحدته وسيادته وسلامه حدوده، تُعد جزءاً من منظومة الأمن الإقليمي والدولي، وأن وجود التنظيمات الإرهابية على أرض العراق يُعدُّ تهديداً كبيراً لتلك المنظومة الوطنية والإقليمية والدولية (19).

وأدان القرار بأشد العبارات تدمير وسرقة التراث الثقافي والحضاري العراقي والوصول إلى مصادر الطاقة (النفط) وسرقتها وتجارة المخدرات والنساء وتجارة البشر، ويدين المشاركة فيها في العراق بأي صفة كانت باعتبارها من وسائل دعم المجاميع الإرهابية في العراق والعالم.

وطلب القرار إلى الدول كافة للتعاون لمنع تلك التنظيمات من تهديد وحدة واستقرار العراق والمنطقة، وسلامته الإقليمية (20)، بما يكفل التنفيذ القانوني للقرار لمنع جميع الافراد الخاضعين للجان الجزاءات المنشئة بالقرارات (2253) لعام 2015، والقرار (1267) لعام 2011، والقرار (1989) لعام 2011 من الاستمرار في أعمالهم وتقديمهم للعدالة. وأكد القرار عن استعداد مجلس الأمن لفرض مزيد من الجزاءات والعقوبات على كل من يساعد التنظيم الإرهابي بأي وسيلة كانت، لتقويض بقاءه واستمراره في تهديد الأمن والسلم الدوليين في العراق والعالم.

(18) القرار 2331 في ٢٠ كانون الأول ديسمبر 2016، المنشور على موقع الأمم المتحدة: <http://daccess-dds-ny.un.org/doc/UNDOC/GEN/N15/384/11/PDF/N1538411.pdf?OpenElement>.
(19) قرار مجلس الامن المرقم 2299 الصادر عن مجلس الأمن في جلسته 7745، واجتماعه في 25 تموز/يوليه 2016، الوثيقة (S/RES/2299) (2016).

(20) يقصد بالسلامة الإقليمية، "حصانة أراضي الدول من المساس بها،" ويتضمن هذا المبدأ التزام سلطات الدولة والسلطة السياسية فيها في الحفاظ على وحدة الدولة وحدودها وترابط مكوناتها وان أي إخلال فيها ينعكس مستقبلاً على سلامتها الإقليمية. وهي إحدى مواضع ومبادئ القانون الدولي المعاصر وردت في المادة 2 الفقرة 4 من ميثاق الأمم المتحدة، كما وردت في إعلان مبادئ القانون الدولي بخصوص علاقة الصداقة بين الشعوب بقرار الجمعية العامة 2625 في تشرين الأول 1970. ينظر في هذا: باسيل يوسف، العراق وتطبيقات الأمم المتحدة للقانون الدولي (1990_2005)، 2005، بغداد دار الحكمة، ص 604.

وجاء هذا القرار استمراراً لما تضمنه القرارات السابقة منها (2199) لعام (2015)، والقرار (2253) لعام (2016). وألزم القرار الدول كافة بتقديم جميع الافراد الذين يشاركون في تلك الأعمال وفي دعمها أو الإعداد لها إلى العدالة كونها من وسائل تمويل الإرهاب في العراق، ورخّب القرار بالدعم المالي والعسكري الذي تقدّمه الدول إلى العراق في تصديده لتلك التنظيمات الإرهابية.

الفرع الثالث-القرار (2016/2322):

ويُعد هذا القرار من القرارات المهمة في صراع العراق مع الارهابيين لما تضمنه من طابع الزامي صارم في نصوصه حيث ابتدأ القرار (2016/2322) بتدريده بوجود الجماعات الإرهابية في العراق، لما يرتكبونه من أعمال إرهابية غير مشروعة بحق الأبرياء وتدمير الممتلكات وتفويض دعائم الاستقرار والأمن في العراق إلى حدّ كبير، وإنّ الإرهاب بكافة مراحلها وانواعه وأدواته يمثل أحد أشد الأخطار التي تهدّد السلام والأمن.

واضاف القرار تجريم جميع اجزاء الفعل الارهابي صغيره او كبيره باعتبار ان أي عمل من أعمال الإرهاب هو عمل إجرامي لا يمكن قبوله أيّاً كانت دوافعه أو توقيت أو مكان ارتكابه أو هوية مرتكبه، وأكد القرار عزم المجلس بالتعاون مع الدول كافة من منع الإرهابيين من الاستفادة من الجريمة المنظّمة العابرة للحدود الوطنية في بعض لمناطق، بما في ذلك الاستفادة من الإتجار بالأسلحة والأشخاص والمخدرات والمشغولات الفنية، ومن التجارة خارج القانون في الموارد الطبيعية، بما فيها الذهب وغيره من الفلزات أو لأغراض الحصول على فدية، وانواع اخرى من الجرائم.

وكرّر مجلس الامن الدولي في قراره أيضاً طلبه إلى الدول كافة الالتزام بمضمون قراره السابق (2178) لعام 2014، الذي قرّر فيه وجوب أن تلتزم الدول الأعضاء، وفقاً للقانون الدولي لحقوق الإنسان والقانون الدولي للاجئين والقانون الدولي الإنساني، بمنع وقمع تجنيد أو تحديد أو نقل أو المساهمة بنقل المقاتلين الإرهابيين الأجانب وتمويل سفرهم وأنشطتهم والالتزام الدول أعضاء المجلس بمنع تحركات الإرهابيين والجماعات الإرهابية، تبعاً لإحكام القانون الدولي الواجب التطبيق.

وبما فيها توصيات مجموعة العمل الخاصة بالإجراءات المالية بشأن التوصية (5) المتعلقة بالقرار (2253) بتجريم تمويل الإرهاب لأي غرض، ووفقاً للقرارين (2119) والقرار (2253) لعام 2015، بما يتماشى مع الالتزام الوارد في الفقرة (1/د) من القرار (1373) أيضاً على عدم إتاحة أي أموال أو مدخرات لأسس مالية أو اقتصادية أو خدمات مالية أو خدمات أخرى للإرهابيين، وتبادل المعلومات وتنفيذ الجزاءات عن أي نشاط من هذا القبيل بما يتماشى مع القانون الدولي والتشريعات الداخلية الوطنية.

وذهب القرار إلى تحفيز حكومات الدول كافة بتنفيذ الجزاءات المالية المتعلقة بالسفر ودعم التعاون الدولي في محاربة الإرهاب ووضع استراتيجيات فعالة للتعامل مع العائدين والحفاظ، على الأدلة ذات الأهمية الحاسمة للإجراءات القانونية، بما فيها تسهيل إجراءات الملاحقة القضائية.

كما اوجب القرار على كافة الدول اتخاذ الإجراءات كافة إزاء الممارسات والتعاملات المالية ذات الصلة، وأن تحسن ما لديها من قدرات وما تنتهجه من ممارسات في مواصلة تبادل المعلومات من خلال القنوات والترتيبات المتوفرة بما فيه مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة والتعاون الوثيق وطلب المساعدة مع منظّمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة والمنظّمة الدولية للشرطة الجنائية (الإنتربول)، تعاوناً قضائياً موسعاً، وتعاوناً موسعاً في مجال إنفاذ القانون في

جهود منع ومكافحة جميع أشكال ونواح الإتجار بالملكية الفكرية، وما يتّصل به من جرائم، وكل ماله صلة مما يمنع العودة الفائدة أو قد يعود بالفائدة على الإرهابيين مع مراعاة الأحكام الواجبة التطبيق من القانون الدولي والقوانين الوطنية.

وبالنظر إلى التهديد المتنامي الذي تشكّله الجماعات الإرهابية وفردى الإرهابيين في العراق والمناطق التي ينتشر فيها في وقت صدور القرار، فإنه انصرف إلى حبّ الدول كافة على سن تشريعات أو إجراء مراجعة دورية على تشريعاتها كافة، حيثما تتطلب الأمر بشأن تشريعاتها الخاصة بمكافحة الإرهاب، على أن تتضمن تلك التشريعات النص على أن يكون من بين الجرائم الخطيرة الانتهاك المتعمّد للحظر المفروض على تمويل المنظّمات الإرهابية أو الإرهابيين، والتجنيد أو السفر، وإن لم يكن لذلك العمل اتصال مباشرة بعمل إرهابي محدّد.

وفرض القرار على كافة الدول قيامها بتسهيل إجراءات تسليم الإرهابيين باستخدام الصكوك الدولية الواجبة التطبيق التي هي طرف فيها، وفي تحسين تطبيق المعاهدات المشتركة والمتعددة الأطراف كأساس لتبادل للمساعدة القانونية حسب الاقتضاء، لتسليم المطلوبين في قضايا الإرهاب.

وكما رسم القرار للدول مساراً قانونياً عليها الركون إليه لحالة عدم وجود معاهدات أو أحكام واجبة التطبيق بأن تعتمد عند الإمكان على أسس المعاملة بالمثل أو كلّ حالة على انفراد، بما فيها تعديل التشريعات المرتبطة بتسليم المطلوبين وتبادل المساعدة القانونية فيما يتعلق بالجرائم المتصلة بالإرهاب، تماشياً مع التزامات تلك الدول بموجب القانون الدولي لحقوق الإنسان.

وأوجب القرار على كافة الدول أن تنظر في مراجعة القوانين والآليات الوطنية المتعلقة بتبادل المساعدة التشريعية المتعلقة بالإرهاب، وتحديثها بحسب الاقتضاء من أجل تعزيز فعاليتها، ولا سيما في مسار الزيادة الكبيرة في مقدار الطلبات على البيانات الرقمية، وإمكانية إنشاء شبكات تعمل على مسار الساعة وطيلة أيام ومفردات الأسبوع من أجل مكافحة الإرهاب، على أن يتضمّن ذلك إنشاء خطاب فعال ومضاد للدعاية الإرهابية المتطرفة، وتحريض على العنف باستخدام شبكة الإنترنت، والتواصل الاجتماعي من قبل الإرهابيين، ولها في سبيل ذلك إنشاء منابر إقليمية للتعاون في مجال تبادل المساعدة القانونية والإعلامية.

يستفاد من نص القرار أعلاه أنه جاء بمجموعة كبيرة من الالتزامات والأحكام والمبادئ التي أوجب على الدول العمل بها وتنفيذها لصالح مكافحة الإرهاب بشكلٍ جماعي بما فيها المعاهدات والصكوك العالمية الجماعية والثنائية في سبيل مكافحة الإرهاب في العراق مما وفر أرضية خصبة لإمكانية استفادة الجهد الدبلوماسي والقانوني العراقي في توظيفها بهذا الاتجاه وتطبيق تلك الالتزامات والأحكام بوجه الإرهابيين ومن يمولهم ويدعمهم ويوفر لهم سبل الاستمرارية في العراق.

المبحث الثاني- قرارات مجلس الامن لعام 2017 و2019:

المطلب الاول- القرارات الصادرة عام 2017:

هنالك العديد من القرارات التي صدرت عن مجلس عام 2017 بخصوص مكافحة الارهاب على المستوى الدولي عامة ومكافحته في العراق الا اننا سنبحث في اهم تلك القرارات ولها صلة بالواقع العراقي ومنها الاتي.

الفرع الاول -القرار (2341) لعام 2017:

يلاحظ ان القرار(2341) لعام 2017⁽²¹⁾،تضمّن صراحة الاعلان عن ارادة مجلس الأمن من جديد لتصدي جميع اشكال التهديد الإرهابي الذي يشكله الارهابيين بما فيهم "تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام"، وإدانته وشجبه للتدمير الخارج على القانون للتراث الثقافي والحضاري والممتلكات الثقافية والمواقع الدينية والمحفوظات والمخطوطات وغيرها من المواقع والمتاحف والمكتبات من جانب الجماعات الإرهابية، والمتاجرة بها على نحو مباشر أو غير مباشر بمشاركة الجماعات الإرهابية وسائر الاشخاص والمؤسسات والكيانات بما فيها "تنظيم الدولة الإسلامية الإرهابي" في العراق.

وتضمن القرار تجريماً صريحاً لمن يمارس تلك الاعمال لان ممارستها من قبل الارهابيين او غيرهم يمكن أن تُعتبر بمثابة دعم مالي للكيانات الخاضعة للجنة الجزاءات بموجب القرارات (1267، 1989، 2253)²²، كون تلك الإيرادات وبمنظور القرار سوف تُستخدم حتماً وحالياً في دعم جهود التجنيد التي يقومون بها، والقدرة الميدانية على تنظيم الهجمات الإرهابية وتنفيذها.

وأشار قرار المجلس إلى قراره السابق الشهير (2000/1373) الذي يوجب على كافة الدول أن تقوم بمنع توفير أي شكل من أشكال الدعم، الصريح أو الضمني، إلى الأفراد أو الجماعات أو المؤسسات، وقمع تمويل الأعمال الإرهابية والكيانات الضالعة في هذه الأعمال، وقمع تمويل الأعمال الإرهابية ليكون جزءاً متماً ومستمرًا لمضمون القرار.

والزم القرار الدول المنتسبون بما فيهم العراق المسؤولية عن حماية تراثها الثقافي، بما يضمن استحداث قوائم جرد محلية ووطنية أو باستخدام وسائل أخرى منها المعلومات الرقمية وقاعدة بيانات وتحسين الموجود من هذه القوائم، وإتاحتها ببسر للسلطات والوكالات المعنية حسب الاقتضاء؛ ووفقاً للتشريعات والإجراءات الوطنية للأعمال الفنية المسروقة، واستخدام قاعدة بيانات الإنترنت للأعمال الفنية المسروقة والمنصة الإلكترونية لتبادل المعلومات ومعلومات منظمة اليونسكو بشأنها، وفي سياق النزاعات المسلحة والجهود، يجب أن تكون متفقه مع مبادئ القانون الدولي، ومع مقاصد ميثاق الأمم المتحدة من احترام سيادة كافة الدول.

ولاتساع دائرة محاربة الارهاب في القرار فانه حفز الدول الأعضاء الإسراع في التصديق على معاهدة حماية الملكية الثقافية في حال نشوب نزاع مسلح لعام ١٩٥٤ وبروتوكولها، فضلاً عن الاتفاقيات العالمية الأخرى ذات العلاقة.⁽²³⁾

(21) القرار 22347، اتخذته مجلس الأمن، الجلسة ٧٩٠٧ في ١٢ آذار/مارس 2017، الوثيقة (2017) S/RES/2347، 2347. وفي هذا ينظر كلمة المديرية العامة لليونسكو، " إيرينا بوكوفا" أمام مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، لاتخاذ القرار رقم 2347 بالإجماع والمعني بحماية التراث. وقالت المديرية العامة أن "السلح لا يكفي للتغلب على التطرف العنيف. فإن عملية بناء السلام تقوم على الثقافة والتعليم ومنع الإتجار بالتراث ونقله من جبل إلى جبل، في إطار حركة عالمية أطلقتها اليونسكو، قام حوالي 50 بلداً بتعزيز قوانينهم بهذا الخصوص ومنهم العراق"، ومن المفيد ذكره هنا انه في السنوات الأخيرة، صادرت القوات الإيطالية منذ العام 1969 800.000 قطعة أثرية في إطار جهودها لمكافحة تمويل الإرهاب. ينظر الموقع: ar.unesco.org/.../mjls-mn-ldwly-ytmd-qrran-trykhywan-bsh-n-hm

22 - هذه القرارات سبق لمجلس الامن ان اصدرها ورسمت نظام عقوبات صارم ضد تلك التنظيمات الارهابية ومن يمولهم.

(23) منها اتفاقية حظر ومنع استيراد وتصدير ونقل ملكية الثقافية والاتفاقية المتعلقة بالممتلكات الثقافية بطرق غير في 14 تشرين الثاني/نوفمبر 1970، والاتفاقية المتعلقة بحماية التراث الثقافي والطبيعي العالمي المؤرخة 16 تشرين الثاني/نوفمبر 1972، واتفاقية حماية التراث الثقافي غير المادي لعام 2003، واتفاقية حماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي لعام 2005.

وفرض القرار على الدول كافة اجراء التحركات المناسبة لمنع ومكافحة التجارة بين الدول الأعضاء لتلك المواد ذات الأهمية الأثرية والتاريخية العلمية النادرة، وإلتجار غير المشروعين بالممتلكات الثقافية وغيره، خصوصاً من جماعات إرهابية، بما فيها الأصناف التي نقلت من العراق منذ آب/أغسطس 1990، ومن سوريا منذ 15 آذار/مارس 2011، وأن تقوم تلك الدول باحتجازها إذا وجدت الدول سبباً معقولاً للاشتباه في أن تلك الجماعات إرهابية توفر لها مصدر موثق بوضوح ومصديق بذلك أو مصدرها سياق نزاع مسلح⁽²⁴⁾.

الفرع الثاني-القرار (2017/2367):

تضمن بالقرار (2017/2367)⁽²⁵⁾، معظم المبادئ والالتزامات التي فرضتها القرارات السالفة البحث أعلاه، كونها الاداة الأفضل لمكافحة ظاهرة الإرهاب في العراق. كما أضاف لها تأكيداً في الحاجة إلى مواصلة الدعم الدولي والإقليمي للعراق في مواجهة الإرهاب على أساس توقيير مبادئ القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة.

كما اعتبر القرار تدمير التراث الثقافي والحضاري العراقي من تلك الخلايا الإرهابية جريمة يجب معاقبة مقترفيها، ويلزم القرار الدول كافة بمحاكمة أي شخص يسهم أو يشارك في دعم وتمويل أو التخطيط أو المشاركة في الأعمال الإرهابية.

الفرع الثالث-القرار (2379) في 21 أيلول/سبتمبر 2017:

تضمن القرار (2379) في 21 أيلول/سبتمبر 2017⁽²⁶⁾، الكثير من التوصيات اتجه المجلس لتحقيقها من خلال القرار أعلاه والذي اعتمده مجلس الأمن الدولي بالإجماع لمحاكمة (الجماعات الإرهابية ومنها تنظيم داعش) عن الجرائم التي ارتكبتها في العراق بما في ذلك التي قد ترقى إلى مستوى جرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية والإبادة الجماعية. وكّرر القرار إدانته لخرق مبادئ القانون الدولي الإنساني وقانون حقوق الإنسان العالمي، والأعمال الإرهابية الأخرى.

وتضمن القرار طلباً إلى الأمين العام لتأسيس لجنة تحقيق، يقودها مستشار خاص، لتعزيز القدرة المحلية الرامية إلى مساءلة التنظيمات الارهابية عن طريق "جمع وحفظ وتخزين الأدلة في العراق على الأعمال التي قد ترقى إلى مستوى جرائم الحرب والإبادة الجماعية والجرائم ضد الإنسانية".

(24) من الأمثلة على امتداد صلاحيات المحكمة الجنائية الدولية إلى جرائم الإرهاب الاتي الذي تضمنه القرار أعلاه (يلاحظ قرار المحكمة الجنائية الدولية، القرار الذي اتخذته مؤخراً، التي أدانت لأول مرة -متهما بارتكاب جرائم حرب لقيامه عمد بتنفيذ هجمات ضد مبان دينية ومعالم ومبان تاريخي...).

(25) القرار 2367 الذي الصادر عن مجلس الأمن، الجلسة 8003 المعقودة في 14 تموز/يوليه 2017، الوثيقة (S/RES/2367/2017).
، وقد جاء هذا (S/RES/2379/2017) القرار، 2379، لعام (2017)، اعتمده مجلس الأمن في جلسته 8052، في 21 أيلول/سبتمبر 2017، الوثيقة (S/RES/2379/2017) التي وجهتها الحكومة إلى الأمين العام ومجلس الأمن وطلبت فيها S/2017/710 القرار بناء على طلب العراق في الرسالة المؤرخة 9 آب/أغسطس 2017) مساعدة المجتمع الدولي للعراق لكفالة مساءلة أفراد تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) عن جرائمهم في العراق، بما في ذلك تلك الجرائم التي ترقى إلى مستوى الجرائم ضد الإنسانية، وقد أورد القرار امثله منها ولا سيما تلك المرتكبة ضد النساء والأطفال، بما فيها الانتهاكات التي تتم بدوافع دينية أو عرقية، وتجنيد وتدريبه لمقاتلين إرهابيين أجانب يؤثر خطرهم على جميع المناطق والدول الأعضاء، وأعمال القتل والاختطاف وأخذ الرهائن والتفجيرات الانتحارية والاسترقاق وبيع النساء أو إجبارهن على الزواج وإلتجار بالبشر والاعتصاب والاسترقاق الجنسي وغيرها، وتجنيد الأطفال واستغلالهم، وتنفيذ الهجمات على البنية التحتية الحيوية، وكذلك تدمير التراث الثقافي، بما في ذلك المواقع الأثرية، والإلتجار بالممتلكات الثقافية.

كما فوض القرار من الأمين العام أن يقدم إلى مجلس الأمن "اختصاصات مقبولة لدى حكومة العراق للموافقة عليها في غضون 60 يوماً"، لضمان وفاء لجان التحقيق الخاصة بولايته، وأن اختصاصات الفريق ستصن على أن يعين في الفريق قضاة تحقيق عراقيون، وخبراء من الجزائر آخر، بما في ذلك أعضاء النيابة العامة من ذوي الخبرة، ليعملوا على قدم المساواة جنباً إلى جنب مع الخبراء الدوليين في التقيد بأعلى المعايير الممكنة، التي ينبغي أن تتناولها الاختصاصات المشار إليها في البند (4) من القرار²⁷، لضمان استخدام تلك الأدلة على أكبر نطاق ممكن أمام المحاكم الدخلية العراقية، واستكمال التحقيقات التي تضطلع بها الأجهزة العراقية بما فيها سلطات التحقيق، أو التحقيقات التي تنهض بها السلطات في بلدان ثالثة بناء على طلبها، وبالعامل مع الناجين، على نحو يتسق مع القوانين الوطنية ذات الصلة، لضمان الاعتراف الكامل بمصالحهم في تحقيق مساءلة الإرهابيين بما فيه (تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)).

وكما أنشأ القرار فريق يوجه مهامه بما يتسق مع مهامه التحقيقية في الفقرة (2)، مع فريق الدعم التحليلي ورصد الجزاءات المنشأ بموجب القرارين (2004/1526، و2017/2368)، ومع غيره من هيئات الرصد ذات الصلة، وأن يعمل مع سائر هيئات الأمم المتحدة والمنظمة الدولية، كل ضمن إطار ولايته لتحقيق غرض ونص القرار.

ويؤكد القرار أن الأدلة التي يقوم الفريق بجمعها وتخزينها على الجرائم في العراق، على أن تُستخدم بعد استكمالها في إطار إجراءات جنائية عادلة ومستقلة تقوم بها المحاكم ذات الاختصاص حصراً على الصعيد الوطني، بما يتسق مع القانون الدولي الساري، وأن الحكومة العراقية المعنية تُعد المتلقي المقصود الرئيسي لهذه الأدلة على النحو المحدد في الاختصاصات على أن تُحدّد أي استخدامات أخرى لها بالاتفاق مع حكومة العراق على أساس كل حالة على حدة.

ولم يتجاوز القرار سيادة العراق من خلال النص على أن يكون الفريق متمتعاً بالاستقلالية والحياد، وكونه ذات درجة من المقبولية والنزاهة، ولا بد له من العمل في ظل الاحترام الكامل لسيادة العراق وولايته القضائية على الجرائم الواقعة ضمن فضائه الاقليمي، وطالب القرار كافة الاعضاء في المنظمة الدولية إلى مساعدة الفريق بما فيها الاجراءات المتقابلة الخاصة بنظام المساعدة القانونية. وشجّع القرار كافة الأعضاء والمنظمات ذات الطابع الإقليمي والمنظمات الحكومية الدولية لتقديم المساعدة القانونية المناسبة إلى حكومة العراق وبناء قدراتها من أجل تعزيز محاكمها ونظامها القضائي. ولتنفيذ حسن تنفيذ القرار، فإنه تضمن طلباً إلى الأمين العام لإنشاء صندوقاً استئمانيّاً لتلقي التبرعات باعتباره عنصراً مكملاً للتمويل يدخل ضمن نفقات المنظمة، بما فيها الطلب إلى الدول والمنظمات ذات البعد الإقليمي والمنظمات الحكومية الدولية أن تسهم بالأموال والمعدات والخدمات للفريق، بما في ذلك ترشيح الموظفين ذوي القدرة لدعم وتسهيل تنفيذ القرار الأممي.

ونرى أن هذا القرار وفر ارضية قانونية واسعة للعراق لمحاكمة الارهابيين ومن يمولهم او يدعمهم عن كافة الجرائم التي اقترفوها في العراق او التي قد يقوموا بها مستقبلاً بما فيها سرقة التراث العراقي او المتاجرة به.

ويعد القرار أيضاً أول ثمار دراسة ومشاركة فعالة تمت بتعاون بنّاء بين العراق ومنظمة الأمم المتحدة ودول أخرى لوضع ثوابت قانونية دولية تحترم سيادة العراق واختصاصه التشريعي والقضائي الوطني في مجال جمع وتكوين الأدلة لمحاكمة الإرهابيين عن جرائمهم الكبرى التي ارتكبوها في العراق والدول التي انتشر فيها الارهاب في المحاكم الدولية بما يضمن مكافحة تلك الظاهرة التي تهدد الامن والسلم الدولي.

²⁷ - الفقرة 4 من القرار اعلاه

المطلب الثاني- قرارات مجلس الامن لعام 2019:

الفرع الاول-قرار مجلس الامن 2462:

تكمن قوة القرار في صدوره بموجب الفصل السابع من الميثاق الأمم وأعلن صراحة جواز استخدام القوة لتنفيذه ضد المجموعات الارهابية وتأكيد على تطبيق قرار مجلس الأمن رقم 1373 الصادر عام 2001 والقاضي لضرورة قيام جميع الدول بإجراءات لمنع وقمع تمويل الأفعال الإرهابية، بما فيها الامتناع عن المساعدة بأي شكل من أشكال الدعم العلني أو الضمني إلى الكيانات أو الأشخاص القائمين في أعمال إرهابية.

وأصر القرار من خلال بنوده على "وجوب قيام جميع الدول بتجريم قيام رعاياها أو الاضطلاع في أراضيها، بتوفير الأموال أو جمعها عمدا بقصد استخدام هذه الأموال في أعمال إرهابية" بصورة واضحة لا لبس فيها كخطوة أولى لمكافحة الارهاب. بما يضمن "تنفيذ المعايير الدولية الشاملة الخاصة بمكافحة غسل الأموال وتمويل الإرهاب، على أن تنص قوانينها ولوائحها التنظيمية الداخلية بما يتفق مع التزاماتها بموجب القانون الدولي".

والزم القرار في بنوده جميع البلدان إلى "زيادة فعالية التحقيق والملاحقة القضائية في قضايا تمويل الإرهاب، وتطبيق عقوبات جنائية فعالة وراذعة حسب الاقتضاء على الأفراد والكيانات الذين أدينوا بالضلوع بأنشطة إرهابية"²⁸. على الرغم من القرار لم يتضمن اشارة مباشرة لضرورة محاربة ظاهرة الارهاب في العراق الا ان القرار تضمن الكثير من المبادئ والاحكام والالتزامات التي تتيح استخدام القوة لمكافحة المجموعات الارهابية في العراق.

الفرع الثاني-قرار مجلس الامن 2470²⁹:

تضمن القرار صراحة التأكيد على "استقلال العراق وسيادته وصيانته وحدته وصون أراضيه، كما تضمن القرار 2470 الكثير من النصوص القانونية لمعالجة المشاكل التي يعاني العراق منها بعد نهاية مكافحة الارهاب على ارضه، كما في الطلب والمساعدة لتعديل الدستور وحل مسألة المناطق المختلف عليها، واصلاح قطاع الامن.

وأشار القرار الى ضرورة مواصلة "الجهود التي تبذلها حكومة العراق من خلال برنامجها الحكومي الوطني للتصدي للفساد وتعزيز المؤسسات الحكومية التي تمتلك مقومات البناء وتلبي الاحتياجات". ودعمه للعراق "في التصدي للتحديات التي يواجهها في سبيل مواصلة الجهود التي يبذلها لتحقيق الاستقرار في مرحلة ما بعد انتهاء النزاع وانتقاله أكثر فأكثر إلى مهمة تحقيق الانتعاش وإعادة الإعمار والمصالحة، بما في ذلك الحاجة إلى تلبية احتياجات جميع العراقيين، بمن فيهم النساء والشباب والأطفال والأشخاص المشردون والأشخاص الذين ينتمون إلى الأقليات الأثنية والدينية"³⁰.

²⁸ - نص قرار مجلس الامن 2019/2462، الوثيقة (S/RES/2462 (2019).

²⁹ - صدر القرار 2470 عن مجلس الامن الدولي في جلسته التي عقدت في 21 ايار، الخاص بالعراق.

³⁰ - ينظر جريدة الوقائع العراقية العدد (4594)، والذي تضمن صدور قرار صادر عن لجنة تجميد اموال الإرهابيين المرقم (32) لسنة 2020 و القرار

(٤١) لسنة ٢٠١٩.

واكد القرار ضرورة الاستمرار في "تعزيز المساءلة وحماية حقوق الإنسان والإصلاح القضائي والقانون، في ظل الاحترام التام لسيادة العراق، من أجل توطيد سيادة القانون في العراق، إضافة إلى دعم عمل فريق التحقيق التابع للأمم المتحدة لتعزيز المساءلة عن الجرائم المركبة من قبل داعش"، ومحاكمة داعميهم سواء من الأشخاص او الدول³¹.

كما لزم القرار العراق ان "يوفر العراق الحماية لبعثة الأمم المتحدة في العراق ومدنها، مشيراً الى، ان "الأمين العام طلب تقديم تقريراً لمجلس الامن كل ثلاثة أشهر عن التقدم المحرز صوب الوفاء بجميع المسؤوليات المنوطة بالبعثة". ولهذا الغرض تضمن القرار "تمديد ولاية بعثة الأمم المتحدة التقدم للمساعدة إلى العراق حتى ٣١ أيار 2020، وأن يقوم الممثل الخاص للأمين العام والبعثة، بناء على طلب حكومة العراق، وفي ضوء الرسالة الموجهة إلى الأمين العام من وزير خارجية العراق".

وانسجاماً مع دور مجلس الأمن الزم نفسه "تقديم المزيد من المشورة والدعم والمساعدة إلى حكومة العراق والمفوضية العليا المستقلة للانتخابات بشأن وضع الإجراءات اللازمة للانتخابات والاستفتاءات، ومراجعة الدستور وتنفيذ الأحكام الدستورية،... وغيرها مما يوفر ارضية صالحة للتعايش السلمي الدائم.

ولتحقيق اغراض القرار فقد أكد على ضرورة "التنسيق مع حكومة العراق، على تعزيز ودعم وتيسير، تنسيق المساعدة الإنسانية وإيصالها وعودة اللاجئين والمشردين، وتنفيذ برامج لتحسين قدرة العراق على تقديم خدمات مدنية واجتماعية واقتصادية أساسية فعالة، بما في ذلك الرعاية الصحية والتعليم". مما يضمن توفير الدعم للعراق بالتعاون مع "البنك الدولي وصندوق النقد الدولي وجهات أخرى في مجال الإصلاح الاقتصادي وبناء القدرات وتهيئة الظروف المواتية لذلك....". تحقيقاً للانطلاق نحو تحقيق التنمية المستدامة والانتعاش وإعادة الإعمار .

الخاتمة:

أصدر مجلس الأمن مجموعة كبيرة من القرارات لمعالجة ظاهرة الإرهاب في العراق والتي فرضت نصوصها خاصة التزام كافة الدول الأعضاء بضرورة منع دعم وتمويل الأفعال الإرهابية، وإنها اعتبرت الإرهاب في العراق تهديداً للسلم والأمن الدوليين لان استقلال العراق ووحدته وسيادته وسلامته حدوده تُعد جزءاً من منظومة الأمن الإقليمي والدولي.

حيث تضمنت نصوص القرارات اعلاه ايضاً بتجريم كافة أشكال الدعم والمساعدة الدعم الصريح أو الضمني كجمع التبرعات بأنواعها والتي قد تؤدي الى بث الحياة في الجماعات الإرهابية وعدم توفير الملاذ الأمن أو الدعم أو المساندة للإرهابيين وبتبادل المعلومات الخاصة بأعمال الإرهابيين والشبكات الإرهابية ووسائل تمويلهم وتقلهم وتجنديهم، والتعاون في مجال منع وقمع الأعمال الإرهابية خاصة من خلال وضع الترتيبات والاتفاقيات الثنائية والمتعددة الأطراف لهذا الغرض.

³¹ - في الوقت الحالي لا يمكن للعراق المطالبة بمحاكمة داعمي الارهاب لأن العراق ليس طرفاً في النظام الأساسي للمحكمة. فبعد الاحتلال قام مجلس الوزراء في الحكومة المؤقتة بإقرار انضمام جمهورية العراق إلى النظام الأساسي للمحكمة الدولية الجنائية بتاريخ 17/شباط/2005 إلا انه ما لبث أن ألغى هذا القرار بتاريخ 2/أيار/2005. ينظر زينب عبد علي جريد السهلاني ، التنظيم القانوني للحق في الحياة ، رسالة ماجستير ، كلية القانون ، جامعة بابل ، 2009.ص143.

See Gross, (supports the idea that crimes of terrorism are war crimes) ; Emanuel Gross, Trying Terrorists – –

Justification for Differing Trial Rules: The Balance Between Security Considerations. براء منذر كمال

عبد اللطيف، و م. ناظر أحمد، امتداد اختصاص المحكمة الجنائية الدولية لشمول الجرائم الإرهابية، بحث منشور في مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، العدد5، المجلد16، 2009،

ينظر: المحكمة الدولية الجنائية، لا صلاحية لنا في مسألة العراق 2003/7/17، مقال منشور على شبكة الانترنت على الموقع على: www.iccarabi.org

كما اسهمت قرارات اخرى من خلال توغلها في الواقع التشريعي في اضعاف صفة الالزامية على المسارات التي يمكن ان يجري بشأنها مكافحة الارهاب في ضوء تلك القرارات، ومثاله الشروع في تأسيس مجلس مكافحة غسل الأموال وتمويل الإرهاب في البنك المركزي العراقي وانيط بالمجلس مجموعة من الاعمال والمهام يتولى من خلالها "رسم سياسات وبرامج مكافحة غسل الأموال وتمويل الارهاب وتمويل انتشار أسلحة الدمار الشامل وتطويرها ومتابعة تنفيذها واقتراح مشروعات القوانين والأنظمة والتعليمات ذات العلاقة بمكافحة غسل الأموال وتمويل الارهاب.

ولهذا انجز المشرع العراقي تشريع قانون مكافحة غسل الأموال وتمويل الإرهاب، (39) لسنة 2015 وبناء على اقتراح البنك المركزي العراقي وهو استجابة لتنفيذ بقية التزامات قرار مجلس الامن 1373 الصادر في 2001/9/28 واللجنة التي شكلها مجلس الامن من اجل تطبيق بنود قراره وخاصة الفقرة (ب). انطلاقا مما تقدم يمكن ان نسجل أهم النتائج والتوصيات التي توصلنا وهي على النحو الاتي:

أولاً- النتائج:

1- اقر العراق قانونا وبأعلى المستويات الرسمية فيه لحاجته لدور الأمم المتحدة (مجلس الامن) في مكافحة الإرهاب وتطبيق بنود القانون الدولي.

2- تنفيذاً لصلاحيات مجلس الأمن في مكافحة الإرهاب في العراق فقد تضمنت قرارته قيام تحالف دولي عسكري لمحاربة الإرهاب في العراق وطلبت من الدول تقديم المزيد من الدعم المالي والعسكري إلى العراق في تصديه لتلك التنظيمات الإرهابية واعتبر المجلس في تلك القرارات أن قدرة القوات العراقية وانتصاراته المتحققة على التنظيمات الإرهابية في مدن عدة باعتبارها جزءا مكملا لجهود المجتمع الدولي في مكافحة الإرهاب.

3- كما امتدت فاعلية قرارات مجلس الامن في مكافحة ظاهرة الارهاب في العراق من خلال تأثيرها في الواقع التشريعي العراقي تعديلا والغاء او تصديقا فقد عمل العراق بهذا الاتجاه للإنجاز للالتزامات الواقعة عليه لهذا الغرض، ومثالها ان قرار مجلس الامن (1373) والذي اشارت اليه اغلب قرارات مجلس الامن اللاحقة له بشأن مكافحة ظاهرة الارهاب في العراق بعد عام 2014، ألزم واستناداً لأحكام الفصل السابع من الميثاق "كافة الدول أن تصدر قوانين محلية تمنع العمليات الإرهابية"، وان "تراقب المؤسسات المالية مع الدول المختلفة العمليات التي يشتبه في انها تجري لتمويل الإرهاب، وذلك بهدف تجفيف منابعه".

4- كما أكدت قرارات أخرى أنّ أي عمل من أعمال الإرهاب في العراق أو في أي دولة أخرى كونه عمل إجرامي ولا يمكن تبريره أيّاً كانت دوافعه أو توقيت أو مكان ارتكابه أو هوية مرتكبه، وهذا الربط القانوني أوجد مزايا عديدة للجانب الدبلوماسي والقانوني العراقي يستوجب توظيفها فيما يترتب من حماية العراق من التدخلات الخارجية العسكرية وغيرها.

5- منحت تلك القرارات العراق اساسا له في القانون الدولي لإنشاء صندوق دولي لتعويضه عن خسائر الإرهاب وإعادة بناء مدنه المحتملة وتعويض الإنسان العراقي (القرار 2322) (32).

(32) ونؤكد هنا أن تعويض العراق إنّما يجد أساسه في مضامين تلك القرارات ومبادئ القانون الدولي منها نتائج المؤتمر العالمي لعام 2005 (قرار الجمعية العامة 1/60)، على سبيل المثال شددت الدول الأعضاء على "أهمية مساعدة ضحايا الإرهاب وتزويدهم وعائلاتهم بالدعم مراعاة لخسائرهم وأحزانهم".

6-تضمنت قرارات اخرى قواعد قانونية دولية ملزمة لتطبيق آليات الفصل السابع لمعاقبة الدول التي ترعى وتدعم الإرهاب، وتساهل حركة الإرهابيين والجماعات الإرهابية من وإلى العراق، وفق القانون الدولي الواجب التطبيق كونها ألحقت أضراراً بالغة في منظومة الأمن والسلم الدوليين.

7-تنفيذا لتلك القرارات، قدّمت الأمم المتحدة تقريرها عن استراتيجية مكافحة الإرهاب في العراق وسبل تفعيلها وتقديم المساعدة لمكافحة الإرهاب في العراق عملاً بالفقرة (97) من قرار مجلس الأمن (2015/2253)، ومكافحة ذلك التهديد.

8-تنفيذ لمضامين تلك القرارات أعدت لجنة مكافحة الإرهاب في الأمم المتحدة تقييماً لمدى قدرة الدول الأعضاء لمنع وصول المقاتلين الإرهابيين الأجانب، مركزة في ذلك على أكثر الدول تضرراً⁽³³⁾.

ثانياً-التوصيات:

1-دعونا الى استثمار الصيغة الملزمة لتلك القرارات من خلال إنشاء جهاز دولي عسكري تنفيذي خاص بمكافحة الإرهاب الدولي تابع للأمم المتحدة على ان تتوفر فيه معايير العدالة سواء في الإنشاء والتمثيل والهيكلية وذلك بعد إصلاح الخلل في ميثاق الأمم المتحدة والنظام السياسي الدولي باعتباره ضرورة كبرى وذلك لتمكين الأمم المتحدة وأجهزتها الرئيسية من أداء وظائفها لغرض احترام القانون الوطني والدولي وسيادة الدول لضمان التجسيد الحقيقي لمبادئ الميثاق.

2-ضرورة بناء استراتيجية وطنية عراقية للوقاية من الإرهاب ومكافحته على أن تتضمن الجانب القانوني والقضائي والردعي(الوقائي) وبما يضمن إيجاد تعاون وتوافق بين المعالجات الدولية والداخلية للإرهاب.

3- لا بد من اتجاه العراق بالتصديق على النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، لأنها تعد أداة قانونية مهمة لتقرير المسؤولية الدولية الجنائية على المستوى الدولي وعدم إفلات المجرمين من العقاب.

4- إمكانية امتداد اختصاص المحكمة الجنائية الدولية ليشمل الجرائم الإرهابية ولذلك على العراق العمل باتجاه رصد الجهد القانوني لإدخال جرائم الإرهاب ضمن ولايتها القضائية بالاستناد إلى المادة (123) التي أجازت تعديل النظام الأساس ومن ذلك إعادة النظر في الجرائم الواردة في المادة (5) من النظام وبالتالي يمكن إضافة جريمة الإرهاب إلى الجرائم الواردة في تلك المادة.

5-على المشرع العراقي الأخذ بزمام المبادرة والاستفادة من تجارب الدول في محاربة الإرهاب وحماية مواطنيها تشريعياً كما في نص قانون "جاستا الأمريكي" قانون العدالة ضد الإرهاب³⁴ وإعطاء الحق لمتضرري الإرهاب العراقيين والحكومة اللجوء المحاكم الوطنية

⁽³³⁾ بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق (يونامي، *United Nations Assistance Mission in Iraq U. N. A. M. I*) هي بعثة سياسية تأسست بموجب قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة 1500 لعام 2003 بناء على طلب من حكومة العراق. وقد اضطلعت البعثة بمهامها منذ ذلك الحين ووسعت دورها بشكل كبير في عام 2007 بموجب القرار 1770، تمتلك البعثة التفويض الرسمي لعملها من خلال الممثل الخاص للأمين العام للأمم المتحدة. ينظر موقع البعثة في العراق: www.uniraq.org.

³⁴ - ينظر نص قانون "جاستا القانون الأميركي المثير للجدل. نصت المادة الثالثة في مسؤولية الدول الأجنبية عن الإرهاب "لن تكون هناك دولة أجنبية محصنة أمام السلطات القضائية الأمريكية في أي قضية يتم فيها المطالبة بتعويضات مالية من دولة أجنبية نظير إصابات مادية تلحق بأفراد أو ممتلكات أو نتيجة لحالات وفاة تحدث داخل أمريكا وتتجم عن فعل إرهابي أو عمليات تصديرية أو أفعال تصدر من الدول الأجنبية أو من أي مسؤول أو موظف أو وكيل بتلك الدولة.

العراقي بمطالبة الأشخاص أو الجهات أو الدول التي ساهمت أو تشارك في تقديم دعم أو موارد سواء بشكل مباشر أو غير مباشر للإرهابيين بتعويضات عادلة تبعا لذلك.

المصادر والمراجع.

اولا-المراجع العربية.

1. باسيل يوسف، تطور معالجة الأمم المتحدة لمسألة الإرهاب الدولي، مجلد دراسات القانونية العدد 4، السنة الثالثة، 2001.
2. بوعزة عبد الهادي، مجلس الأمن والمحكمة الجنائية الدولية في عالم متغير، دار الفكر الجامعي، 2013.
3. باسيل يوسف، العراق وتطبيقات الأمم المتحدة للقانون الدولي، 1990_2005، بغداد، دار الحكمة، 2005.
4. حكمت شبر، المحكمة الدولية وقضايا الإرهاب، العراق أنموذجاً، ط1، المعارف، بيروت، 2011.
5. صلاح الدين احمد العميري، العدوان في ضوء القانون الدولي العام، زين الحقوقية، ط1، بيروت، 2014.
6. فرانسوا بوشيه سولفينيه، ترجمة محمد مسعود، القاموس العملي للقانون الانساني، ط1، دار العلم للملايين، لبنان، 2006.
7. علي جميل حرب، نظام الجزاء الدولي، ط1، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2010.
8. محمد المجذوب، التنظيم الدولي، ط7، منشورات الحلبي الحقوقية بيروت، 2006.
9. محمد نعيم علوه، موسوعة القانون الدولي، قانون مكافحة الإرهاب الدولي، ط1، مكتبة زين الحقوقية، بيروت، 2012.
10. وليد فؤاد ود. ياسر يوسف الخلايلة، موقف مجلس الأمن من الإرهاب في ضوء قرارات (1373، 731، 748، 1368)، بحث منشور في مجلة جامعة دمشق للعلوم القانونية والاقتصادية، العدد الأول، 2010.
11. ياسين طاهر، ممارسة مجلس الأمن لاختصاصاته الأساسية في ظل النظام الدولي الجديد، ط1، شركة العاتك، القاهرة، 2012.

ثانيا-رسائل الماجستير.

- 1- زينب عبد علي جريد السهلاني، التنظيم القانوني للحق في الحياة، رسالة ماجستير، كلية القانون، جامعة بابل، 2009.
- المراجع باللغة الانكليزية:

1-See Gross, (supports the idea that crimes of terrorism are war crimes) Emanuel Gross, Trying Terrorists – Justification for Differing Trial Rules: The Balance Between Security Considerations.

ثانيا- المواقع الإلكترونية:

<http://www.un.org/arabic/sc/roundup/2003/terrorism>.

www.uniraq.org .

www.voltairenet.org/article1.

<http://www.cabinet.iq>.

<http://unami.Unmissions> .

<http://www.cabinet.lq>

www.skynewsarabia.com/web/article/87935

ثالثاً- البحوث والتقارير

1. براء منذر كمال عبد اللطيف، و م. ناظر أحمد، امتداد اختصاص المحكمة الجنائية الدولية لشمول الجرائم الإرهابية، بحث منشور في مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، العدد5، المجلد16، 2009.
2. ناصر الغزالي، قرار مجلس الأمن رقم 2253، الإشكالات والدوافع، بحث منشور على الموقع الإلكتروني: www.achr.eu/art1154.htm، تاريخ النشر، 2016-01-06.
3. -تقرير وضع حقوق الإنسان في العراق الصادر عن مكتب الأمم المتحدة في العراق للفترة من 1 ايلول الى 31 كانون الأول، 2005.
4. -تقرير العراق بموجب الرسالة المؤرخة 9 آب/أغسطس 2017 (S/2017/710) الى مجلس الامن.
5. تقرير الأمم المتحدة، الفقرة 49 و 50 من تقرير الأمم المتحدة، الإمارة الإسلامية "الأول والثاني شبكة فولتير ، 15 شباط (فبراير) 2016، www.voltairenet.org/article1.
6. المحكمة الدولية الجنائية، لا صلاحية لنا في مسألة العراق 2003/7/17، مقال منشور على شبكة الانترنت على الموقع على: www.iccarabi.org

رابعاً- الاتفاقيات الدولية:

- 1-الاتفاقية المتعلقة بالوسائل التي تمس الممتلكات الثقافية بطرق غير شرعية في 14 تشرين الثاني/نوفمبر 1970.
- 2-الاتفاقية المتعلقة بحماية التراث الثقافي والطبيعي العالمي المؤرخة 16 تشرين الثاني/نوفمبر 1972.
- 3-اتفاقية حماية التراث الثقافي غير المادي لعام 2003، واتفاقية حماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي لعام 2005.
- 4- إعلان المبادئ الأساسية للعدل لضحايا الإرهاب والجريمة وإساءة استخدام السلطة، الوارد في قرار الجمعية العامة 34/40.

عنوان البحث

الآليات التقليدية لإدارة الأهلية في إدارة الموارد البيئية المشاعة

محلية الدويم - ولاية النيل الأبيض - السودان خلال الفترة من العام 1984-2020

د. حسن احمد حسن الشيخ¹ د. إبراهيم عبد اللطيف عبد المطلب خوجلي² أ. احمد عبد الرحمن مزمل³

¹ جامعة بخت الرضا. كلية التربية بخت الرضا. قسم الجغرافيا. السودان

² جامعة كسلا. كلية التربية كسلا. قسم الجغرافيا. السودان

³ باحث. السودان.

تاريخ النشر: 2020/12/01م

تاريخ القبول: 2020/11/08م

المستخلص

تناولت هذه الدراسة الآليات التقليدية لإدارة الأهلية في إدارة الموارد البيئية المشاعة بمحلية الدويم - ولاية النيل الأبيض خلال الفترة من العام 1984-2020. ، تهدف هذه الدراسة الي محاولة تحديد الآليات التقليدية التي تستخدمها الإدارة الأهلية في ادارة الموارد البيئية المشاعة بمحلية الدويم ، و محاولة معرفة مدي مقدرة الآليات التقليدية للإدارة الأهلية في ادارة الموارد البيئية المشاعة بمحلية الدويم ، استخدمت الدراسة عدت مناهج بحث مثل المنهج التاريخي ، والمنهج لإقليمي، والمنهج الوصفي التحليلي . واعتمدت الدراسة علي الملاحظة والمقابلة والاستبانة كأدوات لجمع المعلومات . توصلت الدراسة الي أن للإدارة الأهلية عدت الآليات تقليدية تستخدمها في ادارة الموارد البيئية المشاعة في منطقة الدراسة حيث أنها تستخدم آلية مؤتمرات الصلح والسلم المجتمعي ، حيث أن 15% من أفراد عينة الدراسة قد شاركوا واستفادوا من مؤتمرات الصلح والسلم المجتمعي ، آلية مجالس الصف التي شارك فيها 35% واستفاد منها 66% من أفراد عينة الدراسة. آلية لجنة فض النزاعات التي شارك فيها 20% واستفاد منها 100% من أفراد عينة الدراسة ، والية الضمان أو بالضامن ، التي شارك فيها 40% واستفاد منها 100% من أفراد عينة الدراسة ، آلية الجودية ، التي شارك فيها 90% ، واستفاد منها 100% من أفراد عينة الدراسة ، آلية الوساطة ، التي شارك فيها 90% ، واستفاد منها 100% من أفراد عينة الدراسة ، التي شارك فيها 30% ، واستفاد منها 15% من أفراد عينة الدراسة ، آلية المحاكم الأهلية والشعبية ، التي شارك فيها 15% ، واستفاد منها 66% من أفراد عينة الدراسة . ومن ثم أوصت الدراسة بضرورة تفعيل واستغلال طاقة الإدارة الأهلية والمواطنين في إحداث حراك اجتماعي تجاه صون الموارد البيئية المشاعة وتفعيل دور الإدارة الأهلية في محاربة روح التعصب العرقي والجهوى والعمل على فض النزاعات حول الموارد البيئية المشاعة. وضرورة أن توكل ادارة الموارد البيئية المشاعة لمؤسسات تجمع بين العناصر الشعبية من قيادات الكيانات القبلية وعناصر الدولة الرسمية من أداريين وقضاه ورجال أمن ، وضرورة وضع توصيف قانوني وأداري للأرض الميري المشاعة وتحديد آليات رسمية وفق قانون الإدارة الأهلية والحكم المحلي للتحكم في أنماط استخدامها والاستفادة من مواردها .

الكلمات المفتاحية: الآليات التقليدية ، الإدارة الأهلية ، ادارة الموارد ، الموارد البيئية المشاعة- السودان

RESEARCH ARTICLE

TRADITIONAL MECHANISMS OF NATIVE ADMINISTRATION IN MANAGING COMMON ENVIRONMENTAL RESOURCES

Al-Duwaim locality - White Nile State - Sudan during the period 1984-2020.

Dr.. Hassan Ahmed Hassan Sheikh ¹ d. Ibrahim Abdul-Latif Abdul-Muttalib Khojaly ² Ahmed Abdul-Rahman Muzammil ³

¹ Bakht Al-Reda University. College of Education Bakht Al-Reda. geography department. Sudan

² University of Kassala. Kassala College of Education. geography department. Sudan

³ researcher. Sudan.

Accepted at 08/11/2020

Published at 01/12/2020

Abstract

This study deals with the traditional mechanisms of Native Administration in managing the common environmental resources in Ad Duaim locality - White Nile State during the period from 1984-2020. This study aims to try to identify the traditional mechanisms used by the Native Administration in managing the common environmental resources in Ad Duyim locality, and to try to know the extent of the traditional mechanisms of native administration in managing the environmental public resources in Ad Duaim locality, the study used several research methods such as the historical method, and the regional approach. And the descriptive analytical method. The study relied on observation, interview and questionnaire as tools for gathering information. The study found that the Native Administration has considered the traditional mechanisms it uses in managing the common environmental resources in the study area as it uses the mechanism of community peace and reconciliation conferences, as 15% of the study sample individuals participated and benefited from the community peace and reconciliation conferences, the classroom councils mechanism in which they participated. 35% and 66% of the study sample benefited from it. The dispute resolution committee mechanism in which 20% participated and 100% of the study sample benefited from it, the guarantee or guarantor mechanism, in which 40% participated and 100% of the study sample individuals benefited from it, the judiciary mechanism, in which 90% participated, and 100% benefited from it Of the study sample, the mediation mechanism, in which 90% participated, and 100% of the study sample benefited from it, the panic mechanism, in which 30% participated, and 15% of the study sample, the civil and popular courts mechanism, in which 15 participated. %, And 66% of the study sample benefited from it. Then the study recommended the necessity of activating and exploiting the power of the Native Administration and the citizens in creating a social movement towards preserving the common environmental resources and activating the role of the Native Administration in fighting the spirit of ethnic and regional intolerance and work to settle disputes over the common environmental resources. And the necessity of entrusting the management of the common environmental resources to institutions that bring together the popular elements of the leaders of tribal entities and the official state elements of administrators, judges and security men, and the necessity of developing a legal and administrative description of the common land and defining official mechanisms in accordance with the Native Administration Law and Local Government to control the patterns of its use and the utilization of its resources.

Key Words: : traditional mechanisms, native administration, resource management, common environmental resources – Sudan.

مقدمة : عرفت النيل الأبيض الأداة الأهلية بشكل رسمي عندما أنشئت مديرية النيل الأبيض في عام 1904م واختيرت الدويم عاصمة لها، وكان أول مدير بريطاني لها هو مستر بلتر BUTLER (اعترف الحكم الانجليزي بإدارة الأهلية في النيل الأبيض كواحدة من مستويات الحكم في عام 1904 ولكنه لم يسن قانون منفصل لها ، وقام بإلغاء جميع النظارات القبلية في النيل الأبيض وأدمجت في نظارتي الحسانية في مركز الدويم ونظارة البقارة في مركز كوستي أوكلت لهم بعض المهام الإدارية والتنموية) (الحسين : 2012) ، كانت مديرية النيل الأبيض مقسمة إلى مركزين يدير كل منهما مجلس ريفي شمال وجنوب النيل الأبيض بالإضافة لمجلس مدينة لكل من الدويم وكوستي ، في عام 1940 أدمجت مديرية النيل الأبيض مع مديرية النيل الأزرق فأصبحت مديرية واحدة عاصمتها ود مدني ، في عام 1971 تم إلقاء قانون الحكم المحلي وقانون الإدارة الأهلية وتم الاستعاضة بقانون الحكم الشعبي وتم تكوين مجلس المنطقة الشمالية الشرقية للنيل الأبيض مقره مدينة شبشة ، ويتبع لها كل من الدويم ، الكريدة ، الصوفي، العرشكول، الترعة الخضراء، الهلبة، الشقيق وودنمر ، ثم أعيد فصل النيل الأبيض كمديرية مستقلة قائمة بذاتها في عام 1974 وأصبحت الدويم عاصمة لها. وعند تقسيم مجالس الحكم المحلي حظيت الدويم بمجلس سمي مجلس ريفي شمال النيل الأبيض يرعى شؤون المنطقة الإدارية الاجتماعية والاقتصادية ، ولم تتح للإدارة الأهلية فرصة المشاركة الرسمية كمستوي من مستويات الحكم بالرغم من جود نفوذها علي ارض الواقع المستمد من ارثها التاريخي والعادات والتقاليد والإرث القبلي ، وفي 1984 تم تجميد قانون الحكم الشعبي والعمل بقانون الحكم المحلي عام 1951م وتأسيس المجالس المحلية استحوذ رجال الإدارة الأهلية علي تلك المجالس إذ أصبح غالبية أعضاء المجالس المحلية من النظار والعمد والمشايخ ، وفي عام 1991 صدر قانون الإدارة الأهلية متزامناً مع إنشاء الحكم الفدرالي ، حيث في سنة 1994م تم تقسيم السودان الي ستة وعشرون ولاية من ضمنها ولاية النيل الأبيض و التي تم تقسيمها الي أربعة محافظات هي الدويم والجبليين وكوستي والقطينه ، تم تكوين مجلس محلي لكل محافظة منح فيه زعماء وقيادات الإدارة الأهلية عضوية فاعلة وتم إعادة العمل بقانون الإدارة الأهلية . وفي عام 2016 أصدرت ولاية النيل الأبيض قانون الإدارة الأهلية بولاية النيل الأبيض. والذي بموجبه اعتبرت الإدارة الأهلية واحدة من مستويات الحكم المحلي وأعطيت بموجب القانون صلاحيات ادارة الموارد البيئية الزراعية والرعيوية المشاعة التي تقع ضمن حكورات القبائل بولاية النيل الأبيض وقد أعطيت صلاحيات ومهام متعلقة بإدارة الموارد البيئية المشاعة في عدت مجالات ففي مجال المياه والموارد أوكلت إليهم مهام الحفاظ على موارد المياه كمرقبة الحفائر والآبار ومنع تلوثها ومراقبة قسمتها بين القبائل ومنع الاستغلال السيئ ، كما عليهم التبليغ عن أي خلل يحدث في هذا المجال بما في ذلك شح الأمطار في المواسم التي يحدث فيها ذلك. وفي مجال الثروة الحيوانية أوكلت إليهم مهام حسن إدارة المراعي والتبليغ عن الأمراض والحيوانات المفترسة ، والتعديات وتقدير التلف في المزروعات والمساهمة في فض خلافات الرعاة والزراع حسب الأعراف السائدة الي جانب مسئوليتهم عن حماية الحياة البرية ومنع الصيد الجائر والإشراف علي فتح خطوط النار وتحديد المسارات والمراحليل للقطعان العابرة للحواكير. وفي مجال الزراعة أوكلت إليهم مهام توزيع الأراضي الميري للزراعية المطرية وفض النزاعات التي تقوم من وقت لآخر حولها، والمساعدة في محاربة الآفات والتبليغ عن أي ظواهر غير طبيعية تضر بالزراعة ، وفي مجال الغابات أوكلت إليهم مهام حماية جنائن الهشاب ومنع القطع الجائر للغابات والمساعدة في محاربة الآفات والتبليغ عن أي ظواهر غير طبيعية تضر بالغابات ومراقبة أقامة الزرائب . تبحث هذه الدراسة عن آليات الإدارة الأهلية في ادارة الموارد البيئية المشاعة في محلية الدويم خلال الفترة من العام 1984-2020

مشكلة الدراسة : يمكن صياغة مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي :- ماهي الآليات التقليدية للإدارة الأهلية في ادارة الموارد البيئية المشاعة بمحلية الدويم ؟

أهداف لدراسة : هدفت الدراسة الي :- محاولة تحديد الآليات التقليدية التي تستخدمها الإدارة الأهلية في ادارة الموارد البيئية المشاعة بمحلية الدويم ، ومحاولة معرفة مدى مقدرة الآليات التقليدية للإدارة الأهلية في ادارة الموارد البيئية المشاعة بمحلية الدويم.

فروض الدراسة : افترضت الدراسة : أن للإدارة الأهلية آليات وأدوات تساهم في ادارة الموارد البيئية المشاعة بمحلية الدويم

منهج الدراسة وطرق جمع المعلومات: استخدمت الدراسة عدة مناهج مثل المنهج التاريخي ، والمنهج لإقليمي، والمنهج الوصفي . واعتمده علي الملاحظة والمقابلة والاستبانة كأدوات لجمع المعلومات .

منطقة الدراسة : يهتم هذا البحث بدراسة الآليات التقليدية للإدارة الأهلية في ادارة الموارد البيئية المشاعة بمحلية الدويم - ولاية النيل الأبيض- السودان خلال الفترة من العام 1984-2020. تقع محلية الدويم في شمال ولاية النيل الأبيض على الضفة الغربية للنيل الأبيض ، بين خطي طول 30-31° و 30-32° شرقاً ودائرتي عرض 36-13° و 56-14° شمالاً . وتحدها من الشمال معتمديه الفطينة ، ومن الغرب ولاية شمال كردفان ، ومن الجنوب معتمديه كوستي ، ومن الشرق النيل الأبيض ، وتمتد محلية الدويم في مساحة قدرها 7000 كيلو متر مربع (وحدة الدويم الإدارية : 2018) ؛ وتعتبر مدينة الدويم حاضرة المحلية وعاصمتها وهي من أعرق المدن في النيل الأبيض ، فقد كان بها ممثل الحكومة التركية المصرية إبان الثورة المهدية وهو القائم مقام السعيد بك الجميعابي ، وقد اشتهرت منذ الحكم التركي بأنها كانت مدينة تجارية وميناء نهري وملتقى طرق برية ، وكانت تمثل السوق الكبرى لمنطقة النيل الأبيض كلها والأجزاء الشرقية من كردفان ، ففي موسم الحصاد تتدفق عليها المحاصيل من كل الجهات وتنشط بذلك الحركة التجارية (فرحات. 2015) ومن الناحية الإدارية فقد أصبحت الدويم مديرية عام 1903م ، وتضم كلاً من مركز كوستي ، والجبليين ، والفطينة ، والكوة ، وكان أول مدير لها هو بتلر باشا . وقد كانت هذه الفترة من تاريخ المدينة تعتبر قمة مجدها وقوتها ، ولكن بمرور الزمن وما واكب ذلك من تطورات وتغيرات اقتصادية وتنموية مثل مشروع الجزيرة ، وامتداد خط السكة حديد مدني - كوستي ، قد أثر ذلك تأثيراً كبيراً في مكانة مدينة الدويم ، وأفقدتها الكثير من مميزاتها المهمة كسوق مهم وطريق مهم ، وبالتدرج أصبحت مركزاً يتبع لمديرية النيل الأزرق بمدني (عيسي وآخرون : 1972) . وفي مرحلة لاحقة بعد تقسيم السودان إلى أقاليم ، كانت تتبع الدويم إلى الإقليم الأوسط ثم إلى الولاية الوسطي التي قسمت إلى أربع ولايات (الجزيرة ، وسنار ، والنيل الأزرق ، والنيل الأبيض) بغرض تقصير الظل الإداري ، ثم أصبحت الدويم محافظة تابعة لولاية النيل الأبيض، ثم إلى محلية الدويم ، ومدينة الدويم هي حاضرتها ؛ وتتوسط محلية الدويم السودان بحيث يمكن القول بأنها تمثل جسراً للتلاقي بين ولايات الخرطوم والجزيرة وشمال كردفان . وتضم معتمديه الدويم الوحدات الإدارية التالية **جدول رقم (1):** -

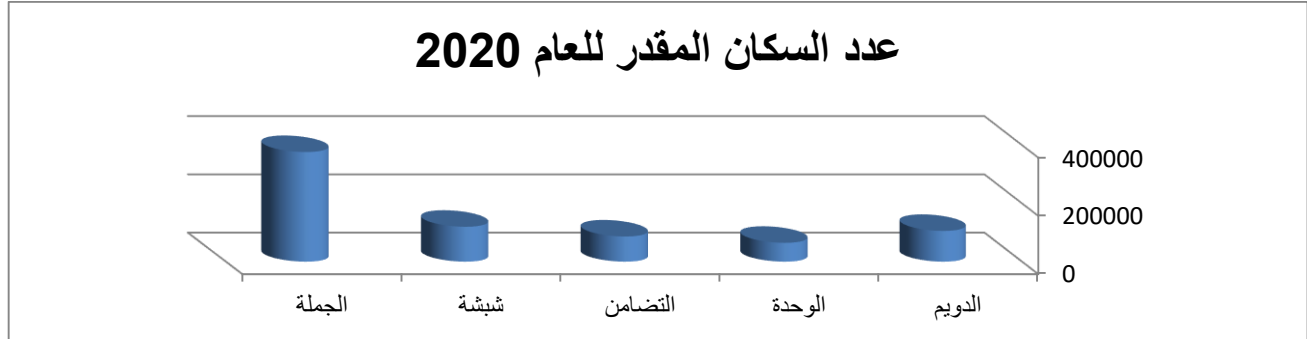
جدول رقم (1) تقسيم السكان حسب الوحدات الإدارية

الوحدة الإدارية	عدد السكان المقدر للعام 2020
الدويم	105567
الوحدة	64673
التضامن	86429
شبيشة	119763
الجملة	376432

المصدر : ادارة المعلومات محلية الدويم : 2020

وتتضمن محلية الدويم العديد من المدن الريفية أهمها مدينة شبشة والصوفي وود نمر في شمال المحلية ، والقردود و الكريدة وأم جر في جنوب المحلية ، والشقيق والهلبة وود جبر في الناحية الغربية . ولعل لموقع معتمديه الدويم تأثيراً كبيراً في الحياة الاجتماعية والاقتصادية لسكان المنطقة . شكل (1) . شكل (2) خريطة موقع محلية الدويم ووحداتها الإدارية

شكل (1) تقسيم السكان حسب الوحدات الإدارية



المصدر : إدارة المعلومات محلية الدويم : 2020

شكل (2) خريطة موقع محلية الدويم ووحداتها الإدارية



المصدر : الأطلس التنموي : ولاية النيل الأبيض : 2020

العينة : أن طبيعة هذه الدراسة التي تبحث عن الآليات التقليدية للإدارة الأهلية في إدارة الموارد البيئية المشاعة بمحلية الدويم جعل مجتمع الدراسة Population research يتكون من سكان إحياء وقرى محلية الدويم التي تضم الوحدات الإدارية التالية :- وحدة الدويم الإدارية و وحدة شبشة الإدارية و وحدة التضامن الإدارية و وحدة الوحدة الإدارية .

تم توزيع الاستبانة علي عينة من سكان قري وأحياء اثنين من الوحدات إدارية ، وهي وحدة التضامن الإدارية و وحدة الوحدة الإدارية ، هذه الوحدات الإدارية تمثل 50% من الوحدات الإدارية بمحلية الدويم وقد تم اختيار السكان المحليين لهذه الوحدات الإدارية للاتي :

1- تعد من أكثر المناطق التي لعبت الإدارة الأهلية دورا بارزا وتاريخيا في ادارة الموارد البيئية المشاعة بها .

2- تتيح منطقة الدراسة فرصة جيدة للتعرف علي آليات الإدارة الأهلية في ادارة الموارد البيئية المشاعة بها .

3- منطقة الدراسة بها معظم القبائل التي تتيح الفرصة للتعرف علي آليات الإدارة الأهلية في ادارة الموارد البيئية المشاعة .

وقد تم اعتبار جميع إحياء وقرى وحدة التضامن الإدارية و وحدة الوحدة الإدارية كمجتمع دراسة ، ومن مجتمع الدراسة تم اختار عينة بنسبة 5% كعينة دراسة من القرى ، وقد تم اختيار عينة القرى عن طريق العينة العشوائية البسيطة . وكان عددها 6 قري من كل وحدة إدارية ، أعطيت كل قرية أو حي 5 استمارات استبيان كعينة قصديه تملا بواسطة من يراهم أهل القرية ملمين وخبراء بأحوال القرية . تم ملء الاستمارات تحت الإشراف المباشر للباحثين . **جدول (2)**

جدول (2) حجم العينة من مفردات المجتمع

الوحدة الإدارية	15% من القرى والإحياء التي تمثل عينة الدراسة	عدد الاستمارات
وحدة الوحدة الإدارية عدد القرى 119 قرية	الزريقة	5
	ام سنيطة	5
	ابوحمرة	5
	الزوراب	5
	القرودود	5
	قوز الاحمر	5
وحدة التضامن الإدارية عدد القرى 131 قرية	البقعه المباركو	5
	أم جر	5
	أم تكال	5
	المنصورة	5
	المقام	5
	عويوه	5
المجموع		60

المصدر :العمل الميداني :2020

الآليات التقليدية للإدارة الأهلية في إدارة الموارد البيئية المشاعة بمحلية الدويم :

رغم تطور الدولة في ابتداع أساليب الحكم المحلي و تقصير الظل الإداري ألا أن واقع الحال يقول أن البدو وأهل الريف يشكلون نسبه معتبره من أهل السودان وان القبيلة كتنظيم اجتماعي ظلت قائمة طوال الحقبة التاريخية دون تغيير يذكر في شكلها التنظيمي أو في الدور المناط بها ، والقبائل وهم في بداوتهم يتحركون وفقا لمؤثرات بيئية و مناخيه وأعراف وتقاليد وثقافات ليس للدولة المقدره على السيطرة عليها ، و الدولة بلا شك بحاجة الي إيصال برامجها و أفكارها و توجهاتها لهذه الشريحة و التي لا تستطيع السيطرة عليها ألا عبر قيادتها المحلية المتعاونة مع الدولة بولائها المرتبطة بهيكلها الإداري و مؤسساتها الحاكمة . أوضح بشير : 2002 انه وبحكم طبيعة وجود حكومات للقبائل تدار بواسطة الإدارة الأهلية _ وكما هو متوقع دائما _ فلا بد من أن هناك وسائل خاصة وأدوات واليات تستخدمها الإدارة الأهلية للإدارة الموارد البيئية المشاعة و التصدي للمشكلات الناجمة عن استخدام هذه الموارد المشاعة التي تحدث بين فنية وأخري بين مكونات القبيلة أو القبائل الأخرى، أن الأدوات التي تستخدمها الإدارة الأهلية في فض ادارة الموارد البيئية المشاعة مستمدة من التراث السوداني وان تم تأطيرها بالقوانين واللوائح حيث أن قانون الإدارة الأهلية لولاية النيل الأبيض للعام 2016 أعطى رجال الإدارة الأهلية (العمدة أو الناظر أو الشيخ) مهام تنفيذية كجزء من مستويات الحكم المحلي المتمثلة في :-

- 1- قيادة القبيلة أو العمودية أو النظار أو السلطنة الي الانحياز للقضايا القومية العليا.
- 2- رئاسة المحاكم الأهلية المعروفة
- 3- الاشتراك في لجنة فض النزاعات مع السلطات المحلية والولائية والقومية
- 4- تتبع المجرمين ورصدهم والتبليغ عنهم وتسليمهم للعدالة بمعرفة أحوال الإدارة الأهلية.
- 5- تكوين لجان الجودية الدائمة لتلقي الشكاوي يترأسها رجل الإدارة الأهلية قبل أن نأخذ طريقا الي المستوي العالي
- 6- يعتبر رجل الإدارة الأهلية محطة أنزار مبكر للكوارث البيئية والسياسية والطبيعية والعدوانية.في منطقة إدارته .
- 7- ادارة استخدامات الأرض الميري ومواردها المشاعة الزراعية والرعية والغابية والمصادر الطبيعية من مياه ،
- 8- تخصيص الحيازات للأراضي الزراعية والحواكير ومناطق الرعي والسكن المؤقت والدائم ومسارات المراعي العابرة لمنطقته ومناطق خطوط النار .

(أن الإدارة الأهلية قامت بابتداع آليات للإدارة الموارد البيئية المشاعة مستمدة من البيئة المحلية تكون كقبيلة بالاستخدام الأمثل وحل المشكلات والنزاعات المرتبطة باستخدام الموارد البيئية المشاعة وفي نفس الوقت تعمل علي تطوير هذه الموارد واستدامتها وحمايتها من التدهور) (حامد و شاويش : 2004) ، و(احتفظت بيوت الإدارة الأهلية بملامح الشخصية السودانية في مظهرها المميز - الثوب و الصديري و اللاوى و الجلابيه - و في أدواتها العتيقة - السيف و الدرغ و السرج و الدرغ و الطمبور و الوازا - كما حافظت الإدارة الأهلية علي تماسك المجتمع و عاداته الطيبة مثل النفير و التكافل وإيواء الأرامل و إيواء الضعيف و نجدة الملهوف و ذا الحاجة وابتدعت آليات لفض النزاعات مثل الجودية والوساطة ومجالس الصف ومؤتمرات الصلح الأهلي) (الشيخ:2019) .

من أهم الأدوات التقليدية التي تستخدمها الإدارة الأهلية في ادارة الموارد البيئية المشاعة هي مؤتمرات الصلح والسلم المجتمعي ، ومجالس الصف ، ولجنة فض النزاعات ، إلية الضمان أو الضامن ، والوجودية و الوساطة ، والفرع ، والمحاكم الأهلية والشعبية ،

1- مؤتمرات الصلح والسلم المجتمعي : يمثل قمة الهرم في الآليات التقليدية للإدارة الأهلية في ادارة الموارد البيئية المشاعة

المتثلة في استخدام الأرض الزراعي والرعي والغابي والقضايا الاجتماعية والأمنية والقضائية الناتجة والمرتبطة بالنزاعات حول هذا الاستخدام ، وعادة (يعقد مؤتمرات الصلح والسلم المجتمعي للفصل في القضايا التي تجمع عدد من القبائل والتي تشترك في استخدام أو الاستفاد من مورد بيئي مشاع ، ويجتمع مؤتمرات الصلح والسلم المجتمعي علي مستوي النظار ، وفي بعض الأحيان يدعي إليه بعض العمدة الذين تكون لقبائلهم علاقة مباشرة بالقضية المطروحة) (رشاد : 2019).

كانت البدايات الأولى لمؤتمرات الصلح والسلم المجتمعي أبان الحكم الانجليزي الذين أسهموا أبان فترة الاستعمار في تنشيط العلاقات القبلية و أحياءها من اجل استنهاض همم رجال القبائل و خلق روح التنافس و التعاون بينهم لخدمة أهداف و برامج خاصة و قد اتخذت هذه المساهمات أشكال اجتماعات سنوية تسمى (جمعيه الصلح والسلم المجتمعي) ، و قد كانت هناك مهرجانات للتراث القبلي تقدم كبرامج مصاحبه لجمعيات الصلح والسلم المجتمعي، وأبان الحكم الوطني المتعاقب تم تسميتها بمؤتمرات الصلح والسلم المجتمعي، مؤتمرات الصلح والسلم المجتمعي تنظم من قبل الحكومة لمناقشة وإيجاد حلول للنزاعات بين القبائل حول الموارد البيئية المشاعة والمشاركة ، ويدعي إليه عادة ممثلو الإدارة الأهلية للإطراف النزاع ، بالإضافة الي بعض زعماء الإدارة الأهلية كوسطاء ومحكمين وضمان والحكومة تتولي رئاسة المؤتمر وتتكفل بجميع نفقاته (بشير : 2002) وأشهر هذه المؤتمرات التي شاركت فيها الإدارة الأهلية بولاية النيل الأبيض ومحلية الدويم هي :-

أ- مؤتمر كاكا السنوي . مؤتمر كاكا الذي كانت تدعى له قبائل مركز كدوك و مجلس ريفي الشلك و قبائل مركز كوستي والدويم بقيادة ناظر الجمع وناظر بحر ابيض و عمدة الأحامده و عمدة سليم و قبائل مملكة تغلى بقيادة مك تغلى و نائبه على ادارة تغلى الجنوبيه ناظر أولاد حميد و ناظر الحوازمه و الكواهله و عمدة كنانه و ناظر الحسانية والشنابلة و بني جرار والكرتان والدويح ، و كان مؤتمر كاكا السنوي يعقد بعد نهاية موسم الخريف في نهاية شهر أكتوبر من كل عام قد أسهم إسهما كبيرا في تعميق و تطوير العلاقات بين قبائل هذه المناطق وقد قلل من النزاعات القبلية حول الموارد البيئية المشاعة التي تقع علي حدود حواكير تلك القبائل ، و قد كانت أجدته لراتبه هي:-

1- مناقشة ظروف المراعى بناء على نتائج الخريف ، و بالتالي تحدد فيه حركة الرحل في و مساراتهم التي يسلكونها وحدود حواكير الرعي لكل قبيلة .

2- مناقشة تحركات العمالة الموسمية ، وتحديد مسار كل قبيلة داخل المراعي ونصيبها من الإنتاج الغابي والاستفاد من الموارد المائية في فترة الجفاف ، وفض النزاعات المرتبطة بعلاقات الإنتاج واستخدام العمالة وحفظ الحقوق .

3- مناقشة الوضع الغذائي في منطقة الشلك بناء على نتائج الموسم الزراعي وتحديد الفجوة الغذائية أن وجدت و كيفية تجاوزها . مقابلة : (عبد الرحمن كمال ادم - 2020) وقد ازدهرت العلاقات و بلغت مجدها و ذروتها في عهد الملك ادم جيلى ملك تغلى و الرث كورفايتى و الناظر المكي عساكر ناظر الجمع و ابنه الشريف المكي و العمدة الزين موسى عمدة سليم و الناظر راضى كمال ناظر أولاد حميد و كنانة وقتها و ابنه عبد الرحيم راضى كمال و الناظر الناظر يوسف هباني ناظر بحر ابيض . و قد كانت أشهر دورات مؤتمر كاكا دورة عام 1944 وهو المؤتمر التأسيسي الذي وضعت فيه اللبنة الأساسية ، ودورة مؤتمر كاكا للعام 1968 الذي تنازل فيه رث الشلك لناظر أولاد حميد عن مورد في كاكا ترد إليه الأبقار في فصل الصيف فأنشأ ناظر أولاد حميد محكمه و سوق و نقطة بوليس ، وفيه تم توقيع اتفاق بين أولاد حميد و سليم حول طق الهشاب في مناطق عجيز و الضرابه و غيرها من مناطق التماس بين الطرفين ، وفيه تم الاتفاق بين قبائل بحر ابيض وجنوب كردفان في فتح مسار يقع بين دار الحوازمة في أبو كرشولا ودار البقارة أولاد حميد في الفيض عبد الله ترد إليه مواشي الشنابلة والبني جرار والكواهله (زروق وبابو: 1996)،

ودورة مؤتمر كاكا للعام 1969 التي أشهرت بالقرارات الاقتصادية والإدارية والاتفاقات و التفاهات القبلية في هذا المؤتمر تم فرض ضريبة (جعل) على قنطار الصمغ الذي يطقه الإغراب (من غير أولاد حميد أو سليم أو الشلك) في (هشاب خشم البحر) و قد كانت حصيلة هذه الضريبة تنقسم ثلاثة أقسام قسم يورد لصالح رث الشلك و ثلث لصالح ادارة استراحة كاكا و مرافقها الحكومية و ثلث يورد لصالح ادارة أولاد حميد (مزمل : 2020) ، و قد ظل مؤتمر كاكا للصلح والسلم المجتمعي يعقد سنويا في أكتوبر للتفاهم حول كيفية ادارة الموارد البيئية المائية والزراعية والرعية والغابيه المشاعة و تجديد الثقة بين الأطراف وحل النزاعات المرتبطة باستخدام الأرض وتحديد المسارات ، ويتم فيه التنسيق الكامل و معرفة الظروف المحيطة بكل طرف و تراعى فيه بدقه مصالح جميع الأطراف ، وكان هذا بحق اكبر انجاز للإدارة الأهلية في ادارة الصلح والسلم المجتمعي أسهم في توية الوحدة و التماسك بين القيادات و قبائل منطقة الشلك ومنطقة جبال النوبة الشرقية والنيل الأبيض .

ب- مؤتمر تلودي السنوي . يعقد في منطقة تلودي بولاية جنوب كردفان في منتصف شهر مايو ، ويتم الدعوة إليه علي مستوى النظار لقبائل البقارة والمسيرية والحوازمة والكواهلة والدويح والجوامعة والشيوخ والحمر والشنابلة والبنبي جرار والبديرية والغلفان والدلنج والجمق والكوايب ، وبعض العمدة والرسمين من ولاية وليات النيل الأبيض وشمال كردفان وغرب كردفان وجنوب كردفان وشرق دارفور ، وبعض معتمدي المحليات وبعض كبار شيوخ الطرق الصوفية مقابلة : (عبد الرحمن كمال ادم - 2020) مهمته الأساسية تحديد مسارات الفرقان ، والقطعان العابرة للولايات ، وحكومات القبائل الرعية والزراعية ، وتسوية النزاعات حول موارد المياه في المصايف والمخاريف واستخدام الأرض الزراعية والرعية ، وتحديد المدى الزمني للبدء في الاستفاد من مخلفات الزراعة المطرية والوقوف علي تسوية الديات ، بدأ هذا الملتقي في العام 1983 إبان موجة الجفاف التي ضربت وسط وغرب السودان ونتج عنها حراك سكاني كثيف ونزوح لمجموعات قبلية كاملة ، وقد كانت أشهر دورات الانعقاد دورة العام 1988 التي تم تسوية بعض القضايا المتعلقة بالتفلات الأمنية فعقد صلح بين بعض مكونات النوبة والمسيرية ، و صلح بين النوبة والشنابلة والبنبي جرار ، و صلح بين الحسانية والدويح ، وودورة 1994 التي عقد فيها صلح مابين الكواهلة والشنابلة والبنبي جرار والبديرية والشيوخ والكرتان حول المناطق الزراعية والرعية في منطقة الباجا وتم تسوية النزاع بفضل مجهودات الناظر هباني وعمد محلية الدويم ومحلية شيكان (زروق وبابو: 1996). ودورة 2012 التي تم فيها تسوية النزاع حول هشاب وطلح المشروعات الزراعية المهجورة في الجبال الشرقية في منطقة ابوكرشولا بين النوبة والحوازمة والجوامعة وملاك المشروعات الزراعية التي لم تزرع لفترة طويلة نتيجة للظروف الأمنية فتمت فيها أشجار الهشاب والطلح بكثافة عالية . وتمت التسوية بفضل مجهودات العمدة النور عمدة ابوكرشولا والعمدة إبراهيم العربي عمدة الجوامعة والشيخ عبد الرحيم البرعي والشيخ عبد الله ود العجوز (مزمل : 2020).

2- مجالس الصف : هو عبارة عن مجلس أهلي يعقد للتفاوض Negotiation أو للوساطة Mediation بين بطون القبيلة الواحدة التي تنتشر في عدة ولايات وتتنازع في مورد مائي او رعي او زراعة مطرية (عبد الرحمن : 2004) ، ويترأسه نظار هذه القبيلة ويضم جميع العمدة والشيوخ بهذه القبيلة ، ويتم الدعوة إليه من قبل الناظر للتفاكر حول شؤون القبيلة والموضوعات المتعلقة باستخدام الأرض والصلح والنزاعات والتحالفات مع القبائل الأخرى ، أو يتم الدعوة إليه في حالة استشعار خطر امني يهدد وجود القبيلة أو أراضيها وحواكيرها أو موضوع يحتم علي جميع بطون القبيلة اتخاذ موقف موحد اتجاهه ، وفي الغالب يتم تفويض النظار لتوصيل وجهة نظر القبيلة للجهات المعنية أو تمثيلها في مؤتمرات الصلح والسلم المجتمعي ، وأيضا يستعين العمدة بمجالس الصف لحسم النزاع والتفلات الأمنية بين مكونات و بطون القبيلة الواحدة حول موارد المياه والمراعي والإنتاج الغابي ، و (يتم تكوين لجنة مجلس الصف برئاسة الناظر ومن عمد بطون القبيلة الذين لم يكونوا جزء من النزاع كلجنة حكم للحكم في النزاع ويعتبر حكمهم ملزم وتستصحب هذه اللجنة عند النظر في القضية المطروحة وعند نطق الحكم تسوية الخسائر والديات إذا كان هناك قتلي) (رشاد :

(2019) . (يعتبر مجلس الصف نوع من أنواع الدبلوماسية الوقائية Preventive Diplomacy التي تلجأ إليها الإدارة الأهلية لإدارة النزاع Conflict Management ، أو فض النزاع Conflict Resolution لضمان حسن ادارة الموارد وإشاعة السلم المجتمعي بين بطون القبيلة الواحدة) (الشيخ : 2019)

3- **لجنة فض النزاعات** : هي لجنة يتم تكوينها بشكل رسمي من قبل معتمد المحلية وتضم في عضويتها أعضاء دائمين هم المدير التنفيذي للمحلية وأربع من أعضاء لجنة الأمن منهم وكيل النيابة وقائد الشرطة والناظر والعمدة (عبد الرحمن : 2004) ، وتكون مهمتها التدخل السريع للاحتواء أي نزاع حول استخدام الأرض الميري والغابات والمراعي يقع داخل حدود المحلية ،

4- **لجنة الضمان أو الضامن** : هو شخص يفوضه العمدة ويكون ملما ببطون القبيلة وإفرادها ليكون شاهدا وضامنا للإفراد القبيلة لعمليات البيع والشراء في أسواق الثروة الحيوانية والمحاصيل وزرائب الحطب والمنتجات الغابية ، ويتم الرجوع إليه في حالة نشوب نزاع بين البائع والمشتري ، كما يحرص علي أن تتم عمليات التداول للسلع عن طريق التراضي وان تحمل الحيوانات التي تخص أفراد القبيلة وسم خاص بالقبيلة ، ويتواصل مع ضمان القبائل الأخرى لكي يضمن تواجدهم في السوق لفض النزاعات ولقيام السوق في الزمن المحدد له أن كان سوقاً أسبوعياً أو موسمياً ، وفي المكان المحدد له ، كما يعمل علي تنظيم السوق وتوزيع أماكن عرض الحيوانات أو المحاصيل والباعة الآخرين المرتبطين بالسوق مثل أماكن بيع الطعام وغيرها .

5- **الجودية** : مفهوم سائد وسط المجتمعات التقليدية ، يعني (أن يقوم مجموعة أفراد من زعماء الإدارة الأهلية أو الأعيان المحليين بدور الوسيط في حل المشكلات والنزاعات التي تنشأ وسط المجموعات القبلية سواء كانت داخل الكيان الواحد أو بين كيان آخر) (مزمل : 2020) ، في حالة أن يكون الصراع داخل القبيلة يتكون مجلس الأجاويد من قيادات الإدارة الأهلية ومن الأعيان وكبار السن العارفين بالعرف القبلي ، وفي حالة يكون الصراع بين أفراد في قبيلتين مختلفتين يتكون مجلس الأجاويد من قيادات الإدارة الأهلية والأعيان من القبائل المحايدة علي أن يكونوا مقبولين لدي الطرفين ، ويشترط من الأجواد الحياد في موقفه من طرفي النزاع والمرونة والدراية والإمام بالعرف والسوالف علاوة علي الخبرة وان يكون مشهوداً له بالعدالة وقول الحق ، وبعد القسم والحصول علي التفويض من طرفي النزاع وان يقر المجتمعون علي قبول القرارات الصادرة من الجودية ، يجتمع مجلس الجودية ويستعين بالخبراء في مجال القضية المطروحة ، ثم يصدر الحكم ، ويراعي فيه رد الحقوق وتطبيب الخواطر وجبر الضرر والفضل بين المتخاصمين ، (تعتبر الجودية من أقدم آليات الصلح العرفي في ولاية النيل الأبيض التي تستخدم لتسوية النزاعات حول الأرض ومواردها المشاعة ولفض النزاعات الاجتماعية في الأسر وبتون القبيلة في قضايا الزواج والطلاق والبيع والتداين) (الشيخ : 2019)

6- **الوساطة** : هي قيام أفراد أو فرد بدور تقريب وجهات النظر بين أطراف متنازعة ، أفراداً كانوا أو جماعات ، وشروط الوساطة هي نفس شروط الجودية لكن الوسطاء غالباً ما يكونوا من داخل أسرة المتنازعين يتم طلب تدخلهم من العمدة أو الناظر كخطوة استباقية ، وقد تنجح مجهودات الوساطة ولا يحتاج الأمر من العمدة لتشكل وفد جودية او مجلس صف أو مؤتمر صلح ، وإذا فشلت الوساطة في مسعاها يكون أعضائها حضوراً عند تشكيل مجلس الجودية ، الغرض من الوساطة هو أبقاء موضوع النزاع داخل الأسرة الواحدة حتي لا تشان السمعة خاصة إذا كان النزاع اسرياً وبه بعض التفاصيل الخاصة التي يفضل أن تكون بين أفراد الأسرة الواحدة ، وهنا تتجلي حكمة الإدارة الأهلية في المحافظة علي خصوصية الأسر مع حرصهم علي عدم تطور النزاع .

7- **الفرع** : هو نداء استغاثة يطلقه أفراد القبيلة عندما يتعرضون لمحنة أو محاولة للحاق بمعتدين أو سارقين او اندلاع الحرائق في المرعي أو الغابة ، وفي العادة يستعين العمدة بأهل النجدة والشجاعة والإقدام من أفراد القبيلة للمساعدة ، وعندما تقع كارثة غير متوقعة أو حريق ينفر جميع أفراد القبيلة ويفزعون المتضررين .

8- المحاكم الأهلية والشعبية : اكتسب رجال إدارة الأهلية حق تكوين وإنشاء المحاكم الأهلية في دائرة الاختصاص بموجب القانون ، وقد منحهم القانون سلطات قضائية عن طريق محاكم (تحت قانون المحاكم الأهلية) كل في مجال اختصاصه، تقوم بإصدار أحكام بالسجن أو الغرامة أو الجلد، شملت محكمة الناظر ومحكمة العمدة، يعاونهم أعضاء مختارون حسب الأعراف، مع تفاوت في العدد. أنشأت المحاكم الأهلية وسمح لها في البت في القضايا الصغرى وفرض العقوبات المالية والتأديبية في حدود معينة مع منح حق استئناف قراراتها الي المحاكم المحلية كما منحت الإدارة الأهلية حق وضع اللوائح والقوانين المستمدة من الأعراف والتقاليد المحلية للإدارة استخدام الأرض الزراعية والرعية وفرض وجباية الأموال وفض النزاعات حتى يتمكن رجل الإدارة الأهلية من تحقيق السلام العادل والدائم عليه الإلمام الكافي بالقانون والعرف وتطبيق أحكامه .

من العمل الميداني الجدول رقم (3) مشاركة أفراد عينة الدراسة في الأدوات التي تستخدمها الإدارة الأهلية في إدارة الموارد البيئية المشاعة نجد أن 15% من أفراد عينة الدراسة قد شاركوا في مؤتمرات الصلح والسلم المجتمعي وقد تعزى هذه النسبة الي أن مؤتمرات الصلح والسلم المجتمعي تتم المشاركة فيها علي مستويات النظار والعمد ، ونجد أن 35% من أفراد عينة الدراسة قد شاركوا في مجالس الصف فقد تمت الاستعانة بهم من قبل العمدة أو الناظر في حل بعض القضايا التي تخص بطون القبيلة ، ونجد أن 20% من أفراد عينة الدراسة قد شاركوا في لجنة فض النزاعات وقد تعزى هذه النسبة الي أن لجنة فض النزاعات هي لجنة شبه رسمية يتم تكوينها من قبل المعتمد أو المدير التنفيذي وتضم في عضويتها النظار والعمد وبعض الأعيان المؤثرين للفصل في القضايا التي تهم المحلية أو تكون واحدة من مستويات الحكم المحلي ومؤسساته جزء من النزاع مثل إعادة تخطيط القرى أو عند فتح خطوط النار أو عند اختيار منطقة ميري داخل حكر القبيلة لقيام مشروع تنموي ، نجد أن 40% من أفراد عينة الدراسة قد شاركوا في إلية الضمان أو الضامن حيث تم الاستعانة بهم من قبل العمدة أو الناظر في ضمان عمليات البيع والشراء في أسواق الثروة الحيوانية وأسواق المحاصيل والأسمك وهي واحدة من المهام الروتينية التي يفوض فيها العمدة صلاحياته لأحد أعيان القبيلة ويشترط أن يكون ملما بجميع بطون القبيلة ،

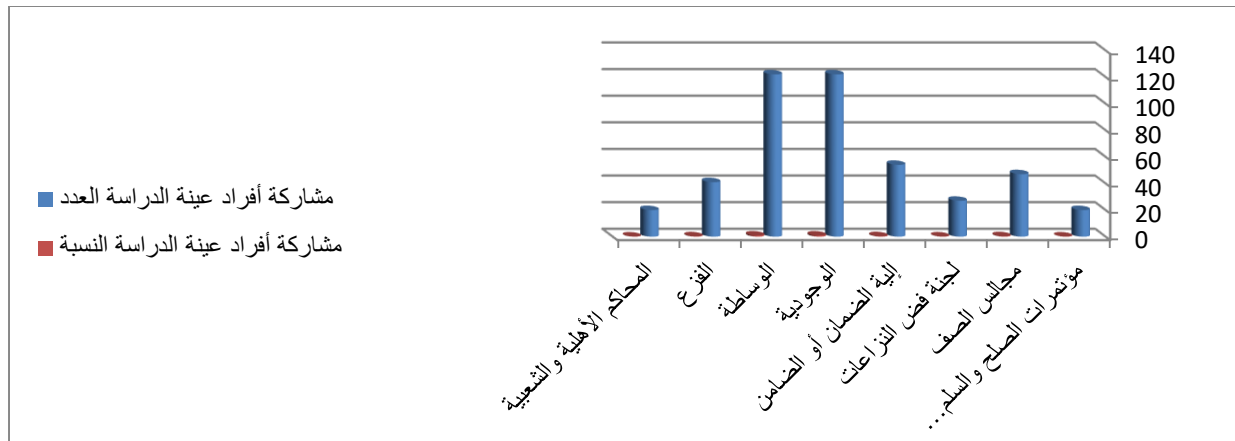
جدول (2) مشاركة أفراد عينة الدراسة في الأدوات التي تستخدمها الإدارة الأهلية في إدارة الموارد البيئية المشاعة

ملحوظة	مشاركة أفراد عينة الدراسة		أدوات الإدارة الأهلية في إدارة الموارد البيئية المشاعة
	النسبة	العدد	
	15%	9	مؤتمرات الصلح والسلم المجتمعي
	35%	21	مجالس الصف
	20%	12	لجنة فض النزاعات
	40%	24	إلية الضمان أو الضامن
	90%	54	الوجودية
	90%	54	الوساطة
	30%	41	الفرع
	15%	9	المحاكم الأهلية والشعبية

المصدر : العمل الميداني: 2020

ونجد أن 90% من أفراد عينة الدراسة قد شاركوا في الوجودية وقد يعزى ارتفاع النسبة الي اتساع أمكانية وقاعدة المشاركة في الجودة حيث انه وفي حالة أن يكون الصراع داخل القبيلة يتكون مجلس الأجاويد من قيادات الإدارة الأهلية ومن الأعيان وكبار السن العارفين بالعرف القبلي وبعض الأقرباء والأهل ، ونجد أن 90% من أفراد عينة الدراسة قد شاركوا في الوساطة وقد يعزى ارتفاع النسبة الي اتساع أمكانية وقاعدة المشاركة في الوساطة حيث انه وفي حالة أن يكون الصراع داخل الأسرة الواحدة يختار العمدة احد أفراد الأسرة للتوسط لحل النزاع للاعتبارات أسرية ، ونجد أن 30% من أفراد عينة الدراسة قد شاركوا في الفرع وقد تعزى هذه النسبة لاستعانة العمدة بأهل النجدة والشجاعة والإقدام من أفراد القبيلة للمساعدة في القبض علي الجناة والمعتدين ورد الحقوق ، ونجد أن 15% من أفراد عينة الدراسة قد شاركوا المحاكم الأهلية والشعبية وقد تعزى هذه النسبة الي أن النظار والعمد هم المختصين بعقد المحكمة الأهلية وان أفراد العينة تم الاستعانة بهم كمحكمين في بعض القضايا التي تخص مجال عملهم في الزراعة أو الرعي أو استخدام الأرض .

شكل(3) مشاركة أفراد عينة الدراسة في الأدوات التي تستخدمها الإدارة الأهلية في ادارة الموارد البيئية المشاعة



المصدر : العمل الميداني: 2020

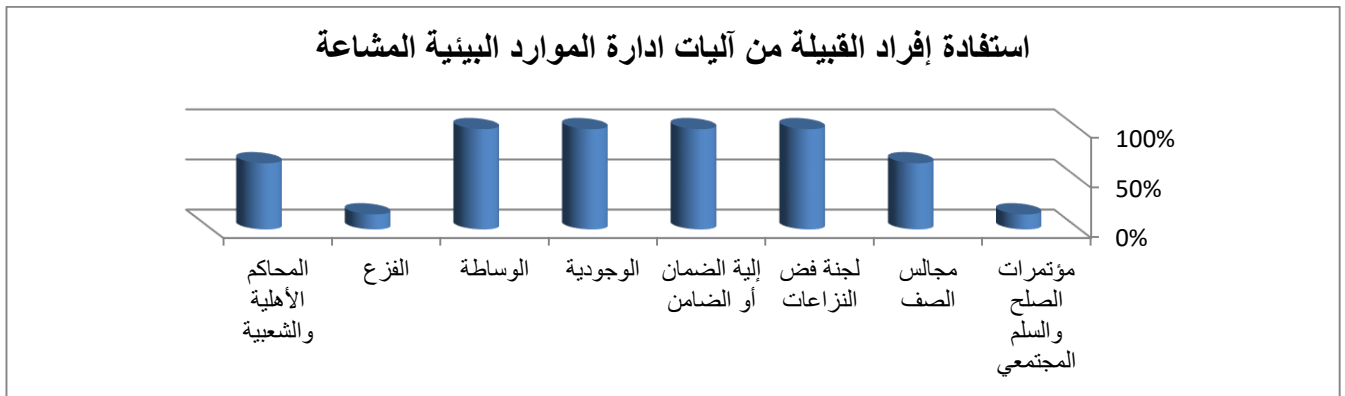
وباتجاه آخر ومن الجدول (4) والشكل(4) نجد أن 15% من أفراد عينة الدراسة قد استفادوا من مؤتمرات الصلح والسلم المجتمعي باعتبارها احد آليات ادارة الموارد البيئية المشاعة وهي نفس النسبة لإفراد عينة الدراسة الذين شاركوا في مؤتمرات الصلح والسلم المجتمعي وقد يعزى ذلك الي أن مؤتمرات الصلح والسلم المجتمعي تتم المشاركة فيها علي مستويات النظار والعمد ، أو قد يكون حدث خلط بين أفراد عينة الدراسة بين لفظي مشاركة واستفادة ولكن من المرجح أن القبيلة كلها تستفيد من مخرجات مؤتمرات الصلح والسلم المجتمعي لأنها تناقش وتبت في أمور شاملة تهم جميع أفراد القبيلة ، بينما نجد أن 66% من أفراد عينة الدراسة قد استفادوا من مجالس الصف باعتبارها احد آليات ادارة الموارد البيئية المشاعة و33% لم يستفيدوا منها وقد يعزى ذلك الي طبيعة تكوين مجالس الصف التي تبت في الخلافات بين بطون القبيلة ، بينما نجد أن 100% من أفراد عينة الدراسة قد استفادوا من لجنة فض النزاعات ومن إلية الضمان أو الضامن و الوجودية و الوساطة ، وقد تعزى هذه النسبة لان لجنة فض النزاع والجودية والضامن والوساطة تعتبر من المستويات الأولية الدنيا للآليات الإدارية الأهلية في ادارة الموارد البيئية المشاعة وهي تختص بالعمل بين أفراد الأسر وإفراد القرية الواحدة وإفراد القبيلة وتختص بتفصيلهم الحياتية اليومية في القضايا الاجتماعية الصغرى والمتكررة والروتينية ، بينما نجد أن 66% من أفراد عينة الدراسة قد استفادوا من الفرع باعتبارها احد آليات ادارة الموارد البيئية المشاعة وقد يعزى ذلك لطبيعته المتمثلة في إغاثة الملهوف .

جدول (4) استفادة أفراد عينة الدراسة في الأدوات التي تستخدمها الإدارة الأهلية في إدارة الموارد البيئية المشاعة

آليات فض النزاع				استفادة أفراد القبيلة من آليات ادارة الموارد البيئية المشاعة
نعم	النسبة	لا	النسبة	
9	%15	51	%85	مؤتمرات الصلح والسلم المجتمعي
40	%66	20	%33	مجالس الصف
60	%100	-	-	لجنة فض النزاعات
60	%100	-	-	إلية الضمان أو الضامن
60	%100	-	-	الوجودية
60	%100	-	-	الوساطة
9	%15	51	%85	الفرع
40	%66	20	%33	المحاكم الأهلية والشعبية

المصدر : العمل الميداني: 2020

شكل (4) استفادة أفراد عينة الدراسة في الأدوات التي تستخدمها الإدارة الأهلية في إدارة الموارد البيئية المشاعة



المصدر : العمل الميداني: 2020

النتائج :

في ضوء الفرضية التي تنص (أن للإدارة الأهلية آليات وأدوات تساهم في إدارة الموارد البيئية المشاعة بمحلية الدويم) نجد أن الأدوات التي تستخدمها الإدارة الأهلية في إدارة الموارد البيئية المشاعة مستمدة من التراث السوداني وان تم تأطيرها بالقوانين واللوائح التي أعطت العمدة أو الناظر مهام تنفيذية كجزء من مستويات الحكم المحلي ، وقد توصلت الدراسة الي أن من أهم الأدوات التي تستخدمها الإدارة الأهلية في إدارة الموارد البيئية المشاعة هي :-

1- مؤتمرات الصلح والسلم المجتمعي ، حيث أن 15% من أفراد عينة الدراسة قد شاركوا في مؤتمرات الصلح والسلم المجتمعي و 15% قد استفادوا من مؤتمرات الصلح والسلم المجتمعي

2- مجالس الصف ، نجد أن 35% من أفراد عينة الدراسة قد شاركوا في مجالس الصف وقد تمت الاستعانة بهم من قبل العمدة أو الناظر في حل بعض القضايا التي تخص ادارة الموارد البيئية المشاعة : بينما نجد أن ، وأن 66% من أفراد عينة الدراسة قد

استفادوا من مجالس الصف .

3- لجنة فض النزاعات ونجد أن 20% من أفراد عينة الدراسة قد شاركوا في لجنة فض النزاعات ، وأن 100% من أفراد عينة الدراسة قد استفادوا من لجنة فض النزاعات .

4- إلية الضمان أو بالضامن ، حيث أن 40% من أفراد عينة الدراسة قد شاركوا في إلية الضمان أو الضامن حيث أنهم تم الاستعانة بهم من قبل العمدة أو الناظر في ضمان عمليات البيع والشراء في أسواق الثروة الحيوانية وأسواق المحاصيل و وأن 100% من أفراد عينة الدراسة قد استفادوا من إلية الضمان أو الضامن .

5- والجودية ، نجد أن 90% من أفراد عينة الدراسة قد شاركوا في الجودية ، وأن 100% من أفراد عينة الدراسة قد استفادوا من الجودية

6- الوساطة ، نجد أن 90% من أفراد عينة الدراسة قد شاركوا في الوساطة، وأن 100% من أفراد عينة الدراسة قد استفادوا من لجنة الوساطة .

7- الفرع ، نجد أن 30% من أفراد عينة الدراسة قد شاركوا في الفرع ، و 15% من أفراد عينة الدراسة قد استفادوا من الفرع

8- المحاكم الأهلية والشعبية : نجد أن 15% من أفراد عينة الدراسة قد شاركوا المحاكم الأهلية والشعبية ، و 66% من أفراد عينة الدراسة قد استفادوا من المحاكم الأهلية والشعبية

من هذه البيانات يتضح أن للإدارة الأهلية أدوات تساهم في إدارة الموارد البيئية المشاعة بمحلية الدويم حول استخدام الأرض الزراعي والرعي والغابي وموارد المياه

التوصيات:

1- ضرورة تفعيل واستغلال طاقة الإدارة الأهلية والمواطنين في إحداث حراك اجتماعي تجاه صون الموارد البيئية المشاعة

2- تفعيل دور الإدارة الأهلية في محاربة روح التعصب العرقي والجهوى والعمل على فض النزاعات حول الموارد البيئية المشاعة.

3- ادارة الموارد البيئية المشاعة لابد أن توكل لمؤسسات تجمع بين العناصر الشعبية من قيادات الكيانات القبلية وعناصر الدولة الرسمية من أداريين وقضاه ورجال أمن .

4- وضع توصيف قانوني وأداري للأرض الميري المشاعة وتحديد آليات رسمية وفق قانون الإدارة الأهلية والحكم المحلي للتحكم في أنماط استخدامها والاستفادة من مواردها .

المراجع :

- بشير محمد عمر : 2002. الإدارة الأهلية والتنوع والإقليمية . معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية . جامعة الخرطوم .
 - حامد . الشيخ إسماعيل وشاويش . صمويل كوكو (2004) . مسح المناشط الرعوية وإدارة المراعي والعلف بمحلية الدويم - ورقة علمية منشورة - مجلة جامعة بخت الرضا : العدد الثاني . الدويم
 - الحسين . دفع الله الطيب يوسف . 2012 . خصخصة مشاريع النيل الأبيض الزراعية . وأثرها علي التنمية الريفية . رسالة دكتوراه . جامعة بخت الرضا.
 - رشاد . محمد حسن :2019م . تفعيل الإدارة الأهلية في حل ببعض المشكلات المجتمعية والتعايش السلمي بولاية النيل الأبيض . دراسة ميدانية . ورقة علمية منشورة بمجلة جامعة بخت الرضا . العدد 24
 - زروق . محجوب قمر الدين ، وبابو . فضل الله محمد :1996 . حماية الموارد الطبيعية بمنطقة الباجا الرعوية وتنميتها . ولاية النيل الأبيض . جمهورية السودان . المنظمة العربية للتنمية الزراعية . الخرطوم
 - الشيخ . حسن احمد حسن . 2019 . دور مؤسسات الحكم المحلي في إحداث التنمية الاقتصادية والاجتماعية بمحلية الدويم . ورقة علمية منشور ، مجلة جامعة بخت الرضا العلمية . العدد 22
 - عبد الرحمن . كمبال ادم : 2004 ، الإدارة الأهلية في السودان و دورها في التعايش السلمي و الوحدة الوطنية . معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية . جامعة الخرطوم .
 - عيسي . وآخرون . محمد . 1972 . تاريخ مدينة الدويم المجلة التاريخية . بخت الرضا . العدد 1
 - فلاحات . عبد السلام . فرج علي . 2015 . دور منظمات المجتمع المدني في التنمية . رسالة ماجستير . جامعة الإمام المهدي .
 - مزمل . احمد عبد الرحمن . 2020 . دور الإدارة الأهلية في تحقيق التنمية المجتمعية والتعايش السلمي وسط المجتمعات الريفية المحلية بمحلية الدويم في الفترة من 1984 - 2019 . رسالة دكتوراه . جامعة بخت الرضا .
- مقابلة : عبد الرحمن . كمبال ادم . أمانة أولاد حميد - الأمين العام لاتحاد زعماء العشائر بالسودان . 2020م

الرقابة على دستورية المعاهدات الدولية - دراسة مقارنة

م.م. اغراس سليم حياوي²

م.م. هند كامل عبد زيد¹

¹ الجامعة الإسلامية - فرع بابل - العراق

² الجامعة الإسلامية - فرع بابل - العراق

تاريخ النشر: 2020/12/01م

تاريخ القبول: 2020/11/29م

المستخلص

نظراً لأهمية المعاهدات الدولية والآثار القانونية المترتبة عليها فقد منحت دساتير عدة دول السلطة التشريعية دوراً هاماً في مجال التصديق على المعاهدات وذلك للرقابة على النتائج المترتبة عليها من حيث توقيعها قانونياً ومالياً وسياسياً وتعتبر الرقابة على دستورية المعاهدات من المواضيع الهامة وذلك لارتباطها للأعمال السياسية أو أعمال السيادة بالإضافة إلى اختلاف القيمة القانونية للمعاهدات الدولية حيث نلاحظ أن البعض من الدساتير منحت المعاهدات قيمة قانونية أعلى من القانون والبعض منحها قيمة مساوية والبعض الآخر منحها قيمة أدنى من القوانين والآخرى لم تحدد أي قيمة قانونية للمعاهدات وبما أن الدستور هو القانون الأعلى مرتبه بين القواعد القانونية وبالتالي فإن جميع القوانين والمعاهدات يجب أن تخضع لأحكامه تطبيقاً لمبدأ سيادة القانون الذي من محتواه هو خضوع جميع السلطات العامة في الدولة للقانون الأعلى وهو الدستور وتختلف الرقابة على دستورية المعاهدات فالبعض فرض عليها رقابه برلمانية والبعض الآخر رقابة قضائية.

RESEARCH ARTICLE

MONITORING THE CONSTITUTIONALITY OF INTERNATIONAL TREATIES

A comparative study

Hind Kamil Abd Zaid¹Aghras Saleem Hayawy²¹ Islamic University - Babylon branch – Iraq² Islamic University - Babylon branch – Iraq

Accepted at 29/11/2020

Published at 01/12/2020

Abstract

In view of the importance of international treaties and the legal implications of them, the constitutions of several countries have granted the legislative authority an important role in the field of ratification of treaties in order to control the consequences in terms of their legal, financial and political signing. Due to the difference in the legal value of international treaties, where we notice that some of the constitutions granted treaties a legal value higher than the law, and some gave them an equal value, while others gave them a lower value than the laws, and others did not specify any legal value for treaties and since the constitution is the highest law arranged among the legal rules. Laws and treaties must be subject to its provisions in application of the principle of the rule of law, whose content is the submission of all public authorities in the country to the supreme law, which is the constitution.

المقدمة

إن المعاهدة الدولية تلعب الدور الأكبر في مجال القانون الدولي وسيادة واحترام مبادئه لذلك جاء الاهتمام بدراسة المعاهدات الدولية وبيان آثارها المهمة في حياة الدول. ومن هنا كانت أهمية الموضوع الذي نحن بصدده كون الدستور العراقي النافذ لعام ٢٠٠٥ جاء ليعكس التطور القانوني الجديد في النظام القانوني العراقي والذي يتطلب دراسة المضامين الجديدة في هذا الدستور ومنها دور المعاهدة وبيان أحكامها وآلية مراقبتها لتحقيق المراد منها في خدمة وتطور العراق الجديد. إننا اليوم نحتاج ان نقف وقفات عديدة في نصوص الدستور العراقي لكي نعالج مواطن الضعف فيه ونشير بالبنان لمواطن القوة فيه من اجل تحسين نصوصه وفسح المجال لها لاستيعاب التطورات الحديثة خاصة في ظل السيطرة المتصاعدة للقواعد الدولية على الأنظمة الداخلية للدول. والملاحظ أن الصفة المميزة لهذه الدساتير ، هو تبنيها شكلا للمبادئ الديمقراطية ، كالاستفتاء على الدستور وتعديله ، وتبني هيئة مستقلة أو قضائية للرقابة على دستورية القوانين. وبالرجوع إلى أصل المبادئ الديمقراطية الوافدة على الدساتير العربية نجد أنها ثمرة من ثمار التعاقد الدولي، رافق ذلك ظهور معيار جديد لتمييز الدول الديمقراطية والأكثر ديمقراطية ، هو معيار عدد المعاهدات الشارعة التي انضمت إليها الدولة أو صدقت عليها وهو ما ضاعف من احتمالات تعارض النصوص الدولية والوطنية. من هنا برزت الحاجة للرقابة على دستورية المعاهدات الدولية ، والملاحظ أن الدساتير العربية في معالجتها لهذه المسألة البالغة الأهمية لم تتبن اتجاه واحد ، فمنها من حدد القيمة القانونية للمعاهدة والجهة المناطة بها حماية أعلى من الدستور وقديستها للقضاء - الهيئة المستقلة (كالدستور الكويتي لسنة ١٩٦٢ والدستور المصري لسنة ١٩٧١ والدستور التونسي لسنة ١٩٨٩ والدستور الجزائري لسنة ١٩٩٦ و٢٠٠٢. لكن الإشكال يثار بالنسبة للدول التي لم تحدد القيمة القانونية للمعاهدة وإن تبنت قضاء دستوريا مستقلا ، كالعراق في ظل دستور عام ٢٠٠٥ ، فهل لهذا القضاء فرض الرقابة على دستورية المعاهدات ؟ وبعبارة أخرى هل لهذا القضاء ممارسة اختصاص غير ذلك الوارد حصرا؟ وفي رأينا أن الإشكال لا يكمن هنا في عدم النص على هذا الاختصاص بقدر ما يكمن في تردد القضاء العربي في الاجتهاد والفصل في غير ما ورد النص عليه في الدستور أو القانون. لقد تناولنا موضوع الرقابة على دستورية المعاهدات الدولية في ثلاث مباحث. خصصنا الأول لدراسة تعريف المعاهدة الدولية وأنواعها . وبحثنا في الثاني التنظيم الدستوري للمعاهدات الدولية وكرسنا الثالث لدراسة الرقابة على المعاهدات الدولية التي تبنتها الدساتير العربية. واختتمنا بحثنا هذا بأهم النتائج التي توصلنا إليها خلال صفحات هذا البحث المتواضع.

المبحث الأول: مفهوم المعاهدة الدولية وأنواعها

المطلب الاول / تعريف المعاهدة الدولية

ينصرف معنى المعاهدة إلى الاتفاقيات السياسية الشكلية ، كمعاهدات السلام والتحالف . أما مصطلح الاتفاقية فيستخدم للدلالة على المعاهدات الجماعية التي تعقدها الدول في غير الشؤون السياسية والتي تتضمن قواعد عامة ، كاتفاقية فيينا لقانون المعاهدات لعام ١٩٦٩ كما تتصرف للاتفاقيات التي تعقدها المنظمات الدولية كالاتفاقيات الصادرة عن مؤتمر العمل الدولي والملاحظ أن النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية يستخدم مصطلح الاتفاقية للدلالة على المعاهدة ، فهو يشير إلى أن من بين مصادر القانون الدولي للاتفاقيات الدولية العامة والخاصة التي تضع قواعد معترف بها صراحة من جانب الدول المتنازعة^(١) وانقسم الفقه في تعريفه للمعاهدة الدولية بين ثلاث اتجاهات ، اتجاه اكتفى في الاتفاق أن يكون معقودا بين أشخاص القانون الدولي ودون أن يشترط فيه الكتابة وعلى حسب هذا الاتجاه تعرف المعاهدة الدولية بأنها (توافق إرادة شخصين أو أكثر من أشخاص القانون الدولي على إحداث

(١) انظر م (٣٨) من النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية.

أثر قانوني معين طبقاً لقواعد القانون الدولي⁽¹⁾.

أما الاتجاه الثاني فأشترط في المعاهدة الكتابة ، وإن يكون أطرافها ممن ينطبق عليهم وصف الدول تحديداً ، وعلى حسب هذا الاتجاه تعرّف المعاهدة بأنها كل اتفاق دولي يبرم كتابة بين الدول ويجري عليه القانون الدولي ، سواء كان محرراً في وثيقة وحيدة أو وثيقتين أو عدة وثائق مرتبطة فيما بينها وكيفما كان الاسم الخاص المطلق عليها⁽²⁾. كما عُرِّفت بأنها (اتفاقات تعقدها الدول الكتابة فيما بينها بغرض تنظيم علاقة قانونية دولية وتحديد القواعد التي تخضع لها هذه العلاقة)⁽³⁾.

وبهذا الاتجاه ذهب اتفاقية فيينا لقانون المعاهدات ، فقد عرفت المادة ١ منها المعاهدة بأنها (الاتفاق الدولي المعقود بين الدول في صيغة مكتوبة والذي ينظمه القانون الدولي سواء تضمنته وثيقة واحدة أو وثيقتان أو أكثر ومهما كانت التسمية الخاصة). وتبنى الاتجاه الثالث طريقاً وسط بين الاتجاهين السابقين، حيث اشترط في أطراف المعاهدة أن تكون من الدول دون أن يشترط الكتابة ، وعلى حسب هذا الاتجاه تعرف المعاهدة بأنها (اتفاقات تعقدها الدول بغرض خلق أو تعديل أو إنهاء علاقة قانونية دولية).

المطلب الثاني/ أنواع المعاهدات الدولية

وجرى الفقهاء على اعتماد عدة معايير في تصنيف المعاهدات ، فمن حيث الموضوع ، تقسم المعاهدات إلى معاهدات سياسية واجتماعية واقتصادية⁽⁴⁾ ، ومن حيث الطبيعة تقسم إلى معاهدات عقدية خاصة ومعاهدات شائعة عامة⁽⁵⁾ وتقوم الأخيرة مقام التشريع في القانون الداخلي كونها تضع قواعد سلوك عامة ومجردة. أما من حيث الأطراف . فتقسم إلى معاهدات ثنائية وجماعية ، ومن حيث النطاق الجغرافي تقسم إلى معاهدات إقليمية وعالمية ، ووفقاً لصفة المتعاقد ينقسم إلى معاهدات بين الدول ومعاهدات بين المنظمات وثالثة بين الدول والمنظمات⁽⁶⁾. ووفقاً لإجراءات إبرامها تقسم ، إلى معاهدات شكلية (مطولة) لا تتعدى الإلتزام مراحل ثلاث (المفاوضات - التوقيع - التصديق) ، واتفاقات مبسطة أو تنفيذية لا تستوجب لنفاذها سوى التفاوض والتوقيع . ويجمع الفقه على أن لا خلاف بين هذين النوعين من حيث القيمة القانونية وقوتها الإلزامية في مواجهة أطرافها ، كما لا تختلف من حيث أهمية المواضيع التي تتناولها بالتنظيم ، من ذلك مثلاً أن إقليم السويد التشيكي ضم إلى ألمانيا بموجب اتفاق تنفيذي عقد عام ١٩٣٨ ، ويمثل هذا الاتفاق أعلن استقلال المغرب عام ١٩٥٦ ، ويمثله أعلن عن انتهاء الحماية الفرنسية على تونس عام ١٩٥٦⁽⁷⁾.

فبموجب المادة (٥٢) السلطة التشريعية علماً بالمفاوضات الدائرة بشأن الاتفاقية التي يروم إبرامها . وفي الولايات المتحدة يتحدد

(1) انظر في هذا الاتجاه د . أحمد عشوش ود. عمر عبد القادر باخشوب - الوسيط في القانون الدولي العام - دراسة مقارنة مع الاهتمام بموقف المملكة العربية السعودية - مؤسسة الشباب الجامعة - الإسكندرية - ١٤١٠ هـ - ١٩٨٤ م - - (١)

(2) د . عبد القادر القادري - القانون الدولي العام - مكتبة المعارف - الرباط - ط ١، ص 31

(3) د . علي صادق أبو هيف - القانون الدولي العام - منشأة المعارف - الإسكندرية - دون سنة نشر - ص 523 ود. علي يوسف الشكري ، الرقابة على دستورية المعاهدات الدولية ، دراسة مقارنة في الدساتير العربية، مجلة دراسات الكوفة ، العدد السابع ، العراق، 2011

(4) انظر أبو هيف، علي صادق، القانون الدولي العام، ط 17 ، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1992 م. ص 525

(5) انظر د . محمد يوسف علوان - مرجع سابق - ص ١

(6) انظر د . صلاح الدين عامر - مقدمة لدراسة القانون الدولي العام (ماهيته ومصادره) دار النهضة العربية- ١٩٨٤ - ص ٢٣٤ - القاهرة - ط ١، ص 129

(7) للمزيد من التفاصيل انظر د . محمد يوسف علوان - مرجع سابق - ص ١٢٨

نطاق الاتفاقات التنفيذية بتلك المتعلقة بتنفيذ تعهد دولي سبق وأن وافق عليه مجلس الشيوخ، وفي هولندا أحاط الدستور الاتفاقات التنفيذية بضمانات أكبر من تلك التي نص عليها الدستور الفرنسي وجرى عليها العمل في الولايات المتحدة. (1)

وربما جاء هذا التقييد مراعاة لحداثة عهد هولندا بالديمقراطية أو تجنباً لاحتمالات استبداد السلطة التنفيذية بهذه الصلاحية أو إساءة استخدامها . فقد اشترط الدستور لإبرامها الأذن التشريعي المسبق وتحديد نطاقها بتنفيذ معاهدة سبق وإن صدق عليها على أن لا تتضمن في كافة الأحوال التزامات مالية هامة ولا تبرم إلا في ظل ظروف استثنائية يستحيل معها إبرام اتفاقات شكلية. (2)

من ذلك مثلاً أن دستور ١٩٧٠ المؤقت صدر في ١٦ تموز / يونيو وبهذه الصفة (التأقيت) كان من المتوقع أن تبقى أحكامه نافذة لفترة مؤقتة وكما جرى عليه العمل في ظل الدساتير المؤقتة المقارنة ، لكن هذا الدستور ظل نافذاً حتى ٩ نيسان ٢٠٠٣ ما يعني أن مدة نفاذه تجاوزت مدة نفاذ الكثير من الدساتير الدائمة العربية والغربية. والملفت للنظر أن هذا الدستور لم ينص صراحة على الاتفاقات التنفيذية والضمانات المرافقة لها . لكن واقع النصوص وما أفرزته التجربة كانا يشيران إلى أن المجال الطبيعي للاتفاقات السياسية الثنائية الهامة في العراق كانت تدور في فلك الاتفاقات التنفيذية . ومن المؤكد أن النصوص الدستورية وواقع التركيبة السياسية القائمة آنذاك على التفرد بالسلطة وتبني نظام الحزب القائد ساعدت على إحلال الاتفاقات التنفيذية محل المعاهدات .

فبموجب الدستور والنظام الداخلي لحزب البعث المنحل ، فإن أمين سر القيادة القطرية (سكرتير الحزب) هو رئيس مجلس قيادة الثورة والأخير هو رئيس الجمهورية بحكم الدستور. ومن بين أوجه هذه الهيمنة تفرد الرئيس بإدارة الشؤون الخارجية من خلال الاتفاقات التنفيذية حتى غدت جميع المعاهدات بما فيها معاهدات ترسيم الحدود تتم من خلال هذا النوع من الاتفاقات، من ذلك اتفاق الهدنة المبرم عام ١٩٩١ بين العراق وقوات التحالف والذي بموجبه انسحب العراق من الكويت دون قيد أو شرط وتعهد بتعويض الجانب الكويتي عن كل الأضرار التي لحقت به جراء الاحتلال (3). ومن المؤكد أن ما ساعد الرئيس على اللجوء إلى أسلوب الاتفاقات التنفيذية (ح/1) / نصوص الدستور القائم آنذاك (١٦ تموز ١٩٧٠) .

وفي ظل تربع رئيس الجمهورية على قمة مجلس قيادة الثورة بحكم الدستور وهيئته الفعلية عليه فإن من غير المتوقع اعتراض المجلس على الاتفاقات التي يعقدها الرئيس. وتجنباً لاحتمالات استبداد الرئيس في ظل الدستور العراقي النافذ لعام ٢٠٠٥ في إدارة الشؤون الخارجية من خلال الاتفاقات التنفيذية أناطت المادة (٨٠) من الدستور بمجلس الوزراء صلاحية التفاوض بشأن المعاهدات والاتفاقات الدولية والتوقيع عليها أو من يخوله (4) وأوكل الدستور لمجلس النواب ورئيس الجمهورية صلاحية المصادقة على المعاهدات والاتفاقات التي يكون العراق طرفاً فيها يختص مجلس النواب بما يأتي :

أولاً: تنظيم عملية المصادقة على المعاهدات والاتفاقات الدولية بقانون يسن بأغلبية ثلثي أعضاء مجلس النواب (5)

(1) المادة (52) من الدستور الفرنسي لعام 1958

(2) الدستور الهولندي

(3) المادة (37/ب-) من دستور العراق لعام 1970

(4) م (80) من الدستور العراقي النافذ لسنة ٢٠٠٥ / ١

(5) م (٦١ / رابعا) من الدستور .

ثانياً: المصادقة على المعاهدات والاتفاقيات الدولية بعد موافقة مجلس النواب ، وتعد مصادقاً عليها بعد مضي خمسة عشر يوماً من تاريخ تسلمها⁽¹⁾.

المبحث الثاني التنظيم الدستوري للمعاهدات الدولية

لا يقتصر أثر قواعد القانون الدولي على تنظيم العلاقات بين الدول فقط، وإنما يمتد أثرها إلى فرض التزامات، ومنح حقوق للأفراد داخل الدولة تدفعهم للتمسك بها أثناء منازعاتهم أمام القاضي الوطني، تكون في صورة معاهدات دولية قد تتعارض مع قواعد القانون الداخلي.

وبما أن الدستور يحتل المرتبة الأولى في معظم الدول بين مصادر التشريع الداخلي، وحيث أنه لا يمكن للدول العيش بعيداً عن محيط المجتمع الدولي - كما أسلفنا سابقاً - فإن تعارض قواعد القانون الداخلي مع قواعد القانون الدولي أمر متوقع الحدوث بفعل تشابك العلاقات وتداخلها. لذلك نظمت معظم دساتير العالم القواعد القانونية الدولية التي سنتها المعاهدات والاتفاقيات الدولية واختلفت في تحديد مكانتها القانونية في النظام القانوني الداخلي، واختلفت في آلية نفاذها في النظام القانوني الداخلي منعاً لأي تنازع بينها وبين القوانين الداخلية الوضعية بوصفها مصدراً من مصادر القانون الداخلي، فانقسمت بين من تبنت أسلوب (التنفيذ التلقائي)، وأبرزها: الدستور الفرنسي لعام 1958 م، والدستور المصري لعام 1971 م، وعام 2014 م، ودستور الولايات المتحدة الأمريكية لعام 1787 م. والبعض الآخر تبنى (أسلوب التنفيذ التقليدي غير التلقائي) كالنظام القانوني الداخلي البريطاني والدستور الكويتي لعام 1962 م بينما لم يحدد المشرع الفلسطيني آلية نفاذها في النظام القانوني الداخلي. ومن هنا لا يمكن أن ننكر تأثير المعاهدات الدولية على القوانين الوضعية في نظام أي دولة مرتبطة بهذه المعاهدة. بالإضافة إلى ذلك، اختلفت الدساتير في تحديد الأحكام المترتبة على نفاذ المعاهدات الدولية، ونشرها واستيفائها للشروط الشكلية، من حيث تحديد السلطة المختصة بإبرامها وتصديقها. ومن خلال الواقع العملي، نجد أن الدول تختلف اختلافاً واضحاً وبيناً في تعاملها مع القانون الدولي بشكل عام⁽²⁾، ومع المعاهدات الدولية على وجه الخصوص في تحديد مكانتها القانونية في النظام القانوني الداخلي لأي دولة ديمقراطية.

المطلب الأول: مرتبة المعاهدات الدولية في النظام القانوني الداخلي التي حددتها الدساتير المقارنة

أن الدساتير المقارنة تباينت في تحديد القيمة القانونية للمعاهدات الدولية، ولوقوف عند تفاصيل هذا التباين استلزم منا الأمر تقسيم هذا المطلب إلى ثلاثة فروع، وهي على النحو الآتي:

الفرع الأول: سمو المعاهدات الدولية على الدساتير الداخلية للدول.

الفرع الثاني: سمو المعاهدات الدولية على القوانين الداخلية العادية.

الفرع الثالث: المعاهدات الدولية لها قيمة وقوة القوانين الداخلية العادية.

الفرع الأول: سمو المعاهدات الدولية على الدستور

(1) م (٧٣ / ثانياً) من الدستور .

(2) انظر الموقع الإلكتروني

تعتبر هولندا هي الدولة الوحيدة التي وضعت المعاهدات الدولية في مرتبة أسمى من الدستور استناداً الى الدستور الهولندي لعام 1922 م والمعدل عام 1963 م لذلك لا يجوز للمحاكم الهولندية الحكم بعدم دستورية معاهدة دولية لأنها تسمو على التشريعات السابقة عليها واللاحقة عليها⁽¹⁾. ولكن الدستور الهولندي اعتبر سمو المعاهدات الدولية⁽²⁾ عليه محدوداً لارتباطه بضرورات الحياة الدولية إن منح هولندا المعاهدة الدولية منزلة أسمى من الدستور يعتبر إغلاء لقواعد القانون الدولي بصفة عامة على كافة التشريعات الوطنية، وعلى رأسها الدستور. وبالتالي، فإن استيفاء المعاهدات الدولية للاجراءات المقررة داخليا بشأنها، والتي نص عليها الدستور يخرجها من إطار امكانية الرقابة على دستورها، لان المعاهدات الدولية التي تتعارض مع الدستور تعد بمثابة تعديل للدستور القائم ذاته بعد التصديق عليها وقد رسخ القضاء الدولي مفهوم سمو القانون الدولي على القانون الوطني - سواء كانت القواعد الدولية عرفية أم اتفاقية- من خلال مجموعة من الآراء والأحكام الإستشارية وأبرزها ما أشارت اليه محكمة العدل الدولية الدائمة في رأيها الاستشاري في عهد عصبة الأمم (الصادر بتاريخ الاربع من شهر شباط لعام 1923 في قضية معاملة الرعايا البولنديين في مدينة داننغ الحرة، والذي قضى بسمو قواعد القانون الدولي الاتفاقي على القانون الوطني، فلا يمكن لدولة أن تتذرع بدستورها لتتنصل من التزاماتها الدولية، وفقاً للقانون الدولي او لمعاهدة دولية نافذة⁽³⁾).

الفرع الثاني: سمو المعاهدات الدولية على القوانين الداخلية العادية

أكدت اتفاقية فيينا لقانون المعاهدات لعام 1969 م، على مبدأ سمو المعاهدات الدولية على التشريعات الداخلية العادية بعد تصديقها وفق الاجراءات الدستورية، حيث نصت الاتفاقية على أنه لا يجوز لأي طرف في معاهدة أن يتمسك بقانونه الداخلي كسبب لعدم تنفيذ هذه الاتفاقية⁽¹⁷⁾. وكررت هذا التأكيد بأن نصت في موضع آخر، بأنه لا يجوز لأي دولة أن تتصل من التزاماتها الدولية الناشئة عن المعاهدات الدولية بحجة مخالفتها لقانونها الداخلي إلا إذا كانت المخالفة بينة، وتعلقت بقاعدة أساسية من قواعد القانون الداخلي⁽⁴⁾.

ويهدف مبدأ سمو المعاهدات الدولية على القوانين الوطنية الى تحقيق نوع من الاستقرار في العلاقات الدولية عند منح المعاهدات الدولية منزلة خاصة في السياسة الخارجية، والذي بدوره يمنع الدول بأن تتصل من التزاماتها بذريعة تعارض المعاهدات الدولية التي أبرمتها مع تشريعاتها الداخلية. ومن أبرز الدول التي أخذت بهذا الاتجاه الدستور الفرنسي لعام 1958 اعتبر دستور الجمهورية الخامسة لفرنسا لعام 1958 م، أن المعاهدات والاتفاقيات الدولية التي تم التصديق والموافقة عليها، ونشرها طبقاً للأوضاع القانونية المقررة دستورياً، تسمو على جميع القوانين العادية، شرط تنفيذها من قبل الطرف الآخر⁽⁵⁾.

نستنتج من النصوص السابقة علو المعاهدات الدولية في ظل دستور الجمهورية الخامسة لعام 1958 على القوانين العادية، فهي

(1) علوان، محمد يوسف، القانون الدولي العام - المقدمة والمصادر، دار وائل للنشر، الأردن، 2003 م، ص 164

(2) المادة 63 من الدستور الهولندي.

(3) فيصل عقلة، الرقابة على دستورية المعاهدات الدولية (دراسة مقارنة) مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، مجلد 42، عدد 1، الاردن 2015 م، ص

174 - المادة (27) من اتفاقية فيينا لقانون المعاهدات لعام 1969

(4) لمادة (43) من اتفاقية فيينا لقانون المعاهدات لعام 1969 م.

(5) المادة (55) من الدستور الفرنسي لعام 1958 م. نظر للموقع الالكتروني

تحتل مرتبة وسطى في التدرج الهرمي للقواعد القانونية كونها أعلى من القوانين العادية وأقل مرتبة من الدستور، إذ يسمو الدستور على التعهدات الدولية، ولا ترتب المعاهدة الدولية أي أثر بالنسبة لفرنسا في حالة مخالفتها للدستور إلا بعد تعديله. (1)

الفرع الثالث: المعاهدات الدولية لها قيمة وقوة القوانين الداخلية العادية

تعني هذه الحالة ان يمر الاتفاق الدولي بنفس مراحل القانون الداخلي بحيث يفسح القانون السابق المجال للقانون اللاحق سواء كان دوليا او داخليا ويتولى القضاء هنا مهمة تفسير القوانين تفسيرا منهجيا فنجد أن القضاء الدستوري لبعض الدول أنهى كافة المنازعات المتعلقة بتحديد مكانة الاتفاقيات الدولية وخاصة المعاهدات الدولية في حال الموافقة عليها عند استيفائها لكافة المتطلبات الدستورية الاجرائية والموضوعية (2).

وأكد الدستور المصري لعام 2014 م، على نفس المكانة للمعاهدات الدولية التي نص عليها دستور عام 1971م حيث نص على: "يمثل رئيس الجمهورية الدولة في علاقاتها الخارجية، ويبرم المعاهدات، ويصدق عليها بعد موافقة مجلس النواب، وتكون لها قوة القانون بعد نشرها وفقاً لأحكام الدستور .

ويجب دعوة الناخبين للاستفتاء على معاهدات الصلح والتحالف وما يتعلق بحقوق السيادة، ولا يتم التصديق عليها إلا بعد إعلان نتيجة الاستفتاء بالموافقة، وفي جميع الأحوال لا يجوز إبرام أي معاهدة تخالف أحكام الدستور، أو يترتب عليها التنازل عن أي جزء من إقليم الدولة" (3) 109 كما نص على: "تلتزم الدولة بالاتفاقيات والعهود والمواثيق الدولية لحقوق الإنسان التي تصدق عليها مصر، وتصبح لها قوة القانون بعد نشرها وفقاً للأوضاع المقررة" (4).

وقد حذى الدستور القطري 117، (5) والدستور الكويتي 118، (6) ودستور كوريا الجنوبية 119 (7)، حذو المشرع المصري بتحديد مرتبة المعاهدة الدولية، بمنحها قوة القانون العادي بعد إبرامها والتصديق عليها، ونشرها في الجريدة الرسمية.

(1) نصت المادة (54) من الدستور الفرنسي لعام 1958 م على: "إذا رأى المجلس الدستوري بناء على إشعار من رئيس الجمهورية أو رئيس الوزراء

أو رئيس أحد مجلسي البرلمان أو ستين عضواً في الجمعية الوطنية أو ستين عضواً في مجلس الشيوخ أن التزاماً دولياً ما يتضمن بنداً مخالفاً للدستور فإنه لا يتم التفويض بالتصديق على هذا الالتزام الدولي أو الموافقة عليه إلا بعد تعديل الدستور".

(2) شنطاوي، فيصل عقلة، الرقابة على دستورية المعاهدات الدولية (دراسة مقارنة) مجلة دراسات علوم

الشريعة والقانون، مجلد 42، عدد 1، الأردن، 2015، ص 48

(3) المادة (151) من الدستور المصري لعام 2014 م وجاء مضمونها مشابهاً لنص المادة (151) من الدستور المصري لعام 1971

https://www.constituteproject.org/constitution/Egypt_2014.pdf?lang=ar أنظر الموقع الإلكتروني

(4) المادة (93) من الدستور المصري لعام 2014 م .

(5) نصت المادة (68) من الدستور القطري لعام 2003 م، على أنه: "يبرم الامير المعاهدات والاتفاقيات بمرسوم، ويبلغها لمجلس الشورى مشفوعة بما يناسب من البيان، وتكون للمعاهدة او الاتفاقية قوة القانون بعد التصديق عليها، ونشرها في الجريدة الرسمية....."

(6) نصت المادة (70) من الدستور الكويتي لعام 1962 م، على أنه: "يبرم الامير المعاهدات بمرسوم، ويبلغها مجلس الامة فوراً مشفوعة بما يناسب من البيان، وتكون للمعاهدة قوة القانون بعد التصديق عليها ونشرها في الجريدة الرسمية."

(7) نصت المادة (5) من دستور كوريا الجنوبية لعام 1980 على أنه: "د" يكون للمعاهدات المعقودة بشكل أصولي وفقاً للدستور وقواعد القانون الدولي المعترف بها اعترافاً عاماً نفس أثر القوانين الوطنية لجمهورية كوريا."

يترتب على منح المعاهدة الدولية قوة القوانين العادية النتائج الآتية: (1)

أ. تلتزم المحاكم الوطنية من تلقاء نفسها بتطبيق أحكام المعاهدة الدولية دون طلب أطراف الدعوى ذلك.

ب. تصبح المعاهدات الدولية واجبة التطبيق من تاريخ نفاذها فليس لها أي أثر رجعي لأنها تخضع من حيث الزمان لنفس المبادئ الخاصة بالقوانين.

ت. جهل القاضي الوطني لنصوص المعاهدة الدولية يكون سبباً للطعن في حكمه.

ث. يجوز نقض الحكم الذي يصدره القاضي الوطني، ويكون مخالفاً لنص من نصوص المعاهدة الدولية.

ج. لا تسري المعاهدة الدولية بحق الاطراف إذا لم يتم نشرها وفق الاجراءات المنصوص عليها في الدستور.

المطلب الثاني: عدم تحديد القيمة القانونية للمعاهدات الدولية في الدساتير المقارنة

لم تحدد العديد من الدساتير العربية والاجنبية القيمة القانونية للمعاهدات الدولية بالنسبة للتشريعات الداخلية، سواء كانت نصوص دستورية او قوانين داخلية. وتتصدر هذه الدساتير الدستور الايطالي الذي أشار الى وجوب اتفاق القانون الداخلي⁽²⁾ مع قواعد القانون الدولي المعترف بها بشكل عام، دون اي تحديد لمكانة هذه القواعد في النظام القانوني الداخلي، ومن الدساتير العربية التي لم تحدد القيمة القانونية للمعاهدات الدولية بالنسبة الى تشريعاتها الداخلية الدستور الع ا رقي لعام 2005 م، والدستور اليمني لعام 1990 م، والدستور الاماراتي لعام 1971 م، والدستور الاردني لعام 1952 م، والقانون الاساسي الفلسطيني لعام 2003 م، والدستور اللبناني لعام 1926 م، والدستور السوداني لعام 1996 م، ولعام 2005 م، والدستور المغربي لعام 1996. (3)

ويلاحظ على الدساتير المغربية من عام 1962 م - 1996 غياب مقتضيات صريحة تعطي للمعاهدات الدولية المصادق عليها سموا على القوانين الداخلية، الذي بدوره أثار عدة صعوبات وعراقيل تطرح في توصيف مكانة هذه المعاهدات في القانون المغربي، لما لهذا التوصيف من خطورة لارتباطه الوثيق بالعمل القضائي،

وبالتالي بحقوق وحرريات الأفراد والجماعات. علما أن دساتير دول متقدمة وضعت حدا لمثل هذه الإشكاليات. باقرار مكانة متميزة لالتزاماتها الدولية. (4)

(1) المرفجي، سلوى أحمد ميدان، دستورية المعاهدات الدولية والرقابة عليها (دراسة مقارنة)، الطبعة الأولى، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2013 م، ص 231

(2) شنتاوي، فيصل عقلة، مرجع سابق، ص 48

(3) الشكري، علي يوسف، مرجع سابق، ص 18

(4) الوردي، عادل، مقالة بعنوان مكانة الاتفاقيات الدولية في الدستور المغربي، انظر الموقع الإلكتروني

المبحث الثالث: الرقابة على المعاهدات الدولية

تتناول مصادر القانون الدولي المختلفة، ومنها المعاهدات نفسها، مسألة التصديق على المعاهدات الدولية بصورة متعددة، منها آراء الفقه وأحكام القضاء ومجريات العرف ونصوص القوانين والتفاريق الدولية. تضمنت هذه المصادر الأحكام المتعلقة بالتصديق على المعاهدات لكنها لم تشر إلى جهة الاختصاص في ذلك، وتركت الأمر لإجراءات دستورية خاصة بكل دولة. فالبعض من دساتير الدول تعطي السلطة التشريعية الحق في التصديق على كافة المعاهدات التي تبرمها السلطة التنفيذية

المطلب الأول: الرقابة البرلمانية على دستورية المعاهدات

وإذا كانت السلطة التنفيذية تضطلع دائماً وفي كافة الأنظمة الدستورية بمهمة المفاوضات والتحرير والتوقيع، فإن مجال السلطة التشريعية يتحدد في الأحوال التي تشترك فيها بصناعة المعاهدة بالتصديق تحديداً. وحيث أننا نبحث في هذا الموضوع من الدراسة في رقابة السلطة التشريعية على المعاهدة الدولية، فإننا نجد لزاماً علينا، التعريف بالتصديق والغاية منه ثم نعرض على السلطة المختصة بالتصديق في الدساتير العربية وعلى النحو التالي

التعريف بالتصديق: جرى العرف الدولي على أن المعاهدات لا تصبح سارية بمجرد التوقيع عليها من قبل ممثل الدولة وإنما يلزم لنفاذها القيام بإجراء وطني لا حق هو التصديق فالتصديق هو الإجراء القانوني الذي تعبر به الدول الأطراف بصورة نهائية عن التزاماتها بإحكام المعاهدة وفقاً للإجراءات الدستورية فالتصديق هو إجراء وطني يتم وفقاً لقواعد القانون الداخلي في كل دولة طرف المعاهدة. (1)

ويعتبر التصديق على المعاهدات الدولية أحد مراحل إبرامها هو يلي التفاوض على بنود المعاهدة والتوقيع عليها ويسبق إيداعها وتسجيلها لدى الجهات المختصة كما أن التصديق على المعاهدات إلى جانب التوقيع عليها وتبادل الوثائق بين أطرافها هو أحد أشكال تعبير الدولة عن التزامها بالمعاهدة. وتمنح صلاحية التصديق إما السلطة التنفيذية ممثلة برئيس الدولة وإما للسلطة التشريعية وإما للسلطتين معاً. وقد وضعت دساتير الدول المختلفة إجراءات دستورية خاصة بتصديق المعاهدات ومع إن النصوص القانونية تختلف اختلافاً واضحاً من دولة إلى أخرى إلا أن هنالك قاسماً مشتركاً بينها بحيث صار التصديق أمراً ضرورياً لنفاذ المعاهدة.

والهدف من التصديق على المعاهدة خاصة من قبل السلطة التشريعية وعدم الكفاءة بالتوقيع عليها من السلطة التنفيذية، هو إعطاء الدولة فرصة إعادة النظر قبل الالتزام نهائياً بالمعاهدة خاصة في حالة المعاهدات التي تشمل على التزامات في غاية الأهمية وكذلك إتاحة الفرصة لعرض المعاهدة على ممثلي الشعب في النظم الديمقراطية التي تشترط موافقة السلطة التشريعية على المعاهدات، قبل تصديق رئيس الدولة عليها. كما يمكن من خلال التصديق على المعاهدة والتأكد من التزام ممثلي السلطة التنفيذية بالصلاحيات الممنوحة لهم في مراحل التفاوض والإبرام والتوقيع، وبما إن المعاهدة الدولية لها جانبان، دولي ووطني فال مهرب من بحث دور البرلمان في التصديق على المعاهدات في كل من القانون الدولي والقوانين الوطنية(2).

بعد أن توافق عليها كل غرفة في البرلمان صراحة). والدستور الفلسطيني لسنة 2002 يتولى رئيس مجلس الوزراء أو من يفوضه من الوزراء المفاوضات في عقد المعاهدات الدولية، ويطلع رئيس الدولة على سير المفاوضات على أن يقترن عقد المعاهدات الدولية بموافقة مجلس الوزراء وتصديق الرئيس إن المعاهدات والاتفاقات التي تحمل خزنة الدولة شيئاً من النفقات.

(1) د. محمد سعيد الدقاق ومصطفى سالمه حسن، القانون الدولي المعاصر، الإسكندرية: دار المطبوعات الجامعية 9117م، ص 15

(2) د. علي صادق أبو هيف، مصدر سابق، ص 249.

المطلب الثاني/رقابة المجلس الدستوري على المعاهدات

الواضح أن نشر المعاهدة لا يعد شرطاً لسريان المعاهدة فهذا الإجراء خاص بالقانون الداخلي ولا صلة له بالقانون الدولي وبذلك أن تخلف النشر لا يعيب المعاهدة من وجهة نظر القانون الدولي، ولا يؤول ذلك إلى التوقف أو الإنهاء ولا يمنع ذلك من القول بأن المعاهدة لن تكون سارية في حق الافراد إلا بعد نشرها في الجريدة الرسمية لأجل أن يتم الاحتجاج بها وبالإطلاع على سلسلة الاتفاقات التي صادقت عليها الجزائر نجد العديد منها لم يتم نشرها إلى يومنا هذا ومن هذه الاتفاقيات اتفاقية حظر جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها التي تمت الموافقة عليها من طرف الجمعية العامة للأمم المتحدة في التاسع من ديسمبر 1943 م والتي انضمت إليها الجزائر سنة 1993 م وكذلك انضمام الجزائر سنة 1993 م إلى الاتفاقيات المتعلقة بالرق والموقعة في جنيف سنة 1959 م المعدلة بموجب بروتوكولات نيويورك لسنة 1923 م والاتفاقيات التكميلية لإبطال الرق وتجارة الرقيق الموقعة بجنيف في عام 1929 م.

أسندت بعض الدساتير العربية مهمة الرقابة على دستورية المعاهدات لهيئة مستقلة المجلس الدستوري مقتضية بذلك إثر الدستور الفرنسي لسنة 1958م. وتبني هذا النوع من الرقابة كل من الدستور اللبناني لسنة 1959 م والموريتاني الملغي والجزائري لسنة 1991 م والمغربي لسنة 1991 م والجزائري لسنة 1996م والملاحظ ان هذه الدساتير تبنى اتجاه معين من حيث تحديد القيمة القانونية للمعاهدة، وكون الرقابة الزاميه أم اختيارية ووقت إثارة الدفع بعدم الدستورية. (1)

فمن حيث القيمة القانونية للمعاهدة وضع الدستور الجزائري والموريتاني المعاهدة في مكان اسمي من القانون وأقل درجة من الدستور 87 ما يعني عدم جواز مخالفة المعاهدة للدستور بأي حال من الأحوال والا خضعت لرقابة المجلس الدستوري (يفصل المجلس الدستوري بالإضافة إلى الاختصاصات التي حولها إياه صراحة أحكام أخرى في الدستور، دستورية المعاهدات والقوانين إذا ما أعلن المجلس الدستوري بناء على طلب من رئيس الجمهورية . إن ألتزاماً دولياً يتضمن بندا مخالفاً للدستور توقف الترخيص في تصديق هذا البند أو الموافقة عليه ما لم تقع مراجعة للدستور. لم يحدد الدستور اللبناني 1926 م والمغربي 1996 القيمة القانونية للمعاهدة بالنسبة للدستور والقانون ولكن المكانة التشريعية للمعاهدة يمكن استنتاجها من خلال الرجوع إلى نصوص الدستورين وقوانين المجلس الدستوري. (2)

الخاتمة

إذا كانت أهمية الموضوع تتبع من كونه يتعلق بالدستور ، فإن هذه الأهمية تتزايد مع تسابق القوى الكبرى وتفرد بعضها في السعي الحثيث للهيمنة على العالم الأقل تطوراً تحت مظلة النظام العالمي الجديد والعولمة وحماية هذه الدول من بعضها ويحتل موضوع الرقابة على دستورية المعاهدات الدولية أهمية بالغة ، كونه بأعلوية وقدسية الدستور الذي يضع أساس الدولة.

وخلافاً لمبدأ التراضي الذي تقوم عليه المعاهدة أساساً، فإن مبدأ القسروالإرغام (المادي - المعنوي) هو المبدأ الذي أصبحت تقوم عليه المعاهدة واقعا. وفيما مضى كان الحديث عن المعاهدات غير المتكافئة يدور وجودا وعدما مع المعاهدات المعقودة بين الدول

(1) د. عبد القادر القادري - القانون الدولي العام - الجزء الأول مكتبة المعارف - الرباط - الطبعة الأولى ، 1984، ص15 ود. د. علاء عبد المتعال القضاء الإداري دراسة مقارنة - الجزء الأول - دون دار نشر - 1997، ص152 ود. د. علي ابراهيم - الوسيط في المعاهدات - دار النهضة العربية - القاهرة - 1995، ص164

(2) د. أحمد رفعت - القانون الدولي العام - دار النهضة - القاهرة دون سنة نشر، ص153

المنتصرة والمهزومة في الحرب ، لكن عدم التكافؤ أصبح من سمات معاهدات النظام العالمي الجديد ، ولكن دائما لمصلحة الدول الأكثر تطورا وديمقراطية!

لقد توصلنا خلال هذا البحث إلى النتائج التالية:-

1- إن المعاهدة الخاضعة لرقابة الهيئات الوطنية هي تلك الخاضعة للتصديق ، وبالتالي يخرج عن مفهومها تلك التي ينفرد الرئيس بإبرامها (الاتفاقات التنفيذية).

2- إن الأنظمة الشمولية ركزت على الاتفاقات التنفيذية في تنظيم علاقاتها بغيرها من الدول تجنباً لرقابة السلطة التشريعية ، وإن كانت رقابة السلطة الأخيرة فيها شكلية هامشية أكثر منها واقعية فعلية.

3- تباين الدساتير المقارنة في تحديد القيمة القانونية للمعاهدات الدولية. وتعتبر هولندا الدولة الوحيدة التي وضعت المعاهدات الدولية في مرتبة أسمى من الدستور تبنت ما نادى به القضاء الدولي، والذي ينسجم مع ما نادى به نظرية وحدة القانون ، واتفاقية فيينا لقانون المعاهدات لعام 1969. وبعض الدساتير منحتها قيمة القانون العادي، ففي حال تعارض أحكام المعاهدة الدولية مع الدستور، يتم اعلاء نصوص الدستور وأحكامه على نصوص المعاهدة. والبعض الآخر منحها مرتبة وسطى في التدرج الهرمي للقواعد القانونية، كونها أعلى من القوانين العادية وأقل مرتبة من الدستور. بالإضافة إلى أن هناك دساتير لم تتطرق إطلاقاً لتحديد القيمة القانونية للمعاهدة الدولية في النظام القانوني الداخلي

4- هناك ضرورة لوجود رقابة برلمانية على المعاهدات والاتفاقيات التي تبرمها السلطة التنفيذية ويتأتى ذلك من خلال منح المجلس التشريعي حق التصديق على المعاهدات والاتفاقيات خاصة تلك المعاهدات التي تتعلق بالسيادة والخزينة العامة والاتفاقيات السياسية فالهدف من التصديق على المعاهدة الدولية وعدم الاكتفاء بالتوقيع عليها من قبل السلطة التنفيذية هو إعطاء الدولة فرصة لإعادة النظر قبل الالتزام نهائياً وكما يبدو فقد ترتب المعاهدة التزامات وأعباء الدولة قد تكون في غنى عنها وهنا يبرز الدور الوطني للمعاهدة والرقابة البرلمانية عليها فحاولنا من خلال بحثنا هذا المتواضع إبراز دور الرقابة البرلمانية على المعاهدات الدولية في كل جوانبه وفيما توصلنا إليه من نتائج وتوصيات.

التوصيات

لحل الإشكالية التي طرحها البحث فإننا نوصي بما يلي:

1. الدول الأعضاء في المجتمع الدولي بان تعمل جاهدة على تطبيق قواعد القانون الدولي الاتفاقي قدر الإمكان. ولتفادي إمكانية تعارض هذه القواعد مع التشريعات الداخلية لها، عليها تبني أسلوب الرقابة السابقة على دستورية المعاهدات الدولية، كونها الوسيلة المثلى لضمان عدم اصدار التشريعات التي تتعارض مع التزاماتها الدولية حيث يتم التأكد من عدم التعارض قبل التصديق على المعاهدة، والاستعمل على تعديل التشريعات الداخلية بما يتوافق مع جميع الاتفاقيات الدولية والإقليمية، والا ستقوم مسؤوليتها الدولية تجاه الدول الأخرى الأطراف في المعاهدة الدولية. فالرقابة السابقة، سواء كانت سياسية أم قضائية، ترفع الحرج عن الدولة، وتضمن احتواء الدستور داخل الدولة وخارجها.

2- إضافة نص يلزم الدول بالتطبيق المباشر للاتفاقيات الدولية بشكل عام، والاتفاقيات التي تعنى بحقوق الإنسان والحريات الأساسية على وجه الخصوص. بغض النظر عن تعارضها مع قانونها الوطني، بحيث تصبح قاعدة قانونية دولية عامة.

3-تفعيل دور المحكمة الدستورية العليا للقيام برقابة فعالة على دستورية المعاهدات الدولية التي تقع بشكل أساسي ضمن اختصاصها بالرغم من عدم نص القانون الأساسي وقانون المحكمة الدستورية على ذلك، من خلال النص على ان تختص ب "الرقابة على دستورية الاتفاقيات والمعاهدات الدولية."

4-تحديد مرتبة المعاهدات الدولية في النظام القانوني الداخلي بنص واضح وصريح يمنحها قوة القوانين العادية، والنص على سموها في حال التعارض مع القوانين اللاحقة، او النص على منح المعاهدة الدولية قوة أدنى من الدستور واعلى من القانون العادي، لضمان سلامتها، وتحقيقاً لمضامينها.

المصادر والمراجع القانونيه

- 1- د. أحمد رفعت - القانون الدولي العام - دار النهضة - القاهرة دون سنة نشر .
- 2 -أحمد سرحال - قانون العلاقات الدولية- بيروت - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر 1993 م - الشافعي محمد بشير - القانون الدولي العام في وقت السلم - .والحرب - مكتبة الجلاء الجديدة الطبعة السادسة -1997-1998
3. احمد عشوش ود. عمر عبد القادر باخشب - الوسيط في القانون الدولي العام - دراسة مقارنة مع الاهتمام بموقف المملكة العربية السعودية - مؤسسة الشباب الجامعة - الإسكندرية - ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
4. د.حامد سلطان ود.عائشة عبد الرحمن ود.صلاح الدين عامر - القانون الدولي العام -ماهيته - مصادره(دار النهضة العربية القاهرة -الطبعة - 1984م.
- 5.د. صلاح الدين عامر- مقدمة لدراسة القانون الدولي - (ماهيته - مصادره) دارالنهضة العربية - القاهرة - الطبعة الأولى -
- 6.د.عبد القادر القادري - القانون الدولي العام - الجزء الأول مكتبة المعارف - الرباط- الطبعة الأولى، 1984
- 7.د. عبد الكريم علوان- الوسيط في القانون الدولي العام - الجزء الأول - مكتبة دار الثقافة والتوزيع -1997.
- 8.د.علاء عبد المتعال القضاء الإداري دراسة مقارنة - الجزء الأول - دون دار نشر.1997.
- 9.د. علي ابراهيم - الوسيط في المعاهدات - دار النهضة العربية - القاهرة،1995
10. د. علي صادق أبو هيف - القانون الدولي العام - منشأة المعارف - الاسكندرية- بدون سنة نشر
- 11.د. علي القهوجي - المعاهدات الدولية امام القاضي الجنائي الاسكندرية - دارالجامعة الجديدة للنشر - 1997 م.
- 12.د. محمد سامي عبد الحميد - أصول القانون الدولي العام المجلد الأول - القاعدة القانونية - مؤسسة الشباب الجامعية للطباعة والنشر -1975
- 13-د.محمد يوسف علوان - القانون الدولي العام - المقدمة والمصادر - دتر وائل- عمان - الطبعة الثانية- 2000 م.
- 14.د. محمد مصطفى يونس ود. صالح بدر الدين - القانون الدولي العام - دارالنهضة العربية.1999
- 15.محمد السعيد الدقاق ود. مصطفى سلامة حسن - القانون الدولي المعاصر

الاسكندرية - دار المطبوعات الجامعية -1997م.

16. محمد المجذوب - محاضرات في القانون الدولي العام - بيروت - دار الجامعة -
1993م.

الدساتير

- 1- الدستور المصري لعام 1971 م.
- 2- الدستور الجزائري لعام 1976 م.
- 3- الدستور كوريا الجنوبية لعام 1980 م.
- 4- الدستور الجزائري عام 1989 م.
- 5- الدستور الجزائري عام 1996 م.
- 6- الدستور مملكة البحرين لعام 2002 م.
- 7- الدستور القطري لعام 2003 م.
- 8- القانون الاساسي الفلسطيني لعام 2003 م.
- 9- الدستور العراقي لعام 2005
- 10- مشروع المسودة الثالثة (المنقحة) للدستور الفلسطيني لعام 2003 م.
- 11- الدستور المصري لعام 2014 م.

رابعا - الاتفاقيات والقوانين والأنظمة

- ١ - اتفاقية فينا لقانون المعاهدات.
- ٢ - النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية.
- ٣ - قانون المحكمة الدستورية العليا المصري ٤٨ لسنة ١٩٧٩
- ٤ - قانون المحكمة الاتحادية العليا العراقي
- ٥ - النظام الداخلي لمجلس النواب العراقي - منشور في الجريدة الرسمية-
ع ٤٠٣٢ في ١٧ محرم ١٤٢٨ هـ - شباط ٢٠٠٧ م.

المواقع الإلكترونية

1- <http://search.mandumah.com/record/45001>

<http://www.iasj.net/iasj?func=issueTOC&isId=6653&uiLanguage=ar>-2

RESEARCH ARTICLE

**DIFFICULTIES OF READING IN SUDANESE
SECONDARY SCHOOLS
(A Case Study of Nertiti Locality)**

Dr. Abdallah Adam Osman Algazoly¹

¹ Department of English, Faculty of Education, University of Zalingei, Zalingei, Sudan. Email: algazoly66@yahoo.com

Accepted at 29/11/2020

Published at 01/12/2020

Abstract

It has been observed that many Sudanese secondary school students, after spending seven years studying English language, are unable to read, with comprehension, simple English textbooks. This may be attributed, among other things, to the fact that the EFL syllabus includes limited number of reading skills. The present study investigates the reading difficulties faced by Sudanese secondary school students. The descriptive analytical method was used to conduct the present study. The study targeted population which included all students from nine public secondary schools within the borders of Nertiti Locality, as well as English teachers; forty students and ten teachers were selected randomly as a sample size. The researcher used a questionnaire and comprehension test as instruments for data collection. The study concluded the existence of some differences in reading difficulties based on gender. Students vary in their reading comprehension because of their academic streams. Students should be provided with some reading remedial techniques to overcome their reading difficulties by using short stories, magazines, newspapers, and simplified literary texts.

Key Words: reading perception, cognitive strategies, meta-cognitive strategies, comprehension

Introduction

Reading is a dynamic process that discriminates readers in the light of interaction of three factors; the type of the text being read, the purpose of the reader and the kind of reading skills and strategies he uses. (Ireland;2001). In foreign language learning context, where exposure to the target language in its spoken form is not widely available, reading in its different forms becomes an indispensable tool toward learners advancement in their English proficiency levels and development of their socio-cultural competence (Dornyei 1990). Reading is also a tool for fostering academic success among students.(Linquanti,1999). In Jordan (Alkhawaldah, 2012) used a survey to reading problems of the secondary school students. The most problematic areas identified by the students were: lack of familiarity with vocabulary items, lack of connection intensive and extensive reading activities, teacher-related malpractices in teaching reading comprehension and in consistency learner's pre-knowledge and existing ideas in the passage.

In Yemen,(Balfakeh, 2009) finds that dealing with unknown words is by far the most problematic area among secondary school students. Alajmi(2003) investigates the reading difficulties of Omani students soon after they graduate from their secondary school education. According to the students in her study, the most encountered reading difficulties are: lack of background knowledge, and lack of automatic recognition skills that enable students to recognize sounds and words.

1. Literature Review

2.1 Definition of Reading

Reading is one of the most effective ways of foreign language learning. Reading simply is the interpretation of a written message. Walter R. Hill (1979, 4) briefly defines reading as what the reader does to get the meaning he needs from contextual resources. Reading is a fluent process of readers combining information from a text and their own background knowledge to build meaning and the goal of reading is comprehension (Nunan, 2003, 68). The ability to read requires that the reader draw information from a text and combine it with information and expectations that the reader already has (Grabe, Stoller, 2001, 187). Alderson. (2000) states that reading is compromises two components: word recognition and comprehension. Krashen and Terrell (1989, 131) pointed out that reading enables learners to comprehend better which is an important factor for developing language competence.

Hedge (2003) writes the goals of learners“ in a reading process as:

- The ability to read a wide range of texts in English.
- Building knowledge of language which will facilitate reading ability.
- Building schematic knowledge.
- The ability to adapt the reading style according to reading purpose (skimming and scanning).
- Developing an awareness of the structure of written texts in English.
- Taking a critical stance to the contexts of the texts.

Similarly, Williams (1984, 13) suggests some reasons for reading in a foreign language:

- Learners can have further practice in the language that they have learnt,
- Learners can practice language in order to reuse it in other skills such as speaking and writing,

- Learners can learn how to get benefit from the texts to extract the information they need,
- Learners can find enjoyment or interest through reading.

Sanacore (1994, 604), is of the opinion that encouraging learners to read will lead them guessing the meanings of words, phrases from the context, and the more they read the more they will understand the meanings of sentences and concepts. And an ongoing reading habit will enable learners understand a text easily; even they do not know meanings of some words in the text. Reading extensively will enhance their comprehension. Learners will easily comprehend in the foreign language if they advance their ability of guessing the meanings of words from context which will promote their speaking performance.

2.2 Reading Difficulty and Disability

Researchers learned that recognizing individual phonemes is an important step toward learning to read. In fact, tests of children's ability to manipulate phoneme, predicted later reading aptitude.

Fry (1991:35) asserted that students should not start any kind of reading before they are familiar with the material they are about to read.

Development of reading ability is influenced by many genes. Researchers continue to look for genetic clues into the basis of reading development. An understanding of how genes interact with other genes and with environment to influence reading ability may contribute to more effectively identifying individuals at risk and developing the means to improve their reading ability or prevent reading problems. Attempting to address the difficulty, which children encounter in reading Alafraj (1996) indicates that little research has been done to investigate the factors in student's life that significantly affect his attitude toward reading or his ability to read. Nuttall famously said, "Reading is caught, not taught" (1996: 229). Maley explains the implications of this for teachers when he says, "We need to realize how much influence we have on our students. Students do not just (or even) learn the subject matter we teach them; they learn their teachers. Teacher attitude, more than technical expertise, is what they will recall when they leave us" (1999:7).

2. Methodology

This study adopted descriptive survey research design. The researcher studied individuals and phenomena in their natural setting hence quantitative approach (Creswell, 2005). Comparison and figures are used for data presentation.

2.1 Population

The study targeted population involved all students from nine public schools as well as some English Language teachers within the border of Nertiti Locality in Central Darfur State, the region which is located in western Sudan. The sample of the study was drawn from this population was purposive sampling. This technique was used to sample the students of nine public secondary schools in the locality and the sample comprised of forty students twenty girls and twenty boys and ten teachers were selected from five schools; two English language teachers were purposively selected from each school. The students were selected on the basis of performance and the teachers on the basis of specialization. The researcher involved 3rd class students and they were categorized into science and art streams.

2.2 Instruments

The researcher used two instruments for data collection; the first one is a semi structured questionnaire for the teachers which are semi-structured; consisting of both open and close-ended questions. Teachers' questionnaire had two sections: the first part required from the teachers to give

information about themselves and the second one Dealt with information on reading difficulties where they were assessed on the ability to handle learners with reading difficulties and the strategies they put in place to enhance reading comprehension. And the second instrument is a test was used in which one is asked to supply words that have been removed from a passage in order to measure students' ability to comprehend text.

2.3 Data Collection and Analysis

This part is concerned with presentation of participants' responses and the analysis of teachers' questionnaire.

2.3.1 The Analysis of Teachers' Questionnaire

No	Statement	Strongly Agree	Agree	Undecided	Strongly Disagree	Disagree
1	Students of secondary schools in Nertiti locality find some difficulties in reading comprehension	3	7	Non	Non	Non
2	Reading texts in school English syllabus is not compatible with students' linguistic levels.	1	5	1	Non	3
3	There are some differences between males and females in reading comprehension	Non	8	1	Non	1
4	Many English language teachers in the locality do not apply whole reading strategies in classrooms	Non	8	1	Non	1
5	Students vary in their reading comprehension because of their academic streams	Non	6	2	Non	2
6	Students' cultural environment (poor, rich) can affect on their reading comprehension	Non	5	1	2	2
7	There are slight differences in reading difficulty components	1	6	2	Non	1
8	lack of vocabulary recognition present the highest reading difficulties for students	2	6	2	Non	Non

The figures in column (1) shows that 30% of the respondents strongly agree with the assumption "Students of secondary schools in Nertiti locality encounter with difficulties in reading comprehension." while 70% of the concerned teachers comply with the idea. So we can say that almost 100% of the respondents support the notion.

The result analysis of column (2) illustrates that 10% of the teachers strongly agree with the notion that "Reading texts in secondary schools are not suitable with students' linguistic levels." And 50% support this idea. Nevertheless, 30% of respondents disagree with the idea and 10% undecided. The numbers in column (3) displays that 70% of the respondents advocate the idea that "There are some differences between girls and boys in reading comprehension." Whereas, 10% undecided and 20% do not support the idea.

The statistical analysis of column (4) unveils that 80% of the respondents advocate the idea that "Many English teachers in the locality do not apply the whole reading strategies in classrooms." Only 10% undecided and 10% do not support the assumption.

The figure in column (5) shows that 60% of the instructors support the statement of "Students vary in

their reading comprehension because of their academic streams." Whereas, 20% of the respondents undecided and 20% of them do not agree with the statement.

The statistical analysis of column (6) discovers that only 50% of the respondents advocate the idea that "Students social environment can affect their reading comprehension." Nevertheless, 20% of the respondents strongly disagree with the idea and 20% of them do not support it.

The figure in column (7) discloses that 10% of the respondents strongly agree with the assumption that "There are slight differences in the six reading difficulties components." And 60% of the informants advocate the assumption. And 20% undecided while only 10% disagree with it.

The result analysis of column (8) shows that 20% of the respondents strongly agree with the idea that "Lack of background knowledge and lack of vocabulary recognition represent the highest reading difficulties encounter students." Moreover, 60% of the informants advocate the statement, whereas 20% undecided.

3.3.2 Analysis of Students' Test

Table (1) Art Stream Students (20 Respondents)

Questions	Gender	Number of respondents	Success	Failure
Part (1) Give short answers. " whole comprehension of the text"	Female	10	30%	70%
	Male	10	40%	60%
Part (2) True/False statements.	Female	10	50%	50%
	Male	10	60%	40%
Part (3) Vocabulary recognition	Female	10	30%	70%
	Male	10	20%	80%

The figures in table (1) show that 70% of girls' and 60% of boys' respondents of Art Stream students failed to answer the questions of part (1) that is only three girls and four boys from art stream managed to pass it, this represents only 35% of the students passed this part. 55% of art students managed to pass part (2) True/False statements that are five girls and four boys. For vocabulary recognition part only 25% of students managed to pass it that is three girls and two boys.

Table (2) Science Stream Students (20 Respondents)

Questions	Gender	Respondents	success	Failure
Part(1) Give short answer General comprehension	Female	10	40%	60%
	Male	10	40%	60%
Part(2) True/False statements	Female	10	60%	40%
	Male	10	50%	50%
Part (3) Vocabulary recognition	Female	10	40%	60%
	Male	10	50%	70%

The statistical analysis of table (2) for students of science stream shows that four boys and four girls of the students managed to pass part (1) the general comprehension of the text. 55% of art students managed to pass part (2) True/False statements that are five boys and four girls. Whereas only four girls and four boys managed to pass part (3) of vocabulary recognition.

4. The Findings

Sudanese secondary school students (males & females) have reading difficulties and particularly, students of secondary schools in Nertiti locality. However, there are slight differences in the six reading difficulties components used in this research. The difficulties of those components range from the highest to the lowest. Therefore, Sudanese secondary school students' highest reading difficulty component is background knowledge of the text followed by vocabulary and structural knowledge, automatic recognition skills, syntheses and evaluation skills, and meta cognitive.

The impact of gender on reading difficulty components indicate that no significant differences are found between the two groups of male and female students in the reading difficulties components, which suggest that both male and female secondary school students have similar reading difficulties in general. However, when the English test was conducted for each item, it was discovered that a significant difference between male and female students were found in some items. For example, males had more difficulty in locating important words in the text than the females had. However, females had more difficulty in relating cause and effect information than males.

Regarding academic stream on reading difficulties no significant differences are found between arts and science students in the reading difficulties components, which suggest that students, in both streams, have these reading difficulties components except that art students have more reading difficulty in word background knowledge component than science students do. However, the English test for students shows that there is slight difference between the two groups in some items. For example, when compared to science students, art students had more difficulties in the following areas: gap filling with appropriate vocabularies, understanding sentences from their grammatical structure, distinguishing between phrase and a sentence, and confusing some letters.

Whereas, in the impact of linguistic level on reading difficulties; all three achievement groups (the low, the middle and high achievement groups) have reading difficulties in all items included in the questionnaire in general. The three achievement groups also differ on all the reading difficulties components. However, the low and the middle achievement groups have more reading difficulties than the high achievement group in those reading components.

5. Recommendations

According to the findings of the study, the researcher recommends that EFL teachers must expose the variety of reading texts and materials in English language to their students i.e. they may be given more practice in reading skills and strategies so as to develop students' ability in reading. In addition to that students should be encouraged to read different materials for fun and entertainment to get the habit of reading so as to develop the automatic recognition skills and strategies and build their word power.

Moreover, students should be provided with some reading remedial techniques to overcome their reading difficulties by using short stories, magazines, newspapers and simplified literary texts and the English Language teachers should help EFL students overcome their reading difficulties by adopting suitable methods of teaching, giving them more practice and training in reading skills and strategies.

6. Conclusion

It is time to recapitulate the main points that emerge from the analysis and discussion in the preceding sections. The findings and the recommendations of this study may be useful for EFL teachers and students on one hand and EFL designers on the other hand. The same may be useful for the further researchers in the area of ELT in general and boosting reading skill in particular.

References

- (1) Alkhwaldah, A. (2012) High School Challenges in English Reading Comprehension in Amman. *Journal of international Psychology*, 139 (3/4).
- Alderson, J. C. (2000). *Assessing Reading*. Cambridge: Cambridge University.
 - Dornyei, F. (1990). Conceptualizing Motivation in foreign Language Learning. Oxford, London.40(1), pp. 45-78.
 - Fry, E. (1991). Ten best ideas for reading teachers. In E. Fry (Ed.), *Ten best ideas for reading teachers* (pp. 6-16). Menlo Park, Calif.: Addison-Wesley.
 - Grabe, W., & Fredricka S. (2001). Reading for Academic Purposes Guidelines for the ESL/EFL Teacher. In M.
 - Hill, W. R. (1979). *Secondary School Reading: Process, Program, Procedure*. Boston: Allyn and Bacon.
 - Hedge, T. (2003). *Teaching & learning in the language Classroom*. UK: OUP.
 - Krashen, S. D., & Terrell, T. D. (1989). *The Natural Approach: Language Acquisition in the Classroom*. Pergamon: Prentice Hall.
 - Maley, A. (1999). Surviving the 20th century. *English Teaching Professional*, 10, 3-7.
 - Nunan, D. (2003). *Practical English Language Teaching*. Boston: McGraw Hill.
 - Nuttall, C. (1996). *Teaching reading skills in a foreign language* (2nd Ed.). Oxford: Heinemann.
 - Sanacore, J. (1994). Lifetime Literacy through Independent Reading: The Principal is a Key Player. International Reading Association. *Journal of Reading*, 37(7), 602-606.
 - Togesen, J. K (1985). Memory Processes in Reading Disabled Children “a journal of learning disabilities”, 18(6), pp.350-357.
 - Williams, E. (1984). *Reading in the Language Classroom*. London: Macmillan Publishers Ltd.

RESEARCH ARTICLE

**THE USE OF LANDSAT ETM+ IN HYDROGEOLOGICAL INVESTIGATION IN
BASEMENT TERRAIN, HAMISSANA AREA, N-E SUDAN**

Mussab Adam Abbakar¹

¹ College of Petroleum Geology & Minerals, University of Bahri. E-mail: musaab20501@gmail.com

Accepted at 29/11/2020

Published at 01/12/2020

Abstract

The objective of this study is to perform a hydrogeological survey using remote sensing techniques in order to delineate target zones for groundwater exploration within terrains underlain by crystalline rocks. The study area is situated in north western flanks of the Red Sea hills in the Hamissana area, Red Sea State within the Arabian Nubian shield (ANS) which belongs to the Pan-African Era. The region is characterized by desert climate, where acute shortages of water is experienced. The study area is covered by the basement complex rocks (Precambrian age) which is overlain by alluvial deposits. The remotely sensing data of Enhanced Thematic Mapper (ETM+) were used in this study in addition to Geographic Information System (GIS) to illustrate the geological features in the study area, mainly the Lineaments. The structural analysis had been applied to classify the open potential fractures that commonly found in NW-SE and in NE-SW directions, while the closed shear fractures are oriented in N-S direction. Based on the study of lineaments, target zones of ground water were indicated by the overlap of high-intensity opened lineaments and the low-drainage intensity.

Key Words: Remote sensing, Groundwater, Red Sea hill, Hamissana, GIS, Structural analysis, Lineament.

1. Introduction

The main objective of this study is to use the remote sensing techniques in hydrogeological investigations in basement terrain. Remote sensing data acts as a very useful guide and efficient tool for regional and local groundwater exploration particularly as a fore- runner in a cost- effective manner (Singh al and Gupta 1999). The mapping of linear features on various types of maps or remotely sensed data is one of the keys to understand groundwater occurrence, especially in hard rock terrain. Lineaments mapped with remote sensing data have therefore been the focus for targeting well sites (Sander 2007).

The study area lies in the north-western flanks of the Red Sea hills in the Hamissana area, Red Sea State, (Fig.1). The area is bounded by latitudes ($20.^\circ 00624\text{-}21^\circ.0024^\circ$) N and longitudes ($34.^\circ 4969^\circ\text{-}35^\circ.31254^\circ$) E, and it is characterized by the desert climate and undulating topographic surface with average annual rainfall range from 25 to 25 mm/year. The drainage pattern of the Red Sea Hills is structurally controlled by faults and folds that produce rectangular drainage patterns. In the study area, the general geology and surface topography brought about the observed water shortage that characterize that part of Sudan.

The Hamissana Shear Zone (HSZ) is a broad N – S deformational zone, making it one of the largest basement structures in NE Africa (Stern et al., 1989). The study area is dominated by meta-sedimentary, meta-volcanic and ophiolitic rocks marking an old suture between Gabeit and Gabgaba terrains (Almond et al., 1984) These sequences are intruded by the syn to late- orogenic and post-organic igneous intrusions.

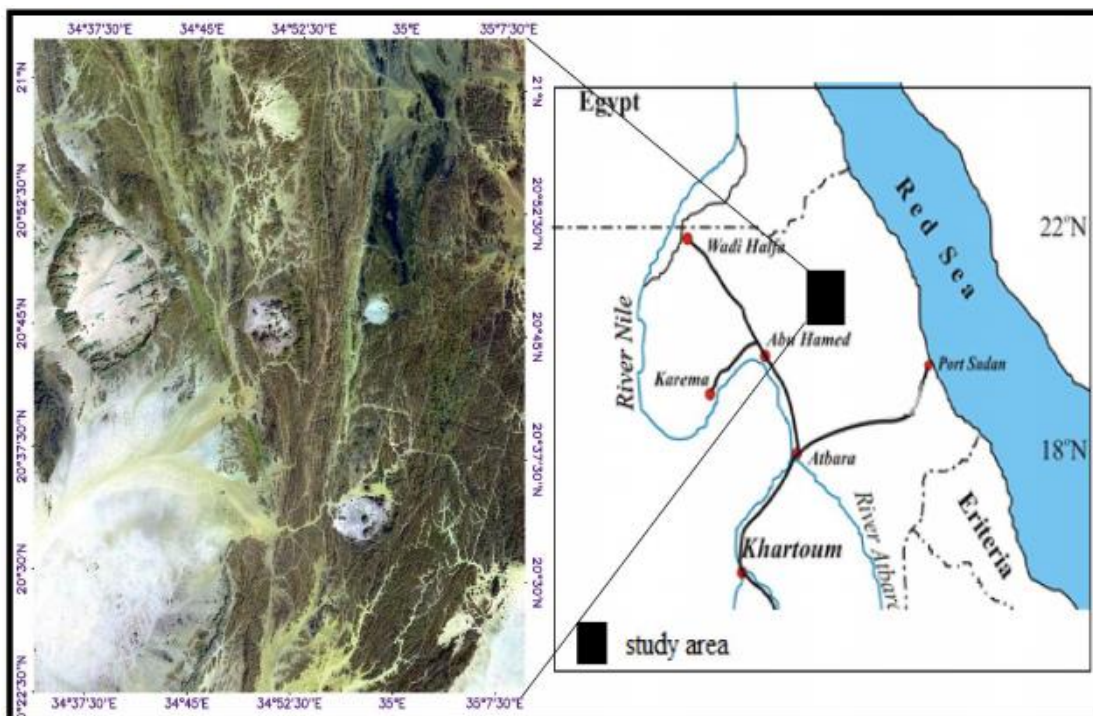


Fig. 1: Location map of the study area

2. Methodology

2.1 Remote sensing

Remote Sensing is defined as science or art, used to get information about an object, area, or phenomenon without direct contact, using sun light energy (passive sensors) as in the Landsat image and air-photo, or by omitting of energy such as in radar (active sensors) (Sabins,1996). The basic principle involved in remote sensing is that each object, depending upon its physical characteristics, reflects, emits and absorbs varying intensities of radiation at different wavelength range (Lillesand&Kierfer, 2000).

Enhanced Thematic Mapper ETM+ Land Sat satellite data of p172 r45, p172 r46, p173r45, p173 r45 imagery were used in this study. The handling of the satellite data include the pre-processing of satellite images and enhancement of satellite data using different processing manipulations. Digital image processing techniques were applied to satellite images, which facilitated the delineation of the lineaments manifestation in the study area. The processing phase of the Image enhancement includes colour composite and image filtering. The rule of color composites is to set the most informative band for a particular purpose in the red, the next in green and the least informative band in blue filters (Drury, 1993). Digital filter technique (directional filter) is applied in this study for edges and lineaments enhancement where a new structural lineament map was prepared.

2.2 Structural Analysis

The structural analysis is done based on the tectonic and geological history of the area in addition to the interpretation of the remotely sensed data. The structural analysis used in this study is mainly directed to the fractures analysis by using the Stress And Strain Ellipsoids to classify the main fracture types (Fig.5), which are reflected in the form of faults and tectonic fractures. These fractures could be favorable zones for groundwater occurrence and movement. The Hamissana shear zone is extending in N- S trend. Accordingly, the Stress- Strain analysis was applied to differentiate the potential open fractures (Extensional, Tensional & Release fractures) from the closed shear fractures in the study area.

3. Results and Discussions

The occurrence of groundwater is controlled by the surface features (indicators) which are grouped in two categories, direct indicators and indirect indicators. The first indicators are directly related to the groundwater regime such as recharge and discharge zones, soil moisture and vegetation. The second indicators are this geological and morphological feature that controls the occurrence and distribution of groundwater, such as the rock types, geological structures and landforms. (Singhal and Gupta, 1999). The enhanced image was used mainly to determine the indirect indicators. These indicators include rock types and geological structures.

Different (RGB) combinations were used in this study to discriminate the rock types in the study area. It was found that the false color composite Landsat ETM images (e.g. bands 7; 4; 2 and 7; 5; 4) (Fig.2) are most-suitable for identifying major geological units. Directional filters are proved to be useful in the illustrating lineaments that trend in a specific direction, such as northeast, northwest and north (Fig.3).

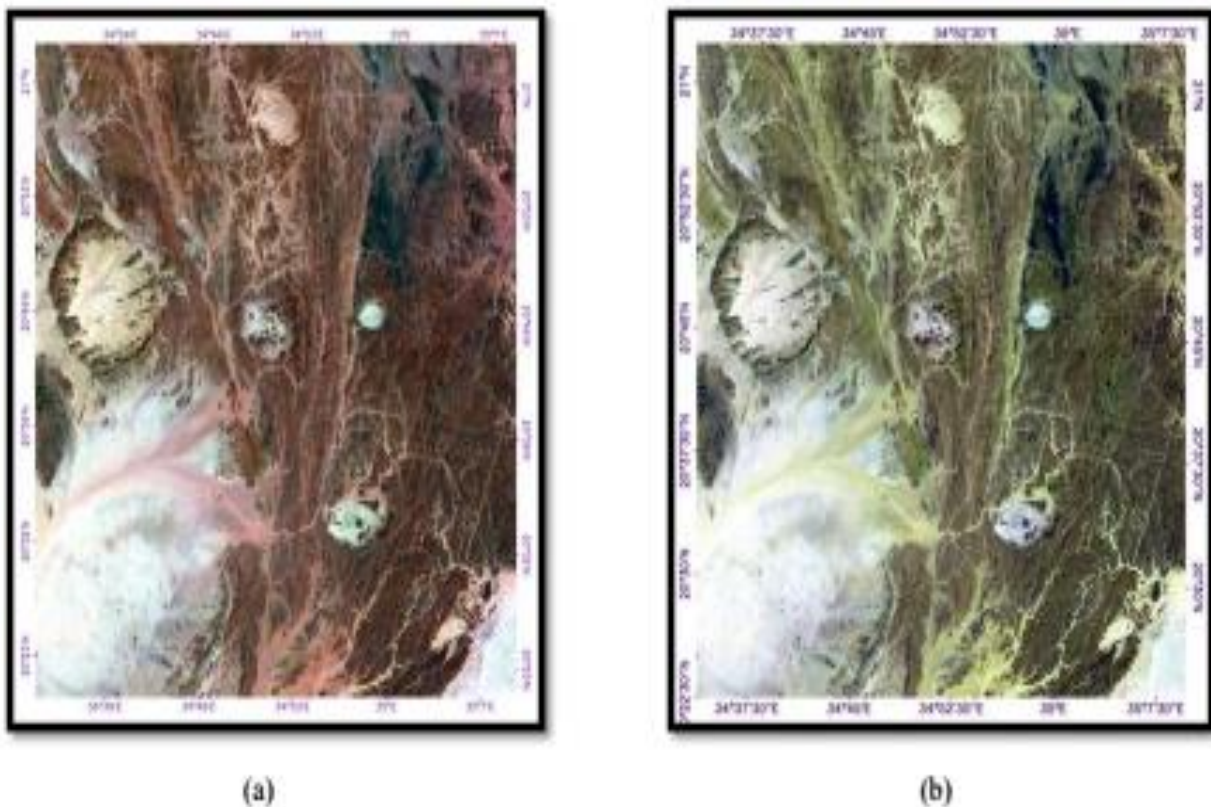


Fig. 2: Color composite of bands: (a) 7, 4, and 2 in RGB, respectively and (b) 7, 5, and 4 in RGB, respectively.

Lineament map displayed in Figure (4,a) were produced through the visual interpretation of spatially enhanced TM image of the area under consideration. The lineament map shows that the area under consideration is highly fractured with lineament concentration in the northern and southeastern parts whereas the southwestern parts of the area shows poor or no lineaments. For clear understanding of the lineament distribution in the area, lineament density contour maps was produced (Fig. 4,b) as suggested by Sree Devi et al., (2001). The lineament map was superimposed on a grid map of 1cm² and the total length of lineaments passing in each grid was measured and plotted in the respective grid centers. Then the values were interconnected by iso-lines as a result the lineament density map was produced.

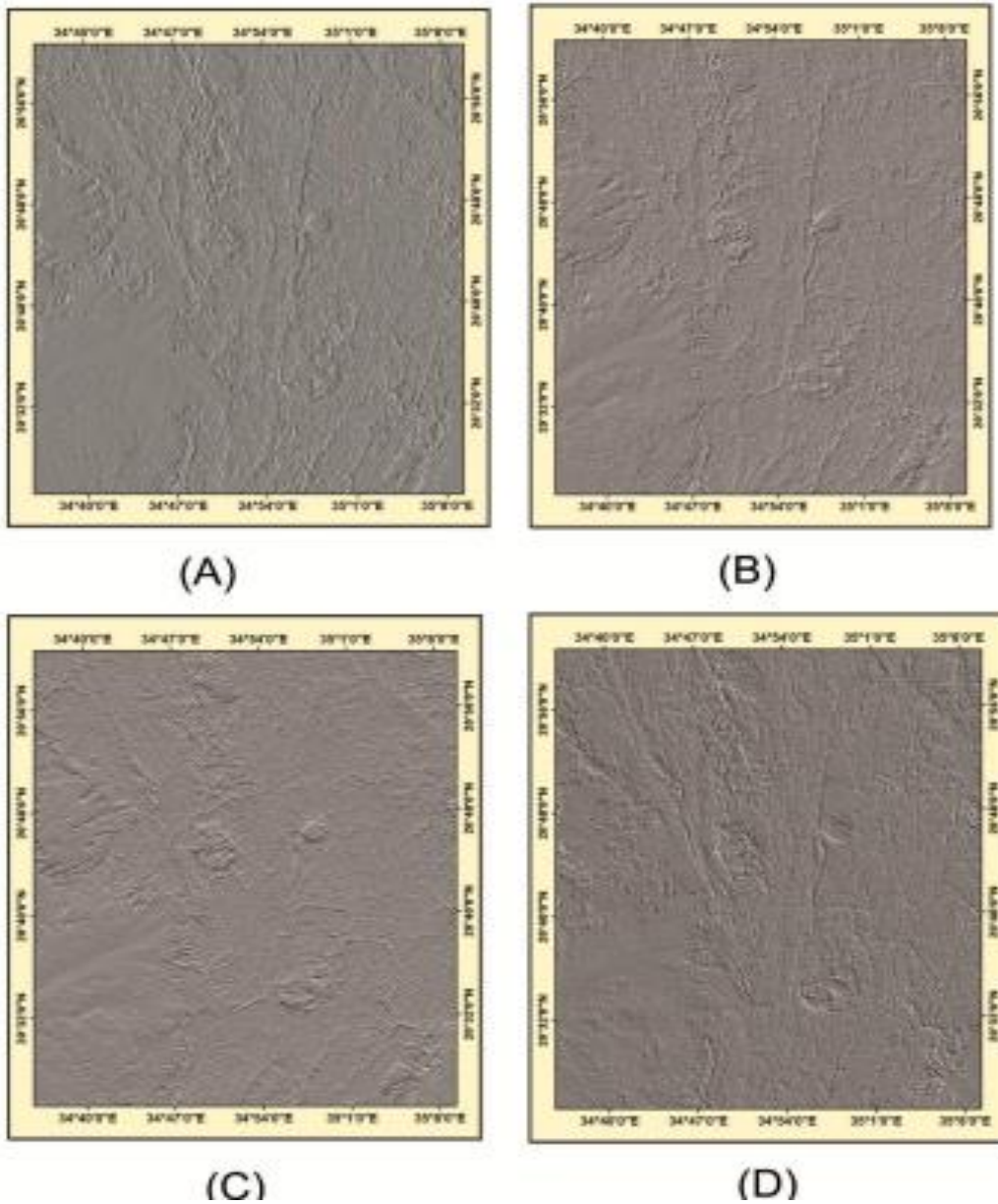


Fig. 3: Image filtering (A) 0 directions (B) 45 directions (C) 90 directions (D) 315.

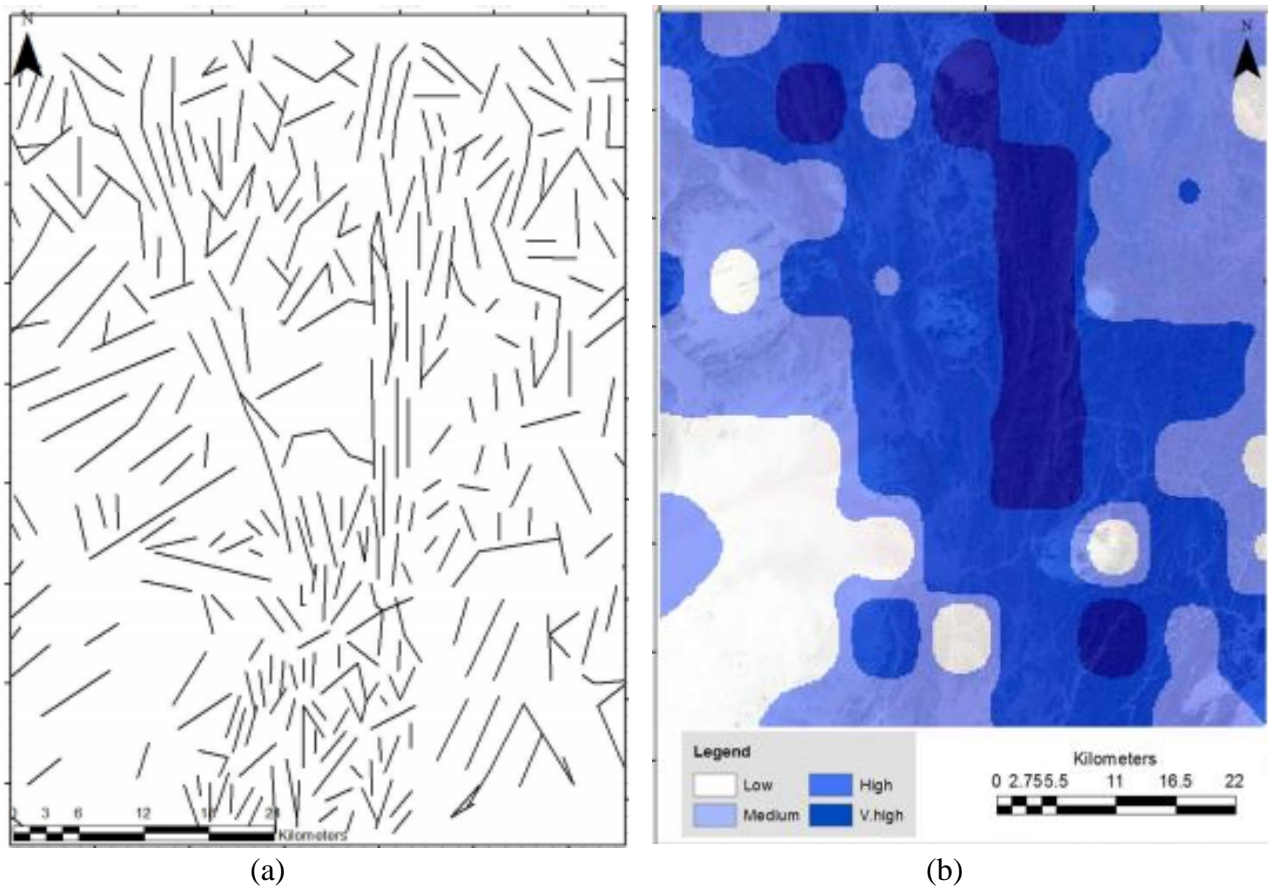


Fig. 4: (a) Lineament map of the study area. (b) Lineament density maps of the study area calculated directly from lineaments map superimposed on the Landsat image of 7, 4 and 2 in RGB respectively.

Unfortunately, the maps are constructed based on lineaments map without any classification or structural considerations. So, high number of lineaments in an area does not always ensure the existence of fractured rock aquifers. This may give unreliable results, since some of the fractures do not contain water i.e. shear fractures. Therefore, the lineaments analysis is much needed.

The structural analysis is done based on the tectonic and geological history of the area in addition to the interpretation of the remotely sensed data and the field confirmation. The Hamissana shear zones is extending in N- S trend. Accordingly, the Stress- Strain analysis was applied to differentiate the potential open fractures (Extensional, Tensional & Release fractures) from the closed shear fractures in the study area. The results shows that the extensional fractures trending NW-SE, while the trend of the release fractures is in the NE- SW direction, (Fig. 6, a).

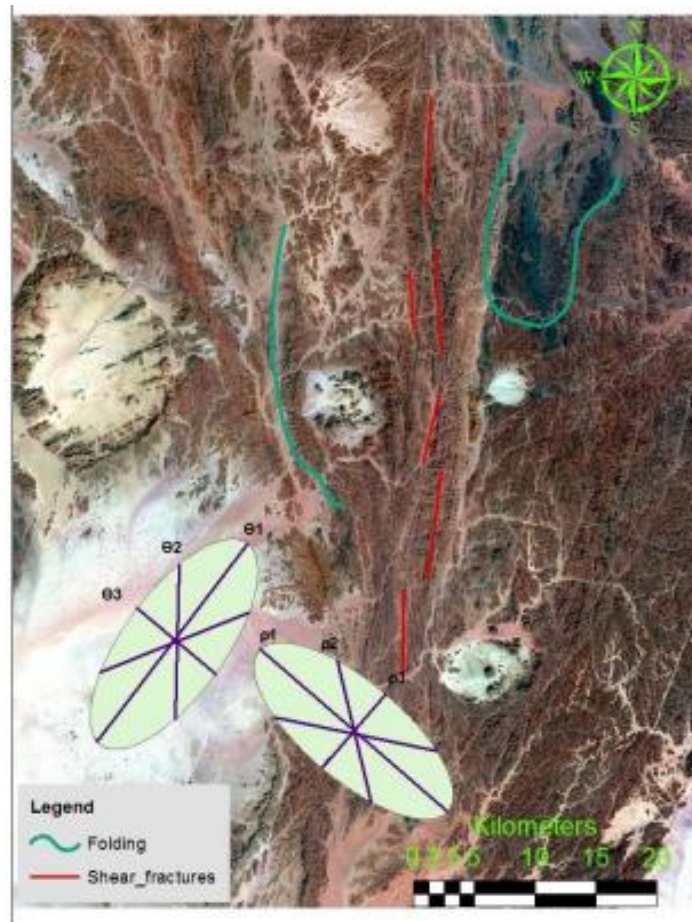


Fig. 5: Stress-strain ellipsoid of the study area.

($\rho1$ = Greatest stress axis - $\rho2$ = Medium stress axis - $\rho3$ = smallest stress axis)

($\theta1$ = Greatest strain axis & $\theta2$ = Medium strain axis & $\theta3$ = smallest strain axis)

Putting the structural considerations in mind, the $180^{\circ} \pm 10^{\circ}$ trend was calculated to constitute the shear trends in the study area. Therefore, all the fractures that have either of these trends were filtered out from the lineament map, thereby a filtered version of the lineament density map was produced, Fig. (6, b).

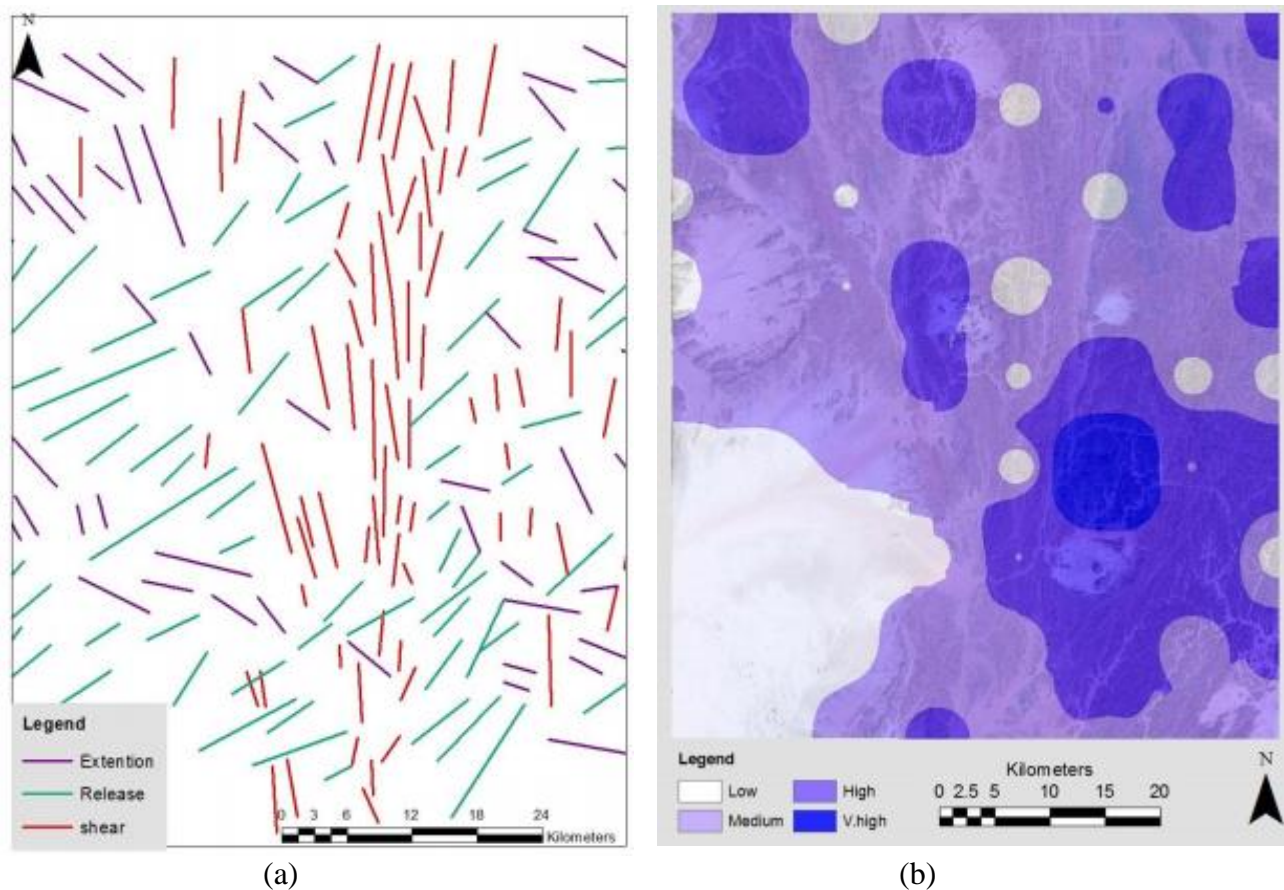


Fig. 6: (a) Classified lineaments map of the study area. (b) Lineament density maps of the study area calculated after filtering the lineament map from shear fractures superimposed on the Landsat image of 7, 4 and 2 in RGB respectively.

From the two lineaments, density maps (the unfiltered and filtered versions of lineament maps), many differences in shape and spatial distribution of the lineament density contours was observed. The high density area in the middle region had been changed in shape and decreased in spatial distribution after the filtering process took place and this is an indicator to that the lineaments of the center and several separated area are almost shear fractures. So, filtering out shear fractures produces more accurate lineament maps for groundwater accumulation, since closed fractures do not contain water. By this stage, all the determined areas are the target zones with high probability of groundwater occurrence and can be used as a guide for groundwater investigation in the study area. From the above results and discussions in this paper, it reveal that the southeast part study area represents the highest target zone and the most favorable for groundwater accumulation.

4. Conclusions

- The remote sensing and GIS techniques were applied to enhance the geological, geomorphological and hydrogeological features controlling the groundwater occurrence.
- The structural analysis proved to be an effective tool to classify the fractures in study area as to recognize the potential fractures (open fractures).
- Groundwater exploration in the area studied is recommended in the favorable sites suggested by the filtered density map.

References

1. **Almond, D. C., Kheir, O. M., and Poole S. (1984).** Alkaline basalt volcanic in northern Sudan: a composition of the Bayuda and Gadaref areas. *Jour. Afr. Earth Sci.*
2. **Drury, S. (2001).** *Image Interpretation in Geology*, 3rd edition, Blackwell science, UK
3. **Lillesand, T. M., and Kiefer, R. W. (2000).** *Remote sensing and image interpretation*. 4th Edition. JhonWitey& Sons Inc.
4. **Sabins, F. F. (1996).** *Remote sensing: Principles and interpretation*. 3rd edition.
5. **Sander, P. (2007).** Lineaments in groundwater exploration: a review of applications and limitations. *Hydrogeology Journal* 15:71–74.
6. **Singhal, B. B. S., and Gupta, R.P. (1999).** *Applied hydrogeology of fractured rocks*. Kluwer Academic Publishers. pp. 400.
7. **Sree Devi, P. D., Srinivasulu, S. and Ragu, K. K. (2001).** Hydrogeomorphological and groundwater prospects of the Pageru river basin by using remote sensing data. –*Environmental Geology*, **40**, pp. 1088-1094.
8. **Stern, R. J., Kroner, A., Manton, W. I. Reischmann, T., Mansour, M. and Hussein, I. M. (1989).** Geochronology of the late Precambrian Hamisana shear zone, Red Sea Hills, Sudan and Egypt. *Journal of the Geological Society, London*, Vol. 146, pp. 1017-1029.

المحددات الخارجية للانقسام الداخلي الفلسطيني

حازم محمد زعرب¹

¹ باحث في العلوم السياسية، فلسطين

تاريخ النشر: 2020/12/01م

تاريخ القبول: 2020/11/29م

المستخلص

تهدف الدراسة الى اظهار مواقف بعض الدول الاقليمية والدولية من أزمة الانقسام الفلسطيني ودورها في تكريس هذا الواقع ، كما تبحث في كشف أبعاد الدور الاسرائيلي الذي بدأ منذ اللحظة الاولى للانقسام يعزز الفرقة بين الفلسطينيين، من خلال تحكم اسرائيل في المعابر الفلسطينية، وفرض حصارا شاملا على قطاع غزة، وفصله عن الضفة الغربية، إضافة الى حجز أموال المقاصة ومنعها من الوصول الى خزينة السلطة الفلسطينية لدفع رواتب موظفيها.

وقد استخدمت الدراسة منهج المصلحة الوطنية كمحرك رئيس لسياسات الدول الخارجية، والمنهج التاريخي الذي يبحث في تاريخ العلاقات بين الدول لمعرفة سياساتها القائمة تجاه بعضها البعض، والمنهج التحليلي لتحليل وتفسير تلك العلاقات.

وتوصلت الدراسة الى أن التراخي الفلسطيني في انهاء الانقسام، وتحقيق المصالحة، واعادة اللحمة الفلسطينية، وإطالة امد الانقسام الى الحد الذي افسح المجال أمام الطامعين في تحقيق مطامعهم، وأعطى الفرصة للاحتلال الاسرائيلي بأن يُنفذ أهدافه الاستيطانية في أراضي الضفة الغربية دون رقيب، وفي غياب منظومة دولية عاجزة، وأطراف إقليمية مُستقطبة.

RESEARCH ARTICLE

EXTERNAL DETERMINANTS OF THE INTERNAL PALESTINIAN SPLITHazem Mohammed Zourob¹¹ Researcher in political science, Palastine

Accepted at 29/11/2020

Published at 01/12/2020

Abstract

The study aims to show the attitudes of some regional and international countries towards the crisis of the Palestinian split and its role in consecrating this reality, as well as exploring the dimensions of the Israeli role that began from the first moment of the split and strengthens the split among the Palestinians, through Israel's control of the Palestinian crossings and imposed a total siege on Gaza Strip, separating it from the West Bank, in addition to withholding clearance funds and preventing them from reaching the Palestinian Authority's treasury to pay the salaries of its employees. The study concluded that the Palestinian laxity in ending the split, and achieving reconciliation, restoring Palestinian cohesion, and prolonging the split to the point that it allowed the greedy to achieve their ambitions, and gave the opportunity for the Israeli occupation to implement its settlement goals in the West Bank lands without supervision, and in the absence of an international system. Impotent, and polarized regional parties.

The study used the national interest approach as a main driver for states' foreign policies, and the historical approach that look for the history of relations between states to find out their existing policies towards each other, and the analytical method for analyzing and interpreting those relations.

مقدمة

يوجد حالة استقطاب إقليمية ودولية، ولا يمكن للكيانات الصغيرة النأي عن تلك التجاذبات. ففي ظل نسق دولي قائم على تكتلات ومحاور سياسية وعسكرية؛ لا يمكن لأية دولة أن تبني لنفسها سياسة عزلة تتأى بها عن تلك المحاور، وبالتالي فإن صانعي السياسة في الكيانات السياسية الصغرى، قد يسعون الى الدخول في بعض التحالفات هنا وهناك لحماية أنفسهم، وكياناتهم من بطش القوى الكبرى.

مشكلة البحث:

ما إن عقدت الانتخابات التشريعية الفلسطينية عام 2006م، وبدا الفلسطينيون يُسَـطِّرون تجربة ديمقراطية واعدة، إلا وبدت التدخلات الخارجية سواء على المستوى الاقليمي أو الدولي تتجلى في تفاصيل تلك التجربة الديمقراطية الفلسطينية، حتى بدت هذه التجربة تنتكس، وسرعان ما حدث الاقتتال بين الاخوة والتي أدى إلى سيطرة حركة حماس بالقوة العسكرية على قطاع غزة، وتوقع حركة فتح في الضفة الغربية، واستمرت هذه الحالة إلى يومنا هذا بفعل المؤثرات الخارجية التي تمنع الفلسطينيين من أية تقارب حقيقي لإنهاء الانقسام وعودة السلطة الفلسطينية لممارسة مهامها بشكل طبيعي في قطاع غزة.

وبالتالي فإن مشكلة البحث تبدو جلية في التساؤل الرئيس التالي:

ما أثر المحددات الخارجية على الانقسام الفلسطيني ؟

ويتفرع من تلك التساؤل عدة أسئلة فرعية وهي كالتالي:

- ما مدى تأثير المواقف العربية المتناقضة على طرفي الانقسام ؟
- ما الدور الاسرائيلي في تكريس حالة الانقسام الفلسطيني ؟
- ما موقف القوى الكبرى من الانقسام الفلسطيني ؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في تحديد العلاقة بين الفواعل الخارجية وبين استمرار أزمة الانقسام الفلسطيني، خصوصا في ظل الاحداث المتسارعة على المستويين الدولي والاقليمي، ومدى ارتباط السياسة الداخلية الفلسطينية بالتوجهات الخارجية.

منهج البحث:

يستخدم مفهوم المصلحة الوطنية كركيزة في تحليل العلاقات الدولية، حيث يقوم على أن المصلحة الوطنية هي الهدف الأساسي للسياسة الخارجية لدولة ما، والقوة المحركة لسياساتها الخارجية⁽¹⁾، ويتميز منهج المصلحة الوطنية بأنه يجرّد سلوك الدول من التبريرات المثالية التي تحاول تلك الدول أن تضيفها على تصرفاتها واتجاهاتها محاولة بذلك التموه على الرأي العام سواء الداخلي أم الدولي، ويوضح أن السياسة الخارجية للدول تتم في إطار عامل واحد وهو المصلحة الوطنية لدولة ما، وهي ما يتصوره صانعو القرار في هذه الدولة، وهذا يدخل في التحليل اعتبارات كتنظيم نظام الحكم والأيدولوجية ودور جماعات المصالحة والقيادة.. الخ. مما يفيد في فهم سلوك الدول والتنبؤ به⁽²⁾.

(1) أحمد يوسف أحمد، محمد زيادة: مقدمة في علم العلاقات الدولية، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، ص 42.

(2) المرجع ذاته، ص 42-44.

كما ستستخدم الدراسة المنهج التاريخي الذي ستلقى من خلاله الضوء على تاريخ العلاقات بين الدول، والذي ينعكس في سياساتها الخارجية.

المنهج التحليلي، كما اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي الذي من خلاله سوف تظهر الى أي مدى اثرت المحددات الخارجية في موضوع الانقسام الفلسطيني الداخلي.

الدراسات السابقة:

- دراسة للدكتور إبراهيم أبراش، 2009م، بعنوان "جذور الانقسام ومخاطره على المشروع الوطني" (3)

يعيد الكاتب في دراسته هذه جذور الانقسام الفلسطيني الذي حدث في العام 2007م إلى تاريخ أبعد من ذلك، إذ تعتقد الدراسة أن ما حدث في العام 2007م هو نتويع لسلسلة من الخلافات العميقة التي أدت في النهاية إلى الانقسام، إذ أن هذه الخلافات بدأت حسب هذه الدراسة منذ نشوء حركة حماس في العام 1987م وقد تعمقت الخلافات تدريجياً إلى أن وصلت إلى الانقسام الذي أثر استراتيجياً وسلبيًا حسب الدراسة على ركيزتي المشروع الوطني: المقاومة والتسوية.

وترى هذه الدراسة أن الانقسام الفلسطيني يقف حاجزاً في طريق كلٍ من مشروعَي المقاومة والتسوية، وحتى التواصل الجغرافي بين شطري الوطن الفلسطيني: الضفة الغربية وقطاع غزة، وهذا يمثل خطراً حسب الدراسة على المشروع الوطني الفلسطيني برمته.

دراسة للكاتب وحيد عبد المجيد، بعنوان "التفاعلات العربية-الإقليمية تجاه الحرب على غزة" (4)

يرجع الكاتب في هذه الدراسة إلى أن الانقسام العربي-الإقليمي الكبير خلال وبعد الحرب على غزة يعود إلى موقع قضية فلسطين ومكانتها بالنسبة للنظام العربي وفي التفاعلات الإقليمية، وعلى الرغم من أن الدراسة توضح أن الانقسام الذي أعقب الحرب على غزة هو الأقل عمقاً بين الانقسامات العربية منذ الحرب الباردة العربية في أواخر الخمسينات ومعظم ستينات القرن الماضي وما تلاها من انقسامات على مر السنوات التي اعقبتها، غير أن هناك ثمة عاملين مهمين يجعلان الانقسام العربي الراهن بالغ الخطر أولهما: تضاؤل الثقة المتبادلة بين فريقين يوصف أحدهما بالمعتدل حيناً والمهادن حيناً آخر، بينما يوصف الفريق الآخر بالتطرف والذي يحب اطرافه أن يتم وصفهم بأنهم ممانعون أو مقاومون، أما العامل الثاني: فهو المشروع الإيراني الإقليمي الذي يستغل به أحد الفريقين بينما يرفضه الفريق الآخر ويعتبره مصدر تهديد.

وأشارت الدراسة إلى ضعف التحالف الثلاثي المصري-السعودي-السوري، وذلك منذ أن أخذت سوريا تتباعد تدريجياً مع مطلع العقد الجاري، بعدما كان يُعد هذا التحالف صمام الأمان بالنسبة للنظام العربي الرسمي. وهو ما فسّر الانقسام العربي-الإقليمي خلال الحرب على غزة حسب الدراسة، والذي شكل امتداداً لمرحلة جديدة في النظام العربي الرسمي.

وتوضح الدراسة أن هناك علاقة جدلية ما بين الانقسام العربي-الإقليمي من ناحية والفلسطيني من ناحية أخرى، ولكن كلاً من الجهود المبذولة لإذابة الجليد على المستوى العربي والحوار على الصعيد الفلسطيني، تبعث على الأمل في وضع حلٍ لكليهما، لكن دون أن تُمنع الدراسة في كثير من التناؤل بشأن تحقيق مصالحة كاملة، لكن المهم - كما تعتبره الدراسة - هو وقف التدهور في الخلافات العربية والفلسطينية من خلال فتح الباب أمام تقارب تدريجي عن طريق حوار جاد وحقيقي وهو الشرط الأساسي لتحقيق اية

(3) إبراهيم أبراش: جذور الانقسام الفلسطيني وتأثيره على القضية الفلسطينية، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 20، العدد 78، ربيع 2008، ص 5.

(4) وحيد عبد المجيد، بعنوان "التفاعلات العربية-الإقليمية تجاه الحرب على غزة"، مجلة السياسة الدولية، العدد (176)، السنة الخامسة والأربعون، المجلد 44، أبريل 2009م.

مصالحة حقيقية.

دراسة للباحث غياث محمد سليمان جازي، بعنوان "ماهية الدور المصري ومنطلقاته في الحوار الوطني الفلسطيني 2005-2013"⁽⁵⁾

تهدف هذه الدراسة إلى تحديد وتشخيص الموقف المصري تجاه حوار المصالحة الفلسطيني، وفهم منطلقات هذا الدور من خلال التعرف على المؤثرات التي تعكس طبيعة هذا الدور تجاه القضية الفلسطينية، كما تهدف الدراسة إلى معرفة أهم التحديات والصعوبات التي تواجه طبيعة هذا الدور وآفاق نجاحه في المستقبل.

تحاول الدراسة أيضًا رصد تفاصيل العلاقة التاريخية التي تربط البلدين ثم الوقوف على أهم وأبرز معوقات الوحدة الوطنية وإنهاء الانقسام.

كما توضح الدراسة الدافع الحقيقي وراء الدور المصري في الحوار الوطني الفلسطيني وتبين أن الدافع المرتبط بالأمن القومي المصري، وتأمين البوابة الشرقية التي تربط مصر بغزة، ودور مصر كلاعب إقليمي رئيسي في المنطقة يأتي على رأس هذه المنطلقات. كما أن لرغبة النظام الحاكم في مصر في احتواء ظاهرة تنامي قوة تأثير حركة حماس في المنطقة باعتبارها وليدة الإخوان، ولها دور مهم في دفع مصر نحو الوساطة والرعاية والتأثير في الحوار الوطني الفلسطيني.

التعقيب على الدراسات السابقة:

من خلال استعراض الدراسات السابقة التي لها علاقة بموضوع الدراسة والتي تناولت موضوع الانقسام الفلسطيني، وعلى الرغم من وجود اختلافات في النتائج إلا أنه يوجد في أحيان كثيرة نقاط التقاء بين معظم الدراسات، فقد اتفقت على أن الانقسام أثر على بنية النظام السياسي الفلسطيني وعلى مستقبل القضية الفلسطينية برمتها.

كما أكدت بعض تلك الدراسات على عجز النظام العربي الرسمي عن تحقيق شيء ملموس في قضية الصراع العربي - الإسرائيلي في ضوء المستجدات والتطورات الإقليمية والدولية. تأتي هذه الدراسة في محاولة جادة منها وسعي لتلافي جوانب النقص، والتي لم تتضمنها الدراسات السابقة، حيث تسعى إلى التركيز على تأثير الانقسام المباشر على العلاقات العربية البينية وانعكاس ذلك على توجه السياسة العربية المختلفة وطروحاتها المتباينة لإنهاء أزمة الانقسام، ومستقبل القضية الفلسطينية في ظل المستجدات الإقليمية والدولية، مما أدى إلى إطالة أمد ذلك الانقسام.

تم تقسيم الدراسة على أربعة مباحث جاءت كالتالي:

المبحث الأول: المواقف العربية وعلاقتها بطرفي الانقسام

المبحث الثاني: الموقفين التركي والایراني تجاه الانقسام

المبحث الثالث: الدور الإسرائيلي في أزمة الانقسام

المبحث الرابع: مواقف الدول الكبرى تجاه الانقسام

المبحث الأول - المواقف العربية وعلاقتها بطرفي الانقسام:

(5) غياث محمد سليمان جازي، بعنوان "ماهية الدور المصري ومنطلقاته في الحوار الوطني الفلسطيني 2005-2013"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2013م.

بدأت حالة من الاستقطاب العربي والإقليمي على الساحة الفلسطينية منذ نجاح حركة حماس في الانتخابات التشريعية مطلع العام 2006م، حيث دخلت العديد من الدول على خط السياسة الفلسطينية كل دولة حسب أهدافها ومصالحها. وحين وقع الخلاف الفلسطيني الداخلي بين حركتي فتح وحماس سرعان ما انعكس هذا الخلاف على المواقف العربية والإقليمية الأمر الذي جعلها تتباين فيما بينها في ردود أفعالها تجاه الفلسطينيين، مما عمّق الخلاف والانقسام.

ومنذ تأسيس الكيانات السياسية العربية مطلع القرن العشرين، والانقسامات موجودة في تلك الكيانات. حيث إن النظام العربي ولد في بيئة عالمية وإقليمية شديدة التعقيد، وانعكس ذلك في نمط العلاقات داخله، وخاصة بين الدول العربية الرئيسية، إذ اتسمت هذه العلاقات - أغلب الوقت - بالتوتر والتقلب والصراع المستمر أكثر مما اتسمت بالانسجام والاستقرار⁽⁶⁾، لكن بعد اتفاقية كامب ديفيد بين مصر و"إسرائيل" عام 1979م، بدت تطفو ملامح الانقسام العربي أكثر بعد المقاطعة العربية لمصر ونقل مقر الجامعة العربية إلى تونس، وحدث بعد ذلك نوع من الاستقطاب بين مؤيدين ومعارضين لتلك الاتفاقية.

وعقدت الدول العربية مؤتمر قمة رفضت فيه كل ما صدر عن اتفاقية "كامب ديفيد"، كما اتخذت جامعة الدول العربية قراراً بنقل مقرها من القاهرة إلى تونس احتجاجاً على الخطوة المصرية المنفردة على الصعيد العربي، هذا ويرى البعض أن الاتفاقية أدت إلى نشوء نوازع الزعامة الإقليمية والشخصية في العالم العربي، لسد الفراغ الذي خلفته مصر، وكانت هذه البوادر واضحة لدى القيادات في العراق وسوريا، حيث حاولت الدولتان تشكيل وحدة في عام 1979 ولكنها انهارت بعد عدة أسابيع، وقام العراق على وجه السرعة بعقد قمة لجامعة الدول العربية في بغداد في 2 تشرين الأول/نوفمبر 1978م أعلنت رفضها لاتفاقية كامب ديفيد وقررت نقل مقر الجامعة العربية من مصر، وتعليق عضوية مصر ومقاطعتها وشاركت بهذه القمة (10) دول عربية ومنظمة التحرير الفلسطينية⁽⁷⁾.

وفي عام 2006 وبعد العدوان الإسرائيلي على لبنان ترسخ ذلك المفهوم، وأصبح الصراع محتدماً بين محورين: "محور الممانعة"، وهو المحور الذي ترعاه إيران بالتحالف مع النظام السوري وحزب الله اللبناني بالإضافة إلى حركتي حماس والجهاد الإسلامي الفلسطيني. و"محور الاعتدال" والذي يصف نفسه بالواقعية، ويضم كلا من مصر والأردن ودول الخليج العربي⁽⁸⁾.

ويمكن القول بأن العالم بعد انتهاء الحرب الباردة وانحيار الاتحاد السوفيتي قد سادته حالة من الاستقرار النسبي في العلاقات السياسية بين الدول، حيث تصدرت الولايات المتحدة المشهد، وهيمنت على العلاقات الدولية، وصنفت العالم إلى محورين: "محور خير" و"محور شر"، وادخلت بعض الدول والكيانات التي لم تتساق مع سياساتها ومخططاتها ضمن "محور الشر" كإيران وسوريا وحزب الله اللبناني وحركتي حماس والجهد الإسلامي الفلسطيني.

وكانت المحاور تتبدل من وقت لآخر وذلك حسب مصلحة الدول، إذ أن لكل دولة سياساتها وارتباطاتها الخارجية على المستوى الإقليمي والدولي مما يجعلها تتغير وتتبدل حسب المتغيرات الإقليمية والدولية، وبالتالي انعكس ذلك في ردود الفعل العربية إزاء مواقفها تجاه الحركات الفلسطينية المرتبطة بما يسمى "محور الممانعة" فأصبح عدوّ من الدول التي كانت في محور الاعتدال، تميل إلى تأييد حركات محور الممانعة مثل دولة قطر، حيث كان لذلك انعكاس جلي على القضية الفلسطينية، وجاءت أحداث

(6) محمد السيد سعيد، مستقبل النظام العربي بعد أزمة الخليج، سلسلة عالم المعرفة (158)، مؤسسة السلسلة، الكويت، 1992م، ص31.

(7) شيماء مصطفى، كامب ديفيد.. رفضها العرب وأصر عليها السادات، موقع التحرير الاخباري، بتاريخ 2015/9/17م، <http://cutt.us/kGRQ2>، تمت زيارة الموقع بتاريخ 2017/5/14م.

(8) محمد أبو رمان، نفين بندقي: من الخلافة الإسلامية الى الدولة المدنية: الإسلاميون الشباب في الأردن وتحولات الربيع العربي، مؤسسة فريديش إيرت- مكتب عمان، الأردن، 2018م، ص36.

الانقسام الفلسطيني لتزيد من وضوح تلك السياسة.

فقبل تأسيس السلطة الفلسطينية، كانت العلاقات الفلسطينية مع العالم الخارجي منوطة بمنظمة التحرير الفلسطينية، الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني والمعترف بها دوليًا. وبالرغم من أن السلطة أنشئت بقرار من المنظمة، واستمدت شرعيتها وجودها من المنظمة أيضًا؛ إلا أن السلطة أُريد لها أن تكبر وتتضخم على حساب المنظمة، في حين أضعفت المنظمة وهُمشت مؤسساتها وأفرغت من محتواها، لتُصبح بعد ذلك مجرد صورة يتم استحضارها حين الحاجة لتمرير قرارٍ أو لتوفير غطاء⁽⁹⁾. وأصبحت العلاقات الفلسطينية مع الخارج تتحكم بها السلطة الفلسطينية، وتديرها حسب مصالحها التي تتعارض في كثيرٍ من الأحيان مع قرارات المنظمة وفصائلها.

لكن ونظرًا لأن الخطوط العريضة للسياسة الفلسطينية في غالبها متفق عليها من قبل كل من منظمة التحرير والسلطة الفلسطينية التي هي وليدة المنظمة وامتدادها في النهج الذي تَقَوَّى على منافسيه في الموافقة على الدخول في اتفاقيات سلام مع إسرائيل؛ لم يكن هناك تعارض كبير بين الطرفين حيث كان من يقود السلطة هو نفسه من يقود المنظمة، وكانت الخلافات التي تحدث أحيانًا سطحية لا تتعدى الشكليات. لكن بعد انتخابات عام 2006م وفوز حركة المقاومة الإسلامية حماس وتشكيلها الحكومة لأول مرة في تاريخ السلطة الفلسطينية، والهيمنة عليها، أصبحت العلاقة مع الخارج في مأزق حيث صار النظام الفلسطيني برأسين: أحدهما في قطاع غزة بقيادة حركة حماس. والآخر في رام الله بقيادة الرئيس محمود عباس. وكل واحد منهما له سياسة مغايرة للآخر.

وفي هذا المضمار استغلت بعض الدول العربية الخلاف القائم بين حركتي فتح وحماس، لتقوية نفوذها في الخلافات البينية فيما بينها، حيث ذهبت بعض الدول لدعم الحكومة الجديدة الممثلة بحركة حماس ورئيسها إسماعيل هنية، والبعض الآخر يدعم الرئاسة الفلسطينية بقيادة محمود عباس التي يعتبرها السلطة الشرعية القائمة في الأراضي الفلسطينية.

وانعكس الخلاف الفلسطيني على الخلاف البيني العربي مما عاد أثره بقوة على الأزمة الفلسطينية الداخلية وعمقه وأطال أمده.

وبعد سيطرة حركة حماس على قطاع غزة بالقوة العسكرية في منتصف العام 2007م، انقسم النظام السياسي الفلسطيني إلى قسمين، حيث تمكنت حركة حماس من إدارة قطاع غزة، واستطاعت أن تصمد في حكم القطاع أمنياً واقتصادياً بفضل دعم بعض الدول العربية والإقليمية مثل قطر وسوريا وإيران، في حين شكل الرئيس أبو مازن حكومة طوارئ بقيادة سلام فياض لكن لم يكن لها وجود فعلي في قطاع غزة، وامتد الانقسام بعد ذلك ليطال كافة مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ولو نظرنا على سبيل المثال إلى الموقف المصري من الانقسام في بداية الأمر، وفي عهد الرئيس حسني مبارك، سنجده في بعض الأحيان منحازًا إلى طرفٍ على حساب طرف، لكن بعد عام 2011م تبدلت الأمور وصار الموقف المصري عبارة عن وسيط ما بين الطرفين، باستثناء فترة إزاحة الرئيس محمد مرسي عن الحكم، وتولي الجيش مقاليد السلطة في مصر حتى انتخابات الرئاسة التي فاز بها الرئيس عبد الفتاح السيسي، وهي الفترة التي كانت العلاقة مضطربة بين النظام القائم في مصر، وحركة حماس التي تتبع الفكر الإخواني، وبقي التوتر قائمًا إلى أن أصدرت حركة حماس وثيقتها المشهورة التي أعلنت فيها فك الارتباط بجماعة الإخوان ولو شكليًا، وأقامت عدة تفاهات مع الإدارة المصرية التي حاولت فيما بعد تقريب وجهات النظر بين حركتي فتح وحماس،

⁽⁹⁾ محسن محمد صالح، القضية الفلسطينية: خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، طبعة مزيدة ومنقحة، بيروت- لبنان، 2012م، ص157.

ووضعت بنودًا كحلول وسط بين طرفي الانقسام لإتمام المصالحة.

أما بالنسبة لدولة قطر فكان موقفها واضحًا وثابتًا منذ البداية حيث كانت تدعم حركة حماس، وقد باركت لها نجاحها في الانتخابات التشريعية وتشكيل الحكومة وتعهّدت بتقديم الدعم لها، وقد استغرب كثيرٌ من تعاطف قطر مع حركة حماس ومساعدتها منذ استلامها الحكم في قطاع غزة، واعتبروا أن هذه المساعدات إنما هي جزء من مؤامرة تنفذها قطر من خلال تشجيع حركة حماس للانفصال عن السلطة الفلسطينية التي تقودها حركة فتح، كما اعتبر البعض أن قطر تتحرك في إطار ترويض حركة حماس وإقناعها بالتخلي عن خيار المقاومة⁽¹⁰⁾، بينما يرى آخرون أن علاقة قطر بحركة حماس إنما هي علاقة مبنية على أساس رؤية شاملة تعبر عن المصالح القطرية وليست جزءًا من مؤامرة تتساوق مع الأهداف الأميركية والإسرائيلية⁽¹¹⁾.

وكانت قطر تحاول أن تنازع القوى الإقليمية التاريخية على قيادة المنطقة خاصة في ظل وجود الكثير من الأزمات التي عاشتها تلك الدول والتي أسفرت عن ضعفها وتراجعها، مما حدا بقطر إلى محاولة سد الفراغ، واستخدمت قطر في ذلك أدوات لتنفيذ سياساتها، واستغلت علاقاتها القوية بالولايات المتحدة الأميركية.

ودعمت قطر القوى السياسية الإسلامية بشكل كبير، في مواجهة التيارات السياسية العربية الكبرى في بعض الدول بما أثر سلبيًا في بعض الدول على مسار حركاتها.

وبعد العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة 2008-2009 دعت قطر إلى عقد قمة عربية طارئة، وعرضت استضافة تلك القمة في الدوحة، وبالفعل عقدت القمة بعد مخاض عسير بين الدول المعنية، حيث برزت في تلك القمة العديد من الخلافات العربية من خلال تصريحات بعض قادة الدول العربية، إذ امتنع عددٌ من رؤساء الدول عن حضور القمة، ومنهم الرئيس الفلسطيني محمود عباس، مما دفع قطر إلى دعوة قادة حركتي حماس والجهاد الإسلامي لحضور القمة والتحدث باسم الشعب الفلسطيني، الأمر الذي تسبب بتوتر كبير بين السلطة الفلسطينية ودولة قطر.

المبحث الثاني: الموقفين الإيراني والتركي

أولاً: الموقف الإيراني:

كانت إيران أول دولة تقدم التهنئة لحركة حماس بعد فوزها في انتخابات التشريعي، ودعت على الفور وفداً رفيع المستوى من حماس لزيارة طهران، وقد أعلن وزير الخارجية الإيراني "منوشهر متكي" في فبراير 2006 تبرع إيران بمبلغ 50 مليون دولار، لمساعدة حركة حماس المنتخبة حديثاً⁽¹²⁾.

كما أعلن رئيس المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني "علي لاريجاني" في ختام لقائه مع رئيس المكتب السياسي لحماس "خالد مشعل" في طهران، أن بلاده ملتزمة بتقديم الدعم المالي والمعنوي للحكومة الفلسطينية الجديدة التي ستشكلها حماس حتى تقوى على التصدي للحصار الإسرائيلي والضغط الأميركي⁽¹³⁾.

⁽¹⁰⁾ نهاد الشيخ خليل، قطر وحماس.. لماذا وإلى أين؟، العربي الجديد، 10 يونيو 2017، <http://cutt.us/Zr0rv>، تمت زيارة الموقع بتاريخ 2018/6/4م.

⁽¹¹⁾ المرجع ذاته.

⁽¹²⁾ محمد السعيد عبد المؤمن، إيران وجيرانها والأزمات الإقليمية، سلسلة دراسات ترجمات، العدد 24، 2006م، ص31.

⁽¹³⁾ إيران تعد بتقديم مساعدة مالية لحكومة حماس، جريدة الدستور، الخميس 2006/2/23م، <https://www.addustour.com/>، تمت زيارة الموقع بتاريخ 2018/10/9م.

وبما أن الجمهورية الإيرانية هي الراعي لمحور "الممانعة"، ويبدو أنها تتزعم هذا المحور في وجه الولايات المتحدة الأمريكية، فإن تقديم الدعم لحركة حماس وحكومتها في قطاع غزة يعتبر بمثابة مكيدة للسلطة الفلسطينية المصنفة ضمن محور "الاعتدال"، إذ يبدو أن إيران تقدم الدعم لصالح طرف ضد الطرف الآخر، مما يُعمق الخلاف بين حركتي فتح وحماس.

ثانياً: الموقف التركي:

وبالنسبة لتركيا فإن القضية الفلسطينية تعتبر قضية مهمة على المستويين الرسمي والشعبي. وقد زاد الاهتمام التركي بالقضية الفلسطينية بعد فوز حزب العدالة والتنمية في تركيا ذي الجذور الإسلامية، واعتلائه سدة الحكم هناك، وبعد فوز حركة المقاومة الإسلامية حماس في الانتخابات التشريعية الفلسطينية عام 2006م، أسهمت الخلفية الإسلامية في تعميق العلاقة بين الطرفين⁽¹⁴⁾، ثم بعد ذلك تُرجم الاهتمام التركي واقعا في سياسة تركيا تجاه القضية الفلسطينية، حيث اعترفت تركيا بنتائج الانتخابات التشريعية الفلسطينية التي فازت بها حركة حماس، وقامت باتصالات مبكرة مع الحركة رغم المعارضة الإسرائيلية والغربية، وطالبت العالم باحترام نتائج تلك الانتخابات، وفي آذار/مارس 2006 زار وفد من حركة حماس برئاسة خالد مشعل تركيا، وقد أصدرت الخارجية التركية بياناً في نفس الشهر طالبت فيه منح حكومة حماس فرصة لإثبات نفسها⁽¹⁵⁾. وقد تحدث الرئيس التركي - آنذاك - عبد الله غول بصفته الحزبية لا الرسمية عن استقباله خالد مشعل قائلاً: " إن ذلك الاستقبال من منطلق أن تركيا تسعى لدور أكبر في منطقة الشرق الأوسط، وأنه لا يمكنها أن تقف موقف المتفرج"، كما أكد في حديثه عن اهتمام تركيا بالمشكلة الفلسطينية، وأن تركيا ستواصل العمل على وقف العنف بين الفلسطينيين والإسرائيليين⁽¹⁶⁾

وكان الموقف التركي واضحاً وجلياً في رفض الحصار المفروض على قطاع غزة من قبل إسرائيل بعد فوز حركة حماس في الانتخابات التشريعية الفلسطينية، واستطاعت تركيا من خلال علاقاتها مع الدول المختلفة ان تفتح ملف الحصار في المحافل الدولية، وأصبحت تركيا مسرحاً للعديد من الفعاليات والنشاطات الإسلامية الراضية للحصار والمساندة للشعب الفلسطيني⁽¹⁷⁾.

المبحث الثالث: الموقف الإسرائيلي من الانقسام

منذ اللحظة الأولى لإعلان حركة حماس نيتها خوض الانتخابات التشريعية في تشرين الأول/أكتوبر 2005م، أعلنت الحكومة الإسرائيلية بقيادة أرييل شارون رفضها لهذه الانتخابات، وشددت على أنها لن تسمح لانتخابات فلسطينية تشارك فيها حركة حماس، واستطاعت إسرائيل أن تجبر الموقف الأمريكي والأوروبي لصالحها، وتكون موقفاً ضاغطاً على السلطة الفلسطينية لمنع حركة حماس من خوض تلك الانتخابات⁽¹⁸⁾.

(14) محسن محمد صالح، محددات السياسة التركية تجاه حماس، موقع الجزيرة نت، <http://cutt.us/PRoz0>، تمت زيارة الموقع بتاريخ 8/10/2018م.

(15) المرجع ذاته.

(16) رجب الباسل، دور تركيا في القضية الفلسطينية، (دراسة)، موقع وكالة سما الإخبارية، تم النشر بتاريخ 8 سبتمبر 2011م، <http://cutt.us/xQ58r>، تمت زيارة الموقع بتاريخ 9/10/2018م.

(17) محسن صالح، قوافل كسر الحصار عن قطاع غزة، تقرير معلومات (20)، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت- لبنان، 2011م، ص14.

(18) عبد الفتاح الجبالي (رئيس التحرير)، التقرير الاستراتيجي العربي 2006-2007م، القاهرة، 2007م، ص219.

كما أكدت الحكومة الإسرائيلية على أنها لن تتعامل مع أية حكومة تُشكّلها أو تشارك فيها حركة حماس⁽¹⁹⁾، وقال رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت إن "إسرائيل" لن تقبل أن تكون حركة حماس جزءًا من اللعبة السياسية.. وأنه لا فرق إذا كانت حركة حماس جزءًا من المجلس التشريعي أو الحكومة الفلسطينية، وسنواصل ضغوطنا لمنع وضع كهذا"⁽²⁰⁾

ومنذ اللحظة الأولى التي شكلت فيها حركة حماس الحكومة، اتخذت "إسرائيل" موقفًا عدائيًا مسبقًا تجاه الحكومة التي ستشكلها حركة حماس، واشترطت "إسرائيل" لتغيير موقفها من ذلك أن تعترف الحكومة الفلسطينية الجديدة بـ "إسرائيل"، وأن تتبذ العنف و"الإرهاب"، وأن تنزع أسلحة المنظمات الفلسطينية المقاومة، وأن تعترف الحكومة بكل الاتفاقات التي تم توقيعها سابقًا بين "إسرائيل" ومنظمة التحرير الفلسطينية⁽²¹⁾.

فرضت إسرائيل حصارًا اقتصاديًا مشددًا على قطاع غزة وأوقفت تحويل مخصصات السلطة الفلسطينية من عائدات الضرائب (حسب اتفاقية باريس الاقتصادية)، وأوقفت التعاملات البنكية مع البنوك الفلسطينية، وأغلقت كافة الحدود البرية والبحرية والجوية، ومنعت نقل البضائع دون إذن مسبق منها، وإشراف كامل على تلك البضائع⁽²²⁾

وبالتالي فإن السياسة الإسرائيلية بالأساس - إلى جانب بعض السياسات الإقليمية الأخرى - عززت فكرة الانقسام وساهمت فيه بدرجة أو بأخرى، ثم بعد ذلك تسببت في إطالة هذا الانقسام إلى مدى أعمق مما كان عليه في الأيام الأولى.

المبحث الرابع. مواقف القوى الكبرى

منذ اليوم الأول لنية حركة حماس المشاركة في الحياة السياسية الفلسطينية والدخول في العملية الانتخابية حاولت الحركة أن تغير لغة خطابها تجاه العالم، بما يجعلها مقبولة لدى المجتمع الدولي، لكنها اصطدمت بجدار الاعتراف بإسرائيل، والاعتراف بالاتفاقات الموقعة معها، ونبذ العنف والإرهاب، وهي شروط ثلاثة كانت الرباعية الدولية قد اشترطتها على الحركة قبل الاعتراف بها والتعامل معها.

وقد دعت الرباعية الدولية الحركة إلى التخلي عن العنف والاعتراف بحق "إسرائيل" في الوجود، وقد ذكرت اللجنة في بيانها الذي أصدرته الخارجية الأمريكية أن "حلاً يقوم على دولتين، يستوجب تخلي جميع المشاركين في العملية الديمقراطية عن العنف والإرهاب، وموافقتهم على حق إسرائيل في الوجود، ونزع أسلحتهم، كما توضح ذلك خارطة الطريق"⁽²³⁾، الأمر الذي رفضه خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحركة حماس حين قال: "إن خارطة الطريق غير مقبولة، لأنها تفرض شروطاً مفصلة بنزع أسلحة المجاهدين واعتقالهم والتخلي عن المقاومة، لكنها تبقى غامضة بشأن التزامات "إسرائيل" بشأن القدس واللجئين والأراضي التي يجب إعادتها"، وأضاف "لن نلقي السلاح طالما تحتل "إسرائيل" جزءًا من أراضينا"⁽²⁴⁾.

(19) المرجع ذاته.

(20) محمد محسن صالح (تحرير)، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2006م، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت- لبنان، ص78.

(21) المرجع ذاته، ص80.

(22) المرجع ذاته.

(23) جريدة الأيام الفلسطينية، العدد (2600)، السنة الحادية عشرة، السبت 2006/1/18م، ص1.

(24) المرجع ذاته، ص 17.

أولاً: الموقف الأمريكي:

بالرغم من الموافقة التي أبدتها الإدارة الأميركية على مشاركة حركة حماس في الانتخابات التشريعية الفلسطينية في بداية الأمر؛ وكان هذا ضمن الرؤية الأميركية لنشر الديمقراطية، ومساندة الأنظمة الديمقراطية في العالم العربي، لكن عندما فازت حركة حماس في الانتخابات تغير الموقف الأمريكي. واتخذت الولايات المتحدة موقفاً متشدداً حيال تشكيل حركة حماس الحكومة قبل التزامها بشروط الرباعية. حيث قال الرئيس الأميركي جورج بوش الابن: "إن حماس لا يمكن أن تكون "شريكاً في السلام"، طالما أن برنامجها يدعو إلى تدمير إسرائيل"، وأعرب عن شكوكه في أن تكون حماس "شريكاً في السلام" إذا ما تمسكت ببرنامجها السياسي الذي يدعو إلى تدمير إسرائيل، واحتفظت بجناحها العسكري المسلح"، وقد كرر الرئيس نكر ما تنص عليه سياسة الولايات المتحدة، المتمثلة في أن "الحزب السياسي الذي يعلن بوضوح تدمير إسرائيل كجزء من برنامجها هو حزب لن نتعامل معه"⁽²⁵⁾.

ومن جانب آخر قالت وزيرة الخارجية الأميركية كونداليزا رايس: إن "موقف الولايات المتحدة من حماس لم يتغير، فلا يمكن أن تكون لك قدم في السياسة وأخرى في الإرهاب"، إذ طالبت الفلسطينيين والمجتمع الدولي "بالحديث بوضوح وصدق" عن مبادئ الديمقراطية، التي قالت إنها لا تتماشى على الإطلاق مع الإرهاب والعنف المطلق، وأضافت "إن الديمقراطية لا تجلب الحقوق فحسب، وإنما تجلب التزامات ومسؤوليات كذلك"⁽²⁶⁾.

وتبنت الولايات المتحدة الأميركية المطالب الإسرائيلية المعادية لحركة حماس ولأية حكومة تشكلها أو تشارك فيها، لكن وزيرة الخارجية الأميركية كونداليزا رايس عادت وقررت بين حكومة حركة حماس من جهة، والسلطة الفلسطينية برئاسة محمود عباس من جهة أخرى، وقد أشارت الوزيرة إلى تقديم دعم إدارتها للسلطة الفلسطينية التي يرأسها محمود عباس، لكن "الولايات المتحدة غير مستعدة لدعم وتمويل منظمة تدعو إلى تدمير إسرائيل" على حد قولها.

ثانياً: مواقف دول الاتحاد الأوروبي

على الرغم من قوة الاتحاد الأوروبي الاقتصادية، إلا أننا نجد غير قادر على بلورة سياسة مستقلة عن سياسة الولايات المتحدة الأميركية في منطقة الشرق الأوسط، وتجاه الصراع العربي الإسرائيلي، حيث إن السياسات الأوروبية متأثرة بنظيرتها الأميركية، كما أن هناك ضغطاً أميركياً على أوروبا لمنعها من التقارب مع الموقف العربي، حيث تريد الولايات المتحدة الأميركية الاحتفاظ لنفسها بنصيب الأسد في إدارة الصراع العربي الإسرائيلي، وتكون الفاعل الرئيسي في إدارة ملفات المنطقة المتعددة، لتمتّع المنطقة بموقع استراتيجي وبطاقات وموارد طبيعية كبيرة⁽²⁷⁾.

وفي عام 2003م أدرج الاتحاد الأوروبي حركة حماس على قائمة المنظمات الإرهابية، وقام بتجميد أرصدها في الدول الأوروبية، ولكن بعد مشاركة الحركة في الانتخابات البلدية عام 2005م، حدث نوع من الارتباك في الموقف الأوروبي، وبعد فوز

⁽²⁵⁾ حماس تستلم السلطة من فتح، قراءة إحصائية وسياسية في نتائج الانتخابات التشريعية الفلسطينية الثانية، 25 كانون الثاني/يناير 2006، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، 2006م، ص23-24، http://www.mesc.com.jo/Studies/Studies_3.html، تمت زيارة الموقع بتاريخ 2017/7/8م.

⁽²⁶⁾ المرجع ذاته، ص24.

⁽²⁷⁾ رحمانى وهيبه، الدور الأوروبي في القضية الفلسطينية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم العلوم السياسية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة، الجزائر، 2018م، ص67.

الحركة في انتخابات التشريعية عام 2006م، تبنى الاتحاد الأوروبي شروط الرباعية الدولية، وشرعت دول الاتحاد في الضغط على الحركة من أجل الموافقة على تلك الشروط، أو بالمقابل سوف تواجه حصارًا مشددًا، وقد استغل الاتحاد الأوروبي قضية المساعدات الاقتصادية للضغط على حركة حماس، حيث أصدر مجلس العلاقات الخارجية في الاتحاد الأوروبي قرارًا في 10 نيسان/أبريل 2006م، بوقف المساعدات للحكومة الفلسطينية، وأوقف اتصالاته السياسية بها إلى حين التزام حركة حماس ببنود اللجنة الرباعية⁽²⁸⁾.

وقالت المستشار الألمانية إنجيلا ميركل: إن الاتحاد الأوروبي لن يتمكن من تمويل السلطة الفلسطينية - إذا تولت حماس إدارتها - ما لم تنبذ الحركة العنف وتعترف بإسرائيل⁽²⁹⁾ وأضافت: إن "التعاون بين إسرائيل والفلسطينيين لن يكون ممكنًا، إلا إذا تخلى قادة حماس عن العنف، وأقروا بحق إسرائيل في الوجود واحترموا كل الاتفاقات الدولية الموقعة أصلاً". وذكرت أنه بدون تلبية هذه الشروط فإن الاتحاد الأوروبي لا يمكنه أن يواصل دعمه المالي لإدارة فلسطينية تسيطر عليها حركة حماس⁽³⁰⁾.

ثالث: الموقف الروسي:

على الرغم من تباين الموقف الروسي عن نظيره الأميركي في نظرته تجاه فوز حركة حماس في الانتخابات التشريعية الفلسطينية، إلا أنه لم يكن هناك اختلاف جوهري روسي عن الموقفين الأميركي والأوروبي من ناحية التأكيد على ما أقرته الرباعية الدولية^(*)، حيث إن الرئيس الروسي بوتن لم يقابل وفد حركة حماس الذي زار روسيا في آذار/مارس 2006م، وأكد بوتن على ضرورة احترام ما أقرته الرباعية، ونبذ العنف، والاعتراف بحق إسرائيل في الوجود⁽³¹⁾.

لكن على الرغم من التأييد الروسي للرباعية الدولية إلا أنه كان حريصًا على أن يكون على مسافة واحدة من أطراف الخلاف الفلسطيني⁽³²⁾.

أما عن موقف موسكو تجاه حماس قال "بوتين": "إن مواقفنا من حماس تتباين عن المواقف الأميركية والأوروبية، فلم تعترف وزارة الخارجية الروسية أبدًا بجماس بوصفها منظمة إرهابية"، لكن ذلك "لا يعني مباركتنا وتأييدنا لكل ما تقوم به ولكل ما صدر عنها من بيانات في الآونة الأخيرة". وأشار "بوتين" إلى أن العالم يعرف احتمالات أن تصدر بيانات مُغرقة في الراديكالية عن هذه القوة السياسية أو تلك؛ يوم تكون في مواقع المعارضة في إطار سعيها نحو السلطة، لكن الأمر يكون مغايرًا حين تحصل هذه القوى على ثقة الشعب بما يجعلها ملزمة بالعمل من أجل أن يشعر كل من وثق بها بنتائج إيجابية نتيجة توليها للسلطة، لذا ينبغي الابتعاد عن البيانات الراديكالية وينبغي الاعتراف بحق إسرائيل في الوجود وإرساء الاتصالات مع المجتمع الدولي، لكنه في نفس الوقت حذر من خطأ قطع المعونات الإنسانية عن الشعب الفلسطيني. من جانبه أعلن "سيرغي إيفانوف" وزير الدفاع الروسي إن بلاده ستتخذ قرار إمداد السلطة الوطنية الفلسطينية بالمدركات حسب مجريات الأمور هناك، وقال: إن روسيا تراعي دائمًا - لدى

⁽²⁸⁾ محمد هشام محمد إسماعيل، موقف الاتحاد الأوروبي تجاه القضية الفلسطينية في الفترة من 1993 إلى 2009م، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، سلسلة (دراسات وأوراق بحثية) ، 2011م، ص28.

⁽²⁹⁾ جريدة الأيام الفلسطينية، العدد 3602، السنة الحادية عشرة، الاثنين 30/1/2006م، ص1.

⁽³⁰⁾ جريدة الشرق الأوسط، العدد (9926) الثلاثاء، 31 يناير 2006، <http://cutt.us/HxvVk>

^(*) اللجنة الرباعية الدولية: هي لجنة دولية أنشئت عام 2002م، بعد تصاعد الصراع في منطقة الشرق الأوسط، واللجنة مكونة من الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا والاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة، وهي مكلفة بدفع عملية السلام إلى الامام وحل الصراع العربي الإسرائيلي.

⁽³¹⁾ محسن محمد صالح (محرر) ، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2006، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت- لبنان، 2007م، ص218.

⁽³²⁾ محسن محمد صالح (محرر)، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2007، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت- لبنان، 2008م، ص255.

قيامها بتصدير أية أسلحة - المسائل المتعلقة بالأمن والاستقرار كما أنها لا ترسل سوى الأسلحة الدفاعية إلى المناطق التي يتسم الوضع فيها بعدم الاستقرار⁽³³⁾.

رابع: الموقف الصيني:

اتخذت الصين سياسة متوازنة تجاه فوز حركة حماس في الانتخابات التشريعية الفلسطينية، وعلى الرغم من تصريح الخارجية الصينية في شباط/ فبراير 2006م الذي دعت فيه المجتمع الدولي إلى "عدم اتخاذ إجراءات قد تزيد أوضاع الشعب الفلسطيني سوءاً بعد فوز حركة حماس"، وإعلان الحكومة الصينية عن أنها ستستمر في تقديم المساعدات للشعب الفلسطيني، ولا تحبذ سياسة العزل والحصار المفروض على الشعب الفلسطيني، إلا أن موقفها لم يخرج عن جوهر الموقف الدولي⁽³⁴⁾.

كل هذه المحددات جعلت من الانقسام الفلسطيني حتمية سياسية لا بد من وقوعها بعدما تم تغذيتها من قبل المجتمع الدولي الذي كان له دورٌ أساسيٌّ في وقوع الانقسام ليتسنى لإسرائيل أن تتصل من التزاماتها الدولية تجاه عملية السلام مع الفلسطينيين. فالمتتبع للموقف الدولي يجده يدور في الفلك الأمريكي الذي يتبنى وجهة النظر الإسرائيلية كاملة، حيث تشابهت المواقف الغربية في مطالبة الحكومة الفلسطينية الجديدة بالاعتراف بـ "إسرائيل" ولم تتعامل مع أي حكومة فلسطينية إلا على هذا الأساس، لكنها في الوقت نفسه لم تطالب "إسرائيل" بالاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني المنصوص عليها في المواثيق والأعراف الدولية، ولم تُوقف علاقاتها بـ "إسرائيل" حتى تعترف بتلك الحقوق.

وهنا تبدو السياسة الدولية تجاه القضية الفلسطينية تكيل بمكيالين، حيث تريد تطبيق القانون فقط على الضعفاء بينما تنتهك "إسرائيل" القانون على مرأى ومسمع العالم وبغطاء أمريكي دونما حسيب أو رقيب.

خاتمة

لقد مهّدت العوامل الخارجية المتضاربة الى وأد الديمقراطية الوليدة في الساحة الفلسطينية، وإفشال كل ما نتج عن العمل الديمقراطي من تشكيل للحكومتين العاشرة والحادية عشرة، حيث ساعدت تلك العوامل على حدوث تنافس غير ديمقراطي بين حركتي فتح وحماس على السلطة، أدخلهما في اقتتال شرس راح ضحيته المئات، وأنتج انقساماً حاداً في النظام السياسي الفلسطيني، أدخل القضية الفلسطينية برمتها في نفق مظلم لا يمكن التكهّن بموعد الخروج منه.

وسقطت فكرة تقديس القضية الفلسطينية التي كانت راسخة في قلب كل عربي مخلص لقضايا أمته، وتراجع الدعم المادي والمعنوي للشعب الفلسطيني بعد الانقسام، وتاهت البوصلة العربية ما بين أخوة أشقاء تبعثرت خطواتهم، وتشتتت قبل الوصول إلى مبتغاهم من تحرير وطنهم.

ودخل الفعل الاقليمي والدولي تجاه القضية الفلسطينية في بداية الأمر في مرحلة جمود، وتاهت البوصلة ما بين كيانين منفصلين غير قادر كل منهما على الامساك بكافة اوراق القضية الفلسطينية، وصارت المواقف حائرة بين طرفي قضية دفع أهلها الكثير من أجل الاستقلال ودرح المحتل. كما أن عناد المُقسّمين أدخل الفعل العربي من جديد في دائرة التحيز، وذلك حسب المصالح والتقاء الأفكار والسياسات.

(33) جريدة الشرق الأوسط، الأربعاء، 1 فبراير 2006م، <http://cutt.us/a6Pqs>.

(34) محسن محمد صالح (محرر)، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2006، مرجع سابق، ص220.

وفي نهاية المطاف فإن المأزق الذي وضع الفلسطينيون أنفسهم فيه، والذي تبدى من خلال قصور فلسطيني في معالجة الازمة، وتراخي بعض أطراف المصالحة في اكمال الخطوات التصالحية التي بدأت منذ وقت مبكر من أحداث الانقسام، كل ذلك أدى ذلك الى حالة فراغ فلسطيني، جعل بعض الدول الاقليمية التي تحاول أن تلعب دورا في السياسة الاقليمية والدولية، بأن تملأ هذا الفراغ للوصول الى مبتغاها دون أن يكون للفلسطينيين قدرة على التأثير في تلك السياسات.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم أبراش: جذور الانقسام الفلسطيني وتأثيره على القضية الفلسطينية، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 20، العدد 78، ربيع 2008، ص5.
2. أحمد يوسف أحمد، محمد زيادة: مقدمة في علم العلاقات الدولية، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، ص42.
3. ايران تعد بتقديم مساعدة مالية لحكومة حماس، جريدة الدستور، الخميس 23/2/2006م، <https://www.addustour.com/> ، تمت زيارة الموقع بتاريخ 2018/10/9م.
4. جريدة الأيام الفلسطينية، العدد (2600)، السنة الحادية عشرة، السبت 18/1/2006م، ص1.
5. جريدة الأيام الفلسطينية، العدد 3602، السنة الحادية عشرة، الاثنين 30/1/2006م، ص1.
6. جريدة الشرق الأوسط، العدد (9926) الثلاثاء، 31 يناير 2006، <http://cutt.us/HxvVk>
7. حماس تستلم السلطة من فتح، قراءة إحصائية وسياسية في نتائج الانتخابات التشريعية الفلسطينية الثانية، 25 كانون الثاني/ يناير 2006، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، 2006م، ص23-24، http://www.mesc.com.jo/Studies/Studies_3.html، تمت زيارة الموقع بتاريخ 2017/7/8م.
8. رجب الباسل، دور تركيا في القضية الفلسطينية، (دراسة) ، موقع وكالة سما الإخبارية، تم النشر بتاريخ 8 سبتمبر 2011م، <http://cutt.us/xQ58r>، تمت زيارة الموقع بتاريخ 2018/10/9م.
9. رحمانى وهيبه، الدور الأوربي في القضية الفلسطينية، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم العلوم السياسية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة، الجزائر، 2018م، ص67.
10. شيماء مصطفى، كامب ديفيد.. رفضها العرب وأصر عليها السادات، موقع التحرير الاخباري، بتاريخ 17/9/2015م، <http://cutt.us/kGRQ2>، تمت زيارة الموقع بتاريخ 2017/5/14م.
11. عبد الفتاح الجبالي (رئيس التحرير)، التقرير الاستراتيجي العربي 2006-2007م، القاهرة، 2007م، ص219.
12. غياث محمد سليمان جازي، بعنوان "ماهية الدور المصري ومنطلقاته في الحوار الوطني الفلسطيني 2005-2013"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2013م.
13. محسن صالح، قوافل كسر الحصار عن قطاع غزة، تقرير معلومات (20) ، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت- لبنان، 2011م، ص14.

14. محسن محمد صالح (محرر) ، التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لسنة 2006، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت- لبنان، 2007م، ص218.
15. محسن محمد صالح، القضية الفلسطينية: خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، طبعة مزيدة ومنقحة، بيروت-لبنان، 2012م، ص157.
16. محسن محمد صالح، محددات السياسة التركية تجاه حماس، موقع الجزيرة نت، <http://cutt.us/PRoz0> ، تمت زيارة الموقع بتاريخ 2018/10/8م.
17. محمد أبو رمان، نفين بندقجي: من الخلافة الإسلامية الى الدولة المدنية: الإسلاميون الشباب في الأردن وتحولات الربيع العربي، مؤسسة فريديش ايبيرت- مكتب عمان، الأردن، 2018م، ص36.
18. محمد السعيد عبد المؤمن، إيران وجيرانها والأزمات الإقليمية، سلسلة دراسات ترجمات، العدد 24، 2006م، ص31.
19. محمد السيد سعيد، مستقبل النظام العربي بعد أزمة الخليج، سلسلة عالم المعرفة (158) ، مؤسسة السلسلة، الكويت، 1992م، ص31.
20. محمد هشام محمد إسماعيل، موقف الاتحاد الأوربي تجاه القضية الفلسطينية في الفترة من 1993 الى 2009م، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، سلسلة (دراسات واوراق بحثية) ، 2011م، ص28.
21. نهاد الشيخ خليل، قطر وحماس.. لماذا وإلى أين ؟، العربي الجديد، 10 يونيو 2017م، <http://cutt.us/Zr0rv>، تمت زيارة الموقع بتاريخ 2018/6/4م.
22. وحيد عبد المجيد، بعنوان "التفاعلات العربية-الإقليمية تجاه الحرب على غزة"، مجلة السياسة الدولية، العدد (176)، السنة الخامسة والأربعون، المجلد 44، أبريل 2009م.

الاغتراب الفلسفي في رواية زرايب العبيد لنجوى بن شتوان

أ.د. صبحية عودة زعرب¹

1 أستاذ مشارك، جامعة صبراتة -كلية الآداب والتربية -ليبيا، البريد الإلكتروني sobhiaauda@yahoo.com

نقال: 00218927745813

تاريخ النشر: 2020/12/01م

تاريخ القبول: 2020/11/29م

المستخلص

تكمن أهمية هذا البحث في استحضار تاريخ مهمل ومهمش ، يجسد أعتى مرحلة عبودية عرفها التاريخ الليبي منذ نهاية العصر العثماني ، وبداية الاحتلال الإيطالي حتى عام الاستقلال عام 1951، وذلك من خلال تجارة الرق وما يتعرض له العبيد من عذاب على يد أسيادهم البيض ، استنادا على علاقة عاطفية محرمة اجتماعيا تربط العبدة تعويضة بالسيد محمد بن شتوان الأبيض ، وما أثارته هذه العلاقة من تساؤلات فلسفية وعقائدية ، وثقافية .

أما هدف هذه الدراسة فيمكن في معرفة العلاقة بين الفلسفة والأدب ، وبخاصة فن الرواية ، للوقوف أمام أسباب الاغتراب وعلاقته بالفلسفات الغربية معرفة علمية وموضوعية ، وللإجابة على السؤال المحوري ، هل الفلسفة وليدة الواقع وليد الفلسفة ؟ وذلك من خلال منهج سوسيو/ ثقافي يهتم بالبنى السيميائية الدالة ، المتوارية خلف البنى السطحية المباشرة التي تقبل التعددية والتأويل لعلاج قضايا المهمشين والمعتريين والمهجريين ، تنصدرهم قضية تحرير المرأة على وجه الخصوص .

وقد أسفرت هذه الدراسة عن جملة من النتائج والتوصيات نختار منها الأهم وهي على النحو التالي :

-استندت الكاتبة على فلسفة إيديولوجية ذاتية بعيدا عن الوثائق الرسمية لتميط اللثام عما لم يذكره التاريخ ، ولتقارن بين عبودية الأمس ، وعبودية اليوم .

-نسجت الكاتبة خيوط تجربتها الإبداعية من سيرتها الذاتية والفكرية ، وأخذت الرواية تعج بالفلسفة الوجودية تارة ، والماركسية تارة أخرى .

- ارتبط الاغتراب بالفلسفة ارتباطا وثيقا وبخاصة الوجودية ، وقد بينت الدراسة أنها وليدة الواقع وتدهور القيم الأخلاقية والإنسانية .

الكلمات المفتاحية: السيد، العبد ، الحب ، الحرية ، الغربية ، الهوية.

RESEARCH ARTICLE

THE PHILOSOPHICAL ALIENATION IN NAJWA BIN SHATWAN'S NOVEL ZARAYEB AL-UBAID

Prof. sobhia auda Zoroub¹

¹ Co-professor, Sabrata University - Faculty of Arts and Education - Libya.
Email sobhiaauda@yahoo.com
Mobile: +218927745813

Accepted at 29/11/2020

Published at 01/12/2020

Abstract

The importance of this research lies in evoking a neglected and marginalized history, embodying the most difficult stage of slavery in Libyan history since the end of the Ottoman era, and the beginning of the Italian occupation until the year of independence in 1951, through the slavery trade and the suffering that slaves are subjected to at the hands of their white masters, based on a relationship A socially forbidden affectionate linking the slave woman TAWEDHA to Ms. Muhammad Ibn Shatwan al-Abyad, and the philosophical, ideological, and cultural questions raised by this relationship.

The aim of this study is to know the relationship between philosophy and literature, especially the art of the novel, to stand in front of the causes of alienation and its relationship with Western philosophies with scientific and objective knowledge, and to answer the central question: is philosophy born of reality or reality born of philosophy? And that is through a socio-cultural approach concerned with the semantic structures that are hidden behind the direct superficial structures that accept pluralism and interpretation to address the issues of the marginalized, expatriate and displaced, with the issue of women's emancipation in particular.

This study resulted in a set of results and recommendations from which we choose the most important and are as follows:

The author relied on a subjective ideological philosophy away from official documents to reveal what was not mentioned by history, and to compare the slavery of yesterday with the slavery of today.

The writer wove the threads of her creative experience from her biography and intellectual, and the novel began to teem with existential philosophy at times, and Marxism at other times.

-Alienation has been closely linked with philosophy, especially existentialism, and the study has shown that it is a product of reality and the deterioration of moral and human values.

Key Words: master, slave, love, freedom, alienation, identity. Prepare:

مقدمة

الثقافة علامة سيميائية دالة تشي بحضارة الأمم وراقيها ، ولكل ثقافة فلسفتها الخاصة التي تعبر عنها . وفي خضم الصراعات والحروب والأزمات التي تشهدها الأمة العربية اليوم ، تركت ثقافة العنف والإرهاب والتطرف بصمتها على العلاقات الإنسانية برمتها ، فتراجعت لغة العقل والحكمة والأخلاق ، وشعر الإنسان بأنه مقذوف في عالم ينبذه ، فأنس الوحدة ، والاغتراب ، والاعتزال عن التكيف مع الآخرين ، وهي معطيات لا تخلو منها الفلسفة الوجودية والعبثية .

ولما كانت الرواية هي أقدر الأجناس الأدبية على استيعاب التحولات الثقافية ، والتيارات الفلسفية ، فقد اخترنا رواية ، زرايب العبيد للكاتب الليبية ، نجوى بن شتوان لتكون منطلقاً لموضوع دراستنا باعتبارها من أبرز الأصوات النسوية التي عرفت مدوناتا بالوعي الأبتمولوجي ذو النزعة الفلسفية ، ولعل ذلك يعود إلى ظروفها المعيشية والعلمية وعشقها للعزلة ، وبخاصة إقامتها في إيطاليا التي أتاحت لها الاطلاع على الفكر الأوروبي والفلسفات الغربية ، فجاءت روايتها هجينا من الأدب والفلسفة ، و تعج بالأسئلة الوجودية والفكرية العميقة . تقف الرواية عند أعتى مرحلة عبودية عرفها التاريخ الليبي ، منذ نهاية الحكم العثماني ، وأوائل الاحتلال الإيطالي حتى عام الاستقلال عام 1951 م. لكنها لم تقف عند هذا الحد ، بل امتد صداها إلى اليوم ، حيث اعتمدت الكاتبة على رؤيتها الفكرية والنفسية الفردية ، وذاكرة الجدات بعيدا عن السرد التاريخي ، والوثائق الرسمية . مؤسسة اتجاها تاريخيا فلسفيا ينتمي إلى ما بعد الحدثة ، مستندة على تجارة الرق في ليبيا ، وبخاصة في مدينة بنغازي مسقط رأسها للحديث عن القضايا المعاصرة تتصدرها قضية المرأة . حيث قاربت بين كينونة المرأة ، وكينونة العبد من خلال استحضار ظاهرة استجلاب ذوي البشرة السوداء من شمال أفريقيا للعمل كخدم في بيوت الأسياد من ذوي البشرة البيضاء واستخدام أفسى أساليب التعذيب والوحشية في معاملتهم ، واختزال جسد المرأة في مادة رخيصة تباع وتشتري لإشباع رغبات وغريزة سيدها، لذا نهضت محمولات النص على ثنائية : الأسياد /العبيد ، الأبيض / والأسود ، القوة / والضعف .الصوت / والصمت .

وهنا تكمن أهمية هذه الدراسة : في محاورة النص واستنطاقه ، للكشف عن التقنيات الفنية والجمالية والدلالية ، والوسائل الأسلوبية التي استخدمتها الكاتبة ليس لتحرير المرأة فحسب وإنما تحرير وطن بأكمله . جاعلة من حرية المرأة مقياسا حقيقيا لنهضة الشعوب وراقيها .وهي رؤية تقارب رؤية سيمون دي بوفوار الفرنسية في نضالها لتحرير المرأة .

أما حدود البحث وأسئلته : فتتمثل في تجاوز أحداث الرواية المستويات المكانية والزمانية التي يشير إليها العنوان لنكتشف بأننا نقرأ أنفسنا في القرن الحادي والعشرين . وهنا يطرح البحث أسئلته : ألم تكن عنصرية الرجل الأبيض واستعمارها للشعوب الضعيفة والتحكم في مصيرها وحريتها اليوم شكلا من أشكال العبودية ؟ ، ألم تكن الهجرة القسرية الجديدة لذوي البشرة السوداء ومقابلة الموت شكلا من أشكال العبودية ؟ ألم يكن نظام العالم الجديد وفرض القوة النيتشوية والاعتداء على الضعفاء وتجريد هم من هويتهم الوطنية والقومية والثقافية شكلا من أشكال العبودية ؟ ألا يمثل نظام الكفيل شكلا من أشكال العبودية ؟ ألم يكن انتشار الفلسفات العدمية ثمرة النظام الأحادي الجديد ؟ وهل استطاعت الكاتبة حل مشاكل العبودية وتذليل الصعاب أمام حرية المرأة باعتبارها رمزا للحرية الإنسانية ؟

إن هذه التساؤلات تتم عن القلق الوجودي والصراع النفسي الذي تشعر به الكاتبة نفسها خاصة وقد تناولت معظم كتاباتها قضايا المهجرين والمغتربين ، واختارت قضية (تجارة الرق والعبودية) عنوانا لإنجاز أطروحة (الدكتوراه) بإيطاليا .

من هنا يمكن تحديد هدف البحث : في تحليل المنطلقات الفكرية والفلسفية والثقافية والدينية والتراثية السائدة للوصول إلى معرفة أسباب الاغتراب الفلسفي معرفة موضوعية وعلمية . حيث تشي التساؤلات السابقة بأزمة وجودية قرأناها في رواية الغريب لأبيير كامو . ورواية اللامنتمي . لكولن ويلسن . والغثيان لسارتر ، كما طرحت الكاتبة قضايا وجودية وحضارية ودينية . تتمحور

أغلبها في جدلية : الحياة /والموت . الوجود/ والعدم . المركز / والهامش . الاتصال / والانفصال . الحرية / والعبودية . المعقول / واللامعقول .

أما إشكالية البحث : فتمثل في فوضى المصطلحات ، والمفاهيم الخاطئة لبعض الفلاسفات ، وتطبيق تيارات فلسفية لا تتسجم مع ثقافتنا العربية ، ورفض بعض الفلاسفات بحجة أنها وافدة وتقوم على الفكر الإلحادي كالوجودية مثلا . ليفرض البحث سؤاله : هل الفلسفة الوجودية ثمرة الواقع أم الواقع ثمرة الفلسفة الوجودية ؟ ولما كانت لغة الرواية تنزع إلى التأويل والتعددية ، فقد رأيت هذه الدراسة أن تعيد النظر في المؤثرات الثقافية والتراثية والفلسفية التي تعيق تحرير الإنسان وبنائه من جديد ، وذلك من خلال منهج لساني مركب ينتمي إلى مقارنة (سوسيو / ثقافية) تبحث في البنيات العميقة المضمرة المتوارية خلف البنيات السردية المباشرة ، والبنيات التوليدية المقدرّة دون إغفال الجوانب الجمالية والفنية مع الاستئناس بمعطيات المناهج النقدية الأخرى بما يتلاءم مع موضوع الدراسة .

المبحث الأول : (العلاقة بين الاغتراب والفلسفة) .

لا ريب أن ثمة علاقة وطيدة بين الاغتراب والفلسفة ، فإذا كان الاغتراب في أبسط مفاهيمه يعني العزلة والانفصال ، فالتفكير الفلسفي هونتاغ الاغتراب ومصدره . وأيا كان مفهوم الاغتراب ، فهو حالة مشينة ، يفصل بين الإنسان وإرادته ، ويجعله ممسوح المعالم والشخصية . ومصطلح الاغتراب ، مطاط يقبل التأويل ، ويتسع لكثير من المعاني والدلالات المادية والمعنوية ، ولم يحدث أن اتفق الباحثون على تعريف محدد له حتى اليوم .

لقد عرف الإنسان الاغتراب منذ الخليقة ، وظل ملازما له في كل العصور لكنه بلغ قمته في العصر الحديث والمعاصر ، حيث القتل ، والحرب ، والعنف ، والتهجير ، والقهر ، والظلم بشتى أشكاله ، لذا لقي (الاغتراب) قبولا واسعا لدى الإنسان العربي المهتد بالموت دائما ، انعكس هذا الواقع على الفن فظهر أدب يعج بالنزعات الفلسفية ، وبخاصة التي تتخذ من الاغتراب مرتكزا لها . لذا رأينا أن نعرف الاغتراب لغة واصطلاحا بما يخدم موضوع دراستنا ويدعمه . فالاغتراب لغة : " يعني الإقصاء والنفي والتشريد والهجر والبعد " (1) . ولا يختلف عنه اصطلاحا ، فهو يعني: " الابتعاد عن الأهل ، والوطن ، والديار ، والأحبة ، بمعنى أن يشعر الغريب بابتعاده عن مكان نشأته وفراقه لذويه الذين ارتبط معهم نفسيا وعاطفيا ووجدانيا ، وتختلف الغربية من بيئة إلى أخرى ، إذ إن الزمان والمكان لا بد أن يترك كل منهما بصماته عليه " (2) . وقد عرف الاغتراب بأنه سمة العصر ، ويطلق على الشخص المنطوي على نفسه ليصبح الإنسان " مغتربا عن الناس . وعن نفسه ومشاعره وعواطفه ، يعاني الوحدة والعجز عن الاتصال بالآخرين ، وعدم القدرة على التعامل مع غيره " (3) ويصل الاغتراب الاجتماعي نزوته في " الانسلاخ عن الواقع الفاسد ، والاستياء منه ، والعداء والتصدي له ، بحيث يبدو هذا الواقع وكأنه كائن ثابت متجمد ، يتخبط في الأحوال التي تلتصق بها الأقدام " (4) فلا يستطيع تجاوزها " فينطوي على نفسه ، ويعاني عذاب الوحدة ، والعجز من تغيير الواقع ، ويقطع صلته بالآخرين الذين لم يستطيعوا أن يستوعبوا تطلعاته التي يحاول بها أن يضيء خطوط المستقبل " (5)

وفق هذا المضمون ، فلا يوجد اغتراب بلا مبرر ، وغالبا ما يتشكل من خلال ما يفرضه الآخرون على الذات حيث التهميش

(1) انظر ، بين منظور: 2003 ،لسان العرب ، دار الحديث ،القاهرة ، ص 327 وما بعدها .

(2) انظر ، العمصي ، أمين صالح: 1995، الغربية والحنين في الشعر الفلسطيني ، جامعة قاريونس ،بنغازي،ص 47 وما بعدها

(3) النوري ، قيس : 1985 ، الاغتراب اصطلاحا ومفهوما ودافعا ، مجلة الفكر،ج10، الكويت ، ص 3

(4) ليفن، هاري : 1980، مقالات في الأدب المقارن ، ت، عبد الحكيم محفوظ، وزارة الثقافة والإرشاد، دمشق، ص 18 .

(5) بدري، عبده: 1980 ، الغربية المكانية في الشعر العربي ،مجلة عالم الفكر ، الكويت ، مج 15، ع1، ص18

والإقصاء والتحقير والازدراء. لذا فالاغتراب يكون مطلباً لما هو محروم منه الغريب، ويحثنا عما يفنقه من حرية، وعدالة، واستقرار، وهوية. ونظراً لأن كاتبتنا كانت لها تجربة خاصة مع ألم الاغتراب، فقد آثرنا أن نتلمس وجهة نظر بعض الفلاسفة الذين خرجوا من أتون تجربة الاغتراب، فهو في نظر (ماركس وهيغل) يعني

" حالة اللاقدرة بمعنى أن الإنسان يعجز عن تحقيق ذاته، وكَيْما يتمكن العقل من تحقيق ذاته الفضلى، فلا بد من تجاوزه بالتغلب على نفسه وبالسيطرة على مخلوقاته " (1) وقد أرجأ ماركس الشعور بالاغتراب إلى النظام الرأسمالي، لأن " العامل لا يعمل من أجل نفسه، بل من أجل غيره، وتصبح حياته ملكاً لغيره " (2). لقد أرجأ ماركس الشعور بالاغتراب إلى النظام الرأسمالي وفق هذا السياق، يصبح التمرد على الاستغلال والاستبداد والثورة على الأوضاع القائمة مطلباً ضرورياً لتقويم حياة الإنسان. وهو ما يعني: " الانسلاخ عن المجتمع، والعزلة، والعجز عن التلاؤم والإخفاق في التكيف مع الأوضاع السائدة في المجتمع، واللامبالاة وعدم الشعور بالانتماء بل وأيضا انعدام الشعور بمغزى الحياة " (3) أما (فرويد) فيربط الاغتراب " بالتأمل الداخلي، والاستبطان الذاتي، مؤكداً حتمية وجود الاغتراب نتيجة للشعور " (4). والحقيقة أن الاغتراب لا يقتصر على الاستبطان الذاتي فحسب بل والخارجي أيضاً كما يرى (جان بول سارتر)، حين رأى أن العامل الأساسي في وجود الاغتراب " حينما يفقد الإنسان كل شيء، ولم يعد يستطيع أن يرى في أفعال الآخرين إلا اعتداء صارخاً عليه، فتفقد الحقيقة مغزاهما، ولم يعد من يقولها أو يعضدها إلا في عالم غير عالمنا الواقعي. أعني عالم الهذيان والجنون " (5).

ولعل هذا ما يفسر لنا رواج أدب الغربة اليوم، واقترب الشخصية الاغترابية من الشخصية الإشكالية التي تحدث عنها جورج لوكاتش حيث تتميز الشخصية الاغترابية "بمجموعة من المظاهر الداخلية والخارجية، وتتمثل في العجز عن مسابقة الواقع ومعاداة الخارج، فضلاً عن الشعور الدائم بالاضطهاد والرفض التام لكل المواصفات المتعارف عليها مع نمو متزايد للقطيعة بين مكونات العالم الداخلي للشخصية وبين تلك المكونات الأخرى التي يتم فرضها من خلال شروط الخارج وبما يمليه من مواصفات" (6) وانسجاماً مع هذا المفهوم، فالاغتراب يصب في القلق، والبعد، والعبث، والحيرة، والفقْد، والانفصال، إذ لا فلسفة بدون اغتراب، ولا اغتراب بدون فلسفة فإذا كان الاغتراب وليد العزلة والانفصال، فالفلسفة وليدة الاغتراب وهو ما يفسر اختيارنا لعنوان الدراسة. وضرورة ارتباط الاغتراب بالتفكير الفلسفي الذي قامت عليه الرواية. وللتدليل على ذلك يمكننا استجلاء العلاقة بينهما وذلك من خلال الوقوف أمام المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة الفلسفة أسوة بمفهوم الاغتراب الذي ذكرناه آنفاً.

فالفلسفة لغة تتمثل في الترجمة اليونانية " في كلمة (الفيلوصوفيا) philosophia، فيلو: بمعنى حب، وصوفيا بمعنى: الحكمة فتكون الفلسفة: حب الحكمة " (7). وهذا يعني أن التفكير الفلسفي يقتصر على الحكماء أي النخبة الخاصة دون العامة، لأن الفلسفة في جوهرها ترتكز على مجموعة من التساؤلات الفكرية العميقة التي تخص: الحياة، الموت والوجود، والهوية والحقيقة، والجمال. لذا رأى كثير من الباحثين أن الفلسفة ليست " مجرد حكمة نظرية محضة، وإنما هي أيضاً حكمة فاعلة في مجال الواقع ودنيا

(1) محمد، حسين علي: 1991، البطل في المسرح الشعري العربي، الهيئة العامة، القاهرة، ص 157

(2) ص. ن.

(3) النوري، قيس: المرجع السابق، ص 68.

(4) كشيك، محمد: 1992، ملامح البطل المغترب، مجلة فصول المصرية، مج 1، ع 3، القاهرة، ص 298

(5) الصباغ، رمضان: فلسفة الفن عند سارتر، 2004، ط 2، دار الوفاء، الإسكندرية، ص 279

(6) كشيك، محمد: المرجع السابق، ص 298

(7) الحفني، عبد المنعم: 1992، الموسوعة الفلسفية، دار المعارف، تونس، ص 316

الحياة ما دامت هذه الحكمة النظرية تعود لتثري هذا الواقع ، وتبصرنا به في ضوء جديد . ولهذا رأى (ديكارت) أن أجمل نعمة ينعم الله بها على بلد من البلاد، أن يمنحه فلاسفة حقيقيين " (1) وهذا يعني أن الحكمة لن تكون فاعلة ومؤثرة إلا من خلال قدرتها على الدهشة والغرابة مما يدفع المتلقي على التأمل والتخيل والفكر والسؤال العميق . حيث " إن الميزة الوحيدة اللازمة لكي يصبح الإنسان فيلسوفا جيدا هي قدرته على الدهشة " (2). يقول (سقراط) في هذا الشأن " إن الدهشة هي التي دفعت الناس إلى التأمل . فالفلسفة وليدة الدهشة ، والدهشة وليدة الغربة ، والغربة وليدة الإحساس بالمسافة بيني وبين الأشياء " (3).

من هنا ارتبطت الفلسفة بخلخة الفكر والقيم والمبادئ السائدة ، وجنحت إلى الغموض والذاتية . وفق هذا السياق ، لم تلق الفلسفة قبولا لدى القارئ العادي ، واقتصرت على النخبة الخاصة من الفلاسفة وبخاصة الوجوديين منهم . فها هو (كيركجارد) يعلن كراهيته الشديدة للعامة ، ويرى السبيل الوحيد للوصول إلى الحقيقة هي العزلة ، ولا يقل عنه ضراوة (نيتشه) الذي يمجّد الأقلية ويحتقر الأغلبية التي ينبغي أن تظل مستعبدة - على حد قوله . أما (سارتر) ، فيصف الآخرين بالجميم (4) وعلى هذا الأساس فالتفكير الفلسفي هو نتاج العزلة ، والانفصال عن الآخرين وبخاصة الاتجاه الوجودي . وهذا هو لب الاغتراب . من هنا لقيت الماركسية ترحيبا واسعا لدى القارئ العربي تعنى بالطبقات الشعبية العريضة ، الفقيرة والمضطهدة ، ولا ترى الحقيقة في العزلة والانفصال عن الآخرين بل بالاندماج معهم .

من هنا تجاوزت الفلسفة حدودها الأكاديمية الضيقة ، ولم تقتصر على الخاصة بل امتدت إلى العامة أيضا وأخذت في الوقت الحاضر " تعنى بالبحث عن معنى الحياة ، وتفسير الكون بوسائل قاصرة هي الكلمات والمعاني المختلفة التي ترمز لها ، الأمر الذي جعل الكثير من النشاط الفلسفي في وقتنا هذا ينصب على التعريف وتحديد المعاني " (5) وهذه رؤية يجانبها الصواب ، إذ ليس من المعقول أن يقتصر طموح الفلاسفة على ترتيب الكلمات وتنميتها

لأن التفكير الفلسفي " يستهدف حل المعضلات الكبرى التي تواجه يقظة الوعي البشري منذ القدم ، مثل معضلة الوجود وما وراء العالم المحسوس ، ومعضلة المعرفة وإمكاناتها وحدودها ، ومعضلة الغايات البشرية والمصير والواجب الأخلاقي " (6) في ضوء ما سبق ، يمكننا القول : " إن قيمة الفلسفة ليست فيما تقدمه من حلول نهائية للمسائل التي تطرحها ، إذ ليس من الضروري أن يكون دائما إجابات صحيحة ، وإنما قيمة الفلسفة في مناقشاتها المفتوحة ، والفرصة التي تتيحها لتوسيع أفق تصورنا لإثراء خيالنا العلمي " (7)

وعلى ذلك ، لم تعد الحقيقة حكرا على الفلاسفة ، ولم يعد الفيلسوف في برج عاجي " إنما كل من يخترع ويبدع في مجال من المجالات له صلة بالحقيقة ، حيث يرى الفيلسوف (ستولينتز) أن البحث الفلسفي والجمالي في مشكلات الفن له قيمته لا من حيث هو تحليل فكري فحسب ، بل لأنه يزيد من استمتاعنا بالموضوعات الفنية ويوسع فهمنا لها ، ويفتح أمام الناقد والمتذوق آفاقا جديدة

(1) توفيق، سعيد: 2015، أزمة الإبداع في ثقافتنا المعاصرة الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ص 45

(2) مؤتمر جامعة فيلادلفيا : 2018، النقد الحضاري في الوطن العربي ، دارفضاءات، عمان ، ص 186

(3) حماد، حسن حماد : 1992، الاغتراب عند أبي حيان ، مجلة فصول المصرية مج 14 ، ع 3، ص 67.

(4) انظر ، الصباغ ، رمضان : مرجع سابق ، ص 279

(5) المهندس، كامل ، وهبة، مجدي : 1984 ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت ، ص 278

(6) جعفر ، عبدالوهاب : 2004. ، الفلسفة واللغة ، ط 2 ، دار الوفاء ، الإسكندرية ، ص 100

(7) الحفني، عبد المنعم : الموسوعة الفلسفية ، مرجع سابق ، ص 319

يطل منها على الفن⁽¹⁾ وتجربة الكاتبة الليبية الإبداعية (نجوى بن شتوان) لا تخرج عن هذا الإطار ، حيث استطاعت أن تنقل تجربتها الذاتية الخاصة من عالمها الضيق المحدود إلى رحاب العالم الإنساني لتشمل كل المقهورين والمنسيين والمهمشين حيث جعلت الوجود البشري محورا أساسيا لتأملاتها وتساؤلاتها الفكرية العميقة خاصة أنها عايشة الاغتراب بشتى أشكاله في جميع مراحلها العمرية و أصبحت تجربتها الإبداعية مثالا لأدب الاغتراب .

فكيف عبرت نجوى بن شتوان عن ظاهرة الاغتراب؟ وما مفهومها للاغتراب؟، وما التقنيات الفنية التي استخدمتها؟، وما أهم الاتجاهات الفلسفية التي تأثرت بها؟، وهل استطاعت معالجة القضايا التي أثارها الرواية؟، ولماذا استدعت تاريخا مغرقا في القدم الآن ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

للإجابة على هذه التساؤلات نرى من المفيد أن نقدم نبذة مختصرة عن الرواية أولا :

ملخص الرواية :

نسجت الكاتبة (نجوى بن شتوان) خيوط الخطاب الروائي المعني بالدراسة من سيرتها الذاتية والفكرية ، حيث أخذت الرواية تعج بالاتجاهات الفلسفية التي نشتم منها رائحة الوجودية تارة والرؤية الماركسية تارة أخرى ، ولعل نشأتها غير العادية كان لها الأثر الأكبر في تشكيلها حيث كانت تؤثر الصمت عن الكلام ، والعزلة عن الاندماج ، والانفصال عن الاتصال خاصة ببني جلدتها وذويها ، و يغمرها إحساس باليأس والضياح والتمزق دائما ، لكنها في الوقت نفسه كانت طموحة و متمردة على الأعراف والقيم السائدة ، لهذا أفردت مساحة واسعة من الفضاء السردي لفئة العبيد من ذوي البشرة السوداء الذين كان يتم استغلالهم من الجنوب الليبي وشمال أفريقيا للعمل كخدم في بيوت الأسياد من ذوي البشرة البيضاء ، تتصدرهم المرأة وبخاصة صغيرات السن من النساء لإشباع رغبات أسيادهن وما يتعرضن له من شتى أنواع التعذيب والتعنيف .

تتضمن رواية (زرايب العبيد) أكثر من عشرين فصلا يقنع في ثلاثمائة وخمسين صفحة ، حمل كل فصل عنوانا خاصا به ، يختلف طولها وقصرها عن بعضها بعضا ، بنيت أغلبها على الجمل الاسمية المتناقضة لتتصهر جميعها في بوتقة العبودية كما يشير العنوان . وابتعدت عن البناء الأرسطي التقليدي الذي يعتمد على بداية ووسط ونهاية ، واقتربت كثيرا من البناء الملحني غير المنتظم الذي ينسجم مع العالم الفوضوي غير المستقر، حيث استخدمت الكاتبة تقنية سرد اليوميات على غرار رواية الغيثان لسارتر، وهو ما أعطى الرواية سمتها النقدية .

نشرت الرواية عن دار الساقية ببيروت عام 2016 . لتتحدث عن تاريخ منسي ومهمش وأكثر انحطاطا في تاريخ ليبيا القديم والحديث ، وبخاصة في مدينة بنغازي مسقط رأس الكاتبة ، منذ أواخر العهد العثماني حتى بداية الاحتلال الإيطالي في الربع الأول من القرن العشرين ، وما تعرض له العبيد في تلك الفترة .اعتمادا على ذاكرة الجدات ، والمشاهدة العينية بعيدا عن الوثيقة التاريخية الرسمية ، وهي رؤية تقوم على فلسفة التاريخ وليس التاريخ في حد ذاته ، أي تأطير رؤية الكاتبة الذاتية تجاه تلك الحقبة . وذلك لتميط اللثام عما لم يذكره التاريخ.

اتخذت الكاتبة من العلاقة المحرمة اجتماعيا بين السيد محمد بن شتوان الصغير ذو البشرة البيضاء ، وبين الخادمة العبدية تعويضة ذات البشرة السوداء إطارا خارجيا للكشف عن المسكوت عنه ، كانت هذه العلاقة زلزالا حل بعائلة بن شتوان ، لذا أرسل الأب ابنه في تجارة إلى مالطا لإبعاده عن حبيبته التي اختارها لتكون خليلته كعادة الأسياد ، ثم أسقطها أمه سائلا لإجهاضها ، ومن تم تزويجها لعبد آخر يدعى سالم ، و أجبر على طلاقها وبيعها للفقير ووضعها في دارتدعى بنات الله للمومسات برعاية أقوى

(1) مؤتمر جامعة فيلادلفيا :: المرجع السابق ،ص 187

الخدومات وأشرسهن ، وحين عاد السيد محمد من رحلته أخبروه أن أهله قتلوا ابنه ، وباعوا حبيبته إلى جهة غير معلومة ، فبحث عنها في كل مكان دون جدوى حتى استطاع (علي) ابن أخته فاطمة أن يدلّه على مكانها ، غير أن هذه العلاقة لم تدم طويلا ، لقد مات العاشق محمد بن شتوان ، وأمر الاحتلال الإيطالي بحرق زرايب العبيد بمن فيها فماتت تعويضة حرقا . وبحرق زرايب العبيد ينكشف المستور والمسكوت عنه .

وهكذا ، فالخطاب الروائي " عمل فني لا ينقل التاريخ بحرفيته ، إنما ينقل تصور الأديب له الذي ينظر في التاريخ نظرة عميقة فاحصة متأملة في التراث التاريخي مع تركيز الضوء على حدث معين ، وتشكيله تشكيلا فنيا مستمدا من مادته الأدبية التي صورها في بنائه القصصي "(1)وهنا يطرح النقد سؤاله : لماذا أسقطت الكاتبة تاريخ العبودية على المرأة بالذات ،ولماذا أفردت مساحة واسعة لنموذج نسوي دون غيره ،وماذا تريد أن تقول ؟ ولعل الكاتبة هنا لا تهدف إلى إعادة صياغة الماضي فحسب بل إلى عقد قرائن تشبيهية بين عبودية المرأة بالأمس ،وعبودية المرأة اليوم . ليصبح "التاريخ رجعية مستمرة ،أو إعادة صنع المعنى طبقا للحاجات الحاضرة . "(2)وهو ما سنناقشه من خلال تناولنا للمباحث التالية :

المبحث الثاني - صور الاغتراب والتقنيات السردية في الخطاب الروائي .

توطئة :

شغل الاغتراب مساحة واسعة من عالم الكاتبة الذهني والفني ، وتبرعم على جسد النص بأشكال متنوعة حتى أصبحت تجربة الكاتبة الإبداعية معلما بارزا من معالم أدب الاغتراب النسوي . ولما كانت الرواية فن الشخصية رجل كان أو امرأة ، فقد انتقت الكاتبة شخصياتها من عالم يفترق إلى أدنى حد من الإنسانية وبخاصة النماذج النسوية ، حيث جردتها من هويتها وجذورها ، وأصولها وألقت بها في عالم ذكوري لا يعترف بوجودها ، واتخذت من الجنس ، وتسليع جسد الخدومات مادة رخيصة للبيع والشراء ، والبيعي، والدعارة ، وعشاق الطرب واللهو ، والغناء لإشباع غريزة الأسياد ، وفي مثل هذه الأجواء لا بد وأن يتراجع الاتجاه التاريخي لصالح (الاتجاه الوجودي) (3) ، حيث الغربة ، والعبث، والتمزق ، والضيق ، ولعل أهم ما يميز هذا العالم أنه عالم فوضوي " غير مستقر ، غير منتظم ، وغيرمنطقي ، فكل العلاقات العاطفية والجنسية في الرواية ، سواء كانت علاقاتالحب الفاشلة ، أو علاقات الخيانة والبعاء ، أو العلاقات الشاذة الأخرى . كلها تشكل صورة لعالم مأزوم مشوه فوضوي ، مبتذل ، تافه ، متناقض ،موبوء، وهذا هو عالم الرواية بشكل عام " (4)

لذا نهضت الرواية على فكرة مسبقة ، وأخذت الكاتبة تروج لها من البداية حتى النهاية بما يعزز البطولة الفردية ، حيث حظيت العبدة تعويضة باهتمام ملحوظ من قبل الكاتبة ،وأفردت لها مساحة واسعة من الفضاء السردى لتقود الحدث الرئيس وتدفعه إلى الأمام دون منازع ، وما ظهور الشخصيات الأخرى إلا ظهورا عابرا ، تنطق بأفكارها ، وتدور في فلکها ، وهذا يجعلنا نميل إلى الرأي القائل : " إن الرواية تستمد عقدها من فكرة -الكاتبة - التي تستند إلى موقف فردي متأثر بالفلسفة الوجودية ، وهذه الفكرة هي التي حددت نهاية الرواية قبل أن نصل إليها ، لأن ثمة أفكارا سابقة جعلت من هذه النهاية حتمية بالضرورة ،ومن هنا كانت الشخصيات

(1) نبيل، راغب : 1988 ، الشكل الفني عند نجيب محفوظ ،الهيئة المصرية العامة ،القاهرة ،ص 115 .

(2) مجاهد ،أحمد : 1998 ، أشكال التناص الشعري، الهيئة المصرية العامة، القاهرة

(3) انظر، العشماوي، محمد زكي :1986، دراسات في النقد الأدبي المعاصر دار النهضة، بيروت ، ص61.

(4) الزعبي ، أحمد : 1986 ، في الإيقاع الروائي ، دار الأمل ، عمان ، ص 105

المختلفة عندما للشخصية المركزية تلقي الضوء عليها وتبرزها غير أن الشخصية المركزية محكومة بصيغة جبرية إلى الفكرة العامة⁽¹⁾

إن ارتكاز الرواية على رؤية مسبقة أحادية الجانب تتناقض مع متطلبات الحياة المعاصرة من ناحية ، وما تدعو إليه الكاتبة من الثورة على العبودية وعدم الإذعان لسلطة الرأي الواحد من ناحية أخرى . يتضح ذلك جليا ، حينما بني الحدث الرئيس على علاقة عاطفية وفردية بين الجارية تعويضة بوصفها الشخصية المحورية ، وبين السيد محمد بن شتوان ، وهي علاقة محرمة وغير معترف بها بحسب الأعراف السائدة ، وقد أخذت على عاتقها مسؤولية هذا الاختيار وهي تعلم علم اليقين بأنه سيقودها إلى الموت . عند هذا الحد " تقعد الكلمات معانيها ، وتكف أن تعني شيئا ، فتصبح لا مبالية بالمعنى ، وتتحول إلى أشياء إلى وحدات صوتية خالية من المعنى بوصفها انتزعت ، إنها تتجنس أو تتشأ (2) " وعلى هذا النحو ، تصبح العلاقة بين الشخصيات غير سوية ، ويجد الاغتراب تربة خصبة لنموه وتبرعمه بمختلف أشكاله وأنواعه وهو ما سنتحدث عنه لاحقا .

أولا - الاغتراب الذاتي :

من أكثر المصطلحات تداولاً وانتشاراً في الدراسات النقدية الحديثة ، ومن أشد أنواع الغربة وطأة وتأثيراً على الذات ، ويعني انفصال الذات عن ذاتها وطموحها وإرادتها ، لتقع فريسة جلد الذات ، والعزلة ، وكأنها في حالة غياب وسكر ، فلم تعد الذات على وعي بذاتها ، حتى تشعر بأن " هذه الذات هي مصدر عذاب الغريب وبلواه ، وهي قدره ومصيره الذي لامفر منه ، إنه لا يستطيع السيطرة على هذه الذات ، لأنه في حالة خصام دائم معها ، ولهذا فإننا نميل إلى القول بأن علاقة الغريب بذاته علاقة اغتراب ، وهي حالة خاصة تعني إحساس الإنسان بأنه لا ينتمي إلى هذه الذات تماما ، مثلما يشعر الإنسان أنه لا ينتمي إلى هذا الوطن⁽³⁾ " ونظرا " لهذا الانسحاق الذاتي الذي يعانيه - الغريب - فإن هويته تتحلل ، فيفقد ارتباطه بالمجتمع ، ويمعن في استعذاب هذه العزلة ، مؤكدا رغبته في تعذيب الذات والزيادة في تعريبها بشكل مازوخي " (4)

تتجلى ملامح هذا الاغتراب بوضوح في إنكار العبد (تعويضة) لاسمها الحقيقي ، وتخفيها وراء اسم (عمتي صبرية) خوفا على ابنتها (عتيقة) من بطش الآخرين ، حيث جرت العادة ، قتل الأسياد لجميع الأطفال الذين يولدون في الزرايب ورميهم في القمامة للقط والكلاب تأكلهم . وللتدليل على ذلك نقطف المقطع التالي : " عملت عند الآخرين ، وتخفت في اسم وشخص جديدين في الزرايب ، وخبأت أمومتها لابنتها خوفا عليها من شر الجنة والناس " (5)

انفتح الحكي على راو عليم بضمير الغائب (ذو التبئير الصفر) ، مجهول الهوية والاسم ، ولا نعرف عنه شيئا ، ولا عن مصدر معلوماته ، وظيفته الإخبار عما يشاهده ويعاينه ، وما تتناقله الألسن وتراه الأعين ، فاختر حدثا قاسيا يثير الخوف والرعب تصل عقوبته إلى حد الموت دون أن يكون له دور فاعل . فليس أصعب على المرأة من أن تتكرر لهويتها ، وطبيعتها التي خصها الله بها دون البشر وهي الأمومة . لتعيش ابنتها محرومة الرعاية والحنان ومنزوعة الجذور . بلا أم ولا أب ولا نسب . لذا جاء المشهد مكتظا بالأفعال الماضية - عملت ، تخفت ، خبأت - التي تقيد الاستمرارية لنقع الذات فريسة الماضي والحاضر معا . " فتتذكر

(1) السعافين ، إبراهيم : 1987 ، تطور الرواية العربية الحديثة ، ط2 ، دار المناهل ، بيروت ، ص 453 .

(2) فضل ، صلاح : 1995 ، بلاغة الخطاب وعلم النص ، الشركة المصرية ، القاهرة ، ص 234 .

(3) حماد ، محمد حسن : الاغتراب عند أبي حيان ، مرجع سابق ، ص 67 ، ثم انظر ، زعرب ، صبحية عودة : 2005 ،

(4) جماليات السرد في روايات غسان كنفاني ، درا مجدلاوي ، عمان ، ص ، 108 ، 109

(5) بن شتوان ، نجوى : 2016 ، زرايب العبيد ، دار الساقى ، بيروت ، 337

الشخصية لحظة إنسانية موعلة في الماضي وذات تأثير سلبي على المشاعر ، لكنها تؤثر إيجابيا في تطور الفعل نحو الأمام ، حيث تستقرئ مشاعرها وأحاسيسها ومن ثم تربط هذا التذكر بالعوامل الداخلية للشخصية الرئيسية ، غير أن ضمير الصيغ بضمير الغائب.... ربما لأن فرص الحديث عن النفس معدومة

في مثل هذه المواقف المأزومة ، لذا تكفل الراوي باستقراء الأفكار الداخلية لهذه الشخصية وعرضها للمتلقي برؤيته هو ⁽¹⁾ يبدو ذلك حين تخاطب العبد (عيدة) خادمة بيت ابن شتوان الكبير عتيقة بنت تعويضة بنيرة انفعالية مشحونة بالتوتر والقلق لتكشف عن المسكوت عنه فجأة : " تعويضة أمك - أمك ، وليست عمك صبرية ، أمك وليست عمك " ⁽²⁾ توظف الكاتبة هنا بنية التكرار لكلمة أمك في كل عبارة وتجعل منها محورا رئيسا للتركيز على العنصر الأهم ، وهو تكرار يعكس الإصرار والإلحاح على المطلوب لعبارة منفية دلالية لإثبات حكاية أخرى على النقيض من ذلك . لهذا جاءت كلمة أمك متبوعة بكاف الخطاب لذات بعينها مما يصعد من وتيرة الصراع الدرامي . ولكن مالذي جعل الخادمة عيدة تبوح بالمستور ؟ ولماذا لم تخبرها بهذه الحقيقة حينما كانت أمها على قيد الحياة ؟ في اعتقادنا أن عيدة نفسها مشاركة في الخطيئة أكثر من الأم تعويضة .

وما يهمننا في هذا المقام ، ليس تغيير الاسم أو تبديله بأخر ، إنما دلالة هذا التغيير الذي يشي بافتقاد عتيقة لهويتها الحقيقية ، فهي مولودة لخادمة زنجية مشكوك فيها ، وأب ليبي باهت الحضور لم نسمع له صوتا ، ولم نعر عن مسؤوليته أو اعترافه بهذا النسب المشبوه ، لذا كانت الحقيقة منقوصة من طرف العبد (عيدة) التي لم تجرؤ على نسب الأبوة ، أو تسويغ تصرفها ، لأنها تعلم أن ذلك يكلفها حياتها في عرف الأسياد ، عدا أنه إعلان يشي بنصف الحقيقة انسجاما مع صورة الغلاف . مما جعل الذات تعاني اغترابا مركبا ذاتيا واجتماعيا ، فالأب مجهول ، والأم غير معترف بها وهما العنصر الأساسي في تشكيل أية هوية ، الأمر الذي يؤدي إلى استلاب الذات وضياعها . إن تغيير الاسم وتبديله نجد صداه في رواية (عائد إلى حيفا) لغسان كنفاني ، حين استبدل اسم خلدون العربي باسم دوف اليهودي . وقد سارت على هذا المنوال أيضا ، الكاتبة المصرية رضوى عاشور في رواية (ثلاثية غرناطة) حيث تحول اسم سليمة المسلمة إلى جلوريا ألفاريز النصرانية ، وابنتها عائشة إلى إسبيرانزا ليتحول كل شيء إلى نقيضه .

ويبدو أن الكاتبة هنا تناقش قضية فلسفية ، وهي قضية الالتزام الأخلاقي تجاه الآخرين ، يحيلنا هذا المضمون إلى رؤية الفيلسوف الألماني نيتشه حينما قارن بين أخلاق الأسياد ، وبين أخلاق العبيد في قوله : " لا تتحدد انطلاقا من مجرد تناقض آني سيزول ، وإنما هو اختلاف يصر على عدم تجاوزه ، فالسيد المختلف عن العبد الطبقي أو الاجتماعي ليس هو السيد بالمعنى التقاضي لأنه يؤكد ذاته بنفيه للعبد " ⁽³⁾ أليس هذا ما نراه اليوم في عالمنا العربي ؟ إ حيث تواجه الأمة العربية خطر الإبادة ، والوباء ، والفقر ، والجهل ، والتهجير . حيث حول سادة العالم الجدد الإنسان إلى عبد يباع ويشترى كالدابة ليظل أسير الوحدة والعجز ويبقى الاغتراب ملازما له . وهكذا فحدود الرواية الزمنية لا تقتصر على تجارة الرقيق في أواخر العهد العثماني كما يشير العنوان ، وإنما يمتد إلى الحاضر وربما المستقبل .

يقول (إمبرتوايكو) في هذا الصدد: " إن العمل على تطوير الفكر ، لا يعني رفض الماضي بالضرورة ، إنما نعيد فحصه ليس فقط بهدف معرفة ما قيل فعلا ، ولكن بهدف معرفة ما كان يمكن أن يقال ، أو على الأقل ما يمكننا قوله الآن بناء على ما قيل سلفا " ⁽⁴⁾ أمام هذا الواقع العبي ، لم تجد عتيقة من ينصت لها فتكفئ على ذاتها لتبوح بما لا تبوح به أمام الآخرين ، وتعب عن أفكارها

(1) المؤتمر الأول للقصة القصيرة : 2007، نادي القصة، القاهرة ، ص 69

(2) بن شتوان ، نجوى الرواية : ص 167

(3) ولد عبد المالك، البكاي: 2011 ، نيتشه ، الفكر الجماهيري ، بنغازي، ص 45

(4) انظر ، حماد ، حسن محمد ، مرجع سابق ، ص 69

، ومكابداتها النفسية والشعورية المدفونة دون وساطة . ولنقرأ ما يدل على ذلك : " صرت فعلا يتيمة ، فقدت جذري في الحياة ، وأنا أفقدها ، إنها كانت أُمي طيلة العمر وليست عمتي ، وأنها خبأت نفسها لتخبئني هروبا من الأذى ، وخوفا علي من شر الخلق " (1)

أول ما نلاحظه على هذا الاستدعاء هو غلبة ضمير الأنا المتصل والمنفصل بوصف الذات صاحبة التجربة ، وغياب الضمير هو الدال على الرجل بوصفه المسؤول عن هذه المعاناة (صرت- فقدت - أنا) وهي تقنية تقوم على التداخي الحر وتنتمي إلى حقل الفقد ، حيث تتخيل الذات أنها تتحدث مع ذوات أخرى فتجذر عمق الشعور بالغبرة الذاتية من خلال الألفاظ التي تتصل ببياء المتكلم - جذري ، عمتي - أُمي - تخبئني - حتى نكتشف بأنها تتحدث مع ذاتها بعدما أدركت عدم جدوى الاتصال بالآخرين ، وهذا هو الاغتراب الذاتي وهو أسمى أنواع الاغتراب . (2)

وهكذا " يتكلف راوي قصة الخطاب بالحكي بضمير المتكلم ، وهو يحيى قصته الذاتية ، إنه ذات السرد ، وموضوع يحكي لنا قصة هو بطلها ومحورها ، ولما كان كذلك ، فهو الفاعل الذاتي كصوت سردي ، يقوم بترهين خطاب قصته من خلال ضمير المتكلم " . في ضوء هذا المنظور ، فالشخصية هنا لا تعاني اغتربا ذاتيا فحسب بل مكانيا يرتبط بالقتل ، والاغتصاب ، والخطف ، واليتم . وهو " اغتراب يتعلق بعدم إقرار الشخص بمشاعره ورغباته وأفكاره إلى الحد الذي تصبح فيه مكبوتة وغير مميزة " (3) ويواصل السرد تأطير ملامح الاغتراب الذي تشعر به عتيقة ، فعلى الرغم من شدة وطأة الفقد والألم الذي تشعر به ، وعدم أفراد مساحة واسعة لها من الفضاء السردي ، نجدها على وعي كامل بسرد تفاصيل سيرة أمها (تعويضة) وما تعرضت له من عذابات على يد تجار العبيد، وعشاق الجسد ، وتجار الدين الذين يمثلهم الفقيه ، دون أن نعلم مصدر معلوماتها خاصة أنها لم تعاصر حياة أمها (تعويضة) . ولعل الكاتبة هنا تلقي مسؤولية تأطير التاريخ على الأجيال القادمة من ناحية ، والتمرد على أشكال العبودية من ناحية أخرى .

يسعفنا (ميشال بوتور) في تفسير هذا الأمر قائلا " يبدو أن ما يقص علينا الروائي لا يمكن التثبت من صحته ، وما يقوله لنا يجب أن يكفي لإعطاء كلامه مظهر الحقيقة ، فإن على الرواية أن تكفي بإظهار ما تحاورنا به، لهذا كانت أسمى حقل للحوادث الحسية ، وأسمى بيئة تظهر لنا الحقيقة فيهالهذا كانت الرواية مخبر القصة " (4) ويمضي السرد في تأطير ملامح الاغتراب الذاتي ، ولا يقتصر الفقد على موت الزوج ، والأم ، وفقد الأحبة والأهل والوطن ، بل يصل الاغتراب الذاتي ذروته حينما تشعر العبد (تعويضة بأنها في مكان غير معترف بها ، وأن وجودها مرهون برؤية الآخرين وموقفهم منها بما فيهم الأصدقاء من العبيد السود الذين يعيشون معها داخل الزريبة ولم يستجيبوا لندائها . يتضح ذلك جليا ، عندما أكلت ققط الليل لحم الوليمة ، فأراد السيد محمد بن شتوان الكبير الانتقام من الخادمة تعويضة دون الخدم الآخرين ، وترك وليدها الرضيع يموت جوعا، ظنا منه بأنه ابن العبد سالم وليس ابن ولده محمد الصغير . كانت تعويضة " تبكي بحرقة ، وتتوجع وتتأذى دون مجيب ، صغيرها يصرخ يريد الرضاعة ، وهي معلقة من يديها تسمعه وتراه دون قدرة على افتكاكه من الجوع والظما ، عيدة يا أختي أنقذيني ، سالم أيها الرجيم ، أين أنت ، ولدي يموت أمامي " (5) إن ارتكاز الكاتبة على الشخصية المركزية واعتمادها على موقف فردي لعلاج قضايا عامة يتناقض مع الهدف الرئيسي للرواية ، فبالرغم من المساحة الواسعة التي تحظى بها الجارية (تعويضة) فلم تقدمها الكاتبة من خلال وعيها إنما

(1) بن شتوان، نجوى : الرواية ص 168.

(2) يقطين، سعيد : 1997 ، تحليل الخطاب الروائي ، ط3 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ص 379

(3) البدراني ، حميد عبد الوهاب : 2014 ، الشخصية الإشكالية ، دار مجدلاوي، عمان ، ص 22.

(4) بوتور ، ميشال : مرجع سابق ، ص 6.

(5) بن شتوان ، نجوى : الرواية ص 256

من خلال راوعليم يمثل الكاتبة نفسها" إن هذه الرؤية تقوم بمهمة بناء مادة الرواية بطريقة وصفية ، إنها تهدف إلى تقرير حالة قائمة فإرضة حضورها على تلك المادة دون أن تتيح للرؤى الأخرى بالظهور إلا في نطاق ضيق (1) والحقيقة أن هذا المشهد يستأهل وقفة جادة بوصفه يعبر عن ذات قلقة ، ومعذبة تشعر بالانسحاق الحاد ، والتمزق التام ، حيث يكشف الخطاب الروائي عما امتنع التاريخ عن قوله ، وتستوقفنا شبكة الأفعال المضارعة - تبكي ، تتوجع ، تنادي ، يصرخ ، يريد ، تراه - الدالة على استمرارية النبذ والإقصاء في الحاضر لنتساءل : أي قانون يسمح بقتل الأطفال أمام أمهاتهم ومرأى الآخرين ؟ وأي عالم يقتل الأطفال ليقنات عليه الكلاب والقطط؟ وأية عدالة تقتل المرأة حرقا ؟ وأي بشر يستمتعون بصراخ المرأة وعذابها ؟ لهذا أكثرت الكاتبة من الأساليب الإنشائية وبخاصة بنية النداء (يا) التي تتم عن طلب المساعدة والاستغاثة بأداة تدل على شدة قرابة المنادى - عيدة يا أختي أقديني - من ناحية ، والبنية التساؤلية التي تعتقد إلى الدفاء والحميمية من ناحية أخرى : -- سالم أيها الرجيم ، أين أنت ؟ -- وهي رؤية تدل دلالة واضحة على انحياز الكاتبة لهذه الشخصية بالذات ، علما بأن تعويضة كانت زوجة لسالم في غياب الحبيب محمد بن شتوان الذي اتخذها خلية وعشيقه له . ما يلفت الانتباه تحامل الكاتبة بصورة ملحوظة على الرجل ووصفه بالشيطان (سالم أيها الرجيم) ، وهي رؤية تفتقر إلى المنطق والإقناع ، لأنه يقع تحت حتمية ذلك القرار ويسير وفق رؤية مسبقة وتوصيفها " توصيفا فنيا للتعبير عن المعنى الذي يريد الإفضاء به إلى المتلقي ، لإثارة انتباهه أو تحفيزه لقبول الفكرة (2) ولا يخفى على القارئ استخدام الكاتبة لتقنية لعبة الضمائر المعروفة

بالالتفات الدال على القلق والحيرة والتخبط . حيث بدأ المشهد بصيغة الماضي ، ثم انتقل صيغة الحاضر ، ثم انتقل من ضمير الغائب (هي ، وهو) إلى ضمير (الأنا) ، ومنه إلى ضمير المخاطب (أنت) حتى لم نعد نميز بين الضمائر القاهرة ، والمقهورة . وهذا التحول الضمائري ينهض على البنية الثنائية بين الأنا ، والأنت ، ومخاطبتها للآخر دون استجابة . لأن وظيفة هذه التقنية لا تتكشف إلا من خلال السياق بحيث تحقق كل صيغة وظيفة السياق الذي وردت فيه ، وكأننا أمام رواية الأخوة كارامازوف للروائي الروسي دستوفسكي حيث " ترد صيغة ما من صيغ الالتفات في سياق بعينه ، ثم ترد هذه الصيغة نفسها في سياق آخر لتشير إلى معنى آخر مقصود هو نقيض للمعنى الأول ، وهذا يعني خصوصية الدلالة في كل حالة " (3) إن أهم وظيفة قام بها أسلوب الالتفات هو ، غربة الذات عن الآخرين من ناحية ، وغربة الآخرين عن الذات من ناحية أخرى بمن فيهم الأحبة والأصدقاء من بني جلدتها العبيد.. والأهم موت القيم الإنسانية . .

وفي نقلة نوعية أخرى ، تبرع الكاتبة في تقجير بؤر ملبدة بأجواء العتمة والحزن والانكسار ، وتتسلح بمقدرتها اللغوية والفنية في انتقاء المحمولات اللفظية والواسمات الإشارية التي ترتبط بموضوع الاعتراب بوصفه " يشكل ظاهرة مصاحبة للوجود والواقع النفسي للإنسان ، وكان من الطبيعي أن تنشأ هذه الظاهرة وتتجذر مع تشعب الحضارة العربية واتساعها لعدة حضارات ، بحيث تميزت ظاهرة الاعتراب في نهاية المطاف بسمات فنية خاصة بها ، وهذا ما حاولنا استخلاصه والتركيز عليه . " (4) تجلت هذه التقنية في استدعاء أحداث ماضية تعرف بزمن القصة في اللحظة الحاضرة التي تعرف بزمن السرد وذلك من خلال التداخي ، حيث يرصد لنا السارد يوميات الشخصية يوما بعد يوم حتى نشعر بأننا أمام سيرة شخصية وأن السارد يعرف كل شيء عن ماضيها

(1) إبراهيم ، عبدالله : 1995، المتخيل السردى ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ص 129

(2) عثمان ، عبد الفتاح : د.ت ، الأسلوب القصصي عند يحيى حقي ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ص 205

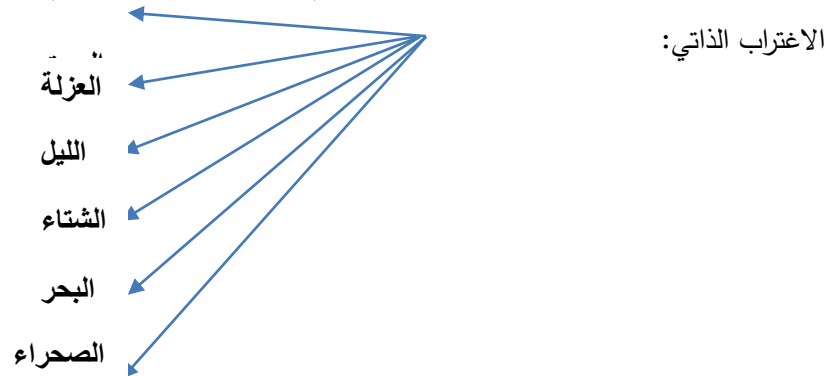
(3) إسماعيل ، عز الدين : 1990، جماليات الالتفات ، النادي الثقافي ، جدة ، ص 883 .

(4) الصايغ، وجدان عبد الإله : إله : 004 ، الأنثى ومرآيا النص ، نينوى، دمشق ، ص 288. ، انظر ، زعرب، صبحية عودة:

2017، تحليل النص الأدبي في ضوء النظريات النقدية الحديثة ، دارمجدلاوي، عمان ، ص 112، 244، 266.

وحاضرها .مستعينا بالفعل (كان + والجمل الاسمية) ، (والفعل المضارع + ضمير الغائب). يعزز هذا المنظور المقطع التالي :
كانت العزلة هنا جهنمية ، والظلام عارما، والشتاء وحشيا ، ليس ثمة ما يتقيه. كانت الكلاب والقطة والجراء والدجاج تذرع تلال الرمال ، وتقل البحر ، تقشش عما يعينها فيه ، وتموت مثلنا ، وكان قلبي يندس مثل خياطيمها ومناقيرها في ثرى الزرايب يوما بعد الآخر" (1) تفتتح الكاتبة المشهد بأداة إشارية (هنا) دالة على مكان محدد ومعروف وهو زرايب العبيد وما يحيط به ، ثم تصفه بقرائن تشبيهية واستعارية بليغة مستمدة من الطبيعة والأجواء المعتمة ، وفي مقدمتها (الليل) سليل الوحدة والغربة والخوف والرهبنة والصمت وبخاصة فصل الشتاء ولوازمه المترع بالحزن والموت والأجواء الكئيبة ، للدلالة على روح الذات القلقة وضياعاها . لذا تستأثر الكاتبة بحزمة من الصور البيانية فتقرن العزلة بجهنم والليل بالعمتة ، والشتاء بالوحشية . والبحر بالفقد وهي في مجملها تشي إلى الموت .مما يفاقم من غربة الذات النفسية ، والشعورية ، والوجودية ..

وهكذا ، تستثمر الكاتبة الرموز البانية للاغتراب الذاتي لتصوير حياة الجحيم في عالم زرايب العبيد كما يشير عنوان الرواية .



ولعلنا نلاحظ ارتباط الاغتراب برموز الطبيعة القاتلة مما دفع الكاتبة إلى تكرار الفعل (كان) مصحوبا بالجمل الاسمية الدالة على الثبات والجمود . لتسيطر اللحظة الحاضرة على المشهد . فتستثمر الكاتبة التصوير النفسي للذات ، وتقرنه بدلالات حاضرة ترتبط بإيقاع موت الكائنات العاقلة وغيرالعاقلة ظمأ وجوعا تماثلا مع موت رضيعها ، وتمدنا الأفعال (تذرع ، يندس ، تقشش ، تموت) باستمرارية ظاهرة الموت وتكرارها في الماضي والحاضر معا ، مما أدى إلى قبول الذات للموت واعتباره أمرا عاديا . وهو ما يعرف بالاغتراب الذاتي " وهو اغتراب يتعلق بعدم إقرار الشخص بمشاعره ورغباته وأفكاره إلى الحد الذي تصبح فيه مكبوتة وغير مميزة " (2) لهذا نجد الكاتبة تجمع بين الألفاظ (خياطيم الكلاب ومناقيرالدجاج) وبين قلب الشخصية في صورة تراسلية فتمزج بين الحسي والمعنوي . (قلبي يندس في ثرى الزرايب) .(3) معتمدة على تقنية التشخيص والتجسيد ، فتماثل بين القلب الذي أضناه الموت ، وبين الكائنات التي أضناها الجوع ، وهي صورة لا تتعدد كثيرا عن الواقع المأساوي الذي تعيشه المرأة اليوم .حيث يرمز الكلب والجراء إلى صورة الرجل في ذهنية المرأة ووعيها .أما القطة والدجاجة فتشي إلى صورة المرأة لسهولة انقيادها . وهكذا " حين ينصهر الطرفان في بوتقة الاستعارة ، ينبثق من انصهار الطرفين دلالات جديدة ، هي مزيج من دلالات الطرفين متجمعة ، أي بمعنى أن يظل كل طرف محتفظا بدلالاتها القديمة مضافا إليها الدلالات المستجدة " .إن أهم ما يميز هذا المشهد المأساوي خلوه من أية إشارة زمنية ، فالزمن يكاد يكون معدوما ، لذا فالشخصية الرئيسة هنا تمثل اللاشخصية و اللابل ، كشخصيات كافكا ، لأنها على حالة واحدة من بديء الرواية حتى نهايتها، وزمن القصة في الماضي ، لا يختلف على زمن السرد في الحاضر . ليصبح الحاضر نسخة طبق الأصل من الماضي . وهذا هو الزمن الوجودي الذي يمكن أن ندركه من خلال المدركات المادية المحسوسة

(1) بن شتوان : الرواية : ص 235

(2) البدراني ، حميد عبد الوهاب : الشخصية الإشكالية ، مرجع سابق ، ص 22

(3) الصايغ، وجدان عبد الإله : 2004 ، الأنثى ومرايا النص ، نينوى ، دمشق ، ص 139 .

، وحيث إن الذات تعيش زمنا قهريا يتناغم مع الاستعباد ، وعممة الليل ، وجذب الرمال ، وغدر البحار ، فهي تسير في دوائر مغلقة سرمدية . لتصبح غربة الذات مركبة : زمانية ، ومكانية ، واجتماعية ، ونفسية .

" لذلك فالتركيز على الحاضر ، يعطي بعدا وجوديا ... وهو بعد يدخل في انسجام تام مع مضمون الضياع ، فليس هناك بعد زمني يوحي بتجاوز الحاضر إلى المستقبل وحتى داخل الرواية نفسها لا يمكننا أن نتنبأ بما يمكن أن يقوم به البطل ... فكل ما هنالك لوحات متتابعة تصور معاناة الوجود المر . (1) ونظرا لكثرة المشاهد التي ترصد مظاهر الاغتراب الذاتي بأشكاله ومرجعياته المختلفة ، سنحيل القارئ إلى الصفحات المعنية لمتابعتها حتى لا نقع في رتابة الإطالة والتكرار الممل . (2)

ثانيا : - الاغتراب الوجودي :

تمثل الغربة الوجودية عصب الرواية وأساسها ، وهي غربة مأساوية درامية ، تستمد مشروعيتها من الواقع وما يفرزه من قضايا فكرية معقدة ، وتساؤلات فلسفية إشكالية ، ترقق حياة الإنسان وذهنه ، يدور أغلبها حول الحياة ، والموت ، والوجود ، والهوية ، والحرية للبحث عن الحقيقة . فكلمة " وجود هي إحدى مرادفات كلمة الواقع ، بيد أنها اتخذت وجها جديدا ، بفضل التوكيد الذي أكده (كيركجارد) فأصبحت تدل على ما أنا إياه بصورة أساسية في نظري ... غايتها أن توجهني نحو هذا اليقين الذي ليس يقينا عقليا ، ولا معرفة موضوعية ، بل نحو هذا الوجود الذي لا يمكن لأي شخص أن يؤكد لذاته ، ولا لذوات الآخرين " . (3) فإذا كانت شخصيات الرواية منزوعة الهوية والانتماء والنسب ، وتعيش في عالم فوضوي ، وعنصري ظالم يخلو من القيم الأخلاقية والدينية والإنسانية . فأى يقين ، وأية حقيقة سنبحث عنها ؟ إن أهم ما يميز الغربة الوجودية هو شعور الغريب بالعبثية ، واللامعنى ، والعدم . وهو ما يدورحوله مضمون الرواية . حيث جنحت الكاتبة إلى أسلوب التفلسف واعتماد الرؤية الفردية التي تقبل التأويل والتعدد ، إن أهم ما يتميز به هذا الأسلوب ، أنه " يؤدي بمن يعتقد أنه إلى مجموعة من الآراء شديدة التباين حول العالم وحياة الإنسان فيه " (4) ومن خلال استقرائنا لهذه الرؤية ، نتبين ملامح الغربة الوجودية في سلسلة العذابات التي كانت تتلقاها العبدة تعويضة خارج الزرايب في المكان الجديد (دار المومسات) على يد عبدة أخرى " تجرعت نعويضة الكأس بغية أن يحقق الله أملها في الموت " (5) تتم هذه الرؤية عن عبثية هذا العالم وعدم منطقيته فتختار الموت كخلاص من الظلم ، فتخاطب ذاتها في سيل متدفق من اللاوعي العشوائي مستندة على بنية تساؤلية خارجة عن الحكمة والعقل والمنطق قائلة " لماذا يحصل لي هذا؟ ماذا فعلت من ذنب أستحق بسببه هذه السلسلة من العقوبات واللعنات؟ " (6)

أول ما نلاحظه على هذا الصراع الداخلي ، أنه لا يخص طرفين متناقضين ، بل يرتبط بعنصرين متمائلين في النوع والجنس . فليس ثمة اضطهاد بين سيد/ وعبد ، أو أبيض / وأسود بل بين عبد/ وعبد . امرأة/ وامرأة . يقول سارتر في هذا الصدد " ما يجري

(1) الحميداني، حميد: 1985، الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ص 381

(2) انظر، ص: 344، 341 ، 26 ، 123 ، 346 ، 336 .

(3) انظر ، العشماوي، محمد زكي ، : ص 26 ، ثم انظر ، حماد، محمد حسن الاغتراب عند أبي حيان ، مرجع سابق ، ص 69

(4) حماد ، محمد حسن : المرجع نفسه ، ص 64

(5) الرواية : ص 290

(6) نفسه : 293

على ذاتي يجري على الغير ، وكما أحاول أن أسيطر على الغير أو أتحرم من ريقته ، كذلك يحاول الغير أن يسيطر علي أو يتحرم من قبضتي ، فالصراع بيننا في حركة الشد والجذب لا ينقطع (1)

وإذا عدنا لمضمون الرواية وتأملنا الحوار الذاتي جيدا ، فسنجد أن رجل الدين الشيخ (محمد الفقي) هو من يشرع عمل الجاريات في دار الدعارة ويشجعه ، وفي الوقت نفسه يرخص بفتوى إجهاض الأطفال غير الشرعيين ورميهم في القمامة للقطط والكلاب ، وهي رؤية بعيدة كل البعد عن التعاليم الإسلامية ، وتحمل كثيرا من التشويه والتحاميل . ولعل الكاتبة هنا تلقي الضوء على النظام العالمي الجديد الذي يتخذ من الدين قناعا لاسترقاق الشعوب واستعمارها . وبخاصة استعباد المرأة تحت شعار تحريرها . وهي رؤية لا نجد لها مبررا سوى أن القوي هو صاحب السلطة فالعبد الشوشانة التي تشرف على هذه الدار مستعبدة من قبل الشيخ الفقي ، وهي بدورها تمارس هذه العبودية على من أضعف منها . ورغم ذلك ، إن مثل هذه التساؤلات المتصارعة تشكل بذرة وعي (تعويضة) بوجودها لكنها لا تجرؤ بالإفصاح عنه انسجاما مع البنية المحورية الكبرى التي يقوم عليها عنوان الرواية وهي (الصمت) . وفي الوقت ذاته تشكل " تساؤلا استفهاميا استنكاريا ، ينطوي على شعور بالاحتجاج والسخرية والرفض ولا منطقية هذا الكون الذي يفنق إلى المنطق أو التنظيم أو الإقناع هو وجود عبثي يدفع الإنسان إلى حالة من الاغتراب والعبث التي يعاني منها الإنسان في العصر الحديث " (2). يبدو ذلك واضحا حينما تشعر الذات بأن الحياة لا معنى لها . " وتصبح حياتها أو موتها على السواء أكثر هدوءا ، كانت تزداد صموتا ، وإعياء ، وعزلة " (3) ليس هناك شك ، من أن رؤية الراوي العليم للحياة هنا ، تصور نزعة فلسفية وجودية ، وهي اللامبالاة ، والشعور بالعدمية فليس ثمة إحساس تجاه الحياة أو الموت أو الوجود برمته ، ما دام كل شيء أصبح مباحا . وقابلا للبيع والشراء " وربما يكون الإحساس بالعبث والقرف الوجودي ، والوحدة والخواء ، والموت في الحياة هو الإحساس الرئيسي الذي يسيطر على أجواء الرواية من أولها إلى آخرها . يقول مورياك بهذا الصدد : إن يأس الإنسان المعاصر قد تولد بسبب قناعته أن العالم تافه عبثي . " (4)

وهل يختلف هذا المضمون عن صورة العالم الذي نعيشه اليوم ؟ ألم يحول الرجل الغربي الأبيض الإنسان الأفريقي الأسود إلى دابة يباع ويشترى ؟ ألم تمثل واقعة قتل جورج فلويد الأمريكي الأسود على يد الشرطي الأمريكي الأبيض كمدا وكتما لأنفاسه بالصورة على شاشات التلفزيون مثلا صارخا لعنصرية النظام الأمريكي وساديته ؟ وهو ما يعد إسقاطا لرجل العالم الغربي الأبيض ، و تجار الرقيق المستغلين .

وتتكرر مشاهد الاغتراب الوجودي وتعمق ويصل حده حينما يصبح الانتحار خيارا لا بديل عنه ، وراحة نفسية من عبث الحياة " أريد سما ، أريد أن أموت ، أخرجوني من هنا " (5)

لعلك تلاحظ تكرار لفظة بعينها ، تدل على الرفض القاطع للعيش في مكان له دلالة خاصة في امتهان كرامة المرأة وحققها في الوجود ، ولا تجعلنا الكاتبة ننتظر طويلا لمعرفة هذه الدلالة ، فيأتي الرد على لسان الجارية عيدة : " إنها حقا جارية بحكم من الله ،

(1) الصباغ ، رمضان : فلسفة الفن عند سارتر ، مرجع سابق ، ص 45

(2) الزعبي ، أحمد : في الإيقاع الروائي ، مرجع سابق ، ص 100

(3) ابن شتوان ، نجوى : الرواية ، ص 302

(4) الزعبي ، أحمد : المرجع السابق ، ص 98

(5) ابن شتوان ، نجوى : الرواية ، ص 298

لكنها ليست مومسا كما يريد لها البعض ، إنها مبعدة قسرا عن رجل أحبته، وبيت نشأت فيه واعادته ثم باتت عودتها إليه مستحيلة ، فأين ستمضي إن تمكنت من الفرار من الماخور " (1)

والحقيقة ، أن حالات الفقد المتكررة ، تشكل الأثر الأكبر في تعميق حالة الضياع الذي تعاني منه (تعويضة) ، فقد الحبيب، وفقد المكان، وفقد الأمومة ، وفقد الابن ، وفقد الوطن ، وفقد الأهل ، وفقد الأحبة ، وفقد الأصدقاء ، كلها صعدت من وتيرة الاغتراب الذي تعايشه الذات . وهي فكرة مسبقة نهض عليها البناء الروائي منذ البداية . فبدأت الأحداث روتينية مملة أفقدت الرواية عنصر المفاجأة لذا لا " نجد أية قيمة أو وسيلة للتغلب على العبث والاغتراب والخواء الذي يفوح من كل مكان ، وينبعث من كل زمان ، وينطوي عليه كل حدث أو مشهد من مشاهد الرواية " (2) في ضوء ما سبق ، أثارت الكاتبة قضايا فلسفية عدة ، تستمد سندها من الثقافة الوجودية التي لمسناها عند بعض الوجوديين ، مثل : سارتر، وت.س. إليوت ، وألبير كامو، وكولن ويلسون . ففي قول الذات (أريد أن أموت) ، (وأريد سما) ، (جارية بحكم الله) نزع فلسفية وجودية وهي أن الإنسان ملقى في هذا العالم دون سند خارجي ، وأن ما يحدث له قدرا ومقدورا لا حول له ولا قوة ، لذا عليه أن يتقبل الموت برضى وشجاعة للخلاص من الاغتراب والعبثية . وهي رؤية تتم عن أن كل ما يحصل للإنسان يقع تحت طائلة القدرية والحتمية كما يرى (مورباك) والذي عارضها بشدة سارتر بوصفها تشل حركة الإنسان وإرادته(3) . وأمام هذا الواقع المأساوي، لم يبق للذات سوى طريقتين : " إما أن تظل وفيه لئاسها ومؤمنة بوحدها على طريقة ألبير كامو ، وإما أن تقوم بوثة إيمانية تتجاوزها اغترابها على طريقة كيركجور . وقد اختارت -تعويضة- اللجوء إلى الله طريقا تعبر منه من اليأس إلى الأمل ، وهذا ما اعتبره ألبير كامو هروبا وفرارا من اليأس، وأطلق عليه الانتحار الفلسفي" (4) يتجلى هذا المعنى بوضوح حينما لجأت (تعويضة) إلى الله وأخذت تتناجيه بعبارات لا تخلو من اليأس والألم حينما أمرتها مسؤولة الدار (الشوشانة) أن تلقي بطفل غير شرعي في القمامة فهربت بهذا الطفل لتربيه عوضا عن رضيعها الشرعي الذي قتل على يد السيد ابن شتوان ، ثم اختارت (مفتاح دقيق) اسما له . تيمنا بالفرح ، وجلب الخير . من هنا اكتسب اسم تعويضة دلالة أيضا . مما يدل على أن الكاتبة لا تختار الاسم صدفة لشخصياتها ، وإنما لدلالة معينة .

تخاطب (تعويضة) الطفل اللقيط قائلة " أنا وأنت ليس لنا أحد في هذا العالم سوى الله ، سنمشي حتى تشرق علينا الشمس ، ويسمع الله دعواتي..صحيح أن الله لن يستجيب لعاهرة ، لكنه يعلم أنني جعلت عاهرة وجارية ولم يكن شيئا باختيارى .أنا لم أقرر شيئا لي ، أنا عاهرة سوداء ، وأنت لقيط أبيض" (5) تستثمر الذات التماثل بينها ، وبين الطفل اللقيط غير الشرعي ، فكل منهما منزوع الهوية والجذور والانتماء، ووجد نفسه في عالم دون اختياره . . وهي رؤية وجودية قدرية" قائمة على تفكير معين لحقيقة وجود الإنسان في هذا الكون فهو ملقى به في هذا العالم دون أن يختار وجوده ، ولهذا وجب أن يؤكد بطولته ، ويتحدى القدر الأعمى بمواجهة الموت ، هذا المصير المحتوم برضى وشجاعة . " (6)

إن هذه الرؤية القدرية تشل حركة الإنسان وإرادته نحو التغيير ، وتخلق فكرا اتكاليا ونماذج مكرورة وممسوخة ، وكأن العبثية قوى غيبية وقدرا ومقدورا لا يجوز التمرد عليها ، لذا يقوم المشهد السابق على صيغة (الأنا) مقرونا بواو المصاحبة للضمير أنت

(1) نفسه : ص 293

(2) الزعبي ، أحمد : مرجع سابق ، ص 105

(3) انظر الصباغ ، رمضان : المرجع السابق ، ص 292

(4) انظر ، حماد، محمد حسن : مرجع سابق ، ص 69

(5) بن شتوان، نجوى : الرواية ص 310

(6) لحميداني ، حميد : مرجع سابق ، 375

للدلالة على التماثل الوجودي والهموم المشتركة . فالضمير (أنا) يتوحد مع الضمير (أنت) في عدم النطق ، والقدرة على الحديث ، ليصبح أنا المتكلم هو ذاته أنت المستمع . وهو ما يعزز بنية الصمت ، التي نهض عليها عنوان الرواية وغلافها .

الأنا — جارية — عاهرة — سوداء — غير معترف بها ، بلا هوية

أنت — لقيط — أبيض — غير معترف به — ابن عاهرة — بلا هوية .

لا شك أن الكاتبة هنا تماثل بين ضياع تعويضة وسقوطها والذوات المشابهة لها في عالم الرذيلة ، وبين ضياع الأجيال ومستقبلها . ثم تسعى إلى تبرير هذا السقوط بأنه مقدر ومكتوب ، مما يساهم في ضبابية تحديد المسؤولية تحديداً دقيقاً ، فنجدها تلجأ إلى تقنية التماثل من ناحية ، والتضاد من ناحية أخرى ، انسجاماً مع شخصيتها المتناقضة وما يعترّتها من مشاعر متباينة . فتحاول أن تلتقط المعاني الإنسانية من مستنقع الانحطاط الأخلاقي ، سعياً إلى تأسيس بنية النفي لتؤكد عدم مسؤوليتها عن الوضع الذي وصلت إليه ، وهي رؤية غير مقنعة أوقعت الكاتبة في مزالق سطحية الاتجاه الوجودي . حيث لم نعرش على علاقة عاطفية سوية ، فجميع العلاقات العاطفية والجنسية غير سوية ، وتتسم بالخيانة والغش بوصف المرأة مادة لإشباع رغبة الرجل فحسب ، وهنا يحضرنا السؤال التالي : هل تبدو مقنعة المسحة الإيمانية والرجوع إلى الله على لسان امرأة عاهرة ؟ في اعتقادي ، قد يكون ذلك مقبولاً مجازاً وليس واقعاً . لأنها شهادة على ذلك العصر لنقده ، وتجاوزه في المستقبل .

من هنا تصبح العلاقات بين الشخصيات جميعاً ، علاقات مشوهة ، وفي صراع مستمر لا يتوقف دون تغيير يذكر . خاصة حينما أصبح الجنس واجباً وضرورياً وليس أمام المرأة من بدائل أخرى . حيث كانت أغلب المشاهد التي تصور الجنس تشي بالرضى ، والنشوة . وهو ما أدى إلى تعشي ظاهرة الجنس بصورة مبتذلة ومقرزة . وهذا المنظور وجدنا صداه من قبل في رواية (نجمة) للروائي الليبي خليفة حسين مصطفى حيث كان الجنس رافداً للأول والأخير .

لذا فاستخدام فعل المستقبل القريب - سنمشي وأن شمس الحرية ستشرق - لا جدوى منه ولا قيمة له . لأن الذات لا تملك القدرة على التنبؤ أو التغيير ، وأن دلالة الشمس تفارق الواقع المعتم ، وفي الوقت ذاته تخالف الرؤية القدرية التي استندت عليها الكاتبة منذ البداية . مما يدل على أن صراع الذات ليس صراعاً مع القدر ، " بل أصبح بين الإنسان والواقع ، تتحكم فيه عوامل البيئة والوراثة ، وقوى القهر والظلم في المجتمع ، فقد يصارع نظاماً جائراً ، أو طبقة مستغلة ، أو حاكماً ظالماً ، بالإضافة إلى وجود الصراع الداخلي بين الإنسان ونفسه " (1) .

إن تعاطف الكاتبة مع الأطفال الأيتام ، والفقراء من ناحية ، والفقراء من ناحية ، والتزامها بالنزعة الفلسفية الوجودية من ناحية أخرى قد أوقعها في مزالق . ففي الوقت الذي نجد فيها تدين الفساد والقهر ، نجد أنها تتحاز إلى علاقة الذات برمز من رموز هذا الفساد متخذة من الفلسفة الماركسية بنية فنية لرؤيتها تارة ، والاتجاه الوجودي تارة أخرى ، وهو ما جعلها أسيرة التخبط والتشويش مما دفعها إلى الفلسفة الإسلامية الروحية أسوة بالفلاسفة : (ابن سينا ، وأبي حيان التوحيدي ، والفارابي) أملاً في تحقيق العدالة ، والحياة الكريمة المنشودة . حيث تضعنا مباشرة ودون مقدمات أمام محمولات لسانية مثقلة بالدلالات والإشارات السيميائية الإيحائية من خلال مشهد وصفي ، ينم عن طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة في مجتمع ، تحكمه مسطرة العادات والأعراف التقليدية الصارمة ، ، وذلك حينما قرر السيد (علي بن شتوان) زيارة منزل عتيقة بنت الجارية تعويضة ، وأخبرها ابنها بأن ثمة رجل يريد مقابلتها ، فاستأذنت زوجها (يوسف) للحديث معه " ومعها كم هائل من التساؤلات ، مدت عنقها من وراء الستار الذي ينسدل على الباب ، حتى صارت في منتصفه ونظرت من يكون الرجل . كان واقفاً أمام البيت مديراً ظهره للباب باتجاه الشارع " (2)

(1) العشري ، أحمد : 1992 ، البطل في مسرح الستينيات ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ص 64

(2) بن شتوان ، نجوى : الرواية ، ص 10

يكشف المقطع الوصفي السابق عن حياة زوجية مستقرة ، فليس ثمة صراع بين المرأة والرجل . ، فعتيقة تعمل ممرضة في مستوصف ، وتعين زوجها العجوز الذي أحبه ، و هي راضية ومقتنعة بوضعها الاجتماعي ، ولا تجرؤ على الحديث مع رجل غريب دون أن تستأذنه ، وهنا نقلة نوعية في النظرة إلا المرأة مخالفة لما وجدناها سابقا . فقد أصبحت المرأة قيمة إنسانية للحنان والعطاء . وليس مادة للجنس . وتمدنا دلالة (الستار) الذي يعني الحجاب بتعزيز بنية التباعد، والانفصال بدلا من التفاهم والتقارب، أما موقف الرجل خارج الباب فتكمن دلالاته في تكريس بنية التناقض بين عالمين : عالم الأسياد / وعالم العبيد . إذ أنه لم يتحدث مع الزوج ، ولم يطلب مقابلته ، بل خصص الحديث مع عتيقة بالذات ومن خلال الستار ، ومديرا ظهره للباب . لقد اختارت عتيقة الانصياع لطاعة الزوج والاستسلام للأمر الواقع مع من بني جلدتها عن الحرية والاستقلالية مع الآخرين ، " ما دامت المرأة بصفة عامة موسومة بالنقص والقصور في إطار نظرة المجتمع الأبوي الذكوري ، فهي تفضل أن تحتمي بوصاية رجل واحد على أن تشيع الوصاية عليها لكل من يحيط بها " (1) لهذا لم تجد أمامها سوى طرح جملة من التساؤلات الاستنكارية التي تتم عن الاعتراب الوجودي الثقافي والاجتماعي . معا . لنقرأ معا ما يدل على ذلك :

- من أنت ، وماذا جئت تريد؟ - أريد أن أتكلم مع عتيقة بنت تعويضة .

- ومن أنت؟ - أنا علي بن شتوان . - من؟ - هلا سمحتي لي بالدخول؟

- لا أستطيع أن أدخلك ولا أن أسمعك ، أنت غريب عني وليست بي حاجة لحديثك ، لا تقلقني بشيء ، لم يعد ثمة جدوى " (2) إن هذا الحوار يندرج تحت إطار سؤال الهوية . فعتيقة ولدت لأب تجهل ، وأم لا يعترف العالم بوجودها . وفي هذا المقام سؤال الهوية يطرح نفسه بقوة على السرد (من أنت؟) ، لذا نجده لا ينسب عتيقة للأب بل لجارية سوداء عبدة (عتيقة بنت تعويضة) ، من خلال أسلوب إنشائي يقترب من استنكاري يتسم بجمل مقتضبة ، يغلب عليه بنية النفي بجميع أدواته الدالة على الخواء ، وعبث الحياة ، والعدمية ، دون أي اعتبار عن قدسية المكان ، أو الضيف ، أو الزمان ، أو أي شيء . (لأستطيع، لا أسمعك ، ليست بي حاجة ، لا تقلقني ، لم يعد). وهكذا " فالجمل الاستفهامية بسؤالها وجوابها مطبوعة بأدوات تحدد معنى الاستفهام ، موسومة بالترتيب المحكم والتوليد المعنوي الخصب ، والإخبار الجاري بين متكلم و سامع " (3) وفق هذا المنظور، يكشف الحوار السابق عن استباق إعلاني يثير الدهشة والاستغراب ، تمهيدا لحدث رئيسي لقصة لم تكتمل أبعادها . في ذهن المتلقي . "سأضع لك على العتبة (كاغذك) (4) الشرعي لتأخذينه.... وقال: . سلام الله عليك يا عتيقة بنت محمد بن امحمد بن عبد الكبير بن علي بن شتوان . هذا حقا رد إليك فخذه ولا ترديه " (5) لعلك تلاحظ اشتراك الكاتبة وعتيقة في اللفظ نفسه ، مما يدل على تماثل القرائن التوصيفية للاعتراب بينهما ، لتكون عتيقة هي ذاتها المؤلفة ، ففتها في ذاكرتها جملة من التساؤلات الاستنكارية التي تفتح جراح الماضي وعذاب الحاضر فتسأل بنبرة حادة " لماذا تتكأ جراحي يا حاج علي ؟ لماذا تطل الحكايات بعد فوات أوانها ؟ هل لتصحيح ما ورد فيها ، أم للاعتذار؟ " (6) تدخل الذات في دائرة جديدة من الوعي باستدعاء الماضي في لحظة آنية حرجة ، حيث يمثل حضورهوية النسب الآن غيابها في مجتمع يعرف بصراع الهويات القاتلة اعلى حد قول الكاتب المهجري المعروف (أمين معلوف) " التي تقوم

(1) البدراني ، حميد عبد الوهاب : مرجع سابق ، ص 22

(2) بن شتوان ، نجوى : الرواية ، ص 10

(3) المؤتمر الأول للقصة القصيرة : مرجع سابق ، ص 88

(4) تعني وثيقة النسب الشرعية

(5) بن شتوان ، نجوى : الرواية ، ص 11

(6) نفسه : ص 12

على التعصب والتطرف ، وتنطوي على نزعة قبلية بغیضة مفرطة في تعصبها العرقي أو الديني ، هدفها إزاحة الآخر واستئصاله⁽¹⁾. يتمثل هذا المعنى حينما عرفت الهوية بمسميات عنصرية ثنائية وقبلية مثل: أبيض/أسود، رجل/ امرأة ، عربي/ زنجي . وهو ما أدى إلى تدهور الهوية الذاتية وخلختها . " القاع مليء بما تعجز عتيقة عن وصفه ، ونادرا ما كانت . تتكلم مع أحد ، يوازي ذلك الصمت حديث طويل مع الروح عن قلق الهوية ما بين أسمر وعينان لوزيتان ، وحزن ليس له انتماء إلى دم محدد⁽²⁾ وهنا تتعمق أزمة الهوية بين أب عربي لا تستطيع التصريح به ، وزوج زنجي لا يعترف به مما يجعل وجوده غير مرغوب به ، وإن وجد فهو مهدد بالقتل أو الطرد. أليس القتل على الهوية والتهجير القسري هو ما نراه اليوم؟

ولذلك فإن السؤال في تشكيلاته المتعددة والمتباينة ، سؤال هوية متوترة ، " تبحث عن سبيل إلى التقدم في تعارضها العلاني مع آخر يبدو أنه يفرض عليها التخلف ، ولا تدرك هذه الهوية نفسها ، أو تعي حضورها على نحو ما يتجلى في سؤالها إلا في تناقضها مع غيرها وآية ذلك أن العملية التي تنفك بها شفرة الصياغة اللغوية للسؤال ليتحدد معناه في ذهن سامعه تعتمد على إطار مرجعي ، هو سياق مضمر أو معلن من التعارو هنا تتعمق أزمة الهوية بين أبضات الثنائية التي تضع الأنا مقابل الآخر ، ... كما تجعل من إثبات الآخر وحضور هويته نفيا للأنا ، وتغييبا لحضور هويتها⁽³⁾ . يبدو ذلك واضحا عندما تختل وظيفة التصور لدى (عتيقة) فستند على أم الاختيارية للتخفيف من حالة الذهول ، والتوتر الذي كانت تشعر به حين سلمها السيد علي كاغد النسب ، مستخدمة أسلوب النداء (يا حاج علي) "بوصفه يحمل دلالة الحث على الاهتمام بموضوع الكلام... والدلالة الفنية للجمل الطليبية التي تتبع النداء من حيث طبيعتها التركيبية ، كجمل قصيرة وتركيزها على المطلوب دون إطناب في الكلام⁽⁴⁾ . إن تقاوم الاعتراب الذي تشعر به عتيقة ، يوازي قلق الشعور بالهوية الحقيقية التي تفتقدها . لهذا تحاول أن تتصل بالأشياء التي تحقق لها ملكية الانتساب إلى الهوية المفقودة بدلا من البشر . "إنها عباءة أبيك .. إن اسمه مطرز عليها بالرسم العثماني . هذه عباءة أبيك حين كان يتزين ويتجمل ردت إليك وهي من حقل⁽⁵⁾ لا شك أن لفظ (الرسم العثماني) يمدنا بالعصر العثماني ، أما رمزية العبءة فترتبط بالزري الإسلامي والماضي الجميل الذي يرتبط بلقاء الأحبة ، وقد احتفظ بها الحاج علي ليسلمها إلى عتيقة . وحيث أنها كانت أمانة ، فيجب أن تسلم الأمانة لأصحابها من الأجيال اللاحقة ، للمحافظة على تراث الآباء والأجداد ، اعترافا بهويتهم وحققهم في الوجود . ولعل كاف الخطاب (أبيك ، إليك ، إليك) تعزز أحقية الذات بهذا التراث وملكيته له . إن أهم ما تقوم عليه هذه الرؤية هو ، أنها اختزلت الهوية في الزري الخارجي . فالعبءة ترتبط برجل يعد رمزا للفساد ، وعتيقة زوجة رجل زنجي غير عربي ويعمل في الإرسالية الإيطالية ، ولا يعيراهتماما للتراث العربي الإسلامي . مما يشي أن الذات تحتفظ بهوية ذاتية مغلقة . لا تتعدى عالمها الضيق والمحدود " إن التركيز على الأشياء لا يكون مقصورا في حد ذاته بقدر ما يعد الإرادة والرغبة والإصرار على تحديد الهدف ، وبدافع هذه القوة يتولد التركيز على الأشياء ، بوصفها عوائق تحول دون الحركة الحرة ، وبدافع هذه القوة ، يكون الإصرار على انطلاقة الفكر التي تعد الخطوة الأولى لتأكيد الذات⁽⁶⁾

في ضوء ما سبق فغربة الكاتبة هي غربة أي مثقف على مدى العصور أينما كان ، وإن بلغت ذروتها في العصر الحديث حيث

(1) عصفور ، جابر 2010 ، الهوية الثقافية والنقد الأدبي ، دار الشروق ، القاهرة ، ص 85

(2) بن شتوان ، نجوى ، ص 12

(3) عاشور ، رضوى : صيادو الذاكرة ، مرجع سابق ، ص 142.

(4) الحداد ، عباس يوسف : 1994 ، الأنا في الشعر الصوفي ، دار المحور ، سوريا ، ص ، 118 .

(5) بن شتوان ، نجوى : ص ، 340

(6) إبراهيم ، نبيلة : 1990 ، التشكيل الجمالي في أدب طه حسين ، مجلة فصول المصرية ، مج 9 ، ع 1 ، ص ، 49 .

استبدلت العبودية القديمة ، بعبودية جديدة أشد ضراوة وشراسة ، وأصبحت سلوكا يوميا تمارس في العمل ، وفي الشارع ، وفي البيت . وقد حاولت الكاتبة أن تبني ما هدمه الواقع من خلال الإبداع ، لكنها لم تستطع مستتدة على وعي الأجيال القادمة في المستقبل دون حل يذكر .

الخاتمة :

بعد أن تجولنا في أروقة الخطاب الروائي الموسوم ب...زرايب العبيد للمبدعة الليبية نجوى بن شتوان بحثا عن الاغتراب ودلالاته البانية له ، وأثره في تشظي الذات وتمزقها ، كانت حصيلة هذه الدراسة جملة من الملاحظات التي تتم عن رؤية نقدية ذاتية ، تقبل التقويم والتعديل . وتتلخص فيما يلي :

- اعتمدت الكاتبة في توثيق التاريخ على فلسفة إيديولوجية ذاتية خاصة ، فسلطت الضوء على رؤية الفقراء والضحايا ، والمهجرين ، والمهمشين الذين تتصدرهم المرأة ، استنادا على ذاكرة الجدات ، والمشاهدة والمعاناة ، بعيدا عن الوثائق الرسمية التاريخية ، وهي رؤية معاصرة ، يتعلم منها القارئ أكثر مما يتعلمه من التاريخ . حيث استدعت الكاتبة تاريخ العبودية القديم ، لتميط اللثام عما لم يذكره التاريخ من ناحية ، ولتقارن بين عبودية الأمس وعبودية اليوم من ناحية أخرى .

- برعت الكاتبة في استدعاء ذاكرة تاريخ منسي ومهمل لعلاج قضايا معاصرة ، وهي رؤية فلسفية تنظر إلى الزمن بأنه ثابت ، جامد ، تكاد تنعدم فيه جميع وسائل الحركة والتغيير ، مما جعله يتسم بالتأملات الفكرية ، والرؤى الوجودية العميقة ، والصراعات النفسية ، التي تعتمد على المهادنة ، فالفساد والظلم ، والفقر ، والقتل ، والاعتصاب ، قيم ترفضها ، وفي الوقت نفسه تشعر بالنشوة ، ولا تجرؤ على فعل التغيير ، وتكتفي بطرح تساؤلات استنكارية ، تخص مغزى الحياة ، والموت ، والعقيدة ، وهي تساؤلات استمدت حضورها من الشعور بالدونية ، والعجز ، والانكسار ، والاغتراب ، وانهايار القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية مما جعل الذات تشعر بأزمة وجودية قاتلة ، وتختار الموت برضى وشجاعة عن الحياة في عالم عبثي لا معنى له .

- نسجت الكاتبة خيوط الخطاب الروائي من سيرتها الذاتية والفكرية ، وأخذت الرواية تعج بالاتجاهات الفلسفية ، التي نشتم منها رائحة الاتجاه الماركسي تارة ، والاتجاه الصوفي تارة أخرى ، غير أن الاتجاه الوجودي كان الأكثر هيمنة على معظم مشاهد السرد ، حيث كان لنشأتها وإقامتها خارج موطنها دور كبير في شعورها الدائم بالاغتراب الذي لمسناه عند بعض الوجوديين مثل: جان بول سارتر ، وألبير كامو ، وت. س. إليوت ، لكن الكاتبة خالفت رؤية هؤلاء الفلاسفة للتخلص من الاغتراب واقتربت من رؤية كيركيورفي التوجه إلى الله ، والتضرع إليه بدلا من الوحدة والعزلة .

- نهض عالم الرواية على الثنائيات الضدية، وتحكمت المفارقة في جل مشاهد السرد ، ومن أهم هذه الثنائيات: الحياة / والموت، السيد/العبد ، الأبيض/ والأسود، الصمت / الصوت .قديم/ حديث ، حرية / عبودية . وهي في أغلبها تحمل معاني التناظر والانفصال ، حيث كشفت المفارقة عن سلبيات العالم القديم إبان العهد العثماني ، وإيجابيات العالم الجديد إبان الاحتلال الإيطالي ، وهي رؤية تفتقد إلى الموضوعية وتجعلنا نتساءل : ألم يكن إعدام البطل عمر المختار من قبل الاستعمار الإيطالي ثمنا للحرية وفرارا من العبودية ؟ وأي حقوق في وطن محتل يباع فيه الإنسان ويشترى كدابة ؟ جدير بالملاحظة ، أن الكاتبة قد أشركت بعض الحيوانات مثل القطط والكلاب في انتهاك حقوق الإنسان مما يدل على

حقيقة أي محتل استعماري . وهكذا فتحت المفارقات المجال واسعا أمام رصد تناقضات النفس البشرية ، وما يعترها من مشاعر متباينة ، كما يشير العنوان .

- نهضت الرواية على فكرة مسبقة من البداية حتى النهاية من خلال الشخصية المركزية (تعويضة) ، حيث حظيت باهتمام ملحوظ من قبل الكاتبة ، وأفردت لها مساحة واسعة من السرد ، وجعلت الشخصيات الأخرى تدور في فلكها ، وهي رؤية تتناقض مع متطلبات الحياة المعاصرة ، وما تدعو إليه الكاتبة من التمرد على السلطة الأحادية ، علما بأن عتيقة بنت تعويضة ، الشخصية الثانوية ، هي التي قامت بسرد المسكوت عنه . كما بنت الحدث الرئيس على علاقة عاطفية محرمة في الأعراف والتقاليد السائدة بين السيد محمد بن شتوان / والعبدة تعويضة ، وقد أخذت على عاتقها مسؤولية هذا الاختيار ، رغم الظهور الشبهي للرجل الذي أحبته ، وهي تعلم علم اليقين بأن اختيارها سيقودها إلى الموت ، وهي رؤية تستمد وجودها من الثقافة الوجودية المسبقة ، والتي حددت نهاية الرواية قبل أن نصل إليها ، وأفقدتها عنصر الدهشة والمفاجأة . جدير بالملاحظة أن الكاتبة لم تستند على معطيات الوجودية الغربية استنادا حرفيا ، بل سارت على نهج خاص بها . حيث ارتبط الاغتراب بتجربتها الخاصة ، وهذا ما أوقعها في السطحية أحيانا .

- حققت الكاتبة بعض التفرد في استخدام التقنيات الفنية لإبراز صور الاغتراب ، وأزمة الهوية في المستويين : ففي المستوى التركيبي، لجأت إلى تقنية سرد اليوميات أسوة بسارتر في رواية الغثيان ، والبناء الملحمي الذي ينسجم مع واقع فوضوي غير مستقر . كما لجأت الكاتبة إلى جملة من البنيات اللسانية مثل: التكرار، والنفي ، والنداء، والالتفات ، والتساؤلات الاستنكارية الملحة الدالة على الحيرة والقلق والتوتر . دون أن نسمع صوتا للمرأة فهناك من ينوب عنها دائما ، وذلك لتعميق بنية الاغتراب .

أما على المستوى الدلالي ، فقد اهتمت الكاتبة بتقنية القرائن التشبيهية التماثلية بين البشر ، والكائنات غير الناطقة التي تصب في بوتقة (الصمت) وفقا لدلالة العنوان . كما استندت الكاتبة على قرائن استعارية مستمدة من عناصر الطبيعة والأجواء المعتمة وفي مقدمتها الليل ، سليل الصمت ، والخوف ، والرعب ، ، والشتاء ولوازمه المترع بالحزن ، والأجواء الكئيبة الدالة على ضياع الذات وقلقها . كما برعت الكاتبة في تقجير بؤر ملغمة بالفقد ، مثل البحر ، وهي في مجملها تشي بالموت . مما يفاقم من غربة الذات النفسية والمكانية والزمانية والوجودية . لتصوير حياة الجحيم داخل زرايب العبيد وخارجها . مما جعل الشخصية الواحدة تحمل أكثر من صورة للاغتراب في آن واحد . نتيجة قائمة الممنوعات والمحذورات التي يفرضها المجتمع .

- ارتبط الاغتراب بالفلسفة ارتباطا وثيقا وبخاصة الوجودية ، وقد بينت الدراسة أنها وليدة الواقع وما أفرزه من تدهور للقيم الأخلاقية والإنسانية ، ولم تقتصر على النخبة الخاصة من الفلاسفة ، بل امتدت إلى العامة أيضا ، غير أنها لم تلق قبولا لدى القارئ بسبب المفاهيم الخاطئة التي تخص العقيدة الدينية ، علما بأنها تفتح المجال واسعا أمام الوعي والمعرفة والتأمل والفكر . فلولا الشعور بالاغتراب والضياع ، لما بحثت عتيقة عن الحقيقة ، والهوية المطموسة لإثبات نسبها .

لذا يمكننا القول ، إن تجربة الكاتبة الليبية المبدعة (نجوى بن شتوان) من أكثر التجارب الإبداعية اقترابا للواقع ، وانتماء إلى أدب الاغتراب . فاغتراب الكاتبة هو اغتراب أي متقف يعارض القيم السائدة ، ولا يستطيع أن يتقبلها في أي عصر من العصور ، ويدفع

حياته ثمنا لها . لقد استطاعت الكاتبة بناء اتجاه نقدي نسوي خاص بها ، يرفض جميع أشكال العبودية أملا في بناء فردوس أرضي ، يسوده المحبة ، والحوار ، والتسامح ، والتعدد والاختلاف ، والتفاهم ، والعلاقات الإنسانية السوية ، لكنها ألفت مسؤولية التحرر والتمرد على أشكال العبودية على الأجيال القادمة دون حل يذكر . وهواتجاه لا يمكن تحقيقه ، وسيظل رهين الانتظار في المستقبل . .

مصادر البحث ومراجعته :

- 1- إبراهيم، عبدالله: 1985، المتخيل السردي، المركز الثقافي العربي، بيروت .
- 2- إبراهيم ، نبيلة: 1990، التكيل الجمالي في أدب طه حسين ، مجلة فصول المصرية، مج 9، ع1،
- 3- البدراني ، حميد عبد الوهاب: 2014، الشخصية الإشكالية، دارمجدلاوي، عمان ، الأردن .
- 4- أبو عزة ، محمد: 1425، من النص إلى العنوان ، علامات، ع53، جدة .
- 5 -إسماعيل، عز الدين : 1990، جماليات الالتفات ، النادي الثقافي ، جدة .
- 6- إيجلتون ، تيري : 1985، الماركسية والنقد الأدبي، مجلة فصول المصرية، مج15، ع3 .
- 7- بوتور، ميشال: 1996، بحوث في الرواية الجديدة ، ط3، منشورات عويدات، بيروت .
- 8- ابن منظور : 2003، لسان العرب ، دار الحديث، القاهرة .
- 9- بن شتوان ،نجوى : 2016 ، زرايب العبيد ،دار الساقية ، بيروت .
- 10 -بنكراد ، سعيد : 2003، سيميولوجية الشخصيات السردية ، دار مدلاوي، عمان ، الأردن .
- 11 - توفيق، سعيد :2015، أزمة الإبداع في ثقافتنا المعاصرة ، الدار اللبنانية المصرية ، القاهرة .
- 12 -جعفر ، عبد الوهاب :2004، الفلسفة واللغة ، ط2، دار الوفاء، الإسكندرية .
- 13 - الحداد ،عباس يوسف:1994، الأنا في الشعر الصوفي، دار الحوار، سوريا . -
- 14- الحفني ، عبد المنعم :1992، الموسوعة الفلسفية ، دار المعارف ، تونس .
- 15 - حماد ، حسن حماد: 1995، الاغتراب عند أبي حيان ،مجلة فصول المصرية، 14، ع3.
- 16 - الحنصالي، سعيد : 1995، بداية ونهاية ، دار توفيق ، الدار البيضاء .
- 17- الزعبي، أحمد: 1986، في الإيقاع الروائي ، دار الأمل ، عمان ، الأردن .
- 18 -ة زعرب، صبحية عودة : 2017 ، تحليل النص الأدبي في ضوء النظريات النقدية الحديثة ، دار مجدلاوي ، عمان ، الأردن
- 19- زعرب ، صبحية عودة : 2005، جماليات السرد في روايات غسان كنفاني ، دارمجدلاوي، عمان
- 20 - عاشور، رضوى :2016، صيادو الذاكرة ، درا الشروق، القاهرة .
- 21- زيمما ، بيير: 1985، النقد الاجتماعي،ت، عايدة لطفي، دار الفكر، بيروت .
- 22- عثمان ،عبد الفتاح: د.ت ، الأسلوب القصصي عند يحيى حقي، مكتبة الشباب ، القاهرة
- 23-عصفور، جابر: 2010، الهوية الثقافية والنقد الأدبي ، دار الشروق ، القاهرة .
- 24- العشري، أحمد: 1992، البطل في مسرح الستينيات ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة .
- 25- العمصي ، أمين صالح : 1995، الغربية والحنين في الشعر الفلسطيني ، منشورات الجامعة،بنغازي.
- 26- سعيد ، أدوارد: 2000، خارج المكان ، ت، فواز الطرابلسي ، دار الآداب، بيروت .

- 27- السعافين ، إبراهيم :1987، تطور الرواية العربية الحديثة ، ط 2 ، دار المناهل ، بيروت .
- 28- الشامي، رشاد : 1997، إشكالية الهوية في إسرائيل ، دار المعرفة ، الكويت .
- 29- الصباغ ، رمضان :2004، الفن عند سارتر ، ط2، دار الوفاء، الإسكندرية .
- 30- الصايغ، وجدان عبد الإله : 2004، الأنثى ومرايا النص ، نينوى ، دمشق .
- 31 كشيك ، محمد: 1992، ملامح البطل المغترب ، مجلة فصول المصرية ، مج 1، ع3،
- 32- لحميداني ،حميداني 1985 ، الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي دار الثقافة ، الدار البيضاء ،
- 33-- محمد، حسين علي : 1991، البطل في المسرح الشعري المعاصر، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة
- 34 - النوري، قيس : 1985، الاعتراب اصطلاحا ،مجلة الفكر، ع10، الكويت .
- 35 - يقطين ، سعيد : 1989 ، تحليل الخطاب الروائي ، المركز الثقافي العربي، بيروت .

الاساس القانوني للالتزام بالمحافظة على السر المهني

د. احمد نعمة عطية¹

¹ كلية الأمام الكاظم - قسم القانون - العراق - بغداد

ahmedatea@alkadhumi-col.edu.iq

تاريخ النشر: 2020/12/01م

تاريخ القبول: 2020/11/29م

المستخلص

هدفت الدراسة إلى تسليط الضوء على الأهمية العلمية والعملية التي نالها موضوع السر المهني من لدن الفقه والتشريع والقضاء حيث أنه يتسم بأهميتين نظرية و علمية، فمن الناحية النظرية فإن تحليل واجب المهني سواء كان موظفاً صاحب مهنة حرة ، في كتمان الأسرار التي يطلع عليها بحكم وظيفته ، يؤدي الى المساهمة جزئياً في تحليل علمي في مجال البحوث و الدراسات القانونية ، أما من الناحية الأهمية العلمية فمما لا شك فيه أن ثمة مصالح عامة متعلقة بالدولة أو بالإدارة العامة، أو خاصة متعلق بالأفراد ، و بما أن الموظف العام هو فرد مكلف بخدمة عامة ، و ملزم بأداء أعمال وظيفته ، و الحرص على القيام بواجباتها ، و من ذلك واجب الحفاظ على السر الوظيفي ، فان قيامه بإفشاء هذا السر يعد جريمة تأديبية، تستحق عقوبة تأديبية أما إذا كان السر خطيراً يلحق ضرراً مباشراً بالدولة أو الإدارة أو بفرد ، فانه قد يرتب المسؤولية التأديبية و الجنائية. وإن الحديث عن التزام الموظف بكتمان الاسرار يرتبط بتحديد العلاقة التي تربط بين هذا الالتزام والتزامات الموظف الاخرى التي عهدت له من خلال الوظيفة.

RESEARCH ARTICLE

**THE LEGAL BASIS FOR THE OBLIGATION TO
MAINTAIN A PROFESSIONAL SECRECY****Dr: Ahmed Nhma Atiya¹**¹ Private law teacher-College of Imam Al-Kadhumi - Department of Law**Accepted at 29/11/2020****Published at 01/12/2020****Abstract**

The issue of professional secrecy is considered one of the topics that have received wide attention from the fields of jurisprudence, legislation and the judiciary, as it is characterized by two theoretical and scientific importance. In theory, the analysis of the duty of the public servant to conceal secrets that he sees by virtue of his position leads to partially contributing to a scientific analysis in the field of research And legal studies, as for the scientific importance, there is no doubt that there are public interests related to the state or the public administration, or private interests related to individuals, and since the public employee is an individual assigned to a public service and is obligated to perform the duties of his job, and to be keen to carry out its duties And among this is the duty to preserve the job secret, for his disclosure of this secret is considered a disciplinary offense, which deserves a disciplinary punishment. But if the secret is dangerous and directly harms the state, the administration or an individual, then it may arrange the disciplinary and criminal responsibilities. Talking about the employee's obligation to keep secrets requires us to define the relationship between this commitment and the other obligations of the employee entrusted to him through the job.

المقدمة:

يعد موضوع السر المهني من الموضوعات التي نالت اهتماماً واسعاً من لدن الفقه والتشريع والقضاء حيث أنه يتسم بأهميتين نظرية و علمية، فمن الناحية النظرية فإن تحليل واجب الموظف العام في كتمان الأسرار التي يطلع عليها بحكم وظيفته ، يؤدي الى المساهمة جزئياً في تحليل علمي في مجال البحوث و الدراسات القانونية ، أما من الناحية الأهمية العلمية فمما لا شك فيه أن ثمة مصالح عامة متعلقة بالدولة أو بالإدارة العامة، أو خاصة متعلق بالأفراد ، و بما أن الموظف العام هو فرد مكلف بخدمة عامة ، و ملزم بأداء أعمال وظيفته ، و الحرص على القيام بواجباتها ، و من ذلك واجب الحفاظ على السر الوظيفي ، فان قيامه بإفشاء هذا السر يعد جريمة تأديبية، تستحق عقوبة تأديبية أما إذا كان السر خطيراً يلحق ضرراً مباشراً بالدولة أو الإدارة أو بفرد ، فانه قد يترتب المسؤوليتين التأديبية و الجنائية. وإن الحديث عن التزام الموظف بكتمان الاسرار يرتبط بتحديد العلاقة التي تربط بين هذا الالتزام والتزامات الموظف الاخرى التي عهدت له من خلال الوظيفة .

الإطار النظري ومناقشة نتائج الدراسة:

أولاً- الإطار النظري :

يعد الإطار النظري بمثابة العمود الفقري للدراسة موضوع البحث، حيث يمكن من تحديد العلاقة الوثيقة بين متغيرات البحث ومفاهيم موضوع البحث ، و يتضمن الاطار النظري لدراسة موضوعنا العناصر الآتية :

1-مشكلة الدراسة:

يعد موضوع الالتزام بالمحافظة على السر المهني من المشكلات المطروحة على الساحة العلمية ضمن القانون المقارن، حيث مشكلة الدراسة تنصب على معرفة فاعلية القانون المصري والقانون العراقي في مواجهة ظاهرة افشاء السر المهني، ويمكن صياغة مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية:

- 1- هل الغطاء القانوني الكافي لحماية السر المهني ، إذ لايزال يعاني من الخرق في هذا الالتزام وهو المحافظة على السر؟ .
- 2- كيف يستقيم الجزاء عند وجود جانب جنائي وجانب مدني لتكفل المساس بحرمة السر الشخصي والمهني على حد سواء في حالة وجود ضرر خاص وضرر عام والضرر الخاص هو الايذاء الذي يعتري الشخص في ذاته من خلال كشف السر للعامة دون رضاه، والضرر العام يتمثل في افشاء سر مملوك للدولة ممثلة بأجهزتها الادارية؟ .

2-فرضيات الدراسة: تفترض الدراسة:

- 1- تفترض هذه الدراسة المعالجة التقليدية للمساس بحرمة السر المهني من قبل ذوي المهن .
- 2- تفترض هذه الدراسة وجود نظام اداري لوضع برنامج استباقي من خلال تشريع تعليمات اخلاقيات المهن ومن ضمنها عدم المساس بالسر المهني ووجود تعهد من قبل المهني بذلك.

3-أهمية الدراسة:

يتسم موضوع الدراسة بأهميتين نظرية و علمية، فمن الناحية النظرية فإن تحليل واجب الموظف العام أو صاحب المهنة ، في كتمان الأسرار التي يطلع عليها بحكم وظيفته ، يؤدي الى المساهمة جزئياً في تحليل علمي في مجال البحوث و الدراسات القانونية ، أما من الناحية الأهمية العلمية فمما لا شك فيه أن ثمة مصالح عامة متعلقة بالدولة أو بالإدارة العامة، أو خاصة متعلق

بالأفراد ، و بما أن الموظف العام هو فرد مكلف بخدمة عامة ، و ملزم بأداء أعمال وظيفته ، و الحرص على القيام بواجباتها ، و من ذلك واجب الحفاظ على السر الوظيفي ، فان قيامه بإفشاء هذا السر يعد جريمة تأديبية، تستحق عقوبة تأديبية أما إذا كان السر خطيراً يلحق ضرراً مباشراً بالدولة أو الإدارة أو بفرد ، فانه قد يرتب المسؤوليتين التأديبية و الجنائية

4-منهجية الدراسة:

منهجية التحليل: اتبعنا في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي.

يستخدم هذا المنهج لدراسة المشكلات المتعلقة بالمجالات الإنسانية :

أ- التفسير بشكل علمي منظم.المنهج المذكور يعتمد عليه الباحث في جمع المعلومات الظاهرة محل الدراسة ،والبحث عن تحديد مفهوما بمستويات مختلفة.

ب- مصادر البيانات: اعتمدنا على المصادر الورقية من الكتب المنهجية والبحوث وكذلك المصادر الإلكترونية .

ج- حدود الدراسة: الحدود المكانية ، مدينة بغداد والدوائر الادارية والمهنية ذات العلاقة التابعة لها .والحدود الزمانية ، السنة الميلادية 2019-2020م.

5-هيكلية الدراسة:

تم تقسيم هذه الدراسة إلى ثلاثة مباحث، يتناول المبحث الأول فكرة العقد كأساس للالتزام بالسر المهني لدى الموظف العام والمبحث الثاني لدراسة فكرة النظام العام ضمن الاساس القانوني للسر المهني ، والمبحث الثالث يخصص لنظرية المصلحة.

6-الدراسات السابقة

- 1- دراسة كامل سلامة، احمد (1988) حيث تناولت هذه الدراسة كيفية تعامل القانون الجنائي مع فعل افشاء الأسرار المهنية .
- 2- دراسة صالح ، رافع ، الحق في الحياة الخاصة وضماناته في مواجهة الكمبيوتر ، رسالة ماجستير ، كلية القانون ، جامعة بغداد ، 1993.تناولت الدراسة جرائم الافشاء عبر الانترنت.
- 3- ابو السعود ، رمضان ، الوسيط في شرح مقدمة القانون المدني ، المدخل إلى القانون وبخاصة المصري واللبناني ، النظرية العامة للحق ، الدار الجامعية ، 1985،.

ثانياً: نتائج الدراسة:

تشير نتائج دراسة اساس الالتزام بالسر المهني إلى النتائج التالية:

- 1- إن المشرع العراقي ضمن نطاق القانون المدني ، لم يضع تعريفاً مانعاً وجامعاً للإفشاء بالسر المهني ، بل ترك الأمر للفقهاء ، حيث اكتفى المشرع العراقي بإيراد بعض النصوص القانونية التي يتضح ان الاخلال بالالتزام بالمحافظة على السر المهني يتكون من خلال فعل الإفشاء .
- 2- لم يحدد بنص صريح طريقة افشاء السر المهني بل او وسائل الافشاء تتعدد وتزيد مساحة وسائل الافشاء بزيادة مدى تطور الحاصل في جميع المجالات ، فقد يحصل البوح بالسر عن طريق شبكة المعلومات الدولية أو الاتصال الهاتفي .

- 3- إذا وردت معلومات سرية تتصف بالصفة الشخصية في عقد معين ، فلا يجوز لاطراف العقد افشاء هذه المعلومات ، ولو لم ينص العقد على هذا الالتزام .
- 4- إن الاشخاص محل الالتزام بالسرية لا ينحصرون فقط باطراف العلاقة التي مصدرها الالتزام بالمحافظة على السر المهني ، بل يشمل اشخاص الخلف العام والخلف الخاص ،
- 5- يجوز تشديد مسؤولية المهني الملتزم بالمحافظة على السر بحكم وظيفته أو مهنته من خلال الاستعانة بنظام تعديل احكام المسؤولية المهني عن الالتزام بالسرية ، وكذلك التأمين من الالتزام بالسرية .

ثالثاً: التوصيات: بناءً على النتائج التي تم التوصل إليها توصي الدراسة بالتالي:

- 1- ايراد نص صريح يحدد كيفية الأخلال بالالتزام بالسرية من خلال وضع النص على النحو الآتي (كل ما من شأنه أن يدخل المعلومات او البيانات ذات الصفة السرية المتداولة بين طرفي العلاقة -صاحب السر والمهني المؤمن على السر- في علم الغير دون رضا صاحب السر) .
- 2- جعل معيار (عدم رضا صاحب السر) هو الحد الفاصل بين افشاء الأسرار وعدم افشائها .
- 3- وضع نص من قبل المشرع العراقي يتضمن المسؤولية عن الضرر المادي والضرر الأدبي عند افشاء السر المهني .

المبحث الأول

العقد اساس التزم الموظف بالمحافظة على السر المهني

تجد نظرية العقد أساسها في اتفاق بين العميل المودع للسر والأمين المودع لديه السر ويرتكز أنصار هذه النظرية على أنها تسمح بتفسير الالتزام بالسر المهني، فالعميل يبقى سيد سره و يستطيع أن يعفي الأمين من الالتزام به في أي وقت⁽¹⁾ وقد عرّف القانون المدني العراقي العقد بأنه (ارتباط الإيجاب الصادر من أحد العاقدين لقبول الآخر على وجه يثبت تأثره في المعقود عليه)⁽²⁾ وقد عرف الفقه العراقي العقد بأنه تطابق أردنتين أو أكثر على ترتيب آثار قانونية سواء كانت هذه الآثار هي إنشاء إلزام أو نقله أو تعديله أو إنهائه⁽³⁾ و يكمن الغرض الأساسي من هذه النظرية في حماية صاحب السر، و إمكانية إعفائه للمودع لديه⁽⁴⁾. وسنتناول مفهوم نظرية العقد كأساس للسر المهني (أولاً) على أن نتطرق في تقييم لهذه النظرية، لنتائجها و الانتقادات الموجهة لها (ثانياً).

أولاً: مفهوم نظرية العقد:

عند قيام علاقة تعاقدية بين المهني كما هو الحال بالنسبة للمحامي و موكله، و الطبيب و مريضه، فإن مؤدى ذلك أن أساس الالتزام بالسر المهني هو التزام تعاقدي، هذا ما يؤكد أنصار نظرية العقد التي تقترض أن أساس التزام المهني بالسر قائم على اتفاق المؤمن و الأمين على السر. وإذا كان أنصار هذه النظرية قد اتفقوا حول الأساس القانوني للالتزام بالسر المهني، فإنهم اختلفوا حول طبيعة العقد المزعوم، فمنهم من كيفه بعقد وديعة، واعتبره فريق ثان عقد وكالة بينما ذهب فريق ثالث إلى اعتباره عقد إيجار خدمة أما الفريق الأخير فلم يحدد لهذا العقد نموذجاً تقليدياً فاعتبره عقداً غير مسمى .

1 - عقد الوديعة:

أوردت المادة (718) من القانون المدني المصري تعريفاً لعقد الوديعة ونصت على أنه: "عقد يلتزم به شخص أن يتسلم من آخر، على أن يتولى حفظ هذا الشيء وعلى ان يردّه عيناً" وعقد الوديعة من العقود ذات الأهمية الكبيرة في الحياة العملية من حيث كثرة انتشاره، واستدل أنصار نظرية عقد الوديعة كأساس للسر المهني، بما نص عليه الفصل 378 من قانون العقوبات الفرنسي القديم، التي تقابلها المادة 310 من قانون العقوبات المصري التي تتكلم عن المودع لديهم الأسرار⁽⁵⁾ وقد دُعمت هذه النظرية في فرنسا، إذ ذهب اتجاه فقهي إلى أن أساس السر المهني عامة والسر الطبي خاصة هو عقد الوديعة، فالأطباء لا يلتزمون بالسر إلا بسبب واقعة الإيداع، فالطبيب كأى مودع لديه يجب عليها المحافظة على الشيء المودع لديه، وعدم التصرف فيه إلا بإذن من المودع.⁽⁶⁾

ونسنتج أن أساس الالتزام بالسر المهني ناشئ عن عقد وديعة من نص المادة (437) من قانون العقوبات العراقي ((كل من علم بحكم وظيفته أو مهنته أو صناعته أو فنه أو طبيعة عمله بسر فأفشاه في غير الأحوال المصرح بها قانوناً...)) وكذلك نص المادة

(1) د . أحمد كامل سلامة ، الحماية الجنائية للأسرار المهنية ص 82 ، 83.

(2) ينظر في ذلك المادة (73) من القانون المدني العراقي رقم 40 لسنة 1951 النافذ التي عرفت العقد.

(3) د. عبدالمجيد الحكيم، الأستاذ عبد الباقي البكري ، الوجيز في نظرية الالتزام في القانون المدني العراقي - مطابع التعليم العالي ، بغداد 1986 ، ص 19.

(4) د. محمد عبد الظاهر حسنين :المسؤولية المدنية للمحامي تجاه العميل ، دار النهضة العربية للطباعة، سنة 1996، ص 135.

(5) ينظر في هذا المعنى :د.محمد عبد الظاهر حسنين :المسؤولية المدنية للمحامي تجاه العميل، المصدر السابق ،ص 136.

(6) أحمد كامل سلامة ، الحماية الجنائية للأسرار المهنية ، المصدر السابق ص 85.

(355) من قانون العقوبات الأردني ((كان بحكم مهنته على علم بسر وأفشاه دون سبب مشروع)) وأيضاً قانون العقوبات المصري في المادة 310((كل من كان من الاطباء او الجراحين او الصيادلة او القوابل او غيرهم مودعاً اليه بمقتضى صناعته او وظيفته سر خصوصي انتمن عليه فأفشاه في غير الاحوال التي يلزمها القانون فيها بتبليغ ذلك يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على ستة اشهر وبغرامة لا تتجاوز خمسمائة جنيه مصري.)) أي ان السر المهني مودع لدى الأمين بحكم وظيفته أو مهنته ويقابل ذلك المادة (956) من القانون المدني العراقي التي نصت على انه ((ليس للوديع أن يستعمل الوديعة وينتفع بها دون إذن صاحبها)) وكذلك نص المادة (875) من القانون المدني الأردني التي نصت على انه ((لا يجوز للمودع لديه أن يستعمل الوديعة أو يرتب عليها حقاً للغير بغير إذن المودع)) ، مما يدل على أن الالتزام بالسر هو عقد وديعة ومن جهة أخرى فان إفشاء السر والإخلال بالوديعة يرتب على كل منهما جزاءً جنائياً نص عليه في كل من المادتين (437) من قانون العقوبات العراقي والمادة (453) من نفس القانون بالنسبة للوديعة وكذلك المادتين (355) من قانون العقوبات الأردني والمادة (422) من نفس القانون بالنسبة إلى الوديعة . لذا فان أساس السر المهني هو عقد الوديعة فالموظف لا تلتزم بكتمان السر إلا بسبب واقعة الإيداع ، لأنه مودع لديه تجب المحافظة على الشيء المودع وعدم التصرف به إلا بإذن من المودع وقد لاقت نظرية عقد الوديعة انتقادات شديدة من جانب بعض الفقهاء .⁽¹⁾

وذلك لعدة أسباب نذكر منها :

- أ. إن عقد الوديعة عقد تبرعي بلا مقابل ومحله أشياء منقولة.⁽²⁾ وهذا لا ينطبق على السر إذ هو شيء معنوي وليس.. مادياً .
 - ب. إن الأشياء التي تكون محلاً لعقد الوديعة يمكن استردادها لأنها ترد على شيء منقول وملمس وذلك خلافاً للسر الذي لا يمكن استرداده ممن أؤتمن عليه او مطالبته برده .
 - ج. أن طبيعة السر تختلف عن طبيعة الأشياء ومن ثم يكون من المستحيل تطبيق أحكام الوديعة على السر ولا يلتزم المودع لديه برد السر كما يلتزم المودع لديه الوديعة بردها ، وخاصة أن الموظف قد يعلم بالسر بمناسبة ممارسة مهنته ولا يودع لديه.
 - د. إن عقد الوديعة في القانون المدني العراقي والقانون المصري وغالبية القوانين الأخرى من العقود العينية التي لا تتم إلا بالقبض وهذا لا ينطبق على السر المهني لان الموظف لا يقبض شيئاً عندما يعلم بالسر من زبونه .
- ولهذا ولكل ما تقدم هجر الفقهاء نظرية عقد الوديعة ولا يمكن الاستناد عليها أساساً للالتزام القانوني بالسر المهني لذا لا بد من البحث عن نظرية أخرى .

(1) احمد كامل سلامة ، المصدر السابق ، ص 86 .

(2) يرى الدكتور السنهوري أنه يغلب أن يكون الشيء المودع منقولاً إذ أن المنقول أحوج إلى الحفظ من العقار ولكن لا شيء يمنع من أن يودع العقار ، فيعهد شخص إلى شخص آخر بجراصة منزله مدة سفره . د. عبد الرزاق السنهوري ، الوسيط في شرح القانون المدني ، مصادر الالتزام ، ج 1 ، دار النهضة العربية ، 1964 . ص 695 .

2 - عقد الوكالة :

عرفت المادة (699) من القانون المدني المصري ، والمادة (665) من القانون المدني السوري ، والمادة (699) من القانون المدني الليبي ، والمادة (716) من القانون المدني القطري ، الوكالة فنصت على أن : (الوكالة عقد بمقتضاه يلتزم الوكيل بأن يقوم بعمل قانوني لحساب الموكل) ، واما القانون المدني العراقي فقد عرفها في مادته (927) بأنها : (عقد يقيم به شخص غيره مقام نفسه في تصرف جائز معلوم) وهو تعريف قريب من التعريف السابق ، وهكذا بقية التقنيات العربية.⁽¹⁾

طبيعة عقد الوكالة :

1 - ان عقد الوكالة من عقود التراضي من حيث المبدأ ، ولكن إذا كان محل الوكالة تصرفاً شكلياً فلا بدّ من توافر شكله القانوني ، وهذا ما نصت عليه معظم القوانين المدنية⁽²⁾، ولذلك فالوكالة في البيع والشراء ، والإجارة ، والقرض ، والصلح ، والمقاوله ، والوديعة ، والكفالة ، ونحوها من العقود الرضائية ، واما الوكالة في الهبة بالنسبة للواهب فيجب لانعقادها أن تكون في ورقة رسمية كالهبة نفسها ، والوكالة في الرهن الرسمي بالنسبة للراهن فقط يجب أن تكون في ورقة رسمية كالرهن نفسه ، وكذلك التوكيل في عقد الشركة يجب أن يكون مكتوباً ولو في ورقة عرفية وإلا كان باطلاً (م507م م) .

2 - ان عقد الوكالة من عقود التبرعات إلا إذا اشترط فيه صراحة أو ضمناً ، وهذا ما نصت عليه المادة (729 م.قطري) وبقية القوانين العربية حيث نصت على أن : (الوكالة تبرعية ما لم يتفق على غير ذلك ، أو يستخلص ضمناً من حالة الوكيل) ومن آثار ذلك أيضاً أن الأصل في الوكالة أن تكون بدون أجر ، وإذا كانت بأجر تخضع هذه الأجر لتقدير القاضي ، وهذا ما نصت عليه القوانين المدنية مثل المادة (709م.مصري) والمادة (675م.سوري) والمادة (709م.ليبي) والمادة (729م.قطري) والمادة (940م.عراقي) .

3 - عقد الوكالة من العقود غير الملزمة للطرفين من حيث المبدأ وهذا ما نصت عليه نصوص القوانين المدنية ، وبناء على ذلك فإنه (يجوز للموكل في أي وقت أن ينهي الوكالة ، أو يقيدها ، ولو وجد اتفاق يخالف ذلك ، فإذا كانت الوكالة بأجر فإن الموكل يكون ملزماً بتعويض الوكيل

عن الضرر الذي لحقه من جراء عزله في وقت غير مناسب ، أو بغير عذر مقبول) المادة : (715 م.مصري) (681 م.سوري) (715 م. ليبي) (810 م. عراقي) (735 م. قطري) وتهدف هذه النظرية إلى تقريب الالتزام بالسر من عقد الوكالة ، ففي عقد الوكالة يكون الوكيل ملزماً بالتصرف لمصلحة الموكل وبذلك ينشأ الالتزام بالسر المهني مباشرة أو بطريق غير مباشر من الواجب المفروض على الوكيل أن لا يتصرف بما يضر بمصالح موكله⁽³⁾ وأهم نقد يوجه إلى فكرة عقد الوكالة أن الوكالة تنتهي بموت الموكل أو العمل محل الوكالة في حين أن الموظف يستمر بالالتزام بالمحافظة على السر المهني حتى بعد انتهاء الوظيفة⁽⁴⁾

4 - العقد غير المسمى :

(1) السنهوري : الوسيط ط. دار النهضة العربية ، القاهرة 1964 ، ج7 ، ص 371 .

(2) مثل المادة (700) من القانون المدني المصري ، والمادة (700) م. ليبي ، والمادة (666) ؛ مدني سوري والمادة (718) مدني قطري

(3) هذا ما نصت عليه المادة (927) من القانون المدني العراقي المرقم (40) لسنة 1951 .

(4) د. علي حسين نجيدة ، التزامات الطبيب في العمل الطبي ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1990م ، 249 .

من أهم الآراء التي حاولت تأسيس الالتزام بالسر المهني على أساس العقد ، بعد عقد الوديعة ، الرأي الذي ذهب إليه الفقيه شارمانتيه ، الذي أقر بوجود عقد غير مسمى كأساس للالتزام بالسر ، منطلقاً من عدم كفاية عقد الوديعة كأساس للالتزام بالسر المهني⁽¹⁾ ، يقوم على الرضا المتبادل بين المودع والمودع لديه ، فهو عقد من جانب واحد ويجب أن يتدخل عقد من نوع آخر لإعفاء الأمين من الالتزام بالسر⁽²⁾.

5 - عقد إيجار الخدمات كأساس للالتزام بالسر المهني :

إن عقد الإيجار من عقود الائتمان ينشئ للمؤجر الحق في قبض ثمن الإيجار وينشأ للمستأجر الحق في الاستلام والانتفاع بالعين المؤجرة، وأن يكون محل الإيجار أمانة لدى المستأجر لمدة معينة ينتفع به خلالها فيما وقع عليه الاتفاق ثم يردّها للمؤجر في الوقت وبالشكل المتفق عليه ضمن عقد الإيجار⁽³⁾. وتتجسد علاقة عقد إيجار الخدمات بالسر المهني في أنّ صاحب المهنة بعد اطلاعه على المعلومات والمعارف، تنشأ عن ذلك علاقة تتضمن مجموعة من الالتزامات والحقوق على عاتق الطرفين، فصاحب المهنة يطع بحكم مهنته على المعلومات والوثائق السرية ويقدم خدماته وفقاً للإشكالات المطروحة، ومثال ذلك في مجال الملكية الفكرية فعند تجربة الاختراع لمعرفة ما إذا كان قابلاً للتطبيق الصناعي، ومدى ملائمة هذا الاختراع للشروط القانونية من طرف أهل الخبرة الفنية كرجل الحرفة، فيقوم صاحب السر أو الاختراع بالكشف عن سر اختراعه، فهناك التزامات متقابلة، في احتفاظ رجل المهنة على سر الاختراع ويؤد على الاتجاه القائل بعقد إيجار الخدمات كأساس للالتزام بالسر المهني ، أنه يترتب على عقد إيجار الخدمات الالتزام بنتيجة، بينما التزام صاحب المهنة أو المؤتمن على السر يكون ببديل عناية دون أن يتكفل بضمان نتيجة معينة⁽⁴⁾.

ثانياً: تقييم نظرية العقد :

من نتائج نظرية العقد أن رضا المودع والمودع لديه ضروري لإباحة إفشاء السر المهني ، فالإفشاء من جانب واحد غير كاف لإعفاء طلب الإفشاء من الأمين ، فهذا الأخير الحق في الإفشاء من دون عقاب⁽⁵⁾.

ولسر حسب هذه النظرية صفة النسبية فالقول بإعفاء الأمين من جانب المودع لديه بالشهادة أمام المحكمة نابع من الطابع التعاقدية ، فرض الأمين والمودع لديه يمكن من تجاوز سياج الصمت الذي يفرضه الالتزام بالسر المهني ، ففكرة النسبية هي الفكرة الوحيدة المقبولة من الناحية الاجتماعية والقانونية لاستجابتها لمقتضيات العدالة⁽⁶⁾ ومهما حاول أصحاب النظرية العقدية تفسير أو محاولة تبرير الأساس القانوني للالتزام بالسر المهني ، فإن هذه النظرية تعرضت لمجموعة من الانتقادات يمكن إجمالها فيما يلي:

1- إن القول بتأسيس السر على أساس العقد يترتب عليه بالضرورة أعمال مقتضيات المادة 161 من القانون المدني المصري حيث تنص على ما يأتي: (في العقود الملزمة للجانبين إذا كانت الالتزامات المتقابلة مستحقة الوفاء ، جاز لكل من المتعاقدين ان يمتنع عن تنفيذ التزامه إذا لم يقم المتعاقد الآخر بتنفيذ ما التزم به) ، وعليه فإنه حسب مضمون هذا النص

(1) د. محمد عبد الظاهر حسنين : المسؤولية المدنية للمحامي تجاه العميل ، المصدر السابق ، ص 138.

(2) د . أحمد كامل سلامة ، الحماية الجنائية للأسرار المهنية ، المصدر السابق ، ص 89 ، 90.

(3) عبد العزيز سعد، جرائم التزوير وخيانة الأمانة واستعمال المزور ، دار الهومة ، الطبعة 3 ، 2006 ، ص 141.

(4) د. محمود صالح العادلي ، الحماية الجنائية للالتزام المحامي بالمحافظة على أسرار موكله ، دراسة مقارنة ، الناشر دار

الفكر الجامعي الإسكندرية، سنة النشر 2003 ص 38.

(5) أحمد كامل سلامة ، الحماية الجنائية للأسرار المهنية ، المصدر السابق ص 91.

(6) أحمد كامل سلامة ، الحماية الجنائية للأسرار المهنية ، المصدر السابق ص 93 بند 57.

القانوني في حالة عدم تنفيذ أحد المتعاقدين لالتزامه يحق للطرف الآخر الامتناع عن تنفيذ لالتزام المقابل ، و هو الأمر الذي يخالف الواقع ، فالسر المعهود به إلى المحامي مثلاً لا يجوز لهذا الأخير إفشاؤه في حالة امتناع موكله عن دفع الأتعاب.

2- إن نظرية العقد تنظر لالتزام الأمين بسر المهنة ، لحظة استقباله للزبون والتفاوض معه بشأن المهام التي يرغ بهذا الزبون في تكليفه بها وكأن علاقة الطرفين تدور فحسب في دائرة الإيجاب والقبول ، ومحلا لعقد ومستلزماته متجاهلة الدور الاجتماعي ، الذي يمكن أن يقوم به صاحب المهنة ، فمثلا المحامي يمارس وظيفة اجتماعية تتمثل في إقامة العدالة و إحلالها⁽¹⁾.

إن الالتزام بالسر المهني يتم بمجرد الدخول إلى المهنة التي تتطلب كتمان الأسرار الملقاة من خلالها ، وذلك بأداء القسم بالمحافظة على السر المهني ، واستنادا إلى نصوص القانون الجنائي ، أو القوانين المنظمة للمهن وبالتالي الالتزام بالكتمان يكون قبل أي تعاقد كما ينشأ بغض النظر عن إبرام العقد.

3- إذا كانت المصلحة الشخصية لصاحب السر هي المبرر لوجوب الكتمان ، ومن ثم يكون الإفشاء مباحاً بموافقة صاحب السر ، فهذا يخالف الواقع ذلك لأن رضاء صاحب السر بإفشائه لا ينفي عنه الصفة الجرمية ذلك لإضراره بالمجتمع ، ولزعزعته للثقة المطلوبة في ممارسة بعض المهن⁽²⁾.

المبحث الثاني

نظرية النظام العام كأساس للالتزام الموظف بالمحافظة على السر المهني

إزاء قصور نظرية العقد كأساس للالتزام بالسر المهني ، وأمام الانتقادات التي وجهت إليها ، بحث الفقهاء عن أساس آخر للالتزام بالمحافظة على السر المهني، و خلصوا إلى أن أساس الالتزام به هو تعلقه بالنظام العام، الذي يحدد مصدره في المصلحة الاجتماعية ، و تحقيق المصلحة العامة⁽³⁾. إن النظام العام⁽⁴⁾ فكرة قوامها المصلحة العامة ولقد اختلفت آراء الفقهاء كثيراً في تعريف النظام العام وتحديد نطاقه ألا أنها جميعاً تدور حول المصلحة العليا للمجتمع سواء أكانت هذه المصلحة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو أدبية⁽⁵⁾. فيعتبر من النظام العام الحريات كالحرية الشخصية وحرية الإقامة وحرية التنقل وغيرها ويعتبر من النظام العام أيضاً حقوق العمال وواجباتهم وقوانين التسعير الإجباري وغيرها . ففكرة النظام العام فكرة واسعة لا يمكن حصرها في أمور

(1) د. محمود صالح العادلي : الحماية الجنائية للالتزام المحامي بالمحافظة على أسرار موكله ، المصدر السابق ، ص 17

(2) د. محمود صالح العادلي : الحماية الجنائية للالتزام المحامي بالمحافظة على أسرار موكله ، دراسة مقارنة ، الناشر دار الفكر الجامعي الإسكندرية، سنة النشر 2003 ، ص 17 .

(3) د. أسامة قايد ، المسؤولية الجنائية للطبيب عن إفشاء سر المهنة ، دراسة مقارنة ، المصدر السابق ، ص 14 .

(4) (للمزيد حول فكرة النظام العام :يراجع د. محمد عيد غريب ، النظام العام الإجرائي ومدى الحماية التي يكفلها له القانون الجنائي ، دراسة تحليلية تأصيلية لمجال النظام العام الإجرائي -الجزاءات التي تكفل حمايته في ضوء أحكام القانونين المصري والفرنسي ، وآراء الفقه وأحكام القضاء 2000م رقم 2 ، ص 7.

(5) د.انور سلطان ، مصادر الالتزام في القانون المدني الاردني ، الجامعة الاردنية ، ط1 ، عمان ، 1987.

معينه ولكن يمكن وضع أطر عامة لها تجب مراعاتها وكل تصرف مخالف لها جزائه البطلان .

وذهب العديد من الشراح إلى أن الأساس القانوني للسر المصرفي يقوم على المصلحة الاجتماعية التي دعت المشرع إلى التدخل لغرض احترام السر المهني وتحريم إفشائه ورتب على ذلك نتائج معينه تتم عن الصفة المطلقة للسر⁽¹⁾.

أولاً: مبررات الأخذ بنظرية النظام العام:

يرجع السبب الرئيسي في تجريم إفشاء السر حسب أنصار نظرية النظام العام ، لما يشكله من خطر اجتماعي عام مستقل عن النتائج التي قد تحدث للشخص صاحب السر، فالمشرع لا يتدخل لحماية مصالح خاصة أو بهدف ضمان تنفيذ اتفاق بين الأطراف إنما راعى ضرورة حماية النظام العام الاجتماعي، الذي يشكل التزاماً مطلقاً لا يتوقف عن إرادة أي من الطرفين⁽²⁾. فالنصوص التشريعية الخاصة بالسر المهني تتم عن تأييد مطلق للنظام العام ، نظراً لما ينجم عن مخالفة السر من إضرار بالمصلحة العامة. لكن الإشكال المطروح هنا أن أصحاب هذه النظرية لم يحددوا النظام العام ، هل هو مطلق لا يمكن الخروج بمقتضاه عن الالتزام بالسر حتى ولو أضر بمصلحة اجتماعية أخرى؟

أم هو نسبي يجوز مخالفته أحياناً؟ في رأيي إن المطلق أمر نادر الوجود ، و بالذات في الأحكام القانونية ، فوقائع الحياة ليست متشابهة ، إذ أن المرونة تقتضي أن تكون هذه الأحكام نسبية و ليست مطلقة و بالتالي فالنظام العام هو ذو طابع نسبي وليس مطلق .

و يرى الأستاذ محمود صالح العادلي أن للنظام العام مفهوماً مرناً فهو نظام عام داخلي أو خارجي وهذا راجع حسب الواقعة محل البحث، مثال ذلك إذا كان الطبيب أثناء قيامه بمعالجة شخص أجنبي، اكتشف أنه أحد الأفراد الذين استعانت به دولته في القيام بعملية عسكرية ضد دولة عدو ، فهنا النظام العام المقصود سيكون النظام العام الخارجي، وهل من مصلحة الدولة التي ينتمي إليها الطبيب أن يحافظ على السر، أم ليس من مصلحتها ذلك، وعلى ضوء الترجيح بين المصلحتين يلتزم الطبيب بالكتمان أو بالإفشاء و نفس الأمر ينطبق على المحامي⁽³⁾.

حيث أن المشرع قصد فرض السر على بعض الأشخاص كواجب عليهم بمقتضى الحالة والمهنة ، و تأكيداً للثقة المفروضة في بعض المهن⁽⁴⁾.

و قد أخذ الفقه الفرنسي نفس منحى القضاء، إذ أن جريمة الإفشاء بالسر المهني تعد إخلالاً بواجب قانوني يفرضه قانون العقوبات، لا إخلال بحق المجني عليه⁽⁵⁾ ، و هذا راجع لعدة أسباب هي :

1- تجنب المخالفات العديدة للسر المهني .

(1) د . أحمد كامل سلامة ، الحماية الجنائية للأسرار المهنية ، المصدر السابق ص97.

(2) د. محمد عبد الظاهر حسنين ، المصدر السابق ، ص 139 و 140 .

(3) د.محمود صالح العادلي ، المصدر السابق ، ص49 .

(4) د . أحمد كامل سلامة ، الحماية الجنائية للأسرار المهنية ، المصدر السابق ص99.

(5) د. أسامة قايد ، المسؤولية الجنائية للطبيب عن إفشاء سر المهنة ، دراسة مقارنة ، المصدر السابق ، ص 14 .

- 2- تجنب التدخل المتزايد للدولة في القضايا المرتبطة بالسر المهني عامة و السر الطبي خاصة ، فنظرية السر المطلق تمنع المحاكم من التدخل في تقدير كل حالة على حدة.
- 3- كان للقسم الطبي لأبقرات أثره الكبير في اعتبار السر الطبي التزاماً قانونياً و قاعدة شرف مطلقة لدى الأطباء مما أكد لديهم وجوب احترام ما يعهد به إليهم من أسرار⁽¹⁾.

ثانياً: النقد الموجه إلى نظرية النظام العام : رغم وجهة هذه النظرية فقد تعرضت بدورها لمجموعة من الانتقادات نجملها في النقاط الآتية:

- 1- لم تحدد هذه النظرية المقصود بالنظام العام الذي يختلف حسب التطورات الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية و الأخلاقية، كما يختلف باختلاف الزمان و المكان ، ومن مجتمع لآخر⁽²⁾ .
- 2 - يؤدي إعمال هذه النظرية إلى انتهاك حق مودع السر في إفشائه أو الترخيص بإفشائه، فالمفهوم المطلق للكتمان ينسحب على مودع السر والأمين عليه في نفس الوقت، وبذلك يكون إفشاء السر محظوراً حتى ولو كان بناء طلب صاحبه، لأن الالتزام بكتمانها لا يقبل الإسقاط لتعلقه بالنظام العام.
- 3- لم يحدد أنصار هذه النظرية ما المقصود بالنظام العام، وهل هو مطلق لا يمكن الخروج عليه بصفة مطلقة حتى ولو تعلق الأمر بصاحب السر نفسه، مما يجعل الأمر متناقضاً فالأصل أن السر مقرر لمصلحة صاحب السر ولا يمكن الاحتجاج بالسر في مواجهته.
- 4 - إن تأسيس الالتزام بالسر المهني على النظام العام يعطي للمهني فرصة للاحتواء خلف الصمت المطلق لحماية نفسه من أي دعوى قد تقام ضده سترًا لخطئه المهني ، ودفاعاً عن مصالحه الشخصية لا عن مصالح العميل، و بذلك يتمكن من الإفلات من المسؤولية ومن ثم تؤدي هذه النظرية إلى الابتعاد عن الهدف الأساسي الذي من أجله تقررت حماية السر المهني⁽³⁾.
- 5- تحول هذه النظرية أحياناً دون تحقيق العدالة ، فوجب الكتمان المطلق يمنع التبليغ عن الجرائم ، في حين أن المصلحة العامة تقتضي الكشف عنها حماية للمجتمع⁽⁴⁾ .

المبحث الثالث

نظرية المصلحة المزدوجة كأساس لالتزام الموظف بالمحافظة على السر المهني

تعتبر نظرية المصلحة المزدوجة ، الأنسب لتبرير الحماية الجنائية للسر المهني ، حيث أنها تتجاوز عيوب النظريتين السابقتين ، و تتميز بالمرونة الكافية التي تجعلها موجهة لقاعدة الكتمان لمصلحة المجتمع، حيث أنها تبرر حالات يكون فيها الإفشاء ملحاً، نظراً لوجود مصلحة اجتماعية، تفوق المصلحة الاجتماعية من تجريم إفشاء الأسرار ، و تتلخص نظرية المصلحة في أن حماية القانون لسر المهنة، تستند إلى مصلحة أقرها القانون في كتمانها، و من ثم إذا وجدت في إفشاء سر المهنة مصلحة أعلى و أسمى

(1) د . أحمد كامل سلامة ، الحماية الجنائية للأسرار المهنية ، المصدر السابق ص 100 ، 101.

(2) د. موفق علي عبيد ، المسؤولية الجزائية للأطباء عن إفشاء السر المهني ، مكتبة دار الثقافة و التوزيع عمان ، سنة الطبع 1998 ، ص 84 .

(3) محمد ربيعي ، حماية السر المهني في مجال التوثيق ، مقال منشور بمجلة الإشعاع العدد 33 ، يونيو 2008 ص 96.

(4) د. أسامة قايد: المسؤولية الجنائية للطبيب عن إفشاء سر المهنة ، دراسة مقارنة ، المصدر السابق ، ص 16.

من المصلحة في كتمانها ، و يعترف بها القانون، فإنه يقوم سبب لإباحة الفعل المجرم، و يضيف على فعل الإفشاء صفة مشروعة يجعله مباحاً⁽¹⁾.

وقد ذهب أنصار هذه النظرية إلى أن السر المهني يهدف إلى تحقيق حماية مزدوجة حيث أنه يقوم بحماية المصلحة الخاصة لصاحب السر في علاقته بالمهني هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنه يهدف إلى حماية المصلحة العامة للمجتمع بما في ذلك حماية المهن الحرة ذاتها وضمان قيام المهني بممارسة مهنته على نحو أفضل من أجل الصالح العام⁽²⁾ لذا فإن علة حماية السر لدى صاحبه تكمن في اعتبار السر جزءاً من الحرية الشخصية المكفولة بموجب الدستور وان لهذه الحرية جوانب عديدة منها ما يتصل بالجانب الشخصي أو الجانب الاجتماعي للشخص أو حتى الجانب المالي، وفي نفس الوقت يمكن اعتبار علة الحماية القانونية لسر المهني في حماية المجتمع والمصلحة العامة ذلك لان إفشاء السر يخل بالنقطة العامة الواجب توافرها في ممارسة المهنة ، وإذا كان مضمون هذه النظرية يشير إلى امتداد الحماية القانونية إلى الحرية الشخصية باعتبار ان السر يشكل جزءاً مهماً منها ، وفي ذات الوقت حماية المصلحة العامة لذا لابد من التطرق بشيء من التفصيل حول الحرية الشخصية والمصلحة العامة باعتبارهما محلاً للحماية القانونية .

الفرع الأول : الحماية القانونية للحرية الشخصية :

رغم ما أكدته وماتوصلت إليه لجنة الخبراء في المجلس الأوروبي بصددها بحثها لمسألة حقوق الإنسان ، حيث انتهت إلى أنه لا يوجد مفهوماً عاماً متفق عليه لحرمة الحياة الخاصة سواء في التشريعات أو على مستوى القضاء ، أو من ناحية الفقه . والحق في الحرية الشخصية أو الحياة الخاصة يرتكز على عنصر الخصوصية والخصوصية في اللغة هي ما ينفرد به الإنسان لنفسه دون غيره من الأمم والأشياء وتكون حرمة الحياة الخاصة هي التي يختصها الإنسان لنفسه بعيداً عن تدخل الغير⁽³⁾

و يطلق عليه أيضاً اسم «Droit à la vie privée» ويسمى الحق في حرمة الخاص⁽⁴⁾ . «Droit à l'intimité» والحق في الالفة «Droit Au Secret» الحقيالسرية. «Droit à l'inviolabilité de la vie privée» ، والحق في حرمة الحياة الخاصة «Doit de l'individu à la tranquillité»⁽⁵⁾ و حق الفرد في المحافظة على فرديته «La tranquillité» .protégersapersonne. ، والسكينة وتعني أيضاً حائط الحياة الخاصة،

وقد ذهب جانب من الفقه إلى تعريف الحرية الشخصية من حيث أهميتها على أنها المصدر الأساسي والمحور الرئيسي الذي تدور في فلكه باقي الحقوق والحريات العامة ، وبالتالي فإن حماية الحرية الشخصية بما تشتمل عليه من حقوق ينعكس إيجاباً على

(1) د.محمود نجيب حسني :شرح قانون العقوبات القسم الخاص، دار النهضة العربية، 1987، ص 642.

(2) د. مصطفى عبد الجواد ، التزام المحامي بالحفاظ على اسرار العميل ، دراسة مقارنة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 2005م ، ص 142.

(3) حمزة عبد الرحمن جمال الدين ، الحق في الخصوصية في مواجهة حق الإعلام ، القاهرة ، دارالنهضة العربية ، 2005 ص24.

(4) Dictionnairejuridique ، par MAMDOUH HAKKI ، librairie du liban ، 1991 ، P. 157.

(5) Dictionnaire des thèmesjuridiquesetcommerciaux ، par YOUSSEF CHALLAH ، librairie du liban ، P. 166

حماية باقي الحريات العامة ، والعكس صحيح⁽¹⁾ وذهب البعض الآخر إلى القول بأن أهمية الحرية الشخصية ضمن نطاق الحريات العامة لا يحول مطلقاً دون تكاملها أو تعاضدها ، فكثير ما تحتاج ممارسة حرية ما من الناحية الواقعية إلى ضمان العديد من الحريات الأخرى التي قد يدرجها الفقهاء تحت أصناف مختلفة⁽²⁾. وتناولت غالبية دساتير العالم حماية الحرية الشخصية ومنها نص المادة (23) من الدستور العراقي الصادر عام 1970 وكذلك تنص المادة السابعة من الدستور الأردني لسنة 1952 ((إن الحرية الشخصية مصونة)) حيث أن الدستور قد كفل الحرية الشخصية وما يتبعها من احترام الحياة الخاصة للمواطن وصون كرامته وأدميته⁽³⁾. وكذلك تنص المادة (10) الفقرة (2) من الدستور الجديد للاتحاد السويسري المعمول به منذ الأول من يناير (2000)) (لكل إنسان الحق في الحرية الشخصية وخاصة في سلامته البدنية والنفسية وفي حرية التنقل (...))⁽⁴⁾. وموضوع حماية الحرية الشخصية كان مثار اهتمام الاتفاقيات الدولية ومنها على وجه الخصوص اتفاقية GATT الخاصة بالتجارة الدولية إذ تنص المادة (39) القسم السابع من هذه الاتفاقية وتحت عنوان حماية المعلومات السرية على ما يأتي :

1- ((أثناء ضمان الحماية الفعالة للمنافسة غير المنصفة حسب ما تنص عليه المادة (10) مكررة من معاهدة باريس (1967) ، تلتزم البلدان الأعضاء بحماية المعلومات السرية وفق الفقرة (2) والبيانات المقدمة للحكومات أو الهيئات الحكومية وفقاً لأحكام الفقرة (3))) .

2- للأشخاص الطبيعيين والاعتباريين حق منع الإفصاح عن المعلومات التي تحت رقابتهم بصورة قانونية لأخرين أو حصولهم عليها أو استخدامهم لها دون الحصول على موافقة منهم بأسلوب يخالف الممارسات التجارية النزيهة⁽⁵⁾ ، طالما كانت تلك المعلومات -

أ- سرية من حيث إنها ليست بمجموعها أو في الشكل والتجميع الدقيقين لمكوناتها، معروفة عادة أو سهلة الحصول عليها من قبل أشخاص في أوساط المتعاملين عادة في النوع المعني من المعلومات .
ب - ذات قيمة تجارية نظراً لكونها سرية .

ج - أخضعت لإجراءات معقولة في إطار الأوضاع الراهنة من قبل الشخص الذي يقوم بالرقابة عليها من الناحية القانونية بغية الحفاظ على سريتها .وتقتضي حرمة الحياة الخاصة أن يكون للإنسان الحق في إضفاء السرية على مظاهرها وأثارها ، ومن هنا كان الحق في السرية وجهاً مقابلاً للحق في الحياة الخاصة ولا ينفصل عنه في أية حال من الأحوال⁽⁶⁾ ، ويرتبط الحق في

(1) د. عدنان حمودي الجليل ،نظرية الحقوق والحريات العامة ، القاهرة ، 1975 ، ص 377.

(2) د. احمد فتحي سرور ، الضمانات الدستورية للحرية الشخصية في الخصومة الجنائية ، مجلة مصر المعاصرة ، العدد 348 ، السنة الثالثة والستون ، 1972 ، ص 145 .

(3) عبد القادر العطير ، سر المهنة المصرفي في التشريع الاردني ، دار الثقافة ، ط1 ، عمان ، 1996.ص21 .

(4) الدستور الجديد للاتحاد السويسري المعمول به منذ اول يناير عام 2000 .

(5) في تطبيق هذا الحكم تعني عبارة أسلوب يخالف الممارسات التجارية النزيهة على الأقل ممارسات كالإخلال بالعقود والإخلال بسرية المعلومات المؤتمنة والحض على ذلك وتشمل الحصول على معلومات سرية من جانب أطراف ثالثة كانت تعرف أو أهملت إهمالاً جسيماً في عدم معرفة أن حصولها على هذه المعلومات انطوى على استخدام هذه الممارسات .

(6) د. احمد فتحي سرور ، الوسيط في قانون الإجراءات الجنائية ، الجزء الأول ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1979 ، ص254 .

السرية ارتباطاً وثيقاً بالحق في الحياة الخاصة ، ولم يغيب هذا الارتباط عن بعض الفقهاء الفرنسيين ، فالحق في الخصوصية حسب رأي الفقيه كاربونييه Carbonnier القطاع السري الذي يمتلك فيه الفرد القدرة على الابتعاد عن الغير ، والحق في الحياة الهادئة وتلك هي الفكرة التي انطلق منها القضاة في تحديدهم لفكرة الحياة الخاصة⁽¹⁾. ولقد قضت المحاكم الإنكليزية تطبيقاً لذلك بموجب التزام المصرف بالسر حرصاً على مصالح الزبون ففي قضية Tournier V. National Provincial & Union Bank of England كان تورنيار زبوناً لدى المصرف المدعى عليه وفي إبريل سنة 1952 صار حسابه مديناً بمبلغ تسعة جنيهات تقريباً فوق مستنداً وافق فيه على دفع هذا المبلغ على أقساط أسبوعية قيمة كل منها جنيه واحد موضحاً به اسم وعنوان الشركة التي يعمل فيها وهي شركة كفيون ، ولما لم يقم بالوفاء قام مدير فرع المصرف المدعى عليه بالاتصال بالشركة التي يعمل فيها المدين حيث جرت بينه وبين اثنين من مديريها محادثة كشف خلالها عن حقيقة رصيد المدين مضيئاً إلى ذلك أن الزبون لا يفي بوعوده وأنه يراهن بكثرة ، ونتيجة لهذه المحادثة فصل المدعي من عمله فأقام دعوى يطالب فيها المصرف بالتعويض عن التشهير به وإخلاله بالسر المصرفي . وقد قضى لمصلحة المصرف أمام محكمة أول درجة ، واستأنف المدعي الحكم فقضت محكمة الاستئناف لمصلحته وجاء في أسباب الحكم ((أن الالتزام بالسر المصرفي يشمل ما إذا كان الحساب ذا رصيد مدين أو دائن ومقدار هذا الرصيد ويمتد الالتزام إلى كل المعاملات التي تدرج في الحساب وإلى الضمانات المعطاة بخصوص هذا الحساب))⁽²⁾. ولاشك في أن هذا الحكم هو غاية في الدقة والعدل ذلك لأن محكمة الاستئناف قضت لمصلحة الزبون حفاظاً على مصلحته المادية التي تأثرت فعلاً من جراء إفشاء السر المصرفي الذي ارتكبه المصرف المدعي عليه والذي ترتب عليه فصل المدعي من عمله وحرمانه من وسيلة مشروعة للكسب . لذا يتضح لنا أن السرية المصرفية مقررة بالدرجة الأولى لحماية مصالح الزبون وحرية الشخصية التي تعتبر الذمة المالية إحدى مظاهرها وحماية لروابط الثقة بين الأفراد⁽³⁾، لذلك أوجب القانون الجنائي في معظم التشريعات على بعض المهنيين التزاماً بحفظ الأسرار المعهودة إليهم من زبائنهم حفاظاً على هذه الثقة ومراعاة لمصالح الزبائن وضماناً لحياتهم الشخصية⁽⁴⁾.

من ذلك ما نصت عليه المادة (437) من قانون العقوبات العراقي المرقم 111 لسنة 1969 المعدل حول إفشاء الأسرار بأن : ((يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على سنتين وبغرامه لا تقل عن إحدى وخمسين ألف دينار ولا تزيد عن مائتان وخمسين ألف دينار أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من علم بحكم وظيفته أو مهنته أو صناعته أو فنه أو طبيعة عمله بسر فأفشاه في غير الأحوال المصرح بها قانوناً أو استعمله لمنفعته أو منفعة شخص آخر ، ومع ذلك فلا عقاب إذا أذن بإفشاء السر صاحب الشأن فيه أو كان إفشاء السر مقصوداً به الأخبار عن جنابة أو جنحة أو منع ارتكابها)) ، فلكل فرد (الحق في حماية حياته الخاصة) خصوصاً ما تعلق منها بأحدثه الخاصة أو الهاتفية أو مراسلاته أو صورته الشخصية ، وقد تقررت الحماية الجنائية لهذا الحق بمقتضى المادة (238) عقوبات عراقي التي نصت : (يعاقب بالسجن مدة لا تزيد على سبع سنوات أو بالحبس كل موظف أو مستخدم في دوائر البريد

(1) رافع خضر صالح ، الحق في الحياة الخاصة وضماناته في مواجهة الكمبيوتر ، رسالة ماجستير ، كلية القانون ، جامعة بغداد ، 1993 ، ص 20 .

(2) chereleyetsmart : leading cases in the law of banking، London 1953 P 6 ، 8

مشار إليه عند : احمد كامل سلامة ، الحماية الجنائية لأسرار المهنة ، المصدر السابق ، ص 68 .

(3) علي جمال الدين عوض ، عمليات البنوك من الوجهة القانونية ، القاهرة، 1989 ، ص 181 .

(4) انظر على سبيل المثال نص المادة 378 من قانون العقوبات الفرنسي والمادة 272 من قانون العقوبات الهولندي والمادة 458 عقوبات بلجيكي والمادة 355 عقوبات أردني .

والبرق والتلفون وكل موظف أو مكلف بخدمه عامه فتح أو اتلف أو أخفى رسالة أو برقية أو أودعت أو سلمت للدوائر المذكورة أو سهل لغيره ذلك أو أفشى سرا تضمنه الرسالة أو البرقية . ويعاقب بالعقوبة ذاتها من أفشى ممن ذكر مكاملة تلفونية أو سهل لغيره ذلك⁽¹⁾.

نستنتج من هذا أن القانون يفرض على الأشخاص الذين يطلعون على أسرار الغير بحكم وظيفتهم أو مهنتهم المحافظة على تلك السرية وإلا تعرضوا للعقوبات الجنائية والجزاءات المدنية فلا يجوز اطلاق الغير على السر بأية طريقة كانت⁽²⁾. وهكذا يبدو أن حماية الحق في الحرية الشخصية لا يمكن أن تتحقق إلا عن طريق السرية ، إذ هي محور حياة الإنسان المطمئنة الآمنة .

الفرع الثاني : الحماية القانونية للمصالح العامة:

تعرف المصلحة العامة ((بأنها ليس ما يتعلق بأمن الدولة فحسب بل كل ما يمكن أن يضر بالسياسة الخارجية وطوائف الدولة والتحقيقات الحكومية والسياسة التجارية وبحقوق وامتيازات البرلمان والمشرع ، وكل ما يمكن أن يضر بالاتفاق بين طوائف المجتمع المختلفة))⁽³⁾.

و توجد علاقة وثيقة بين نطاق حرمة الحياة الخاصة وطبيعة النظام السياسي السائد في الدولة ، ففي الدول الديمقراطية حيث تحترم الحريات وتقدها ، يتسع نطاق حرمة الحياة فإن الدول ذات النظم الديكتاتورية ، حيث تتسع هيمنة « الخاصة للأفراد نسبياً ، وعلى العكس الدولة على الأفراد ، لا تلقى الحريات الفردية بل وكذا العامة سوى مكانة ضئيلة ويكون نطاق حرية الافراد ضيقاً⁽⁴⁾ حيث لا تعطي أهمية كبيرة لاحترام حرمة الحياة الخاصة ، وكذلك الحال بالنسبة لنظم الحكم التي ترى أنه من الضروري لبقائها السيطرة على الأفراد ، فأى تعارض بين الضرورات السياسية والحياة الخاصة يجب أن ينتهي لمصلحة السياسة⁽⁵⁾ فضلاً على أن النظم الشمولية والبيروقراطية غالباً ما ترفض الاعتراف بحرمة الحياة الخاصة للحد من سلطاتها ، وبذلك لا تحظى حرمة الحياة الخاصة للإنسان بأي حماية تذكر من مواجهة الدولة ، فنجد مثلاً نشاط البوليس السري وانتشاره في كل مكان وقيامه بالتجسس على ويعد خير مثال لذلك ما حدث في مصر قبل قيام « ماسمي بحركة التصحيح في 15 مايو 1971 ، حيث تم اعلان الاحتجاج على عمليات الاعتداء على خصوصيات الأفراد واستتكار مواقع منها ، وذلك بأحراق القائمين بالسلطة ، وعلى رأسهم رئيس الجمهورية ، مئات الملفات السرية والأشرطة التي سجلت عليها الأحاديث وإذا كان الحق في خصوصية الفرد أو المصلحة الخاصة للفرد في حماية السر لا يجد الحماية الكافية في بعض الأنظمة السياسية ، فإنه يمكن القول أن الحماية القانونية تظهر إذا اتصل السر بالمصلحة العامة ، ومثال ذلك الفعل الذي يؤدي إلى كشف سر من اسرار الجمهورية العراقية وافشاء الاخبار مما يضر بالمصلحة

(1) د. رمضان أبو السعود ، الوسيط في شرح مقدمة القانون المدني ، المدخل إلى القانون وبخاصة المصري واللبناني ، النظرية العامة للحق ، الدار الجامعية ، 1985 ، ص 522 .

(2) تقابلها المادتان (309) و (309 ، مكرر أ) من قانون العقوبات المصري حيث تم إضافة هاتين المادتين بموجب التعديل رقم 37 لسنة 1972 وهما منقولتان بصيغة مقاربة من القانون الفرنسي المادة (368) والمادة (372) من قانون العقوبات حيث تم أضافت هذه المواد بموجب القانون رقم 70 ، 643 الصادرة في 17 يوليو 1970 .

(3) د. أحمد كامل سلامة -المصدر السابق ، ص 75 .

(4) حسين عبدالله ، حرية الصحافة ، دراسة مقارنة بين القانونين المصري والفرنسي ، القاهرة ، دار النهضة العربية 1994 ، ص 452 .

(5) د. حسام الدين كامل الأهواني ، الحق في احترام حرمة الحياة الخاصة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1978 ، ص 10 .

الوطنية ويعتبر ذلك دليل على موقف بعض التشريعات ، في حين نجد الفقه ومن خلال النظرية المزدوجة في العلة من وراء حماية السر المهني ، يحاول التوفيق بين المصلحة الخاصة للفرد والمصلحة العامة التي هي محل اهتمام الدولة ، فالسر المهني وفقاً لهذه النظرية يهدف إلى حماية المصلحة الخاصة لصاحب السر وأيضاً إلى حماية المصلحة العامة للمجتمع في نفس الوقت وهذا يحقق الحماية للمصلحتين معاً العامة والخاصة بدلاً من التضحية بإحدهما كما هو الحال في النظريات السابقة ويترتب على ذلك انه إذا ألقى صاحب السر المهني من الالتزام بعدم افشائه للسر المهني والمحافظة عليه فإنه مع ذلك يظل المهني ملتزماً بالصمت و المحافظة على السر وذلك لأن صاحب السر عندما ألقى المهني أو الموظف من الالتزام بالسرية فإنه يكون في هذه الحالة قد تصرف في مصلحته الخاصة دون أن يكون له الحق في التصرف في المصلحة العامة والتي تعود على المجتمع بصفة عامة والمهنة بصفة خاصة ، الأمر الذي يترتب على ذلك أن ارادة العميل بمفردها تكون غير قادرة على انهاء هذا الالتزام بالسرية⁽¹⁾ وعلى سبيل المثال فإعفاء المريض الطبيب من الالتزام بالمحافظة على السر الطبي الخاص به وعدم افشائه إلا أن الطبيب يظل ملتزماً بالصمت والمحافظة على ذلك السر وذلك لاعتبارات تتعلق بالمصلحة العامة للمجتمع بما في ذلك حماية المهنة من خلال عدم فقدان الثقة في اربابها .ويمكن القول أن نظرية المصلحة المزدوجة تتبنى فكرة نسبية الالتزام بالسر المهني حيث يرى البعض أنصار هذه النظرية أن التزام المهني بالسر وعدم افشائه في حقيقة الأمر يقوم على اساس نسبي⁽²⁾ وقد ذهب بعض الفقه على اثر ذلك إلى أن التزام المهني بالسر له طبيعة مزدوجة فهو واجب وحق في أن واحد فهو واجب ينشأ على عاتق المهني تجاه الكافة ولا يستطيع أن يفرضي بهذا السر إلا في الحالات الإستثنائية والتي أجازها له القانون وهو أيضاً حق بالصمت حتى ولو تعارض ذلك مع حسن سير العدالة حيث أنه لا يجوز اجبار المهني أو الموظف على افشاء السر حتى ولو كان تم الإفشاء بالسر إليه بقصد ارتكاب جريمة جنائية كانت ام جنحة وذلك لأن المشرع جعل افشاء الموظف للسر لدرء الجريمة قبل وقوعها امراً اختيارياً⁽³⁾.

الخاتمة

من خلال صفحات البحث ، ومضمون النظريات التي حاولت وضع اساس لفكرة الالتزام بالمحافظة على السر المهني ، نجد أن السر لمالكه يعد من اسمى العناصر المكونة للحرية الشخصية كما أنه محاط بحماية قانونية بالغة الاثر ، إذ في نظر الشخص صاحب السر يعد مكنة وميزة لا يمكن اعارتها للغير إلا في حدود سماح مالك السر وأيضاً في الحدود التي يسمح بها القانون ، فالسر المهني من حيث الصفة ، فيعد من الاشياء المكونة للحرية الشخصية لصاحب السر ولا يمكن اختراقها إلا في اطار الضرورة كالأسرار التي تصب اباحتها مصلحة عاجلة للبلد مثلاً ، وتتعلق بالسيادة الوطنية ، كوجود ضرر محتمل يقع على البلد ففي هذا المثال لا بد من اباحة السر للسلطات المعنية ، لغرض دفع الضرر ، ومن حيث المكانة القانونية فقد ارتقى السر مكانة الحق في الحماية القانونية له ، وينصب اثر الحث على مجرد الحماية بعدم البوح بالسر المهني ،وقد فرض المشرع على بعض المهنيين ، كالأطباء وموظفي الدوائر الرسمية التزام مسبق ، مفاده عدم استعمال السر الذي منحه شخص ما للموظف على أن يكون بمناسبة الوظيفة ، فمجرد عدم تنفيذ هذا الالتزام يعد فعل الموظف خطأ يسأل عليه الموظف ، فعنصر الضرر موجود هو نشر السر الذي منح للموظف من خلال مراجعته ، لان نطاق الاباحة من حيث الاشخاص كان قد خصص مقدماً للموظف فقط ، فإذا اباح

(1) د. مصطفى عبد الجواد ، التزام المحامي بالحفاظ على اسرار العميل ، المصدر السابق ، ص 143 وما بعدها .

(2) د.عبد الرشيد مأمون -عقد العلاج بين النظرية والتطبيق ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1986م ، ص 84.

(3) د. طلبة وهبة خطاب ، المسؤولية المدنية للمحامي الفرد والمحامي في شركة المحاماة المدنية ، مكتبة سيد عبد الله وهبة ،

القاهرة ، 1986م ، ص 206.

الموظف السر ، لا يكون السر متصف بهذه الصفة ، فيتحول من سر خفي إلى خبر عام متاح للكافة ، وبذلك مخالفة صريحة للالتزام بالمحافظة على السر المهني . وقد توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى بعض النتائج :

6- إن إفشاء الموظف لأسرار الوظيفة العامة ، يمثل إخلالاً بأحد التزاماته الوظيفية وهذا الإخلال يكون خطأ شخصياً من جانبه يترتب عليه أضرار مادية أو أدبية لحقت بالغير ، فإنه يكون مسؤولاً عن تعويض هذه الأضرار سواء كان الغير الإدارة أم الأفراد ، وتعد المسؤولية هنا مسؤولية تقصيرية ، ولا يهم بعد ذلك صور هذا الخطأ ، فالموظف يلزم بالتعويض إن كان ما قام به من إفشاء لأسرار الوظيفة عن عمد أو أهمال أو تقصير ، وهذه المسؤولية يمكن أن تقوم اثناء وجود الموظف في الخدمة أو بعد انتهائها

7- تقوم المسؤولية المدنية بتوافر خطأ أدى إلى حصول أضرار لا يمكن تداركها سواء توافر سوء القصد أم لم يتوافر ويمكن حصر هذا الخطأ في إفشاء الأسرار سواء كانت أسرار الحياة الخاصة - أو الأسرار الوظيفية - فبذلك تتحقق تلك المسؤولية.

8- يستثنى من المساءلة المدنية الموظف الذي أفتى سراً تنفيذياً لأمر صدر إليه من رئيسه الإداري. ووجود المسؤولية المدنية لا يقصد منه شخص الموظف الذي قام بفعل الإفشاء وإنما المقصود فعل الإفشاء ذاته ، لأن هدف المسؤولية المدنية يكمن في جبر الضرر الذي سببه الإفشاء دون زجر وعقاب فاعله ولهذا فهي مسؤولية مدنية وليست جزائية.

9- أن المسؤولية المدنية للموظف العام تتحقق في حالتين: الأولى هي مسؤوليته عن عمله الشخصي، أي عن العمل غير المشروع الذي ينسب إليه شخصياً. أما الحالة الثانية فتتعلق بمسؤوليته عن العمل غير المشروع الذي ينسب إلى الغير، وقد رأينا أنها تقتصر على مسؤوليته بوصفه متولياً للرقابة. أما ما عدا ذلك من أحكام المسؤولية المدنية فلا تتحقق في جانبه بوصفه موظفاً عاماً . ومما يلاحظ على هاتين الحالتين للمسؤولية أنهما تستندان إلى الخطأ، بمعنى أن المسؤولية المدنية للموظف العام لا تقوم إلا إذا نسب إليه خطأ عند ارتكابه الفعل غير المشروع، أما إذا لم ينسب إليه خطأ فلا يتحمل المسؤولية عن الأضرار التي تنسب إليه، وهو كما ذكرنا يمثل ضماناً مهمة للموظف العام. وفي تفصيل ذلك نجد أولاً أن مسؤولية الموظف العام عن عمله الشخصي تقاس، كما رأينا، بمعيار موضوعي هو معيار الرجل المعتاد إذا وضع في مثل ظروفه، وهو في هذه الحالة يكون معيار الموظف العادي الذي يصلح لأن ينسب إليه الخطأ بركنيه المادي والمعنوي. الركن الأول يمثل الفعل الضار نفسه، أما الركن الثاني فهو التمييز، وهو متحقق في كل موظف . وهكذا فإن اسناد الخطأ إلى الموظف يكون متوافراً بمعناه الصحيح فتحمله المسؤولية عن فعله الضار يكون بناء على نسبة الخطأ إليه وعبء ذلك يقع على عاتق المضرور. ذلك أن اثبات الخطأ يقع على عاتق المدعي في دعوى المسؤولية، وهو المضرور الذي يقع عليه أيضاً عبء اثبات الضرر وعلاقة السببية بين الخطأ والضرر. وإذا كان هناك شك فإنه يكون لمصلحة المدعي عليه وهو الموظف فلا يستحق المضرور تعويضاً وإذا مارس الموظف العام عمله ولم ينسب إليه خطأ فإنه لا يكون مسؤولاً عما ترتب على ذلك من أضرار بالغير .

قائمة بأهم مصادر البحث:

- 1- . أسامة قايد، المسؤولية الجنائية للطبيب عن إفشاء سر المهنة ، دراسة مقارنة ، الطبعة الأولى ، مطبعة دار النهضة العربية القاهرة ، سنة 1986
- 2- احمد فتحي سرور ، الضمانات الدستورية للحرية الشخصية في الخصومة الجنائية ، مجلة مصر المعاصرة ، العدد 348 ، السنة الثالثة والستون ، 1972 .
- 3- احمد فتحي سرور ، الوسيط في قانون الإجراءات الجنائية ، الجزء الأول ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1979
- 4- أحمد كامل سلامة ، الحماية الجنائية للأسرار المهنية
- 5- انور سلطان ، مصادر الالتزام في القانون المدني الاردني ، الجامعة الاردنية ، ط1 ، عمان ، 1987.
- 6- حسام الدين كامل الأهواني ، الحق في احترام حرمة الحياة الخاصة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1978 .
- 7- حسين عبدالله ، حرية الصحافة ، دراسة مقارنة بين القانونين المصري والفرنسي ، القاهرة ، دار النهضة العربية 1994 .
- 8- حمزة عبد الرحمن جمال الدين ، الحق في الخصوصية في مواجهة حق الإعلام ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، 2005.
- 9- د.محمد عبد الظاهر حسنين :المسؤولية المدنية للمحامي تجاه العميل ، دار النهضة العربية للطباعة، سنة 1996
- 10-الدستور الجديد للاتحاد السويسري المعمول به منذ اول يناير عام 2000 .
- 11-رافع خضر صالح ، الحق في الحياة الخاصة وضماناته في مواجهة الكمبيوتر ، رسالة ماجستير ، كلية القانون ، جامعة بغداد ، 1993 .
- 12-رمضان أبو السعود ، الوسيط في شرح مقدمة القانون المدني ، المدخل إلى القانون وبخاصة المصري واللبناني ، النظرية العامة للحق ، الدار الجامعية ، 1985 .
- 13-سعيد إبراهيم الأعظمي ، جرائم التجسس في التشريع العراقي ، دراسة مقارنة ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، 1981م .
- 14-طلبة وهبة خطاب ، المسؤولية المدنية للمحامي الفرد والمحامي في شركة المحاماة المدنية ، مكتبة سيد عبد الله وهبة ، القاهرة ، 1986م .
- 15- عبد الرزاق السنهوري ، الوسيط في شرح القانون المدني ، مصادر الالتزام ، ج1 ، دار النهضة العربية ، 1964
- 16- عبد الرشيد مأمون -عقد العلاج بين النظرية والتطبيق ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1986م .
- 17-عبد العزيز سعد، جرائم التزوير وخيانة الامانة واستعمال المزور ، دار الهومة ، الطبعة 3 ، 2006
- 18- عبد القادر العطير ، سر المهنة المصرفي في التشريع الاردني ، دار الثقافة ، ط1 ، عمان ، 1996.
- 19-عبدالمجيد الحكيم ،الأستاذ عبد الباقي البكري ، الوجيز في نظرية الالتزام في القانون المدني العراقي -مطابع التعليم العالي ، بغداد 1986
- 20-عدنان حمودي الجليل ،نظرية الحقوق والحريات العامة ، القاهرة ، 1975 .
- 21-علي حسين نجيدة ، التزامات الطبيب في العمل الطبي ، دار المهضة العربية ، القاهرة ، 1990م

- 22- محمد ربيعي ، حماية السر المهني في مجال التوثيق ، مقال منشور بمجلة الإشعاع العدد33 ، يونيو 2008 .
- 23-محمد عيد غريب ، النظام العام الإجرائي ومدى الحماية التي يكفلها له القانون الجنائي ، دراسة تحليلية تأصيلية لمجال النظام العام الإجرائي -والجزاءات التي تكفل حمايته في ضوء أحكام القانونين المصري والفرنسي وآراء الفقه وأحكام القضاء 2000م
- 24-محمود صالح العادلي ، الحماية الجنائية لإلتزام المحامي بالمحافظة على أسرارموكلية ، دراسة مقارنة ، الناشر دار الفكر الجامعي الإسكندرية، سنة النشر 2003
- 25-محمود نجيب حسني :شرح قانون العقوبات القسم الخاص، دار النهضة العربية، 1987 .
- 26-مصطفى عبد الجواد ، التزام المحامي بالحفاظ على اسرار العميل ، دراسة مقارنة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 2005م
- 27-موفق علي عبيد ، المسؤولية الجزائية للأطباء عن إفشاء السر المهني ، مكتبة دار الثقافة و التوزيع عمان ، سنة الطبع 1998 .

عنوان البحث

تطور التعليم الأهلي في الولايات العراقية حتى عام 1914

م.د. خنساء زكي شمس الدين¹

¹ وزارة التربية العراقية/ المديرية العامة للإشراف التربوي

تاريخ النشر: 2020/12/01م

تاريخ القبول: 2020/11/29م

المستخلص

لا يخفى على أحد أن التعليم مرآة عاكسة لواقع وفلسفة المجتمع وتأريخه ومدى تطوره وآفاق طموحاته المستقبلية، فضلا عن دوره الفاعل في تيقظ الأفكار وتنمية الوعي، وتوسيع قاعدة المتعلمين. في ضوء ذلك، جاء هذا البحث لكي يسلط الضوء إلى طبيعة التعليم الأهلي في الولايات العراقية حتى عام 1914، بهدف تشخيص مشكلاته، إذ قُسم البحث إلى ثلاث محاور رئيسية، تناول المحور الأول جذور التعليم الأهلي في الولايات العراقية، والذي تطرق إلى التعليم الديني وهي الكتابات، والمدارس العلمية الأهلية، وبرز المحور الثاني دور التعليم الأهلي الحديث في ولايتي بغداد والبصرة، فيما درس المحور الثالث أثر الأهلي الأجنبي في الولايات العراقية حتى عام 1914.

RESEARCH ARTICLE**THE DEVELOPMENT OF PRIVATE EDUCATION IN THE IRAQI STATES UNTIL 1914**

Accepted at 29/11/2020

Published at 01/12/2020

Abstract

Education is a reflection of the reality and philosophy of society, its history, its development, and the prospects of its future aspirations. Therefore, modern education has become one of the pillars of the Renaissance in most countries in the world, because it provides scientific cadres that help in building society, as well as its active role in awakening ideas and developing awareness, and expanding the base of learners.

In light of this, this research aims to shed light on the development of private education in the Iraqi brigades until 1914, with the aim of diagnosing its problems in terms of causes, distances and consequences. The third axis focused on the role of modern private education in the states of Baghdad and Basra, while the third axis examined the impact of the foreign national In the Iraqi brigades until 1914.

أولاً: الجذور التاريخية للتعليم الأهلي في الولايات العراقية:

أ. ذات الطابع الديني:

أصبح العراق بولاياته الثلاث (بغداد، البصرة، الموصل)، تحت السيطرة العثمانية منذ منتصف القرن السادس عشر، في حالة فوضى واضطرابات في أوضاعه السياسية والإقتصادية والاجتماعية والثقافية، إذ كان العثمانيون عاجزين عن قيادة تلك الولايات ودفعها إلى التقدم والنهوض، وأصبحت في حالة يُرثى لها من التأخر العلمي والتقهقر الثقافي، وبقيت محرومة من التجدد واقتباس الحضارة واقتصرَت الدراسة على الجوامع والتكايا، وتركز التدريس فيها على شؤون الدين وما يتصل به من علوم⁽¹⁾.

ولولا مدارس النجف الأشرف وكربلاء المقدسة وبغداد والكاظمية وسامراء والموصل، وغيرها من المدن الأخرى لقضي على اللغة العربية وآدابها، ولم يجر في العراق أي إصلاح ملحوظ حتى أواسط القرن التاسع عشر حين شهد محاولة إصلاحية في عهد (مدحت باشا 1872-1896)، الذي عُين والياً على بغداد وزود بصلاحيات واسعة لتنفيذ إصلاحاته في الولايات الثلاث⁽²⁾.

يُعدّ مدحت باشا أول والي عثماني عمل على تحديث بعض جوانب الحياة ومنها التعليم، إذ لم يكن في العراق من المدارس الحديثة التي تقوم على النمط الأوربي، من حيث وجود منهج دراسي يتضمن مفردات المواد الدراسية وأغراض دراستها قبل ولاية مدحت باشا؛ سوى بضعة مدارس ابتدائية تابعة للإرساليات التبشيرية في الموصل وبغداد⁽³⁾.

على الرغم من ذلك، لم تصل إلى نسبة التعلم في العراق إلى نصف في المائة في أواخر العهد العثماني، نتيجة سوء الإدارة وسياسة جمع المال التي أنتهجها السلاطين، ولم يبق من قبس يضيء ظلمات الجهل في العراق إلا- التعليم الأهلي- الذي كان ممثلاً في الجوامع والمساجد، التي غدت مدارس للعلم والأدب، فكان لها الفضل الأول في حفظ اللغة العربية وإقامة صرح الحركة الفكرية في العراق⁽⁴⁾.

من جانب آخر، تنافس الولاة والسلاطين العثمانيون في تأسيس المدارس الدينية العلمية في بغداد وغيرها من الولايات، واتبعوا في سياساتهم قاعدة (فرق تسد) بين الطوائف العراقية في تأسيس المدارس العلمية لفئة دون أخرى، إذ كان لتلك السياسة التي وقفتها السلطة العثمانية الحاكمة، إلى جنب فئة بذاتها مدعاة لانكماش الفئة الأخرى وتجنبها كل اتصال مباشر بها، ذات أثر كبير بين أبناء الوطن الواحد بفعل تلك النعرة الطائفية البغيضة التي كانت تغذيها المطامع التوسعية، والتي استغلّت استغلالاً كبيراً لم يكن في صالح الأمة بشيء، مما جعل الأمية تنتشر انتشاراً كبيراً في الولايات العراقية كافة، فكانت بذلك أول مشكلة جابهت التعليم الأهلي في العراق⁽⁵⁾.

في ضوء ذلك، بدأت كل طائفة تهتم بأمورها العلمية والثقافية طيلة خضوعها للسيطرة العثمانية، غير إن المراحل والمناهج الدراسية لم يطرأ عليها أي تغيير بفعل ذلك الانقسام، إذ ظلت تلك المعاهد تحمل نفس الأسماء وتسير إلى حد ما على نفس الأسلوب والطريقة في التدريس⁽⁶⁾.

ومن الأهمية بمكان عند دراستنا لتطور التعليم الأهلي في العراق حتى عام 1914، أن نستعرض حالته في القرن التاسع عشر. وبهذا الصدد كان في العراق نوعان من التعليم الأهلي: نوع ذات الطابع الديني فيه هو المتغلب والممثل في (الكتاتيب والمدارس العلمية) في الجوامع والمساجد. ونوع آخر - هو (التعليم الأجنبي)، الممثل في الإرساليات التبشيرية والجاليات الأجنبية.

انتشرت الكتاتيب في أنحاء مختلفة من الولايات العراقية، انتشاراً كبيراً ومما ساعد على ذلك أن الدولة العثمانية لم تكن، في البداية، تعد الخدمات التعليمية من اختصاصها؛ وإنما من اختصاص الأفراد والجماعات، فكان التعليم في تلك المؤسسات مجاناً، إلا

أن الآباء عادة كانوا يساهمون في تقديم بعض الأموال إلى المعلمين (المُلا) الذين يعلمون الأطفال القرآن الكريم، والكتابة والحساب⁽⁷⁾.

والكتاتيب أو ما يُعرف بـ(الماللي) في العراق هي المعاهد التعليمية الأولى التي يدخلها الأطفال في الغالب بعد إتمامهم سن الثالثة أو الرابعة من العمر، وكانت تلك المعاهد البسيطة قائمة في مختلف أنحاء الدولة العثمانية وفي البلاد العربية كافة حتى أواخر القرن التاسع عشر ومن منتصف القرن العشرين، رغم ما طرأ عليها من تحوير وتطوير على نظام العمل فيها، إذ كانت الكتاتيب بصورة عامة ملحقة بالمساجد والجوامع أو مستقلة عنها في مباني مشيدة لهذا الغرض⁽⁸⁾.

كانت الغاية الأساس من تأسيس تلك الكتاتيب في البلاد هو تحفيظ آيات القرآن الكريم وتلقينهم أصول الدين وأحكامه فكان الطفل بعد إتمامه الثالثة أو الرابعة من عمره يدخله أبوه في الكتاب، وليس ذلك الكتاب في العادة إلا حجرة أو سرداباً تغلب على جوه الظلمة والحرمان من ضياء الشمس، ويضم ذلك المكان الضيق عدداً من الأطفال، إذ لا توجد صفوف منتظمة؛ بل يفرشون الأرض واضعين بين أيديهم القرآن الكريم أو أحد أجزاءه وهو عادة (جزء عم) للمبتدئين من الأطفال، ويزودون بألواح خاصة بالكتابة ومحبرة وبعض أقلام من القصب كي يكتبوا عليها الحروف الأبجدية في دراسة الخط والحساب. وكان للخط مكانة مهمة جداً في طريقة التعليم الماضية، لأن الدقة في رسم الكلمة تؤدي إلى الوضوح في صورتها الذهنية ثم إلى الصحة في لفظها. أما العلوم الأخرى من التاريخ ومبادئ العلوم الطبيعية فلا تذكر، ولم يكن هنالك جدول معين للدروس، وإذا استثنينا درس القرآن الكريم الذي يفتح به التدريس في كل يوم، ثم الخط، وكان يأتي في آخر النهار. كما لم يكن المهم في ذلك أن يتبدل الدرس من انتهاء الساعة الزمنية أو الحصة المعينة؛ بل كان المهم أن يتقن الأطفال الموضوع الذي كان المُلا يمرنهم عليه قبل الانتقال إلى درس جديد أو موضوع آخر⁽⁹⁾.

يبدو مما تقدم إن المستوى الثقافي للملالي في العهد العثماني قد تضاعف تبعاً لسوء الأحوال وتدهورها آنذاك، فبات أكثر الملالي لا يملكون الثقافة، إلا حفظ القرآن وقراءة الأدعية مع معرفة بسيطة بالدين، إذ تولى تلك العملية في العراق الكثير من الإيرانيين والهنود والأفغانيين وغيرهم.

وعن نظام التعليم في تلك الكتاتيب ذكر الباحث (عبد الرزاق الهلالي)⁽¹⁰⁾ " لقد كان الأب يقود ابنه إلى الكتاب في العهد العثماني، وبعد أن يتفق مع المُلا على الأجور يخاطبه بقوله هذا ابني لك من اللحم ولي منه العظم، أي إن الآباء في ذلك العهد كانوا يرون في المُلا المهذب الأول لأولادهم، فهم يخولونه حق تأديبه ومعاقبته بأقسى العقوبات، إن هو أساء التصرف والأدب أو قصر في أداء واجباته"⁽¹¹⁾.

في السياق نفسه كانت هناك عدد من الأسر تبعت بناتها للتعليم في بعض المدارس للطوائف غير المسلمة، وهنّ بلا ريب قلة بالنسبة لغيرهن، بينما ازدادت كتاتيب البنات بصورة خاصة في المدن المقدسة ومدن الفرات الأوسط؛ بسبب ما تحتمه الضرورة من وجود مُلايات يقرأن مقتل الحسين (عليه السلام) في شهر محرم أو الأشهر الأخيرة أو في قراءة المواليد في المناسبات المختلفة، وبالرغم من قلة كتاتيب البنات كانت تجري في بيوت المُلايات نفس الأسلوب الذي كان يتبع في كتاتيب الأولاد مع اختلاف في تلاوة بعض السور، وتدريبهن على بعض الأشغال اليدوية والمنزلية⁽¹²⁾.

يتضح إن الاهتمام بتعليم البنات كان ضيقاً ومحدوداً، لكونها كانت مُحاطة بتقاليد صارمة، ولم تبدِ عناية خاصة لتكوين مدارس حديثة تتبع السبل الصحيحة في التقييم والتربية، وقد ظل ذلك الاتجاه سائداً في تلك الأوساط العراقية حتى عهد متأخر، عندها اخذ الأطفال يتهافتون إلى مدارس البنين والبنات إذا اختفت فكرة الرفض، وأخذت تضعف وحل محله اتجاه معاكس يدعو إلى

حصول البنات على نصيبهن من التعليم.

نتيجة ذلك، بدأت الكتابات تضمحل وتتناقص شيئاً فشيئاً، لاسيما في الحقبة الأخيرة من الحكم العثماني للبلاد، بعد أن حلت محلها المدارس الحديثة والتي سارث على النهج الغربي في أنظمتها ومناهجها في أوائل القرن التاسع عشر، إذ باشرت الدولة بفتح المدارس الأولية والابتدائية والرشدية في بعض أجزاء العراق، كي تحل محل الكتابات لأنها غدت غير ملائمة للمبتدئين وتسير وفق أساليب قديمة لم تتغير وتتطور منذ قرون عديدة، ولم تُسأير روح العصر؛ بل بعكس ذلك فقد تقهقرت إلى الوراء، لأنها تجردت بالتدريج عن جميع العلوم العقلية وصارت تكاد لا تهتم بشيء غير العلوم النقلية⁽¹³⁾.

كان من الطبيعي أن يُلفت أنظار المفكرين إلى عدم كفاية ذلك النوع من التعليم، فكان أمام الولاة أو الحكام الذين أدركوا بضرورة اقتباس بعض العلوم العصرية والنظم الحديثة لمسيرة ركب الحضارة والمدنية، طريقتان الأول: هو في إصلاح تلك المعاهد التعليمية الموجودة (الكتاتيب)، ولو بصورة تدريجية بإدخال العلوم العقلية والنظم الحديثة فيها. والثاني ترك تلك المعاهد القديمة جانباً وإنشاء معاهد تعليمية جديدة لتدريس العلوم العصرية وفق النظم الحديثة.

بيد إن تطور الأحوال الاجتماعية السائدة اضطررت رجال الحكم والإصلاح إلى اختيار الطريقة الثانية بترك المعاهد التعليمية القديمة تسير على سيرتها المعتادة واخذوا ينشئون بعض المعاهد التعليمية الجديدة كلما شعروا بالحاجة إليها، ولم تزد العناية والاهتمام بها إلا بعد هيمنة (جمعية الاتحاد والترقي)⁽¹⁴⁾ على مقاليد الحكم في الدولة العثمانية في تموز عام 1908، بيد إن انتشار المعاهد الحديثة لم يوقف مهمة الكتابات وعملها في ميدان التعليم الأهلي، بل ظلت مستمرة في أداء مهمتها؛ لأنه لغة التدريس في المكاتب كانت تجري باللغة التركية⁽¹⁵⁾.

برغم ذلك تعرضت تلك الكتابات لنقد عدد من خبراء التربية والتعليم وكان في مقدمتهم (ساطع الحصري)⁽¹⁶⁾، إذ ذكر ما نصه: "اعتقد إن أحداً ممن يقدرون مصالح الشعب على وجوها الصحيحة لا يأسف على زوال تلك المؤسسات التي تجمع بين أسوأ الظروف الصحية، مع أسخف الطرائق التعليمية"⁽¹⁷⁾.

لذلك يمكن القول بأن السير بأسلوب التعليم الحديث لم يغير في حالة الكتابات في العراق، لذلك أخذت تلك الكتابات تتضاءل باستمرار، برغم إن السلطات الحاكمة لم تتعرض إلى المدارس الدينية كافة؛ بل تركتها تعمل وفق نظمها الخاصة وتقاليدھا في العتبات المقدسة في مختلف مناطق العراق، إذ حرصت السلطة العثمانية على أن تظل تلك الكتابات كما كانت مؤسسات أهلية لا تتدخل في شأنها إلا بمقدار يسير، حرصاً منها على أن تظل محتفظة بثقة السكان، وحتى تكون في يد الحكومة وسيلة شعبية بسيطة لنشر قسط من التعليم الأولي وأن يكون بسيطاً؛ إلا إنه يجدي نفعاً في مكافحة الأمية ونشر المعرفة بين الناشئة.

ب: المدارس العلمية الأهلية:

أطلقت مصطلح المدارس العلمية على المعاهد الدينية فقط وتلي الكتاب عادة، أما المدارس الحديثة فأطلقوا عليها (مكاتب)، إذ كانت تلك المدارس أشبه شيء بالمساجد، إلا إن الوجهة التعليمية هي الغالبة، وفي المساجد وجهة العبادة هي الغالبة، فأدت تلك المعاهد الأهلية خدمات كبيرة وامتزجت الواحدة بالأخرى وتعاونت معاً على التهذيب والتثقيف فقامت كل مؤسسة بمهمتها والغاية واحدة⁽¹⁸⁾.

كانت الدولة العثمانية حتى مطلع القرن العشرين تعفي طلاب علوم الدين من الخدمة العسكرية، ولذلك كان ينتظم في صنف الطلاب الكثير من الشبان هروباً من الجندية، ومع إن أغلب هؤلاء لم يكونوا طلاباً حقيقيين، ولكن عقب ذلك أخذت تلك

المدارس تفقد ما كانت عليه من علو المركز والأهمية رغمًا عن انتعاش اللغة العربية واتخاذها لغة التعليم الرسمية، إذ أخذ عدد طلابها يتناقص شيئاً فشيئاً، فلما زالت الحكومة العثمانية من العراق، لم تقرر الحكومة العراقية التجنيد الإجباري، وعندما شوهد الكثير من ضيق عيش علماء الدين، قل إقبال الشبان على المدارس العلمية الأهلية أكثر من ذي قبل⁽¹⁹⁾.

ويبدو إن هناك سبباً آخر هو رجحان طرئق التعليم الحديث في المدارس الحكومية والأهلية على نُطرق التعليم الأهلي القديم، فضلاً عن الرغبة في الحصول على وظائف حكومية أو تحصيل العلوم العالية وعوامل فكرية أخرى، مما أدى إلى زيادة الإقبال على المدارس الحديثة وإهمال المدارس العلمية وزوال البعض منها، ورغم ذلك ظلت كل طائفة متمسكة بمدارسها العلمية الأهلية الخاصة بها. فكانت تلك من أولى المشاكل التي جابهت التعليم الأهلي بفعل تلك السياسة، التي تبنتها الدولة العثمانية.

من جانبها كانت الدولة العثمانية تقسم البلاد التي احتلتها من الوجهة الإدارية إلى ولايات، وكانت تنصب على رأس كل ولاية موظفاً كبيراً يُسمى (والي)، ويكون مسؤولاً عن جميع أمور الولايات ومشرفاً على أمور (السنجق)⁽²⁰⁾ التابعة لها، وبناءً على ذلك النظام الإداري، كان العراق في هذا العهد مقسماً إلى ثلاث ولايات هي: الموصل - بغداد - البصرة. وكانت ولاية الموصل تضم سنجقي كركوك والسليمانية أيضاً وكانت ولاية البصرة تشمل على سنجقي المنتك والعمارة⁽²¹⁾.

في ضوء ذلك، سنتطرق إلى دراسة توزيع تلك المدارس بحسب كل ولاية، لأن لكل منها إدارة مستقلة تُدير شؤونها حينذاك. فبعد الاحتلال العثماني للموصل وتفويض حكمها إلى (الأسرة الجليلية)⁽²²⁾، احدث هؤلاء نهضة علمية بذلوا من المساعي الحثيثة في سبيل نشر الثقافة بالمدارس التي شيدها، وإن الكثير منها شيدها الولاة والأمراء وبعض الأسر الموصلية، فنبغ منهم علماء كانوا قادة للنهضة العلمية، إذ غدت الموصل من المدن التي تستقطب طلاب العلم لينهلوا من علمها وآدابها، ومن أشهر مدارسها المدرسة الأحمدية ومدرسة ابن يونس النحوي ومدرسة الباشا والرابعة ومدرسة يحيى باشا الجليلي⁽²³⁾.

أما في بغداد فقد سعى العثمانيون إلى فتح بعض المدارس العلمية الأهلية وآزرهم الكثير من الأسر البغدادية والعلماء في دوامها واستمرارها لتدريس القرآن وعلومه والفقهاء الحنفي فضلاً عن تدريس علوم العربية من نحو وصرف ومنطق وفلسفة وبديع وبيان وعروض... الخ. وكانت تلك الدراسة كفيلة بأن ترسم لصاحبها الطريق الذي سينتهجه في حقل العلم والأدب والثقافة⁽²⁴⁾،

إذ ظلت تلك المدارس ومجالسها العلمية مزدهرة على الأكثر، وكانت الثقافة فيها ماضية على نهجها العلمي والأدبي الإسلامي، ولكنها بدأت تتعثر في أواخر العهد العثماني وزوال أثر البعض منها. ومن المدارس والمعاهد العلمية المشهورة التي كانت تجري فيها الدراسة، مدرسة الإمام الأعظم والمدرسة النظامية والمستنصرية والكيلاني والمرادية والمدرسة العلمية والسليمانية والداوودية وغيرها، إلى جانب الكثير من المدارس العلمية التي شيدها محبو العلم والفضيلة من علماء بغداد⁽²⁵⁾.

في حين كانت ولاية البصرة أبان الحكم العثماني مسرحاً للفوضى وعدم الاستقرار السياسي بفعل الفتن والمنازعات والحروب والسلب والنهب، ما جعلها أبعد أن تهتم بشؤون العلم والثقافة، ولم يهتم حكامها وولاتها كبقية الولايات بتلك الناحية؛ إلا في نهاية القرن التاسع عشر عندما قاموا ببعض الإصلاحات فجددوا بناء المساجد وإحياء بعض المدارس كما أسست عدد من المدارس الأهلية منها مدرس الشيخ عثمان بن سند، ومدرسة السليمانية ومدرسة الرحمانية في محلة باب السيف والمدرسة الرؤوفية الحلية في محلة القبلة، ذلك إلى جانب ثمان مدارس دينية في الزبير ومدرستان في العمارة والأخرى في قلعة صالح، ساهمت بعض الأسر في تأسيسها وإدامتها، ثم ألحقت تلك المدارس بإدارة الأوقاف العثمانية⁽²⁶⁾.

فضلاً عن تلك المدارس العلمية الأهلية في الولايات الثلاث، تأسست معاهد ومدارس علمية أهلية ذات طابع ديني خاص

وإنحصرت تلك المعاهد والمدارس العلمية بين مدن النجف والحلة وكربلاء والكاظمية وسامراء، وبهذا الصدد كانت النجف الأشرف داراً للعلم ومركزاً مهماً للتدريس على المذهب الجعفري، وظلت تؤدي واجبها العلمي والديني رغم انتقال مراكز الدراسة إلى غيرها كالحلة وكربلاء في حقبة متعددة، إذ عُدت النجف منذ عهد يناظر الألف عام معهداً للدراسات الإسلامية العالي في حقول الفقه والأصول والتفسير والفلسفة الإسلامية إلى غير ذلك من العلوم العقلية والنقلية، وفي الوقت نفسه كانت مقراً للحوزة العلمية التي عاشت الأجيال، وقطعت شوطاً بعيداً في مسيرتها العلمية⁽²⁷⁾.

كما عُدت النجف محط أنظار الراغبين في تحصيل العلم والاجتهاد من شتى أقطار العالم الإسلامي فلقد بلغ عدد الطلبة الذين كانوا قد توافدوا إلى مدارسها في أواخر العهد العثماني، نحو عشرة آلاف طالب بين عراقي وسوري ولبناني وبحريني وكويتي وإيراني وهندي وتركمني وأفغاني وغيرهم⁽²⁸⁾. ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد هو إن مدارس النجف الأشراف كانت تقوم بجهود العلماء والإفراد من أبناء الشيعة أنفسهم. أما الصرف عليها وعلى طلبتها والأفراد فيتم بواسطة العلماء والمجتهدين مما يرد إليهم من أموال الخمس والهبات والتبرعات التي يقدمها الميسورين في ذلك الحقل، وليس للحكومة أي صلة بتلك المدارس أو بشؤون الصرف عليها. ومن أبرز تلك المدارس والمعاهد الأهلية في النجف هي مدارس (السلمية، المعتمد، المهدي الشيرازي، القوام، الايرواني، الشربيني، الخليلي، القزويني، كاظم اليزدي، البخاري، الصدر)⁽²⁹⁾.

في السياق نفسه، لم تعترض طريق عمل تلك المؤسسات الدينية إلا تشكيلات المعارف في الدولة أبان الحكم العثماني الأخير للبلاد، إذ بادرت بإنشاء المكاتب الحديثة على النهج الغربي وأغفلت أمورها والعناية بها وبمدارسها، وأخذت بتحويل الكثير من معاهد الدراسة الأهلية إلى معاهد علمانية يكون الإشراف عليها من اختصاص الدولة لا رجال الدين، فأهملت بذلك أمر الدراسة في تلك المؤسسات وتركتها وشأنها. فلم يكد ينتهي الحكم العثماني حتى تغيرت حال تلك المدارس وتبدلت نظرة الدولة لها وعزف عنها الدارسون، اللهم إلا أولئك الطلاب الذين قرروا الاستمرار في تحصيلهم العلمي الديني فيها. أما الآخرون فقد وجدوا في المدارس الجديدة خير بديل لهم، ولم يعد لأسلوب الدراسة القديمة في المدارس من مؤيد، لذلك سارت الأسر في إدخال أبنائها في مدارس حكومية وأهلية إلى جانب المدارس الأجنبية والإرساليات التبشيرية في البلاد، حتى وصل إجمالي عدد تلك المدارس في العراق إلى (149) مدرسة في أواخر العهد العثماني⁽³⁰⁾.

ثانياً: دور التعليم الأهلي الحديث في ولايتي بغداد والبصرة.

1- التعليم الأهلي في ولاية بغداد:

تمخض عن الانقلاب العثماني الذي تم في الثالث والعشرين من تموز 1908، عن تظاهر السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909)، باستجابة مطالب جمعية الاتحاد والترقي، إذ نشرت تلك الجمعية برنامجها السياسي، وقد نص فيما يتعلق بالتعليم "على أتباع الدولة سياسة تعليمية ترمي إلى تربية النشء العثماني تربية موحدة، والسعي في تقوية الاتحاد والإخاء بين العناصر التي تتألف منها الدولة العثمانية على أن تبقى التركية اللغة الرسمية"⁽³¹⁾.

يبدو أن ما جاء في تلك السياسة من مبادئ العدالة والمساواة، كانت الباعث الكبير في نفوس الناس، الذين تطلّعوا إلى النور والعلم والمعرفة. فكانت الهيئة الإصلاحية التي جاءت إلى بغداد وقيامها بفتح المدارس، عاملاً من العوامل التي حركت الطوائف المختلفة ودفعتها للتفكير في تثقيف أبنائهم الثقافة الحديثة والعلوم العصرية. لذلك تم إنشاء عدد من المدارس الأهلية والأجنبية عقب ذلك التاريخ. وفي مقدمة تلك المدارس هي:

مكتب الترقى الجعفري العثماني (المدرسة الجعفرية):

إذا أردنا الحديث عن تاريخ مدرسة مكتب الترقى الجعفري العثماني، فيجب أن نعود بالذاكرة إلى مطلع القرن العشرين، إذ بدأ يدب الوعي السياسي والاجتماعي والثقافي في العراق

كغيره من البلاد التي كانت خاضعة لنفوذ الإمبراطورية العثمانية ومحرومة من أسباب النهضة الحديثة، بفعل تبني العثماني في سياستهم مبدأ (فرق تسد) بين سكان العراق أنفسهم، فقد كانت تتعصب ضد أبناء الطائفة الشيعية في مختلف المجالات، كان من أبسطها حرمانهم من الاستفادة من المدارس التي أنشأتها السلطات العثمانية، لكي لا يطمعوا بعد ذلك بالوظائف الحكومية، إلى جانب ذلك كان الشيعة أنفسهم يحومون المدارس العثمانية الحديثة ويعتبرونها مفسدة للدين والأخلاق⁽³²⁾.

على أثر الانقلاب العثماني عام 1908، حصل تبدل في نظرة الدولة نحو الشيعة، الذين توقعوا أن تتعم طائفهم بالحرية في ظل الدستور، كما كانت تأمل الطوائف الأخرى ذلك. وبدافع من تلك الآمال سعت مجموعة متتورة من الشيعة إلى الحصول على اجازة لتأسيس مدرسة لتعليم الأولاد، وكان في مقدمتهم جعفر أبو التمن وعلي البازركان، ومهدي الخياط ورؤوف القطان⁽³³⁾.

ومما نبه تلك المجموعة إلى أهمية ذلك المشروع، هو أن هناك بعض المدارس اليهودية، كانت تخرّج سنوياً عدد من اليهود يقومون بدور كتّاب لدى التجار المسلمين، وقد أصبحوا بحكم معرفتهم المراسلات باللغات الأجنبية واطلاعهم على أسرار التجارة، وقد تعدى الأمر إلى سيطرتهم في بعض الأحيان على المحلات التجارية من أيدي المسلمين⁽³⁴⁾.

ولتأسيس تلك المدرسة قصة طريفة ولكن مهمة، لأنها تكشف لنا صورة من صور تأريخ التعليم الأهلي في تلك المدة. وملخصها أن الحاج سلمان أبو التمن استورد سماورات⁽³⁵⁾، جميلة الشكل، وقد نفذت من السوق، وأن احد أصدقاء علي البازركان قد طلب منه أن يشتري له سماور من الحاج سلمان، ولما طلب البازركان ذلك من الحاج سلمان اعتذر الأخير لنفادها، ولما علم أنها مطلوبة في السوق أوعز إلى كاتبه اليهودي (شميل سوميخ) أن يكتب له بريقة إلى روسيا القيصرية لطلب كمية منها، فحرر الكاتب اليهودي البرقية، وبعد مدة شاهد علي البازركان سماورات من نفس النوع في محل آخر، فعاتب الحاج سلمان على عدم بيعها له، فدهش الأخير وذهب ليتأكد من وجودها في ذلك المحل، فلما شاهد الحاج سلمان سأل صاحب المحل عن مصدرها، فأخبره عن شرائها من أحد اليهود. فتأثر الحاج سلمان من خيانة كاتبه اليهودي الذي أخفى البرقية وطلب من أحد التجار اليهود أن يستورد ذلك النوع. ومن تلك الحادثة استطاع علي البازركان أن ينبه الحاج سلمان إلى ضرورة إعداد شباب من المسلمين يتقنون اللغات الأجنبية لاتخاذهم كتاباً وكاتمي أسرار تجارتهم، ولا يكون ذلك إلا عن طريق فتح مدرسة، ولكن الحاج سلمان أوضح لعلي البازركان، إن ذلك المشروع سوف يلاقي المعارضة من الناس الذين يعتبرون ذلك العمل من باب الكفر⁽³⁶⁾.

ولما كانت الفكرة تحتاج إلى المال فقد استطاع جعفر أبو التمن من أقتناع أبيه على تبني الفكرة، وقام بدعوة عدد من الشخصيات للحضور إلى دار ولده الحاج داود، في الثامن من تشرين الثاني 1908، وكان من جملة الحضور علي البازركان، مهدي الخاصكي، عبد الكريم حيدر، السيد علي مهدي البغدادي، الحاج حسن الشهرستاني، الحاج داود أبو التمن، الحاج سلمان أبو التمن، والشيخ شكر الله أحد علماء الدين الشيعة في بغداد، وقرر هؤلاء تأسيس مدرسة وكونوا هيئة مؤسسة لها، وانتخبوا الشيخ شكر الله رئيساً للهيئة وجعفر أبو التمن أميناً للصندوق، وأخذوا يجمعون الإعانات لتأسيس تلك المدرسة⁽³⁷⁾.

قررت الهيئة المؤسسة إرسال كُلي من علي البازركان وجعفر أبو التمن لتقديم عريضة إلى والي بغداد (عبد الله باشا) يطلبون فيها السماح بفتح مدرسة باسم (مكتب الترقى الجعفري العثماني)، وقد جرت مناقشة بين مقدمي الطلب والوالي حول سبب

فتح المدرسة مع وجود مدارس حكومية وعن سبب تسميتها بالجعفرية، إذ طلب الوالي حذف اسم الجعفرية من اسم المدرسة، ولكن أجابه علي البارزكان لا يوجد جعفري في المدارس الحكومية، بينما أصر جعفر أبو التمن على الاسم، وافهم الوالي أن الغاية من التسمية لم تكن لنصرة طائفية، ولكن تأسيس المدارس الأهلية فكرة حديثة لا تجذب الناس، فالقصد من الاسم أن يشعر أبناء المذهب الجعفري أن المدرسة منهم واليهم فيقبلون على إرسال أولادهم إليها، فأقتنع الوالي ووافق على أجازة المدرسة⁽³⁸⁾.

أعدّ للمدرسة دار تقع بالقرب من مسجد الحاج داود أبو التمن وتم تأثيثها، وكانت تلك الدار قد استؤجرت لمدة عامين، ودفع بدل الإيجار الحاج سلمان أبو التمن من ماله الخاص، وجرى افتتاح المدرسة في الثاني عشر من كانون الأول 1908، باحتفال كبير، كان عدد الطلاب الذين سجلوا عند افتتاحها نحو (300) طالب توزعوا على مختلف مراحل الدراسة التي احتوتها المدرسة من (روضة وابتدائية ورشدية) لتعليم الأُميين مبادئ القراءة والكتابة، وتعليم الحساب واللغات التركية والفرنسية لمن يعرف القراءة، أما إدارة المدرسة فقد كانت بعهدة الشيخ شكر الله وعلي البارزكان معاوناً له، وجعفر أبو التمن أميناً للصندوق للمدرسة⁽³⁹⁾.

سعى جعفر أبو التمن لإقناع أبناء الطائفة الجعفرية الدخول إلى المدرسة، بالنظر لموقف تلك الطائفة إلى المدارس وتحريمها، فقد استطاع جعفر أبو التمن بما بذله من جهد الاتصال بعلماء الدين في كربلاء والنجف، للحصول منهم على فتاوى تحث على الإقبال على التعليم في المدرسة، إذ نشر رسالة بعنوان (فتوى بجواز دخول الجعفرين المكاتب للتعليم) جاء فيها: "جواز دخول أولاد الجعفرية إلى المكاتب لتعليم العلوم والمعارف واللغات المختلفة التي تمس الحاجة إلى تعليمها، وتقضي الضرورة بعدم جهلها مع التحفظ على القواعد الإسلامية... لذا إن علماء الإسلام المجتهدين في النجف وكربلاء دفعاً للشبهة الواقعة في أذهان الجهلة

قد كتبوا لعموم الجعفرية يحثونهم ويشوقونهم على تأسيس وتشبيد هكذا مكاتب، حاوية للشروط المتقدمة وذكروا أن ذلك أفضل الأعمال الخيرية"⁽⁴⁰⁾.

سارت المدرسة منذ ذلك التاريخ باندفاع، غير إن نشوب الحرب العالمية الأولى عام 1914، سبب بعض الفتور فيها، رغم ذلك تخرج من (المدرسة الجعفرية)⁽⁴¹⁾، عدد كبير من الرجال الذين تولوا المناصب العليا في المملكة العراقية⁽⁴²⁾.

تأسيساً على ما تقدم، تُعد مدرسة مكتب الترقى الجعفري العثماني (الجعفرية) أول مدرسة أهلية (وطنية) غير رسمية في تاريخ بغداد الحديث، استهدف مؤسسوها من إنشائها سد ثغرة خطيرة في ثقافة الشعب، إيماناً منهم بان الثقافة الصحيحة هي الأداة الناجحة لحماية الوحدة الوطنية وتأكيداتها. فكان من الطبيعي إن تصطم هذه الفكرة بجملة من العقبات لدى الكثير من الناس ذوي الاتجاهات المحافظة والتقليدية، فضلاً عن تخوف السلطة العثمانية من تقاطعها مع سياسة التتريك القائمة وقتذاك. لذلك ظلت المدرسة الجعفرية منذ تأسيسها، تسير على النهج المرسوم لها وتؤدي رسالتها في حدود إمكانياتها المتوفرة، كما كانت مركزاً وطنياً مهماً منذ تأسيس الحكم الوطني في العراق.

2. التعليم الأهلي في ولاية البصرة:

أ. مدرسة تذكّار الحرية:

رافق تاريخ البصرة، تاريخ حافل بالحروب والفتن والمنازعات بفعل غارات البدو إليها من جهة ومنازعات الفرس والعثمانيين من جهة أخرى. لذلك كانت الحياة فيها أشد اضطراباً وفساداً وتأخراً مما كانت عليه بغداد والموصل، لاسيما في نشاطها الثقافي والعلمي. فبرز (سليمان فيضي 1885-1951)، احد المهتمين في هذا الجانب، وظهرت مساهمته في تأسيس مدرسة هدفها إعداد

أجيال تقوم بخدمة وطنها على أساس صحيح، وإثارة الوعي القومي عن طريق الاهتمام باللغة العربية⁽⁴³⁾.

في ضوء ذلك قدم سليمان فيضي طلباً إلى السلطات في البصرة، رام فيه السماح له بتأسيس مدرسة إعدادية أهلية باسم (تنكار الحرية) تيمناً بعهد الحرية الذي بزغ عقب انقلاب تموز عام 1908، ويكون التدريس فيها باللغة العربية والتركية والإنكليزية والفرنسية، على غرار المدارس العربية الأهلية في بيروت ودمشق. إلا إن السلطات العثمانية أبدت اعتراضها لأن اسم المدرسة عربي ولغة التدريس فيها باللغة العربية مما يتعارضان والقوانين العثمانية المتبعة في البلاد، واقترحت السلطة عليه بتغيير اسمها إلى (بادكار حرية)، وسمح له بالتدريس باللغة العربية إلى جانب التركية، بموجب هذه الشروط تمت الموافقة على الإجازة ثم جرى حفل الافتتاح لها في السابع والعشرين من تشرين الثاني 1908⁽⁴⁴⁾.

قوبل افتتاح المدرسة بالثناء والتقدير من قبل العديد من أبناء البصرة، لاسيما عقب اختيار عدد من الأساتذة الأكفاء للعمل في تلك المدرسة، واعتمدت في دفع رواتب مدرسيها وشراء الكتب على التبرعات التي كان يقدمها الموسورون من أهالي البصرة بشكل متواصل، فضلاً عن المبالغ التي تستوفوها المدرسة من طلبتها الأغنياء، وقد استتنت المدرسة الطلبة الفقراء من تلك الالتزامات، فبلغ عدد طلبتها (160) طالباً⁽⁴⁵⁾.

غير إن تلك المدرسة لم يكتب لها الاستمرار بتأدية رسالتها التربوية والقومية على أكمل وجه وذلك بعد عام واحد على تأسيسها بسبب التهديد والقيود التي فرضتها (جمعية الاتحاد والترقي)، على إدارة المدرسة، كان منها تغيير اسم المدرسة إلى (مدرسة الاتحاد والترقي)، وجعل التدريس فيها باللغة التركية⁽⁴⁶⁾. واجهت تلك الخطوة معارضة شديدة من الأهالي فلم يؤمها في السنة الدراسية اللاحقة سوى عدد قليل من الطلاب لذلك اضطرت قيادة جمعية الاتحاد والترقي إلى إغلاقها، وهكذا قُضي على هذا الأثر التربوي الجليل في مدينة البصرة.

2. المدرسة الصناعية الأهلية:

لم يكن في مدينة البصرة مدرسة للصنائع أسوة بما كان في بغداد وكركوك، فقد حاول (سليمان فيضي)، أن يخطو في هذا السبيل لإنشاء مدرسة صناعية على شكل شركة مساهمة للمنسوجات على غرار شركة المنسوجات التي كانت قائمة في بغداد حينذاك، يكون رأسمالها مبدئياً ألف ليرة عثمانية، وقد قام فعلاً بدعوته تلك وعقد اجتماعاً عاماً في الثامن من تشرين الأول 1909، حضره عدد كبير من الوجوه، وبعد إن بين لهم غرض الاجتماع، هو تعليم الأيتام وأولاد الفقراء بأجور قليلة مقابل، إيوائهم وتعليمهم القراءة والكتابة فيعود المشروع بالنفع على طلابها وعلى الشركة التي كانت في الحقيقة نواة لصناعة المنسوجات في البصرة، استطاع جمع مبلغاً قدره (440) ليرة ذهبية؛ إلا إن مشروعه لم ينفذ بسبب موقف الوالي العثماني (سليمان نظيف) ومعارضته بحجة إن السلطة ستقوم بإنشاء مدرسة رسمية للصنائع مجهزة بكافة الوسائل اللازمة، نتيجة ذلك أخفق المشروع ولم تُؤسس في البصرة أي مدرسة صناعية⁽⁴⁷⁾.

ثالثاً: أثر التعليم الأهلي الأجنبي في الولايات العراقية حتى عام 1914.

كانت هناك مدارس خاصة يرتادها أبناء الطوائف الدينية الأخرى، إلى جانب الكتاتيب والمدارس الدينية والأهلية، وتقسّم إلى نوعين الأولى مدارس الإرساليات التبشيرية وهي المدارس التي أسستها الإرساليات التبشيرية، أما الأخرى فهي تلك المدارس التي أضحطع بتأسيسها رعايا الدولة العثمانية ومن أبناء الطوائف المسيحية واليهودية. وبهذا الصدد مر بنا أن الحكومة العثمانية أغفلت

شؤون التربية والتعليم في الولايات العراقية، وتركت الباب مفتوحاً لمختلف الطوائف المسيحية المؤلفة من الكاثوليك ومن غير الكاثوليك، والطائفة اليهودية.

رمت الدولة العثمانية في سياستها الداخلية إلى عد كل طائفة من الطوائف الدينية والمذهبية من غير المسلمين جماعة قائمة بذاتها، فكانت تمنحهم الامتيازات الخاصة في كل ما يمت بصلة إلى الشؤون الدينية والمذهبية، واعتبرت التعليم من جملة الأمور المرتبطة بالأديان والمذاهب فحولتهم حق تأسيس المدارس الخاصة بهم وإدارتها، فكانت مدارس تلك الطوائف في بادئ الأمر من نوع المدارس الدينية⁽⁴⁸⁾.

غير إن تلك المدارس تطورت بعد ذلك بسرعة وتحولت إلى معاهد تعليمية عصرية، تسير على مناهج خاصة بها تختلف باختلاف أديان الجماعات ومذاهبها، ولاتمت بأية صلة إلى المناهج الحكومية واتجاهاتها، وكثيراً ما كانت تستلهم خططها ومناهجها من المدارس الأجنبية داخل البلاد العثمانية أو من البلاد الأجنبية نفسها، بحسب العلاقات الدينية والمذهبية التي كانت تربط الجماعة بتلك البلاد الأجنبية⁽⁴⁹⁾. سببت تلك المدارس الكثير من المشكلات التي واجهت التعليم الأهلي، ولا بد لنا من إلقاء الضوء على دور وأثر الأقليات في المساهمة بتأسيس ونشر المدارس والمعاهد الأهلية في الولايات العراقية حتى عام 1914.

1. مدارس الطوائف المسيحية في الموصل:

في الوقت الذي كانت الإدارة العثمانية مُعرضة عن دراسة مُشكلات سُكان البلاد، وتعليمهم وتثقيفهم، كانت الطوائف المسيحية في الموصل تُكافح من أجل تثقيف وتعليم أبنائها القراءة والكتابة والعلوم الدينية غيرها، فأنشأت مدارسها في كنائسها الخاصة لرفع مستواهم الثقافي وإعدادهم لكي يجابهوا الحياة ومشاكلها بسلاح العلم والمعرفة، إذ كان المدرسون غالباً من رجال الدين الرهبان والقساوسة، من ذوي الثقافة الجيدة بحكم تتبعهم الدراسي الطويل وإطلاعهم على اللغات القديمة والحديثة، وتوافر الكتب المخزونة في كنائسها والمطبوعة في مطابعها الخاصة في مختلف اللغات، لذلك كانت تلك المدارس تُغذي طلابها بثقافة لا بأس بها في تلك المدة⁽⁵⁰⁾. ومن المدارس التي ساهمت في إنشائها الطوائف المسيحية في الموصل حسب تسلسلها التاريخي هي: مدرسة الكلدان الأهلية التي أسست عام 1863، من قبل (روفائيل مازهجي) التي كان يُقبل فيها الشبان الكلدان في الموصل، وتُدرس فيها العلوم الحديثة واللغات الإنكليزية والفرنسية والتركية. وإلى جانب تلك المدرسة أُسست عدة مدارس بين عامي 1900 و1914، في كل من (تلكيف والقوش وباطناية وبقوفة وتلسقف)، أما درجاتها فكانت أولية وأشبه شيء بالكتاتيب وتدرس فيها العلوم الحديثة واللغات الأجنبية أيضاً⁽⁵¹⁾.

في السياق نفسه، أُسست مدرسة السريان الكاثوليك ومدرسة اليعاقبة الابتدائية في الموصل في مطلع القرن العشرين، واستمرت في عملها حتى دخول الجيش البريطاني للموصل. وذكر إن (المس بيل Miss Bell 1868-1926)، "برغم أن أغلب سكان الموصل من المسلمين، إلا إن عدد طلاب المدارس المسيحية للطوائف الثلاث (الكلدان، والسريان، واليعاقبة) 719 طالباً، بينما يبلغ عدد الطلاب في مدارس المسلمين كلها 259 فقط"⁽⁵²⁾.

2. مدارس الطوائف المسيحية في بغداد:

أنشأت الطوائف المسيحية مدارس خاصة لهم في بغداد أيضاً، وكان الإقبال على تلك المدارس أكثر مما كان عليه في المدارس الحكومية، لأن الأخيرة كانت تُدرس الدروس باللغة التركية، بينما كانت المدارس الطائفية تُدرس باللغة العربية والفرنسية والإنكليزية. وقد استفاد منها الكثير من أبناء المسلمين، إذ أنشأ الأرمن الأرثوذكس مدرسة ابتدائية للبنين والبنات عام 1853، وتُعد

من أقدم المدارس الأرمنية في بغداد، وبلغ عدد طلابها في نهاية عام 1914، (85) طالباً⁽⁵³⁾.

فضلاً عن ذلك، أسست عدد من المدارس المسيحية منها مدرسة الأتفاق الشرقي الكاثوليكي عام 1878، التي قامت بتأسيسها الطوائف الكاثوليكية (الكلدانية والسريانية والأرمنية)، ومدرسة السريان الأهلية عام 1893، ومدرسة الكلدان الأهلية عام 1897، التي اهتمت بتعليم اللغات الأجنبية كالفرنسية والانكليزية، فضلاً عن العربية والكلدانية والتركية، وقد بلغ عدد طلابها عام 1914، (240) طالباً⁽⁵⁴⁾.

3-مدارس الطوائف المسيحية في البصرة:

لم تنشأ مدارس أهلية أجنبية في البصرة بكثرة في تلك المدة، على غرار ولايتي بغداد والموصل؛ بل اقتصرت تلك المدارس حسب تسلسلها التاريخي على مدرسة راهبات التقدم في البصرة عام 1906، ومدرسة الإناث اللاتين 1907، ومدرسة الأرمن عام 1911⁽⁵⁵⁾.

4-مدارس الطائفة اليهودية:

كان للطائفة اليهودية نشاط محمود منذ أواسط القرن التاسع عشر، ليس في العراق فحسب؛ بل في لندن وباريس حيث مقر الجمعيات الإسرائيلية، في سبيل رفع شأن اليهود في مختلف البلدان تنفيذاً للخطة الصهيونية المرسومة، وهو الذي حمل الدولة العثمانية على إعطائهم الحرية أسوة بالطوائف الدينية الأخرى، لاسيما في إدارة شؤونهم الطائفية الخاصة ولذلك في مقدمة الأعمال التي قاموا بإنشائها(المدارس الإسرائيلية)، فقد أولى (الاتحاد الإسرائيلي العالمي -الليانس- Alliance Israelite Universally)⁽⁵⁶⁾، أهمية كبيرة للتعليم، وقام بتأسيس عدد من المدارس الحديثة في العراق وعدد من البلدان العربية. ويوضح الجدول الآتي أسماء وتاريخ المدارس التي أنشأتها الطائفة اليهودية في بغداد حتى عام 1914.

جدول (1)

أسماء وتاريخ المدارس التي أنشأتها الطائفة اليهودية في بغداد حتى عام 1914⁽⁵⁷⁾.

اسم المدرسة	تاريخ أنشأتها
مدراس تلمود وتوراة	1832
الاتحاد الإسرائيلي "الليانس"	1865
لورا خضوري للبنات	1893
الإناث الإسرائيليات	1893
رفقة نوريل	1902
هارون صالح المختلطة	1909

اسم المدرسة	تاريخ أنشأتها
الأطفال المختلطة	1910
الوطن المسائية	1912
التعاون الموسوية	1913
المدراس الإسرائيلي	1913

لم يقتصر افتتاح تلك المدارس على مركز ولاية بغداد؛ بل شمل الأفضية التابعة لها إذ جرى افتتاح مدرستين يهوديتين في الحلة، ومدرسة ثالثة في خانقين. فيما ضمت ولاية الموصل عدداً من المدارس اليهودية يعود تاريخ افتتاحها إلى بداية القرن التاسع عشر، إذ جرى توزيعها على الشكل الآتي: مدرستان في لواء الموصل (المركز)، ومدرسة واحدة في كل من أفضية دهوك وكركوك والسليمانية وأربيل وزاخو. ثم تولت جمعية الالينس افتتاح مدرستين حديثتين الأولى في الموصل عام 1907، والأخرى في كركوك 1913. في حين أسست عدد من المدارس اليهودية في ولاية البصرة منها مدرستان في مركز الولاية أحدهما مختلطة والأخرى ابتدائية، ومدرستان في العمارة ومدرسة واحدة في أفضية الناصرية، الشرطة، الحي، فيما قامت جمعية الالينس بافتتاح مدرسة حديثة في البصرة⁽⁵⁸⁾.

انتهجت المدارس اليهودية النمط الغربي في دراستها مع عناية واضحة بالرياضيات والطبيعات والعلوم الإنسانية، فضلاً عن تدريس عدد من اللغات منها العبرية، العربية، التركية، الفرنسية، الانكليزية، ونظراً للنظام والدقة والعناية بتوفير المدرسين والكتب المطبوعة التي اتسمت بها المدارس اليهودية، فقد التحق للدراسة في تلك المدارس إعداد من الطلبة المسلمين والمسيحيين⁽⁵⁹⁾. وبصورة عامة يوضح الجدول الآتي عدد المدارس الأهلية والأجنبية في العراق حتى عام 1914.

جدول (2)

عدد المدارس الأهلية والأجنبية في العراق حتى عام 1914⁽⁶⁰⁾.

ولاية بغداد/اسم المدرسة	عدد المدارس	عدد الطلاب	عدد الطالبات
الترقي الجعفري العثماني	1	300	----
مدرسة الأخوة الإيرانية	1	200	----
المدرسة الحسينية	1	100	----
المدرسة العلوية	1	70	----
المدرسة المرتضوية	1	70	----
مدرسة الهنود	1	120	----
مدرسة الكلدان	1	240	----
مدرسة السريان	1	70	----
مدرسة الأرمن	1	85	----
مدرسة الأرمن للبنات	1	----	45
مدرسة اللاتين	1	300	----

800	-----	3	مدرسة اللاتين للبنات
45	-----	1	مدرسة أخوات المحبة
28	40	2	مدرسة البروتستانت
-----	160	1	مدرسة الألمان
-----	1000	1	مدرسة الالينانس
100	200	1	مدرسة الاطفال
-----	180	1	مدرسة التعاون
-----	2700	30	مدرسة المدراش
120	116	1	مدرسة هارون صالح
-----	150	1	مدرسة الوطن
275	100	1	مدرسة رفقة نوريل
600	-----	1	مدرة لورة خضوري
---	175	1	مدرسة الالينانس الحلة
-----	70	1	مدرس الالينانس خانقين
2013	6546	57	المجموع
-----	400	1	ولاية الموصل/ مدرسة الكلدان
-----	250	1	مدرسة السريان
-----	140	1	مدرسة اليعاقبة
50	300	1	مدرسة الآباء الدونيكان
100	-----	1	مدرسة أخوات المحبة
---	175	1	مدرسة الالينانس
150	1265	6	المجموع
-----	200	1	ولاية البصرة/ مدرسة الأميركان

الخاتمة

وفق ما تقدم في هذا البحث الموجز، يتضح ذلك جلياً إن السياسة التي اتبعتها الدولة العثمانية أبان حكمها للعراق حتى عام 1914، هي سياسة (فرق تسد)، وسياسة التتريك والقضاء على اللغة العربية، والقومية العربية تدريجياً، وعندما لم تفلح بذلك، حاولت إبقاء السكان على جهلهم وتأخرهم، وكانت نتيجة تلك السياسة المقينة أن ظلت الأكتريّة من أبناء الشعب في العراق بمعزل عن العالم المتحضر المتمدن، فضلاً عن أثره السيء في تعقيد المشكلات، إذ أحدثت فجوات واسعة قاسى منها أبناء العراق الأمّرين، ومن جانب آخر، كان المجتمع العراقي عميق التأثير بالنزعة الدينية ولا يتقبل الروح العسكرية التي حرصت الدولة العثمانية على تنشئة ضباط عسكريين ومحاربين تحتاج إليها جيوشهم الكبيرة في شتى أرجاء إمبراطوريتهم، فكان الآباء يرجحون تنشئة أبنائهم في المدارس الدينية الأهلية.

أما نوعية المدارس وأما كيفية التعليم فليس من الأمور التي يسهل وصفها- إذا استثنينا بعض المدارس الأهلية- فالمعلمون الأكفاء قلة والمناهج الدراسية قديمة مرتبكة لا تمتّ لحياة الناس بصلّة، واللغة العربية غريبة في بلادها وتدرس كما تدرس

اللغات الأجنبية، لأن اللغة الرسمية المفروضة هي اللغة التركية.

في الوقت نفسه، امتلكت الإدارة العثمانية في البلاد مدارس عسكرية وملكية إعدادية وسلطاني ومدارس إعدادية ورشدية، فالمدارس العسكرية كانت تغذي الجيش، أما المدارس الأخرى فكانت تهيء المواطنين للوظائف الحكومية، ولكن الغالبية من أولياء الأمور كانوا يعلمون أولادهم في المدارس العلمية الدينية والكتاتيب والمدارس الأهلية الطائفية والأجنبية. لذلك نلاحظ أن مجموع المدارس الأهلية والأجنبية في الولايات العراقية بلغ (64) مدرسة؛ وهو ما يُشكل نسبة 50% من إجمالي عدد المدارس في العراق حتى عام 1914، ضمت (8011) طالباً، و(2163) طالبة.

وعقب ضعف الدولة العثمانية، سيطر الغربيون على شؤونها فمُنحتهم ورعاياهم الامتيازات الكثيرة، منها حرية فتح المدارس الأهلية والأجنبية ومنحتهم الاستقلال الكامل في إدارة شؤون مدارسها، كما سمح للإرساليات التبشيرية أن تؤسس لها مدارس أجنبية تتمتع بحرية وامتيازات لا حد لها. وعليه، لم تُسَخَّ السلطة العثمانية إلى تثبيت جذور نظامها التعليمي والتربوي في البلاد، فما أن خرجوا منها بعد الاحتلال البريطاني عام 1914 حتى تحطم ذلك النظام التعليمي وتداعت أسسه.

هوامش البحث:

- (1) إبراهيم خليل احمد، تطور التعليم الوطني في العراق (1869-1932)، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، مطبعة جامعة البصرة، 1983، ص 25.
- (2) كارل بروكلمان، الأتراك العثمانيون وحضارتهم، ج4، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، 1950، ص 17.
- (3) جواد كاظم محيسن نجم، دار المعلمين العالية 1923-1958، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية، جامعة بغداد، 2014، ص 7-8.
- (4) عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين (العهد العثماني الأخير)، الجزء الثاني، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، 1956، ص 296.
- (5) بهذا الصدد يذكر الباحث عبد الرزاق الهلالي: "لما كان العثمانيون (سنيين) المذهب فقد ساروا في العراق على تأييد المذاهب السننية الأربعة، مستثنين من تلك الرعاية المذهب الجعفري الذي يحتل أتباعه جانبا كبيراً من البلاد، ولقد أحدث هذا التفريق والرعاية انقساماً في صفوف الأمة ومن ثم اختلاف منابع الدراسة ومعاهدها بين أبناء الطائفتين". عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العهد العثماني، الطبع والنشر الأهلية، بغداد، 1959، ص 43.
- (6) سعيد الديوه جي، مدارس الموصل في العهد العثماني، مطبعة الجمهورية، الموصل، 1964، ص 1؛ حسن أحمد سلطان، نظام التربية والتعليم في العراق (التعليم في العهد العثماني)، "مجلة المعلم الجديد"، ج1، مطبعة النقيض، بغداد، شباط 1947، ص 11-13.
- (7) غانم سعيد العبيدي، التعليم الأهلي في العراق بمرحلتيه الابتدائية والثانوية تطوره ومشكلاته، مطبعة الإدارة المحلية، بغداد، 1970، ص 29.
- (8) Roderic D. Mattews and Matta Akrawi, Education in Arab Countries of the Near East, Washington, D. C. American Council of Education, 1949, P.45.

- (9) سليمان فيضي، في غمرة النضال، طبع شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، 1952، ص11؛ إبراهيم خليل احمد، المصدر السابق، ص 26-27.
- (10) عبد الرزاق الهلالي كاتب وباحث عراقي ولد في البصرة عام 1916، دخل دار المعلمين العالية في بغداد عام 1932، مارس مهنة تدريس اللغة العربية، ثم دخل دورة ضباط احتياط وسرح من الخدمة بعد فشل حركة مايس 1941، ثم دخل كلية الحقوق المسائية، شغل العديد من المناصب في العهد الملكي. كتب مئات المقالات في الأدب والتاريخ والإقتصاد في المجالات العراقية والعربية، فضلاً عن عدد من المؤلفات القيمة.
- جواد كاظم محيسن نجم، المصدر السابق، ص 278-280.
- (11) عبد الرزاق الهلالي، معجم العراق، ج1، مطبعة النجاح، بغداد، 1953، ص213.
- (12) عزيز جاسم الحجية، بغداديات، السلسلة الثقافية14، بغداد، 1967، ص196.
- (13) عبد الرزاق الهلالي، معجم العراق، ج1، مطبعة النجاح، بغداد، 1953، ص213.
- (14) في عام 1889 أسس مجموعة من طلبة مدرسة الطب العسكري في اسطنبول جمعية سرية كانت غايتها وضع نهاية لحكم عبد الحميد الثاني وإعادة دستور 1876 المعطل، وكان هؤلاء الطلاب متأثرين بالحياة الفكرية والسياسية في أوروبا واتخذت الجمعية اسم الاتحاد والترقي واصبح إبراهيم تيمو الألباني رئيساً لها، غدت مقدونيا ومركزها سلانيك، مركزاً لتجمع الضباط الذين شكلوا العديد من التنظيمات في الجيش، إذ أسفرت التطورات الداخلية عن قيام جمعية الاتحاد والترقي بانقلاب على السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (1867-1909) من اجل إعادة العمل بالدستور، الذي كان السلطان المشار إليه قد أوقفه منذ عام 1877.
- للتفاصيل يُنظر: علي سلطان، تاريخ الدولة العثمانية، طرابلس، 1997، ص350-355، روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة بشير السباعي، ج2، بيروت، 1997، ص 322-334.
- (15) ساطع الحصري، حولية الثقافة العربية 1948-1949، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1949، ص3-4.
- (16) كان من دعاء الحركة القومية العربية، ولد في اليمن عام 1880، وأصله يرجع من حلب، درس في اسطنبول، وعندما قامت الثورة العربية الكبرى عام 1916، ساهم في تأسيس أول دولة عربية في سورية، وعُين وزيراً للمعارف، غادر سورية بعد الاحتلال الفرنسي مع الملك فيصل الأول، وعند تأسيس المملكة العراقية أستدعاه فيصل ليشغل منصب مدير المعارف، له العديد من المؤلفات في التربية والتعليم. يُنظر: كوركيس عواد، معجم المؤلفين العراقيين في القرن التاسع عشر والعشرين 1800-1969، مج2، مطبعة الارشاد، بغداد، 1969، ص 16-18.
- (17) ساطع الحصري، مذكراتي في العراق 1921-1927، ج1، دار الطليعة، بيروت، 1966، ص437.
- (18) أحمد عزت عبد الكريم، تاريخ التعليم في مصر، ج2، مطبعة النصر، القاهرة، 1945، ص304-305.
- (19) محمد أحمد العُمر، المصدر السابق، ص 2.
- (20) يقصد بالسناجق جمع سنجق وهو اللواء أصغر أدارياً من الولاية، إذ كانت كل ولاية مقسمة إلى عدد من الولايات.
- (21) ساطع الحصري، مذكراتي في العراق، ص99.
- (22) هي أسرة سيطرت على سياسة الموصل منذ بداية القرن الثامن عشر حتى أواخر القرن التاسع عشر ومن ابرز ولاة تلك الأسرة هو حسين باشا الجليلي و سليمان باشا الجليلي. يُنظر:

- طارق نافع الحمداني، صمود الموصل بوجه الغزو الفارسي (1145-1156هـ/1732-1743م)، موسوعة الموصل الحضارية، مج4، جامعة الموصل، 1992، ص38.
- (23) سليمان الصانع، تاريخ الموصل، ج1، المطبعة السلفية، القاهرة، 1923، ص41؛ سالم الحمداني، التعليم في الموصل في القرن التاسع عشر، "مجلة آداب الرافدين"، عدد10، جامعة الموصل، 1979، ص411.
- (24) هاشم الأعظمي، تاريخ جامع الإمام الأعظم، ج1، مطبعة العاني، بغداد، 1964، ص90.
- (25) علي ظريف الأعظمي، مختصر تاريخ البصرة، مطبعة الفرات، بغداد، 1927، ص137.
- (26) جعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدسة، قسم النجف، ج2، دار التعارف، بغداد، 1966، ص36.
- (27) عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العهد العثماني، ص102-103.
- (28) عبد الرزاق الهلالي، معجم العراق، ص89.
- (29) عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العهد العثماني، ص106.
- (30) لمى عبد العزيز مصطفى عبد الكريم، الخدمات العامة في العراق 1869-1918، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2003، ص35.
- (31) إبراهيم خليل أحمد، المصدر السابق، ص28-29.
- (32) عبد الرزاق عبد الدراجي، جعفر أبو التمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق 1908-1945، ط2، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980، ص31.
- (33) علي البازركان، فصول من تاريخ التربية والتعليم في العراق. ذكريات ووثائق، ط2، مكتب اسوان للطباعة، بغداد، 1993.
- (34) جواد كاظم محيسن نجم، المصدر السابق، ص25.
- (35) سماورات جمع سماور وهي كلمة فارسية معناها جهاز لغلي الماء للشاي. وتجدر الإشارة أن الحاج سلمان أبو التمن هو عم جعفر أبو التمن وهو تاجر معروف توفى شباط 1909. يُنظر: عبد الرزاق عبد الدراجي، المصدر السابق، ص32.
- (36) علي البازركان، المصدر السابق، ص31-32؛ عبد الرزاق عبد الدراجي، المصدر السابق، ص32.
- (37) عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العهد العثماني، ص175.
- (38) محمد مهدي الأصفهني، مدرسة النجف وتطور الحركة الإصلاحية، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، د.ت، ص8-11؛ علي البازركان، المصدر السابق، ص46-47.
- (39) عبد الله الفياض، الثورة العراقية الكبرى، بغداد، 1963، ص84.
- (40) وسام هادي عكار التميمي، مكتب الترقى الجعفري العثماني (المدرسة الجعفرية)، "جريدة المدى"، العدد 4349، 14 كانون الثاني، 2019، ص6.
- (41) أُبدل اسم المدرسة من مكتب الترقى الجعفري العثماني إلى المدرسة الجعفرية بعد الاحتلال البريطاني لبغداد عام 1917، خوفاً من إغلاقها.
- (42) عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج7، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، 1955، ص296؛ عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العهد العثماني، ص176.
- (43) غانم سعيد العبيدي، المصدر السابق، ص42؛ إبراهيم خليل أحمد، المصدر السابق، ص48.

- (44) خولة طالب لفتة، سليمان فيضي ودوره السياسي والثقافي والاجتماعي في العراق 1885-1951، بغداد، مطبعة الأديب البغدادية، 2003، ص 29-30.
- (45) مفيد إبراهيم حلمي العُمر، الأدوار التاريخية لمعارف لواء البصرة، المطبعة العربية عشار، البصرة، د.ت، ص4؛ جواد كاظم محسن نجم، المصدر السابق، ص 24.
- (46) سليمان فيضي، المصدر السابق، ص71-74؛ جواد كاظم محسن نجم، المصدر السابق، ص 24.
- (47) عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العهد العثماني، ص 187-188.
- (48) ساطع الحصري، حولية الثقافة العربية لسنة 1948-1949، ص11.
- (49) جميل موسى النجار، التعليم في العراق في العهد العثماني الأخير 1886-1918، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2000، ص 371-373.
- (50) سليمان صائغ، المصدر السابق، ص 325-327.
- (51) عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العهد العثماني، ص 193-194.
- (52) المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة جعفر الخياط، ط2، دار الرافدين، لبنان، 2004، ص 84.
- (53) غانم سعيد العبيدي، المصدر السابق، ص 45.
- (54) روفائيل بابو اسحق، تاريخ نصارى العراق منذ انتشار النصرانية في الأقطار العربية إلى أيامنا، مطبعة المنصور، بغداد، 1948، ص143.
- (55) لمى عبد العزيز مصطفى عبد الكريم، المصدر السابق، ص 40-41.
- (56) أسس في باريس عام 1860، كان له الدور الرئيس في تعزيز النفوذ الصهيوني عن طريق عدة وسائل كان التعليم أحد تلك الوسائل، إذ هدف إنشاء المدارس إلى إيجاد مرتكز اجتماعي وثقافي للحركة الصهيونية. يُنظر: فاضل البراك، المدارس اليهودية والإيرانية في العراق "دراسة مقارنة"، مطبعة دار الرشيد، بغداد، 1984، ص26.
- (57) عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العهد العثماني، ص 206-208؛ فاضل البراك، المصدر السابق، ص 27-30.
- (58) باسم حمزة عباس، تاريخ التربية والتعليم في البصرة 1921-1958، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب، جامعة البصرة، 1992، ص14؛ فاضل البراك، المصدر السابق، ص 30-31.
- (59) لمى عبد العزيز مصطفى عبد الكريم، المصدر السابق، ص41-42.
- عبد الرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العهد العثماني، ص 208-209.

عنوان البحث

**أثر الرؤية الاستراتيجية وإدارة الجودة الشاملة على أداء المشاريع الصغيرة والمتوسطة
(دراسة تطبيقية في العراق)**

أ.د. محمد موسى دياب²

مؤمن مازن سالم¹

¹ الجامعة التكنولوجية/العراق_بغداد

² جامعة الجنان/لبنان_طرابلس

تاريخ النشر: 2020/12/01م

تاريخ القبول: 2020/11/29م

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم الدعم للمشاريع الصغيرة والمتوسطة، من خلال تنمية عناصر الرؤية الاستراتيجية التي تمكن من قياس واختبار أدائها ومعرفة وتحديد نقاط الضعف والعمل على معالجتها، وكذلك توضيح العلاقة بين الرؤية الاستراتيجية للمشاريع الصغيرة والمتوسطة وإدارة الجودة الشاملة وتأثيرهما على أداء المشاريع. وللوصول إلى الأهداف المرجوة قام الباحث بدراسة إحصائية باستعمال البرنامج الإحصائي (SPSS.V.19). وبعد اعداد استبانة واختيار عينة عشوائية مكونة من (120) شخصاً من أصحاب المشاريع الصغيرة والمتوسطة والعاملين في وزارتي العمل والشؤون الاجتماعية والتخطيط، تم عرض وتحليل النتائج والتي كان أبرزها. وجود تأثير ذي دلالة معنوية للرؤية الاستراتيجية وإدارة الجودة الشاملة في أداء المشاريع. وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من الاستنتاجات كان أهمها ضعف الاهتمام بتطوير الوضع الحالي ومتطلبات التغيير المستقبلي للمنظمات المبحوثة، والاختلاف في الأهداف الداخلية في المشاريع الصغيرة والمتوسطة.

الكلمات المفتاحية: الرؤية الاستراتيجية، المشاريع الصغيرة والمتوسطة، الأداء، إدارة الجودة الشاملة

RESEARCH ARTICLE

**THE IMPACT OF THE STRATEGIC VISION AND TOTAL QUALITY MANAGEMENT
ON THE PERFORMANCE OF SMALL AND MEDIUM ENTERPRISES
(An applied study in Iraq)****Moamin Mazin Salim¹****Mohamed Diab²**¹ University of Technology / Iraq-Baghdad² University of Jinan / Lebanon-Tripoli**Accepted at 29/11/2020****Published at 01/12/2020****Abstract**

This study aims at providing upholding to small and medium enterprises as they suffer from wallow and lack of clarity in the choices regarding how to determine their future directions by providing strategic vision developing elements that will enable them to measure and test their performance, Clarifying the relationship between the strategic vision of small and medium enterprises and overall quality management and their impact on project performance. In order to achieve the desired objectives, we conducted a statistical study using the SPSS.V19 program. After examining the results, the researcher conducted a questionnaire. A random sample of 120 small and medium-sized entrepreneurs was selected in the ministries of planning, labor and social affairs. **The results showed a significant impact of strategic vision and total quality management in project performance.** The study reached a number of conclusions, the most important of which was the lack of interest in developing the current situation and the requirements of the future change of the investigated communities and the difference in the internal objectives in the small and medium enterprises.

المحور الأول: منهجية الدراسة

المقدمة

نظراً لأهمية المشاريع الصغيرة والمتوسطة، وتعدد الأطراف المهتمة بها، وتأثيرها في عملية النهوض الاقتصادي، بوصفها تقدم خدمات واسعة لها دور في تنمية معظم القطاعات وتخلق فرص عمل متنوعة تعكس الأهمية التي يمثلها القطاع الخاص في اقتصاديات العالم، لذا يراهن عليها العديد من الدول، ولاسيما النامية منها، في تنمية إقتصادياتها. ومن هنا، تبرز أهمية الرؤية الاستراتيجية للمشاريع التي تلعب دوراً مهماً في ضمان بقاء واستمرارية تلك المشاريع في كافة منظمات الأعمال سواء أكانت عامة أم خاصة، إنتاجية أم خدمية. لذا تُعد إدارة الجودة الشاملة أحد الأساليب التي يتم الإعتماد عليها في تطوير المنتجات، فهي تؤدي إلى الإرتقاء بالعمل، والاهتمام بمتطلبات الزبون ورغباته، وإجراء تحسينات مستمرة للمنتجات والعمليات الإنتاجية وإعداد البرامج التدريبية للعاملين لتقديم منتجات ذات جودة وكفاءة عاليتين. وبالنظر إلى الضغوطات والتحديات المحلية والعالمية التي تواجهها تلك المشاريع، أصبح من الضروري إعادة تقييم أدائها الذي يعتبر بمثابة منظومة متكاملة لايجاد الحلول المناسبة، من أجل ضمان بقائها واستمراريتها.

أولاً: تحديد إشكالية الدراسة

تكتسب المشاريع الصغيرة والمتوسطة أهمية في عملية النهوض الاقتصادي، وقد تصاعد الاهتمام فيها بسبب هشاشتها أمام المنافسة القوية من قبل المشاريع الأخرى نتيجة التطورات العالمية. لذا وجب الاهتمام بتفعيل الرؤية الاستراتيجية عند التخطيط لتلك المشاريع، ومراعاة كل متطلبات إدارة الجودة الشاملة لضمان نجاحها وإستمراريتها. ولمعرفة مدى قدرة المدير العراقي على إنجاحها، من أجل تعزيز جهوزية منظمتها للمنافسة في تبني متطلبات الرؤية الاستراتيجية وتحقيق إدارة الجودة الشاملة تنبثق إشكالية البحث التي يمكن صوغها على النحو التالي:

ما طبيعة العلاقة بين الرؤية الاستراتيجية للمشاريع الصغيرة والمتوسطة وإدارة الجودة الشاملة، وتأثيرهما على أداء المشاريع؟

ومن خلال التساؤل الرئيس يمكن طرح الأسئلة الفرعية التالية:

1. ما مستوى تطبيق متطلبات الرؤية الاستراتيجية وإدارة الجودة الشاملة في المشاريع الصغيرة والمتوسطة في العراق؟
2. هل للرؤية الاستراتيجية وإدارة الجودة الشاملة تأثير في أداء المشاريع، وما هو هذا التأثير وهل يتسم بأهمية معنوية إيجاباً او سلباً؟

ثانياً: أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الهدفين الآتيين:

1. تشخيص مدى تطبيق متطلبات الرؤية الاستراتيجية وإدارة الجودة الشاملة في المنظمات المبحوثة.
2. كشف أثر تطبيق متطلبات الرؤية الاستراتيجية وإدارة الجودة الشاملة على أداء المشاريع الصغيرة والمتوسطة على المدى الطويل.

ثالثاً: أهمية الدراسة

إن التعثرات التي عانتها المشاريع الصغيرة والمتوسطة نتيجة التطورات الإقليمية والدولية التي تسبب منافسة قوية لها من قبل المشاريع الأخرى، أوجبت الإهتمام بتطوير الخدمات التي تدعم نشاطات تلك المشاريع وفعاليتها وتسهم في تحقيق أهدافها الاستراتيجية، وتشخيص مستوى أدائها. لذا سنحاول تسليط الضوء على أهمية تطبيق متطلبات الرؤية الاستراتيجية وإدارة الجودة الشاملة في المشاريع الصغيرة والمتوسطة، وما يمكنها من ترك أثر على أدائها، وكذلك على توافر المعلومات النظرية والعملية للمهتمين والمعنيين بهذه المشاريع التي تعكس الواقع الحقيقي إلى حد ما، وتمكين الوزارات العراقية المعنية من الاستفادة منها في الظروف الراهنة والمستقبلية.

رابعاً: مجتمع الدراسة وعينتها

اختار الباحث العينة العشوائية الطبقية من مجتمع الدراسة في المنظمات المبحوثة والمتمثل بوزارة العمل والشؤون الاجتماعية، ووزارة التخطيط، لكونها الجهات الرسمية الداعمة للمشاريع، وبعض من أصحاب المشاريع الصغيرة والمتوسطة. وبلغ حجم المجتمع

بحسب إحصائيات المنظمات (210) فرداً، وتم اختيار العينة من هذا المجتمع بحسب نموذج (دي موركان، D.Morgan)، إذ بلغ حجم العينة بحسب هذا النموذج (132) فرداً أي بنسبة (63%) من إجمالي مجتمع الدراسة. ويبين الجدول رقم (1) عينة الدراسة وعدد الاستثمارات الموزعة، والمستلمة، ونسبة استردادها.

الجدول رقم 1: يوضح توزيع العينة

مجموع العينة	عدد الاستثمارات الموزعة	عدد الاستثمارات المستلمة	نسبة الاسترداد %
وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، وزارة التخطيط، أصحاب المشاريع الصغيرة والمتوسطة	132	120	91 %

خامساً: أدوات الدراسة

اعتمد الباحث في الإطار الميداني للدراسة على المقابلات، وعلى استمارة الاستبانة كونها مصدراً مهماً للحصول على البيانات اللازمة لإجراء الدراسة، حيث جرى تطويرها وفقاً لما يخدم أهداف وفرضيات البحث. وقد تم استخدام مقياس (Likert) الخماسي في إجابات أفراد العينة، وكان مستوى وزن الإجابة محصوراً بين (1 - 5) ولخمس مستويات وعلى وفق الفئات. ويبين الجدول رقم (2) المتوسط المرجح والمستوى التابع له الخاص بمقياس ليكارت الخماسي:

الجدول رقم 2: مقياس ليكارت الخماسي

المستوى	المتوسط المرجح
غير موافق بشدة	من 1 إلى 1.79
غير موافق	من 1.80 إلى 2.59
محايد	من 2.6 إلى 3.39
موافق	من 3.4 إلى 4.19
موافق بشدة	من 4.20 إلى 5

قياس الصدق والثبات:

1. اختبار الصدق: عرض الباحث استمارة الاستبيان على مجموعة من المحكمين من ذوي الاختصاص في مجال البحث. وقد استجاب الباحث لأراء المحكمين الذين بلغ عددهم (10)، وقام بإجراء التغييرات اللازمة في ضوء المقترحات المقدمة، وإخراج استمارة الاستبيان بصورتها النهائية.
2. اختبار الثبات: استخدم الباحث مقياس ليكارت الخماسي لقياس فقرات الاستبانة. لذا فإن هذا يتطلب اختباراً للثبات، ويوضح الجدول رقم (3) اختبار الثبات لمتغيرات الدراسة.

الجدول رقم 3: اختبار ثبات متغيرات البحث باستخدام معامل كرونباخ ألفا

المتغيرات	معامل كرونباخ ألفا
1 الرؤية الاستراتيجية X	0.983
2 إدارة الجودة الشاملة Z	0.955
3 أداء المشاريع Y	0.948

ويتضح من الجدول أعلاه أن قيمة معامل كرونباخ ألفا مرتفعة لكل متغير من متغيرات البحث وهي قيمة ثبات مرتفعة. وتؤكد هذه النتيجة صدق وثبات استبيان الدراسة وصلاحيته للتطبيق على عينة الدراسة الأساسية.

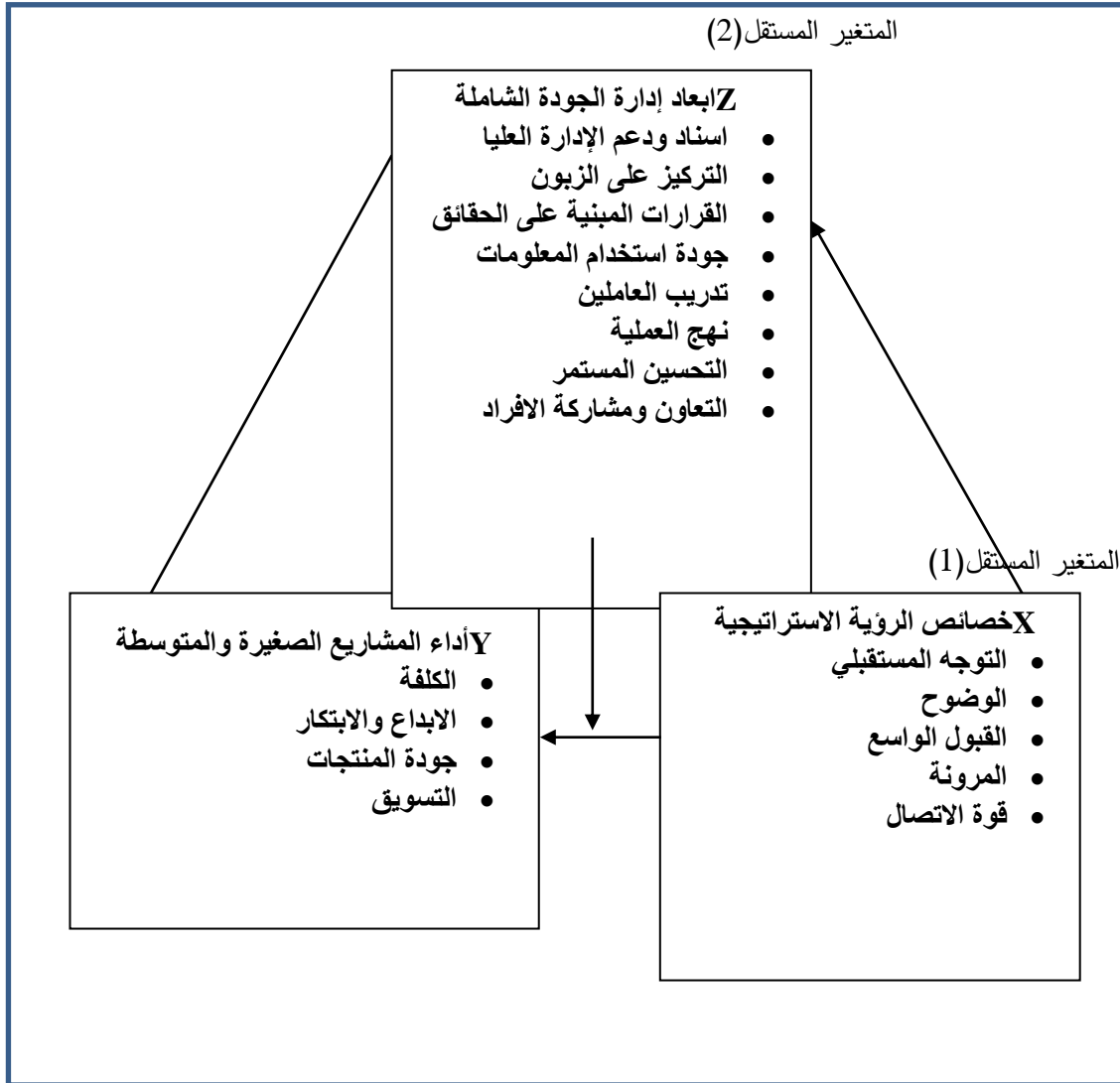
سادساً: فروض الدراسة

1. الفرضية الرئيسية الأولى: يوجد تأثير معنوي احصائياً للرؤية الاستراتيجية بأبعادها في أداء المشاريع.
2. الفرضية الرئيسية الثانية: يوجد تأثير معنوي احصائياً لإدارة الجودة الشاملة بأبعادها في أداء المشاريع.
3. الفرضية الرئيسية الثالثة: يوجد تأثير معنوي احصائياً للرؤية الاستراتيجية وإدارة الجودة الشاملة في أداء المشاريع.

سابعاً: أنموذج الدراسة

لغرض توضيح العلاقة بين متغيرات الدراسة قام الباحث بإعداد الأنموذج الآتي:

الشكل رقم 1: أنموذج الدراسة



ثامناً: حدود الدراسة

1. الحدود المكانية: تتمثل الحدود المكانية لهذه الدراسة في محافظة بغداد التي توجد فيها وزارة العمل والشؤون الاجتماعية ووزارة التخطيط، ومجموعة من العاملين في المشاريع الصغيرة والمتوسطة.
 2. الحدود الزمنية: تتمثل الحدود الزمنية في المدة الممتدة بين 2014 ولغاية 2016.
- تاسعاً: الدراسات السابقة

1. دراسة (العبيدي، 2017): إنعكاسات الرؤية الاستراتيجية على فاعلية برامج تدريب الموارد البشرية

تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على انعكاسات الرؤية الاستراتيجية على برامج تدريب الموارد البشرية في ديوان الرقابة المالية الأتحادي. باستخدام أداة رئيسية لجمع البيانات والمعلومات من افراد العينة وهي (الإستبانة) التي تم تحليل معطياتها باستخدام البرمجة الاحصائية (SPSS). وتوصلت الدراسة إلى عدد من الإستنتاجات المهمة لعل أبرزها الدور المهم الذي تلعبه الرؤية

الاستراتيجية في فاعلية برامج تدريب الموارد البشرية في ديوان الرقابة المالية من خلال ما تحققه الرؤية الاستراتيجية من فوائد تنعكس إيجاباً على برامج التدريب تتمثل بردود الفعل والتعليم والسلوك، وقابليتهم على أداء وظائفهم بصورة أفضل. وانتهى البحث بالتوصيات أهمها العمل على تعميق الصلة ما بين مكونات الرؤية الاستراتيجية ومحاولة الإفادة من الصلة في صياغة الخطط المستقبلية للديوان، ولاسيما في فاعلية برامج التدريب واحداث التغييرات المطلوبة.

2. دراسة (Nugroho,2018) **Analysis of Total Quality Management (TQM): implementation in Small**

Medium Industrie.

تحليل وتنفيذ أداره الجودة الشاملة في الصناعات الصغيرة المتوسطة.

إن الغرض من هذه الدراسة هو تحليل تطبيق إدارة الجودة الشاملة على الصناعات الصغيرة والمتوسطة في قطاع الأغذية بعد معرفة نتيجة تنفيذ إدارة الجودة الشاملة في الصناعات الصغيرة والمتوسطة في صناعة الاغذية. والمنهجية المستخدمة في هذه الدراسة هي أخذ البيانات الأولية مع الاستبيانات، وهذه الدراسة هي عبارة عن دراسة تجريبية باستخدام تقنيات الدراسة السكانية، والتي غالباً ما يشار إليها بوصفها تقنيات التعداد في البيانات. وتمت معالجة البيانات الناتجة بواسطة أسلوب نموذج المعادلة الانشائية (SEM).

3. دراسة (الحيدري، 2017): تأثير تطبيق فلسفة إدارة الجودة الشاملة في الأداء المنظمي من وجهة نظر الزبون الداخلي.

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة تأثير تطبيق فلسفة إدارة الجودة الشاملة في الأداء المنظمي من وجهة نظر الزبون الداخلي، وقد تم إجراء مقارنة بين منطمتين إحداهما تطبق مبادئ إدارة الجودة الشاملة بشكل جيد ... وأخرى تطبق تلك المبادئ بشكل محدود، وتوصلت الدراسة الى مجموعة من الاستنتاجات أبرزها وجود تأثير قوي لادارة الجودة الشاملة في الأداء المنظمي في الشركة العامة للصناعات الكهربائية/ديالى ووجود تأثير ضعيف لادارة الجودة الشاملة في الأداء المنظمي في الشركة العامة للصناعات الكهربائية/بغداد. أما أهم التوصيات فكانت حث المنظمات العراقية على تطبيق متطلبات إدارة الجودة الشاملة كبرنامج عمل بدلاً من الإدارة التقليدية، لأن ذلك من شأنه أن يساهم في تحسين أداء المنظمات، مما يؤدي إلى تحقيق الازياح وتجنب الخسائر.

ما يميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة

تعد هذه الدراسة الاولى التي تجمع بين متغيرات الدراسة المتمثلة (الرؤية الاستراتيجية للمشاريع الصغيرة والمتوسطة طبقاً لمنظور إدارة الجودة الشاملة) على حد علم الباحث وكذلك تعد اضافة علمية وعملية في تطوير ورفد مسيرة البحث العلمي بكل ما هو جديد إلى حقل المشاريع في مجال الاختصاص فضلاً عن إنها من الدراسات القليلة التي طبقت ضمن بيئة المشاريع الصغيرة والمتوسطة في محافظة بغداد وكذلك وضحت وسائل الرؤية الاستراتيجية وإدارة الجودة الشاملة التي تستخدم لتعزيز و توجيه اصحاب المشاريع الصغيرة والمتوسطة وتميبتها مستقبلاً.

المحور الثاني/الجانب النظري

المطلب الأول: الرؤية الاستراتيجية

أولاً: مفهوم الرؤية الاستراتيجية

يشير المعنى الاصطلاحي لكلمة الرؤية إلى أنها القدرة على رؤية الأشياء التي لا يمكن رؤيتها إلا من خلال التصور الذهني والادراك والمقارنة. أما مفهوم الرؤية بحسب التوجه الاستراتيجي فهو بيان متكامل وفاعل يوضح ما ستكون عليه الاعمال والنشاطات أو ما يجب أن تكون عليه بعد عدة سنوات (الجبوري، 2014: 154). بينما أشار (Papulova,2014:13) إلى أنها صورة المستقبل التي تقوم على الأفكار التي تجتاز الوقت الحاضر والتي غالباً ما تحفز أجيالاً من المديرين.

ثانياً: خصائص الرؤية الاستراتيجية

نوقش موضوع خصائص الرؤية الاستراتيجية على وفق مداخل ورؤى مختلفة ومردود هذا الاختلاف أن الكتاب والباحثين تناولوا خصائص الرؤية من خلفيات علمية وتخصصات مختلفة وقد نوه البعض منهم بجملة من الخصائص إذ أشار (الجبوري، 2014:158-159) (رحيمه، 2008:22) (العبيدي، 2017: 19) (ستريكلاوند، 2006:36) (بني مصطفى، 2017: 72) (Papulova,2014:13) إلى أن خصائص الرؤية الاستراتيجية تتمثل بما يأتي:

1. **التوجه المستقبلي:** إن المستقبل يجب أن لا يدرك فقط، بل يجب أن يشكل أيضاً، حيث تمثل الرؤية الصورة الذهنية المثالية لحالة المنظمة لما ستكون عليه في المستقبل، كما أن الايصال الجيد للرؤية يخلق حماساً كبيراً لإدارة التوجه المستقبلي الذي يرسم ويسبب تحدياً ويجمع أفراد المنظمة.
2. **الوضوح:** إن الرؤية الواضحة إذا كانت بسيطة فإنها تعطي إدراكاً مشتركاً عاماً للتوجه الاستراتيجي، ونوعاً من التحدي لقابلية العاملين ولتحسين وضعهم وتطوير منظماتهم.
3. **القبول الواسع:** إن الإدارة في المنظمات تحتاج إلى صياغة رؤيتها والاعلان عنها بأسلوب يحث العاملين على قبولها، وينمي لديهم الاحساس بالفخر والانتماء إلى هذه المنظمة والالتزام بأهدافها، فالموافقة عليها تعد خطوة ضرورية لإعادة توجيه المنظمة وتنمية استعدادها من أجل التحرك في الاتجاه الصحيح.
4. **المرونة:** يجب أن تكون الرؤية مرنة وتتصف بالعمومية والشمولية والحيوية، لأن المرونة تستوجب وجود اتجاه محدد وغايات واضحة لتؤدي إلى نتائج مرغوبة. ولغرض نجاح المنظمات والمشاريع فيجب أن تكون منفتحة لكي تستقبل مؤشرات التغيير ومستلزماته المطلوبة.
5. **قوة الاتصال:** تعد الرؤية الاستراتيجية مستقبل المنظمة وتوجه استراتيجياتها إذ يجب على الرؤية أن تخلق عملية التواصل الواسع والتوافق المستمر في عمل المديرين التنفيذيين حتى تصبح جزءاً تكاملياً من ثقافة المنظمة، وبهذا الاتصال الواسع تصبح الرؤية الاستراتيجية مشتركة بين الجميع.

ثالثاً: مكونات الرؤية الاستراتيجية وعناصرها

إن للرؤية الاستراتيجية عناصر ومكونات تم تناولها من قبل الكثير من الباحثين والكتاب. فقد أشار (أحمد، 2017: 70) إلى أنه لكي تتضح الرؤية الاستراتيجية لا بد أن تتوفر العناصر الآتية:

1. وضوح غاية المنظمة- (ماذا نريد)؟
 2. تأصيل قيم المنظمة- (بماذا نؤمن)؟
 3. تخيل صورة الوضع المستقبلي- (كيف سيكون الوضع)؟
 4. تحديد المهام والمطلوبات- (ما الذي يتوجب فعله)؟
- ولغرض الإجابة عن هذه التساؤلات يجب أن تتوفر العناصر الآتية للرؤية. فقد أوضح كل من (جودة، 2015: 72) (العبيدي، 2017: 20) ما يلي:

تحديد مجال النشاط والوضع المستقبلي للمنظمة، تحديد الرؤية المستقبلية وأهداف المنظمة، اختيار الاستراتيجيات المناسبة، تحديد التوجه الاستراتيجي للمنظمة، تعريف العاملين بالرؤية الاستراتيجية. رابعاً: مرتكزات الرؤية الاستراتيجية للمشاريع الصغيرة والمتوسطة من أجل تحقيق أفضل مردود لتحقيق الأهداف المناسبة التي تسعى إليها الإدارة وكذلك تكوين رؤية فعالة ومفيدة تحقق الأهداف المطلوبة، يجب الأخذ بمجموعة مرتكزات أساسية. وقد أشار (صدار وزدارية، 2016: 14) إلى:

1. مراجعة وتقييم استراتيجيات عمل المنظمة والمشاريع، مما يتيح الفرصة للاطلاع على ما يدور في أذهان المديرين الآخرين، وكذلك استشراف الرؤية المستقبلية التي يجب أن تكون عليها المشاريع على المدى القريب والبعيد.
2. الاستعانة بالاستشاريين والمعنيين ذوي الاختصاص لتحديد المسار الاستراتيجي، ويتم ذلك من خلال الاجتماعات مع الموظفين لاكتشاف مدى استيعابهم للخطط التي تنتجها هذه المشاريع والاطلاع عليها، كما يتم تبادل المعلومات من أجل تحقيق هذه الاستراتيجيات.

المطلب الثاني: المشاريع الصغيرة والمتوسطة

أولاً: مفهوم المشاريع الصغيرة والمتوسطة

يلاحظ كثرة المعايير المستخدمة في تعريف المشاريع، أهمها معيار حجم العمالة ومعيار حجم رأس المال، وأيضاً معيار التقدم التكنولوجي ومعيار الحجم وقيمة الانتاج. فذهبت اللجنة الاجتماعية والاقتصادية لغرب اسيا (ESCWA) إلى أن المشاريع الصغيرة والمتوسطة هي الشركات التي يتراوح عدد العاملين فيها بين (50-250) عاملاً (حداد، 2006: 20). أما منظمة التنمية الصناعية للأمم المتحدة اليونيدو فقد نظرت إلى المشروع الصغير بوصفه ذلك المشروع الذي يديره مالك واحد ويتكفل بالمسؤولية بشكل كامل، ويتراوح عدد العاملين فيه من (10-50) عاملاً (أبو غزالة، 2015: 38). وأوضح (يوسيفات، 2015: 31) أنها تلك المشاريع التي تسعى بشكل كبير إلى تبني طرائق انتاج أقل كلفة وأعلى جودة. ويلبي اعتماد الترتيب الداخلي احتياجات المنظمة ولكن في إطار ميزانية محدودة.

أما المعيار المعتمد في العراق لتصنيف المشاريع الصغيرة والمتوسطة، فهو الذي يقوم على عدد العمال. إذ تضم المشاريع الصغيرة من عامل واحد إلى 5 عمال، والمتوسطة من 10 إلى 29 عامل. أما قيمة الماكثن والمعدات فلا تتجاوز (100,000) ألف دينار عراقي (مديرية الإحصاء الصناعي الجهاز المركزي للإحصاء، 2015: 1).

ثانياً: أهمية المشاريع الصغيرة والمتوسطة

تعد المشاريع الصغيرة والمتوسطة المحرك الرئيس وحجر الزاوية الأساسي في تعزيز الأنشطة الانتاجية وفي تطوير الاقتصاد الوطني وخلق التنمية المستدامة. وقد ازاد اهتمام البلدان المتقدمة بمثل هذه المشاريع كونها صانعة للتجديد والابتكار وتساهم في تحقيق التكامل بين الأنشطة الاقتصادية وفي تحسين الدخل وتوفير الاستقرار (Jasim, 2013; 255). وأوضح (وحداني، 2015: 28) أنها تشكل نواة للمشاريع الكبيرة، توفر فرص عمل متنوعة، تعد عاملاً مهماً لتنمية المناطق الريفية وتقلل من الهجرة، واستخدامها للموارد المحلية بدرجة كبيرة، تقلل من الاستيراد وتحسن الصادرات. أما (العطاس، 2018: 228) فيرى أن قدرتها على التكيف وتغذية المشاريع الكبيرة بأفكار جديدة، تعد عاملاً مساعداً للاستقرار الاجتماعي والسياسي. ويرى الباحث يمكن أن تسهم أهمية المشاريع الصغيرة والمتوسطة في تطوير وتحقيق الأهداف الاقتصادية للدولة من خلال توفير فرص العمل، وخلق القوائد، وتطوير المواهب والابتكارات، لتعزيز التنافسية وتحقيق عوائد في الأسواق.

ثالثاً: أهداف المشاريع الصغيرة والمتوسطة

تؤدي المشاريع الصغيرة والمتوسطة دوراً رئيساً مهماً كونها تعد محركاً للتنمية ومستحدثاً للوظائف بوصفها مصدراً من مصادر توفير العمل الجديدة. ولهذه المشاريع أهداف ترمي إليها وتتجلى بصورة عامة في:

1. إدماج العمالة وتأهيلها، ربط شبكة الأعمال داخل نظام الإنتاج، وتوفير المهارات والحوافز المؤدية إلى التطوير والإبداع

(علي، 2004: 34).

2. توفير بيئة أعمال مناسبة في المشاريع الريادية التي تسهم في نقل التكنولوجيا وتستثمر الابتكارات الجديدة، رفع نسبة الاكتفاء الذاتي وخلق فرص العمل، توظيف نتائج البحث العلمي والابتكارات الجديدة والإبداعات، إضافةً إلى تشجيع روح المبادرة (المحروق، 2011: 14).

رابعاً: إدارة المشاريع الصغيرة والمتوسطة و آليات قياس الأداء

1- إدارة المشاريع الصغيرة والمتوسطة

أشار التقرير الأمريكي الذي أعدته الوكالة الدولية للتنمية الاقتصادية إلى أن إدارة المشاريع تعد بمثابة منتدى تشترك به عناصر ثلاثة هي الحكومات، الممارسات، والخبرات. وتشترك هذه العناصر أيضاً في العديد من حلقات العمل، مما ينعكس إيجاباً على نجاح المشاريع. ويساعد وجود هذه العناصر الإدارة بشكل جيد، إذ يمكنها من الامتثال للمتطلبات التنظيمية وتشجيع مشاركة الموظفين وتحسين العلاقات مع الزبائن، ومن هنا تبرز أهميتها كونها يمكن أن تلعب دوراً في تخفيض التكاليف وفي استخدام الموارد بشكل أمثل. ولذلك فهي تتمتع بخصائص بالغة الأهمية تتمثل في الدعم والالتزام بالموارد ودمج الأعمال ومشاركة العاملين، فضلاً عن وضوح الأهداف والغايات. وتتضح مهام إدارة المشاريع في تعيين المهمات ومراقبة السجلات والوثائق وكذلك المشاركة بالمعلومات (العزاوي، 2012: 62). بينما ترى (العبيدي، 2014: 45-46) إنها تطبيق المعرفة والمهارات والأدوات والأساليب التقنية على أنشطة المشروع ويتم ذلك عن طريق تطبيق عمليات إدارة المشاريع وتكاملها من حيث التخطيط والتنظيم والتحكم والمراقبة. وكذلك المراقبة.

2- آليات أداء المشاريع الصغيرة والمتوسطة ومؤشرات قياسها

أ- مفهوم الأداء

يقصد بالأداء عملية تحقيق المشروع لأهدافه وتعبير عن الأداء الشامل، وهي تتضمن الأداء الإقتصادي والمسؤولية الاجتماعية والإنتاجية والإستمرار (رمضان، 2010: 51). والأداء بمثابة صورة حية تعكس مستوى قدرة المنظمة على استغلال مواردها وقابليتها لتحقيق أهدافها الموضوعية عن طريق أنشطتها المختلفة وفقاً لمعايير تلائم المنظمة وطبيعة عملها (العوادي، 2009: 94).

ب- ابعاد قياس الأداء

يتم تحديد ابعاد قياس الأداء طبقاً لإستراتيجيات المنظمة والتي تعتمد في تحديدها على اختيار وضع المنظمة وكذلك وسائل تنفيذ الاستراتيجية، فوضع المنظمة يركز على السوق وكذلك المنتج، من خلال جمع واعداد وتحليل البيانات، فالأداء يقاس بمجموعة من المعايير التي تحقق الأهداف ورضا العاملين فقد بينها (Imran&Other, 2018: 521) (ميسرة، 2012: 49) (Taticchi, 2010: 135).

1. الكلفة: خفض الكلف الإجمالية المرتبطة بالنقل والبيع للمنتج والخدمة.
 2. جودة المنتجات: تحسين مستوى الجودة للمنتج والخدمة من خلال تحديد المواصفات الرئيسية للمنتج.
 3. الإبداع والابتكار: أن ابتكار المنتجات والعمليات الإنتاجية والخدمات واستخدام التكنولوجيا والتقنيات الحديثة فأنها ستحصل على ميزة تنافسية تؤدي إلى زيادة الأداء.
 4. التسويق: تحسين الانطباع لدى العملاء من خلال علامة المنظمة.
- أما نظم قياس الأداء، فهو عبارة عن مجموعة من المقاييس المستخدمة لتحديد الكفاءة والفعالية لحركات وافعال المنظمة (ميسرة، 2012: 50).

أما المقياس أو المؤشر فهو علاقة بين عنصرين، وهذه العلاقة قد تكون أفقية أي أنها تقيس نمو عنصر معين وتطوره، وقد تكون رأسية أي لعنصرين يوجد بينهما نوع من الارتباط الاقتصادي أو الفني. وتفيد العلاقة في تقييم الأداء الكلي للمؤسسة وأنشطتها الداخلية (عوض، 2006: 21).

خامساً: التحديات التي تواجه المشاريع الصغيرة والمتوسطة وعملية إدارة المخاطر تعاني المشاريع الصغيرة والمتوسطة العديد من المشاكل التي تقف عقبة في تطويرها وتنمية اقتصادها فقد أشار كل من (بشارت، 2005: 45) (Gnyawali,2009:310) إلى ما يأتي:

1. يؤدي ضعف المهارة ونقص الخبرات الإدارية لدى مالكي أصحاب المشاريع الصغيرة والمتوسطة إلى فشل التخطيط وكذلك ضعف الإنتاجية ونقص الموارد التكنولوجية وارتفاع تكاليفها والنقص في الأيدي العاملة وعدم ادخالهم وإشراكهم بالدورات التدريبية مما أدى ذلك الى تدني مستوى الكفاءة.
 2. تعثر بعض المشاريع بسبب عدم وجود دراسات للجدوى الاقتصادية قبل الشروع بتنفيذها، الأمر الذي يجعلها في موقف تمويلي أو تسويقي أو إنتاجي ضعيف وغير ملائم لمتطلبات السوق أو الظروف الاقتصادية الداخلية.
 3. ضعف الخطط والرؤية المستقبلية للمالكين، كذلك التوسع بالإنتاج وتراكم المخزون دون النظر إلى الظروف الاقتصادية، فضلاً عن ضعف المعرفة ببرامج الجودة والتنافسية والتسويق، في ظل نمطية طبيعة وطريقة الإنتاج.
- أما بالنسبة لعملية إدارة المخاطر فيجب أن تؤخذ بنظر العناية وبصورة أكثر جدية، لأنها تمثل جزءاً أساسياً في إدارة المشاريع، كما يمكن تعريفها بأنها مزيج من مركب من أحتمال تحقيق الحدث ونتائجه (أبو حجير، 2014: 70). وهناك عدة أنواع للمخاطر:
1. المخاطر التي تمس منتجات الشركة والمتعاملين معها في هذا المجال.
 2. المخاطر التي تهدد سمعة الشركة ومصداقيتها وتتل من ثقة العملاء.
 3. المخاطر التي تحدث على المستوى الداخلي والخارجي في الشركة.

المطلب الثالث: إدارة الجودة الشاملة

أولاً: مفهوم إدارة الجودة الشاملة

عرفتها منظمة الايزو ISO بأنها نظام إداري استراتيجي شامل وعلى المدى الطويل تتطلب مشاركة الجميع (الحراشة، 2011: 32). فهي فلسفة تكاملية على نطاق المنظمة تهدف إلى التحسين المستمر لنوعية المنتجات والخدمات والعمليات من أجل تلبية احتياجات أو تتجاوز توقعات العملاء (Baird,2011:801). ويمكن القول إنها عقيدة أو عرف متأصل وشامل في أسلوب القيادة بهدف التحسين المستمر (حامد، 2016: 61). وأشار (البوهي واخرون، 2018: 67) إلى أنها التغيير الجوهرى لأداء الأعمال، فهي ابتكار لاتجاه جديد يتضح من خلال أداء العاملين وافراد الإدارة العليا.

ثانياً: أهمية إدارة الجودة الشاملة

سعى الباحثون والكتاب والاختصاصيون بمختلف منطلقاتهم الفكرية والفلسفية إلى استثمار المرتكزات الإدارية والتنظيمية واستثمار الجهود المتعلقة بإدارة الجودة الشاملة، لما لها من أهمية في تدريب العاملين وتشجيعهم، وإجراء عملية التحسين المستمر، وبالتالي في تحقيق الحصة السوقية، وزيادة في الربحية (يوسف، 2007: 31). كما أنها تسهم في تقليص شكاوى الزبائن من خلال الفهم الكامل لحاجاتهم ورغباتهم، وتحسين وتطوير طرائق وأساليب العمل في المنظمة وزيادة حصتها السوقية، والحصول على مركز تنافسي أفضل في الأسواق (الحريشاي، 2015: 62). فالقدرة على تحسين السلع والخدمات المقدمة للعملاء، وعلى كسب رضا أطراف العملية الانتاجية والخدمية، والقيام بإدخال التحسينات الجديدة على السلعة، كل ذلك يمنح المنظمة سمعة جيدة مما يؤدي الى زيادة قدرتها التنافسية (الزبون ويني حمدان، 2017: 66).

ثالثاً: مبادئ وأبعاد إدارة الجودة الشاملة

تباينت آراء الباحثين والكتاب في تحديد مبادئ وأبعاد إدارة الجودة الشاملة وإذا ما تم تطبيق هذه المبادئ في المنظمات بفاعلية فإن ذلك سيؤدي إلى النجاح حتماً في تحقيق مستوى متميز في الجودة كما ويمكن حصر أهم المبادئ والأبعاد المتفق عليها بين الكتاب بما يأتي:

1. اسناد ودعم الإدارة العليا: تكتسب الجودة قوتها وفعاليتها من الإدارة العليا لخلق تغيير جذري في جميع العمليات والأنشطة والعلاقات مع العاملين، ويتطلب أن يكون هناك تدريب للقادة على المفاهيم والمبادئ الأساسية واستخدام التقنيات الحديثة ومن ثم يحقق نجاحاً لهذه المشاريع. (Moballegghim & Moghadd, 2012:7) (Sahoo&Yadav, 2018: 243).
2. التركيز على الزبون: الزبون هو الموجه لإدارة الجودة الشاملة والسبب الأساس لبقاء أي منظمة من خلال العمل على فهم حاجاتهم الحالية والمستقبلية وتلبيتها والسعي لتقاضي النقص والاختفاء والاستماع الفاعل للموردين والزبائن مما يؤدي إلى تجاوز توقعاتهم (الساعدي وآخرون، 2012: 21) (قنديل، 2015: 21).
3. القرارات المبنيّة على الحقائق: إن اتخاذ القرار الصائب لا يتحقق من دون اللجوء لاعتماد الحقائق الواقعية وهذا يتطلب توفير نظام معلومات وجمع البيانات والاعتماد على العاملين كونهم أكثر قدرة في إدراك ومعرفة الحقائق الخاصة بإجراءات العمل (ابراهيم، 2017: 257).
4. جودة استخدام المعلومات: هي عبارة عن عمليات استخدام التقنيات الحديثة في عملية جمع البيانات وحفظها ومعالجتها وبنائها بسرعة ودقة عالية لغرض الحصول على المساعدة في عمليات الدعم واتخاذ القرارات وتحليل البيانات والمشكلات التي تواجه المشاريع. (وهيبة، 2016: 327) (Sahoo&Yadav, 2018: 243).
5. تدريب العاملين: يتضمن تدريب العاملين المهارات بينهم والقدرة على العمل ضمن الفرق وحل المشكلات التي تواجههم وصنع القرارات وإدارة الوظيفة وتحليل الأداء في الوقت الذي يتم فيه الالتزام بالثقة والأخلاق والإسهام في تكوين إدارة الجودة الشاملة (الربيعي، 2014: 53).
6. نهج العملية: تقوم هذه الاستراتيجيات على تنظيم الأجهزة والمعدات والتي بإمكانها تقليل تكاليف التلف والضياع والأخطاء، كما أنها تحقق نتائج مرجوه بكفاءة عالية (جباري، 2011: 23).
7. التحسين المستمر: يعد فلسفة إدارية وهدفاً ثابتاً يعمل لتطوير العمليات والأنشطة المتعلقة بالآلات والمواد والافراد وطرائق الانتاج بصورة مستمر، ويهدف إلى الوصول إلى الاتقان الكامل للأعمال والأداء التشغيلي للعمليات الانتاجية، حيث يتطلب سرعة الإستجابة للتغيرات من ناحية وتبسيط الإجراءات والفعاليات من ناحية أخرى (حمود، 2000: 101) (جمعه وجمال، 2017: 322).
8. التعاون ومشاركة الأفراد: يُعد العمل الجماعي والتعاون بين العاملين الأساس الذي يستند إليه مشاركة العاملين والذي يبدأ بخطوة أساسية تتمثل بمعرفة كل فرد لأداء عمله في تحقيق هذه الفلسفة بنجاح (سلطان وآخرون، 2007: 181).

رابعاً: مراحل تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المشاريع الصغيرة والمتوسطة

هناك اختلاف في موضوع مراحل تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المشاريع الصغيرة والمتوسطة ناتج عن تناول الكتاب والباحثين من خلفيات علمية وتخصصات مختلفة. وقد نوه البعض منهم بجملة من المراحل، إذ أشار كل من (فتحية، 2015: 72) (الحريشاي، 2015: 72) (أبو حلوة، 2019: 65) إلى أن مراحل تطبيق إدارة الجودة الشاملة تتمثل في ما يأتي:

1. المرحلة الصفرية (الإعداد) Preparation: هي معرفة مدى الحاجة إلى تطبيق مدخل إدارة الجودة الشاملة داخل المشاريع، وتمثل مرحلة تحضيرية لتوضيح الرؤية الاستراتيجية، وتحديد الرسالة والأهداف، ورسم سياسة المشاريع، وتحديد الموارد المطلوبة لغرض تنفيذ إدارة الجودة الشاملة.

2. **الدراسة والتخطيط Study and planning**: بعد جمع البيانات التي تم الحصول عليها في المرحلة السابقة تقوم إدارة المشاريع بإعداد خطة أولية للتنفيذ، وتحديد الفرص والمشاكل التي قد تتعرض لها فرق العمل ومن ثم تحديد الموارد المطلوبة والإستراتيجية لتنفيذ الخطة.

3. **التقويم Assessment**: تشمل هذه المرحلة عملية تبادل المعلومات الضرورية لدعم مراحل الإعداد والتخطيط، كما تشمل أيضاً أعمال المسح الميداني على المستويات جميعها، فضلاً عن التقويم الذاتي الذي يوضح انطباعات الفرد والمجموعة في ما يتعلق بعناصر نقاط القوة والضعف في المشاريع، وكذلك دراسة وتقييم آراء واتجاهات المستهلكين بصدد التغيرات في بيئة عمل المشاريع.

4. **التنفيذ Implementation**: تعد هذه المرحلة البداية الحقيقية لترجمة متطلبات إدارة الجودة الشاملة على أرض الواقع، حيث يتم اختيار من سيعهد إليهم بمهمة التنفيذ ويعدون امتداداً لمهام المنسق، ويقومون بأدوار استشارية ويتم تدريبهم باعتبارهم جزءاً من الخدمات الداعمة.

5. **تبادل الخبرات**: يتم في هذه المرحلة استثمار الخبرات والنجاحات، وتضم جميع العاملين والموردين والزبائن في المشاريع للمشاركة في عملية التحسين المستمر، واقناعهم بالمزايا من تطبيق إدارة الجودة الشاملة، حيث تتم مناقشة النتائج وتقييمها بصورة أولية واتخاذ الإجراءات اللازمة بصدد ذلك.

خلاصة المحور الثاني

يُعد موضوع المشاريع الصغيرة والمتوسطة موضوعاً واسعاً ولا يمكن حصره بسهولة، حيث أن تعريفها ومقارنتها بين الدول يعد مهمة معقدة، كما تختلف معايير تصنيفها بين دولة وأخرى، وتتميز المشاريع الصغيرة والمتوسطة بعدة خصائص تمكنها من التأكيد على الدور الذي يمكن أن تقوم به في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وتطوير ودعم هذا القطاع. إذ تسعى المنظمات والمؤسسات في الوقت الحالي، إلى تحقيق التكامل والشمول في جميع المجالات والأنشطة التي تعمل بها، وذلك من خلال وضع رؤية إستراتيجية تساعد على تحقيق الكفاءة والفاعلية في الأداء والوصول إلى الأهداف المطلوبة في المنظمة على المدى البعيد، ويسهم في تحقيق أعلى مستوى من النجاح للمنظمة أو المؤسسة. وتم التوصل إلى أن تطبيق مفاهيم إدارة الجودة الشاملة يحقق فوائد ومزايا كثيرة، مما يعزز ثقة الأطراف ذات الصلة بتلك المشاريع ومعرفة المكانة الحقيقية لها، وكذلك تسهم في تخفيض التكاليف وزيادة الانتاجية والحصة السوقية.

المحور الثالث/ عرض وتحليل النتائج واختبار الفرضيات

المطلب الأول: واقع المشاريع الصغيرة والمتوسطة في العراق

أصدرت مديرية الإحصاء الصناعي في الجهاز المركزي للإحصاء وتكنولوجيا المعلومات تعريفاً للمشاريع الصغيرة، إذ عرّفها بأنها منشآت صناعية تعود للقطاع الخاص فقط وإن المعيار المعتمد في تصنيف هذه المنشآت هو إن عدد العاملين يتراوح (1-9) عاملاً، أما المشاريع المتوسطة، فإن المعيار المعتمد في تصنيفها هو إن عدد العاملين يتراوح (10-29) عاملاً. والجدول رقم (4) يبين واقع المشاريع الصغيرة في العراق خلال مدة الدراسة:

الجدول رقم 4: عدد المشاريع الصغيرة والمتوسطة والمشتغلين فيها وأجورهم وقيمة ومستلزمات الإنتاج خلال المدة (2013-2016)

السنة	عدد المشاريع		عدد العاملين		مجموع الأجر والمزايا (مليون دينار)		مجموع قيمة الإنتاج (مليون دينار)	
	متوسطة	صغيرة	متوسطة	صغيرة	متوسطة	صغيرة	متوسطة	صغيرة
2013	226	27694	3525	91959	21.8	339409	240.8	3289710
2014	120	21809	1916	84272	11.9	259762	115.5	1924980
2015	92	22480	1491	67157	10	261492	83	1823968
2016	179	25966	2449	81920	15.6	333.1	142.8	2080

المصدر: جمهورية العراق، وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي، الجهاز المركزي للإحصاء وتكنولوجيا المعلومات، التقارير السنوية لإحصاء المنشآت الصناعية الصغيرة والمتوسطة للسنوات (2013 - 2016)

المطلب الثاني: عرض وتحليل نتائج الدراسة الميدانية
أولاً: النتائج بحسب وجهات نظر العينة بشأن المتغيرات الرئيسة للبحث

الجدول رقم 5: الوسط الحسابي والانحراف المعياري ومعامل الاختلاف والأهمية النسبية لإجمالي متغيرات البحث الرئيسة

ت	الفقرات	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الاختلاف	الأهمية النسبية	الترتيب بحسب الأهمية
1	الرؤية الاستراتيجية X	3.56	0.70	19.85	71.24	1
2	إدارة الجودة الشاملة Z	3.72	0.75	20.26	74.58	2
3	أداء المشاريع Y	3.75	0.77	20.75	75.04	3

المصدر: إعداد الباحث اعتماداً على مخرجات SPSS.

يتضح من خلال الجدول رقم (5) ورود الفقرة رقم (3)، وهي (أداء المشاريع Y)، بالمرتبة الأولى إذ حصلت على أعلى وسط حسابي بلغت قيمته (3.75)، في حين كانت الأهمية النسبية (75.04). أما الفقرة رقم (2)، وهي (إدارة الجودة الشاملة Z)، بالمرتبة الثانية في الوسط الحسابي (3.72)، وأهمية نسبية (74.58)، وجاءت الفقرة رقم (3)، وهي (الرؤية الاستراتيجية X)، بالمرتبة الثالثة في الوسط الحسابي (3.56) وأهمية نسبية (71.24)، وهذا ما يؤكد درجة الاهتمام من قبل عينة البحث حول كل من أداء المشاريع، وإدارة الجودة الشاملة، والرؤية الاستراتيجية.

1- تحليل نتائج الرؤية الاستراتيجية (X)

الجدول رقم 6: الوسط الحسابي والانحراف المعياري ومعامل الاختلاف والأهمية النسبية والترتيب بحسب الأهمية للمحاور الرئيسة

للرؤية الاستراتيجية

ت	المحور	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الاختلاف	الأهمية النسبية	الترتيب بحسب الأهمية
1	التوجه المستقبلي	3.29	0.81	24.63	65.96	5
2	الوضوح	3.61	0.70	19.51	72.25	3
3	القبول الواسع	3.57	0.78	21.91	71.46	4
4	المرونة	3.66	0.82	22.41	73.21	2
5	قوة الاتصال	3.67	0.78	21.35	73.44	1
	الرؤية الاستراتيجية X	3.56	0.70	19.85	71.24	

المصدر: إعداد الباحث اعتماداً على مخرجات SPSS.

يتضح من خلال الجدول رقم (6) ورود محور قوة الإتصال بالمرتبة الأولى إذ حصل على أعلى وسط حسابي بلغت قيمته (3.67)، في حين كانت الأهمية النسبية (73.44). أما محور المرونة فقد جاء بالمرتبة الثانية في الوسط الحسابي (3.66)، وأهمية نسبية (73.21)، وجاء محور الوضوح في المرتبة الثالثة في الوسط الحسابي (3.61) وأهمية نسبية (72.25)، أما محور القبول الواسع فقد جاء بالمرتبة الرابعة في الوسط الحسابي (3.57)، وأهمية نسبية (71.46)، وجاء محور التوجه المستقبلي في المرتبة الخامسة في الوسط الحسابي (3.26) وأهمية نسبية (65.96)، وهذا ما يؤكد درجة الاهتمام من قبل عينة البحث حول كل من أبعاد الرؤية الاستراتيجية.

2- تحليل نتائج إدارة الجودة الشاملة (Z):

الجدول رقم 7: الوسط الحسابي والانحراف المعياري ومعامل الاختلاف والأهمية النسبية والترتيب بحسب الأهمية لمتغيرات الرئيسة لإدارة الجودة الشاملة

ت	المحور	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الاختلاف	الأهمية النسبية	الترتيب بحسب الأهمية
1	اسناد ودعم الإدارة العليا	3.81	0.80	21.13	76.28	1
2	التركيز على الزبون	3.84	0.87	22.66	76.94	3
3	القرارات المبنية على الحقائق	3.68	0.91	24.97	73.67	5
4	جودة استخدام المعلومات	3.79	0.81	21.46	75.89	2
5	تدريب العاملين	3.71	0.95	25.64	74.22	7
6	نهج العملية	3.59	0.91	25.45	71.83	6
7	التحسين المستمر	3.60	0.87	24.24	72.06	4
8	التعاون ومشاركة الافراد	3.78	1.22	32.24	75.78	8
	إدارة الجودة الشاملة Z	3.72	0.75	20.26	74.58	

المصدر: إعداد الباحث اعتماداً على مخرجات SPSS.

يتضح من خلال الجدول رقم (7) ورود محور اسناد ودعم الإدارة العليا بالمرتبة الاولى إذ حصل على أعلى وسط حسابي بلغت قيمته (3.81)، في حين كانت الأهمية النسبية (76.28). أما محور جودة استخدام المعلومات فقد جاء بالمرتبة الثانية في الوسط الحسابي (3.79)، وأهمية نسبية (75.89)، وجاء محور التركيز على الزبون في المرتبة الثالثة في الوسط الحسابي (3.84) وأهمية نسبية (76.84)، أما محور التحسين المستمر فقد جاء بالمرتبة الرابعة في الوسط الحسابي (3.60)، وأهمية نسبية (72.06)، وجاء محور القرارات المبنية على الحقائق في المرتبة الخامسة في الوسط الحسابي (3.68) وأهمية نسبية (73.67)، أما محور نهج العملية فقد جاء بالمرتبة السادسة في الوسط الحسابي (3.60)، وأهمية نسبية (71.83)، وجاء محور تدريب العاملين في المرتبة السابعة في الوسط الحسابي (3.71) وأهمية نسبية (74.22)، أما محور التعاون ومشاركة الافراد فقد جاء بالمرتبة الثامنة في الوسط الحسابي (3.78)، وأهمية نسبية (75.58)، وهذا ما يؤكد درجة الاهتمام من قبل عينة البحث حول كل من أبعاد إدارة الجودة الشاملة.

3- تحليل نتائج أداء المشاريع (Y):

الجدول رقم 8: الوسط الحسابي والانحراف المعياري ومعامل الاختلاف والأهمية النسبية والترتيب بحسب الأهمية لمتغيرات الرئيسة لإداء المشاريع

الترتيب بحسب الأهمية	الأهمية النسبية	معامل الاختلاف	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	المحور	ت
3	73.57	21.97	0.80	3.67	الكلفة	1
4	73.43	22.07	0.81	3.67	الابداع والابتكار	2
2	76.37	22.94	0.87	3.81	جودة المنتجات	3
1	76.80	22.47	0.86	3.84	التسويق	4
	75.04	20.75	0.77	3.75	أداء المشاريع Y	

المصدر: إعداد الباحث اعتماداً على مخرجات SPSS.

يتضح من خلال الجدول رقم (8) ورود محور التسويق بالمرتبة الاولى إذ حصل على أعلى وسط حسابي بلغت قيمته (3.84)، في حين كانت الأهمية النسبية (76.80). أما محور جودة المنتجات فقد جاء بالمرتبة الثانية في الوسط الحسابي (3.81)، وأهمية نسبية (76.37)، وجاء محور الكلفة في المرتبة الثالثة في الوسط الحسابي (3.67) وأهمية نسبية (73.57)، أما محور الإبداع والابتكار فقد جاء بالمرتبة الرابعة في الوسط الحسابي (3.67)، وأهمية نسبية (73.43)، وهذا ما يؤكد درجة الاهتمام من قبل عينة البحث حول كل من أبعاد الرؤية الاستراتيجية.

ثانياً: اختبار الفرضيات

1- تحليل تأثير الرؤية الاستراتيجية بأبعادها في أداء المشاريع:

وضعت في منهجية الدراسة الفرضية الرئيسة الاولى والتي مفادها تؤثر ابعاد الرؤية الاستراتيجية مجتمعة في أداء المشاريع في المنظمات. ويتضح من الجدول (9)، أن الدلالة المعنوية (0.000) أصغر من الدلالة الإحصائية (0.01)، وبدرجة حرية (115). أما قيمة معامل التحديد (R^2)، فقد كان مقداره (0.789)، وهذا يعني أن مجموع متغيرات الرؤية الاستراتيجية (X)، تفسر ما نسبته (78.9%) من التباين الحاصل في (أداء المشاريع (Y)، وأن (21.1%) هو تباين مفسر من عوامل لم تدخل أنموذج الانحدار. وعليه هذه النتائج توفر دعماً كافياً لقبول فرضية التأثير البحث الرئيسة الاولى التي تنص على أنه هناك تأثير ذو دلالة معنوية لمجموع متغيرات الرؤية الاستراتيجية (X) في أداء المشاريع (Y).

الجدول رقم 9: التأثير المتعدد مجموع متغيرات الرؤية الاستراتيجية (X) في أداء المشاريع (Y)

أداء المشاريع Y							الرؤية الاستراتيجية X
القرار	المعنوية	F المحسوبة	معامل التحديد R^2	المعنوية	t المحسوبة	معاملات الانحدار	
يوجد تأثير	0.000	85.358	0.789	.141	1.483	.270	الحد الثابت
				.289	1.065	.077	التوجه المستقبلي
				.011	2.586	.206	الوضوح
				.801	.252	.025	القبول الواسع
				.239	1.183	.107	المرونة
				.000	4.318	.546	قوة الاتصال

المصدر: إعداد الباحث اعتماداً على مخرجات SPSS.

2- تحليل تأثير إدارة الجودة الشاملة بأبعادها في أداء المشاريع:

وضعت في منهجية الدراسة الفرضية الرئيسة الثانية والتي مفادها تؤثر ابعاد إدارة الجودة الشاملة مجتمعة في أداء المشاريع في المنظمات. ويتضح من الجدول (10) أن الدلالة المعنوية (0.000) أصغر من الدلالة الإحصائية (0.01)، وبدرجة حرية (112). أما قيمة معامل التحديد (R^2)، فقد كان مقداره (0.893)، وهذا يعني أن مجموع متغيرات إدارة الجودة الشاملة (Z)، تفسر ما نسبته (89.3%) من التباين الحاصل في (أداء المشاريع (Y)، وأن (10.7%) هو تباين مفسر من عوامل لم تدخل أنموذج الانحدار. وعليه هذه النتائج توفر دعماً كافياً لقبول فرضية التأثير الرئيسة الثانية التي تنص على أنه هناك تأثير ذو دلالة معنوية لمجموع متغيرات إدارة الجودة الشاملة مجتمعة في أداء المشاريع.

الجدول رقم 10: التأثير المتعدد لمجموع متغيرات إدارة الجودة الشاملة (Z) في أداء المشاريع (Y)

أداء المشاريع Y							إدارة الجودة الشاملة Z
القرار	المعنوية	F المحسوبة	معامل التحديد R ²	المعنوية	t المحسوبة	معاملات الانحدار	
يوجد تأثير	0.000	116.186	0.893	0.330	0.979	0.136	الحد الثابت
				0.044	2.039	0.145	اسناد ودعم الإدارة العليا
				0.396	0.852	0.046	التركيز على الزبون
				0.762	0.304	0.020	القرارات المبنية على الحقائق
				0.000	4.686	0.262	جودة استخدام المعلومات
				0.001	3.557	0.192	تدريب العاملين
				0.403	0.839	0.042	نهج العملية
				0.000	4.963	0.270	التحسين المستمر
				0.849	0.191	0.005	التعاون ومشاركة الافراد

3- تحليل تأثير الرؤية الاستراتيجية (X) وإدارة الجودة الشاملة (Z) في أداء المشاريع (Y):

وضعت في منهجية الدراسة الفرضية الرئيسية الثالثة والتي مفادها تؤثر الرؤية الاستراتيجية وإدارة الجودة الشاملة في أداء المشاريع. ويتضح من الجدول (11) أن الدلالة المعنوية (0.000) أصغر من الدلالة الإحصائية (0.01)، وبدرجة حرية (118). أما قيمة معامل التحديد (R²)، فقد كان مقداره (0.868)، وهذا يعني أن (الرؤية الاستراتيجية X وإدارة الجودة الشاملة Z) تنفس ما نسبته (86.6%) من التباين الحاصل في (أداء المشاريع Y)، وأن (13.2%) هو تباين مفسر من عوامل لم تدخل أنموذج الانحدار. وعليه هذه النتائج توفر دعماً كافياً لقبول الفرضية التأثير الرئيسية الثالثة التي تنص على أنه هناك تأثير ذو دلالة معنوية للرؤية الاستراتيجية وإدارة الجودة الشاملة في أداء المشاريع.

الجدول رقم 11: تأثير الرؤية الاستراتيجية (X) وإدارة الجودة الشاملة (Z) في أداء المشاريع (Y)

أداء المشاريع Y							الرؤية الاستراتيجية X إدارة الجودة الشاملة Z
القرار	المعنوية	F المحسوبة	معامل التحديد R ²	المعنوية	t المحسوبة	معاملات الانحدار	
يوجد تأثير	0.000	384.972	0.868	.475	.716	.098	الحد الثابت
				.012	2.540	.221	الرؤية الاستراتيجية X
				.000	9.425	.769	إدارة الجودة الشاملة Z

المصدر: إعداد الباحث اعتماداً على مخرجات SPSS.

المحور الرابع / الإستنتاجات والتوصيات

تمهيد

بعد ظهور النتائج التي توصلت إليها الدراسة واختبار صحة فرضياتها تأتي المرحلة الأخيرة من الدراسة المكرسة لإستنباط أهم الإستنتاجات في ضوء النتائج التي توصلت إليها استكمالاً لتوثيق الإجابة عن تساؤلات الدراسة التي أثّرت في المشكلة ووصولاً

لإنجاز أهدافها التي تتوج بصياغة توصيات للمشاريع الصغيرة والمتوسطة موقع الدراسة والتي بالإمكان تعميمها على الوزارات المبحوثة.

أولاً: الإستنتاجات

1. أن عملية التقييم التي تجري حالياً للمشاريع الصغيرة والمتوسطة هي لتقييم الوضع المالي فقط، دون الأخذ بنظر الاعتبار وضع الخطط لتحسين المؤشرات الأخرى.
2. هناك ضعف في تشخيص القضايا الاستراتيجية ذات الأثر في مستقبل المشاريع الصغيرة والمتوسطة.
3. يوجد قلة اهتمام في تطوير الوضع الحالي للمنظمات المبحوثة.
4. هناك اختلاف في الأهداف الداخلية في المشاريع الصغيرة والمتوسطة.
5. هناك قلة اهتمام بدراسة الامكانيات الحالية ومتطلبات التغيير المستقبلي.

ثانياً: التوصيات

1. عقد ورش عمل من أجل تطوير صياغة الرؤية الاستراتيجية.
2. وضع مؤشرات للأداء لكل قسم وعلى أساس الرؤية الاستراتيجية.
3. التأكد من امتلاك أصحاب المشاريع لخطط ورؤية إستراتيجية خاصة بمشاريعهم الصغيرة والمتوسطة، والعمل على تنفيذها بكل موضوعية.
4. زيادة قدرات ومهارات العاملين بإدخالهم في دورات تدريبية وتوضيح مفاهيم إدارة الجودة الشاملة.
5. تفعيل دور البحث والتطوير باعتباره ركيزة أساسية بتقديم نماذج جديدة تؤدي إلى تحقيق إدارة كفوءة للإبداع.

المصادر:

1. أبو حلوة، محمد إبراهيم، (2019)، مبادئ إدارة الجودة الشاملة، دار ابن النفيس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان الأردن.
2. ابو غزاله، محمد عبدالله، (2015)، إدارة المشاريع الصغيرة، دار اليازوري للنشر والتوزيع، الطبع الأولى، عمان.
3. إبراهيم بن يحيى. (2017). أداء المورد البشري في ظل إدارة الجودة الشاملة، مجلة الاقتصاد الصناعي، 7(3)، 255-265.
4. احمد، طاهر احمد، (2017)، التخطيط الاستراتيجي المستدام، دار صفاء للنشر، عمان- الأردن.
5. بشارت، هيا جميل، (2005)، دور المصارف والمؤسسات المالية الإسلامية في تمويل المشروعات الصغيرة والمتوسطة، رسالة ماجستير منشورة، الاقتصاد والمصارف الإسلامية، جامعة اليرموك، الأردن.
6. بني مصطفى، علي محمد حسن، (2017)، أثر التخطيط الاستراتيجي في تسويق الخدمات، دار زهران للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان.
7. البوهي، رأفت عبد العزيز، المصري، ابراهيم جابر، ماجد، احمد محمد، عبد الرحيم، منى احمد، (2018)، الجودة الشاملة في التعليم، دار العلم والايمان للنشر والتوزيع، مصر.
8. جباري، فادية (2011)، تأثير جودة الخدمة على رضا العميل، دراسة حالة الوكالة التابعة للمديرية الجهوية للشركة الجزائرية للتأمينات، رسالة ماجستير في تخصص تسويق، جامعة ابو بكر بلقايد - تلمسان.

9. الجبوري، حسن محمد جواد، (2014)، التخطيط الاستراتيجي في المؤسسات العامة، دار صفاء للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، عمان.
10. جمعه، خير الدين، جمال، خنشور، (2017)، دور متطلبات إدارة الجودة الشاملة في ترسيخ منظورات المسؤولية الاجتماعية. مجلة ميلاف للبحوث والدراسات، 3(2)، 316-333.
11. جودة، عصام محمد محمد، (2015)، دور تطبيق معياري المشاركة والرؤية الاستراتيجية في تطوير الاداء الاداري للبلديات الكبرى بقطاع غزة، رسالة ماجستير في القطاع الاداري، جامعة الاقصى واكاديمية الادارة والسياسية .
12. حامد، نور الدين، (2016)، دور إدارة الجودة الشاملة في انشاء الميزة، دار خالد الليحاني للنشر والتوزيع، عمان.
13. حداد، مناور، (2006)، دور البنوك والمؤسسات المالية في تمويل المشروعات الصغيرة والمتوسطة (اضائات من تجربة الاردن والجزائر)، جامعة اربد الاهلية.
14. الحراشة، حسين محمد، (2011)، إدارة الجودة الشاملة والاداء الوظيفي، المنهل للنشر والتوزيع، عمان، الاردن.
15. الحريشاي، علي اعنيد عبد الحسين، (2015)، امكانية تطبيق مبادئ ادارة الجودة الشاملة لتعزيز الخدمات الصحية ، رسالة ماجستير، في تخصص علوم ادارة التمريض، جامعة بغداد.
16. حمود، خضير كاظم، (2000)، إدارة الجودة الشاملة، دار المسيره للنشر والتوزيع، عمان.
17. الحيدري، دعاء انمار، (2017)، تأثير تطبيق فلسفة إدارة الجودة الشاملة في الأداء المنظمي من وجهة نظر الزبون الداخلي/دراسة مقارنة، رسالة ماجستير في تخصص تقنيات إدارة العمليات، الكلية التقنية الادارية-بغداد.
18. الربيعي، هدى قاسم سعيد، (2014)، التكامل بين إدارة الجودة الشاملة وإدارة المعرفة بحث في عدد من الكليات الأهلية، رسالة ماجستير، في علوم ادارة الأعمال، كلية الإدارة والاقتصاد-جامعة بغداد.
19. رحيمه، سلمى حنينة، (2008)، تأثير الرؤية الاستراتيجية في ادارة الازمة، دراسة تحليلية لآراء عينة من مديري شركة توزيع المنتجات النفطية وشركة مصافي الوسط ، رسالة ماجستير في الادارة العامة ، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة بغداد.
20. رمضان، سهام محمد، (2010)، نموذج مقترح للتغير لزيادة فعالية المنظمات دراسة ميدانية على شركات الادوية والمستحضرات الطبية بقطاع الاعمال العام، اطروحة دكتوراة غير منشورة كلية التجارة الاسماعيلية، جامعة قناة السويس.
21. الزبون، عطاالله علي، بني حمدان، خالد، (2017)، إدارة الجودة الشاملة مفاهيم وتطبيقات، اليازوري للنشر والتوزيع، عمان.
22. الساعدي، مؤيد، الشمري، أرشد عبد الأمير جاسم، الكرعوي، محمد ثابت فرعون، (2012)، علاقة الثقة التنظيمية بإدارة الجودة الشاملة في التعليم العالي بحث استطلاعي تحليلي في كلية الإدارة والاقتصاد/جامعة الكوفة. L'entreprise, 1(1), 7-35.
23. ستريكلاند، تومسون، (2006)، الادارة الاستراتيجية المفاهيم والحالات العملية، مكتبة لبنان للنشر، الطبعة الاولى، بيروت.
24. سلطان، يوسف حجم، متعب، انعام عبد الزهرة، عبد الحمزة، بشرى، (2007)، مبادئ إدارة الجوده الشاملة ودورها في التغيير المنظمي باستخدام نموذج جونز دراسة تطبيقية في معمل نسيج الحلة، مجلة مركز دراسات الكوفة.

- 25.صدار، احلام، زدارية، ريم، (2016)، دور التخطيط الاستراتيجي في تحقيق تنمية سياحية مستدامة، دراسة حالة في الجزائر، رسالة ماجستير في علوم ادارة الاعمال، جامعة العربي التبسي، تبسه.
- 26.العبيدي، سارة عبد القادر، (2014)، فاعلية المشروعات الصغيرة والمتوسطة وفقاً لتحليل العلاقة بين استراتيجيات الاعمال واستراتيجيات إدارة الموارد البشرية، رسالة ماجستير، في علوم ادارة الأعمال، كلية الإدارة والإقتصاد، جامعة بغداد.
- 27.العبيدي، مها عصمت بهجت، (2017)، أنعكاسات الرؤية الاستراتيجية على فاعلية برامج تدريب الموارد البشرية، دراسة حالة في ديوان الرقابة المالية الاتحادي، رسالة ماجستير، في علوم إدارة الأعمال، كلية الإدارة والإقتصاد، جامعة بغداد.
- 28.العزاوي، ايناس خضير عباس، (2012)، أثر رأس المال الفكري في اداء المشروعات الصغيرة والمتوسطة بحث ميداني في القطاع الصناعي ، رسالة ماجستير، في علوم إدارة الأعمال، كلية الإدارة والإقتصاد-جامعة بغداد
- 29.العطاس، وليد، (2018). التحليل الاستراتيجي في المشاريع الصغيرة والمتوسطة في اليمن. 11(1), 211-234.
- 30.علي، دومي ، (2004) ، التجربة المغربية في ترقية وتمويل المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، بحث مقدم في الدورة الدولية المنعقدة خلال الفترة 25-28 ماي، جامعة فرحات عباس، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، سطيف، الجزائر.
- 31.العواوي، امير غانم، (2009)، اثر تبني فلسفة التسويق الاخضر في تحسين الاداء التسويقي ، دراسة استطلاعية , رسالة ماجستير , كلية الادارة والاقتصاد, جامعة كربلاء
- 32.عوض، اشرف محمد (2006)، نموذج مقترح لزيادة فعالية اداء المشروعات الحاصلة على امتياز تجاري في مصر، بالتطبيق على المشروعات الصغيرة والمتوسطة، اطروحة دكتوراة غير منشورة كلية التجارة، جامعة عين شمس.
- 33.فتحية، بوحودر، (2015)، إدارة الجودة في منظمات الأعمال(النظرية والتطبيق)، دار الميسرة، الطبعة الاولى، عمان.
- 34.قنديل، زين عزت محمد، (2015)، أثر مبادئ إدارة الجودة الشاملة في تحقيق الابقيات التنافسية: دراسة الاثر الوسيط للولاء التنظيمي دراسة ميدانية في المستشفيات الاردنية الخاصة الحاصلة على شهادة الاعتمادية الدولية في مدينة عمان، رسالة ماجستير في تخصص ادارة الاعمال،جامعة الشرق الاوسط.
- 35.المحروق، ماهر، (2011) ، سياسات حماية المنشآت الصغيرة والمتوسطة أثر المبادرات العربية في دعم المنشآت الصغيرة والمتوسطة " بحث مقدم إلى المؤتمر العربي الرابع لمنظمة العمل العربية ، صندوق تنمية الموارد البشرية.
- 36.ميسرة، أحمد فاضل، (2012)، إطار مقترح لآليات دعم المشروعات الصغيرة والمتوسطة في مجال مشروبات تنقية مياه الشرب(دراسة تطبيقية)، رسالة ماجستير في ادارة الاعمال، جامعة المنصورة، كلية التجارة، القاهرة.
- 37.وحداني، خير الدين، زعبيط، نور الدين، (2015). أساليب التمويل الإسلامية ودورها في دعم المؤسسات الصغيرة والمتوسطة.
- 38.وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي، الجهاز المركزي للإحصاء وتكنولوجيا المعلومات، المجموعة الإحصائية السنوي، (2015)، خلاصة نتائج الإحصاء الصناعي للمنشآت الصناعية الصغيرة.
39. وهيبه ، بوقليلة، رزيقة، دوداي،(2017)، واقع التخطيط الاستراتيجي في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة دراسة عينة من ولاية عين الدفلى، رسالة ماجستير في تخصص تسيير المؤسسات ، جامعة الجيلاني بونعامة، الجزائر.
- 40.يوسف، بومدين، (2007)، ادارة الجودة الشاملة والاداء المتميز. مجلة الباحث، العدد(5).

41. يوسفات، علي، (2015)، أهمية الترتيب الداخلي في المؤسسات الصغيرة والمتوسطة (تصميم ترتيب داخلي لقسم السباكة في الشركة الجزائرية للبناءات المعدنية SACM).
42. Baird, K., Hu, K. J., Reeve, R. (2011). **The relationships between organizational culture, total quality management practices and operational performance.** International Journal of Operations & Production Management, Vol. 31 No. 7, pp. 799-814
43. Gnyawali, Devi R, Byung-Jin, Co (2009), **opetition and Technological Innovation in Small and Medium-Sized Enterprises A Multilevel Conceptual Model**, Journal of Small Business Management 47(3), pp. 308–330 .
44. Imran, M., Aziz, A., Hamid, S., Shabbir, M., Salman, R., & Jian, Z. (2018). **The mediating role of total quality management between entrepreneurial orientation and SMEs export performance.** *Management Science Letters*, 8(6), 519-532.
45. Jasim, M.W, (2013) ,**Role of Small and Medium Sized Enterprises(SMEs) in Developing the National Economy UAE Experience**, *Economy Horizons*, 253(1599), 1-55.
46. Moballeghim, Moghadd M.G., (2012), **Knowledge management and TQM an integrated approach to management.**
47. Nugroho, Thomas Windharyanto, (2018) **Analysis of Total Quality Management (TQM) implementation in Small Medium Industries**, Proceedings of the International Conference on Industrial Engineering and Operations Management Paris, France, July 26-27.
48. Papulova, Z. (2014). **The significance of vision and mission development for enterprises in Slovak Republic.** *Journal of Economics, Business and management*, 2 (1), 12-16.
49. Sahoo, S., & Yadav, S. (2018), **Total quality management in Indian manufacturing SMEs**, *Procedia Manufacturing*, 21, 541-548.
50. Taticchi, P. (2010). **Business performance measurement and management: new contents, themes and challenges.**

عنوان البحث

**رسائل وتوجيهات الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لقادة تحرير العراق
(دراسة تاريخية تحليلية)**

مديحة يعقوب يوسف يعقوب¹

¹ الجامعة العراقية/ كلية التربية للبنات - قسم التاريخ

تاريخ النشر: 2020/12/01م

تاريخ القبول: 2020/11/29م

المستخلص

لقد توصلت الدراسة الى اهمية الوصايا التحريرية لعراق المجد على يد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في تغيير مجرى الاحداث ودورها الكبير في صنع الانتصار وتحقيق هدف التحرير ، فقد تفوق القادة الميدانيين في مختلف جبهات القتال تفوقا واضحا على اعدائهم ، اذ نختم بوصية واحدة كنا قد بينها في فحوى دراستنا هذه ماكان يخشاه الفاروق عمر (رضي الله عنه) على جنده وارتكابهم للمعاصي والذنوب حين قال : " ان ذنوب الجيش اخوف عليهم من عدوهم " فما احوجنا اليوم ان لانرتكب المعاصي والذنوب ولهذا الأمر يجب التنكير والتحذير لان العالم العربي والإسلامي يمر اليوم بأخطر مرحلة من التغييرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يشنها أحفاد قادة الحركات الهدامة والشعبوية والعولمة ، والتي بالآخر ستعكس سلبا على الحياة الاجتماعية والأخلاقية للمجتمع العربي والإسلامي . بالتالي ستؤثر على التنظيم العام للمجتمع وتلحق الضرر وتفسد العقيدة والسلوك .

RESEARCH ARTICLE**MESSAGES AND DIRECTIONS OF CALIPH OMAR BIN AL-KHATTAB (MAY GOD BE PLEASED WITH HIM) TO THE LEADERS OF THE LIBERATION OF IRAQ (ANALYTICAL HISTORICAL STUDY)**Madiha Yaqoub Youssef Yaqoub¹¹ Iraqi University / College of Education for Girls - Department of History**Accepted at 29/11/2020****Published at 01/12/2020****Abstract**

The study has concluded the importance of the commandments of the liberation of Iraq of glory at the hands of Caliph Al-Rashidi Umar bin Al-Khattab (may God be pleased with him) in changing the course of events and their great role in making victory and achieving the goal of liberation. One that we have shown in the content of our study is what Al-Faruq Omar (may God be pleased with him) feared for his soldiers and their committing sins and sins when he said: & QUOT; The sins of the army are feared by their enemy & QUOT; How much we need today that we do not commit sins and sins, and this is why we must remind and warn that the Arab and Islamic world is going through the most dangerous stage of political, social and economic changes waged by the descendants of the leaders of destructive movements, which in the other will negatively affect the social and moral life of the Arab and Islamic society. Thus, it will affect the general organization of society, harm and corrupt belief and behavior.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الهدى وامام المتقين قائد الاولين والاخرين محمد بن عبدالله الصادق الامين وعلى آله واصحابه الغر الميامين رعاة الحق وائمة الدين ، حماة العقيدة وحملة المبادئ ورافعي رايات النصر المبين وبعد :

تعد وصايا الخليفة الراشدي الفاروق عمر (رضي الله عنه) للقادة العاملين في ساحات القتال وميادين العز والشرف والبطولة ارضا تاريخيا عظيما وثروة لاتنضب تنظر اليها الاجيال اللاحقة باجلال واكبار وتعددها المثل الاعلى والنموذج الافضل في القيادة ولوقوفنا على تلك الوصايا والتوجيهات العسكرية المؤطرة بحلاوة الايمان ولشعورنا بعظمة احد خريجي مدرسة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) .

فكان رجال الامة من بعد الرسول (صلى الله عليه وسلم) رجال مبادئ وانصار عقيدة تخلدت اعمالهم وكتبت انجازاتهم باحرف من نور في تاريخ الامة المجيدة وماضيها المشرف ، ومن نتائج كبرى على صعيد العمل التحرري لعراق التأريخ والحضارة ولما لهذه الوصايا من حيز كبير في المعاني السامية والقيم النبيلة اذ اعطت للجانب المعنوي المرتبط بالعمل الصادق اهمية بالغة ودوراً بارزاً .

ولذلك بينا في هذه الدراسة دور الخليفة وهو القائد العام في تسيير هذه الاحداث ومتابعتها وتوجيهها في الاطار العام بما يتلائم وطبيعة الاهداف والغايات ، وكانت طريقتنا في كتابة هذه الدراسة باننا جعلناها كسلسلة واحدة غير منقطعة بمعنى لم تقسم الدراسة الى أي مباحث وذلك لترابط الحدث من خلال زمانه ومكانه .

وصايا الفاروق (رضي الله عنه)

لقد اهتم الفاروق (رضي الله عنه) بجبهة العراق إذ لم يكن له همة الا العراق (1) وذلك حين تولى الخلافة انتدب الناس مع المثني بن حارثة الشيباني (رضي الله عنه) حسب وصية الصديق (رضي الله عنه) لكن الناس أبطنوا بالاستجابة لكون جبهة فارس من اكره الوجوه عند العرب فقام الفاروق (رضي الله عنه) في الناس خطيباً يحرضهم على الجهاد ويحثهم عليه فقال : إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النجعة ولا يقوى عليه أهله إلا بذلك سيروا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها فإنه قال : { لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ

كُلِّهِ } (2) والله مظهر دينه ومعز ناصره ومولي أهله موارد الأمم أين عباد الله الصالحون" (3)

فكان أول منتدب أبو عبيدة بن مسعود الثقفي فاختاره الخليفة لمنصب القيادة العامة في العراق (4)، بالرغم من كونه لم يكن صاحبياً (5) فأوصاه الخليفة الفاروق (رضي الله عنه) وقال له : " إنك تقدم على أرض المكر! والخديعة والخيانة والجبرية ، تُقدم على قوم تجرؤوا على الشر فعلموه ، وتناسوا. الخير فجهلوه ، فانظر كيف تكون ؟ وأحرز لسانك ، ولا تغشين سرك فإن صاحب السر ما يضبطه متحصن لا يؤتى من وجه يكرهه ، وإذا ضيعه كان بمضيعة " (6)، والذي استشهد في معركة الجسر هو وأربعة آلاف من المسلمين فخطب الخليفة بالناس وقال : "اللهم كل مسلم في حلّ مني، أنا فئة كل مسلم، من لقي العدو ففُطع بشيء من أمره فأنا له فئة، يرحم الله أبا عبيد لو كان انحاز إليّ لكنت له فئة " (7) فبالرغم من الحزن الشديد للخليفة الفاروق وأصحابه (رضي الله عنهم) قرر إرسال المدد والتجهيز لمعركة أخرى لتكون فاصلة وتفتح الأبواب أمام حركة التحرر العربية ، فأرسل جرير بن عبد الله البجلي

ومعه اعداد كبيرة وأوصاه والمثني بأن: "الا يعبروا بحراً ولا جسراً الا بعد ظفر" (8) ، فانسحب المثني إلى البويب وبعد ان تكاملت الإمدادات استطاع ان يهزم الفرس في هذه المعركة (9)

وهذا الإجراء الأولي للخليفة يأتي بناءً لما كان على ارض الميدان من كون اعداد الجيش للطرفين لا تتناسب وعلى هذا على المحررين الانتظار لمدد القيادة العليا في المدينة فقد دعا الفاروق (رضي الله عنه) إلى التجنيد الإجباري لكون التحدي الكبير والموقف الميداني يتطلب حشد كل الإمكانيات البشرية والمادية والمعنوية لهذا الأمر فكتب الخليفة إلى عماله العرب " أن لا تدعوا أحداً له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأي إلا انتخبتموه ثم وجهتم إلي والعجل العجل" (10).

وأعلن النفي العام للمسلمين أن يدركوا المسلمين في العراق، فقد رأى ببصره الثاقب حجم تلك الحشود، وضخامة المعركة، والآثار المترتبة عليها، فهم في أول الأمر بالخروج بنفسه ، ففي أول يوم من المحرم من السنة الرابعة عشرة للهجرة ، خرج عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، حتى نزل على ماءٍ يدعى صرارا ، فعسكر به ولا يدري الناس ماذا يريد ، ثم نادى في الناس : الصلاة جامعة ، فلما اجتمع الناس سألهم رأيهم فيمن يسير على رأس الجيش للعراق فقال العامة : سر وسر بنا معك ، فدخل معهم في رأيهم فقال : استعدوا وأعدوا فإنني سائر إلا أن يجيء رأي هو أمثل من ذلك ثم جمع أهل الرأي فاجتمع إليه وجوه أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) ، فقال : أحضروني الرأي فإنني حائر ، فأجمع ملؤهم على أن يبعث عمر (رضي الله عنه) رجلاً من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ويقوم هو في المدينة ويرمي بالجنود ، فإن كان الذي يشتهي من الفتح فهو الذي يريدون ، وإلا أعاد رجلاً وتندب جنداً آخر ، وفي ذلك ما يغيب العدو ويشد أزر المسلمين حتى يجيء نصر الله ، فنادى عمر (رضي الله عنه) ثانية : الصلاة جامعة، فاجتمع الناس إليه ، وقام في الناس فقال : إن الله عز وجل قد جمع على الإسلام أهله فألف بين القلوب وجعلهم فيه إخوانا ، وكذلك يحق على المسلمين أن يكونوا ، وأمرهم شورى بينهم وبين ذوي الرأي منهم، فالناس تبع لمن قام بهذا الأمر ما اجتمعوا عليه ورضوا به لزم الناس وكانوا فيه تبعاً لهم (11)، فقال عمر : فأشيروا علي برجل ، وكان سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) عاملاً لعمر (رضي الله عنه) على صدقات هوازن ، وكان فيمن كتب إليه عمر (رضي الله عنه) بانتخاب ذوي الرأي والنجدة ممن كان له سلاح أو فرس فجاء كتابه : إني قد جمعت لك ألف فارس كلهم له نجدة ورأي وصاحب حيطة يحوط حريم قومه ويمنع ذمارهم، إليهم انتهت أحسابهم فشأنك بهم ووافق كتابه مشورتهم، فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : وجدته ، قال : من هو ؟ قال : الأسد في براهته ، سعد ، ومالاه أولو الرأي، فانتهى عمر إلى رأيه، وأرسل إلى سعدٍ فقدم عليه وأمره على حرب العراق، وأوصاه فقال : يا سعد بن وهيب، لا يغرتك من الله أن قيل خال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وصاحبه، فإن الله عز وجل لا يمحو السيئ بالسيئ، ولكنه يمحو السيئ بالحسن، فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته شريفهم ووضعهم في ذات الله سواء، الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعاقبة ويدركون ما عند الله بالطاعة، فانظر الأمر الذي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم عليه منذ بُعث إلى أن فارقتنا فألزمه فإنه الأمر، هذه عظتي إياك إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين (12).

فسار سعد (رضي الله عنه) على تعبته والكتب بينه وبين عمر (رضي الله عنه) متواصلة ثم جاء من عمر (رضي الله عنه) كتاب آخر قال فيه : " أما بعد، فعاهد قلبك وحادث جندك بالموعظة والنية الحسنة والصبر الصبر، فإن المعونة تأتي من الله على قدر الحسنة والحذر الحذر على ما أنت عليه وما أنت بسبيله، وأسألوا الله العافية وأكثروا من قول لا حول ولا قوة الا بالله، واكتب إلي أين بلغ جمعهم ومن رأسهم الذي يلي مصادمتكم، فإنه من معني من بعض ما أردت الكتاب به قلة علمي بما هجمتم عليه والذي استقر عليه أمر عدوكم، فصف لنا منازل المسلمين والبلد الذي بينكم وبين المدائن صفة كأنني أنظر إليها واجعلني من أمركم

على الجلية، وخف الله وارجه ولا تدل بشيء، واعلم أن الله قد وعدكم وتوكل لهذا الأمر بما لا خلف له واحذر أن تصرفه عنك ويستبدل بكم غيركم " (13).

مما تقدم حول اختيار قائد لحملة على تحرير العراق يعطينا مدى الحرص الشديد من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على المشورة والتشاور في أمر خطير إذ ان جبهة العراق فيها من العناية الفائقة من لدن الخليفة إذ أراد قيادة الجيش بنفسه لتحريره من الطغمة الفارسية ، الا ان وقع الاختيار على سعد بن أبي وقاص " الأسد في برائه " ، كما وصفه عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) ، والملاحظ أيضا انه حين أوصاه " لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وصاحبه (14) " وإنها لموعظة بليغة من خليفة راشد عظيم فقد أدرك عمر (رضي الله عنه) جانب الضعف الذي يمكن أن يؤتى سعد من قبله وهو أن يُدلي بقرابته من النبي (صلى الله عليه وسلم) فيحمله ذلك على شيء من الترفع على المسلمين ، وذكره الخليفة أن عُدّة الخير الصبر، وذلك أن طريق الخير ليس مفروشا بالورود، بل هو طريق شاق شائك، يتطلب عبوره جهادا طويلا، فلا بد لسالكه من الاعتداد بالصبر وإلا انقطع في أثناء الطريق، كما وانه ذكره أن خشية الله تعالى تكون في طاعته واجتتاب معصيته ، وذكره من حقائق القلوب السرّ، وجعل علامته ظهور الحكمة من قلب المسلم على لسانه، وأن يكون محبوبا بين إخوانه المسلمين، فإن محبة الله تعالى لعبده مترتبة على محبة المسلمين له، لأن الله تعالى إذا أحب عبداً حبه لعباده.

فكتب إليه سعد (رضي الله عنه) يصف له البلدان : " القادسية (15) بين الخندق والعتيق، وأن ما عن يسار القادسية بحر أخضر في جوف لاح إلى الحيرة بين طريقتين، فأما أحدهما فعلى الظهر وأما الآخر فعلى شاطئ نهر يدعى الحوض ، يطلع بمن سلكه على ما بين الخورنق والحيرة ، وأن ما بين عين القادسية إلى الوجة فيض من فيوض مياههم ، وأن جميع من صالح المسلمين من أهل السواد قبلي لب لأهل فارس قد خفوا لهم واستعدوا لنا ، فهم يحاولون إنغاضنا وإقحامنا ونحن نحاول إنغاضهم وإبرازهم وأمر الله بعد ماض وقضاؤه مسلم إلى ما قدر لنا وعلينا فنسأل الله خير القضاء وخير القدر في عافية " (16).

فكتب إليه عمر الفاروق (رضي الله عنه) : " قد جاءني كتابك وفهمته فأقم بمكانك حتى ينغض الله لك عدوك، واعلم أن لها ما بعدها فإن منحك الله أديارهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن فإنه خرابها إن شاء الله " (17) إذ ان الخليفة يدير المعركة من المدينة النبوية، ولا يكف عن مراسلة الجيش وحثهم على الشهادة والثبات، حتى إنه أرسل إليهم مثنياً، وبعثاً لهم على التفاؤل بالنصر، وقائلاً : " إني ألقى في روعي أنكم إذا لقيتم العدو هزمتهم " (18).

ولكي نقف على تلك الاستعدادات لنرى هذه الوصية الكبيرة والرائعة للقائد الميداني وجنده من القائد الأعلى لنرى مدى حرص واهتمام الخليفة (رضي الله عنه) بأمر المتابعة لما فيها من إرشادات تعطي الجانب الإيماني والروحي والمعنوي قدراً كبيراً من الأهمية ونصها : " كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما ومن معه من الأجناد: أما بعد، فإنني أمرت ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب. وأمرت ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم. وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة؛ لأن عدونا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوتينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا. واعلموا أن عليكم في مسيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا وإن أسأنا، فرب قوم قد سلط عليهم شر منهم كما سلط على بني إسرائيل، لما عملوا بمساخط الله، كفار المجوس فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً. واسألوا الله

العون على أنفسكم، كما تسألونه النصر على عدوكم. أسأل الله ذلك لنا ولكم. وترفق بالمسلمين في مسيرهم ولا تجشمهم مسيراً يتعبهم، ولا تقصر بهم على منزل يرفق بهم، حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم، فإنهم سائرون إلى عدو مقيم حامي الأنفس والكرار. وأقم ومن معك في كل جمعة يوم وليلة، حتى تكون لهم راحة يحيون فيها أنفسهم، ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم ونح منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه، ولا يزرأ أحداً أهلها شيئاً، فإن لهم حرمة وذمة ابتليت بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها، فما صبروا لكم فتولوهم خيراً. ولا تستصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح. وإذا وطئت لأرض العدو فأذك العيون بينك وبينهم، ولا يخف عليك أمرهم. وليكن عندك العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه، فإن الكذب لا ينفك خيره، وإن صدقك في بعضه، والغاش عين عليك وليس عيناً لك. وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك وبينهم، فتقطع السرايا أمدادهم وموافقهم، وتتبع الطلائع عوراتهم. وانتق للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك، وتخير لهم سوابق الخيل. فإن لقوا عدواً كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك، واجعل أمر السرايا إلى أهل الجهاد والصبر على الجلال، لا تخص بها أحداً يهوى، فيضيع من أمرك ورأيك أكثر مما حابيت به أهل خاصتك. ولا تبغثن طليعة ولا سرية في وجه تتخوف عليها فيه غلبة أو ضيعة ونكايه. فإذا عاينت العدو فاضم إليك أقاصيك وطلائعك وسراياك، واجمع إليك مكيدتك وقوتك، ثم لا تعالجهم المناجزة، ما لم يستكرك قتال، حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله، وتعرف الأرض كلها كعرفة أهلها بها، فتصنع بعدوك كصنعه بك. ثم أذك أحراسك على عسكريك، وتيقظ من البيات جهديك. ولا توتي بأسير ليس له عقد إلا ضربت عنقه، لترهب بذلك عدو الله وعدوك. والله ولي أمرك ومن معك، وولي النصر لكم على عدوكم، والله المستعان⁽¹⁹⁾.

ان هذه الوصية كما تقدم من أروع الوصايا وذلك من خلال من نستنتج منها الآتي

1. ان أمير المؤمنين الفاروق (رضي الله عنه) بدأ بكلمة الأمر أمرك في صياغة قوية تحمل كل معاني الإصرار والتصميم، وتمتد لتشمل كل الأجناد كي تؤكد مسئولية القائد عن كل فرد في جيشه.
2. يخاطب عمر (رضي الله عنه) قائد الجيش بلهجة "الأمر"، وليس بصيغة النصيحة أو الوصية فحسب، فيقول: "إني أمرك ومن معك بتقوى الله". وجاء الأمر بتقوى الله لأن تقوى الله عامة شاملة يمكن أن تنفرع عنها جميع قواعد قانون الحرب وآداب القتال في الإسلام، وهكذا تشمل التقوى فيما تشمل: العدالة، منع الظلم، منع الفساد والاعتداء على الأعراس، معاملة العدو بروح إنسانية إلى غيره من الأمور، ولمس عمر (رضي الله عنه) كبر الحقيقة عندما رأى في تقوى الله أسس التي يجب أن يتمسك بها المسلمون في حربهم، لأنها "أفضل العدة على العدو" وهي أساس التماسك والروح المعنوية في الجيش الإسلامي، ويرفع عمر (رضي الله عنه) "التقوى" من حيث أهميتها في القيادة نحو النصر، إلى منزلة المكائد الحربية التي يقوم بها كل جيش في سبيل الإيقاع بالعدو.
1. ثم عمد إلى توضيح الركيزة الأولى لتحقيق النصر ووضعها موضع الصدارة في توجيهاته، حيث وجه قائد جيشه وجنوده من ورائه إلى أن العقيدة الراسخة والإيمان القوي والاستمسك بأوامر الحق سبحانه وتعالى هي طريق المسلمين إلى النصر. وفسر في إيجاز وبلاغة فأثبت أن نتائج المقارنة المادية للقوات بشريا وتسليحا لن تكون بحال في صالح المسلمين، وأن "تقوى الله" هي وسيلتهم كي يميل ميزان القوى لصالحهم. ولا شك أن وقع هذه المقدمة على إيجازها لا يدانيه وقع عبارات "التوجيه المعنوي" التي لا تقوم على العقيدة والتي تنصدر تعليمات وأوامر القتال والعمليات في الحرب الحديثة، إضافة لما تقدم عدة الإيمان والتقوى في قمة الأولويات التي يجب ان تتهاى لمن يقاتل في سبيل الله، فمن كان مع الله كان الله معه لا يخذله ولا يوهنه وهو ناصر على من عاداه أو ناوئه، قال تعالى: { وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ }⁽²⁰⁾، ولنقف مثلاً على فقرة من النص أعلاه " وأن ذنوب الجيش أخوف عليهم من

عدوهم " هذا التحذير الشديد من الخليفة عمر الفاروق (رضي الله عنه) ما كان ليكون لولا خوفه على المسلمين وخشيته على هذا الدين وأهله .

2. بل إن عمر (رضي الله عنه) يأمر قائد الحملة والأجناد الذين معه بأن يكونوا أشد احتراساً من المعاصي من احتراسهم عند لقاء العدو، لأن قلة الاحتراس عند لقاء العدو يمكن استدراكها لاحقاً، وأما المعاصي فهي وباء يصعب اقتلعه إذا استشرى في قلب الجند، ويتابع عمر (رضي الله عنه) وصيته فيبين لقائد الحملة وأفرادها أن ارتكاب العدو للمعاصي هو السلاح الأساسي الذي يمكن جند المسلمين من الانتصار عليه، وأنه لولا هذا الأمر لكانت الغلبة له ، لأن المسلمين لم يكونوا مساوين للعدو في القوة سواءً نظرنا إلى الأمر من زاوية "العدد" أم من زاوية العتاد "العدة"، وعلى هذا فإن النصر لن يكون حليفاً لجيش المسلمين إذا تساوى مع جيوش الكفار في معصية الله، وإذا كانت القوة الإسلامية ليست كافية للوقوف في وجه القوة المعادية، فإن تمسك المسلمين بالفضيلة هو السلاح الذي سيمكنهم من النصر عليهم، يجب ألا يخامر المسلمين المقاتلين أي شك في وجود "رقابة عليا" عليهم وعلى تصرفاتهم، فهناك "حفظة من الله يعلمون كل ما يفعلونه ويقومون به"، ولهذا يجب أن يخجل هؤلاء المقاتلون من القيام بأي عمل لا يتألف مع التقوى الإسلامية والأخلاق الإسلامية، ويستخدم عمر (رضي الله عنه) هنا سلاح المنطق فيقول: لا يُعقل في جند يحارب في سبيل الله أن يرتكب معصية تغضب الله لأن في هذا قضاء كاملاً على الثواب الذي يحلم به، ولا يعفى المسلمون من التقيد بمبادئ الفضيلة والتقوى في حالة منازلتهم لعدو ظالم يرتكب المعاصي، لأن الله سبحانه وتعالى قد يبلى الظالم بمن هو أشد ظلماً منه، وذلك كما فعل ببني إسرائيل لما ارتكبوا المعاصي فسلط عليهم من هو أظلم منهم ولذلك يشير عمر (رضي الله عنه) إليهم باسم المجوس.

3. يطلب عمر (رضي الله عنه) من سعد في بداية الوصية أن يتفرق بالمسلمين في السير، وذلك خيفة على جند المسلمين وعلى روحهم المعنوية حيث إن المسافة بين الحجاز والعراق طويلة (نحو 1500 كم) والغاية من هذا هي وصول المسلمين إلى عدوهم وهم على أحسن حال من النشاط وموفر القوة، لأن السفر الطويل دون راحة يجعلهم أقل قدرة على القتال من العدو المقيم في أرضه والذي غالباً ما يكون قوياً بجنده وعتاده "حامي النفس والكراع".

4. ثم يوصي عمر (رضي الله عنه) سعداً (رضي الله عنه) بأن يعسكر بجنده مدة يوم وليلة والمقصود هنا نهار وليلة أي 24 ساعة) في كل أسبوع، وذلك لكي يعتني الجند بنظامهم وصيانة أسلحتهم، وهذا نظر صائب فيما نعتقد، ولا سيما إذا أخذنا في الحسبان المشقة التي كان يسببها السفر في تلك الأيام وتلك الظروف. وبالطبع ليس هناك ما يمنع من اختصار مدة الراحة هذه إذا دعت لذلك أسباب مهمة، كما حصل لخالد بن الوليد عندما انطلق بجنده من العراق إلى الشام، فقطع المسافة بمدة أسبوع دون أي توقف.

5. ويوصي عمر (رضي الله عنه) قائده بأن يُبعد أماكن عسكرية جنده عن قرى أهل الصلح وهم من ارتبطوا بعهد صلح مع المسلمين يسمح بنشر الدعوة الإسلامية في بلادهم مقابل حماية المسلمين لهم وعدم المساس بحريتهم في عقيدتهم وتأييد مراسم عباداتهم. والغاية من ذلك تجنب اعتداء أحد أفراد جند المسلمين على واحد من أهالي دار الصلح في شخصه أو ماله أو عرضه. وإذا اضطر قائد الجيش الإسلامي لإرسال بعض جنده إلى بلدة من بلاد أهل الصلح فيجب أن يختار لذلك من يثق الثقة التامة في دينه، لأن عقد الصلح ينشئ حقوقاً وواجبات متبادلة، وفي هذا يقول عمر (رضي الله عنه) : "فإن لهم حرمة وذمة ابتليتيم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها، فما صبروا لكم فتولوا خيراً". وهذه العبارة في وصية عمر (رضي الله عنه) مشتقة من الآية الكريمة: {إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ } (21).

6. وأما عبارة "ولا تستنصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح" فتحتوي مبدأ يشكل واحداً من أهم مبادئ القانون الدولي في هذا العصر، إذ إنه لا يجوز لقائد الجيش الإسلامي أن يضحى بأرواح سكان دار الصلح أو بأموالهم أو حتى بحقوقهم المعنوية في سبيل التمكن من الانتصار على سكان دار الحرب. دار الحرب. هي الأقطار المتاخمة لدار الإسلام التي لم يرض أهلها الدخول في الإسلام ولا عقد صلح مع المسلمين، فإذا عقدوا مثل هذا الصلح أصبحوا دار صلح، وإذا لم يرضوا ذلك بقوا دار حرب، وإذا فتحت دار الإسلام أراضيهم عنوة يصبحون جزءاً من دار الإسلام)، وهذا المطلب الأخلاقي يستند بلا ريب إلى الأحكام الأساسية في الإسلام ولاسيما إلى الآية الكريمة: { وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا } (22).
7. ثم يوصي عمر (رضي الله عنه) قائد جيشه بأن يعمل بمجرد دخوله أرض العدو إلى بث عناصر. الاستخبارات. إنكفاء العيون وذلك لئلا يخفى عليه من أمر عدوه شيء. وينصح عمر (رضي الله عنه) في هذا المجال بالاستعانة من المسلمين أو حتى من أبناء المنطقة المفتوحة "أهل الأرض" بشرط أن يكون من الموثوقين.
8. ولكي يكون عنصر الاستخبارات موثقاً ينبغي أن يكون صادقاً، فهو إذا كان كاذباً أو غاشياً فإن ضرره لا بد أكثر من نفعه لأنه قد يكون عندئذ عيناً للعدو أكثر من أن يكون عيناً للصديق، أو كما يقول عمر (رضي الله عنه) نفسه: "الغاش عين عليك وليس عيناً لك"، وبهذا يكون عمر (رضي الله عنه) قد فطن منذ ذلك الوقت إلى احتمال وجود عملاء الاستخبارات المزدوجين ممن يعملون لنا وللعدو في الوقت نفسه.
9. ثم يوصي عمر (رضي الله عنه) سعداً (رضي الله عنه) بالإكثار من الحذر عند الدنو من جيش العدو، وذلك بالإكثار من الطلائع والسرايا وهي الوحدات المتقدمة من الجيش. ومهمة (الطلائع) تختلف جزئياً عن مهمة (السرايا) وذلك أن المهمة الرئيسية للطلائع هي الاستطلاع لمعرفة الثغرات الموجودة في جيش العدو "وتتبع الطلائع عوراتهم". وأما السرايا فمهمتها الرئيسية هي الاشتباك مع العدو، ولاسيما القضاء على "إمداداته ومراقبه" قبل وصولها إليه.
10. وبما أن لوحات الطلائع مهمات خاصة لذا يجب انتقاء "أهل الرأي والبأس" لها، وهذا يعني اختيار جندها من الأقوياء الشجعان ذوي التدبير والحيلة، حتى إذا اصطدم بهم العدو كانت هذه العناصر الجيدة، المتمرسه هي أول ما يصطدم به من القوات الصديقة، وهذا نظر صائب وسليم، وحكمة لا تزال حتى اليوم واجبة التنفيذ.
11. ويجب انتقاء عناصر السرايا بالعناية نفسها، حيث أن هؤلاء يلزم أن يكونوا من أهل الجهاد والصبر على الجلال، كما يجب أن تُسند قيادتهم إلى أحد الشجعان الميامين. وعلى أمير الجيش أن يتحاشى محاباة أحد أقاربه أو رجال خاصته فيعينه لهذه المهمة إذا لم يكن أهلاً لها، وذلك لأن الضرر الذي سببته هذا التعيين يفوق بكثير المنفعة التي يمكن أن تحققها المحاباة والمصلحة الخاصة اللتان دفعتهما لهذا التعيين.
12. وإذا كان أفراد وحدات الطلائع والسرايا من المتمرسين في شؤون الجهاد والجلاد، فهذا لا يعني أن بوسع الأمير أن يلقي بهم إلى التهلكة، بل عليه أن يتجنب إرسال طليعة أو سرية في مهمة تتعرض فيها إلى الهزيمة أو الضياع كما يقول عمر (رضي الله عنه) في وصيته: "ولا تبعثن طليعة ولا سرية في وجه تتخوف فيه غلبة أو ضيعة أو نكاية".
13. ويربط عمر (رضي الله عنه) رضي الله عنه في وصيته بين نوعي الجهاد: الجهاد الأصغر بمنازلة العدو والانتصار عليه والجهاد الأكبر بالتغلب على نزوات النفس وشهواتها فيقول: "اسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم"، ولا يستثني نفسه من هذا الدعاء حيث يتوجه إلى الله تعالى بقوله: "اسأل الله تعالى ذلك لنا ولكم".

14. وعند حدوث التماس مع العدو ينصح الخليفة عمر (رضي الله عنه) أمير جيشه بأن يعمل على تجميع قواته وتقليل جبهة انتشارها، وذلك لئلا يستقر العدو بسرية منعزلة في المقدمة أو المجنبة فيقضى عليها بسهولة، وكذلك للتمكن من حشد كامل القوى الصديقة وزجها في المكان المناسب من جهة أخرى.

15. وينصح عمر (رضي الله عنه) سعداً (رضي الله عنه) بالأبداً هو مُناجزة العدو -أي مقاتلته- وبأن يترك للعدو مهمة البدء بالخطوة الأولى. والغاية من ذلك لكي يبصر الأمير "عورة عدوه ومقاتله" -أي نقاط ضعفه- فيوجه قوته الضاربة باتجاهها. ويبقى للأمير مع ذلك حق البدء بمناجزة العدو "إذا استكرهه قتال"، أي إذا دعت لذلك ضرورة قتالية معينة، كأن يستغل فرصة سانحة لمفاجأة العدو وأخذه على حين غرة، وقديماً قيل "الهجوم خير وسائل الدفاع".

16. ومن الطبيعي أن الهجوم على العدو يجب ألا يتم إلا حسب خطة حربية معينة، وهذه الخطة يتم وضعها دوماً بمرعاة عدة عناصر أهمها عدد العدو وتسلحه، وعدد الصديق وتسلحه، والهدف من المعركة، والوقت الذي تتم به، وطبيعة الأرض. وقد ركز عمر (رضي الله عنه) في وصيته على هذا العامل الأخير فنصح سعداً (رضي الله عنه) بأن "يعرف الأرض كلها كعرفة أهلها"، وذلك لكي تأتي خطته الحربية متلائمة مع المعطيات التي تكفل نجاحها.

17. وأخيراً ينصح عمر (رضي الله عنه) قائده أن يأخذ حذره من المفاجآت الليلية: "ويتيقظ من البيات جهديك"، ويكون ذلك بأخذ الحيطة والإكثار من العسس (الحرس الليلي) وبث الكمائن حول معسكر المسلمين.

18. وينهي الخليفة عمر (رضي الله عنه) وصيته بالدعاء لسعد بن أبي وقاص بأن يكون الله وليه -أي نصيره- وولي جنده الذين معه، وبأن يقودهم إلى النصر على العدو وعند لقاءهم به، وقد تمّ هذا النصر بالفعل في معركة القادسية عام 14 للهجرة.

أقام سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) في القادسية شهراً، ثم بعث عيناً إلى أهل الحيرة فرجعوا إليه بالخبر بأن ملك الفرس قد ولى رستم حربيه وأمره بالعسكرة فكتب بذلك إلى عمر فكتب إليه عمر (رضي الله عنه): "لا يكرهك ما يأتيك عنه ولا ما يأتيك به فاستعن بالله وتوكل عليه وابعث إليه رجلاً من أهل المنظرة والرأي والجِد يدعونه فإن الله جاعل دعاءهم توهيناً لهم وفجاً عليهم واكتب إلي في كل يوم" (23)

فجمع سعد (رضي الله عنه) نفراً من أهل الرأي والمنظرة والجد منهم النعمان بن مقرن والأشعث بن قيس و عاصم بن عمرو وعمرو بن معد يكرب و المغيرة بن شعبة ، والمغيرة بن زرارة (رضي الله عنهم) ، ثم بعثهم دعاء إلى كسرى ملك الفرس، فاستأذنوا على كسرى فأذن لهم، وخرج أهل البلد ينظرون إلى أشكالهم وأرديتهم على عواتقهم وسياطهم بأيديهم، والنعال في أرجلهم، وخبولهم الضعيفة، وخبطها الأرض بأرجلها، وجعلوا يتعجبون منها غاية العجب، كيف مثل هؤلاء يقهرون جيوشهم مع كثرة عددها وعُددها. فلما دخلوا عليه أمر الترجمان بينه وبينهم فقال : سلهم ما جاء بكم ؟ وما دعاكم إلى غزونا والولوع ببلادنا ؟ أمن أجل أنا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا ؟ فقال النعمان بن مقرن رضي الله عنه : " إن الله رحمناً فأرسل إلينا رسولاً يدلنا على الخير ويأمرنا به ويعرفنا الشر وينهانا عنه ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة ففرغنا جميعاً فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق، ثم أمر أن نبدأ من يلينا من الأمم فدعوهم إلى الإنصاف فنحن ندعوكم إلى ديننا وهو دين حسن الحسن وقبح القبيح كله، فإن أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه الجزاء فإن أبيتم فالمناجزة فإن أحببتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم وإن اتقيتمونا بالجزء قبلنا ومنعناكم، وإلا قاتلناكم" (24).

فقال يزيدجرد : إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ولا أسوأ ذات بين منكم ، قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي فيكفوننا غاراتكم لا تغزوكم فارس ولا تطمعون أن تقوموا لهم فإن كان غرور لحقكم فلا يغرنكم منا وإن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم

قوتاً إلى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملئنا عليكم ملكا يرفق بكم فرد عليه المغيرة بن زرارة رضي الله عنه : " انك قد وصفتنا صفة لم تكن عالماً بها ، فأما ما ذكرت من سوء الحال فما كان أسوأ حالاً منا ، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع ، كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات فنرى ذلك طعامنا ، وأما المنازل فإنما هي ظهر الأرض ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل وأشعار الغنم ، ديننا أن يقتل بعضنا بعضاً ويغير بعضنا على بعض ، فكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت لك ، فبعث الله إلينا رجلاً معروفاً نعرف نسبه ونعرف وجهه ومولده ، فأرضه خير أرضنا وحسبه خير حسبنا ، فقذف الله في قلوبنا التصديق بما جاء به وأتباعه ، فصار فيما بيننا وبين رب العالمين ، فما قال لنا فهو قول الله ، وما أمرنا فهو أمر الله ، فقال لنا : إن ربكم يقول : " إني أنا الله وحدي لا شريك لي كنت إذا لم يكن شيء وكل شيء هالك إلا وجهي وأنا خلقت كل شيء وإلي يصير كل شيء وإن رحمتي أدرجتكم فبعثت لكم هذا الرجل ليدلكم على السبيل التي بها أنجيكم بعد الموت من عذابي ولأحكم دار السلام " ، فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق وقال : " من تابعكم على هذا فله مالكم وعليه ما عليكم ومن أبى فأعرضوا عليه الجزية ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسكم ومن أبى فقاتلوه ، فأنا الحكم بينكم فمن قتل منكم أدخلته جنتي ومن بقي منكم أعقبته النصر على من ناواه ، فاختر إن شئت الجزية عن يدٍ وأنت صاغر ، وإن شئت فالسيف ، أو تسلم فتتجى نفسك . " فاستشاط ملك الفرس ، وهو في أبهته وبين أعظم قواده وعلى أرضه أن يقال له هذا الكلام من بدوي مرقع الثياب . فقال : أتستقبلني بمثل هذا ؟ ثم قال : لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم ، لا شيء لكم عندي ، ارجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أنني مرسل إليه رستم حتى يديه ويدفيكم معه في خندق القادسية ، وينكل به وبكم ، ثم قال يزدجرد : انتوني بوقرٍ من تراب ، واحملوه على أشرف هؤلاء : ثم قال : من أشرفكم فسكت القوم ، وافتات ليأخذ التراب : ثم قال عاصم أنا أشرفهم ، أنا سيد هؤلاء فحملني ، فقال : أكذلك هو قالوا : نعم ، فحملة على عنقه فخرج من الإيوان والدار حتى أتى راحلته فحملة عليها ، ثم انجذب في السير حتى دخل وصحبه على سعد واخبروه الخبر فقال سعد : " أبشروا فقد أعطانا الله أقاليد ملكهم " (25) . وأخذ المسلمون يزدادون في كل يوم قوه ويزداد عدوهم في كل يوم وهنا واشتد ما صنع المسلمون وصنع الملك على جلساء الملك وراح رستم من ساباط يسأله عما كان من أمره وأمرهم وكيف رآهم فقال الملك : ما كنت أرى أن في العرب مثل رجال رأيتم دخلوا علي وما أنتم بأعقل منهم ولا بأحسن جوابا منهم وأخبره بكلام متكلمهم وقال : لقد صدقني القوم ، لقد وعد القوم أمراً ليدركته أو ليموتنّ عليه ، على أنني قد وجدت أفضلهم أحمقهم فقد ذكروا الجزية فأعطيته تراباً فحملة على رأسه وخرج به ولو شاء اتقى بغيره وأنا لا أعلم فقال رستم : أيها الملك إنه لأعقلهم لأنه أراد أن يفندي القوم بنفسه فتطير بذلك وأبصرها دون أصحابه (26) .

ولما تواجه الجيشان وبعد أن انتهت الموقعة بانتصار العرب المسلمين المحررين لأرض العراق كتب سعد (رضي الله عنه) إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بالفتح وبعده من قتلوا ومن أصيب من المسلمين فقال : أما بعد فإن الله نصرنا على أهل فارس ومنحهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم بعد قتال طويل وزلزال شديد ، وقد لقوا المسلمين بعدة لم ير الزاءون مثل زهائنا فلم ينفعهم الله بذلك ، واتبعهم المسلمون على الأنهار وفي الفجاج وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القارئ ، وفلان وفلان ، ورجال من المسلمين لا نعلمهم ، الله بهم عالم وكانوا يدون بالقرآن إذا جن عليهم الليل دوي النحل ، وهم آساد الناس لا يشبههم الا الأسود ولم يفضل من مضى منهم من بقي إلا بفضل الشهادة إذ لم تكتب لهم (27)

وكان عمر (رضي الله عنه) مشغول القلب بأمر القادسية ، فكان في كل يوم يخرج يستخبر كل من لقيه من الركبان ، ويخرج من المدينة إلى ناحية العراق يستتشق الخبر ، فلما لقي البشير ، فسأله : من أين ؟ قال : من القادسية ، فقال له : يا عبد الله حدثني ، فقال : هزم الله العدو ، وعمر (رضي الله عنه) يجري وراءه ويستخبره والرجل يسير على ناقته ولا يعرفه ، حتى دخل المدينة وعمر ماشٍ تحت راحلته ، فجعل الناس يحيون عمر بإمرة المؤمنين ، فعرف الرجل عمر (رضي الله عنه) ، فقال : يرحمك

الله يا أمير المؤمنين هلا أعلمتني أنك الخليفة؟ فقال: لا حرج عليك يا أخي ! فقام عمر (رضي الله عنه) في الناس فقرأ عليهم الفتح وقال : إني حريص على أن لا أَدع حاجة إلا سدتها ما اتسع بعضنا لبعض ولوددت أنكم علمتم من نفسي مثل الذي وقع فيها ولست معلمكم إلا بالعمل ، إني والله ما أنا بملك فأستعبدكم وإنما أنا عبد الله عرض علي الأمانة " (28) .

والملاحظ في خطبة الخليفة القائد الأعلى للعرب المسلمين الفاروق عمر (رضي الله عنه) لم تكن عبارات عن شعارات يطلقها ليلهب بها حماس الناس أو وعود تفتظيها ظرف المرحلة ليكسب بها ثقتهم بل كانت أفعال مارسها طوال حياته قبل الخلافة وبعدها جعلها الإيمان بالإسلام وحسنها صحبة الرسول (صلى الله عليه وسلم)

هذه هي القادسية التي فتحت الطريق إلى إيوان كسرى في عاصمة ملكه ، ومهدت للقضاء على دولته، وكان لها في توجيه الحضارة أبلغ الأثر، بهزيمة الفرس وانتصار المسلمين تحقق ما أراده المسلمين واستطاعوا نشر الإسلام ، فضلاً عن القيادة الحكيمة للمسلمين التي كانت تتمثل بأوامر الخليفة وطاعة القائد الميداني وجنده .

بعد ان حقق الجيش العربي الإسلامي انتصاره في معركة القادسية ، وجه القائد الأعلى للعرب المسلمين الفاروق عمر (رضي الله عنه) القائد سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) بالمسير إلى المدائن حسب الوصية " ان منحك الله أدبارهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن فإنه خرابها ان شاء الله " (29) ، وحين تحرك الجيش المحرر اسقط كثير من المدن وهو في طريقه للمدائن ، فكتب سعد بن أبي وقاص لقائده الأعلى يخبره بخصوص الفلاحين الذين جمعهم ولم يقاتله احد منهم فأوصاه الخليفة بكتاب هذا نصه : " أن من أتاكم من الفلاحين إذا كانوا مقيمين على عهدكم ولم يعينوا عليكم عدوكم فلهم أمانهم ومن لم يأتيكم وهرب منكم وأدركتموه فشانكم وإياه افعولوا فيه ما شئتم " (30).

وهذا يعطينا مدى المرونة التي أعطاها الخليفة لقائده في الميدان ليقرر الإجراء الذي يراه مناسباً فنرى ان سعد بن أبي وقاص قد أخلى سبيلهم وأرسل وراء الدهاقين من يدعوهم إلى الإسلام والجزية فأجابوا إلى أداء الجزية (31).

وحقق الجيش المحرر مشاوره في الدخول إلى المدائن وأرسل سعد للخليفة الأخماس ويذكر المؤرخون انه " لما قدم بسيف كسرى على عمر ومنطقته وزبرجه قال إن أقواما أدوا هذا لذوا أمانة فقال علي إنك عففت فعفت الرعية " (32).

بعد المدائن واصل الجيش تقدمه إلى عدة مناطق من العراق فاخبر سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) الخليفة بأن يزيدجرد بن كسرى هرب من المدائن إلى حلوان فأوصاه الخليفة بكتاب جاء فيه : " أقم مكانك ووجه إليهم جيشاً، فإن الله ناصرك ومتمم وعده " (33)، ثم وجه أوامره العسكرية إلى قائده الميداني بكتاب ينص على : " أن سرح هاشم بن عتبة إلى جُلُولاء في اثني عشر ألفاً واجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو وعلى يمينته سعد بن مالك وعلى يسرته عمرو بن مالك بن عتبة وعلى ساقته عمرو بن مرة الجهني " (34).

والملاحظ هنا ان توجيه الخليفة بالقيادة دائماً من هم لهم سابقة في الإسلام والشجاعة والبأس والحكمة والدراية في الحرب وهذا ما هو معروف عن دور الخليفة الفاروق (رضي الله عنه) فيمن ينتخبه من العمال والقادة والأمراء .

وتشير النصوص التاريخية ان هذا الجيش الذي عينه الخليفة لمواصلة تقدمه إلى المناطق التي حددت لهم ومكنهم الله منهم بعد ان ابلوا البلاء الحسن ولما ردوا فلولهم المنهزمة فدخل القعقاع خائنين وحلوان منتصراً ، وهرب يزيدجرد إلى الجبال (35) ، فكتب الخليفة لسعد ابن أبي وقاص (رضي الله عنهما) " إن هزم الله الجندين جند مهران وجند الأنطاق فقدم القعقاع حتى يكون

بين السواد وبين الجبل على حد سوادكم" (36). وكتب كتابا آخر أوصاه فيه : " : إن فتح الله عليكم جلولا فسرح القعقاع بن عمرو في آثار القوم حتى ينزل بلوان فيكون ردةً للمسلمين ويحرز الله لكم سوادكم " (37) .

فهزم أهل جلولا وكتبوا إلى الخليفة بتحرير جلولا " لوددت أن بين السواد وبين الجبل سدا لا يخلصون إلينا ولا نُخلص إليهم ، حسبنا من الريف السواد إني آثرُ

سلامة المسلمين على الأنفال " (38).

فأمر بإقامة قواعد عسكرية إسلامية لها عدة وظائف ومهام والتي سبق وأشرنا إلى بعض منها بالإضافة إلى كونها مراكز حربية في مواقع إستراتيجية متقدمة على الحدود بينها وبين البلاد المفتوحة لترد أي عدوان خارجي وكمراكز تجمع للجند ولنشر الإسلام وكان في طبيعتها مدينتا البصرة والكوفة في مجاورة الدولة الفارسية (39).

بعد المدائن جاء تحرير تكريت فبعد ان كتب سعد بن أبي وقاص يعلم فيه الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) بأنه أهل الموصل اجتمعوا على رجل من الكفرة يقال له الانطاق ونزلوا بتكريت ومعهم الروم وأحلافهم من أياد وتغلب والنمر (40)، فكتب الخليفة له وأوصاه " أن سرح إلى الأنطاق عبد الله بن المعتم واستعمل على مقدمته ربعي بن الأفكل العنزي وعلى ميمنته الحارث بن حسان الذهلي وعلى ميسرته فرات بن حيان العجلي وعلى ساقته هاني بن قيس وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة " (41).

وقد انتصر العرب المسلمين في هذه المعركة ولم يفلت احد منهم ممن كان في الخندق الا من اسلم ، ونفذ عبد الله بن المعتم ما أوصى به الخليفة حيث أوصى سعد إلى " إن هم هزموا أن يأمر عبد الله بن المعتم بتسريح ابن الأفكل العنزي إلى الحصنين " (42).

واستطاع الجيش ان يحرر الموصل وإنهاء كل مقاومة فيها بعد ان تم التعاون مع قبائل العرب من تغلب وإياد ونمر. (43).

الخاتمة

لقد توصلت الدراسة الى اهمية الوصايا التحريرية لعراق المجد على يد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في تغيير مجرى الاحداث ودورها الكبير في صنع الانتصار وتحقيق هدف التحرير ، فقد تفوق القادة الميدانيين في مختلف جبهات القتال تفوقا واضحا على اعدائهم ، اذ نختم بوصية واحدة كنا قد بينها في فحوى دراستنا هذه ماكان يخشاه الفاروق عمر (رضي الله عنه) على جنده وارتكابهم للمعاصي والذنوب حين قال : " ان ذنوب الجيش اخوف عليهم من عدوهم " فما احوجنا اليوم ان لانرتكب المعاصي والذنوب ولهذا الأمر يجب التذكير والتحذير لان العالم العربي والإسلامي يمر اليوم بأخطر مرحلة من التغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يشنها أحفاد قادة الحركات الهدامة والشعبوية والعولمة ، والتي بالأخر ستتعرض سلبا على الحياة الاجتماعية والأخلاقية للمجتمع العربي والإسلامي . بالتالي ستؤثر على التنظيم العام للمجتمع وتلحق الضرر وتفسد العقيدة والسلوك .

الهوامش

- 1) ابن العبري، ابو الفرج بن هارون (ت685هـ) ، تاريخ مختصر الدول ، المطبعة الكاثولوكية ، (بيروت ، 1958)، ص174.
- 2) سورة الفتح، الآية 28.
- 3) ابن الجوزي. ابو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي.(ت597هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر والطباعة والنشر والتوزيع،(بيروت، 1995)، 99/4
- 4) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر(ت279هـ) ، فتوح البلدان، دار النشر للجامعيين،(بيروت، 1377هـ/1957م) ، ص251 ؛ اليعقوبي ، ابن واضح أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب المعروف بابن واضح(ت292هـ)، تاريخ اليعقوبي، مطبعة الغرى ،(النجف، 1358هـ)، 120/2 .
- 5) الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ)، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، مكتبة القدس ، (القاهرة، 1947/1367)، ص78 .
- 6) الطبري ، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك(ت310هـ)، منشورات مؤسسة الأعلمي ببيروت ومؤسسة جواهر للطباعة والتصوير، الطبعة الرابعة،(بيروت، 1403هـ/1983م)، 67/4؛ ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الأثير(ت603هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر،(بيروت، 1399هـ/1979م)، 301/2 ؛ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون(ت808هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المطبعة الكبرى، (مصر، 1284هـ) ، 311/2.
- 7) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، 302/2 .
- 8) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 72/4 .
- 9) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص254 ؛ خطاب ، محمود شيت ، فتح العراق والجزيرة ، دار القلم ، (القاهرة ، بلا. ت) ، ص37.

- 10) ابن الجوزي ، المنتظم ، 103/4 ؛ خطاب ، قادة فتح العراق والجزيرة ، ص231؛
- 11) ابن ابي الحديد ، عز الدين عبدالحميد بن هبة الله (ت656هـ) ، كتاب شرح نهج البلاغة، دار احياء التراث العربي ، (بيروت ، د. ت) ، 97/9.
- 12) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 381/2 ؛ العظم ، رفيق ، أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة، دار الرائد العربي ، (بيروت ، 1983) ، ج2/305..
- 13) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 378/2.
- 14) ان الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال " هذا خالي فليرني امرؤ خاله " ينظر : ابن سعد، محمد بن سعد الكاتب(ت230هـ) ، الطبقات الكبرى، (ليدن ، مطبعة برييل 1321هـ) ، ج2/137 ؛ ابن حجر ، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني المعروف بابن حجر(ت852هـ) ، الإصابة في تمييز الصحابة ،(بيروت ، بلا. ت) ، ج3/83.
- 15) القادسية : سميت بذلك من التقديس وهو التطهير لأنها تطهر من الذنوب وقالوا إنما سميت القادسية لأنها نزلها قوم من أهل قادس من أرض خراسان . ينظر : البكري ، أبو عبد الله بن عبد العزيز (487هـ) ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق : مصطفى السقا ، عالم الكتب ، (بيروت ، 1403هـ) ، 270/1 ؛ ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت ابن عبد الحموي (ت 626هـ) ، معجم البلدان ، مطبعة السعادة ، (القاهرة ، 1906) ، 291/4.
- 16) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 387/2.
- 17) ابن كثير، اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي(ت774هـ) ، البداية والنهاية، مكتبة المعارف ، الطبعة الخامسة، (بيروت ، 1404هـ/1984م) ، 37/7 .
- 18) الطبري ، تاريخ ، 387/2 .
- 19) ابن عبد ربه الاندلسي، ابي عمر بن محمد (ت 328 هـ) العقد الفريد، تقديم: خليل شرف الدين، دار مكتبة الهلال ، (بيروت ، 1968) ، ج1/130-131؛ النويري ، نهاية الإرب في فنون الأدب ، ج6/178-180
- 20) سورة الروم، جزء من الآية 47
- 21) سورة التوبة، الآية4.
- 22) سورة الإسراء ، جزء من الآية 34.
- 23) الطبري ، تاريخ ، 389/2 .
- 24) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، 391 /2 . ينظر : صفوت ، احمد زكي ، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ، المكتبة العلمية ، (بيروت، بلا.ت) ، 240/1 .
- 25) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 391/2 .
- 26) ابن كثير ، البداية والنهاية ، 38/7.
- 27) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 426/2 .

(28) ابن كثير ، البداية والنهاية ، 44/7.

(29) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 165/4؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، 352/2؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، 328/2.

(30) الواقدي ، محمد بن عمر (ت 207هـ) ، فتوح الشام، دار الجيل ، (بيروت ، بلايت) ، 198/2.

(31) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 168/4؛ ابن الأثير الكامل في التاريخ ، 355/2.

(32) الواقدي ، فتوح الشام ، 207/2 ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 177/4؛ ابن الأثير الكامل في التاريخ ، 361/2 ؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج2/331 . ويشير ابن كثير إلى نص آخر بقوله : أن عمر لما نظر إلى ذلك قال إن قوما أدوا هذا لأمناء ، فقال له علي بن أبي طالب: إنك عفتت فعفت رعيتك، ولو رعت لرعت . ينظر : البداية والنهاية ، 67/7.

(33) الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ص394.

(34) ابن الجوزي ، المنتظم ، 146/4 .

(35) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 182/4؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، 71/7؛ الدنيوري، ابو حنيفة أحمد بن داود(ت281هـ) ، الاخبار الطوال ، تحقيق : عبدالمنعم عامر ، (القاهرة ، 1960) ، ص129؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ص161؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، 332/2 ؛ خطاب ، قادة فتح العراق والجزيرة ، ص295.

(36) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 182/4.

(37) ابن الجوزي ، المنتظم ، 147/4 .

(38) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، 332/2؛ خطاب ، قادة فتح العراق والجزيرة ، ص296 .

(39) ويذكر اليعقوبي قولاً للفاروق عمر بحق جهة الروم لا يختلف كثيراً عن قوله على الحد الشرقي للامتنا العربية بقوله : " كان عمر رضي الله عنه من خوفه على المسلمين وحدود الدولة الإسلامية لاتساعها وكرهه لقتال الروم يقول إذا ذكر الروم: والله لوددت أن الدرب جمرة بيننا وبينهم لنا ما دونه وللروم ما وراءه " ينظر : تاريخ اليعقوبي ، 155/2.

(40) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 186/4 ؛ خطاب ، قادة فتح العراق والجزيرة ، ص345.

(41) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، 186/4. بينما يذكر ابن الأثير النص الآتي : أن سرح إلى الأنطاق عبد الله بن المعتم العبسي، وعلى مقدمته ربعي بن الأفكل الغنزي، وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة البارقي : ينظر: الكامل في التاريخ ، 364/2.

(42) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ص186 . ويعني الحصنين هما نينوى والموصل : ينظر : خطاب ، قادة فتح العراق والجزيرة ، ص351 ،

(43) خطاب ، قادة فتح العراق والجزيرة ، ص345.

اسباب الإغراق التجاري وانعكاساته في العراق

غدير عياد داوود¹

¹ طالبة الماجستير / قسم اقتصاديات ادارة الاستثمار والموارد

ghadeeraiad@yahoo.com

تاريخ النشر: 2020/12/01م

تاريخ القبول: 2020/11/29م

المستخلص

إن محدودية الصناعات في بعض الدول ، علاوة على اقتصادها المتخصص في انتاج المواد الاولية ، فضلاً عن ضآلة مساهمة القطاع الصناعي في تكوين الناتج القومي لها ، فان ادوات السياسة التجارية -والذي يعتبر الاغراق من ضمنها - تساهم في نهوض هذه الصناعات ، كما يحدث في العديد من الدول النامية القائمة على هذه الادوات (من تعريفات جمركية ، ادوات غير تعريفية ، اعانات) والتي تتماشى مع الخطط التنموية ساعية لخلق وسط مناسب للمساهمة في القطاعات الاقتصادية الاخرى لتكوين الاقتصاد القومي ، من المنطلق الاقتصادي الذي يقنضي بفرض تعريفات جمركية تحمي مجموعة من الصناعات ، فان هذه الصناعات ستتمكن من زيادة انتاجها ، مما يؤدي الى زيادة معدلات استخدامها من قبل الصناعات الاخرى المتغذية منها والمُغذية عليها ، تحت حكم الروابط الامامية والخلفية المرتبطة بينها وبين الصناعات الأخرى ، وبعد ذلك نتمكن من استخدام الادوات السياسية التجارية المناسبة لنُعزز من الموارد العاطلة في الاقتصاد ، مع فرض القيود التجارية اللازمة لمكافحة ظاهرة الإغراق .

الكلمات المفتاحية: الاغراق التجاري ، ادوات السياسة التجارية ، اقتصاد العراق ، مكافحة الاغراق ، قضايا الاغراق.

RESEARCH ARTICLE

THE CAUSES AND IMPLICATIONS OF DUMPING TRADE IN IRAQ

Ghadeer Ayad Dawood¹

¹ Master's student / Department of Economics of Investment and Resource Management
ghadeeraiad@yahoo.com

Accepted at 29/11/2020

Published at 01/12/2020

Abstract

The limited industries in some countries, in addition to their economy specializing in the production of raw materials, as well as the small contribution of the industrial sector to the formation of their national product, the tools of trade policy - which is among them dumping - contribute to the rise of these industries, as happens in many Developing countries that are based on these tools (from tariffs, non-tariff tools, subsidies) that are in line with development plans seeking to create a suitable medium to contribute to other economic sectors to form the national economy, from the economic standpoint that requires imposing customs tariffs that protect a group of industries. The industries will be able to increase their production, which leads to an increase in the rates of their use by other industries that are fed and fed to them, under the rule of the front and back links linked between them and other industries, and then we can use the appropriate commercial political tools to enhance the idle resources in the economy, while imposing Trade restrictions needed to combat dumping.

Key Words: Commercial dumping, tools of trade policy, Iraq's economy, anti-dumping, dumping

أهمية البحث

تتجلى أهمية البحث في جانبين :

1 . الأهمية العلمية :

- تعد ظاهرة الاغراق التجاري احدى ادوات السياسة التجارية ، والتي تبرز اثارها السلبية على اقتصاديات الدول التي تطبق عليها هذه الظاهرة ، الأمر الذي دعا منظمة التجارة العالمية الى منع استخدامها من قبل الدول ، وفرض عقوبات على ممارستها.
- عرض لتجربة العراق ومدى تأثير اقتصاده من جراء ممارسة الاغراق عليه .

2. الأهمية التطبيقية :

التي تتأتى من تأثير تطبيق اجراءات مكافحة الإغراق التجاري التي دعت اليها منظمة التجارة العالمية .

مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في إثارة التساؤلات الآتية :

- مدى تأثير ظاهرة الاغراق على اقتصاديات الدول لا سيما العراق؟
- هل يمكن تحديد حجم الاضرار المتولدة من هذه الظاهرة ، وسبل الفحص ، والاجراءات اللازمة لمواجهتها؟

فرضية البحث

يقوم البحث على فرضية مفادها : ان ظاهرة الاغراق الحققت اكبر الاضرار على اقتصاديات الدول وبتسليط الضوء على تجربة العراق ، وعدم مقدرتها في التكفل لإدارة معظم قضايا الاغراق ، واتباع الاجراءات اللازمة لمكافحة هذه الظاهرة ، ادت الى استمرار ضعف هذه الدول في التصدي للظاهرة المعنية .

منهج البحث

استخدم الباحث المناهج العلمية المختلفة وعلى وفق ما يتناسب مع مقتضيات الموضوع ، فقد اعتمد الباحث على المنهج الاستنباطي (الاستنتاجي) في التحليل النظري المعتمد على قاعدة من النظريات التي تؤثر على ظاهرة الاغراق مع الاستعانة بالأدبيات التي تناولت الموضوع . واتباع المنهج الاستقرائي المعتمد للانطلاق في دراسة ظاهرة الاغراق من الواقع ومعرفة ما ستكون عليه في المستقبل ، وما تتركه من آثار سلبية على اقتصاديات الدول النامية .

هيكلة البحث

تم تقسيم البحث الى عدة محاور ، علاوة على الاستنتاجات والتوصيات :

- المحور الاول: تحديد مفهوم الاغراق التجاري والأسس النظرية للمضمون
- المحور الثاني: وضع الاغراق التجاري في العراق

- المحور الثالث : مواجهة سياسة الإغراق

- المحور الرابع : إجراءات مكافحة الإغراق

اسباب الإغراق التجاري وانعكاساته في العراق

المحور الاول: تحديد مفهوم الإغراق التجاري والأسس النظرية للمضمون :

يعد الإغراق التجاري من الممارسات الضارة التجارية ، حالة من التمييز في تسعير منتج ما، وذلك عندما يتم بيع ذلك المنتج في سوق دولة مستوردة بسعر يقل عن سعر بيعه في سوق الدولة المصدرة. لذلك يمكن التحقق من وجود الإغراق - في أبسط صوره - عند مقارنة الأسعار في سوقي البلدين المستورد والمصدر، إلا أنه من النادر أن يكون الحال بهذه البساطة. ففي أغلب الحالات يجب أن تتخذ سلسلة طويلة من التحليلات المعقدة لمعرفة السعر المناسب في سوق البلد المصدر، وهو ما يعرف بالقيمة العادية ، ومعرفة السعر المناسب في سوق الدولة المستوردة وهو ما يعرف بسعر التصدير، وتحديد أسلوب مقارنة مناسب بين السعرين.

أولاً : نشأة الإغراق التجاري وتاريخه:

إن مصطلح الإغراق ليس حديث النشأة في عالم التجارة الدولية أو في الأدبيات الاقتصادية ، فقد كانت كندا أول الدول التي أصدرت قانون لمكافحة ظاهرة الإغراق في العام 1904 ، وفيما بعد تبعتها كل من نيوزيلندا وأستراليا في 1905 -1906 على التوالي (الخضر ، 2013، صفحة 49).

وعندما بدأت الأدبيات الاقتصادية ابداء اهتماماً أكبر بسياسة الإغراق في التجارة الدولية وذلك منذ العام (1914)، كما بحثت حول قضايا المنافسة بين المنتجين على نطاق الأسواق المحلية التابعة لها ، وكتفت اهتمامها في فترة الحرب العالمية الأولى بسياسة الإغراق وطرق مواجهتها (Trujillo, 2020, p. 113).

كما قامت الولايات المتحدة الأمريكية في العام 1916 بإمضاء التعريف الجمركية (التعريف الحمائي) والتي كانت البارزة والاولى من نوعها في الولايات المتحدة الأمريكية ، وفي العام 1919 قام بعض الاقتصاديين بتحليل نشوء الممارسات لسياسة الإغراق ، والتي أعدت ناتج للأزمات الخاصة بالتجارة عبر السوق المجهزة وأسعارها المنخفضة السائدة في العام 1938 ، حيث إنه في ذلك الحين هاجم المصدرون البريطانيون الاسواق الأمريكية بالمنتجات المصنعة ، وبهذا فقد اصبح المصطلح المعروف بالإغراق يشير الى عملية البيع بالأسعار المنخفضة في الاسواق البعيدة كناتج طبيعية لأستعمال مثل هذا المصطلح لكن على الرغم من ذلك فان استعمال مثل هذه الكلمة ، وبهذا المدلول او المعنى لم تعرفه الادبيات الاقتصادية حتى القرن العشرين (الكعبي، 2010، صفحة 59).

ثانياً : تعريف الإغراق اقتصادياً وقانونياً وإسلامياً:

أ- تعريف الإغراق في اللغة: الإغراق في الشيء : جاوز الحد وبالغ فيه.

ب- اقتصادياً : يعد إجراء يرمي الى السيطرة على السوق الأجنبية بتحميل المستهلكين الوطنيين أعباء مالية أكبر ، والى بيع المنتج في الخارج بأسعار اقل كثيراً من اسعار

السوق الداخلية (مصطفى، 1989، صفحة 650).

ويمكن تعريفه بأنه : قيام المنتج الاجنبي المصدر للمنتجات ببيعها في اسواق الدول المستوردة لهذه المنتجات بأسعار تقل عن اسعار بيعها في اسواق انتاجها المحلية ، والغرض من ذلك هو الانفراد بأسواق الدول المستوردة والتخلص من منافسات بقية المنتجات في السوق المعني (Murphy, 2019, p. 376).

كما يجب الإشارة الى ان سياسة الاغراق عادة ما تحدث من قبل دولة قيمة عملتها النقدية منخفضة عن قيمة عملة الدولة المستوردة اذا ما فُرنُت مع دول العملات الصعبة ، ومثال على ذلك العملتين التركية والصينية ، كما انه تحدث ظاهرة الاغراق من قبل الدولة التي تتمتع عملتها بأسعار تحويل مرتفعة امام العملة الصعبة وكما هو متعارف عليه ان من وسائل تنمية الصادرات في دول معينة عبر خفض قيمة عملتها المحلية بما تقابلها من العملات الصعبة ، ومع ارتباط سياسات الاغراق التجاري بما يعرف بالمنشآت الاحتكارية والتي تفضل هذه المنشآت ممارسة سياسات التمييز السعري ، التي يمكن توضيحها بانها : عملية فرض اسعار متنوعة لعدة طبقات أو فئات اخرى مختلفة من مستهلكي هذا المنتج أو الخدمة وخلال ظروف معينة وهي (البياتي، 2018، صفحة 6) :-

أ - يعد المُنتج هو المحكّر لإنتاجه .

ب - لا يمكن تحول المنتج او الخدمة من اسواق الى اخرى وذلك بسبب بقاء المستهلكين في اسواق منفصلة.

ج - اختلاف مرونة طلب المنتج باختلاف الاسواق .

وتبعاً لما سبق نصل الى ان من اسباب قيام سياسة الاغراق (زكي، 2010، صفحة 6):

يكون السبب الاول لقيام مثل هذه الظاهرة هو استجابات قصيرة للانكماش الاقتصادي المحلي وذلك من خلال بيع الفائض من المنتجات في الخارج بأسعار منخفضة للتخلص منها.

ويعد السبب الثاني وسيلة للاختراق بأسواق التصدير على المدى الطويل من خلال كسب هذه الاسواق في الدولة التي يتم التصدير اليها ، وعلى وفق من ذلك نصل الى ان السببين السابقين سيؤديان الى الهيمنة على الاسواق المصدرة اليها ومنعها من نمو صناعاتها المحلية (الفتلاوي، 2009، صفحة 21).

ومن الجدير بالذكر ان سياسة الإغراق انت بصورة متزامنة مع قيام النظام الرأسمالي والتي تهدف الى أستحواذ للسوق المحلية والتوطن في أسواق تلك الدول ، وبذلك تساهم بتقليص المنتجات المحلية الوطنية وتدميرها بشكل اولي بمعنى اجهاض القطاعات الانتاجية اذا كانت صناعية او زراعية مع محاربة او اضعاف اي امكانية ذاتية علاوة على زيادة استعمال المستهلك لانواع معينة من المنتجات او الخدمات ذات نوعيات جيدة وبأسعار منخفضة اذا ما تمت مقارنتها بتكلفة المنتجات المحلية الوطنية التي يمكن ان تكون ذات نوعية منخفضة مقارنة بسعرها او تكلفتها المرتفعة ومن ثم لا يمكن مجاراتها من قبل هذه المنتجات (Solusi, 2019, pp. 1-3).

في هذا الصدد سنحاول ان نتطرق الى مفهوم سياسة الإغراق بشكلها القانوني كما وردت في بعض التشريعات الوطنية ، على وفق تسلسلها تاريخياً ، على النحو الآتي (لخضر، 2013، صفحة 55) :-

1- الاغراق في القانون الكندي:

اصدرت كندا قانوناً لتنظيم الممارسات التجارية الدولية عام 1904 والذي كان يطلق عليه (قانون مكافحة الاغراق) يعد أول

القوانين التي حاولت تنظيم مثل هذه الممارسات التجارية، وقد تم تعديله لعدة مرات ليتماشى مع المستجدات التي تحصل على الظاهرة ، لاسيما الإتفاقيات الدولية ، ومن ابرز التعديلات التي طرأت عليه كانت في عام 1985 التي سميت special import measure act قانون قياس الاستيراد الخاص ، ومختصرها (sima) والتي تضمنت تعريفاً للإغراق وهو كالاتي "المنتجات المغرقة عندما يتم بيعها في كندا بأسعار تقل عن الاسعار التي تباع بها في الاسواق .

2- الإغراق في القانون الأمريكي:

كانت الولايات المتحدة الامريكية تنتهج اساليب معينة لحماية اسواقها المحلية من الأحتكار الخارجي للمصدرين جميعاً ، أو بأسعار تقل عن تكلفة انتاجها بأضافة مقدار الربح .

قبل التوصل إلى قانون ينظم سياسة الإغراق وطرق مكافحته في الاسواق الامريكية ، ومن هذه الاساليب او القوانين اهمها (قانون مكافحة الاحتكار) اي قانوني شيرمان ويلسون ، الأول لعام 1890 المتمثل بمعاينة الاتفاقات التجارية الخارجية والداخلية المحتكرة للمنتجات ، والثاني كان في العام 1894 الذي كان امتداد للقانون الاول ولكن بشكل اوسع حتى اصبح يشمل المبيعات غير القانونية .

وعند قيام الحرب العالمية الأولى والتحفظ الذي صاحب المنتجات الألمانية ، قام الكونغرس بإصدار قانون يختص بمكافحة ظاهرة الإغراق وذلك على وفق التوصية التي قامت بها إدارة الرئيس والذي تم ضمه الى قانون الإيرادات لعام 1916 ، حيث تمثلت في المادتين 800 و801 منه ، فتم تعريف ظاهرة الإغراق بموجبه على أنها استيرادات كل المنتجات التي تكون اسعارها في الدول المنتجة لها أو الدول المصدرة لها أقل من السعر الحقيقي في الاسواق المستوردة لها ، يعد أمراً غير قانونياً إذا كانت تستهدف من ذلك إلحاق الأضرار بالصناعات المحلية الأمريكية أو إعاقه نموها "، ثم تم تعديل هذا القانون في العام 1921 بعد كل اتفاق دولي ، لاسيما بعد مفاوضات *طوكيو ، إلى أن وصل تعديله بعد جولة أوروغواي في العام 1995 حيث تم تعريفه في ذلك الحين كالاتي: (dumping refer to the sole or likely sole of good at less than value fair) أو بمعنى " البيع المحتمل لمنتج بأقل من القيمة العادلة".

3- الإغراق في التشريع المصري:

على وفق المادة 32 من لائحة القانون التنفيذي في مصر المرقم 161 لعام 1998 المتكفل بحماية الاقتصاد القومي المصري من الأضرار المصاحبة لبعض الممارسات للتجارة الدولية يرى أن المنتجات تعد منتجات مغرقة إذا كانت اسعار تصديرها إلى الأسواق

*وهي احدى جولات الاتفاقيه العامة للتعريفات والتجارة ، وتحديدأ الجولة السابعة: جولة طوكيو 1973-1979: بمشاركة 102 من دول العالم، والتي ناقشت مسألة القيود غير الجمركية، فرغم انخفاض الرسوم الجمركية على السلع المصنعة بعد الاتفاقات السابقة، إلا أن القيود غير الجمركية تزايدت، مما جعل التخفيضات الذي شملت الرسوم الجمركية غير ذات جدوى.

كما ناقش ممثلو الدول إشكالية القيود غير الكمية. وقد ظل موضوع تخفيض الرسوم الجمركية الحاضر الأبرز في جميع الجولات.

وقد ناقشت جولة طوكيو وضع إطار لاتفاقيات متنوعة مثل:

• دعم المنتجات الوطنية، وإجراءات الرد على دعم الصادرات.

• الحواجز الفنية على التجارة.

• الإلزام الحكومي المعوق للاستيراد.

• أسلوب تقييم الرسوم الجمركية.

• إجراءات مكافحة الإغراق.

المحلية أقل من قيمتها داخل الدولة المصدرة في مجرى التجارة العادية .

ثالثاً : عناصر الاغراق :

يمكننا حصر عناصر سياسة الاغراق ، على النحو الآتي:

أ. الافعال غير المشروعة (وقوع سياسة الاغراق):

وهي اكتساب احد الصفات غير المشروعة والتي يكمل وجودها معنى الظاهرة ، وتتحقق من خلال توفر بعض الاسس لتأكيد على عدم مشروعيتها والتي يمكن استعراضها بالمسائل الآتية (حسن، 2001، صفحة 303) :

- فعل الاغراق:

حيث يتم بيع المنتج في الدولة التي تقوم بتصديره بأسعار اقل من الاسعار المقابلة له للمنتجات المماثلة المباعة في الدولة ذاتها ، اي يتحقق عندما يكون سعر المنتج المصدر بأقل من القيمة العادية له.

-اسس التحكم بفعل عدم المشروعية المضافة للفعل غير المشروع لظاهرة الإغراق:

يجب ان يتسم الفعل بعدة صفات لكي يُعد إغراقاً غير مشروعاً ، فالإغراق المشروع هو الذي يتضمن هامش إغراق يقل بنسبة 2% من اسعار التصدير ، ويشكل حجم الواردات المغرقة في دولة ما يقل بنسبة 3% من الواردات لدولة المستوردة من المنتجات المماثلة وهو اساس للحكم بعدم المشروعية .

ب . نطاق حدوث الضرر :

وهنا لا يعد الوجود المجرد للإغراق فقط لوحده يكفي ، بل لا بد من ان يقتضي حدوث الضرر ، ويتجزأ الى أمرين مهمين ، وهما:

_ الأزداد في حجم الواردات.

_ الآثار التي تلحق الواردات على المنتجين المحليين .

ج. وجود العلاقة السببية بين ظاهرة الاغراق والضرر :

و يتم تفسيرها على انها الضرر الحادث والذي كان سببه وجود ظاهرة الإغراق ، أي يتم اثبات إن الواردات المغرقة ، وسبب تأثيرها على سعر المنتج المماثل للدولة المستوردة ، وهي ذاتها التي تسببت بالأضرار بالصناعات المحلية وتأثير مباشر . وعند ثبات تحقيق الشروط السابقة فيمكن للدول المستوردة او المتضررة من ظاهرة الاغراق اتخاذها للأجراءات الوقائية اللازمة ضد هذه المنتجات المغرقة .

المحور الثاني: وضع الاغراق التجاري في العراق

تتطلب الإجراءات والإصلاحات السياسية والاقتصادية كبيرة من أجل تحقيق العدالة وتعزيز الاقتصاد العالمي، يجب على الدول المتقدمة أن تأخذ في الاعتبار الظروف السياسية للدول الأعضاء ، لا سيما العراق ، والظروف الاقتصادية علاوة على الاعتراف بالاولواع الصعبة التي يمر بها العراق لم تساعده في الحصول على أسس التنمية وبهذا سنتعرف على اول ظهور لهه الظاهرة في العراق وتأثيراتها.

أولاً: الاغراق في العراق ولادته ، عوامله.

على الرغم من ان اهتمام منظمة التجارة العالمية بالإغراق ، الذي بدأ العديد من القوانين التي تمنع الإغراق ، نجد أن بعض الدول الأعضاء في المنظمة تتبنى هذه السياسة لتحقيق مصالحها على حساب مصالح الآخرين ، كما فعلت الولايات المتحدة عندما كميات كبيرة تم تصدير محصول الذرة إلى الفلبين ، وبيع طن واحد بسعر أقل من 30 ٪ من السعر العالمي ، مما تسبب في أكبر ضرر لأكثر من مليوني مزارع يعيشون على إنتاج الذرة في الفلبين.

في ما يتعلق بالعراق ، انفتح السوق العراقي على الاسواق العالمية بعد احداث عام 2003 ، واغراقها بالسلع الزراعية ، بعضها رديء الجودة وبيع بأسعار منخفضة ، الأمر الذي يدفع المستهلك إلى التوجه نحوها ، بسبب الدخل المنخفض كما وصل التأثير السلبي الى قطاع الصحة ، والمجتمع ، والاقتصاد بالأجمال ، ولها تأثير سلبي على الإنتاج المحلي ، بسبب عدم قدرة المنتج المحلي على التنافس مع المستورد ، لارتفاع تكاليف إنتاجه ، كمثال في القطاع الزراعي بعد رفع الدعم مما يجعل الفلاح يغادر أرضه. ربما لذلك ، أثرت سياسة الإغراق سلبيًا على الإنتاج الزراعي ودمرته ، وأدت إلى زيادة البطالة في الريف (khalil, 2018, p. 2) ، ومع استمرارية التأثير السلبي لهذه السياسة على الإنتاج المحلي للأسباب الآتية:

- ضعف القوانين والأنظمة المتعلقة بالجودة ، والرقابة الصحية

- كفاءة تعرفه ضعيفة

- حاجة السوق العراقية للمحاصيل الزراعية لانخفاض الانتاج المحلي

- عدم وجود فريق فني متخصص في فض المنازعات. مع حل معظم النزاعات بين الدول والمتعاونين لصالح الدول المتقدمة. ان من العوامل المساعدة المؤدية الى هيمنة ظاهرة الاغراق التجاري على الاسواق العراقية هي سياسة الباب المفتوح تجارياً مع بقية الدول وخاصة بالمنتجات او الخدمات الرخيصة ، والرديئة مقابل المنتجات العراقية المماثلة لها الصادرة من قبل القطاع العام والخاص ، وعلى هذا الصعيد ادت انتشار هذه الظاهرة الى تقاوم الغش التجاري ، والفساد المالي ، والاداري ، ومع ترك الامر دون تدخل ملحوظ من قبل الحكومة العراقية وبقاء القطاع الخاص في تنافس مباشر امام هذه الظاهرة ، مما جعلت الاخير يكاد يختفي تماماً من الاسواق المحلية ، الى ان بلغ معدل الانكشاف للاقتصاد العراقي (94%) تقريباً في عام (2006) (الشمي، 2008، صفحة 4)، واصبحت (115%) في عام (2009) وذلك بسبب زيادة مستوى الصادرات النفطية بعد ارتفاع اسعار النفط الخام (العقابي، 2009، صفحة 6)، فضلاً عن امتداده للقطاع العام ايضاً وكمثال : اشارت بيانات الموانئ العراقية الى ان ميناء ابو فلوس وحده تسلم (76) طناً من السجائر الاجنبية في عام (2006) ، مما ادى الى شبه اختفاء السجائر العراقية (سومر) التي كانت مهيمنة على الاسواق المحلية في ذلك الحين ، حتى وصلت مساهمة القطاع الخاص العراقي في الناتج المحلي الاجمالي على سبيل المثال الى (8.1%) في عام (2008) ، وتعد هذه النسبة متدنية جداً.

كما تراجع القطاع الزراعي لعدم قدرة المزارعين المحليين على مواكبة السعر المنخفض للمنتجات الزراعية الاجنبية المستوردة على الرغم من رداءة نوعيتها ، علاوة على انخفاض استخدام المقاييس الصحية على المواد الغذائية المستوردة ، حيث وصلت مساهمة القطاع الصناعي الخاص العراقي في (اجمالي الناتج المحلي) نسبة (1.8%) في عام (2008) مع عدم تجاوز مساهمة تكوين رأس المال الثابت نسبة (6.4) من اجمالي رأس المال الثابت في العام (2010) ، مما انعكس وبشكل مباشر على القوى العاملة والفنية المتخصصة في هذا المجال والتي تشتت تفكيرها حول اما التحول الى اعمال اخرى او الهجرة ، كما لوحظ انتشار كبير للصناعات الدوائية الاجنبية مما ادى الى توقف شبه تام لمصانع انتاج الادوية في سامراء الذي كانت قدرته تغطيته لحاجة السوق العراقية تصل الى (40%) ، وانتاج تقريباً (220) مادة طبية مستحضرة عالمياً رفيعة المستوى (وزارة التخطيط والتعاون الانمائي ، الجهاز المركزي للإحصاء وتكنولوجيا المعلومات ، 2010).

اما في ما يخص صناعة الاسمنت وتعرضها للضرر مع انخفاض معدلات البيع لمنتجاتها الذي ادى الى انخفاض حجم الإيرادات علاوة على عزوف المستهلكين عنها ولجؤهم الى المنتجات الاجنبية كالإيرانية ، والكويتية ، والباكستانية لانخفاض ثمنها حيث قُدر سعرها (132925) دينار، بينما نجد ان سعر المنتج المحلي الوطني من الاسمنت المقاوم المكيس (165000) دينار ، اما نسبة هامش الإغراق قُدرت (28%) (معلقة، 2010، صفحة 129).

كما ان سياسة الإغراق قد زحفت نحو منظومة الامن الوطني ، حيث اثرت على الامن الغذائي للمستهلك والصناعات ذات العلاقة ، فبالمنافسة الشديدة التي واجهتها صناعة الالبان الوطنية من قبل المنتجات التركية والاييرانية ، والسورية ذات الاسعار المنخفضة ، فضلاً عن تدهور في صناعات الدواجن وبيض المائدة اما الصناعات البرازيلية ، والسعودية المستوردة وبأسعار منخفضة بفضل سياسة الدعم السعري ، والإنتاجي المقدمة من قبل حكومات هذه الدول المصدرة لهذه المنتجات (الوندائي، 2010، صفحة 150).

وفي جانب المنشآت الصناعية الكبيرة التي تراجعت من (418) منشأة عام 2002 الى (406) عام 2010 نتيجة ضعف القدرة التنافسية للمنتجات المحلية ، مع انخفاض عدد العاملين الى (20) الف للعام نفسه ، اما المنشآت المتوسطة اصبحت (923) بعد ان كانت (1237) للفترة عينها وتراجع اعداد العمال من (80) الى (56)، وانخفاض المنشآت الصغيرة من (40) الف الى (11131) حيث وصلت اعداد العاملين الى (25362) بعد ان كانت تبلغ (60602) عامل ، وعلى وفق ما سبق نصل الى ان (70%) من المشاريع توقفت ، و(30%) منها تعمل بطاقات متدنية الامر الذي جعل مساهمة الصناعات التحويلية في عام (2007) (1.7%) و (1.4%) في عام (2008) مع ارتفاع ضئيل في العام (2010) وصلت الى (2%) (زيون، 2014، صفحة 9).

كما ان تراجع القطاع الصناعي والذي صاحبه ارتفاع في معدلات البطالة من (19%) عام 2002 الى (28%) في العام (2006) مع بقاء مؤشر العمالة الناقصة مرتفعة بحدود (30%) بسبب اغلاق العديد من المصانع (الوندائي، 2010، صفحة 147).

وفي ما يخص القطاع الزراعي بدأ تأثير الإغراق على درجة الاكتفاء الذاتي من المنتجات الزراعية الى ان اصبحت اقل من (30%) في العام (2008) مقارنة بالاحتياجات الغذائية المقدرة (70%) وكمثال : استيرادات القمح كانت في عام 1970 نصف مليون طن ولكن بدت بالزيادة حتى وصلت في الوقت الحاضر الى سبع مرات اكثر مما سبق بمقدار (3.5) مليون طن ، فنجد نسبة مساهمة الزراعة في (اجمالي الناتج المحلي) تراجعت عام بعد العام فبعد ان كانت (9%) عام (2002) اصبحت في العام (2007) (5.1%) واستمرت بالتراجع الى ان وصلت (4.5%) في العام (2010) ، علاوة على مساهمتها المتواضعة من اجمالي الصادرات ، حيث بلغت نسبتها (5.2%) من مجمل الصادرات الكلية في الفترة (1998-2002) ، وتقلصت لتصبح (0.28%) من اجمالي الصادرات للعام (2010) ، اما بالنسبة للواردات الزراعية قُدرت نسبتها (6.7%) في العام ذاته ، وكنتيجة لما سبق فضلاً اتباع السياسات الخاطئة والاساليب غير الكفوة ، مع عدم تفعيل قانون التعرف الجمركية ، وقانون حماية المنتج ، ومكافحة الإغراق ، فقد ترك العديد من الفلاحيين مزارعهم ، مع استمرار تدهور الانتاج الزراعي بصورة عامة ، وضعف قدرة المنتجات المحلية الوطنية على منافسة المنتج المستورد (زيون، 2014، صفحة 10).

وقد ادى اتباع سياسة الإغراق التجاري الى الميل لاستهلاك المنتج المستورد ، بزيادة نسبة الاستهلاك الى اجمالي الناتج المحلي من (44%) في العام (2002) الى (63%) عام (2010) ، بمعنى اخر استنزاف الاستهلاك لكثير من الموارد التي كان من الممكن استغلالها لتساهم في عملية التنمية التي تحتاجها الدولة في تنفيذ مشاريع انتاجية ، وانعكس ارتفاع الاستهلاك في عموم العراق سلباً على مستوى الادخار ، فقد كانت نسبة الادخار في العام (2002) (41%) ، انخفضت الى (26%) عام (2010) ، وكما بينا سابقاً بسبب ارتفاع ميل الاستهلاك* مع تزايد عدد السكان (الرضا، 2012، صفحة 6).

وعلى وفق ما قد تم ذكره ستبقى الطبيعة الريفية للاقتصاد العراقي على حالها ، مع تثبيت الاختلالات الهيكلية له ، وتدهور ادواق المجتمع وتحويله الى مجتمع استهلاكي غير منتج معتمد على ما يستورده من منتجات او خدمات ، وتفكيك

منظومة القطاعات الخاصة المحلية والتي أُعتبرت من ارقى المنظومات في الخليج العربي منذ قديم الزمان من جميع الجوانب التاريخية والفنية والابداعية ، مع التخلي وبشكل تدريجي عن مختلف مؤشرات الجودة ، ومن ثم أُلحق الأضرار بالاقتصاد العراقي بشكل كامل في حال استمر الوضع كما هو عليه ، نظراً الى قصر المدة الزمنية الاستهلاكية لجميع المنتجات المستوردة والتي تكون معظمها دون المستوى المطلوب وغير مطابقة للمعايير ، وانتشار ظاهرة الغش الصناعي والمنتجات الزراعية المعدلة وراثياً، رغم هيمنتها التي تقابل المنافسة الضعيفة للمنتجات او الخدمات المحلية (خضير، 2017، صفحة 23).

وبشكل اكثر تفصيلي يمكننا الاطلاع على اهم الاستيرادات السلعية للشركاء التجاريين مع العراق لسنتي 2017 -2018 كآخر بيانات متاحة بهذا المجال:

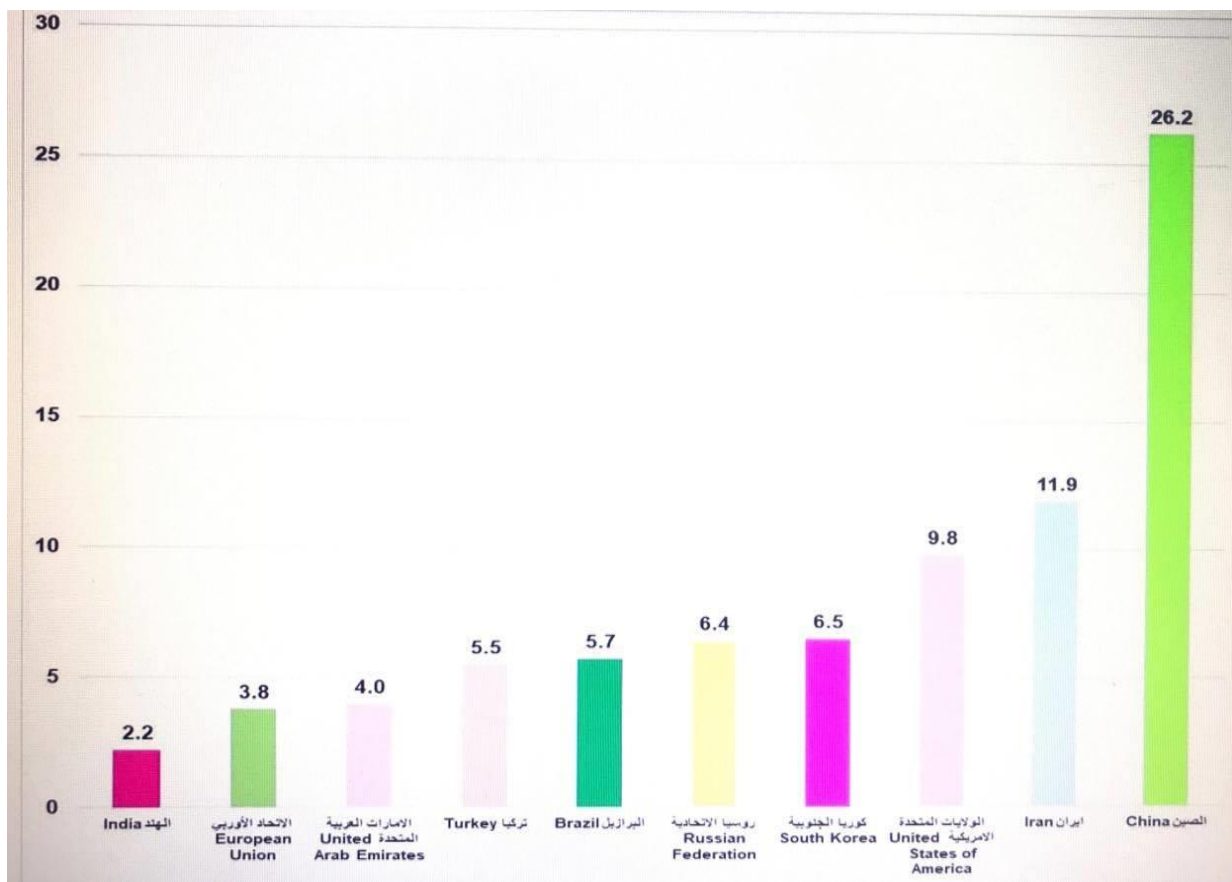
جدول (1): الاستيرادات السلعية (غير النفطية) لأهم الشركاء التجاريين للعراق لسنتي 2017 -2018

النسبة %	قيمة الاستيرادات 2018		البلد	النسبة %	قيمة الاستيرادات 2017		البلد
	Imports	value			Imports	value	
	القيمة	القيمة			القيمة	القيمة	
	مليون دينار	مليون دولار		مليون دينار	مليون دولار		
Rate%	Value mill (I.D)	Value mill (\$)		Rate%	Value mill (I.D)	Value mill (\$)	
26.2	10594166.8	8955.2	الصين	30.1	10368475.7	8757.6	ايران
11.9	4816343.9	4065.9	ايران	11.4	3921803.2	3312.6	إيطاليا
9.8	3956663.8	3342.6	الولايات المتحدة الأمريكية	11.1	3817866.6	3227.6	الصين
6.5	2632047.3	2224.1	كوريا الجنوبية	9.6	3307925.2	2795.6	كوريا الجنوبية
6.4	2608291.0	2203.0	روسيا الاتحادية	5.6	1947605.3	1646.4	تركيا
5.7	2319606.6	1959.2	البرازيل	5.0	1707914.3	443.41	الولايات المتحدة الأمريكية
5.5	2242176.9	1895.4	تركيا	4.4	501224.01	268.91	الاتحاد الاوربي
4.0	1621358.1	1312.1	الامارات العربية المتحدة	2.6	895,295.6	757.0	الهند
3.8	1516055.4	1280.8	الاتحاد الاوربي	2.1	728819.4	615.9	البرازيل
2.2	905486.8	765.5	الهند	2.0	69321.7	586.3	الامارات العربية المتحدة
18.0	7266916.3	6135.5	دول أخرى	16.1	124.655	4,26.0	دول أخرى
100.0	40479112.9	34139.3	المجموع العام	100	348275.6	29,37.3	المجموع العام

المصدر : من اعداد الباحثة بالاعتماد على البيانات المتاحة لوزارة التخطيط / الجهاز المركزي الاحصائي

نلاحظ من الجدول (1) الارتفاع في استيرادات العراق ومعظم الدول في العام (2018) عنه في العام (2017) ، فبعد ان كانت نسبة الاستيرادات من الصين تقريباً (11%) ارتفعت الى (26%) ، ومثيلتها من استيرادات الولايات المتحدة الامريكية التي اصبحت تقريباً (10%) بعد ان كانت (5%) ، اما بالنسبة الى الامارات العربية المتحدة التي زادت من استيرادات العراق منها الى (4%) بعد ان كانت (2%) ، مع الارتفاع الملحوظ في استيرادات العراق من البرازيل الذي وصل الى (6%) تقريباً في حين كان (2%) في العام الذي يسبقه ، علاوة على الدول الاخرى التي وصلت مساهمة استيرادات العراق منها الى (18%) ، مما سبق نستنتج ان في العام (2018) كانت له فرصة اكبر في دخول المزيد من المنتجات (السلع) الى الاسواق ومنافسة الصناعات المحلية ، ويمكننا الاستعانة بالشكل (1) لتوضيح النسب المذكورة آنفاً:

الشكل (1) : نسب الاستيرادات السلعية (غير النفطية) لأهم الشركاء التجاريين لعام 2018



المصدر : بيانات متاحة على موقع وزارة التخطيط/الجهاز المركزي الاحصائي/مديرية احصاءات التجارة /تقرير الاستيرادات لسنة 2018 ، ص 15.

ومع الاخذ بنظر الاعتبار ، حركة السلع المصدرة الى الدول الخرى من قبل العراق والتي يمكن اجمالها بالجدول (2) الآتي:

جدول (2) : قيمة الصادرات السلعية (غير النفطية) لأهم الشركاء التجاريين للعراق لسنتي 2017-2018

Export value قيمة الصادرات 2018		Export value قيمة 2017 الصادرات	
الدولة	القيمة بالدينار العراقي	القيمة بالدولار الامريكي	الاهمية النسبية %
الدولة	القيمة بالدينار العراقي	القيمة بالدولار الامريكي	الاهمية النسبية %
Relative importance %	Value(\$)	Value(I.D)	Relative importance %
الامارات العربية المتحدة	1200248814603	337797.5	96.87
لبنان	1200248814603	3331.5	0.95
ايطاليا	3992517639	2935.2	0.84
المملكة الاردنية الهاشمية	3992517639	1668.7	0.48
ايطاليا	1370869416	1448.3	0.42
الارجنتين	112733250	848.3	0.24
المانيا	59100000	667.8	0.19
دول اخرى	6209341500	348697	100
المجموع العام	1212045626718	291.9	100

المصدر : من اعداد الباحثة بالاعتماد على البيانات المتاحة لوزارة التخطيط / الجهاز المركزي الاحصائي.

من خلال الجدول (2) نلاحظ انحدار مجمل الصادرات من العام 2017 الى العام 2018 ، ويبرز هذا الانخفاض في الصادرات الى المملكة الاردنية الهاشمية فبعد ان كان حوالي (48%) انخفض الى (33%) ، وايضاً وضوح هذا الانخفاض في صادراتنا مع دولة ايطاليا حيث بلغ (11%) بعد ان كان يصل الى (84%).
يمكننا التوصل الى استنتاج ان ارتفاع الاستيرادات ودخول المزيد من المنتجات (السلع) الى الاسواق المحلية خلال السنين المذكورة انفاً ، قد اثرت وبشكل سلبي على الصادرات المحلية والتي كانت احدى الاسباب الرئيسية التي ادت الى انخفاضها ، وفي هذا الصدد لا بد لنا من التطرق الى الميزان التجاري للعام (2018) لبيان مدى الفرق بين الاستيرادات والصادرات ، وكالاتي:

جدول (3) الميزان التجاري للعراق

Balance of trade for the year 2018

التجاري الميزان		قيمة الصادرات (FOB)**		النوع Type	قيمة الاستيرادات (*CIF)		النوع Type
trade Balance of		Exports value (FOB)			value CIF)Imports)		
القيمة	القيمة	القيمة	القيمة		القيمة	القيمة	
Value mill (I.D)	Value mill (\$)	Value mill (I.D)	Value mill (\$)		Value mill (I.D)	Value mill (\$)	
-	33113.9	1212045.6	1025.4	الصادرات السلعية	40479112.9	34139.3	الاستيرادات السلعية (غير النفطية)
39267067.3				Exports of commodity			Imports of commodity (Non-oil)

المصدر : من اعداد الباحثة بالاعتماد على البيانات المتاحة لوزارة التخطيط / الجهاز المركزي الاحصائي

وبما ان الميزان التجاري هو الجزء الاهم من الوحدة الاقتصادية العالمية ، وبما انه يشمل اجمالي التعاملات الاقتصادية بين العراق والدول الاخرى ، وبما ان مجموع الاستيرادات قد تجاوز الصادرات ، بهذا نتوصل الى ان العراق في الفترة المذكورة اعلاه تتمتع بميزان تجاري غير مناسب او ما يسمى بالعجز الاقتصادي وفقاً لمجموعة النظريات الاقتصادية .

* (cost insurance and freight مختصراً CIF) ، والتي تعني ثمن البضاعة ، بدل التأمين ، اجرة النقل وهي قيمة المنتجات

المنتجات والخدمات المقدمة لتسليم المنتج الى حدود دولة التصدير وقيمة الخدمة المقدمة لتسليم السلع من حدود الدول التصدير الى حدود دولة الاستيرادات ، وتعني البضائع يتم فيه التسليم في ميناء الشحن.

**الصادرات (free on board مختصراً FOB) ، وهي قيمة المنتج او الخدمات لتسليم المنتج الى حدود دولة التصدير اي ان البائع قد قام بالتزاماته متى وضع البضاعة فوق ظهر السفينة ، وهو بيع بحري يلتزم فيه البائع تسليم البضاعة المباعه في الاجل المحدد على ظهر السفينة التي يعينها له المشتري في ميناء الشحن المتفق عليه ، ويتحمل البائع نفقات البضاعة حتى التسليم المذكور وما قد يصيبها من مخاطر).

ثانياً : اسباب ظاهرة الاغراق في العراق :

يمكننا تلخيص اهم اسباب ظهور ظاهرة الاغراق داخل العراق ، كالآتي:

1. اصبح العراق بعد عام 2003 بالنسبة الى دول الجوار خاصة ، ودول العالم عامة سوقاً لتصريف البضائع ذات النوعيات الرديئة ، ودخول البضائع او المنتجات دون رقابة كافية وفحص ومعاينة صحيحة من قبل الجهات المختصة جميعها شجعت الدول لجني ارباح طائلة ، على الرغم من معارضة هذه الاجراءات مع قرار الامم المتحدة المرقم 38/39 في العام 1985 ، والذي ضمت فقراته على اعتماد انظمة رقابية صارمة على الحدود لكل الدول ، مع اعتماد القواعد الصحية والضوابط الغذائية اللازمة ، ففي كثير من الاحيان دخلت منتجات منتهية الصلاحية ، او احتوائها على بعض المركبات غير المسموح بها (خضير، 2017، صفحة 19).
2. في العراق سمح غياب قانون التعرفة الجمركية على الاستيرادات الى انخفاض اسعار المنتجات المستوردة ، واقتصر على فرض ضريبة اعمار العراق فقط بنسبة (5%) وهي نسبة متدنية لا توفر حماية حقيقية للمنتجات المحلية ، علاوة على وجود استثناءات على الغذاء والدواء ، وبالمقابل وجود ضريبة تُفرض على المواد الخام المستوردة من قبل القطاع الصناعي بنسبة تصل الى (20%) والذي صاحبها رداءة نوعية معظم هذه المواد سواء كانت حديد او اخشاب وغيرها ، اثمرت عنها صعوبة في مقاومة اصحاب المصانع لها وتدهور اعمالهم والقدرة على تطويرها لتنافس المستوردات المتنوعة (الفخري، 2009، صفحة 6).
3. غياب نشاط هيئات التقييس الكمي ، والنوعي و متابعتها لتحديد مواصفات المنتجات ، والصناعات ، ومدى جودتها (خضير، 2017، صفحة 20).
4. ضعف الامكانيات المادية ، والفنية للمنظمات الخاصة بحماية المستهلك ، وغيابها الشبه تام (زيون، 2014، صفحة 20).
5. غياب الوعي الكامل للمستهلك وشيوع مبدأ كل ما هو مستورد او اجنبي جيد ، الذي ساهم في استمرار هذه المشكلة (خلف، 2010، صفحة 7).
- . السعي لبعض المضاربين للحصول على هويات غرفة التجارة ، وجني ارباح سريعة وعالية ، مع تمتعهم بحرية السفر دون ضوابط تحكّمهم ، للاتفاق مع بعض المصانع او الشركات باستيراد مواد او منتجات بمواصفات منخفضة لتقليل تكلفة وصولها الى الاسواق المحلية وسرعة دخولها الى العراق عبر المنافذ الحدودية والتي تتمتع بغياب الرقابة ، والفساد المالي والاداري ، مع غياب دور وزارة التجارة في اتخاذ الاجراءات الحادة للمتطفلين على التجارة الخارجية (خضير، 2017، صفحة 20).
7. انسحاب الجهات الزراعية من توفير كل ما يخص المستلزمات الانتاجية الزراعية كالبنذور ، والاعطية البلاستيكية ، ومواد مكافحة النباتات ، بمقابل وجود المنتجات الزراعية مستوردة من الدول الاجنبية وبتكلفة منخفضة ، التي اصبح ضحيتها المزارع العراقي بنقشي اتباع ظاهرة الاغراق (حننوش، 2011، صفحة 11).
8. بما ان هناك ضعفاً في القوة الشرائية لدى المستهلكين ، الامر الذي جعل السعر هو ميزان المفاضلة الوحيد لديه لاقتناء المنتجات او الخدمات التي يحتاجها ، وبهذا كان يتجه الى المنتجات المستوردة ذات الاسعار المنخفضة على الرغم من انخفاض مقاييس الجودة فيها (خلف، 2010، صفحة 11).
9. نقشي ظاهرة بيع المنتجات المستوردة ، ومنخفضة الاسعار ، ورديئة الصنع على الارصفة في عموم العراق ، كبيع الاجهزة الالكترونية البسيطة ، لعب الاطفال ، مواد التجميل او الطبية ، واغلب الاحيان كان مصدرها ايران ، الصين . تركيا ، حيث تلقى رواجاً عالياً ولكن تأثيرها سلبي على حركة التجارة الداخلية للدولة مع ركود للمنتجات المحلية ، كما تعد من البضائع سريعة التلف وبهذا انها تفقد لخدمة ما بعد البيع (الفخري، 2009، صفحة 179).
10. عدم كفاية المختبرات المزودة بالأجهزة الرقابية ، والكوادر المتخصصة اللازمة بتوفير بعض المقاييس والمعايير المعينة في استيراد المواد وتوريدها الى العراق ، ومن بعد ذلك لا يمكن اكتشاف عملية الغش الصناعي (راوندوزي، 2008، صفحة 5).
11. عدم تشريع قوانين خاصة بهذه الظاهرة ومنع مزاولتها داخل الاراضي المحلية ، مع عدم وجود قوانين حماية الصناعة الوطنية ، او حماية المستهلك ، وحماية البيئة ، كما هو الوضع في بقية الدول (خلف، 2010، صفحة 11).

12. ان انكشاف السوق العراقية على اسواق الدول الاجنبية المختلفة وظهور ظاهرة الاغراق ، وعدم معرفة مخاطره على الاقتصاد الوطني بشكل عام وعلى المجتمع بشكل خاص ، الامر الذي سيؤدي الى انهيار مؤسسات الدولة التنفيذية والتشريعية ، والقضائية ، وتقشي البطالة ، علاوة على تسرب العملات الصعبة الى الخارج والاضرار بالقطاع الصناعي و الزراعي ، والمستهلك (الفخري، 2009، صفحة 180).
13. الاقتدار لأنظمة التجارة الحاكمة التي تحمي الاسواق العراقية من المحاولات المستمرة لاتباع ظاهرة الاغراق التي تمت ممارستها من قبل الدول الاقليمية (حنتوش، 2011، صفحة 11).

ثالثاً: عوامل اغراق الاسواق العراقية :

يمكن حصر عوامل ظهور الاغراق في السوق العراقية الى عاملين كالآتي (نصر، 2006، صفحة 1):

أ. العامل الخارجي :

يتمثل هذا العامل باستغلال السوق العراقية من قبل الشركات الاجنبية ، لاسيما بعد انكشافها على الاسواق العالمية ، وغياب النظم الرقابية في الدولة ، وانعدام دور المؤسسات التجارية ، والمالية ، والادارية ، علاوة على انعدام وجود الضرائب او اية مسائل قانونية كانت او مالية ، او ادارية ، فان جميع ما سبق يعد بدأ ملامح اتباع ظاهرة الاغراق من قبل الشركات الاجنبية حيث تهيأ لها بيئة ملائمة لمزاولة مثل هذه الظواهر ، لتحقيق اهدافها الاقتصادية ، والربحية ، وغير ذلك من الاهداف التي تحقق من خلالها منافعها الخاصة.

ب. العامل الداخلي:

اتباع معظم اصحاب الاموال (المتطفلين الذين تنقصهم الخبرة والمعرفة بكل امور التجارة او الاسواق العالمية ، او حجم السوق ، والطبيعة الاستهلاكية للمستهلكين العراقيين المقابل لمستوى الدخل للفرد ، وكيفية كسب الربح بشكل سليم) لغسيل اموالهم نحو التجارة لان الاسواق العراقية أُعتبرت افضل مكان لغسيل الاموال ، نتيجة الى انعدام الاجراءات المالية والادارية ، والقانونية ، فضلاً عن سهولة تحويل الاموال الى خارج البلاد ، وكمثال لذلك : استيراد آلاف السيارات ذات الموديلات القديمة واخراجها من دائرة العمل.

المحور الثالث : مواجهة سياسة الإغراق.

بما ان الاغراق يعد فعلاً مخالفاً لنظام التعاملات التجارية ، وما يخلفه من اضرار تلحق بالاقتصاد الوطني ، لذا ينبغي اثبات هذه الظاهرة ومحاولة منع تقشيتها لتلافي اثارها السلبية ، بموجب قوانين معدة كحلول مقترحة ، ويمكن بيان تلك الاجراءات كالآتي:

1. لتنظيم عملية الاستيرادات ، وعدم دخول المنتجات التي لا تتفق عليها مواصفات الجهاز المركزي لتقييس والسيطرة النوعية ، من خلال تأمين القوانين والتشريعات ، انشاء المخازن النظامية ، وذلك لتأكد من المرسلات وفحصها (الصراف، 2018، صفحة 370).

2. تفعيل الضرائب الجمركية ، وغيرها من القوانين التي تختص بمنع عملية الاغراق ، والتي ينظمها القانون المرقم (23) لعام (1984) والتعديلات التي شملت حماية المنتج الوطني من المنافسات غير العادلة مقابل المنتجات الاجنبية المستوردة ، علاوة على قانون حماية المنتجات العراقية رقم (11) المصدر في (12) كانون الثاني (2010) ، وقانون حماية المستهلك رقم (1) للعام (2010)، والذي كان يستهدف الصناعات الوطنية لتفادي الاضرار الممكنة ، وكل شأن يتسبب في فقدان شروط المنافسة العادلة بين المنتجات الوطنية المستوردة والوطنية ، بسبب اتباع سياسة الاغراق او الزيادات غير المبررة في الواردات التي تدعمها الدول المصدرة الى الاراضي العراقية (خضير، 2017، صفحة 24)

3. ابداء الدعم الملائم للقطاعات الصناعية بفرض القوانين اللازمة كقانون حماية المستهلك ، قانون المنافسة ومنع الاحتكار ، قوانين الملكية الفكرية ، وفرض التعريفات الجمركية ، وتسهيل عملية انضمام العراق لمنظمة التجارة العالمية ، علاوة على تطوير المشاريع الصناعية سواء كانت صغيرة او متوسطة ، وتعزيز الدعم لسد متطلبات واحتياجات المجتمع فضلاً عن استغلالها لمحاربة البطالة بتشغيل القوى العاملة (زبون، 2014، صفحة 99).

4. ابداء الدعم من قبل الحكومة للتجار الذين تعرضوا للغش التجاري ، واصدار قوائم بأسماء ممارسيه من الشركات والمصدرين، ومنع التعامل معهم (خضير، 2017، صفحة 25).

5. يستطيع العراق بتطبيق بعض النصوص القانونية في منظمة التجارة العالمية والمتعلقة بسياسات الاغراق ، بعد اعطاء الحق لحكومة الدولة المستوردة بفرض بعض الرسوم التعويضية (رسوم الاغراق) على المنتجات المغرقة ، بعد التأكد من ان هذه المنتجات المستوردة تغرق الاسواق (حنتوش، 2011، صفحة 15) المحلية ، وتسبب بأضرار على الصناعة الوطنية المحلية

6. السعي الى توعية المستهلك (المواطن العراقي) ونشر ثقافة الحماية له ، من خلال تفعيل وانشاء جمعيات واتحادات بالاعتماد على اقتصاد السوق ، وامكانية تأثيرها على القرارات الحكومية وسياسات السوق، المؤدية الى غلق الابواب اما تدفق الآلاف من المنتجات المستوردة الرديئة (زبون، 2014، صفحة 100).

7. فتح مكاتب التمثيل التجاري من قبل الحكومة العراقية ، بهدف تشجيع الصادرات العراقية ، مع اتاحة معلومات تفصيلية عن الاسواق المحلية والمنتجات المتداولة ، ومتطلبات التصدير ، والشهادات المطلوبة ، وطرق الحماية المتبعة (حنتوش، 2011، صفحة 15).

8. تفعيل قوانين ، واجراءات مؤسسة التنمية الصناعية ، ووزارة الزراعة ، والمصرف الزراعي ، على وفق انسجامة لتأهيل الاقتصاد العراقي بشكل عام (خضير، 2017، صفحة 25)، علاوة على دعم الانتاج الزراعي ومدخلاته الرئيسية ، وهذا لتشجيع الاستثمار الخاص في الزراعة (زبون، 2014، صفحة 100).

وفي النهاية يمكننا القول بأن فلسفة التحول باتجاه اقتصاد السوق ينبغي ان ينبغي ان تفعل من قبل الحكومة على وفق الشروط المطبقة عالمياً ، لحماية القطاعات الوطنية بعموم انواعها من الانهيار ، فضلاً عن حماية المجتمع من اثار الاغراق السلبية ، وعوامل الفساد والفقر ، والتشديد على التزام الموردين بضرورة حصولهم على اجازات الاستيراد الرسمية المصدرة من قبل الغرف التجارية في العراق ، على ان يتم منع مزاوله سياسة الاغراق والذي يعد قراراً سياسياً قبل ان يكون اقتصادياً ، وايمان الحكومة بجدوى التلاحم بين كل من القطاعات الخاصة والعامه للنهوض بالاقتصاد العراقي وتحويله من اقتصاد ريعي الى متنوع في موارد الدخل القومي.

المحور الرابع: إجراءات مكافحة الاغراق:

و المتمثل بالاجراءات الاتية:

- أ. الاجراءات المؤقتة: لا يتم الاتفاق على مكافحة الاغراق ، إلا بتطبيق الإجراءات المؤقتة ، من خلال:
 - بدأ التحقيق بالقضية مع إصدار الاخطار العام ، لإتاحة جميع الاطراف الوقت الكافي لتقديم المعلومات اللازمة.
 - إثبات وجود الإغراق ، علاوة على الاضرار التي ألحقها بالصناعة المحلية.
 - ضرورة الالتزام باتباع هذه الاجراءات ، لمنع حدوث اي اضرار اضافية اثناء فترة استكمال التحقيقات.

يتم تطبيق الاجراءات بعد مرور (60) يوم من تاريخ بدأ التحقيق ، ويتم تطبيقها في اقصر وقت ممكن على ان لا تتجاوز (4-6) اشهر ، بقرار من سلطات التحقيق ، وبناءً على طلب المُصدرين (الذين هم النسبة الاكبر من التجارة المعنية بالتحقيق) ، كما وتعد هذه الاجراءات ضمان مؤقتة بوديعة نقدية ، او سند يعادل الرسوم المقدرة المؤقتة لمكافحة للإغراق (العزيز ، 2001 ، صفحة 261).

: ب. قرار فرض الرسوم لمكافحة الاغراق (داس، 2006، صفحة 256)

- مقدار الرسم ، تحصيله ، مدة سريانه: يتم اصدار قرار فرض الرسوم ،مقدارها (سواء بأجمالي هامش الاغراق ، او اقل منه) من قبل سلطات العضو للدولة المستوردة ، ويتم تحصيل هذا الرسم وفق واردات هذا المنتج من المصادر التي تزاوُل سياسة الاغراق والمتسببة بالأضرار ، يُستثنى من ذلك الواردات التي قُبِلت منها التعهدات السعريّة* ، علاوة على تحديد هوية المُصدر ، كما ان نفاذ سريان رسم مكافحة الاغراق الى حين مواجهة الاغراق وزوال اضراره.

- المُصدرين الجدد : لا تنطبق رسوم مكافحة الاغراق على كافة المُصدرين لدولة عينها ، تلقائياً لن يشمل المُصدرين الجدد والذين لم يصدروا خلال فترة التحقيق ، مع اثبات عدم ارتباطهم بالمنتجين ، او المُصدرين الذين هم محل لرسوم مكافحة للإغراق ، ويتم حساب هامش الإغراق لكل حالة على حدى ، مع فرض رسم ولكن بأثر رجعي منذ تاريخ بدأ مراجعة التحقيق في حال ثبات وجود الإغراق بحقهم.

(عبيدلي، 2008، صفحة 73) ج. الإجراء من قبل الدولة الثالثة:

تُقدم الدولة (الثالثة) التي يؤثر الاغراق على صادراتها لدولة المستوردة بطلب لتحقيق من الاغراق نيابةً عن الدولة المستوردة ، مع تعزيز هذا الطلب بمعلومات كافية عن اسعار الواردات التي تسبب ضرر على الصناعة المحلية جراء اتباعها سياسة الاغراق ، وتقوم سلطات الدولة المستوردة بالتحقق من الموضوع وقرار سير القضية تحت مسؤوليتها ، وعند التأكد يتم ابلاغ مجلس التجارة للحصول على الموافقات المطلوبة.

ولابد لنا من ذكر ان البداء بإجراءات مكافحة والشروع بتحقيقها وعلى مختلف الصعد، مراعاة مصالح المستهلك والمجتمع قدر الامكان، وكلما كان المنتج المحلي مشابه لمنتج الإغراق المعروف باسم المنتج المشابه(المنتج المماثل) من جميع المناطق للمنتج قيد التحقيق ، أو لديه بعض السمات الشخصية المماثلة الموجودة في المنتج قيد التحقيق.

*يجوز لسلطات التحقيق تقبل التعهدات السعريّة الطوعية والمرضية من المُصدر مع الحرص على وقف صادراته للمنطقة المُغرقة ، او اقناعها بزوال الاضرار والاثار التي تسببت بها سياسة الاغراق ، ولا تُقبل التعهدات السعريّة من المُصدرين ، ما لم تكن سلطات الدولة المستوردة قد تأكدت من تحديد اولي وايجابي للإغراق واضراره.

الاستنتاجات:

من خلال ما تقدم في مضامين هذا البحث ، يمكن ان نستنتج ما يأتي:

1. يمكن التحقق من وجود الإغراق - في أبسط صورته - عند مقارنة الأسعار في سوقي الدولتين المستوردة والمصدرة، إلا أنه من النادر أن يكون الحال بهذه البساطة. ففي أغلب الحالات يجب أن تتخذ سلسلة طويلة من التحليلات المعقدة لمعرفة السعر المناسب في سوق البلد المصدر، وهو ما يعرف بالقيمة العادية ، ومعرفة السعر المناسب في سوق البلد المستورد وهو ما يعرف بسعر التصدير ، وتحديد أسلوب مقارنة مناسب بين السعرين.
2. يبدأ الإغراق في اقتصاد ما عندما تكون هناك اختلالات معينة تسمح بدخوله وتغلغه في ثنايا الاقتصاد، ومن ثم تبدأ درجة الإغراق ترتفع وفقاً لمدى عمق تلك الاختلالات وتشعبها، فإذا كانت تلك الاختلالات مرتبطة بأربع قطاعات اساسية القطاع الحقيقي ، والمالي ، والنقدي ، والخارجي ، فإن الإغراق سينتشر بسرعة كبيرة في حال عدم وجود سياسات مضادة لمعالجة تلك الاختلالات والتصدي لنقشي الإغراق.
3. ان للإغراق الأثر على اسعار النظام الرأسمالي والاسلامي اكبر من النظام الاشتراكي باعتبار اقتصاده موجه ، ولكن قد يمس اثره على سعر المنتجات للدول المتبعة هذا النظام في حال واجهت اغراقاً مضاداً في السوق الخارجية ، والتي يدخلها في منافسة لا غنى عنها ، ولا تمكنها من تعديل اسعارها الا عن طريق الاتفاقيات التجارية الى ان سياسة الاغراق عادة ما تحدث من قبل دولة قيمة عملتها النقدية منخفضة عن قيمة عملة الدولة المستوردة اذا ما قارناها مع دول العملات الصعبة ، كما ان له تأثيراً مباشراً على المبيعات ، والحصة السوقية ، وحجم المخزون التي تعتبر من ابرز العوامل التي ترفع من شأن المشروع الاستثماري وضمان نجاحه واستمراريته ، كما انه يؤثر سلباً في القدرة التنافسية ومدى انتشار السلع المحلية في الاسواق ويرفع من تكاليف الفرصة البديلة، الامر الذي يجعل من شكل الفرص الاستثمارية فرصاً غير مواتية، مما يعمل ذلك على عزوف المستثمرين عن الاستثمار.
4. ان سياسة الاغراق تستخدم في حال بيع المنتج بأسعار تقل عن تكلفة انتاجه في السوق الخارجية مع الاخذ بنظر الاعتبار تعويض الخسارة وذلك من خلال البيع بأسعار مرتفعة في الاسواق المحلية لغرض الهيمنة على هذه الاسواق والتخلص من المنافسات التي تعترض طريقها او تصريف الفائض عن الحاجة من المنتجات التي تمتلكها، وهذا قد يجذب المؤسسات المحتركة نحو اتباع سياسة الاغراق ، وذلك لما قد تستحصل عليه من الارباح الوفيرة ، وما تتسجم مع سياسات السيطرة على السوق الخارجية، حيث يحقق المغرِق نتائج ايجابية اقتصادية على مستوى السوق المستورد ، ومقابل ذلك المستهلك سيتمتع بالانخفاض بالاسعار للمنتجات المغرِقة وبعد فترة تتراجع هذه الرفاهية بتحميل المستهلك عبء الرفع باحتكار الاسعار المتواصل من طرف المغرِق.
5. الإغراق المشروع هو الذي يتضمن هامش اغراق يقل بنسبة 2% من اسعار التصدير ، ويشكل حجم الواردات المغرِقة في دولة ما يقل بنسبة 3% من الواردات لدولة المستوردة من المنتجات المماثلة وهو اساس للحكم بعدم المشروعية ، فعند زيادة المستوى الاستيرادي لدولة يؤدي الى تخفيض قيمة العملة المحلية فتصبح اسعار الصادرات للدولة منخفضة مقارنة بالنقد الاجنبي مما يحسن من وضع السيولة النقدية، وهذا ما يزيد الطلب الخارجي على الصادرات التي ترفع من عدم مشروعية الاغراق .

التوصيات:

وقد انتهى البحث الى مجموعة من اهم التوصيات ، يمكن إدراجها على النحو الآتي:

1. تشخيص الاختلالات الرئيسية يسمح لنا بمعرفة الثغرات المحتملة التي يدخل منها الاغراق ، كما إن تشخيص تلك الثغرات يسمح لنا بتحديد مسار اثار الاغراق المحتملة وصولاً الى تحديد العلاقة مع الفرص الاستثمارية .
2. الاخذ بنظر الاعتبار شروط اتخاذ التدابير اللازمة لمكافحة سياسة الاغراق عند حدوث ضرر للصناعات المحلية التي تقوم بإنتاج منتجات تتشابه والواردات في الدول المستوردة لهذه المنتجات ، حيث يتم فرض الضرائب الجمركية الشديدة على المستوردات وبهذا سوف ترتفع اسعار المنتجات المحلية نظراً الى انخفاض المعروض من المنتجات المستوردة الامر الذي يؤدي الى عرقلة في اتباع نظام سياسة الاغراق الذي يمكن من البيع في الاسواق المحلية بأسعار تحقق ارباحاً كبيرة ، مع تجزؤ الاسواق لعدم مقدرة المنتجين المحليين من شراء المنتجات المعدة للتصدير بسهولة في الدولة المُصدرة .

3. احكام السيطرة على الاسواق باحتكار عملية العرض فيها من خلال التحكم بالأسعار السائدة فيها ، والذي يعتبر من اول الاهداف التي يسعى اليها ممارس ظاهرة الاغراق والتي قد يتجشم عدة خسائر متتالية في سبيل بيعه بأسعار اقل من تكلفة انتاج المنتجات ، وذلك لتحقيق ارباح مستقبلية مضاعفة والتي لا يمكن حصرها الا بعد اكتساب الدول الميزة التنافسية التي قد تخوضها لتحكم بالأسعار السائدة ، من خلال عرض سعر احتكاري ، او اشبه بالاحتكاري لاسيما في الاسواق الداخلية، وبهذا يجب تحديد اسعار المنتجات من المؤسسات بعينها بحيث لا تؤخذ بنظر الاعتبار الاسعار السائدة في الاسواق أي ان تكون الصناعة منافسة غير تامة ، علاوة على توحيد شروط البيع في السوق الداخلي والخارجي اذا كان هناك اختلاف في احد شروط البيع قد يؤدي الى الاختلاف في سعر المنتج ذاته.

4. على الحكومات او المؤسسات الخيرية او المنظمات الانسانية القيام بتوفير هذه المنتجات الخاضعة للاغراق بأسعار منخفضة نسبياً لتكون متاحة لدى المستهلكين ، والاستفادة الكاملة منها ، ولضرورة توفر مثل هذه المنتجات ووصولها لعدد اكبر من المستهلكين تقوم هذه المؤسسات ، او الحكومة بدعمها بشكل اكبر .

5. زيادة الدعم من قبل الدولة لصادراتها ، مع توفير المتطلبات التحفيزية والتي تشجع المنتجين من زيادة انتاجهم الذي سيعود بنتائج ايجابية في زيادة القدرة على المنافسة للمنتجات الاجنبية ، مع مراعاة الزيادة في الوعي والادراك لدى المستهلكين قدر المستطاع للحد من استمرار او انتشار ظاهرة الاغراق.

6. . يتوجب على السياسة الاقتصادية في العراق معالجة الاختلالات التي تسببت في ارتفاع مستوى الاغراق ولو بشكل تدريجي، حيث ان ذلك سيساعد على خلق فرص استثمارية اكثر استدامةً واستقراراً مما قد يساهم في استقرار الجهاز الانتاجي ودعمه بصورة مباشرة الامر الذي قد يساهم في استقرار الاقتصاد الكلي، وهذا ما يدعو له سيناريو ارتفاع مستوى الاغراق .

7. تفعيل بعض القوانين المهمة ذات العلاقة ، مثل قانون دعم المنتجات الوطنية الرقم (11) لعام 2010 ، وقانون حماية المستهلك الرقم (1) لعام 2010.

المصادر :

المصادر العربية

1. وزارة التخطيط والتعاون الانمائي ، الجهاز المركزي للإحصاء وتكنولوجيا المعلومات . (2010).
2. ابراهيم مصطفى. (1989). المعجم البسيط. اسطنبول.
3. امل اسمر زبون. (2014). ظاهرة الاغراق السلعي واثاره على الاقتصاد العراقي. مجلة المثنى للعلوم الادارية والاقتصادية، صفحة 9.
4. بلاسم جميل خلف. (2010). سياسة الاغراق واثرها في تطور الانتاج الزراعي في العراق للمدة 2003 - 2009. بغداد.
5. بن عطية لخضر. (2013). الضمانات القانونية لمكافحة الاغراق في ظل المنظمة العالمية للتجارة. الجزائر.
6. بهاجيرات لال داس. (2006). منظمة التجارة العالمية دليل الاطار العام للتجارة الدولية . الرياض: دار المريخ للنشر.
7. تيماء محمود فوزي الصراف. (2018). مكافحة الاغراق التجاري. الموصل.

8. حالوب كاظم معلقة. (2010). احصائيات الشركة العامة للإسمنت الجنوبية. صفحة 129.
9. حيدر عبد الباقر خضير. (2017). الاغراق الاقتصادي واثره على الاقتصاد العراقي. بغداد.
10. راوند رسول راوندوزي. (2008). الاغراق التجاري المنظم للاسواق الكردستانية . تأليف جريدة الاتحاد (صفحة 5).
11. رعد حسن. (2001). اساسيات التجارة الدولية المعاصرة، دار الرضا للنشر والتوزيع. سورية.
12. سلمان سالم صالح الكعبي. (2010). الجوانب الاقتصادية والقانونية لمشكلة الاغراق دراسة مقارنة في نظام تطبيق المادة 6 من اتفاقية الجات 1994. الامارات العربية المتحدة.
13. سمير عبد العزيز. (2001). التجارة العالمية بين الجات 94 ومنظمة التجارة العالمية . الاسكندرية: مطبعة الاشعاع الفنية.
14. سهيل حسين الفتلاوي. (2009). منظمة التجارة العالمية . عمان.
15. عبد القادر عبيدلي. (2008). التحرير التجاري وقضايا مكافحة الاغراق مع الاشارة الى تجربة بعض الدول. الجزائر.
16. فاضل جمعة العقابي. (2009). الانكشاف الاقتصادي للاقتصاد العراقي من خلال تحليل العلاقة بين الموازنة العامة والميزان التجاري للمدة (2004 الى 2009). تم الاسترداد من موقع منتديات العراق الجميل.
17. محمد نبيل الشيمي ،. (بلا تاريخ). مفهوم الدعم والوقاية وكيفية الحد منها لحماية للصناعات الوطنية. موقع مؤسسة الحوار المتمدن، صفحة 4.
18. محمد نبيل الشيمي. (2008). مفهوم الدعم والوقاية وكيفية الحد منها لحماية للصناعات الوطنية . تاريخ الاسترداد 2008، من موقع مؤسسة الحوار المتمدن .
19. مهدي صالح حنتوش. (2011). الآثار السلبية للاغراق التجاري في العراق.
20. نبيل جعفر عبد الرضا. (2012). الآثار السلبية للاغراق التجاري على الصناعة في العراق. تم الاسترداد من الحوار المتمدن.
21. نشأت مجيد حسن الوندواوي. (2010). التحديات التي تواجه تحقيق الامن الغذائي العراقي في ظل تأثير العوامل الداخلية والخارجية . مجلة تكريت للعلوم الادارية والاقتصادية، صفحة 150.
22. نوال عبد الحميد الفخري. (2009). سياسة اغراق السوق في جامعة بغداد. تم الاسترداد من الحوار المتمدن.
23. هجير عدنان زكي. (2010). الاقتصاد الدولي. عمان.
24. هدى مهدي علي البياتي. (2018). ظاهرة الاغراق وتأثيرها على انتاج القطاع الزراعي في العراقي . كربلاء.
25. وضاح نصر. (2006). ظاهرة غسيل الاموال وعلاقتها بالغش الصناعي والتجاري وانعكاسها على المستهلك.

المصادر الأجنبية

1. Murphy, S. (2019). The true costs of US agricultural dumping. , *the Institute for Agriculture and Trade Policy*.
2. shatha khalil .(2018) .the iraqi economy between the politic of dumping and the obstacles to international integration .*rawabet center for research and strategic studies*
3. Solusi, D. (2019). The Indonesian Antidumping Law from Perspective of Lawrence M. Friedman's Concept. *International Journal of Research in Humanities and Social Studies*.
4. Trujillo, E. R. (2020). , Efectos del dumping en la competitividad de las empresas de confecciones de prendas de vestir del emporio comercial de Gamarra. *revista veritas et scientia, Vol 9, Núm1*.

عنوان البحث

دور الإعلام الجديد في تفعيل قيم المواطنة لدى الشباب الجزائري

د. نبيلة جعفري¹

¹ جامعة أم البواقي، الجزائر djaafrinabila@outlook.fr

تاريخ النشر: 2020/12/01م

تاريخ القبول: 2020/11/30م

المستخلص

إن المفهوم المعاصر للمواطنة قد يختص بالوطن والدولة عندما ينحصر مفهوم المواطنة بمجتمع محدد، وقد يمتد إلى مفهوم أوسع وأشمل ليصبح مفهوما عالميا خاصة في ظل التطور الهائل لوسائل الإعلام وظهور ما يعرف بالإعلام الجديد، الذي رفع من درجة التواصل بين المجتمعات وزاد من فاعلية التأثير المتبادل؛ إذ تعد قيم المواطنة أحد العناصر الهامة في تمتين الروابط الاجتماعية للوصول إلى وطن موحد تتكاتف فيه جميع أجزائه لأجل تطويره والدفاع عنه.

ولأن هذه القيم لا يمكن أن تكون فاعلة إلا في ظل وجود حرص على تفعيلها، جاءت هذه الدراسة للبحث حول دور عامل من أهم عوامل التفعيل "وسائل الإعلام الجديدة" لما لها من تأثيرات على شبابنا.

الكلمات المفتاحية: الإعلام الجديد، المواطنة، المواطنة الرقمية.

RESEARCH ARTICLE

THE ROLE OF THE NEW MEDIA IN ACTIVATING THE VALUES OF CITIZENSHIP AMONG ALGERIAN YOUTH

Dr.DJAAFRI Nabila¹¹ University of Oum El Bouaghi, Algeria.djaafrinabila@outlook.fr

Accepted at 30/11/2020

Published at 01/12/2020

Abstract

The contemporary concept of citizenship may concern the homeland and the state when the concept of citizenship is confined to a specific society and may extend to a wider and broader concept to become a universal concept, especially in light of the tremendous development of the media and the emergence of what is known as new media, The values of citizenship are an important element in strengthening social ties in order to reach a unified homeland in which all parts of the society are consolidated in order to develop and defend it.

And because these values can not be effective only in the presence of keen to activate, this study came to discuss the role of a factor of the most important factors of activation "new media" because of the effects on our youth.

Key Words: new media, citizenship, digital citizenship.

مقدمة:

غير الإعلام الجديد بمختلف وسائله وشبكاتته الكثير من المفاهيم التقليدية في حياة الأفراد والمجتمعات، ومنها مفهوم المواطنة. هذه الأخيرة التي تعتبر شرط وجود الفرد في الدولة أو المجتمع، وهي التي تمنحه الإحساس بالهوية، وتتيح له ممارسة حقوقه السياسية والاجتماعية، وتؤهله لأداء أدواره وتحمل مسؤولياته والوفاء بالتزاماته في الحياة العامة في مجتمعه، فضلا عن تفاعله مع القضايا العالمية باعتباره مواطنا عالميا يعيش في عالم مترابط متعدد الثقافات.

فالملاحظ أن مستخدمي وسائل الإعلام الجديدة على اختلافها - مدونات، مواقع إلكترونية، شبكات اجتماعية و غيرها- من كل الشرائح الاجتماعية، وخاصة الشباب يقومون بنشاط غير عادي مع كل حدث محلي بارز، حيث تحمل تلك المواقع وابلا من الرسائل التفاعلية حول تداعيات ذلك الحدث، أو حول تأثيراته على حياة المواطنين أو حول الحق في المشاركة وإبداء الرأي...إلى غير ذلك من المفاهيم التي تشكل في مجملها ثقافة المواطنة. بل والأكثر من ذلك، ومن خلال عملية مسح بسيطة لبعض المواقع والصفحات نلاحظ كيف تم نقل بعض الأنشطة التي تعبر في مجملها عن وعي تام بالمسؤولية نحو المجتمع من العالم الافتراضي إلى أرض الواقع، كالعامل التطوعي لمساعدة المحتاجين أو إنقاذ بعض المرضى، أو حملات تنظيف المحيط أو غير ذلك من النشاطات التي تصب في مفهوم المواطنة الأمر الذي يدعونا إلى التساؤل حول الدور الذي يلعبه هذا النوع من الإعلام في تفعيل قيم المواطنة لدى الشباب.

ومن هنا هذه الدراسة لمحاولة الإجابة على التساؤل الرئيس الآتي: ما هو دور الإعلام الجديد بوسائله المختلفة في تفعيل وتجديد قيم المواطنة لدى الشباب الجزائري؟

وتكمن أهمية الدراسة في تطرقها لمفهوم من المفاهيم المحورية في حياة الأفراد والجماعات؛ ألا وهو مفهوم المواطنة، وتغيرها بفعل تأثير وسائل الإعلام الجديدة، وانتقالها من مفهوم محلي إلى مفهوم عالمي، وما ينعكس على هذا المفهوم من ممارسات افتراضية أو واقعية لدى فئة هامة وفاعلة في المجتمع، تتميز بالنشاط والحيوية وكثرة استخدام هذه الوسائط مقارنة بباقي فئات المجتمع.

وقد هدفت الدراسة أساسا إلى التعرف على الدور الذي جاء به الإعلام الجديد لتفعيل قيم المواطنة لدى الشباب الجزائري.

وقد استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي؛ وذلك لملائمة المنهج المتبع مع طبيعة موضوع الدراسة، وقد تم تقسيمها إلى خمسة مباحث أساسية؛ كان أولها يدور حول مفاهيم الدراسة الإجرائية، وثانيها الإطار النظري للدراسة، والمعنون بالإعلام الجديد والمواطنة: قراءة في المفاهيم، والذي تم تقسيمه إلى مطلبين؛ الإعلام الجديد والمواطنة.

أما المبحث الثالث فجاء حول آليات الإعلام الجديد في تفعيل قيم المواطنة، وتم إسقاط ذلك على الشباب الجزائري في المبحث الرابع تحت عنوان الإعلام الجديد ودوره في تفعيل قيم المواطنة لدى الشباب الجزائري، لنتحدث في آخر مبحث عن التحديات التي تواجه وسائل الإعلام الجديد في دعمه للممارسات والقيم الخاصة بالمواطنة.

أولاً- مفاهيم الدراسة الإجرائية:

1- الإعلام الجديد: هو جملة الممارسات الإعلامية التي أفرزتها الوسائط الإعلامية الجديدة التي تشتغل داخل بيئة تواصلية، متغيرة تسهم في تشكيلها تقنيات المعلومات والاتصال (الهتمي، 2015، 65).

2- الشبكات الاجتماعية الإلكترونية: مواقع إلكترونية مبنية على فكرة الشبكات الاجتماعية التقليدية، حيث يتواصل مستخدمها مع

أفراد جدد لا يعرفهم عن طريق أفراد يعرفهم؛ أي أنها تتيح التواصل بين الأفراد في بيئة مجتمع افتراضي يجمعهم حسب مجموعات اهتمام أو شبكات انتماء (بلد، جامعة، مدرسة...) عن طريق خدمات التواصل المباشر، مثل إرسال الرسائل أو الاطلاع على الملفات الشخصية للآخرين ومعرفة أخبارهم ومعلوماتهم المتاحة للعرض (الشمالية وآخرون، 2015، 200).

3- المواطنة: هي العضوية الكاملة والمتساوية في المجتمع، بما يترتب عليها من حقوق وواجبات، وهو ما يعني التعامل بشكل متساوي بين ومع أفراد الشعب كافة الذين يعيشون فوق تراب الوطن، دون أدنى تمييز، وفق معايير قائمة على الفكر أو الجنس أو اللون أو المستوى الاقتصادي والانتماء السياسي وغيرها (الشباب وقيم المواطنة، soc210.yolasite.com).

ثانياً: الإعلام الجديد والمواطنة قراءة في المفاهيم:

1- عن الإعلام الجديد:

لقد أعقبت القفزة الكبيرة في الآليات والمعدات التكنولوجية ثورة أخرى مسّت الجانب البرمجي التطبيقي، وبالتالي التطور التقني الذي تجلت ملامحه في تزايد سرعة تدفق المعلومات عبر الانترنت، وتقلص حجم الحواسيب الشخصية وظهور الهواتف المحمولة الذكية، وقد كانت هناك - بالتوازي - العديد من التطورات التي غيرت من طريقة عمل هذه التقنيات وكيفية تسييرها وعملها، والتي كانت من ضمن أهم أهدافها خدمة المستخدمين وتيسير عملهم، وتغيير الكثير من سلوكيات وأنماط استخدام الانترنت، غير أن هذه البرمجيات لم تتوقف عند تحسين وتطوير الاستخدام، بل أخذت تغير في النماذج التقليدية التي تتدفق من خلالها المعلومات، وتغير وبالتالي العديد من المفاهيم الإعلامية والطريقة التي تنتقل بها المعلومات التي تعتبر المادة الأساسية لهذا العصر، وكان من أهم نتائج ذلك أن تبلور مفهوم "الإعلام الجديد" (شريطي مراد، 2015، 93).

هذا المفهوم الذي لم يتفق منظرو الاتصال على تعريف أو تحديد مفهوم محدد له، لتعدد مداخل النظر فيه. فقد عكس "الإعلام الجديد" في بداياته التطور التقني وحالة التزامن بين النص والصورة، ليطلق فيما بعد على كل ما يمكن أن يستعمله أفراد المجتمع على شبكة الانترنت، مثل شبكات التواصل الاجتماعي، والمدونات وغير ذلك من مظاهر الإعلام الجديد (هتيمي، 2015، 64).

ومن بين التعريفات المتعددة لهذا النوع من الإعلام نذكر تعريف قاموس الكمبيوتر Computer Dictionary، الذي عرف الإعلام الجديد عبر مدخلين:

أشار الأول إلى تطبيقات الاتصال الرقمي وتطبيقات النشر الإلكتروني على الأقراص بأنواعها المختلفة، والتلفزيون الرقمي والانترنت، ويدل على استعمال الكمبيوترات الشخصية والنقالة فضلاً عن التطبيقات اللاسلكية للاتصالات والأجهزة المحمولة في هذا السياق.

أما المدخل الثاني، فأشار إلى الطريق الجديدة المستعملة للاتصال في البيئة الرقمية، بما يسمح لمجموعات من الناس إمكانية الالتقاء والتجمع على الانترنت، وتبادل المنافع والمعلومات، وهي بيئة تسمح للأفراد والمجموعات بإسماع صوتهم، وصوت مجتمعاتهم إلى العالم أجمع (صادق، 2008، 31-32).

وتعرفه موسوعة الويب المعروفة باسم ويبيديا بأنه "تعبير يشير إلى العديد من الأشكال المستحدثة من نظم الاتصال الإلكتروني، التي أصبحت ممكنة بفضل الكمبيوتر. والتعبير مرتبط أيضاً بالنظم الإعلامية القديمة، فإذا ما قمنا بعقد مقارنة بين الصحافة الورقية التي تتصف بحالة سكون في نصوصها وصورها مع صحافة الإعلام الجديد، نلمس الفرق بين في ديناميكيتها وفي حالة التغيير المستمر الذي تتصف به. يشير التعبير أيضاً إلى قابلية إجراء الاتصال بين الأجهزة الثابتة والمحمولة بأنواعها

المختلفة، بما يمكن معه نقل المعلومات بين بعضها البعض" (شفيق، 2011، 60).

وتضع كلية شريدان التكنولوجية تعريفا علميا للإعلام الجديد بأنه "كل أنواع الإعلام الرقمي، الذي يقدم في شكل رقمي وتفاعلي. وهناك حالتان تميزان الجديد من القديم حول الكيفية التي يتم بها بث مادة الإعلام الجديد، والكيفية التي يتم من خلالها الوصول إلى خدماته، فهو يعتمد على اندماج النص والصورة والفيديو والصوت، فضلا عن استخدام الكمبيوتر كألية رئيسة له في عملية الإنتاج والعرض، أما التفاعلية فهي تمثل الفارق الرئيس الذي يميزه وهي أهم سماته(شفيق، 2011، 61).

ويمكن تعريفه بأنه "مجموعة من الأساليب والأنشطة الرقمية الجديدة، التي تمكننا من إنتاج ونشر المحتوى الإعلامي وتلقيه، بمختلف أشكاله من خلال الأجهزة الاليكترونية (الوسائط) المتصلة أو غير المتصلة بالانترنت، في عملية تفاعلية بين المرسل والمستقبل (الشاميلة وآخرون، 2015، 19).

إن هذا الإعلام الذي تولد من التزاوج بين تكنولوجيات الاتصال والبث الجديدة والتقليدية مع الكمبيوتر وشبكاتة تعددت أسماؤه ولم تتبلور خصائصه النهائية بعد، ويأخذ هذا الاسم لأنه لا يشبه وسائط الاتصال التقليدية لا في الوسيلة ولا في التطبيقات، فقد نشأت داخله حالة تزامن في إرسال النصوص والصور المتحركة والثابتة والأصوات، وتدل الأسماء المتعددة للتطبيقات الإعلامية المستحدثة، على أرضية جديدة لهذا الإعلام، فهو الإعلام الرقمي لوصف بعض تطبيقاته التي تقوم على التكنولوجيا الرقمية، مثل التلفزيون الرقمي والراديو الرقمي وغيرها. أو للإشارة إلى أي نظام أو وسيلة إعلامية تندمج مع الكمبيوتر. ويطلق عليه الإعلام التفاعلي طالما توفرت حالة العطاء والاستجابة بين المستخدمين لشبكة الانترنت والتلفزيون والراديو التفاعليين وصحافة الانترنت وغيرها من النظم الإعلامية التفاعلية الجديدة. وهو أيضا الإعلام الشبكي الحي على خطوط الاتصال، كما يطلق عليه تعبير الوسائط السيبرانية وإعلام المعلومات.

وباستخراج القواسم المشتركة بين المفاهيم المختلفة للإعلام الجديد، نجد أنه يتميز بالعديد من الخصائص، ومنها التفاعلية، الالتزامية، المشاركة والانتشار، الحركة والمرونة، الكونية وتخطي حدود الزمان والمكان، اندماج الوسائط، زيادة الانتباه والتركيز نتيجة التفاعل وسهولة التخزين والحفظ.

ومن أهم الظواهر التي صاحبت الإعلام الجديد كسر احتكار المؤسسات الإعلامية، ظهور طبقة جديدة من الإعلاميين وأحيانا من غير المتخصصين في الإعلام قد يتفوقون على أهل الاختصاص الأصليين، ظهور منابر جديدة للحوار، ظهور إعلام الجمهور إلى الجمهور، ظهور مضامين ثقافية وإعلامية جديدة، مشاركة المجتمع في تسليط الضوء على قضاياها إعلاميا، نشوء ظاهرة المجتمع الافتراضي والشبكات الاجتماعية وتفتيت الجماهير وانتقال الإعلام من حالة الجماهير العريضة لوسائل الإعلام التقليدية إلى مرحلة الإعلام الفتوي والإعلام المتخصص (الشاميلة وآخرون، 2015، 21-22).

2- ماهية المواطنة:

يظن كثير أن "المواطنة" تعني "حب الوطن"، ولكن الحقيقة أنها لا تعني ذلك فقط، بل هي مفهوم غربي بدأ قبل الميلاد مع الحضارتين اليونانية والرومانية، مرتبطا بالتطور الذي حدث لمفهوم دولة المدينة في العالم القديم وكان له معنى خاص في هاتين الحضارتين، ثم أخذ معنى آخر في مرحلة العصور الوسطى في أوروبا، ثم أصبح له معنى ثالث في العصور الحديثة. فقد ربطت الثورة الفرنسية المواطنة بدفع الضرائب، وقد ميزت الثورة الفرنسية بين المواطن الفاعل والمواطن السلبي، فالمواطن الفاعل هو الذي يدفع ضرائب مباشرة تساوي أجر ثلاثة أيام عمل لمن هم دون مستوى المهارة العليا، وقد كان للمواطنين الفاعلين أن ينتخبوا في

المرحلة الأولى ممثليهم الذين سيكونون ناخبين في المرحلة الثانية على أن يدفعوا بدورهم قيمة عشرة أيام عمل على الأقل ضرائب مباشرة، وقد كان المطلوب من النائب أن يكون من دافعي الضرائب بما يوازي أجر خمسين يوم عمل، ترجمت مالياً على أنها مارك فضي.

وقد اعتبرت المواطنة في إنجلترا في فترة من الفترات مرتبطة بدفع الضرائب أو بامتلاك بيت في المدينة، لكن مبدأ "المواطنة" اتخذ منحى عنصرياً في القرن العشرين في ألمانيا على يد النازية، وقد اعتبرت القوانين الألمانية أن المواطن هو ذلك النابع من دم ألماني، واعتبرت كذلك أن ألمانيا وطن لجميع الألمان حيثما كانوا، واعتبرت الشعب الألماني فوق الجميع، ولم يكن إنكار حقوق المواطنة بمعيار العرق مقصوداً على ألمانيا، بل تعدى ذلك إلى جنوب أفريقيا والولايات الجنوبية من الولايات المتحدة الأمريكية، حيث خضع الشعب الأسود لنظام التمييز العنصري، وأُنكرت حقوق المواطنة له بناءً على كونه أسود (التوبة، www.aljazeera.net).

وفي القرن الحادي والعشرين شهد مفهوم المواطنة تطوراً مال به منحى العالمية وتحددت مواصفات المواطنة الدولية على النحو الآتي:

الاعتراف بوجود ثقافات مختلفة، احترام حق الغير وحرية، الاعتراف بوجود ديانات مختلفة، فهم وتفعيل أيديولوجيات سياسية مختلفة، فهم اقتصاديات العالم، الاهتمام بالشؤون الدولية، المشاركة في تشجيع السلام الدولي، المشاركة في إدارة الصراعات بطريقة اللاعنف.

وهذه المواصفات لمواطن القرن الواحد والعشرين يمكن فهمها بشكل أفضل في صورة كفاءات تنميها مؤسسات المجتمع لتزيد فاعلية الارتباط بين الأفراد على المستوى الشخصي والاجتماعي والمحلي والقومي والدولي ويكون ذلك بتنمية قدرات معينة للتفكير تحسم وتنظم في الوقت نفسه الاختلافات الثقافية، ومواجهة المشكلات والتحديات كأعضاء في مجتمع عالمي واحد. ويستند هذا المنحى في إرساء مبدأ المواطنة العالمية على ركيزتين:

الأولى: عالمية التحديات في طبيعتها كعدم المساواة الاجتماعية والاقتصادية، والامتلاك غير المتساوي لتقنيات المعلومات وانخفاض الخصوصية، والتدهور البيئي وتهديد السلام.

الثانية: أن هناك أمماً ومجتمعات ذات ديانات وثقافات وأعراف وتقاليد ونظم مختلفة.

ولقد أسفرت الاجتهادات الغربية المعاصرة لتحليل طرفي هذه المعادلة عن تفاعلات جدية تتلخص في صياغة عناصر جديدة للمواطنة، وتأسيس مصطلح جديد في الخطاب المعاصر هو (المواطنة العالمية) أو (المواطنة عديدة الأبعاد) التي لخصت في (البعد الشخصي - البعد الاجتماعي - البعد المكاني - البعد الزمني).

والمواطنة في أبسط تعريفاتها هي قيم وسلوك؛ أي تربية وآداب وأخلاق وتكوين وذوق حضاري، وتراث مرتبط بقيم وثوابت المجتمع وفلسفته في الحياة. فهي تتضمن حب الوطن والتعلق به، والفرد مدني بطبعه، يميل إلى غيره، وهو ابن بيئته ومجتمعه. فالمواطنة بهذا المعنى تتضمن التزامات أخلاقية واجتماعية تجاه المجتمع والأمة، أما من الوجهة القانونية فالمواطنة لها علاقة بالجنسية وحسب هذا التعريف هي حيازة جنسية دولة ما، سواء أكانت أصلية أو مكتسبة والتمتع بكل الحقوق والحريات المدنية والسياسية.

كما عرفتها الموسوعة العربية العالمية بأنها "تعبير قويم يعني حب الفرد وإخلاصه لوطنه، الذي يشمل الانتماء إلى الأرض والناس والعادات والتقاليد والفخر والتاريخ والتفاني في خدمة الوطن (الصلال، 2012، 33).

وباختصار يمكن تعريف المواطنة بأنها انتماء الفرد إلى وطن معين بالمولد أو الجنسية ضمن إطار مجتمع سياسي مؤسستاتي، بما يمكنه من حقوق ويكلفه بواجبات بموجب ذلك الانتماء، في مساواة مع الآخرين دون تمييز أو تحيز، وبما يحقق علاقة سليمة مع الدولة في إطار من الشفافية والديموقراطية.

و تعتبر المواطنة فكرة اجتماعية وقانونية سياسية ساهمت في تطوير المجتمع الإنساني بشكل كبير، إلى جانب الرقي بالدولة من خلال مبدأ المساواة و الديمقراطية، الشفافية وهي ذات أهمية لكونها:

- تعمل على رفع الخلافات والاختلافات الواقعة بين مكونات المجتمع والدولة في سياق التدافع الحضاري؛ من خلال تفعيل قيم المواطنة لأنها آلية ناجعة للحد من الفتن والصراعات الطائفية والعرقية في أي مجتمع.

- المواطنة مبدأ ومرجعية دستورية وسياسية، لا تلغي عملية التنافس بل تركز على احترام التنوع وليس نفيه، والساعية بوسائل قانونية للاستفادة من هذا التنوع في تهيئة قاعدة الوحدة الوطنية؛ بحيث يشعر الجميع بأن مستقبلهم مرهون بها وليس نفيًا لخصوصياتهم، وإنما مجال للتعبير عنها وفقا لمبادئ الديمقراطية.

- لا يكتمل مفهوم المواطنة إلا بنشوء الدولة الديمقراطي؛ وذلك بممارسة الحياد الإيجابي تجاه معتقدات وأيديولوجيات مواطنيها .

- تحفظ للمواطن حقوقه المختلفة وتوجب عليه واجبات تجاه دولته وهذا ما يؤدي إلى الثقة المتبادلة بين المواطن والدولة؛ لما يحقق وحدة النسيج الاجتماعي للمجتمع.

- تضمن المساواة والعدل والإنصاف بين المواطنين أمام القانون وخدمات المؤسسات؛ عن طريق المشاركة في المسؤوليات وتوزيع الثروات العامة أما الواجبات التي تتمثل في دفع الضرائب، المحافظة عن الوطن والدفاع عنه (الصلال، 2012، 34).

ثالثا: آليات الإعلام الجديد في تفعيل قيم المواطنة:

تتيح وسائل الإعلام الجديد عددا من الآليات والتطبيقات التي يمكن من خلالها ممارسة المواطنة والتمتع بقيمتها المختلفة أهمها:

- **التجمعات الافتراضية:** وهي عبارة عن مواقع على شبكة الإنترنت تمثل نقطة التقاء لمجموعة من الأشخاص يتواصلون معاً من خلالها باستخدام نظم القوائم البريدية أو التراسل الفوري والمحادثة والحوارات المطولة، والذين يجمعهم اهتمام مشترك إزاء قضية ما (الصادق، 2010، 15).

- **المنتديات:** هي فضاء شاسع يسمح بالدخول في علاقات مع أفراد دون معرفة عناوينهم وتبادل الآراء حول المواضيع المختلفة والمتنوعة (Sacriste, 2007, 210)، وهي عبارة عن برمجيات يتم تركيبها على مواقع الإنترنت، لتسمح بتلقي مساهمات وأفكار وآراء من قبل أي شخص يسجل نفسه في المنتدى، وعرضها على المشاركين الآخرين في اللحظة نفسها، ثم إتاحة الفرصة لكل المشتركين الآخرين لقراءة المساهمة فوراً والرد عليها في اللحظة ذاتها، سواء بالاتفاق أو الاختلاف أو بالدفاع أو الهجوم. ومن هنا ينشأ الحوار الديمقراطي بشفافية وبلا قيود (الصادق، 2010، 15)، وتعتبر منتديات الحوار واحدة من تطبيقات البريد الإلكتروني الذي يسمح لأشخاص معزولين بالتحدث فيما بينهم عن طريق الكتابة حول موضوع محدد. حيث يرسل كل متدخل مضامينه إلى عنوان المنتدى بطريقة تجعل مداخلته مقروءة من كل المسجلين. ويتم ترتيب الرسائل حسب المواضيع والروابط التي تجمعهم مع المداخلات السابقة (Serfaty , 2002, 383).

- **استطلاعات الرأي الإلكترونية:** حيث أصبحت مادة دسمة في الكثير من المواقع على شبكة الإنترنت و التي تهدف إما إلى استطلاع رأى زوار الموقع تجاه موقف معين أو محاولة بناء رأى تجاه قضية ما، وأصبح هناك استمارات رأى إلكترونية إلى جانب

استطلاعات رأى سريعة حول الأحداث الجارية، وتتميز تلك الاستطلاعات بسهولة دخول المستطلع رأيه وإلى درجة الأمان التقنية في الاستطلاع وتقادى عملية الأخطاء فى عملية الإحصاء حيث يتم الإحصاء إلكترونياً.

- **البريد الإلكتروني والمجموعات البريدية:** حيث يستخدم لنقل الأفكار والآراء بين الأشخاص والتواصل السياسي بين المرشحين والناخبين أو ما بين القادة السياسيين والجمهور حيث يتم إنشاء مواقع خاصة برؤساء الدول والزعماء وبها البريد الإلكتروني الخاص بهم أو رؤساء الأحزاب السياسية أو قادة الرأي العام. ويتم تجميع عدد من البريد الإلكتروني في مجموعات يتم التراسل فيما بينهم وإعلام أعضائها بالمواد الإعلامية بشكل فوري وسريع والدعوة للانضمام إليها من قبل أي مستخدم للإنترنت حيث تكون العضوية بها مفتوحة.

- **مواقع الإنترنت الخاصة:** حيث أدى سهولة إنشاء موقع على شبكة الإنترنت إلى اتجاه الأفراد أو المنظمات أو الأحزاب السياسية أو منظمات المجتمع المدني إلى إنشاء مواقع خاصة بهم تعبر عن سيرهم الذاتية أو تجاربهم الحياتية أو عن مواهبهم أو مواقفهم من قضايا معينة حيث رخص التكلفة وتعدد الوسائط الإعلامية حيث بإمكان إنشاء إذاعة عبر الإنترنت أو بث مواد إعلامية بما يقرب من وسيلة إعلام خاصة لكافة التيارات السياسية والدينية (الصادق، 2010، 16).

- **المدونات:** والمدونة الإلكترونية هي ترجمة لما يصطلح عليه بالبلوغ " Blog " والذي هو اختصار لكلمتي "واب" و" لوغ" ويتعلق الأمر بمذكرة الكترونية شخصية يستعملها صاحبها بلغة أو لغات متعددة لتدوين سيرته ومذكراته اليومية وتجاربه وخواطره وانتقاداته وآرائه وتأملاته وانطباعاته الشخصية (...إزاء قضايا سياسية واجتماعية واقتصادية مختلفة، أو تدوين معلومات وأحداث وأخبار صور مختلفة، وترويجها عبر شبكة الانترنت من خلال قوالب جاهزة تتيحها الشبكة وتسمح بإدارة المحتويات والتحكم فيها وتحيينها عبر مفتاح سري شخصي، كما تعني اصطلاحاً " سجلات الشبكة (الكريني، www.maktooblog.com). و المدونة عبارة عن دفتر إلكتروني لنشر اليوميات و المواضيع، الأحداث تظهر في الصفحة الرئيسية للمدونة، مرتبة ترتيباً تنازلياً، حسب تاريخ النشر من الأحدث إلى الأقدم، مع رابط لصفحة الأرشيف الذي يضم كل المواضيع (التدوينات) السابقة مصنفة حسب التاريخ أو حسب المحتوى، و كل موضوع يحتوي على إمكانية للتعليق تسمح للقراء بالتفاعل مع صاحب المدونة ومناقشته فيما يكتب (سرور، 2009، 12).

- **مواقع التوقيعات الإلكترونية:** حيث تتاح فرصة التسجيل بعدد كبير كمعارض أو مطالب بتغيير سياسية معينة حيث يعتمد شرعية تلك التوقيعات بكم التوقيعات التي تجمعها عبر التسجيل من خلال مواقعها. وتكون تلك التوقيعات نوعاً من المعارضة السلمية. والتعبير عن آراء مختلفة.

- **رسائل SMS والموبايل** حيث يتم استخدام رسائل الموبايل في حشد التعبئة السياسية والاطلاع على أخبار الانتخابات وخاصة مع اندماج خدمات الإنترنت والتحويلات المالية والخدمات التلفزيونية والإذاعية من خلال الهاتف المحمول وكذلك إمكانية التصويت في الانتخابات من خلاله.

- **الشبكات الاجتماعية الإلكترونية:** وهي من أهم وأشهر تطبيقات هذا الإعلام، وهي عبارة عن مواقع على الإنترنت يتواصل من خلالها ملايين البشر الذين تجمعهم اهتمامات أو تخصصات معينة، ويتاح لأعضاء هذه الشبكات مشاركة الملفات والصور وتبادل مقاطع الفيديو وإنشاء المدونات وإرسال الرسائل، وإجراء المحادثات الفورية، وسبب وصف هذه الشبكات بالاجتماعية أنها تتيح التواصل مع الأصدقاء وزملاء الدراسة وتقوي الروابط بين أعضاء هذه الشبكات في فضاء الإنترنت (شفيق، 2011، 181)، وتعتبر شبكة Classatrees.com أولى شبكات التواصل الاجتماعي الحديثة، ظهرت سنة 1995، وهي موقع اجتماعي للربط بين زملاء الدراسة، وكانت الغاية منه مساعدة الأصدقاء والزملاء الذين جمعتهم الدراسة في مراحل حياتية معينة، وفرقتهم

ظروف الحياة العملية في أماكن متباعدة. وبعد عامين أطلق موقع Six Degrees.com، ثم توالى تأسيس وظهور مواقع الشبكات الاجتماعية التي بلغت شعبيتها ذروتها ما بين عامي 2002 و2004. ويعتبر موقعي my space (2003) وface book (2004) أشهر مواقع هذه المرحلة، وفي عام 2005 تأسس موقع اليوتيوب الذي يتيح مشاهدة وتحميل مقاطع الفيديو، وفي 2006 ظهر موقع التدوين المصغر "تويتر" الذي يسمح بكتابة رسالة (تغريدة) لا تتجاوز 140 حرفاً (هتيمي، 2015، 80-82)، وتتنوع أشكال وأهداف تلك الشبكات الاجتماعية، فبعضها عام يهدف إلى التواصل العام، وتكوين الصداقات حول العالم، وبعضها الآخر يتمحور حول تكوين شبكات اجتماعية في نطاق محدود، ومنحصر في مجال معين، مثل شبكات المحترفين، وشبكات المصورين، وشبكات الإعلاميين فهي كيانات اجتماعية تتكون من أشخاص أو مؤسسات اجتماعية ترتبط فيما بينها بروابط نتجت عن تفاعلاتهم المتبادلة، ويستعمل لفظ شبكة اجتماعية للدلالة على مواقع انترنت تسمح لمستخدمها بالتسجيل وخلق هوية افتراضية، تدعى بروفايل Profile، ويطلق على هذه المواقع صفة اجتماعية لأنها تسمح بتبادل الرسائل العامة أو الخاصة، الروابط التفاعلية، الفيديوهات، الصور، الألعاب.. بين المشتركين. ويبقى قوام الشبكات الاجتماعية هو إمكانية توسيع دائرة الأصدقاء والعلاقات، كما تتأسس الشبكات الاجتماعية على مبدئين هما:

- أصدقاء أصدقائي فهم أصدقائي (مبني، 2014، 83).

- الأشخاص الذين يتبادلون ويشتركون في الاهتمامات نفسها التي اهتم بها هم أيضاً أصدقائي.

ومهما تعددت تعاريف تلك الشبكات نجد أنها تشترك في الخصائص الآتية (هتيمي، 2015، 84):

- المشاركة: فهي تتيح للمستخدمين مشاركة النصوص والصور ومقاطع الصوت والفيديو فيما بينهم.
- الإتاحة: فتلك الشبكات الاجتماعية عبارة عن خدمات مفتوحة لردود الفعل والمشاركة وتبادل المعلومات والتعليقات، ونادراً ما توجد حواجز أمام الوصول إلى المحتوى والاستفادة منه.
- المحادثة: تعتمد شبكات التواصل الاجتماعي على الاتصال باتجاهين، عكس وسائل الاتصال التقليدية .
- التجمع: تتيح شبكات التواصل الاجتماعي إمكانية التجمع والتواصل بشكل فعال، ويربط تلك التجمعات اهتمامات ومصالح مشتركة، مثل التخصص العلمي، وتشجيع فريق رياضي، حركة ثقافية... إلى غير ذلك.
- الفورية: تسمح شبكات التواصل الاجتماعي بالمحادثات الفورية، والتواصل والتفاعل المباشر بين جمهور المستخدمين.

رابعاً: الإعلام الجديد ودوره في تفعيل قيم المواطنة لدى الشباب الجزائري:

أدت التطورات المتسارعة في مجال تكنولوجيات الاتصال الحديثة و ما أفرزته من ممارسات اتصالية وتطبيقات عملية تقوم على منصة الانترنت تحديداً إلى إعادة صياغة العديد من المفاهيم والمسلّمات التي لم يكن الحديث عنها إلى وقت قريب يتطلب الكثير من العناء، بل إننا اليوم أصبحنا في إطار المواطنة ننتقل من الحديث عن معايير تتعلق بالمشاركة في الانتخابات و حضور الاجتماعات والتشاركية المدنية في أبسط صورها، إلى مفهوم للمواطنة يرتكز على تكنولوجيات الاتصال الحديثة و وسائل الإعلام الجديدة التي غيرت مفهوم المواطن وربطته بالمستحدث من الوسائل الإعلامية.

وقد أسهمت وسائل الإعلام الجديدة من هذا المنطلق وتوازيها مع الثورة الرقمية التي مست تقريبا كل بقاع المعمورة في إحداث العديد من التغيرات على طبيعة الممارسات اليومية للمواطنين والشباب الجزائريين والتي يمكن إبرازها فيما يلي:

1- المواطنة الرقمية أحدث تجليات وسائل الإعلام الجديدة: ترتبط المواطنة الرقمية كمفهوم وممارسة المواطنة الافتراضية وهي

نمط جديد من العلاقات يجد أسسه في العالم الافتراضي أو الفضاء الإلكتروني، الذي يعد نتاجاً لجملة التحولات الهائلة والرهيبية " كماً وكيفاً، " التي تحققت في مجال الإعلام والاتصال، حيث شهد العالم تسارع وتيرة الاتصال الدولي وتقدم وسائله وسرعته انتقاله وتجاوزه لفكرة الحدود التقليدية، إذ تفجرت المرحلة الثورية التي استفادت من القفزة المعلوماتية الرقمية الكبيرة والتي ادخلها عصر الانترنت كوسيط معلوماتي وثقفي زاد من تراجع قدرة الدولة على احتكار المعلومات والأخبار والسيطرة على الأفكار والقدرة على التوجيه والتضييق والرقابة (الكوت، 2014).

ونقصد بالمواطنة الرقمية على هذا الأساس مجموع القواعد والضوابط والمعايير والأعراف والأفكار والمبادئ المتبعة في الاستخدام الأمثل والقويم للتكنولوجيا، والتي يحتاجها المواطنون صغاراً وكباراً من أجل المساهمة في رقي الوطن والمواطنة الرقمية باختصار هي توجيه وحماية، توجيه نحو منافع التقنيات الحديثة، وحماية من أخطارها،

وقد ظهر مصطلح المواطنة الرقمية بالموازاة مع التطورات الحاصلة على الوسائل الإعلامية لا سيما الجديدة منها، إذ دعت هذه التطورات إلى إلزامية إعادة تعريف المواطن لنفسه ولموقعه في السياق المحلي والعالمي، وللمعاملات التي يقوم من خلالها بأداء أدواره من خلال المجتمع المدني وبالاعتماد على وسائل الإعلام الجديدة والتي تجعل المستخدمين الذي يجلسون وراء حواسيبهم وأجهزتهم الذكية، غير مقيدين بعامل الزمن ولا المكان ويساهمون في إحداث التحولات على المستويات المحلية والعالمية (Education, 2012, 8-11) ، والمواطنة الرقمية نوعان:

- **المواطنة المقننة:** المتمثلة بأفراد المجتمع وهم يستخدمون المواقع المقننة مثل بوابات الحكومة الإلكترونية، ومواقع الوزارات، الجامعات والجمعيات وغيرها، والتي في الغالب تقع ضمن النطاق (GOV,EDU,ORG)، هذه المواقع تحكمها ضوابط وتعليمات وحتى شروطاً للملاحة فيها، مثل اسم المستفيد وكلمة السر أو بيانات الاشتراك بالموقع. تتمكن هذه المواقع من التحكم بسلوكيات المستخدم كما يمكنها من خلال برامج الحماية من الفيروسات والقرصنة قدر الإمكان.

- **المواطنة الحرة:** التي تمكن المستخدم من الملاحة في مواقع الانترنت بحرية وبدون شروط وقيود، وقد عملت تكنولوجيا التواصل الاجتماعي على مساندة هذا النوع من المواطنة حيث يسهل ربط أفراد المجتمع العالمي في مجموعات صغيرة تسعى نحو تبادل المعلومات والمعارف والتشارك بها بغض النظر عن الجنس، اللغة، الدين والأعراف (زودة، 2012، 157).

2 - **الشباب والديمقراطية التشاركية في ظل الإعلام الجديد:** ساهمت العلاقة التشاركية بين الأدوات الاتصالية الحديثة " شبكات التواصل - مصادر المعلومات المفتوحة - المدونات.."، إضافة إلى مختلف الخدمات التي توفرها شبكة المعلومات الدولية في إعادة بناء مفهوم **المجال العام** الذي جاء به المفكر والفيلسوف الألماني يورغان هابرماس الذي أكد على أن بعض قضايا المجتمع تتطلب حراكاً سياسياً أو اجتماعياً يتشارك فيه ويتداخل العام والخاص، بما ينتج عنه تكوين رأي عام تجاه تلك القضايا وهنا يبرز الفضاء أو **المجال العام** وهو مكان عام للحوار والمناقشة حول قضايا عامة لها أصداء مختلفة، سياسياً واجتماعياً وأي قرارات سياسية أو مجتمعية قد تؤثر على الفرد شريطة أن يتم ذلك بعيداً عن السلطات وآلياتها الرقابية (Granjon, 2014, 102)، غير أن وسائل الإعلام الجديدة قد أحدثت تحولات عميقة في هذه الطروحات لا سيما مع القدرة التي منحتها الانترنت إلى مستخدميها إذ حولتهم من متلقين إلى مساهمين في صناعة المعلومة ونشرها، وبالتالي إلى صانعين حقيقيين لثقافة ديمقراطية تقوم على التشارك، لقد أسهمت الديمقراطية الرقمية في دعم وتحفيز المشاركة السياسية من خلال توفير قنوات للمشاركة الشعبية والصعود بمستوى هذه المشاركة إلى درجة من الرقي والتنظيم الفاعل ، بشكل يسهل للأفراد طرح أفكار واختيار البدائل للتفاعل السياسي عبر الوسائط

الإليكترونية(عبد الصادق، 2010، 15) ، وهكذا تحول مفهوم الفضاء العام من مجرد النقاشات حول القضايا العامة إلى المشاركة الفعالة عبر صفحات التواصل الاجتماعي والمدونات وغيرها من الوسائط الإليكترونية في التعبير عن الآراء والاتجاهات، وفي هذا الصدد نلاحظ حجم التحولات التي يشهدها الفضاء السيبراني في المجتمع الجزائري ولا سيما لدى فئة الشباب الذين استطاعوا بفضل وسائل الإعلام الجديدة أن يتحولوا من عناصر سلبية غير فعالة اتجاه القضايا التي تخص المجتمع ، فبالإسقاط على الواقع يمكننا سرد العديد من الأمثلة التي قد لا يكفي المقام لتعدادها والتي نذكر منها مثلًا أحداث غرداية والسرعة والفورية التي أبداهها الشباب من رواد صفحات الفيسبوك في التعامل مع الحدث وبيان حقيقة النزاع داخل المناطق المعنية فيها، حيث صارت الرسائل التي يبثونها في كثير من الأحيان مصادر للمعلومات لوسائل الإعلام التقليدية، كالمصحف و التلفزيونات والإذاعات، بغض النظر عن مصداقية المعلومة من عدمه، إننا هنا بصدد الحديث عن الديمقراطية التي سمحت لهؤلاء بالدخول كأطراف فاعلة في صناعة الحدث، لكنها لن تتحقق بالشكل المطلوب مادامت الممارسات الديمقراطية مرتبطة بالنظام السياسي الذي يفرض منطقته في كثير من الأحيان على الناشطين عبر وسائل الميديا الجديدة، ويراقب المضامين التي يصدرها الشباب ويمارس عليها ولو في أضيق نطاق مهمة حراسة البوابة.

3- من المواطن (الشاب) القائم بواجباته **Ditiful citizen** إلى المواطن المحدث **Actualizing citizen**، ساهمت وسائل الإعلام الجديدة في الانتقال بالمواطن من الأدوار التقليدية التي كان يمارسها في ظل المؤسسات الكلاسيكية في المجتمع كوسائل الإعلام التقليدية و الأسرة و المدرسة والجماعات المرجعية إلى أدوار حديثة مرتبطة بحدثة الوسيلة، فأصبحنا نتحدث عن المواطن المحدث والمقصود به ذلك المواطن المرتبط الإنترنت و الذي يمارس مواطنته عبر تطبيقاتها المختلفة، سواء مواقع إلكترونية أو شبكات تواصل اجتماعي أو غيرها.

فالنمط الأول من المواطنة يمارس من خلاله الشباب وظائفهم داخل المجتمع بالانضمام إلى جماعات منظمة و جمعيات مدنية و أحزاب سياسية، وهو نمط أخذ في الزوال تدريجيا لدى شباب اليوم موازاة مع الممارسات الجديدة التي أفرزتها تكنولوجيات الاتصال الحديثة والتي ترتبط بالشباب واهتماماته الشخصية وآثارها على المشاركة السياسية في الحياة العامة والتي يسهم هو شخصيا في بناء رسائلها دون الحاجة إلى مؤسسات تؤطره أو توجهه ، بالاعتماد على شبكات التواصل الاجتماعي كأهم وسيلة في هذا المجال (Lance Beennett, 2011, 840).

4- وسائل الإعلام الجديدة ومنظمات المجتمع المدني: أتاحت الثورة الرقمية فرصا مهمة أمام انتشار وتنوع منظمات المجتمع المدني و هي في الأساس مجموعة من التنظيمات التطوعية الحرة التي تملأ المجال العام بين الأسرة والدولة لتحقيق مصالح أفرادها ملتزمة في ذلك بقيم ومعايير الاحترام والتسامح، كما يعني المجتمع المدني مجمل المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية غير الحكومية والتي تشكل الروابط الاجتماعية بين الفرد والدولة (شعبان، 2009، 34).

وتعتبر هذه المجتمعات في العصر الراهن أحد دعائم " التحول الديمقراطي سواء على الصعيد المحلي أو العالمي حيث زادت كماً وتنوعت كيفاً ، وأصبحت ذات نفوذ وتأثير عميقين في السياسات العامة للدول والحكومات في خضم إنجازات وسائل الإعلام الحديثة والمرتبطة بالثورة الرقمية تضاعفت قوة ونفوذ " المجتمع المدني " الذي اتسمت طبيعته نشاطاته بعلاقات " التشبيك " وأصبح المجتمع المدني حقيقة مدعومة بالوسائط الإليكترونية والثورة الرقمية تحتل منظماته مساحات واسعة من الفضاء الإليكتروني، حيث إن العديد من منظمات المجتمع المدني قد بنت لها قواعد في المجتمع الافتراضي عبر الشبكات الاجتماعية تستغل بعض النقابات والجمعيات الأهلية الشبكة في زيادة التواصل بين أفرادها، ودعوة المستفيدين إلى برامجها ومشروعاتها، خلصت دراسة أجراها مركز

الدراسات التسويقية بجامعة ماساشوستس دارتماوث حول استخدامات شبكات التواصل الاجتماعي في المنظمات غير الربحية في الولايات المتحدة الأمريكية إلى أن تلك الشبكات أصبحت جزءاً أساسياً من استراتيجيات الاتصال لتلك المنظمات الخيرية . الدراسة أشارت إلى أن كبرى المنظمات غير الربحية الأمريكية واصلت تفوقها على المنظمات التجارية وكذلك على المؤسسات التعليمية من حيث إدراك ومعرفة الناس بها حيث أنها تمكنت من إيجاد وتوظيف وسائل جديدة شيقة للوصول إلى قلوب وجيوب المانحين والمتبرعين. الدراسة وجدت أن 89% من المنظمات الخيرية تستخدم شكلاً من أشكال الشبكات الاجتماعية مثل المدونات والبودكاست والـ Wikis وغيرها من أشكال الشبكات الاجتماعية.

وفي الجزائر كما هو الحال بالنسبة للعديد من الدول فقد اتخذت الجمعيات المدنية على قاتها مكن شبكات التواصل الاجتماعي خاصة ومن الانترنت على وجه العموم وسائل تسعى من خلالها إلى زيادة انتشارها وتوسيع نطاق الحملات الخيرية والتطوعية التي تقوم بها، فتأسست مواقع ومجموعات خيرية وتطوعية مثل مجموعة ناس الخير ودير الخير ومجموعة الفرحة تدوم وصفحات أخرى تعنى بحالات معينة من المرضى، وتمكنت هذه الفعاليات من تحقيق هدفها في زيادة الانتشار كما تمكن الشباب من جهة أخرى من الانخراط في هذه الأعمال وممارسة أحد أهم أبعاد المواطنة وهي الانتماء الاجتماعي والمساهمة في وضع حلول للمشكلات المجتمعية.

كما راج مفهوم " المجتمع المدني العالمي " ، وهو مجتمع مدني عابر للحدود تدعمه الوسائط الاليكترونية والبناء الشبكي الافتراضي ، إذ يؤكد البعض على أن أهم أثر أحدثته تكنولوجيا الاتصال والمعلومات على المجتمع المدني هو أنه لم يعد حبيس الدولة القومية ، بل تشكل مجتمع مدني عالمي ، يعنى بقضايا الديمقراطية والتعددية واحترام حقوق الإنسان" على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية، ولم يعد الشاب في الجزائر مرتبطاً بالقضايا والمعلومات التي توفرها له وسائل الإعلام التقليدية.

- الإعلام الجديد والمشاركة السياسية: المشاركة السياسية في أوسع معانيها هي كل ما يقوم به الفرد لصالح مجتمعه ، ويكون قادراً على التأثير في السياسات والقرارات، فحضور الندوات والمؤتمرات والتظاهر، وعضوية الأحزاب السياسية، والاتصال بالمسؤولين السياسيين، والترشيح للمناصب العامة، وتقلد المناصب السياسية وحتى المناقشات التي تخص الحياة السياسية، كل ذلك يندرج تحت غطاء المشاركة السياسية.

وتتعدد أدوار الإعلام الجديد في دعم صور المشاركة السياسية إذ نجد منها الاستفتاءات والانتخابات. والانضمام إلى الأحزاب والمشاركة في المظاهرات. والحملات الانتخابية (البصراي، 2014). وبتزايد معدلات استخدام وسائل الإعلام الجديد عبر العالم وفي الجزائر على وجه التحديد، أصبحنا ندرك الأهمية القصوى التي تضطلع بها هذه الوسائل في دمج الشباب في العملية السياسية داخل البلاد من خلال اعتمادهم المطرد على شبكات التواصل وعلى المواقع الإلكترونية المختلفة، الحكومية وغير الحكومية في الحصول على المعلومات، والتفاعل مع الحياة السياسية بكل تجلياتها، فنجد هذا الشاب على سبيل المثال فرداً من مجموعة فيسبوكية للحزب الفلاني أو لرجل سياسي معين، يتفاعل مع ما تطرحه هذه المجموعة من آراء وأفكار، وينتقل من المستوى الافتراضي إلى أرض الواقع في كثير من الأحيان، من خلال المشاركة في الأنشطة السياسية التي تنظم هنا وهناك، فلم يعد الشاب الجزائري اليوم في حاجة إلى القنوات الرسمية للإعلام و الاتصال لدعم ومشاركة الآخرين في الاهتمامات السياسية بل أصبح يبني أجدته من خلال الميديا الجديدة، بل ينتقل إلى مستويات أعلى يحاول من خلالها إقناع الآخرين بطروحات و توجهات سياسية معينة.

خامسا: التحديات التي تواجه وسائل الإعلام الجديد في دعمه للممارسات والقيم الخاصة بالمواطنة:

كغيرها من الوسائل الاتصالية والإعلامية الأخرى تواجه وسائل الإعلام الجديدة بمختلف تمثلاتها عددا من التحديات المرتبطة بممارسة قيم المواطنة والتمتع بها في المجتمع الجزائري، منها ما هو تقني يتعلق بالوسيلة في حد ذاتها كمعطى مادي، ومنها ما يتعلق باستعمالات الشباب لها والتي قد تتحو في بعض الأحيان منحنيات لا تتلاءم مع خدمة الصالح العام في البلاد، ومنها ما هو أخلاقي يرتبط بقيم المجتمع و المنظومة القيمية والأخلاقية فيه، وإجمالاً يمكن تحديد أهمها فيما يلي:

- صعوبة الوثوق والتحقق من صحة وصدقية العديد من البيانات والمعلومات التي تحويها بعض المواقع وبالتالي يصبح الشباب في وضع كهذا عرضة للعديد من المعلومات المغلوطة والتي تبني عليها مواقف بأكملها قد يكون لها الأثر السلبي على الممارسات السياسية الديمقراطية في البلاد.
- ضعف ضوابط السيطرة على تمدد التطرف والإرهاب، حيث تقوم بعض المواقع الالكترونية بعرض طرق تصنيع الأسلحة والقنابل وكيفية استخدامها، مما قد يترتب عليه نشر العنف والفوضى يقابل ذلك عدم قدرة الدولة على التحكم في آليات الرقابة على مواقع التنظيمات الإرهابية عبر مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة و هو ما من شأنه أن يضع الشباب الجزائري اليوم تحت خطر الفكر المتطرف دون أن يكون بمقدور المؤسسات المخول لها مراقبة سلوكياته أداء الأدوار المنوطة بها.
- صعوبات متعلقة بامتلاك التكنولوجيا في حد ذاتها، ومدى قدرة الدولة على توفير البنى التحتية والإمكانيات التكنولوجية اللازمة لتمكين الشباب من ممارسة الأدوار الخاصة بهم في مجال المواطنة والمواطنة العالمية، خصوصا إذا أدركنا أن هناك فجوة معرفية كبيرة في مجال امتلاك الوسيلة بين الدول المتقدمة والدول الأخرى على غرار الجزائر.

خاتمة:

أدى ظهور الإعلام الجديد إلى التغيير في قواعد حرية النشر والتعبير، وتدعيم الفكر الديمقراطي وحرية الإنسان وغيرها من الأفكار والمفاهيم السياسية والاجتماعية التي انتشرت حول العالم. ودفع انتشار هذا النوع من الإعلام إلى دراسة تأثيره على المواطنة، ومدى إسهامه في بناء مواطن جزائري فعال ومشارك. فإذا كان الوعي بالمواطنة هو نقطة البدء ، فإن المشاركة تبقى المرحلة الوسيطة للشعور بالانتماء الوطني وتحقيق المساواة، وهنا تأتي قدرة وسائل الإعلام الجديدة -لما لها من خصائص تقنية وقدرة على الاقتراب من قضايا مجتمعا وتمثيلها من وجهة نظر الجماهير- في المساهمة بدور فعال في ترسيخ مفاهيم الوعي والمشاركة المجتمعية والممارسة الديمقراطية؛ حيث ضمنت المشاركة الفاعلة دون قيود للمواطنين إذ يعتبر كل مشارك في وسائلها عضوا كامل الحقوق ومشاركا افتراضيا نشطا، كما أضعفت احتكار المعلومات ووفرت منابر جديدة لعرض الأفكار والآراء التي لا يمكن التحكم فيها وشجعت المواطنين على الإبداع ونمت لديهم خصال المواطنة الصالحة عبر تبنيتها مواهبهم وطرح أعمالهم على العديد من المواقع المجانية بسهولة ويسر.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- الحسين شعبان: نوافذ وألغام المجتمع المدني ، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع ، بيروت، 2009.
 - 2- بدر حمد الصلال: دور الفضائيات الكويتية الرسمية والخاصة في تعزيز المواطنة لدى الشباب الكويتي، مذكرة ماجستير في الإعلام، جامعة الشرق الأوسط، الأردن، 2012
 - 3- حسين محمود هتمي: العلاقات العامة وشبكات التواصل الاجتماعي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان- الأردن 2015.
 - 4- حسنين شفيق: الإعلام الجديد، الإعلام البديل تكنولوجيا جديدة في عصر ما بعد التفاعلية، دار فكر وفن للطباعة والنشر والتوزيع، 2011.
 - 5- عادل عبد الصادق ، الفضاء الإلكتروني والرأي العام : تغير المجتمع والأدوات والتأثير، سلسلة مفاهيم استراتيجية ، المركز العربي لأبحاث الفضاء الإلكتروني " ، ديسمبر 2010.
 - 6- عباس مصطفى صادق: الإعلام الجديد المفاهيم والوسائل والتطبيقات، دار الشروق، عمان-الأردن، 2008.
 - 7- عبد المجيد خليفة الكوت، المواطنة الرقمية : التحديات والتحديات، ورقة مقدمة إلى مؤتمر الإعلام الجديد وقضايا المجتمع المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة محمد خيضر - بسكرة ، الجزائر، نوفمبر - 2014 .
 - 8- فوزي شريطي مراد: التدوين الإلكتروني والإعلام الجديد، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، 2015.
 - 9- ماهر عودة الشمايلة وآخرون: الإعلام الرقمي الجديد، دار الإصدار العلمي للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، 2015. - مباركة زودة: دور الإعلام الاجتماعي في صناعة الرأي العام ، الثورة التونسية أنموذجاً، مذكرة ماجستير، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2012.
 - 10- محمد نور البصراتي، دور الإعلام الجديد في تعزيز المشاركة السياسية، ورقة مقدمة إلى مؤتمر الإعلام الجديد وقضايا المجتمع المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة محمد خيضر - بسكرة ، الجزائر، نوفمبر 2014 .
 - 11- نور الدين مبني: الإعلام الجديد والهوية الثقافية والاجتماعية للشباب، الشبكات الاجتماعية أنموذجاً، مجلة الكلمة، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، لبنان، 2014، ص 83.
- المواقع الإلكترونية:
- 12- الشباب وقيم المواطنة: موجود على الرابط soc210.yolasite.com يوم 23 .11 .2020 22:00
 - 13- المواطنة: متاح على الرابط 7olom.wataneaby.com.
 - 14- غازي التوبة: ماهي المواطنة؟ متاح على الرابط www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions
- المراجع الأجنبية:

15- Alberta Education , **Digital Citizenship Policy Development Guide**, School Technology Branch, Province of Alberta, 2012.

16- W,Lance Benett ; **Communicating Civic Engagement: Contrasting Models of Citizenship in the Youth Web Sphere**, Journal of Communication, Journal of Communication 61 ,2011.

اكتساب اللغة العربية لغةً ثانيةً -تجربة الطلبة الصينيين بجامعة تلمسان اختياراً-

عبد القادر سلامي¹

¹ جامعة تلمسان-الجزائر

البريد الإلكتروني: skaderaminaanes@gmail.com

تاريخ النشر: 2020/12/01م

تاريخ القبول: 2020/11/30م

المستخلص

إيماناً مناّ بأنّ القراءة انطلاقاً من مدونة هي أكثر المناهج ملائمة للوقوف على مدى اكتساب اللغة العربية لغةً ثانيةً ، فإنّ الدراسة الاستبائية الموالية ترمي إلى رصد مدى استيعاب اللغة العربية عند غير الناطقين بها، تلفظاً وكتابةً وفهماً؛ ومنهم شريحة من الطلاب الصينيين الوافدين على مركز التعليم المكثف للغات بجامعة تلمسان-الجزائر. و ترجع أسباب اختيارنا للموضوع إلى دوافع موضوعية، تتمثل في: -كون اللغة العربية من اللغات المعترف بها عالمياً، و التي تعزز العلاقات التواصلية وتعمق الروابط التجارية والاقتصادية بين دول العالم. -معرفة مدى اهتمام الأجانب باللغة العربية وإقبالهم على تعلمها. -الوقوف على واقع تعليم العربية للطلبة الصينيين بمركز التعليم المكثف للغات بجامعة تلمسان. -الكشف عن الطرق والوسائل الناجعة في تقريب العربية لغير أهلها، ومنهم الطلبة الصينيون. -الاطلاع على الصعوبات التي يواجهها الطلبة داخل المركز وتذليلها. وتهدف هذه الدراسة أساساً إلى: الإسهام في تطوير طرائق تعليم اللغة العربية وتقريبها لغير الناطقين بها صوتياً وصرافياً ونحوياً ودلالياً ليكون المركز قبلة لاستقطاب الطلبة الأجانب من شتى دول العالم ورائداً في خدمة و نشر العربية بوصفها أداة تواصل بين الشعوب العربية وغيرها من جهة وبيان خصائصها وأهميتها في مساندة التطور العلمي ومواكبة التقدم الحضاري من جهة أخرى. أما المنهج المتبع في الدراسة ، فهو المنهج الوصفي متخذين من التحليل أداة تقوم على وصف ماهية اكتساب اللغة وطرائق تدريسها. وتحليل نتائج الاستبيان والتعليق عليها.

الكلمات المفتاحية/ الناطقون بغيرها-استبيان- مركز التعليم المكثف للغات- جامعة تلمسان.الجزائر

RESEARCH ARTICLE

ARABIC LANGUAGE AS A SECOND LANGUAGE ACQUISITION: CHINESE STUDENTS EXPERIENCE IN THE UNIVERSITY OF TLEMCCEN

Abdul Qadir Salami¹

¹ University of Tlemcen – Algeria
skaderaminaanes@gmail.com

Accepted at 30/11/2020

Published at 01/12/2020

Abstract

Departing from the belief that reading through a corpus is the best method to explore the acquisition of Arabic as a second language. The following study based on a questionnaire aims at inquiring the extent of Arabic language assimilation among its non-native speakers as regards its spoken and written forms as well as its understanding. The sample includes, among others, a group of Chinese students learning Arabic at the Center for Intensive Language Teaching at the University of Tlemcen, Algeria. The reasons of our choice are motivated objectively as:

- Arabic is an internationally recognized language that consolidates communicative relations and intensifies economic and commercial ties among states.
- Seeking to assess interest and motivation to learn it among foreigners.
- Studying the actual situation of the teaching of Arabic to Chinese students in the Center for Intensive Language Teaching at the University of Tlemcen.
- Exploring efficient ways and means to bring Arabic closer to non-native speakers like Chinese students.
- Exploring difficulties encountered by students in the center and removing them.
- The present study aims essentially at participating at promoting methods of Arabic teaching and bringing it closer to non-native speakers phonologically, syntactically, morphologically and semantically and making it an attracting pole for foreign students and a pioneer center for serving Arabic and diffusing it as a means of communication among Arab peoples and others. It also aims at exposing its characteristics and importance in upkeeping with scientific and civilizational development.

In this study we used the descriptive methodology and used analysis as a tool based on the description of the process of language acquisition and its teaching methods as well as the results analysis and commentary.

Key Words: Arabic, non-native speakers, questionnaire, Chinese students Ceil-University of Tlemcen

مقدمة:

إن تعليمية اللغات من أبرز مجالات البحث في اللسانيات التطبيقية ترمي إلى معالجة المشاكل التي تعترض سبيل التعلم القديم للغة وتعليميتها، وقد انتعش هذا المجال بشكل بارز في الدول الغربية خلال النصف الثاني من القرن العشرين، وما فتئ أن ذاع صيته في العالم العربي نهاية الثمانينات وبداية التسعينات من ذات القرن.

ولما تنامي إقبال الشعوب في تعلم اللغة العربية ظهر ما يسمى تعليمية اللغة العربية لغير الناطقين بها، ويعد مركز التعليم المكثف للغات بجامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان- رائداً في هذا الميدان من خلال التكوين الذي يتلقاه الطلبة الصينيون خصوصاً داخل المركز.

ومن خلال ما سبق ارتأينا أن نخصص استبياناً يبحث في واقع تعليمية اللغة العربية للطلبة الصينيين بالمركز، حاولنا من خلاله الإجابة على التساؤلات الآتية:

ما أسباب إقبال غير العرب على دراسة اللغة العربية؟ ما الواقع الذي وصل إليه تعليم العربية للناطقين بغيرها؟ وما أنجع الطرق لدراستها؟

و ترجع أسباب اختيارنا للموضوع إلى دوافع موضوعية، تتمثل في:

-كون اللغة العربية من اللغات المعترف بها عالمياً، و التي تعزز العلاقات التواصلية وتعمق الروابط التجارية والاقتصادية بين دول العالم.

-معرفة مدى اهتمام الأجانب باللغة العربية وإقبالهم على تعلمها.

- الوقوف على واقع تعليم العربية للطلبة الصينيين بمركز التعليم المكثف للغات بجامعة تلمسان.

- الكشف عن الطرق والوسائل الناجعة في تقريب العربية لغير أهلها، ومنهم الطلبة الصينيون.

- الاطلاع على الصعوبات التي يواجهها الطلبة داخل المركز وتذليلها.

وتهدف هذه الدراسة أساساً إلى: تطوير طرائق تعليم اللغة العربية وتقريبها لغير الناطقين بها صوتياً وصرفياً ونحوياً ودلالياً ليكون المركز قبلة لاستقطاب الطلبة الأجانب من شتى دول العالم ورائداً في خدمة و نشر العربية كأداة تواصل بين الشعوب العربية وغيرها من جهة وبيان خصائصها وأهميتها في مساندة التطور العلمي ومواكبة التقدم الحضاري من جهة أخرى.

أما المنهج المتبع في الدراسة ، فهو المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم على وصف ماهية اكتساب اللغة وطرائق تدريسها. وتحليل نتائج الاستبانات والتعليق عليها.

أولاً: الدراسة النظرية:

تمهيد: مفاهيم أولية:

سنقف في هذا المدخل على مفاهيم تعد مفاتيح أولية؛ لاكتساب اللغة عموماً، واكتساب العربية لغة ثانية على وجه الخصوص.

1- مفهوم الاكتساب اللغوي:

أ- لغة:

الاكتساب من كَسَبَ، ويدلّ على ائْتِغَاء وطلب إصابة فالْكَسْبُ من ذلك، ويقال كَسَبَ أهله خيراً وكَسَبَتْ الرَّجُلَ مالا فَكَسَبَهُ، وهذا مما جاء فَعَلْتُهُ فَعَلْتُه فَعَّلْتُه، وكَسَبَ: أَصَابَ، واكْتَسَبَ: تَصَرَّفَ واجْتَهَدَ. (ابن فارس، 2005: 5/ 179 و ابن منظور، 13: 62/2005)

و الكسبُ طَلَبُ الرِّزْقِ، وأصلُّه الجَمْعُ، وكَسَبَ واكْتَسَبَ بِمَعْنَى. وَفُلَانٌ طَيَّبَ الكُسْبِ وَ(المَكْسَبَةُ) بكسر السين، و الكَسْبَةُ بكسر الكاف كله بمعنَى و(كَسَبْتُ) أهلي خيراً.و(كَسَبْتُهُ) مالا (فَكَسَبْتُهُ) وهذا مما جاء على (فَعَلْتُهُ) فَعَّلْتُه: وَالْكَوْاسِبُ الْجَوَارِحُ وَ (تَكَسَّبَ) تَكَلَّفَ الكُسْبَ، وَ الكُسْبُ بالضم عصارة الدهن. (وَرَجُلٌ كَسُوبٌ يَكْسِبُ، يَطْلُبُ الرِّزْقَ). وَكَسَابَ: اسم للذئب، وربما يجيء في الشعر: كَسَبَ وَكَسِيبَ، وَكَسَابَ، فَعَالَ، من كَسَبَ المال (النرازي، 1988: 570، والخليل ، 2002: 27 / 4)

ب- اصطلاحاً:

يعرّف اكتساب اللغة بأنه تلك العملية غير الشعورية، وغير المقصودة التي يتم بها تعلم اللغة الأم (لغة الأم)، ذلك أن الفرد يكتسب لغته الأم في مواقف طبيعية وهو غير واع بذلك، دون أن يكون هناك تعليم مخطط له، وهذا ما يحدث للأطفال حين يكتسبون لغتهم الأولى، فهم لا يتلقون دروساً منظّمة في قواعد اللغة، وطرائق استعمالها، وإنما يعتمدون على أنفسهم في عملية التعلّم مستعينين بتلك القدرة التي زودهم بها الله -تعالى- والتي تمكّنهم من اكتساب اللغة في فترة قصيرة و بمستوى رفيع (بخاري، 2013: 13).

ويتم اكتساب اللغة خلال السنوات الخمس الأولى من عمر الطفل، حيث أثبتت الدراسات أن حاسة السمع محط استقبال المثيرات الصوتية تعمل قبل أن يولد الطفل، فقد وُجِدَ أن الجنين في بطن أمه يبدي استجابة لبعض ما تصدر الأم من أصوات. وعندما يولد الطفل تولد معه القدرة على الكلام، ثم تتطور تدريجياً قدرته على النطق واستخدام اللغة، وفهم الكلام لتكتمل مع نهاية عامه الخامس. (مطر، دت: 02).

ثانياً: واقع تعليم اللغة العربية وأسباب إقبال غير العرب على دراستها:

تُدرج تعليمية اللغة العربية للناطقين بغيرها في مجال تعليمية اللغات الأجنبية، فهذا المجال ما كان ليكون له وجود لولا حاجة الناس منذ قرون إلى ضرورة تعلّم غير اللغات التي اكتسبوها منذ نعومة أظافرهم.

ويتزامن هذا مع تزايد اهتمام بعض الدول بنشر لغاتها وثقافتها الوطنية في أرجاء العالم، فمعلوم أنّ تعلّم أيّ لغة إنّما هو عملية ذهنية واعية؛ لاكتساب السيطرة على الأنماط الصوتية والنحوية والمعجمية إذ إنّ الفهم الواعي لها سابق للأداء اللغوي وشرط لحدوثه (قادري و بشار و آخرون، 2012).

فاللغة في مجملها تعدّ وسيلة صوتية يستخدمها الإنسان؛ للتعبير عمّا لديه من أحاسيس و أفكار، وهذه الوسيلة تمكّنه من التفاهم مع الآخرين (سويد و عبد الله، دت: 07).

ويشهد تعليم اللغة العربية في مختلف بلدان العالم لغير الناطقين بها اهتماماً متزايداً وانتشاراً مستمراً، ويُردُّ ذلك إلى إمكانية العالم العربيّ دولياً وانشغال العالم بقضاياها إلى جانب اهتمام البلاد العربية بنشر لغاتها وبذل جهود عديدة في إنشاء مراكز ومدارس لتعليمها في بلاد الغرب سواء لهؤلاء، الذين يقبلون على تعلّمها من غير الناطقين بها، أو أبناء العرب المسلمين المقيمين في المهجر (رشدي و الناقبة الناقبة، دت: 04).

فاللغة العربية باتت شائعة الاستعمال حتّى في غير محيطها العربيّ من جهة بوصفها ناقلة للثقافة العربية الإسلامية، التي ينطّلع إليها العالم في أحداثه الأخيرة من جهة ثانية واستثمار هذه اللغة في خدمة مجتمعنا وقضايانا الرئيسية من جهة ثالثة وهذا ينطّلب من وقت لآخر مراجعات؛ لتحديث طريقتنا في تعليم العربية وخاصة للناطقين بغيرها وتحديد مجالاتها وأولوياتها لا أن نترك لغتنا تعاني ثم نجعل الإشكال فيها، والحقيقة أن هذا إشكال الإنسان لا إشكال اللغة.

وفي مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، مادة التعلّم ما تزال قيد التأمّل والدقّة، ورغم وجود جهود فردية أو مؤسساتية إلاّ أنّها تنتظر منهاجاً متكاملاً يتبنّى العملية التعليمية، التي تتناسب وحاجة الدارسين كلّ حسب مستوياته وأغراضه ولا سيما في الدول الإسلامية غير العربية (كوشكشي، دت: 440).

ونتيجة لهذا الاهتمام المتزايد بتعليم العربية لغير الناطقين بها، سعت مؤسسات ومراكز عديدة إلى وضع مناهج وبرامج لتعليم اللغة العربية بنوعيات مختلفة من المتعلّمين ومستويات متعدّدة من الدارسين و قد نتج عن ذلك العديد من الكتب وأشكال المواد التعليمية كلّ منها أدى دوره في مكانه وينبغي أن تكثر وتزداد حتّى تفي الميدان كما في اللغات الأخرى (جوهر، دت: 10).

ويدخل الاهتمام باللغات الأجنبية لدى دولة (ما) في باب السياسة التعليمية، وهذا معناه أن التّركيز على لغة أجنبية واحدة أو عدّة لغات أساسه الرؤية الاستراتيجية للمجتمع.

وقد تعدّدت الأسس الاستراتيجية، التي يبنى عليها قرار اختيار تعليم لغة أجنبية معيّنة، فمن الأسباب ما كان اقتصادياً ومنه ما كان سياسياً، ومنه ما كان ثقافياً أو تاريخياً. (الحمد، دت: 227-326 و رشدي و الناقبة، 2006: 75).

ثالثاً: الاستبيان وأهميته التعليمية:

إن طريقة التدريس تحتل موقعا مهما في العملية التعليمية، لما لها من أهمية بالغة في تحقيق الأهداف المقترحة، و تتجلى أهميتها في أنها:

أ- تعين المدرّس على تحقيق أهداف التدريس بوضوح وتسلسل منطقي، ومن شأنها اختزال الوقت و الجهد في ذلك؛ مما تجعله أكثر قدرة على الأنشطة الحيوية و الفاعلة في الأداء .

ب- تتيح للمتعلمين امكانية متابعة المادّة الدراسيّة بالتدرّج، وتوفّر فرصة الانتقال المنظم من فقرة إلى أخرى و من موقف إلى آخر بوضوح محققين في ذلك أفضل تواصل بينهم و بين المدرّس .

ج- تزويد المتعلّم بالمعارف والمهارات؛ بهدف تنمية شخصيته تنمية شاملة؛ فإن ذلك يتطلب اكتساب معارف جديدة و تطوير مهارات معيّنة، وهذا يتوقف على مدى ملائمة الطّريقة، فكلما كانت الطّريقة ملائمة للمتعلمين كانت كميّة المعارف والمهارات المستوعبة ونوعيتها وكفايتها أدقّ و أوسع وأكثر ثباتا في الذّهن.

د- إن نجاح التّعليم مرتبط بنجاح الطّريقة المعتمدة؛ لأن الطّريقة السّديدة تعالج كثيرا من قصور المنهج و نقاط ضعف المتعلّم، وصعوبة المقرّر الدّراسي، زيادة على أنها يمكن أن تسهم إسهاماً كبيراً في إثارة دافعية المتعلّم نحو المادّة، وتحبّبها إليهم (عطية، 2006: 63).

وتعد الاستبانة أداة من أدوات الدّراسة في جمع المعلومات حول مشكلة البحث وموضوع الدراسة، وتساعدنا في تحصيل الحقائق التي نهدف إليها، وكذا التعرف على ملامح خبرات المفحوصين واتجاهاتهم نحو موضوع معين و ذلك من خلال توجيه أسئلة قريبة من الترتيب والصياغة وما شابه ذلك.

الاستبانة أداة لجمع البيانات من أفراد و جماعات كبيرة الحجم ذات كثافة سكانية عالية وعن طريق عمل استمارة تضم مجموعة من الأسئلة أو العبارات بغية الوصول إلى معلومات كيفية أو كمية و قد تستخدم مع غيرها من أدوات البحث العلمي الأخرى، و ذلك للكشف عن الجوانب التي يحددها الباحث.

ويعرفه بعضهم بأنه عبارة عن مجموعة الأسئلة المصممة للتوصل من خلالها إلى حقائق يهدف إليها الباحث . ويعرفه القحطاني بأنه أداة جمع بيانات ميدانية تتضمن مثيرات حسية ولفظية و استجاباتها الموصولة بواقع العمل وبمواقفه نحو الذات أو نحو الغير (حي أو جماد). (الجرجوي، 2010: 15-16).

فالاستبيان يعدّ أحد الوسائل التي يعتمد عليها الباحث في تجميع البيانات من مصادرها، و ذلك من خلال استنطاق الفئة المستهدفة من أجل الحصول على إجابات يتوقع الباحث أنها شافية ممّا يجعله يعتمد أحكامه من خلال النتائج المتوصل إليها.

لقد أبدى كثير من العلماء التجريبيين في أواخر القرن الماضي عدم رضاهم عن كفاية الطرق في دراسة السلوك البشري، وقد كان من بين الذين أعربوا عن عدم رضاهم عن كفاية الملاحظة الاستنباطية في دراسة السلوك البشري، و أدركوا فشل هذه الطريقة، والطرق المشابهة لها في الإجابة عن كثير من الأسئلة المتعلقة بالطفولة والشباب هو العالم الأمريكي ستانلي هول (G.StanlyHall) وأتباعه .

وقد مهد هذا الإدراك لفشل الطرق والوسائل التجريبية التقليدية في دراسة كثير من مظاهر السلوك البشري، وقد كان الاستبان من بين الأدوات جمع البيانات في مجال الأبحاث الاجتماعية.

و تذكر بولين يونج (pauluneyoung) أن استخدام الاستبان قد زاد زيادة ملحوظة في الولايات المتحدة الأمريكية فيالعشرين عاما الماضية، وخاصة بوساطة الحكومة والهيئات الصناعية و التجارية، وذلك لجمع بيانات تساعد على وضع تخطيط سليم لبرنامج هذه الهيئات كما استخدم الاستبان -أيضا- في البحوث الاجتماعية أداة مساعدة في جمع البيانات عن الظواهر الاجتماعية القابلة للقياس كما يستخدمها المهتمون بقياس الرأي العام في مجالات السياسة والتجارة والصناعة والصحة والإسكان

وغيرها في مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية (الحرجاوي، دت: 17-18).

على أنّ اعتماد الاستان يظلّ، في رأينا، من أنجع الوسائل المنظمة لجمع المعلومات وتحليلها بغرض اتخاذ إجراءات أو إصدار أحكام واتخاذ قرارات تهدف إلى تطوير وتحسين القدرات الاستيعابية للمتعلم، وبوصفه من أهم وأكثر أدوات جمع المعلومات والبيانات استخداماً في البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية.

ومن هذا المنطلق قمنا بتصميم استبيان مفتوح يتكوّن من مجموعة من الأسئلة المفتوحة للمبحث، فقد تركنا له الحرية في الإجابة حسب رأيه واعتقاداته واتجاهاته بما يسمح له بالتعبير الحر التلقائي عن رأيه وموقفه وإطاره المعرفي المرجعي وبألفاظه هو نفسه.

رابعاً- الدراسة الميدانية:

* توطئة عن الدراسة الميدانية:

1- شرح خطوات تصميم البحث وتطبيقاتها:

أ- مشكلة الدراسة: يتزايد عدد متعلمي اللغة العربية لأسباب جمة، ومنهم عدد كبير من الناطقين باللغة الصينية، وتواجههم في ذلك العديد من الصعوبات لذا كان من الواجب الغوص في هذه المشكلات لكشف الأسباب الكامنة خلفها لنبيين أخطاء الطلبة ونساعدهم في تعلم العربية ولنستنتج احتمالات وقوع المتعلمين الصينيين في الأخطاء، وإن ثمة أخطاء صرفية ونحوية متفاوتة لدى الطلبة ولاسيما في أثناء الكتابة .

ويواجه الأساتذة الكرام العديد من المشاكل أثناء تعليم اللغة العربية لغة ثانية، منها قضية التنسيق بين أهداف التعليم وعلى رأسها مسألة التواصل، وكذا اتقان النحو والصرف، نطق بعض الحروف الجديدة، الكلمات الجديدة.

والبعض من هذه المشكلات تكون نابعة من الطلبة أنفسهم أو من المعلمين، كما قد تكون نابعة من المنهاج الدراسي أو من

محيط العمل.

وقد رصدت هذه المشاكل بحكم الاحتكاك المباشر من خلال حضوري مع الطلبة الصينيين أثناء تلقينهم للدرس.

وفي ضوء ما سلف نقدم إشكالية بحثنا الموسومة باكتساب اللغة العربية لغة ثانية -تجربة الطلبة الصينيين بجامعة تلمسان

أ نموذجاً-.

ب- أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

- التعرف على مشكلات تدريس الأجانب في مركز تعليم اللغات بجامعة تلمسان من خلال وجهة نظر أساتذة اللغة العربية.
- إبراز إيجابيات ومميزات تعليم اللغة العربية للأجانب، ومدى تطبيقه في الجامعة الجزائرية عموماً، وجامعة تلمسان خصوصاً.
- إتقان استخدام اللغة العربية للناطقين بغيرها، ومعرفة خصائصها والتعرف على ثقافتها.
- الكشف عن الصعوبات التي تواجه كل من الأساتذة والطلاب.
- الكشف عن أثر التواصل الدائم باللغة العربية الفصحى على أداء المتعلم وتحصيله اللساني.
- الوصول إلى نتائج وتوصيات لتطوير برامج الناطقين بغيرها.
- ج- حدود الدراسة: للدراسة أربعة حدود:
- الحد الموضوعي: ويتمثل في رصد مشكلات التدريس، والكشف عن الفروق ذات الدلالة الإحصائية بفعل متغيرات الدراسة.
- الحد الزمني: ويتمثل في تطبيق الدراسة بالدورة التي مدتها ثلاثة أشهر لسنة 2018-2019 م.
- الحد المكاني: ويتمثل في أقسام مركز التعليم المكثف للغات بجامعة تلمسان، وكذا بعض الخرجات الميدانية إلى المكتبات، وكذا بعض الندوات بقسم اللغة العربية وهذا الاحتكاك بطلبة قسم اللغة العربية.
- الحد البشري: يتمثل في مجموعة من الطلبة الصينيين.
- د- أهمية الدراسة: تتوقف قيمة أي بحث على طبيعة الظاهرة المدروسة وقيمتها العلمية والتعليمية ومدى اسهامها في إثراء المعرفة العلمية والنظرية وحل المشكلات العلمية الميدانية، وعلى هذا الأساس تكتسب هذه الدراسة أهميتها في كونها تتناول موضوعاً جديراً

بالدراسة، هدفه معالجة الضعف اللغوي العام لدى متعلم اللغة العربية.

ولما كانت اللغة مرتبطة بمختلف المجالات الحياتية للفرد، وهي المادة الأولية التي ينبنى عليها جوهر هذا الموضوع، وأساس معطيات الدراسة، كانت أهمية هذا الموضوع تتجسد فيما يأتي:

- إبراز الأهمية في البحث على أنجح السبل والطرق لأن يسير تعليم اللغة العربية بكل بساطة للناطقين بغيرها وتدليل الصعوبات التي يواجهها طلبتنا الصينيون.
- بيان أهم المشاكل التي تعيق العملية التعليمية التعلمية.
- تقديم عدد التوصيات والمقترحات التي قد تسهم في حالة الأخذ بها في وضع الخطوات الأولى؛ لأن يكون تعليم العربية للناطقين بغيرها ناجحاً.
- تسهيل تعلم نطق الحروف والأصوات والكتابة والاستماع والتراكيب النحوية وأهم التحديات التي تواجه اللغة العربية لغة ثانية منذ بداية القرن الحادي والعشرين.
- إذا ما قللنا من التحديات يصح تعلم اللغة العربية للأجانب أسهل وأسرع وهذا ما يتيح الفرصة لانتشار اللغة العربية في مواطن لم تصلها قبل.
- لفت انتباه القائمين على العملية التعليمية إلى ضرورة تدريب المدرسين والمعلمين على كيفية محادثة المتعلم باللغة العربية الفصحى بشكل صحيح دون أخطاء واختيار الطريقة التعليمية الأنسب في التعليم، مع مراعاة لفت انتباههم إلى ضرورة التنوع في التدريس (الطرق، الاستراتيجيات والوسائل).

1- الإطار النظري للدراسة:

تعدّ اللغة العربية من الألسن التي تم الاهتمام بها على صعيد عالمي مما يبين قيمتها في تفاعل الحواريين اللغات وبالتالي بين مختلف الثقافات لذلك عملت الأنشطة الاتصالية الحديثة على تطوير طرائق تعليم هذه اللغة وتقريبها من الراغبين في تعلمها من ذوي الألسن الأخرى صوتياً وصرفياً ونحوياً ودلالياً.

أ- منهج الدراسة:

استخدمنا في هذه الدراسة المنهج الوصفي الذي يهتم بوصف الظاهرة محل الدراسة وتصويبها كميًا عن طريق جمع بيانات ومعلومات مقننة عن الظاهرة، وتصنيفها وإخضاعها للدراسة الدقيقة وكان هذا من خلال اعتمادنا على استقصاء استبباني لمدونة أعدت سلفاً.

ب- **مجتمع الدراسة:** قمنا بإجراء البحث في مركز التعليم المكثف للغات بجامعة أبو بكر بلقايد-تلمسان-. وسنقدم فيما يأتي تعريفاً لمجتمع البحث:

- **مركز التعليم المكثف للغات:** هيكل بيداغوجي يندرج ضمن الخدمات المشتركة بجامعة أبو بكر بلقايد تلمسان؛ لأنه يرتبط مباشرة مع رئاسة الجامعة (Rectorat)، أنشئ عام 1994، عمل مركز تلمسان في البداية تحت تسمية، معهد: معهد تعميم اللغة العربية والتعليم المكثف للغات GLAEILمقارنة مع القضايا السياسية الجزائرية في تلك الفترة. في مارس 2008 يظهر بتسمية جديدة، وأصبح مركز التعليم المكثف للغات CIEL، مهمته الرئيسية دعم الطلاب في المجال اللغوي والاجتماعي والثقافي بين عامي 2008-2010، عقد المركز شراكة مع SCAC، بسفارة فرنسا في الجزائر وتلقى المديرين التنفيذيين لكل مراكز اللغة في الجزائر عدة تدريب في CIEP في سيفر، وكان ذلك في مجال التدريب الهندسي وإدارة مراكز اللغة في أكتوبر 2009م نظم المركز بجامعة تلمسان، بالتعاون مع سفارة في الجزائر ندوة دولية في مجال فن التعليم اللغة الفرنسية لأغراض معينة (الفرنسية لأهداف علمية) مع رعاية وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

يقدم مركز اللغة لتلمسان عدة دورات لتعليم اللغات لصالح الطلبة (الجزائريين والأجانب) ولدعم التدريب المتعدد التخصصات والإسهام في نجاحها، بالنسبة للمعلمين، فهم ذوي خبرة وحيوية، يرافقون المتعلمين خلال دورات ويحاولون تلبية احتياجاتهم في جميع مستويات اللغة وهي الفرنسية و الإنجليزية والإيطالية والألمانية والمندرين (الصينية)، واللغة التركية والإسبانية والروسية واللغة العربية الفصحى والعامية للأجانب.

يستضيف المركز - اليوم - أكثر من 1000 في كل دورة، ويتقدم إلى المركز من جميع كليات جامعة تلمسان.

- المدارس الإعدادية في الاقتصاد والإدارة والعلوم والتكنولوجيا.
- من الخارج، وتحديدًا من أفريقيا وأوروبا وآسيا في إطار مشاريع التعاون الدولي وبين الجامعات (إفريقيا، جنوب الصحراء الكبرى، إيطاليا، ألمانيا، الصين، وفرنسا...) ويتم التكوين لبضع أشهر في مجال تعليم اللغة الفرنسية لغة أجنبية FLE وكذلك اللغة العربية.
- من جميع القطاعات المهنية، جمهور واسع جدًا، كل على حسب احتياجاتهم للغات بحسب حياتهم المهنية (https://ciel.univ_tlemcen.dz).

ج- عينة الدراسة:

تتكون العينة من مجموعة الطلاب والطالبات الصينيين الدارسين للغة العربية في السنة الرابعة بمركز التعليم المكثف للغات (تلمسان).

د- متغيرات الدراسة:

حددت الدراسة الحالية متغيرات لها، لمعرفة الاختلافات في إجابات عينة البحث نحو مشكلات التعليم الخاصة باكتساب اللغة العربية لغة ثانية.

المبحث الثاني: الدراسة الاستطلاعية:

كما سبق وذكرنا وكون الاستبانة أحد الوسائل التي يعتمد عليها الباحث في تجميع البيانات من مصادرها، وكونه يعتمد كذلك على استطلاع الناس المستهدفين بالبحث من أجل الوصول إلى إجاباتهم عن الموضوع والتي يتوقع الباحث أنها شافية مما يجعله يعمم أحكامه من خلال النتائج المتوصل إليها على آخرين لم يشاركوا في الاستطلاع الاستباني (سعيدي ، 2014: 117 و عقيل، 1999: 148) ، ومن خلال هذا قمنا بتصميم عبارات الاستبيان وقد عرضناه على محكمين مختصين في التربية والمناهج ، وذلك حتى يتسنى لنا النفع بصلاحية الاستبانة كأداة لجميع البيانات التي يتطلبها البحث، إلى أن وصل الاستبيان إلى شكله النهائي.

أ- تصميم الاستبيان:

جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

أسئلة الاستبيان موجهة إلى الطلبة الصينيين المنتسبين إلى "المستوى الثالث" بمركز التعليم المكثف للغات بجامعة تلمسان، الجزائر. زملائي الطلبة:

نقوم بإجراء دراسة بعنوان: اكتساب اللغة العربية لغة ثانية-تجربة الطلبة الصينيين بجامعة تلمسان أنموذجاً-.

وقد أعدنا أسئلة نرجو منكم التكرم بالإجابة عنها، إسهاماً منكم في التوصل إلى نتائج وتوصيات تدعم مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بالمركز.

وشكراً لكم تعاونكم مع فائق التقدير والاحترام.

نموذج يوضح شكل الاستبيان:

- 1- الجنس: ذكر أنثى
- 2- العمر:
- 3- الوضعية الاجتماعية: طالب موظف غير.....
- 4- هل تقيم في الحي الجامعي؟
- 5- ماهي دوافعك لتعلم اللغة العربية؟
- 6- هل سبق لك وأن درست اللغة العربية بالصين؟ أو في غيرها؟
- 7- ما هو المستوى التعليمي الذي تنتسب إليه حالياً؟
- 8- كم ساعة تدرس في الأسبوع تحضيرا لدراستك في مركز التعليم المكثف للغات؟
- 9- هل تناقش بعض الدروس مع زملائك؟
- 10- أين تقوم بتحضير دروسك؟
- 11- هل واجهتك صعوبات أثناء متابعتك لسير الدروس في مركز التعليم المكثف للغات؟
- 12- هل واجهتك صعوبات أثناء تحضير دروسك؟ ماهي؟
- 13- ما هي نسبة تقدمك في اكتساب اللغة العربية نطقاً؟...قراءة؟...وكتابة؟.....
- 14- الآن بعد فصل من الدراسة، هل ترى أن مستواك الدراسي في العربية قد تحسن؟
- 15- ما هي المواد الذي تميل إليها أكثر من غيرها؟
- 16- ما هي المواد الذي لا تميل إليها أو لا ترغب فيها أكثر؟
- 17- هل تفضل طريقة التدريس التي تعتمد الشرح أكثر من الإملاء أو الوسائط الإلكترونية أكثر؟..
- 18- ما هي المواد التي تشعر أن الفائدة منها كانت معدومة أو محدودة جداً؟
- 19- هل ترى أن المواد المدرسة المتخصصة في البرنامج ذات فائدة دراسية لك؟
- 20- هل أنت سعيد لكونك طالبا تدرس اللغة العربية في المركز المكثف للغات بجامعة تلمسان؟
- 21- هل هناك ملاحظات أو أفكار أو اقتراحات مهمة تود أن تضيفها؟ ما هي؟
- 22- هل تستهويك مهنة التعليم بعد تخرجك؟

23- هل ترى لشهادة التخرج من المركز المكثف للغات مستقبلا في سوق العمل؟

ج- صعوبات الاستبيان: جاءت كما يأتي:

- إهمال بعض الطلاب ملء الاستبيان بشكل مضبوط؛ أي ملء بعض عبارات الاستبيان مما أدى بي إلى استبعاد عدد منها.
- كثرة الأخطاء الإملائية والنحوية.
- عجز بعض الطلبة عن فهم الأسئلة وبالتالي عجزهم عن الإجابة.
- عدم قدرتهم على صوغ جمل مفيدة وواضحة.
- عدم قدرتهم على تحديد بداية الجملة ونهايتها.
- الحشو والتكرار.

المبحث الثالث: دراسة تحليلية للاستبيان:

أولاً- تحليل نتائج الاستبيان:

لقد تبين من فرز وتحليل استبيانات الطلبة أنهم يرغبون في تعلم اللغة العربية إلا أنهم يعانون من بعض الصعوبات وقد حصروها في عوامل بيداغوجية وعوامل نفسية، وعوامل ثقافية، أما عن اقتراحاتهم في علاج هذه المشكلات والصعوبات، فقد تعددت وتنوعت على خلفية فروقهم الفردية.

أ- تحليل نتائج الاستبيان: يتضح من بعد ما جمعنا المعلومات من الاستبيان أن أفراد عينة الدراسة (الطلبة الصينيين المستوى الرابع) يرون كل ما يأتي بمثابة مشكلة من المشكلات التي تتعلق بتدريس اللغة العربية، وهي كالاتي:

1- جنس العينة: يمكن تمثيل أفراد عينة البحث من حيث الجنس كالتالي:

المتغير	العدد	النسبة
الجنس	الإناث	12
	الذكور	01
	إجابة غير واضحة	03
المجموع	16	% 100

جدول رقم 01: جنس أفراد عينة البحث

يمكن تمثيل هذه النتائج بالرسم البياني الآتي:



الرسم البياني رقم 01: جنس أفراد عينة البحث

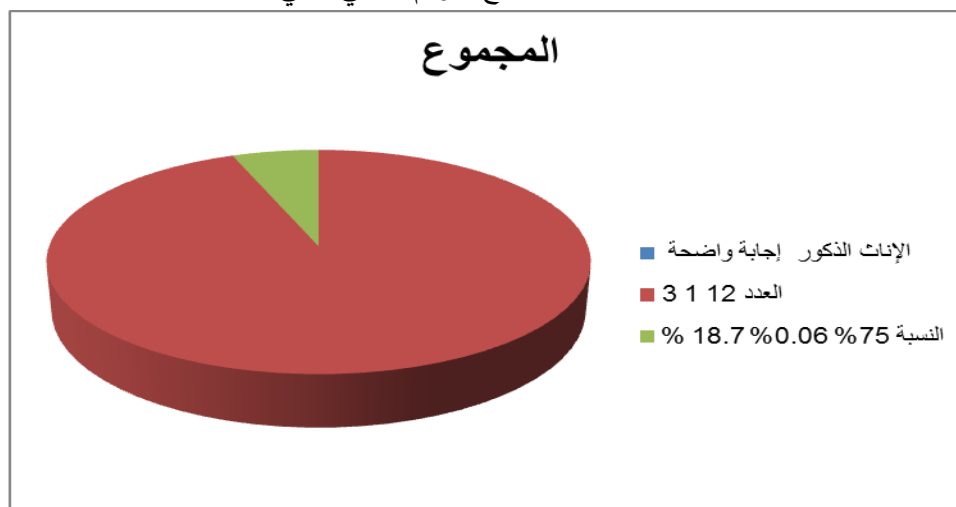
كانت أعلى نسبة لجنس أفراد العينة للطلبة من الإناث حيث قدرت بـ75%، أما نسبة الذكور فكانت نسبة منعدمة، إذ قدرت بـ 0.06% في حين أن هناك نسبة 18.7%، لم يفهموا السؤال ويرجح أنهم من الإناث؛ لأنهن لمحن إلى ذلك من خلال إجابتهن ب: الجنس اللطيف.

العمر: يمكن تمثيل أفراد عينة البحث من حيث العمر كالآتي:

المتغير	العدد	النسبة
العمر	19	12.5%
	20	25%
	21	62%
المجموع	16	100%

جدول رقم 02: عمر أفراد عينة البحث

يمكن تمثيل هذه النتائج بالرسم البياني الآتي:



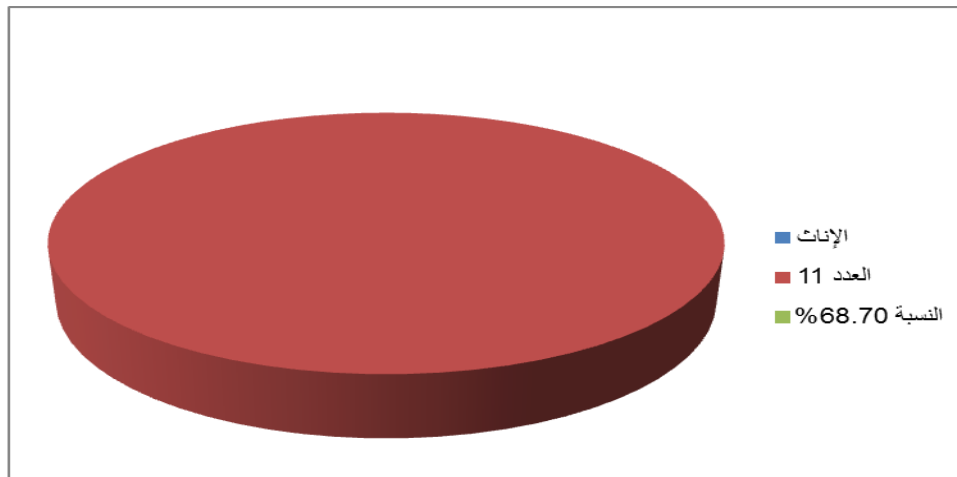
الرسم البياني رقم 02 عمر أفراد عينة البحث:

يتضح من خلال الجدول والرسم البياني أعلاه أن أعلى نسبة لأعمار أفراد عينة البحث هم البالغين من العمر 21 سنة حيث قدرت نسبتهم ب: 62% في حين نجد الفئات العمرية 19-20 سنة كانت نسبها المئوية على التوالي، 18.5 و 25% يمكن تمثيل أفراد عينة البحث من حيث وضعيتهم الاجتماعية كالآتي:

المتغير	العدد	النسبة
الوضع الاجتماعية	طالب	100%
	موظف	00%
	غير	00%
المجموع	16	100%

جدول رقم 03: الوضع الاجتماعية

يمكن تمثيل هذه النتائج بالرسم البياني الآتي:



الرسم البياني 03: الوضعية الاجتماعية

يتضح من خلال الجدول أعلاه أن كل أفراد عينة البحث هم من الطلبة فقط حيث قدرت نسبتهم ب 100% على حساب المتغيرات الأخرى (البحث عن وظيفة أو غير ذلك). وقد حضروا إلى الجزائر من أجل مواصلة تعليمهم للغة العربية فقط، وليس من أجل البحث عن فرص العمل أو غير ذلك.

هل تقيم في الحي الجامعي؟

يمكن تمثيل أفراد عينة البحث من حيث مكان إقامتهم بالجدول الآتي:

المتغير	العدد	النسبة
مكان الإقامة	الإقامة الجامعية	11
	الفندق	05
المجموع	16	100%

جدول رقم 04 مكان إقامة عينة البحث

يمكن تمثيل هذه النتائج بالرسم البياني الآتي:



رسم بياني رقم 04: مكان إقامة عينة البحث.

تظهر نتائج الجدول أعلاه أن جل الطلبة يقيمون في الحي الجامعي وذلك بنسبة 68.70%، أما الطلبة المقيمين في الفندق، فهم أقل نسبة وذلك بنسبة قدرها 31%.

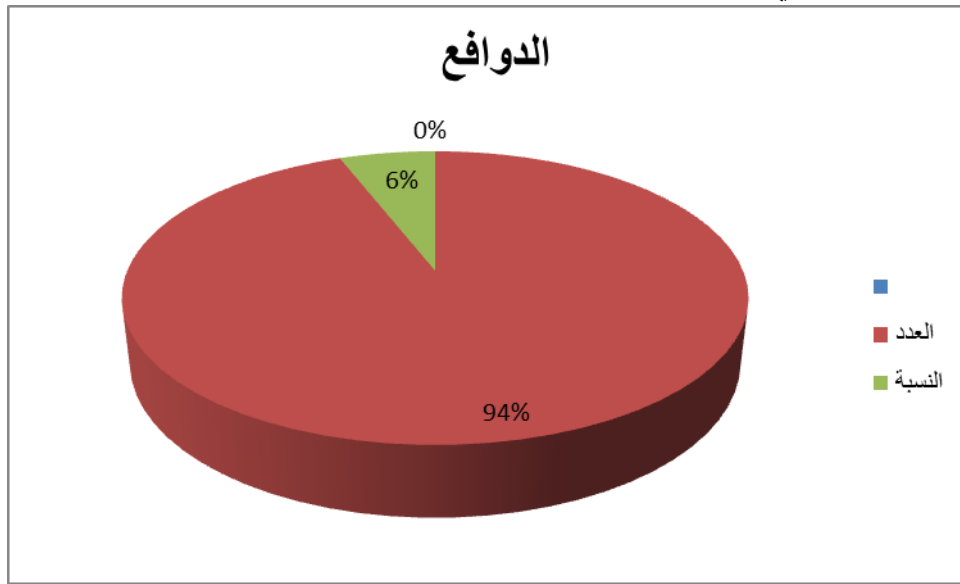
5- ما هي دوافعك لتعلم اللغة العربية؟

يمكن تمثيل هذا السؤال بالجدول الآتي:

المتغير	العدد	النسبة
دوافع	بحكم التخصص	10
	دوافع أخرى	06
المجموع	16	100 %

جدول رقم 05: دوافع أفراد عينة البحث لتعلم العربية

يمكن تمثيل هذه النتائج بالجدول الآتي:



رسم بياني رقم 05: تمثيل دوافع الطلبة لتعلم العربية

اختلفت دوافع الطلبة لتعلم اللغة العربية، أجمع معظمهم على أن دافعهم لتعلم العربية كان بحكم تخصصهم، و لإيجاد فرص عمل بالمستقبل وكان ذلك بنسبة 62% في حين أجاب آخرون بأن دوافعهم كانت الاطلاع على ثقافة العرب وتراثهم الديني والاجتماعي وكذا الاطلاع على الآداب العربية بمختلف أنواعها وكان ذلك بنسبة 37% من مجموع إجابات الطلبة على الاستبيان.

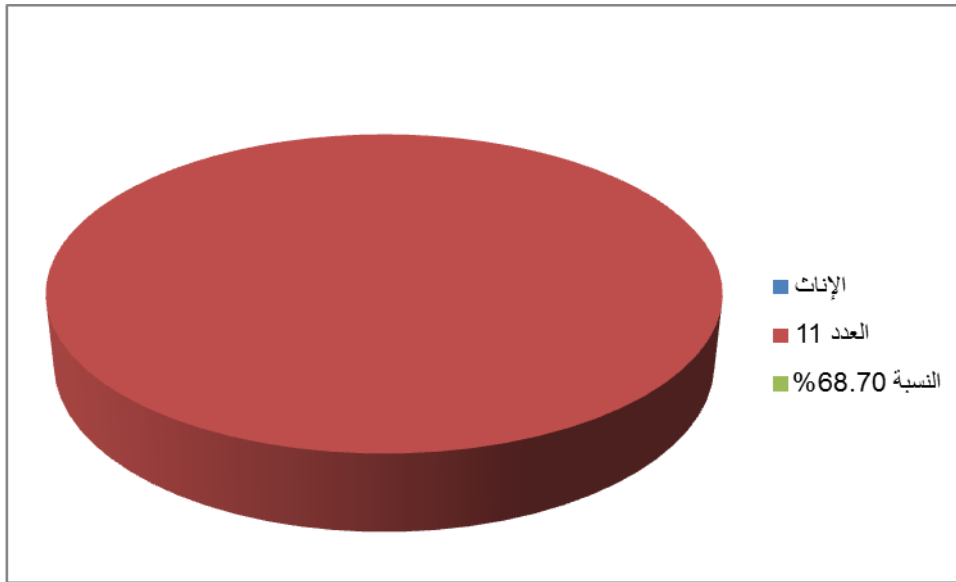
6- هل سبق وأن درست اللغة العربية بالصين أو في غيرها؟

يمكن تمثيل هذا السؤال بالجدول الآتي:

المتغير	العدد	النسبة
نعم	16	100%
لا	0	0%
المجموع	16	100 %

جدول رقم 06: إجابات الطلبة حول دراستهم للعربية

يمكن تمثيل هذه النتائج بالرسم البياني الآتي:



رسم بياني رقم 06: يوضح إجابات الطلبة.

عند قراءتي لنتائج الجدول أعلاه لاحظت أن كل الطلبة دون استثناء قد درسوا اللغة العربية سابقا بجامعة SisU بالصف لمدة سنتين.

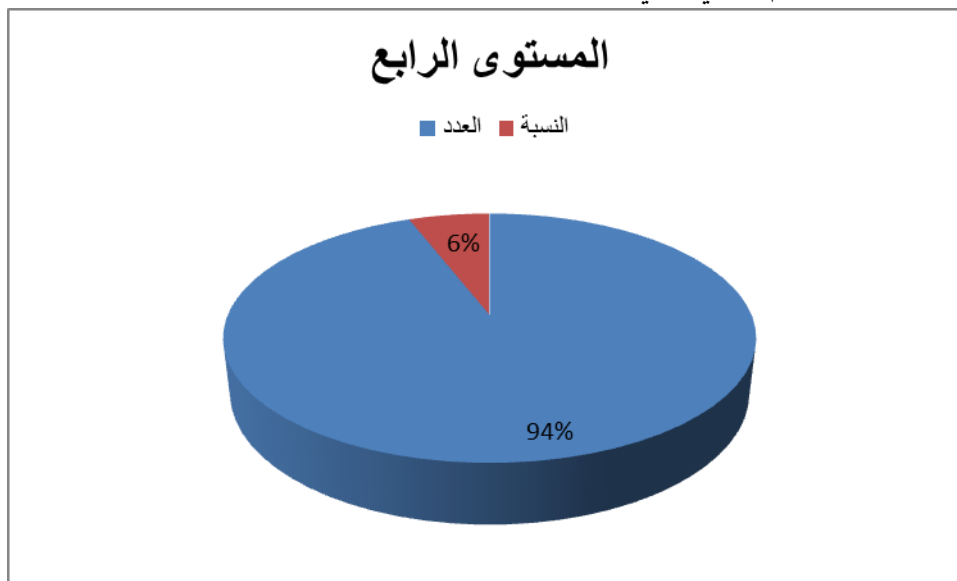
7- ما هو المستوى التعليمي الذي تنتسب إليه حاليا؟

يمكن تمثيل هذا السؤال بالجدول الآتي:

المتغير	العدد	النسبة
المستوى الرابع	16	%100
المجموع	16	%100

جدول رقم 07: يوضح مستوى الطلبة

يمكن تمثيل النتائج من الجدول بالرسم البياني الآتي:



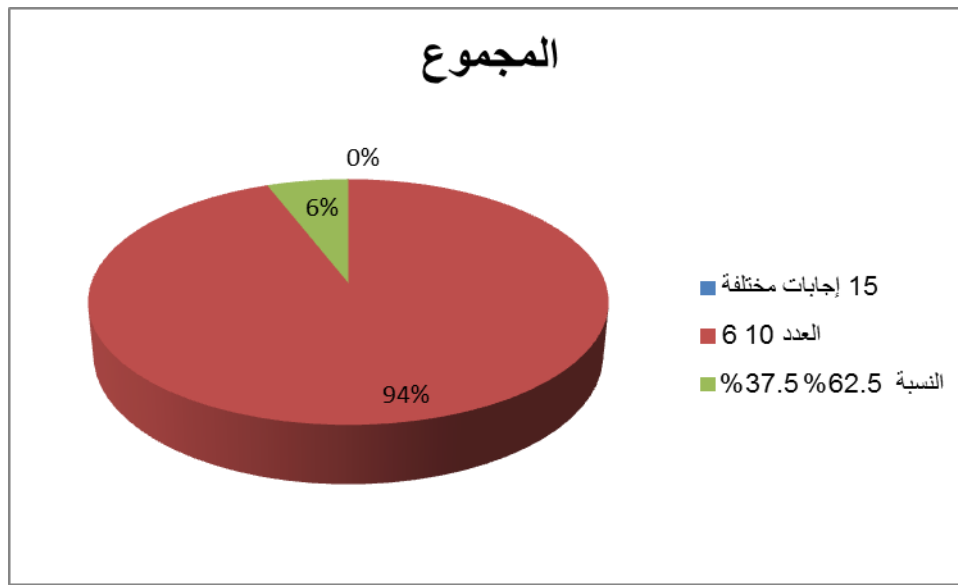
رسم بياني رقم 07: المستوى التعليمي للطلبة.

من خلال إجابات الطلبة يتضح أنهم لم يفهموا السؤال، فقد أفصحوا بدلا عن ذلك، على مستوى استيعابهم للغة وما تحقق لهم منها كتابة ونطقا وفهما بحيث تتراوح بين المتوسط والجيد.

وقد توصلت إلى أنهم يدرسون في المستوى الرابع من خلال حضوري معهم أثناء تلقينهم للدروس
8- كم ساعة تدرس في الأسبوع تحضيرا لدراستك في مركز التعليم المكثف للغات؟
يمكن تمثيل هذا السؤال بالجدول الآتي:

النسبة	العدد	المتغير	
		نعم	لا
62.5%	10	15	
37.5%	06	إجابات مختلفة	
100%	16	المجموع	

جدول رقم 08: عدد ساعات الدراسة



رسم بياني رقم 08: عدد ساعات الدراسة

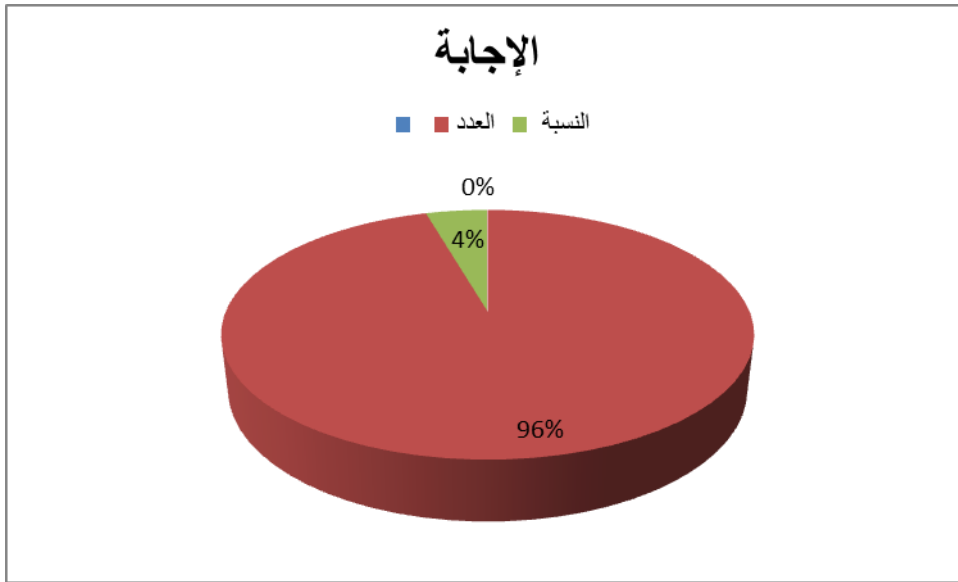
اختلفت إجابات الطلبة حول عدد الساعات التي يدرسونها أسبوعيا فقد أجابوا بنسبة 62.5% بأنهم يدرسون 15 ساعة، في حين أجابت نسبة 37.5% إجابات مختلفة تتراوح من 05 إلى 14 ساعة.

9- هل تناقش بعض الدروس مع زملائك؟

النسبة	العدد	المتغير	
		نعم	لا
96%	13	نعم	
04%	03	لا	
100%	16	المجموع	

جدول رقم 09: يوضح إجابات طلبة حول مناقشتهم للدروس.

يمكن تمثيل نتائج الجدول بالرسم البياني الآتي:



رسم بياني رقم 09: إجابات الطلبة حول مناقشتهم للدروس

تظهر نتائج الجدول أعلاه أن مجمل الطلبة يقومون بمناقشة دروسهم مع زملائهم وقد قدرت نسبتهم بـ 96%، وهذا تحضيرا لتلقي دروسهم في القسم لكي تسهل عليهم عملية التلقي في ظروف وأجواء مريحة، ولكي يكونوا على دراية بالمادة التي سيحضرونها ولكي لا يشعروا بصعوبة في التعلّم بل ليتقبّلوا الدرس ويندمجوا فيه بشغف ورغبة في حين قدرت نسبة الطلبة الذين لا يهتمون بمناقشة دروسهم بـ 4% فقط.

10- أين تقوم بتحضير دروسك؟

يمكن تمثيل هذا السؤال بالجدول الآتي:

المتغير	العدد	النسبة
الإقامة	الفندق	69%
	الجامعة	31%
المجموع	16	100%

جدول رقم 10: يمثل مكان تحضير الدروس

يمكن تمثيل نتائج الجدول بالرسم البياني الآتي:



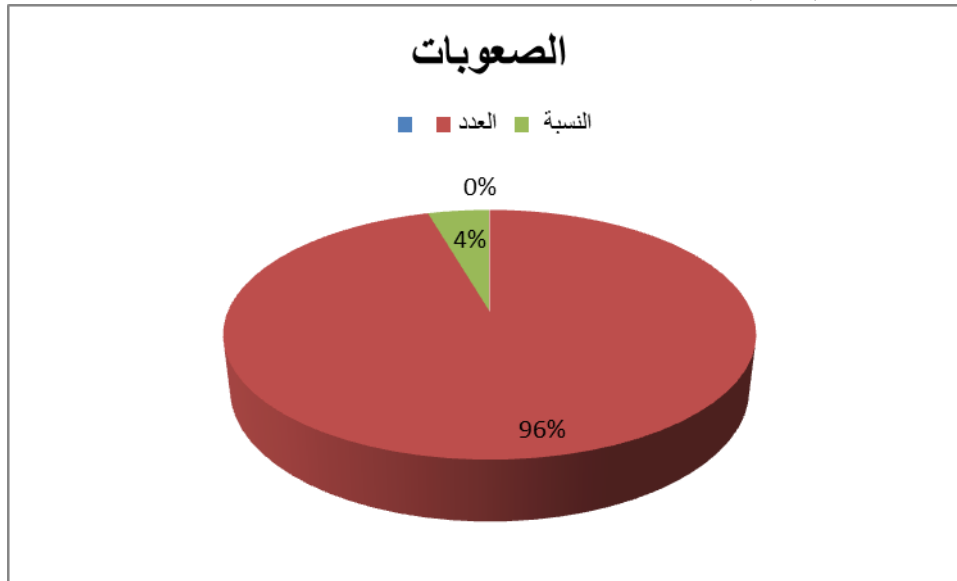
رسم بياني رقم 10 يمثل مكان تحضير الدروس

يتضح من خلال الجدول أعلاه أن نسبة 69% من الطلبة يحضرون دروسهم في الإقامة الجامعية أو الفندق وذلك بقراءة

المادة التعليمية المراد دراستها وفهمها وتحليل عناصرها ذهنيا قبل الحضور لقاعة الدرس، في حين أن نسبة 31 % من الطلبة لا يقومون بالاطلاع على دروسهم إلا بعد حضورهم للجامعة.
11- هل واجهتك صعوبات أثناء تحضير دروسك، ما هي؟
يمكن تمثيل هذا السؤال بالجدول الآتي:

المتغير	العدد	النسبة
الصعوبات	13	61%
	03	19%
المجموع	16	100%

جدول رقم 11: إجابات الطلبة بنعم أو لا
يمكن تمثيل الجدول بالرسم البياني التالي:



من خلال الجدول أعلاه يتضح أن جل الطلبة يعانون العديد من الصعوبات أثناء تحضيرهم للدروس وقدرت نسبتهم ب 61 % ننكر من هذه الصعوبات، ضيق الوقت، نطق بعض الحروف، القواعد النحوية، عدم توفر الكتاب المدرسي، عدم الفهم نظرا لسرعة بعض الأساتذة في الحديث، صعوبة نطق الكلمات الجديدة، في حين قدرت نسبة الذين أجابوا "لا"، لا توجد أي صعوبات ب 31%.
12- ما هي نسبة تقدمك في اكتساب اللغة العربية، نطقا، قراءة، كتابة ؟
يمكن تمثيل هذه النتائج بالجدول التوضيحي التالي:

الطلبة	النطق	القراءة	الكتابة
1	50	60	60
2	60	70	70
3	50	50	70
4	70	50	50
5	80	70	75
6	60	60	60
7	70	70	70
8	80	70	50

75	70	80	9
70	65	65	10
70	80	80	11
70	65	65	12
60	70	70	13
80	70	60	14
/	/	/	15
/	/	/	16
66.42	65.35	67.14	المجموع

جدول يوضح نسب تقدم الطلبة (النطق، القراءة، الكتابة)

يتضح من الجدول أعلاه أن مستوى الطلبة قريب من الجيد.

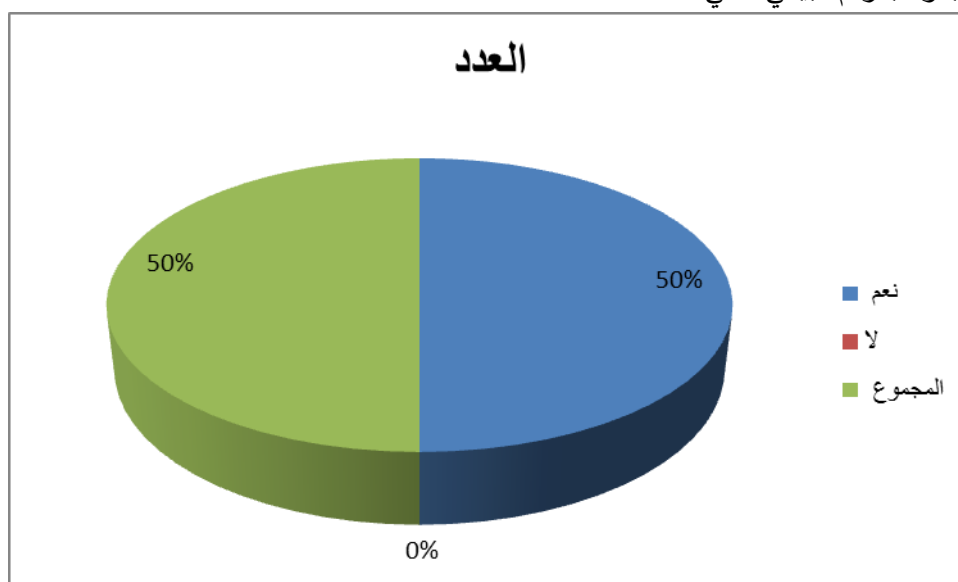
13- الآن، وبعد فصل من الدراسة، هل ترى مستواك الدراسي قد تحسن؟

يمكن تمثيل هذا السؤال بالجدول الآتي:

الاجابة	العدد	النسبة
نعم	16	%100
لا	00	%00
المجموع	16	%100

جدول رقم 13 إجابات الطلبة

يمكن تمثيل هذا الجدول بالرسم البياني الآتي:



يتضح من خلال الجدول أعلاه أن كل الطلبة راضون عن المستوى الذي وصلوا إليه فقد أجابوا كلهم بنعم، بنسبة قدرت ب %100.

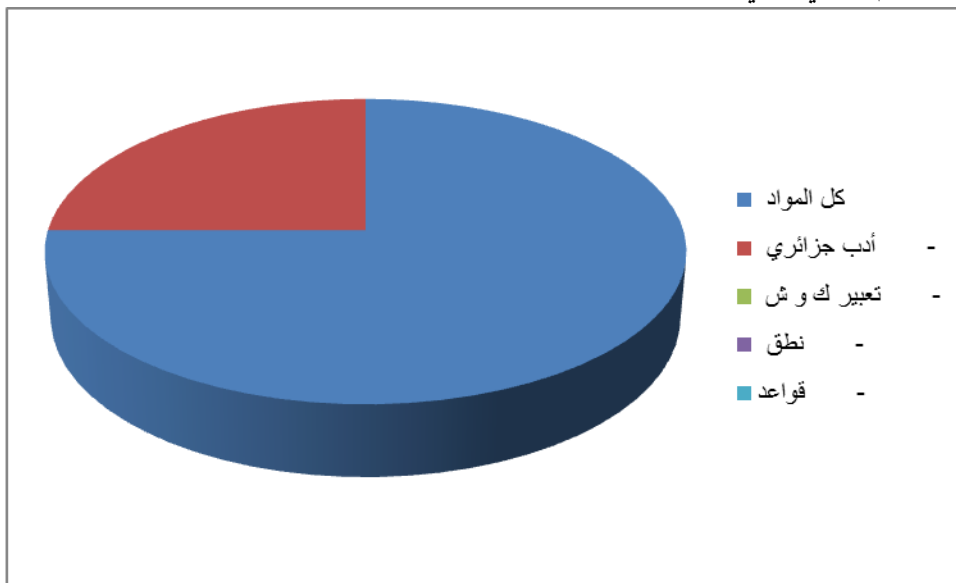
14- ما هي المواد التي لا تميل إليها أو ترغب فيها أكثر؟

يمكن تمثيل هذا السؤال بالجدول الآتي:

النسبة	العدد	المتغير	
		75	12
25	04	- أدب جزائري - تعبيرك و ش - نطق - قواعد	المواد غير مرغوب فيها
100	16	المجموع	

جدول رقم 14: المواد المرغوب وغير المرغوب فيها

يمكن تمثيل الجدول بالرسم البياني الآتي:



رسم بياني رقم 14: المواد المرغوب فيها وغير المرغوب فيها.

يتضح من خلال الجدول أعلاه أن نسبة 75% من الطلبة المبحوثين يرغبون في كل المواد ويحبونها في حين أن هناك 25% منهم لا يرغبون في عدة مواد: وهي أدب جزائري، والتعبير الشفوي والكتابي، ونطق قواعد.

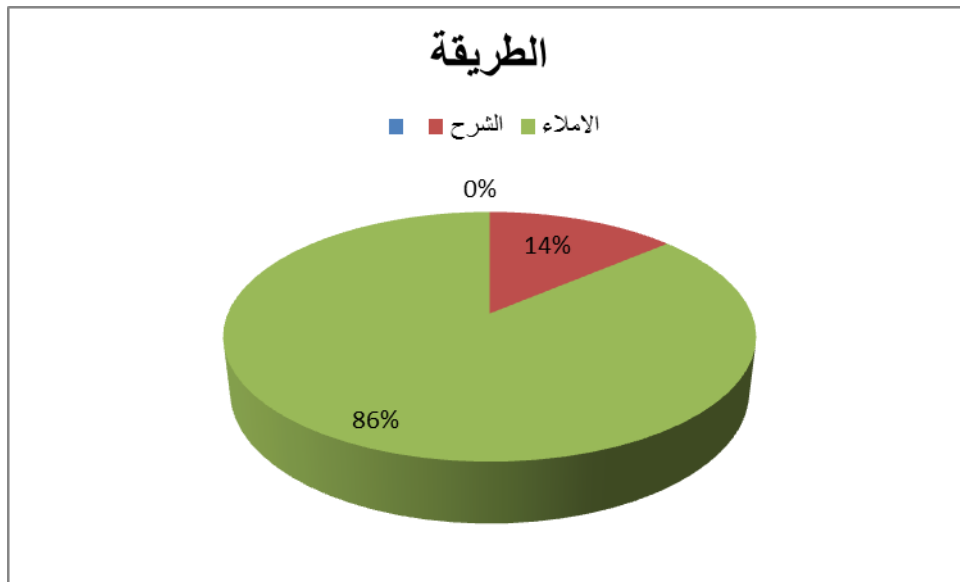
15- هل تفضل طريقة الشرح دون الإملاء؟ أكثر من غيرها؟

يمكن تمثيل هذا السؤال بالجدول الآتي:

الاملاء	الشرح	المتغير	
		69	11
31	05	الاملاء	
100	16	المجموع	

جدول رقم 15:

يمكن تمثيل الجدول بالرسم البياني الآتي:



رسم بياني رقم: 15

يتضح من خلال الجدول أعلاه أن أحد عشر من الطلبة والذين يمثلون نسبة 69% يجيدون طريقة الشرح وأن خمسة من الطلبة والتي قدرت نسبتهم ب 31% فقد فضلوا طريقة الإملاء.

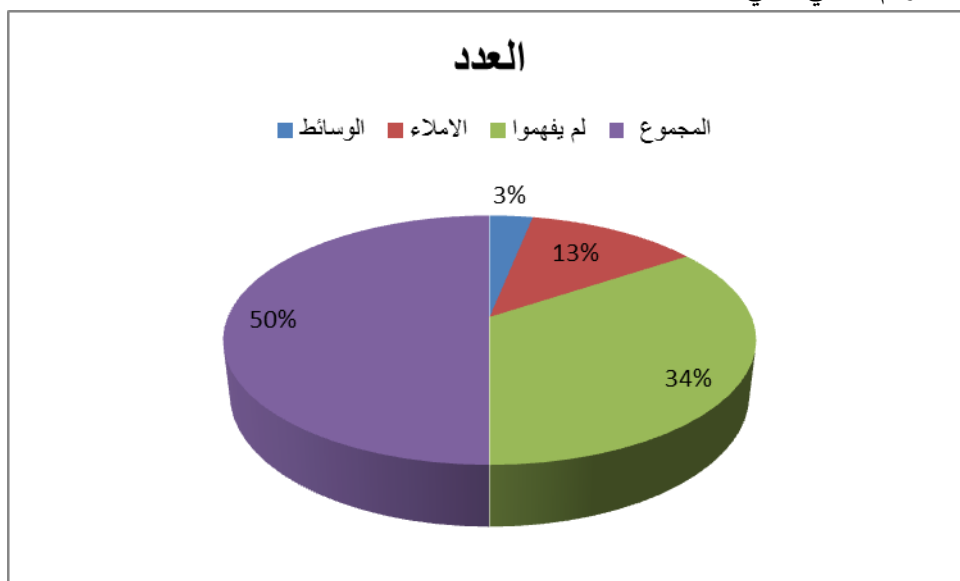
16- هل تفضل طريقة التدريس التي تعتمد الشرح أكثر من الإملاء أو الوسائط الإلكترونية أكثر؟

يمكن تمثيل هذا السؤال بالجدول الآتي:

الطريقة	العدد	النسبة
الوسائط	1	06%
الإملاء	4	25%
لم يفهموا	11	69%
المجموع	16	100%

جدول رقم 16:

يمكن تمثيل الجدول بالرسم البياني الآتي:



رسم بياني رقم 16

تباينت آراء الطلبة في تقديرهم السؤال، بل وإن أغلبهم لم يفهموه، وقد قدرت نسبتهم بـ 69% حيث خرجت إجاباتهم عن نطاق السؤال المطروح، في حين أجاب آخرون بأن طريقة الإملاء هي الأفضل، وقد وصلت نسبتهم إلى 25% في حين كانت أقل نسبة للذين فضلوا الوسائط الإلكترونية.

17- هل ترى أن المواد المدرسة لها فائدة لك ؟

يمكن تمثيل هذا السؤال بالجدول الآتي:

المتغير	الشرح	الاملاء
الجابة	نعم	13
	لا	03
المجموع		16

جدول رقم 17:

يمكن تمثيل الجدول بالرسم البياني الآتي:



أجاب جل الطلبة بنعم بنسبة 81%، الذين يرون أن المواد المدرسة ذات فائدة دراسية في حين كانت نسبة الطلبة الذين أجابوا بـ "لا" 19%، وهم يعتقدون بذلك أن بعض المواد المدرسة ليست ذات فائدة.

18- هل أنت سعيد لكونك تدرس اللغة العربية؟

الاجابة	العدد	النسبة
نعم	16	100%

أعرب كل الطلبة دون استثناء عن حبهم وإعجابهم الشديد باللغة العربية معبرين عنها بقولهم:

- "إنها لغة جميلة، فهي لغة الشعر العربي العظيم، ولغة الثقافة العربية العريقة".

- إنا سعيدة لأنني أدرس اللغة العربية والمطالعة.

- أحبها؛ لأنها أغنى لغات العالم.

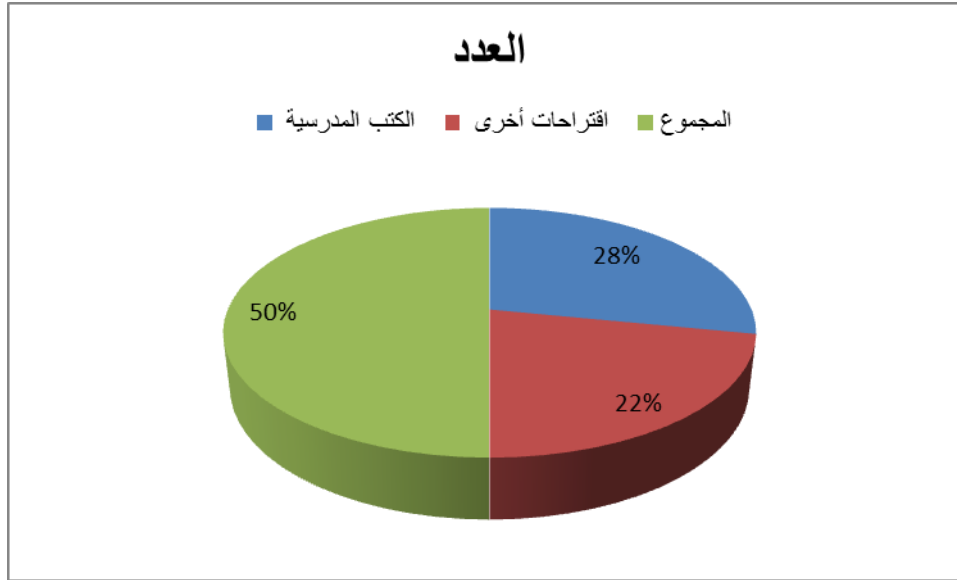
- أحب التكلم بها مع عائلتي وأصدقائي بالصين.

19- هل هناك أفكار أو ملاحظات أو اقتراحات مهمة تود أن تضيفها؟

يمكننا تمثيل ها السؤال بالجدول الآتي:

المتغير	العدد	النسبة
الكتب المدرسية	9	%56
اقتراحات أخرى	07	%44
المجموع	16	%100

جدول رقم 19: مقترحات وملاحظات الطلبة يمكننا تمثيل الجدول بالرسم البياني الآتي:



رسم بياني رقم 19: ملاحظات واقتراحات الطلبة

تباينت آراء واقتراحات الطلبة في تقديرهم للسؤال، لكن أبرزها اتفق على ضرورة توفير الكتاب المدرسي لحاجتهم الماسة إليه لما يمدهم بكميات هائلة من الكلمات والمصطلحات؛ ولأنه المصدر الأول للتعليم؛ ولأنه دليل الثقافات المختلفة؛ ولأن الصور والرسومات المرفقة تساعدهم في الفهم والاستيعاب وقد قدرت نسبتهم ب %56 في حين قدرت نسبة الاقتراحات الأخرى ب %44 التي سندرج بعضها منها: زيادة الحجم الساعي للمواد، واختيار التوقيت المناسب لكل مادة.

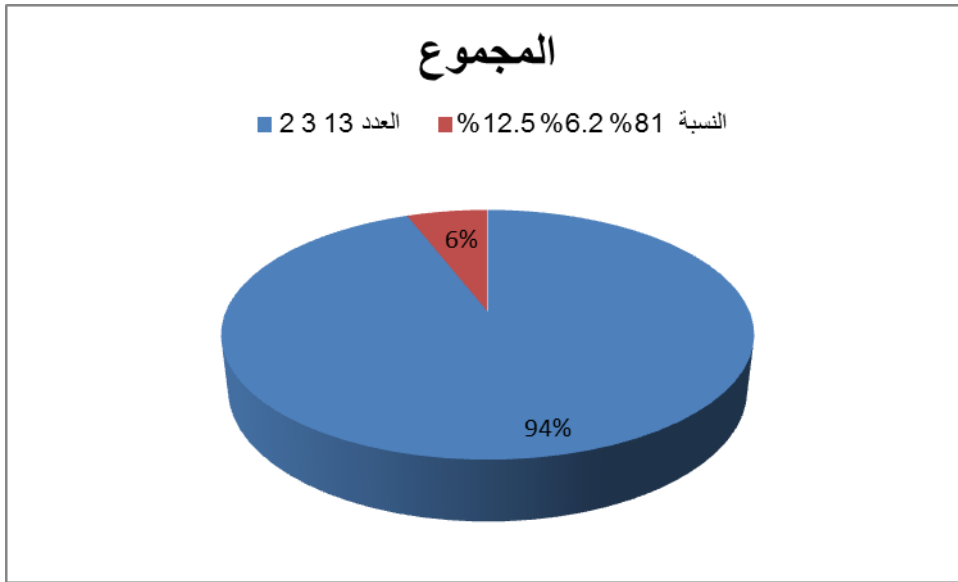
20- هل تستهويك مهنة التعليم؟

يمكننا تمثيل هذا السؤال بالجدول الآتي:

المتغير	العدد	النسبة
نعم	13	%81
لا	03	%6.2
ربما	02	%12.5
المجموع	16	%100

جدول رقم 20: آراء الطلبة حول مهنة التعليم

يمكننا تمثيل هذا الجدول بالرسم البياني الآتي:



يطمح جل الطلبة في امتحان التعليم مستقبلا كأنهم يمتلكون الرغبة في الك ولكونها أشرف المهن التي أداها الإنسان منذ الأزل وقد قدرت نسبتهم ب 81% في حين تخوف القلة القليلة من الخوض في عمارة هذه المهنة الشاقة لكونها تحتاج إلى الرغبة الطبيعية في التعليم، والالتزام ومتطلباته وكذا المهارة في العلاقات الاجتماعية وقد قدرت نسبتهم ب 6.2% فقط. أما البعض الآخر فلم يكونوا متأكدين من الك وقد قدرت نسبتهم ب 12.5%.

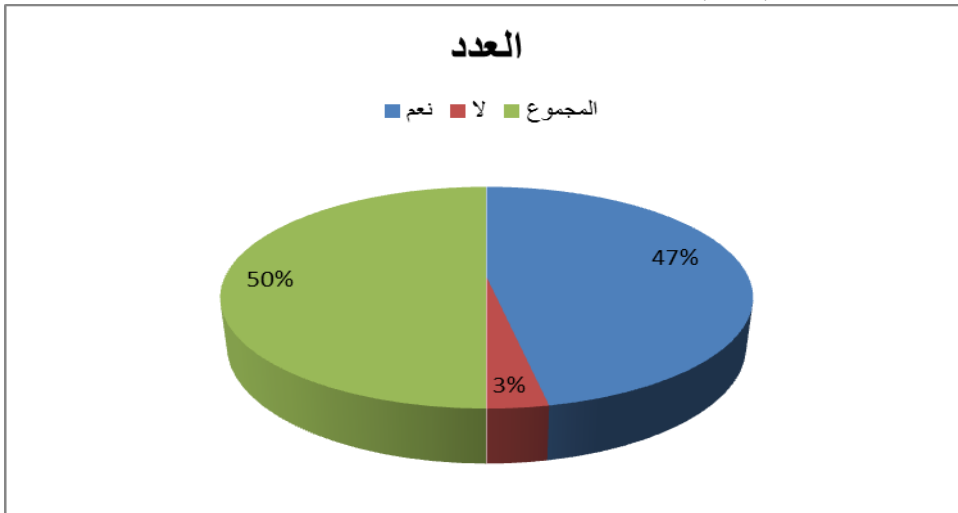
21- هل ترى لشهادة التخرج من المركز المكثف للغات مستقبلا في سوق العمل؟

يمكننا تمثيل هذا السؤال بالجدول الآتي؟

الإجابة	العدد	النسبة
نعم	15	94%
لا	01	6%
المجموع	16	100%

جدول رقم 23: يبين آراء الطلبة حول مستقبل اللغة العربية.

يمكننا تمثيل هذا الجدول بالرسم البياني الآتي:



رسم بياني رقم 23

يرى جل الطلبة وبنسبة 94% بأن لشهادة التخرج من المركز المكثف للغات مستقبل مزهر؛ لأن اللغة العربية تعدّ أداة للتواصل والحوار بين الحضارات والثقافات؛ ولأنها لغة تقوي العلاقات الدبلوماسية وتعمق الروابط التجارية والاقتصادية بين الدول العربية ودول العالم، في حين أن هناك نسبة ضئيلة من الطلبة والتي قدرت ب 6% فقط عكس ذلك.

2- تعليم اللغة العربية لغة ثانية في الميزان:

- من خلال تحليل نتائج ردود الاستبيان رصدت بعض مشاكل الطلبة الأجانب للعربية وحاولت اقتراح بعض الحلول لها:
- صعوبة فهم الجمل العربية:
 - عدم القدرة على التحدث بالعربية ومواصلة التحدث بها.
 - ليست لديه القدرة على فهم كتب التراث والكتب الدينية "القرآن الكريم".
 - عجز الطالب عن أداء المعنى.
 - الطالب لا يجتهد في تحصيل القواعد وفهمها.
 - اكتفاء الطالب بما يدرسه في الصف.
 - الاعتماد على الأخذ من المعلم وعدم مشاركة الطالب للمعلم في الصف.
 - عدم توفر الكتب الخاصة بتعليم العربية للأجانب.
 - عدم وجود تناسب بين الدرس والمدة المخصصة له.
 - صعوبة العربية التي يعاني منها الدارسون والمدرسون ليست ناتجة عن طبيعتها وإنما ناتجة عن ضعف المناهج.
 - إن جوهر المشكلة ليست في اللغة العربية ذاتها، وإنما في كوننا نتعلم العربية قواعد تلقينية، وقوالب نماء، نتجرعها تجرعا عميقا بدلا من تعلمها لسان أمة ولغة حياة (مذكور، 2006: 287).
 - الازدواجية اللغوية حيث تضع العاميات حاجزا أمام تعلم اللغة العربية الفصيحة فيخطئ الطالب بين ما يدرسه داخل حجرات الدرس وبين ما يفاجئ به خارجا.
 - عدم تنوع التراكم المستخدمة في النصوص المدروسة.
 - عدم توظيف القواعد النحوية والصرفية في الفهم والتحدث.

الحلول المقترحة:

- أ- فيما يخص المعلم:
- ضرورة وعي الأستاذ بما قد يعتري الطلاب من توتر أثناء إلقائه للدرس.
 - عليه فتح النقاش حول ما يعتري الطلاب من قلق داخل الصف، وكذا عن أنجع طرق تدريس اللغة العربية لغة ثانية.
 - فهم معلم العربية لغير أبنائها للدور المنوط به في تعليم العربية، وأهمية هذا الدور، وأن يكون على قدر المسؤولية في القيام بالمهام الملقاة على عاتقه.
 - الإجابة التامة للعربية وقواعدها وأساليبها التي تميزها عن غيرها من اللغات.
 - الاستفادة من الخبرات التربوية وطرق التدريس الحديثة عموما، مثل طرق التدريس التي تعتمد على الطالب.
- ب- ما يخص الطالب:
- أن يحرص على المطالعة كقراءة الكتب المدونة باللغة العربية، في مختلف المجالات، وأن لا يكتفي بما يدرسه داخل الصف.
 - يستخدم الكلمات المشتركة بين لغته واللغة العربية في التحدث.
 - أن يستمع إلى العربية عن طريق وسائل الإعلام الناطقة بالعربية الفصحى للتعود على العربية والشعور بالألفة اتجاهها.
 - أن يداوم على التحدث بالعربية داخل الصف وخارجه قدر المستطاع.
- ج- ما يخص طرق التعليم:
- إن طرق التدريس تحتل موقعا مهما في العملية التعليمية لما لها من أهمية بالغة في تحقيق الأهداف.
 - أن يشرح المعلم الدرس بطرق مختلفة لمراعاة الفروق الفردية بين الطلبة.
 - أن يعتمد وسائل أخرى مستمدة من طرق تعليم العربية لغير الناطقين بها ومن ذلك تعابير الوجه وحركات الجسد.
 - توزيع الأدوار على الطلاب وإقامة الحوار أو المناقشة بينهم، مع إقامة المناظرات الحرة داخل الصف والخرجات الميدانية أيضا.

خاتمة

في ختام هذا البحث نلخص إلى أهم النتائج والتوصيات المتوصل إليها :

- تعد اللغة العربية لغة حية قادرة على الفعل والتفاعل وهي متسعة مستوعبة أكثر من معظم لغات الأرض، لما لها من الخصائص الفريدة التي تميزها عن غيرها وهي اليوم واحدة من اللغات الرسمية المعتمدة في الأمم المتحدة والمنظمات الدولية ولها مكانتها الخاصة ينطق بها 480 مليون شخص داخل البلاد العربية وخارجها ولها ثقافة وحضارة واسعة.
- إقبال الأجانب غير العرب على تعلم العربية لعدة أسباب ودوافع سياسية وديبلوماسية واقتصادية، دينية، ثقافية، تعليمية، سياحية، تواصلية...
- تعددت وتنوعت طرق تدريس اللغات بين الطرق القديمة والحديثة والتي ذكرت منها: الطريقة التقليدية، الطريقة المباشرة، الطريقة السمعية الشفوية البصرية، الطريقة التواصلية الاتصالية وكذا الطريقة الحوارية وتعزيز المهارات اللغوية.
- لا يُنصح الاعتماد على طريقة واحدة لتدريس العربية كلغة ثانية دون غيرها فلكل طريقة ميزات خاصة ومقامها المناسب لها.
- اللغة العربية كانت ولا تزال محل أنظار الجميع لذا يجب على أهلها أن يعطوها من العناية ما يليق بها ويضمن بقاءها.
- الاهتمام أكثر بمجال تعليمية اللغة العربية كلغة ثانية، وضرورة تطويرها وتمثيلها أحسن تمثيل.
- تطوير مناهج وطرق تدريسها والاستفادة من التجارب النظرية والعملية في معاهد تعليم اللغة العربية كمعهد الخرطوم الدولي للغة العربية ومعهد اللغة العربية بجامعة الملك سعود مثلا.
- التعرف على المشكلات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية التي تواجه الدارس الناطق بغير اللغة العربية.
- اقتراح بعض الحلول التي تساهم في تسهيل تعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها لذلك نقترح بعض التوصيات.
- رفع مستوى تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في المحتوى وأساليب التدريس.
- تفعيل الأنشطة الاتصالية الحديثة على تطوير طرائق تعليم هذه اللغة وتقريبها من الراغبين في تعلمها من ذوي الألسن الأخرى صوتيا وصرفيا ونحويا ودلاليا.
- ضرورة توفير وتطوير مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها من المستوى التقليدي إلى المستوى الإلكتروني.
- إمكانية الاستفادة من علم اللسانيات الحديثة بهدف الوصول إلى فهم اللغة العربية ولموقعها في الحياة الفكرية.
- الاهتمام بالتعليم المتوازي لتدريس الأجانب كالخرجات الميدانية والمسرحيات الصيفية والمسابقات، والرحلات العلمية والترفيهية لتمكين الطلبة من مهارة الحوار والحديث.
- الاستفادة من تجارب دور مجامع اللغة العربية في الوطن العربي في البحث عن كيفية تقدير المواطن العربي للغته العربية معتزا وفخورا بها.
- وضع برامج تدريبية للمعلمين الذين يدرسون اللغة العربية للناطقين بغيرها، بكيفية استخدام التقنيات الحديثة حتى تكون الاستفادة كاملة ومن نصيب من يتقن اللغة.
- إن صعوبة اللغة العربية التي يشكو منها الدارسون والمدرسون ليست ناتجة عن طبيعتها وإنما ناتجة عن ضعف المناهج.

المصادر والمراجع:

أ- العربية:

- ابن فارس، أحمد بن زكريا(2005): مقاييس اللغة، دار إحياء التراث العربي، ط 1 بيروت لبنان.
- ابن بخاري، أيفي مزيدة (2014) : اكتساب اللغة، رسالة ماجستير، إشراف الدكتور ولدانا ورغاديناتا قسم، كليات الدراسات العليا، جامعة مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية، مالانج اندونيسيا .
- منظور، جمال الدين(2005) : لسان العرب، دار صادر، ط4 ، بيروت لبنان.
- الجرجاوي، زياد بن علي بن محمود (2010): القواعد المنهجية التربوية لبناء الاستيعاب، مطبعة أبناء الجراح فلسطين، ط2.
- الخليل بن أحمد (2002): العين، تحقيق د عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1 بيروت لبنان.
- الرازي، أبو بكر(1988): مختار الصحاح، دار مكتبة الهلال، بيروت لبنان، طبعة جديدة منقحة.
- سعدي نسيم(2014): تعليم اللغة العربية في قسم اللغة الإنجليزية، رسالة دكتوراه في اللسانيات التطبيقية، إشراف الدكتور سيدي محمد غيثري، كلية الآداب واللغات، جامعة تلمسان، الجزائر.
- رشدي، طعيمة أحمد، الناقية، محمود كامل (2006): التعليم اللغة اتصاليا بين المناهج و الاستراتيجيات، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة، اسيسكو .
- سويد ، عبد الله و عبد الله، مصطفى (1993): علم اللغة، دار المدينة للكتاب، دط، طرابلس ليبيا .
- عطية، محسن علي(2006): الكافي في أساليب تدريس اللغة العربية، دار الشرق للنشر ط1، عمان الأردن.
- عقيل ،حسن عقيل(1999) : فلسفة مناهج البحث العلمي، مكتبة مديولي ، القاهرة، مصر،
- علي توفيق الحمد(2014): العربية للناطقين بغيره(مشكلات وحلول): كتاب المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية، 7-10 أيار(مايو)، دبي، الإمارات العربية المتحدة.
- قادري، دلوقة بشار، سعيدة و آخرون (2012): اليوم الدراسي حول المناهج، منشورات مخبر الممارسات اللغوية بالجزائر، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر.
- كوشكشي، فرزانه رحمانيان (2014): دور القرآن في إنماء تعليم اللغة العربية في إيران بين الواقع والمأمول، كتاب المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية، 7-10 أيار(مايو)، دبي، الإمارات العربية المتحدة.
- مذكور، علي أحمد (2006) : تدريس فنون اللغة العربية، الطبعة الشرعية الرابعة، دار الفكر العربي، دط.
- مطر، عبد الفتاح رجب (د ت) : اضطرابات النطق و الكلام، د ط جامعة الطائف، المملكة العربية السعودية.

ب-الأجنبية:

https://ciel.univ_tlemcen.dz.